

١١٥

تاريخ المصريين

مذكراتي في نصف قرن

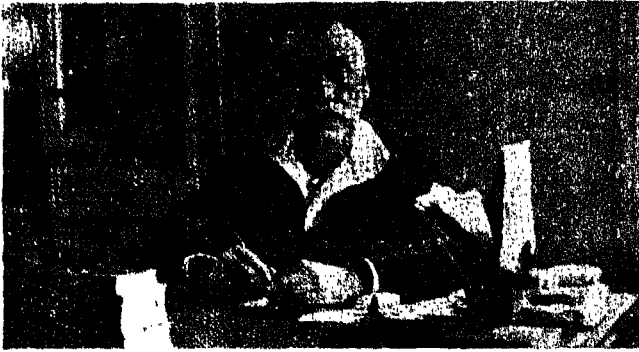
أحمد شفيق باشا

الجزء الثالث



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

مذكراتي لصفحة بقلم



الحاج احمد شفيق باشا

رئيس الديوان الملكي ووكيل الخزانة المصرية
ومخرج دار نشر القاويين والبيانات الخيرية
والعقود الخيرية

الجزء الثاني

عباس حلي الثاني

القمم الثاني من يناير سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩١٤



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨



عباس حلوانى

سنة ١٩٠٣

بينى وبين حسن عاصم باشا . رسائل رشيد بك عن سياسة المايين .
نزهر مختار باشا من الخديو . فوضى الرتب . اتفاق مؤامرة فى مصر لخلع
عبد الحميد . رحلة الخديو الى الانستانتة وأورها كازبارتة غير الرسمية للندرة
والتفاهم بينه والانجليز . عباس فى ديفون لمرستفاه . مهمتى فى طاسوز .
العودة الى الانستانتة . العود الى مصر . الشيخ على يوسف فى لندرة وباريس .
هدية الخديو لملجأ اللقطاء . الزهرهد فى البحر الأحمر . شقيقة ملك الانجليز
فى مصر وكبار الزوار الاجانب . افتتاح دار الامتار المصرية . مسالة
صندوقه التوفير .

بني وعين عاصم باشا . لما أحيل محمود فهمي باشا رئيس الديوان العربي إلى المعاش، وخلفه حسن عاصم باشا، أراد أن يسيطر على جميع الأقاليم العربية والأفريقية والتركية؛ وكان يصدر أوامره إلى الموظفين الذين هم تحت رياسته مباشرة؛ فاستأنت للاعتداء على اختصاصي . . وصارحته بذلك، طالباً منه استصدار أمر بهذه السلطة؛ إذ أنني لو فرطت في حقوقي التي منحتني إياها الخديو، وهي الاستقلال في عملي، والتوقيع على كل ما يصدر من المعية باللغة الفرنسية، كنت مقصراً في الواجبات الملقاة على عاتقي . ولما لم ينته الأمر بيننا إلى حل، عرضت المسألة على الخديو؛ وبعد أيام جاءني دومرتين باشا وقال لي: « إن سوءه لا يجب أن تمس وظيفتك فيما يختص بالأعمال الخصوصية لسوءه؛ وأما التوقيع على ردود المكاتبات الرسمية فتكون من حسن عاصم باشا إذا كانت باسمه؛ أو بتوقيعك إذا كانت باسمك . . وأبلغني أن سوءه قال لحسن عاصم باشا عند تعيينه . . إن شفيق وعزت قد اكتسبا شبه استقلال في أعمالهما، فيجب مراعاة ذلك . . »

وقد تبين لي أن عاصم باشا كان يعتقد أنني غير مرتاح لتقلده رئاسة الديوان الخديوي، ويستدل على ذلك بأنني لم أهنئه؛ ولكنني لم أتأخر عن التهنئة إلا لأعذار طارئة، ولم يخرج الأمر عن سوء تفاهم عادي؛ ثم تقابلنا بعد ذلك وتفاهنا، وسارت الأمور بيننا على وفاق، وأصبح ميالا إلى أخذ رأيي في الأعمال العامة، وفي نصوص الخطاب التي يلقيها الخديو في الاحتفالات الرسمية، وغيرها .

رسائل رشيد بك عن سياسة الملايين . رشيد بك من رجال تركيا الفتاة؛ وقد حضر لمصر، ورحب به عباس حتى إنه وظفه في الخاصة، وأخيراً توسط له سوءه وأعادته إلى الاستانة . وهو ينتمي إلى أحمد جلال الدين باشا، السر خفية،؛ وقد استخدمه الخديو للوقوف على بعض المسائل من الباشا المذكور، فوردت منه عدة رسائل في سنة ١٩٠٢ . تكلم فيها عن مسألة يالو جبوقلي . وشكوى مالكة من عدم دفع السلطان لثمنه الذي اشتراه به؛ وتكلم كذلك عن حضور البرنس حسين كامل باشا للاستانة (*)، ونزوله ضيفاً عند أحمد جلال الدين باشا، وبأن شركة هافاس علكت سفر البرنس تعليلاً قد يؤدي إلى استيائه، وأن البرنس لديه من الأسباب ما يجعله يعتقد بأن التلغراف موحى به من منير باشا، وأن أحمد جلال الدين باشا يؤكد أن سفر البرنس ليست له

(*) راجع ص (٣٦٤) من القسم الأول

أية صلة بمسألة طاشوز؛ ويظن - رشيد بك - أن المسألة من تدبير جماعة تركيا الفتاة .

وقال مستر سندوز مدير شركة هافاس إن هذا التلغراف خطأ ، ولم يرسل إلا على سبيل الاستطلاع وجس النبض استجلاء للعلوم المعطاة من أناس هم على صلة بمنير باشا ، وقد أدلى سندوز بكثير من المعلومات فيما يتعلق بالدسائس التي يدسها حزب أبي الهدى ؛ وقد أذاع هذا الحزب في الأقطار الإسلامية منشوراً ضد الخديو (*) ، ووعد سندوز بالسعي للحصول على نسخة من هذا المنشور .

وفي ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٣ أرسل رشيد بك يقول إنه سأل نوري باشا من رجال المايين عن مسألة تعيين شفيق بك في منصب القبوكتخدا ، فصرح بناء على ما جاء في تذكرة الصدارة ، بأن العرف المتبع يقضى بعدم تعيين أحد في هذا المنصب من غير موطنى الاستانة . وأن رشيد بك أعرب عن أسفه لذلك واطلع على الرسالة الموجهة من الصدر الأعظم إلى الخديو ، على أن إعرابه عن رغبته في تعيين شفيق بك . فإذا بها تنص على أن هذا المنصب لا يمكن أن يشغله غير موظف تركى .



رشيد بك

وأنه ترك للخديو حق اختيار الشخص الذى يريد أن يشغله . وقد جاء من رشيد بك في ٣ فبراير بهذا الخصوص أنه لا يبعد أن يعين شفيق بك بعد أن أقبل الصدر الأعظم من منصبه وحل آخر محله ، ويعرب عن رغبته في مخاطبة الخديو في شأن هذا المنصب ، مبيناً لسموه أنه ليس من مصلحته تركه حالياً إل ما شاء الله ومستصوباً إسناده إلى شفيق . وجاء في إحدى رسائله أيضاً أن الخاصة السلطانية باعت مناخم طاشوز إلى أحد الألمان بمبلغ سبعة عشر ألف جنيه .

تزمزمت **مختار باشا** من **الهديو** . في فبراير أقيمت الحفلة الراقصة السنوية في سراي عابدين فاستوقفني الغازي أثناء الحفلة وسألني سؤالاً علنت منه أن الخديو تحدث معه بما لم يرضه عن تقرير رفع من ولده إلى المابين بخصوص الأوقاف الخديوية فأجبت بما أعلم (راجع صفحة ٤٠٩ من القسم الأول) .

فقال لي الغازي : « وإن الخديو يقول إنك رأيت هذا التقرير بعينك . » فأجبت نفيًا .



محمود مختار باشا

وعقب الحفلة علنت أن الخديو اتفق مع النظار على أن يكون استقبال مختار باشا في المسابقات بعد البرنسات ، وأن السبب في ذلك استياء سموه من تصرف الدولة في مسألة طاشوز والاستقبال الفاتر الذي قوبل به في الاستانة ؛ وأما وشاية نجل الغازي فليست بذات أهمية في هذا القرار . وقد أخبر الغازي الدولة بذلك فأرسل فريد باشا الصدر الأعظم برقية شديدة اللهجة ليعاس يطلب فيها إرجاع الغازي إلى مكانه

في التشريفات ، لأن آداب سموه لا تسمح باهانة رجل كالغازي في العمر والمقام . وقد خشي مختار باشا أن يرد الخديو على هذا متقدماً أعماله في مصر فتكون هذه نقطة سوداء له في الاستانة فوسط محمود شكري باشا في الأمر ، لحادث الخديو في ذلك وعلم أن سموه لا يحمل شيئاً لمختار باشا شخصياً ، ولكنه يعمل ذلك ردأ على أعمال السلطان .

وقد كان المتبع أن يعطى للغازي قطار خاص عند سفره . أما في هذا العام فقد منع ذلك ؛ ولما حان موعد سفره لقضاء فصل الصيف بالاسكندرية وعرف أن النية متجهة إلى حرمانه من القطار الخاص ، وسط محمود شكري باشا في الأمر فسمح الخديو بذلك على شرط أن يستأذن المعية ففعل .

وكان المظنون أن العلاقات تعود كما كانت ، ولكن لما سافر الخديو بعد ذلك بأيام إلى الاسكندرية ، لم يكن الغازي بين مستقبله كما داته ، وقد أثار عمله هذا استياءً في سراي ولوماً من هيئة القناصل ، غشى الغازي عاقبة ذلك وأرسل مصطفى كامل بك ليتوسط في الصلح ، وقد أرسلني عباس مع عزت بك إلى بطرس غالي باشا ناظر الخارجية

لاخذ رأيه في الموضوع ، فكان من رأيه أنه لا مانع من استقبال الغازي إذا حضر بنفسه ، ولكن لاداعي إلى دعوته .

وقال لى مصطفى كامل بك عقب مقابلة له مع الخديو والغازي : ه إن الغازي سيكتب برقية مطولة بالشفرة يقول فيها للسلطان ها هو ذا الخديو لم يشأ التوجه إلى إنجلترا ، قبل أن يقدم فرائض العبودية لجلالته ويطلب منه أن يحسن استقباله . وكان الغازي يرى بهذا المسعى إلى إرجاع امتيازاته . و انتهت المسألة بصلح ظاهري ؛ غير أن هذه الامتيازات لم ترجع إلى ما كانت عليه .

فوضى المرتب . كانت مسألة الرتب منذ حين موضعاً للساعي والمساومات



احمد شوق بك

المختلفة ؛ وقد لوحظ هذا العام أن المسألة بلغت حداً عظيماً من الفوضى ، وأن الرتب أصبحت كالسلع السهلة ؛ وكان لهذه التجارة وسطاء كثيرون : منهم الشيخ على يوسف وحسين بك زكي وأحمد بك العريس و ابراهيم بك المويلحي ومصطفى الحصرى — وهو مقيم بالانستانه ويأتي كل شتاء لاخذ بضاعة من مصر — وأحمد شوق بك الشاعر ومصطفى كامل الذى كان ينفق ما يأخذه في الدعابة لقضية مصر ؛ وكان لكل رتبة سعر مخصوص يدفعه الطالب ، فالرتبة الثالثة يدفع عنها ٢٥٠ جنياً والثالثة مع لقب بك ٣٠٠ جنيه والثانية ٤٠٠ جنيه والمتايز ٥٠٠ جنيه .

وكثيراً ما كان يعتدى بعض الوسطاء على بعض ، ويختلس البعض ثمرة جهود الآخر . ولقد جاءتني عدة رسائل من احمد شوق بك يشكو فيها الشيخ على يوسف وحسن بكرى بك ، وقد أفهما أحد الذين أنعم عليهم بواسطته أن هذه الرتبة لم تكن إلا بمجهود الشيخ على يوسف !

ولما كثر الانتقاد على ذلك حتى من رجال المعية ؛ مثل احمد خيرى باشا وعزت بك وغيرهم ؛ ونظراً لما كان بينى وبين بطرس غالى باشا من صداقة فقد تحادثت معه بصفة

خاصة في إحدى زيارتي له، وأشارت إلى بعض المسائل التي تؤخذ على الخديو، وفي مقدمتها مسألة الرتب، وأن الواجب على النظار أن يبذلوا النصح لسموه باخلاص في ذلك، فقال بطرس باشا: «ولكن المحيطين بالخديو هم الذين يزينون له ذلك». فقلت له: «إن هؤلاء يعملون ذلك لمصالحهم الشخصية، وإن الواجب ألا يترك المخلصون للخديو من أمثالك هذه المسألة حتى يستفحل أمرها». ولما لم يقم بطرس باشا بسمي في ذلك السبيل تشجعت وعزمت على أن أقوم به بنفسي؛ وفاتحت سموه في مسألة الرتب، فأجابني قائلاً: «يا شيخ أنا عارف ما أفعله فليس لأحد في المعية ولا غيرها دخل؛ وأنا لى فئة خاصة يبحثون على مستحق الرتب ويمرضون على بعضاً منهم وأنا أمنحهم ١١»

ولما تفاهم الأمر أصبحتنا نخشى أن يتدخل الانجليز فينتهزوا فرصة منح رتبة لشخص محكوم عليه في تزوير أو غيره — كما حدث ذلك — ويشهروا بالخديو؛ ولولا حسن التفاهم القائم الآن بينه وبين الانجليز لما تأخروا عن ذلك، ومن الحوادث التي تدل على اسباب هذه الفوضى أنه أريد مرة إعطاء رتبة لعمدة؛ وبما أنه معتبر موظفاً في الحكومة، لا تعطى له الرتبة إلا بطلب منها، وهذا ما يتعذر وقوعه، فقد أوعز إليه بأن يستعفى، وأوعز للمأمور المركز أن يؤخر إرسال استعفائه للديرية بضعة أيام، منح في خلالها الرتبة ثم استرد استغفاه ١١١

أهراق صواصرة في مصر لمنع عبير الحمير. في ٧ يوليو سنة ١٩٠٢ أثناء مأدبة في بلدز أمر السلطان بالألا يقدم الخديو مساعدة إلى اسماعيل كمال بك وزملائه من رجال تركيا الفتاة الموجودين بأوربا لأن حالتهم ساءت، فرد الخديو بأن أحداً منهم لم يتقدم إليه بطلب مساعدة.

غير أنه في شتاء هذا العام حضر كمال بك لمصر وقدمه عبد العزيز عزت باشا للخديو فرحب به، وتقابلا مراراً وتكلما سوياً في أمور تختص بالسياسة التركية؛ ويظهر أن اسماعيل كمال أخبر سموه بوجود جمعية غرضها الحصول على خلع السلطان، وطلب مساعدة مالية من سموه، فأجاب به إلى ذلك وأعطاه أربعة آلاف جنيه بتحويل على أحد مصارف إنجلترا، والمحول هو عبد العزيز عزت باشا. ثم إن سموه أجرى النفقة عليه مدة إقامته في مصر.

وفي ذات يوم أرسل لى سموه ولعزت بك وعبد العزيز عزت باشا للحضور للعبة، ولما اجتمعنا علينا منه أن صالح بك سترتير الداماد حضر وطلب مقابلة سموه

فلما قابله عرفه بأن الجمعية أرسلته ليعرض عليه مشروعاً لخلع السلطان دبره رجب باشا مشير الفيلق العثماني في طرابلس الغرب، وقد كان بعيداً عنها . فانه اتفق مع هذه الجمعية بواسطة مندوبين أحدهما الإنجليزي والآخر تركي هو رشيد بك بالسفارة العثمانية بلندره ،

على أن ترسل له باخرة ترسو بالقرب من طرابلس بحجة تعليم العساكر يستقلها ويتوجه لمدينة طرابلس ، ثم يحجر عليها إلى الاستانة ، ويضم إلى هذا الاتفاق كبار الضباط في جناف قلعة وفي الاستانة ومن ضمنهم قومندان قشلاق السليمية باسكدا . وآخرون في نفس بلدز . وقال صالح بك أيضاً إن صباح الدين بك النجل الأكبر للداماد مستعد للحضور ليعرض التفاصيل إذا رغب الخديو ؛ وفعلا حضر لمصر متنكراً بلبس بقعة .



صاح الدين بك

ولزم الفندق فلم يخرج منه إلا قليلا حيث قابل عباساً في سراي القبة مرتين ، وطلب من جنابه العالي إما أن يشتري أو يؤجر لهم باخرة من جنابه الخاص . فلماذا طلبنا الخديو لمعرفة رأينا وقد رأينا منه أنه يميل نوعاً لتصديق قول ابن الداماد واحتمال تنفيذ مشروع الجمعية . ولكننا نحن الثلاثة ، اتفق رأينا على أنه لا يمكن تنفيذ وجود صعوبات ، وربما كان صباح الدين يرى فقط إلى اقتناص بضعة آلاف من الجنيهات من سموه ، وأن مركز سموه على أي حال يقضى عليه بالابتعاد عن فتنة كبيرة كذه ، لأنها لو اكتشفت لكانت العاقبة شراً ، ولو شكى السلطان من سموه للدول لانتحت عليه باللائمة . ومن حسن الحظ أنه اقتنع بهذا الرأي ، وصم على الابتعاد عن هذا العمل . وفي هذه الأثناء علمنا منه أنه أحضر لمصر اسماعيل كمال ورتب له ٥٠ جنياً ، ولكنه لم يصرح لنا بأمر الأربعة آلاف جنيه التي تحولت له بواسطة عزيز باشا لانجلترا ، وإنما علمت ذلك من محمد بك عرفي لأن صباح الدين لما فهم عدم اهتمام الخديو بكلامه

وسط البيك المذكور ، فحضر وقابل سموه وأراد إقناعه فكلفني الخديو أن أذهب إلى عرفى بك ، وأقول له أن يفهم ابن الداماد أن انتظاره في مصر لا يجدى نفعاً ؛ وعندئذ عرفنى بمسألة الأربعة آلاف جنيه ، وقال : « إن اسماعيل كمال صرف منها ٢٥٠٠ جنيه ؛ وإن سموه حجز في البنك بأنجلترا ما تبقى ، وإن صباح بك يطلب رفع هذا الحجز . » وقد تقابل عرفى بك بعد ذلك مع الخديو ولا أعلم ماذا كانت النتيجة . والظاهر أن سموه ارتأب فيما بعد في مزاعم اسماعيل كمال .

وقد علمت عند زيارتي للندرة أن اسماعيل كمال تمكن من سحب مبلغ الالفى جنيه ، رغم اشتراط سموه عند الايداع أن يكون السحب باذن عبد العزيز باشا عزت . ولما ارتأب الخديو في الأمر أمر بوقف الصرف ، وطالب بالمبلغ كله ، ولكن وجدت صعوبات دون استرداد المبلغ المسحوب وكان في نية سموه أن يتخذ الاجراءات القضائية ضد البنك الذى قام بالدفع ، ولكنه عدل فيما بعد خشية التشهير والفضيحة .

رحلة الخديو الى اوسناتة وأوريا . تقرر السفر إلى الاستانة ومنها إلى لندرة ثم الذهاب لديفون والرجوع عن طريق الاستانة ؛ وقد أمر الخديو أن أكون برفته باستمرار في هذه الرحلة ، ماعدا المدة التى سيكون فيها بالاستانة فيكون مع سموه على عبادى باشا قومندان المحروسة وعزت بك .

وتقرر أن يرافقنا أولاً زكى باشا من الاستانة إلى فينا وفيها يضم إلينا الدكتور كاوتسكى وفي باريس دومرتينو باشا وعبد العزيز عزت باشا ومحمد ياور بك ، وأن يتوجه بروستر بك إلى لندرة قبلنا ، وأن ينزل الخديو في لندرة ضيفاً على السير ارنست كاسل بناء على دعوته .

السفر : فغادرنا الاسكندرية يوم ٣ يونيو . وفي ٦ منه وصلنا إلى الكلازومين ومنها أرسلنا برقيات إلى مصر والاستانة بالوصول لجاء الرد من السلطان نفسه مما جعلنا نستبشر خيراً ؛ وقد بلغنا إن مصلحة الصحة بالاستانة أرسلت لرئيس المحجر الصحى فى أزمير لتحية الخديو عند وصوله ، فكان هذا الرئيس وجميع الموظفين فى خدمة سموه ؛ وكانت هذه دلائل تحسن الجو بين الخديو والسلطان .

وفى ٩ منه غادرنا مكان الحجر الصحى ، وأرسل الجناب العالى برقية بذلك للبايين والتهته بالمولد النبوى لجاء الرد من السلطان مباشرة أيضاً .

وقد احتفلنا نحن بليلة المولد على ظهر المحروسة ؛ وفى أثناء حديثي مع الخديو

في مساء ذلك اليوم قال لي سموه إنه يريد حفظ حقوقه في كل ما حصل في السنة الماضية من الامانات ، وكذا ما حصل في الشتاء الماضي حتى قال إنه سيمتنع من قبول حسي باشا لأنه يعتبره جاسوساً — مع أنه في الحقيقة أفضل من غيره — وقال سموه أيضاً : « إن هذا السلطان سيء السريرة ، لأنني لو كنت دونت ما كان يقوله في حق إخوته من إدمانهم على السكر (*) وخصالهم الذميمة وامتداحه لنفسه وما كان يرويه عن حريمه لكنت ملأت كتاباً . » وقال : « إننا نحن الذين أفسدنا الأمور ، فشتان بين استقبالنا في أول زيارة واستقبالنا الآن . »

قلت : « نعم لو كنا تباطأنا في الزيارة على السلطان بعدها عامين أو ثلاثة لكننا حافظنا على مركزنا . » قال نعم . واتهزت هذه الفرصة وقلت : « حقيقة إن الأتراك مقصرون ولا يخافون لإعند المعاكسة ، فلو كان أفندينا في الصيف الماضي بعد الاستقبال السيء الذي لقيه عند حضوره للاستانة ، زار إنجلترا وقابل الملك كما سبق عرضته على أعتاب سیدی ، لكانت المقابلة عند رجوعه لدار السعادة أحسن بكثير مما وقع ، فأجابني : « كان السلطان يعتبر زيارتي لإنجلترا نكابة به . » قلت : « حقيقة إن أفندينا يراعى خاطر جلالاته فوق اللازم . »

وفي ١٠ يونيو وصلنا الدردنيل ، فلاحظنا أن العساكر العثمانية والطوابق تودى التحية بمجرد ظهور اليخت بدون أن يرفع العلم .

الخدوي في الاستانة : وعند الوصول إلى جناح قلعة شاهدنا نفس الاهتمام والاستقبال ؛ ثم واصلنا السير حتى وصلنا الاستانة في صباح اليوم التالي . وكان في الاستقبال المشير شاكر باشا وحسي باشا قابلقا الخديوي تحية السلطان ، وحضر الترجمان الأول لسفارة إنجلترا بالنيابة عن السفير . ثم توجهنا إلى يلدز حيث استقبل سموه ابراهيم بك السرترشيفاتي ونوري باشا الماينجي الأول ؛ وبعد الاستراحة قليلا تناولنا الغداء . وقد كان الخديوي معترفاً برفض الأكل إذا كان مع غير السلطان ، ولكنه غير فكرته لما لقيه من مظاهر الترحيب . ثم دعي سموه لمقابلة السلطان ومكث بمحضرتة نحو ثلثي الساعة . وبعد خروجه استدعانا السلطان فثلث بين يديه مع زكي باشا وعزت بك غطاطينا

(٥) وهذه المناسبة أقول عن علم أن هدايا الخليفة لأخيه مراد السلطان المعزول الذي كان معتقلاً في سراي جراغان ، كانت عبارة عن مشروبات روحية من أجود الأصناف وقرضه من ذلك أن ينسى في السكر باستمرار .

معرباً عن سروره بمقدم الجناب الخديوى ، وتمتعا جميعاً بالصحة ؛ وكان يتحدث بصوت خافت ويرتدى معطفاً يغمر وجهه .

وقد علمنا أن الخديك بين عباس وعبد الحميد دار عن سياحة سموه ثم عن تعدد الزوجات وعدم استحسان جلالته له ، وكانت هناك مسألة شراء يالى جيوقلى من طرف السلطان وإهدائه للخديوى ، فاعتذر الخليفة لسموه عن عدم إتمام الصفقة لتشدد أصحاب اليالى .

ولما انصرفنا توجهننا إلى بيك لتحية الوالدة ، وما كدنا نستقر حتى حضر شاكر باشا ، وعرض على الخديوى كتاباً من الصدارة بأنها لم تتمكن نهائياً من شراء يالى جيوقلى وأن الصدر برى إخلاءه ؛ فقال الخديوى لأبأس ، وأراد عزت بك أن يعترض فقال له شاكر باشا : إن الواجب تنفيذ أوامر الجناب العالى . . . وعلى أثر انصراف شاكر باشا ، استدعانا سموه وهو فى كدر شديد ، وتباحثنا فى الموضوع ثم استقر الرأى على مفاوضة أصحاب اليالى ، ومنهم أمر الله بك التابع لدولة الروسا ، فى استتجاره على حساب الخديوى . وبعد مفاوضات كثيرة اتفقنا معهم على ذلك ودفعنا الأجرة ، وأبلغنا أمر الاتفاق السراى ؛ وفى الوقت ذاته استأذن الخديوى للسفر يوم ١٦ منه ، ولما عرض الأمر على السلطان أمر برد الأجرة التى دفعناها وطلب تأخير السفر . وقد حصل تراور بين الخديوى والسفراء كالمعتاد بين يومى ١١ و١٣ يونيو .

مأدبة بقصر يلدز : وفى ١٤

منه دعا جلالة السلطان سموه إلى مأدبة عشاء رسمية تقام فى الغدلولوداع .

وفى ١٥ يونيو ذهبنا إلى السراى وصعدنا إلى كيشك شاليه ، فوجدنا هناك الصدر والكلاى ورجال معية السلطان ؛ وبعد قليل طلب الخديوى لمقابلة جلالته فدخل ثم جاء الطلب لنا ، وأخبرنا بكراسينا المخصصة لنا ، فدخلنا إلى غرفة المائدة وجلسنا بعد قدوم السلطان . يصحبه الخديوى والصدر فريد باشا . وكانت المائدة



فريد باشا

مستطيلة وقد جلس السلطان وعن يمينه الخديو وعن يساره الصدر ويقابلهم ثلاثة من أنجال السلطان. وبعد الطعام، خرج السلطان والخديو والصدر، وجلسوا في غرفة على حدة؛ وجلسنا نحن في صالون كبير. وقد حضر الصدر أثناء استراحتنا فلاحظنا كثيراً، وبما لاحظته أن بقمية النظار لا يحملون به، وعند الخروج ودع عباساً إلى آخر درجات السلم؛ وقد أبدى سموه سروره من الترتيب في هذه المأدبة وحفاوة السلطان به، وعناية الصدر براحته، وإن كان قد أبدى رأيه فيه بأنه رجل لا يليق لمنصب الصدارة.

Dinner	افنام طعامى
du 19 Dec. au 20 Dec. 1902. et du 21 Dec. 1902.	في ١٩ و٢٠ و٢١ من الأوز من ١٣٢١ وقى ٢١ حريران سنة ١٣١٩
<p>Consummé: Sévigné, Petites bouchettes et beignets, Bar sauce Juiveille, Filet de bœuf Royale, Suprême de volailles truffées, Homard en belle-vue, Asperges, Punch, Poulets de grain rôti, Pâté, Ananas à la crème, Bavaroise à la vanille, Glaces.</p>	<p>طابق الزمى جوربى إبكي نوب بورك مانجلى لوك قيهسى سيزلى سبر قيهسى ترونى سطانلى طابق قيهسى سدوق استقوى نوشو تاز بوج پليج كاي پلاو ميشل اناناس طالعسى والجبال قوم ده كدره</p>

سفر الخديو إلى فينا : وفي ١٦ يونيو جاء شاكر باشا لوداع الخديو من قبل السلطان ؛ وكان السفر قد تقرر على الوابور الروماني . ولما وصلنا إلى ميناء قسطنجة ، كان في الانتظار محافظ البلد فتقدم للجناب الخديوى مرحباً ؛ وكذلك عدد عظيم من الأهالي المسلمين . ثم نزلنا جميعاً بين صفين من البوليس حتى وصلنا للقطار الذى تحرك بعد منتصف الليل إلى بخارست فوصلها فى الصباح ؛ وقد حضر مندوبون عن الحكومة الرومانية لتحية سموه ولكنه كان نائماً فاعتذرت لهم ، وشكرتهم حسب تعليمات سموه لى منذ أمس .

وفي ١٨ منه وصلنا إلى فينا ونزلنا بفندق أمبريال وقد زار سموه وزير الخارجية ثم الماركيز دى رفرسو سفير فرنسا بفينا .

السفر إلى باريس : وأمضينا فى فينا يومين ثم سافرنا إلى باريس فوصلناها صباح ٢١ منه . وكان بانتظارنا محمد ياور بك . وقد حضر السفير العثماني منير باشا للسلام على الخديو فرد له سموه الزيارة .

زيارته غير الرسمية للندرة والتفاهم بينه والويجلميز . كان الخديو قد عزم منذ

العام الماضى على زيارة لندرة والحضور حفلة زواج السير الدون جورست التى ستكون يوم ٢٥ يونيو .



اللورد آرثر بلفور

ففى ٢٤ يونيو تقرر أن أسافر مع ياوربك ومعنا الخدم إلى لندره ولما وصلنا إلى محطتها جاء دومرتينو باشا وبروستر بك ، ثم أبقنا للخديو بتام الاستعداد للبقايلة ؛ ولما وصل سموه فى نفس اليوم إلى محطة شارنيج كروس ، كان فى استقباله السير كوندى استيفن نائباً عن جلالة الملك وحاملاً سلامه ، وقد تعين مهنداراً للخديو ، والسير بارنيتون نائباً عن وزير الخارجية ،

والسير أرنست كاسل والسير الدون جورست ، والمستر ماتشل مستشار الداخلية المصرية ، واسكندر فهمى باشا العضو الوطنى بمصلحة السكك الحديدية المصرية . وبعد أن صاحفهم ركب سموه مع مضيفه السير كاسل إلى منزله الذى أعد لنزولنا .

وفى اليوم التالى توافد الكثيرون من الكبراء ورجال المعية الملكية للسلام ، فقيدوا أسماءهم . وحضر مندوب من قبل اللورد آرثر بلفور رئيس الوزارة يدعو سموه إلى مأدبة عشاء . ثم حضر اللورد نفسه للتحية ، ثم السفراء إذ أن الخديو يعامل فى لندره كأمر مستقل ، فيحضر السفراء أولاً للسلام عليه ، ثم يرد لهم الزيارة ، بخلاف الزيارات فى الاستانة .

فى قصر بكنجهام : وعند الساعة الثالثة جاءت عربة ملكية ركبها الخديو يرافقه السير كوندى استيفن ودومرتينو باشا ، إلى سراى بكنجهام حيث استقبلهم الملك والمملكة وكريهتهما الكبرى ، وكانت المقابلة عائلية لأن سموه كان فى هذه الزيارة بصفة غير رسمية .

الخديو يشهد الاحتفال بزواج جورست : وفى ٢٥ منه خرج سموه توأ إلى منزل عروس السير الدون جورست الذى احتفل بقرانه فى هذا اليوم ؛ وقد ذهبت مع عبد العزيز عزت باشا وياور بك ، فحضرت الاحتفال فى الوقت الذى جاء فيه الجناب العالى ؛ وكان المنزل غاصاً بكثير من المدعوين وبينهم وزير الخارجية وكانت الهدايا التى وردت للعروس مرتبة فى غرفة كبيرة ، ومن بينها هدية الخديو وهى قرط وأساور وعقد وخاتم كلها من الزبرجد المحلى بالماس ، وكانت أئمن هدية قدمت للعروس . وقد أخذت صورة لسموه بين العروسين فى حديقة المنزل . وعند رجوعنا بعد الحفلة ، وجدنا بطاقات لجلالة الملك والبرنس دوجال والدوق أوف كنوت وبعض الأمراء .

حفلة الاستعراض بمناسبة عيد جلوس الملك : وفى صباح ٢٦ منه اشتد الزحام فى منزل السير كاسل الذى نزل به الخديو ، ووفد كثيرون من كبار الإنجليز من الأعيان والموظفين الذين كانوا بمصر ومارشالات مثل روبرتس وجزالات وغيرهم لا يتقطع سيلهم ، وقد قابل الخديو بعضهم كما قابل السيد محمد توفيق البكرى والشيخ على يوسف وكانوا قد وصلوا إلى لوندريه فى اليوم السابق .

وعندما كان الخديو مع جلالة الملك أمس ، دعا سموه لحضور حفلة استعراض

عسكري لمناسبة عيد جلوسه (٥) في هذا اليوم ، فبعد انتهاء الزيارات وحوالى الساعة العاشرة صباحاً حضرت عربتان ملكيتان ؛ ركب في إحناهما الخديو ودهمندانه ودومرتينو باشا ، وفي الثانية عبد العزيز عزت باشا وضابط كان في خدمة الجيش المصرى برتبة ياور للسردار للذهاب إلى مكان الاستعراض ؛ وكان سموه يرتدى بذلة فريق ونيشان الامتياز المرصع ونيشان فيكتوريا ؛ وبعد الاستعراض دعى سموه لمأدبة عائلية في قصر بكنجهام ؛ وقد أمر الملك بعد الطعام بقوة تركية للخديو فقدمت لسموه وصانها مصرى في السراى الملكية .

وفي المساء ذهب سموه لمأدبة اللورد بلفور الرسمية ، وقد شهدها كثيرون من الأمرء الانجليز ؛ وكان عن يمين رئيس الوزارة ولى العهد وعن يساره الخديو .

وبعد عودة سموه كلفني بكتابة رسالة إلى مصطفى فهمى باشا عن رحلته فكتبتها ووقع عليها سموه بخطه . وأرسلناها . وفيها أن الحفاوة التي لقبها من السلطان كانت حسنة ، والحفاوة التي استقبل بها في لندره كانت أعظم سواء من الملك والأمراء ورئيس الوزارة وكبار الانجليز في لندرة والموظفين منهم في الحكومة المصرية .

مشاهدة معرض زراعى : وفي صباح ٢٧ منه ركبنا القطار من لندرة إلى صاحبة أقيم بها معرض زراعى ، فشاهدنا بعض نواحيه ، ثم توجهنا إلى كشك معد للملك والأسرة الملكية ، وكانت به موسيقى عسكرية حيث الخديو عند وصوله ؛ وقد وجدنا ولى العهد في الاستقبال . وبعد الاستراحة ذهب بنا إلى مدرج ثم سرح أمامنا عدد من الثيران المعروضة من مختلف الأجناس الانجليزية ومن بينها ثور بيع بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه . وبعد ذلك ودعنا ولى العهد وعدنا بالقطار إلى لندرة .

دعوة الأمرء للخديو : وقد لبي الجنب العالى بعد العودة ، دعوات من شقيق الملك والدوقة أوف كنوت ، والبرنسيس أوف باتنبرج أخت الملك ، ثم رد سموه الزيارة للأمرء .

الخديو في المسرح : وبعد تناول العشاء دعانا السرارنست كاسل لحضور إحدى الروايات في تياتروه لاجتبه ، ، وقد بلغنا أن ثمن كل كرسى خمسة جنيهات فعجبنا لغلاء الأسعار في هذا المسرح .

(٥) الحقيقة أن يوم ٢٦ يونيو ليس يوم التولية ولكنه في يناير ، ولما كان ذلك الشهر في العادة شهر الأمطار والبرود والتلوج ولا يمكن عمل استعراض فيه لذلك حددوا يوم ٢٦ يونيو لهذا الاحتفال في انجلترا قطع ، وأما في الرسيمات فالتباني من الملوك تأتي في اليوم الحقيق للتولية .

مأدبة الخديو للسير إرنست كاسل : وفي مساء ٢٨ يونيو أعد الخديو في محل نزوله مأدبة للسير إرنست كاسل وأخته وابنته وقربنها ، ودعى اليها المهندار والدكتور سيمونسن .

في قصر وندسور : وفي ٢٩ منه ركبنا قطاراً خاصاً إلى وندسور حيث السراى الملكية وهناك كان في الانتظار عربتان ملكيتان كل منهما بأربعة جياد ؛ وبمجرد وصولنا وضع سموه إكليلاً من الزهور على قبر الملكة فيكتوريا ؛ ثم طفنا في السراى التي صارت متحفاً للأسلحة التاريخية ، وبما شاهدناه علمنا بليون الأول وسيفه ، وعلم التعايشي ومصحف كبير من مخلفات المهدي ، وكثير من آثار الدراويش . وفي المتحف كثير من الصور الزيتية والصيني النادر ؛ وبعد إتمام الزيارة تناولنا شيئاً من المرطبات ثم ركبنا العربات إلى كنيسة السراى الملكية ، وبها مقابر بعض الأسر الملكية الإنجليزية . ثم عدنا بعد ذلك إلى لندره فزار سموه وزير الخارجية ، لإجابة لدعوة سابقة منه إلى مأدبة غداء ، وكان اللورد قد دعا ، إكراماً للخديو ، كثيرين من عظماء الانجليز ، وجلس سموه عن يمين الماركيزة والدوق دي بورتلاند عن يسارها ، وكان في المدعوين السير توماس ساندرس ابن عم اللورد كرومر ، والسير واللاى رينزل روود ، والسير فرانك لا سلس متصل جنرال المجتهد في مصر سابقاً .

وبعد الظهر قام الخديو بعدة زيارات من بينها زيارة لسفير فرنسا .

مأدبة شبه رسمية في قصر بكنجهام : وكان من المدعوين رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وبعض كبار الانجليز في مصر ، وقد استقبل سموه من رجال التشريفات استقبالا فخماً ، ثم استقبله ولي العهد بعد ما صدحت الموسيقى بالسلام الخديوي .

وعلى المائدة جلس الملك وعن يمينه الخديو ، ثم اللورد بلفور ؛ وعن يسار الملك الدوق أوف كنوت وأمامهم ولي العهد وعن يمينه الدوق أوف كمبرج وعن يساره الماركيز أوف لانسداون وزير الخارجية ، ثم باقي المدعوين حسب درجاتهم وفي آخر الحفلة وقف الملك والمدعوون وشرب نخب صحة الجناب العالي قائلاً ما ترجمته :
ه إلى مسرور بوجودكم وأهتم بمصالح سموكم الشخصية ، وبصالح مصر ، وإني أمل أن أرى سموكم بيننا في غالب الأوقات . ، ثم شرب قدحا وشرب الجميع معه ، وجلس . وقد انتظر الملك برهة منتظراً أن يرد سموه على كلمته ، ولكنه لاحظ أن سموه كان ذاهلاً فتكلم مع الدوق أوف كنوت ، وهذا حادث دومرتين باشا ، فأوماً إلى الخديو فاتبه من

غفلة، واعتبرته الحيرة لأنه لم يكن ينتظر وقوع هذا المنظر، وأخيراً وقف ورفع قدحه قائلاً: « إننى أشرب في صحة جلالة الملك. » ثم التفت إليه وتمتم بصوت خافت كلمات لم يسمعها أحد.

وقد كان الحديوي في هذه الحفلة موضع إكرام الأسرة المالكة وكبار رجال الحكومة. وبعد الانتهاء قال الملك لعبد العزيز عزت باشا: « ها أنت ذا قد سمعت دعوتي للجناب الحديوي لتكرار زيارته لندره فعليك تذكيره. » وربما كان الغرض من ذلك تشجيع سموه على قطع زيارته للاستانة والاكتفاء بزيارة العاصمة الانجليزية، وذلك ما كان يدور بيننا بعد الحفلة.

الحديوي عضو شرف في نادى السباق: وفي ٣٠ يونيو أجاب الحديوي دعوة السير إرنست كاسل للتوجه إلى نيوماركت وتمضية ليلتين في قصره هناك، ومشاهدة المسابقات التي ستحصل فيها، فذهب في صباح ذلك اليوم مع المهمندار ودومرتينو باشا والسير إرنست كاسل إلى المحطة، وركبوا قطاراً خاصاً. ولما وصل سموه توجه إلى القصر؛ وهو واقع وسط حديقة غناء شاسعة وفيها أنواع من خضر وفاكهة نادرة المثال ومعنى بها غاية الاعتناء، وهناك أيضاً خيول السباق ملك السر وعددها أربعة وأربعون منها ٢١ مضمونة تنزل السباق، ولما اسطبل بديع جداً والأمكنة التي توضع بها مؤوتها عند الأكل في غاية النظافة.

وكان السير إرنست كاسل قد دعا كذلك جلالة الملك لضيافته والمبيت عنده هذه الليلة، فأرسل جلالتة يدعوا الجناب العالى للغداء معه في ساحة السباق، وقد قضى جنباه في هذه الضيافة يومين؛ ولما عاد علمت تفاصيل هذه الرحلة، وذلك ان سموه بعد حضور السباق اقترح جلالة الملك تعيينه عضو شرف في النادى المسمى « جوكى كلب ». فاجتمع مجلس إدارة النادى في الحال وقرر ذلك باجماع الآراء؛ وكان هذا شرفاً عظيماً لدى كبراء الانجليز لأن هذا النادى لا يضم سوى المعروفين منهم لدى الملك وليس به من الأجانب إلا امبراطور ألمانيا. ولذلك سارع الأعضاء إلى تهنئة سموه بهذا الشرف العظيم وأبلغوه أنه في العام المقبل سيقام سباق باسم جنبابه. فشكر لهم سموه جميل عواطفهم. وبعد انتهاء المآذب التي أقيمت قال الملك للحديوي عند وداعه للعودة إلى لندره: « إنى أقول لك إلى الملتقى. » وكررها ثلاثاً.

الحديوي وجمعية مسلى لندره: وقد عاد الحديوي إلى لندره في ٢ يوليو وكان قد

حضر لزيارته قبل عودته الكاتب والمرجع الأشهر السيد أمير على أحد أكابر قضاة الهند وصاحب كتاب «روح الاسلام»، فأسف لعدم لقاء سموه. وترك بطاقة؛ ولما أخبرت الخديو بذلك أبدى أسفه وبعد الغداء حضر وفد من «جمعية مسلمي لندره»، مؤلف من السيد على بلكرامى وزير المعارف بجيدر آباد الدكن سابقاً، وأستاذ بعض اللغات الهندية بكلية كبرديج، والسيد عبد الله المأمون السهروردي، وعبد الرحيم خان من رؤساء طائفة الافريدين وغيرهم. وقد ألقى رئيس الوفد خطبة بين يدي سموه عرفه فيها بأغراض الجمعية من اتحاد المسلمين ونشر الاسلام ورفع كلمته؛ ثم رحب بسموه وأظهر سرور المسلمين من عنايته بالأمور الدينية ولا سيما بالأزهر الشريف؛ فرد سموه عليه شاكرًا، ثم وجه أنظارهم إلى قلة عدد الطلبة الهنود بالأزهر، وأنه عند زيارته الأخيرة لم يجد به غير سبعة فقط، وحثهم على إرسال أكبر عدد ممكن من الطلاب إليه.

وأشار سموه أيضاً إلى شعوره بالمشاق التي يعانها الحجاج، وأن أمير الحج المصري يبذل جهده في حماية الحجاج الهنود وغيرهم من البلاد الأخرى أسوة بالمصريين؛ وقال سموه: «إن الحج ركن من أركان الدين الاسلامي، وإبطال هذه الفريضة بسبب هذه المشاق والمتاعب يكون ضربة قاسية وخطراً كبيراً على الاسلام الخ.». وتبرع سموه للجمعية بمبلغ خمسين جنيناً مصرياً؛ واتصرف الوفد شاكرًا بعد أن أهدى إلى سموه فهرساً بكلمات القرآن، يدل المطالع على موضع كل كلمة، وفي أي آية ومن أي سورة، وكذلك ترجمة كتاب «تمدن العرب»، لجوستاف لوبون وقد ترجمت التيمس الخطاب ورد سموه عليه.

حدثني مع السيد إرنست كاسل: وقبل السفر تحدثت الى السيد كاسل معرباً عن إيماننا بكرم ضيافته لنا، فنزله وعرباته ومائدته وغيرها كانت كلها ملكا لنا وكانت على خير حال؛ وبعد ذلك قلت له: «إنني مع احتفاظي بذكرى هذه الضيافة أريد تذكراً خاصاً لي، ذلك هو إفهامي السر في الريح من الأوراق المالية». ففكر هنيهة ثم قال: «تشتري الأوراق عند انخفاضها وتبيعها عند ارتفاع أثمانها». قلت: «إن هذه هي العقبة فكيف أعلم أنها منخفضة اليوم وسترتفع غداً، ولو علمت ذلك لا كتشفت السر بنفسى». فضحك وقال: «هذا مرجعه إليك». وضحكنا.

الخديو ومستر بلنت: والشئ الوحيد الذي كدر الخديو في لندره، هو أن

المستر بلنت المعروف بصداقته للعرايين كان قد اتصل بسموه بصلات الود في العهد الأخير بواسطة الأستاذ الشيخ محمد عبده ؛ وقد كتب لسموه من ضيعته القريبة من لندره ؛ يرجو تشريفه بها لمشاهدة الخيول العربية التي يعنى هو بتربيتها وإنتاجها ، فأمر سموه بروستر بك باجابه ملتسه وتحديد وقت لهذه الزيارة ؛ ولكنه لما تحدث مع السير إرنست كاسل في هذا الموضوع أشار عليه بعدم الزيارة ، لأن مستر بلنت مكروه من الملك ، فتألم الخديو لذلك وقال في أثناء حديثه لنا : « عجباً للإنجليز ، كيف يدعون حرية الفكر ، ويحجرون على في بلادهم ! »

وفيما عدا هذا الحادث كانت زيارة لندره فاتحة عهد جديد في صلة سموه بالإنجليز .

نتائج هذه الزيارة : ويمكن تلخيص أثر زيارة الخديو لندره فيما يلي :

التعارف - فانه عرف كثيراً من الإنجليز وعرفوه كذلك ؛ وقد علمت أن بلفور رئيس الوزارة أعجب بسموه ، لما هو عليه من جميل الخصال ، وأبدى إعجاباً لكثيرين . كانت الزيارة في غاية المودة والمحبة ، وظهر من تسابق كبار الإنجليز لزيارته ودعواته والاحتفال به ، أنهم يرغبون اجتذابه إليهم ، وقد كان الاحتفاء به عاماً ، حتى إن التيمس قالت في مقالة افتتاحية : « إن العظماء قلما يستطيعون الانزواء بأنفسهم والتخلص من مراقبة العيون الناظرة إليهم ليتمتعوا بالعزلة التي كثيراً ما يتحسرون عليها ويتلهفون إليها ، ولقد تحولت زيارة الخديو المعظم الخصوصية إلى زيارة شبه رسمية ، لا ينقصها إلا ما استراح منه سموه من مشاق الرسميات التي تقتضيها هذه الزيارات ؛ ولما زار سموه بلادنا في المرة السابقة لم يحسن استقباله في هذه الديار كثيرة التقلب ، ونال من المرض ما أثر تأثيراً كبيراً على الحواس الذي دب في جسم الأمة احتفاء وترحيباً بسموه . وأما في هذه المرة فقد كان الجو صحوً بهيجاً ، وشهد سموه في أحسن مظاهره وأرق حالاته ، وبذلك مهد له الوقوف على أحوال الأمة الإنجليزية على حقيقتها ؛ وسواء أكانت زيارات جنابه رسمية أم غير رسمية فهو دائماً لدينا ضيف كريم ترحب به الأمة ؛ وربما كانت زيارة عادية كهذه أحب إلى مجموع الأمة وأقرب إلى ميول قلوبها ، لأن مثل هذه الزيارات تبرهن على ارتياح قلبى للوجود بيننا ، وتدلل على الثقة أكثر مما تدل الزيارات الرسمية . »

وقد كتبت معظم الصحف كذلك ، حتى الصحف الصغيرة التي تنشر في الأقاليم

ونشر بعضها صورة سموه .

كانت العلاقات بين عباس والانجليز قد تحسنت منذ زيارته الأولى للندره ؛ وها قد وضع مقدار الحفاوة التي قوبل بها من الأمراء خاصة والشعب عامة ، والمودة التي أظهرها الملك له ، وتمنياته تكرر الزيارة في وقت كانت سياسة السلطان قبله غير مرضية . كل ذلك زاد التحسن ، وشعر عباس بسوروره بوجود الثقة بينه وبين الانجليز . فهل استمرت هذه الثقة؟ (*) .

الرجوع إلى باريس : وفي صباح ٣ يوليو ودعنا السير كاسل وكثيرون غيره . ثم رافقنا المهندار حتى دوفر . وقد أرسل الخديو قبل مغادرته لانجلترا برقية يعبر بها عن شكره وعظيم امتنانه للملك . وكان قد كلف السير كاسل بمثل هذه التشكرات ،

وصلنا إلى باريس في المساء ؛ وفي اليوم التالي ذهبت مع سموه الى سراى الأليزة ومرت بطاقة باسمه ، وكذلك في وزارة الخارجية ؛ وقد رد مسيو دلكاسيه الزيارة في فندق بوسيت الذي نزلنا به .

عباس في ديفون لم يستشفأ . وبقينا في باريس إلى ١٠ يوليو ؛ ثم سافرنا إلى ديفون لأخذ الحمامات حسب المعتاد .

وفي ١٢ منه جاء خطاب من عزت بك بالاستانة يقول فيه : « طلبت أمس إلى المايين بالتلغراف . فلما قابلت الباشكاتب أعطاني صورة مقالة مترجمة عن الشمس ، ومرسلة من سفارة الدولة بلندره ، عبارته عن رد الخديو على خطبة وفد الجمعية الاسلامية بلندره . وقال عزت بك ولما أتممت قراءتها قال الباشكاتب : « إن جلالة السلطان يأمركم بتبليغ الخديو أسف جلالته كثيراً من الجملة المختصة بالحجاج ، مع وجود مجال أوسع للكلام في ذلك الصدد نحو الاسلامية والاسلام ؛ وجلالته لم يقبلها قطعياً ، ويرغب معرفة ما إذا كانت هذه الجملة حقيقة صدرت من نظامته أو هي من محرر الجريدة ؛ وإن كان صحيحاً ، فما سبب ذكرها ، وما هي المشاق التي عاناها الحجاج ؟ مع أن السلطان لا يصدق صدورها من سموه في بلاد أجنبية ، وفي وسط الأجانب . وجلالته منتظر الجواب بالتلغراف الرقي ، ويطلب أيضاً إرسال صورة من خطاب الخديو للاطلاع عليه . » وقد أبدى الخديو استياءه لسفير الدولة في باريس عند وجوده بها ، وطلب منه التحرير للماين قائلا : « كيف يغضب السلطان من ذكرى لأشياء أعلمها حق العلم ؛ وأنا لا أعصب من طلب جلالته عمل شبه تحقيق معي بهذا الخصوص ؟ ، فلي السفير الطلب ، وجاء الرد بأن السلطان تناسى هذه المسألة ؛ وعلى الخديو ألا يفكر فيها .

لطيفة ، السمك الطازجة . . وكان يصحب الحديدو بديفون عادة الطيب
كاوتسكى بك . وترينزون باشا ، المير اخور ، ، والسكرتير (وهو فى الغالب أنا) .
وفى مرة خرجنا ، نحن الثلاثة ، بصحبة الحديدو ؛ وركبنا عربة بأربعة جياد للرياضة على
جبل جورا ، ، وصعدنا إلى مكان مرتفع . ومكثنا حتى جاء موعد الغداء ، فذهب
ترينزون باشا إلى مطعم هناك ، وكان هو الذى يتولى عادة إعداد قائمة الطعام . وكان
يميل إلى التظاهر بالاندماج فى البيئة الشرقية ، فيتكلم بالعربية العامية ، ويتفوه بألفاظ
أولاد البلد ، ويأتى ببعض حركاتهم ، كأن يتجشأ بصوت مسموع . . الخ .

فلما ذهب للطعم وعاد ، ذكر أصناف الأطعمة به ، وخص بالذكر السمك ،
ففيه بجودته ، وقال إنه طازجة . . وقد اختار الحديدو أكلة السمك ؛ ولكن ما كاد
يخضر حتى تبينا أن له رائحة كريهة لطول مكثه ، فسأله الحديدو ، أهذا هو السمك
الطازجة ؟ ، وهنا قال ترينزون : ، أنا ظننت يا سمو الحديدو أنه أطيب من كده ، ، عندئذ
أغرقتنا فى الضحك على هذا الاشتقاق العجيب ، ثم سألتناه : من الذى علمك اسم التفضيل
هذا ، فأجاب : ، أستاذى فى العربية محمود شكرى باشا ، ،

سمرنى فى طاشوز . ثم بقيت فى ديفون حتى يوم ١٥ اغسطس حيث كلفنى
الحديدو بالسفر الى طاشوز ؛ لمعرفة حالتها وكتابة تقرير عنها بمساعدة مسيو هكسيوس
مدير معمل الزيت ، على أن أعود بعد رحلتى الى فينا حيث ألقى بسموه هناك .
وسبب ذلك أنه تم إنشاء معصرة الزيت بهذه الجزيرة بمعرفة هكسيوس بعد
صعاب كثيرة ، ولكن هذا المشروع لم ينجح تماماً لعمل السلطنة التركية على عرقلة
أعماله . وتحريضها الأهالى على عدم بيع محاصيلهم من الزيتون إلا بثمن مرتفع ، حتى
فكر هكسيوس فى وقفه فى العام الآتى ، ليعلم الأهالى مقدار الخسارة التى تتألم .

ونظراً لهذه الصعوبات أراد الجناب العالى استبدال مدير الوقف محمود رفعت بك
بالكونت سورمانى الموظف بالديوان الحديدوى ، لأنه قد يكون أقدر على تلافى الحالة .
وفى أثناء استعداده للسفر لطاشوز ، جاء بلاغ من السفارة الايطالية فى الاستانة الى
قنصل جنرال ايطاليا بمصر ، بمنع الكونت من السفر ؛ لأنه لو توجه فسيمنعه قنصله
فى قوله . وقد كان هذا من جراء تهاون الحديدو فى الاسراع بهذه المسألة ، حتى تمكنت
تركيا من السعى لدى ايطاليا . وقد كان هذا سبباً فى استياء الحديدو ، وتوتر العلاقات
بينه وبين الاستانة ، وما ترتب عليه من توتر فى علاقة سموه بالغازى احمد مختار باشا

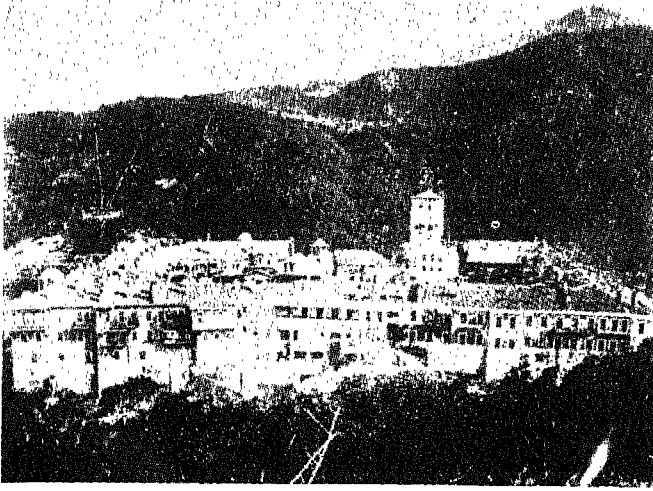
كما سبق التنويه عنه في مسألة نجله محمود مختار باشا .

غادرت جنيف في ٢٥ أغسطس إلى برنديزي ، ثم ركبت البحر إلى بتراس ، ومنها بالسكة الحديدية إلى بيربه حيث أقلتني باخرة صغيرة اسمها طاشوز ، تابعة للأوقاف الخصوصية ، إلى الجزيرة . وهذه المرحلة الأخيرة من سفري كانت شاقة جداً لأن البحر كان هائجاً وكانت الامواج تتقاذف الباخرة حتى طفت المياه على غرفة الرهبان ، وخبل إلى أنى على وشك الهلاك ولا سيما أنى لم أذق الطعام مدة ٢٤ ساعة . وقد قابلت بالجزيرة مسيو هكسيوس وفي اليوم التالي لوصولي اضطررت للسفر على نفس الباخرة سالكا طريق قوله لتمعد حالة عمارة محمد على الخيرية ، وقد استغرقت هذه الرحلة أربع ساعات ذهاباً وإياباً ولكنها كانت رحلة موفقة باعثة على الارتياح .

وفي اليوم الثالث تجولت في بعض قرى الجزيرة بصحبة مسيو هكسيوس وشاهدت معصرة الزيت ، وفي اليومين التاليين فحصت الدفاتر ، وحالة الأوقاف وهي فرصة اغتنمتها لأخذ إلى الراحة ، لأن التعب كان قد أخذ منى مأخذه ، ثم عدت فاستأنفت السفر مستغلاً الباخرة ومعى مسيو هكسيوس إلى جبل أتوس الشهير المعروف باللغة التركية باسم « أياروز » وهو في جزيرة ليس فيها أنى حتى الدجاجة ! ويقم فيها جماعة من الرهبان والنسك من يونانيين وروس وصريين وبلغاريين وغيرهم ولهم أملاك وكثير من أشجار الزيتون في جزيرة طاشوز . ثم زرنا دير فاتويدي وهو أقدم أديرة جبل أتوس وأحفظها بالتحف وبه مكتبته الأثرية القديمة التي تحوى مؤلفات نفيسة بينها مؤلفات سترابون المصورة ، وهي فيما يزعم أمين المكتبة النسخ الوحيدة من نوعها . والدير واقع في جوار الترعثة التي عمدت أكسرس ، إلى شقها اجتناباً للرور بالرأس الأرضى الممتد في الجزيرة وهو الرأس الذى تحطم عليه جانب من أسطوله ؛ ورهبان الدير يشتغلون في الزراعة والصيد ، ويعيشون عيشة النسك . وكثيراً ما يطرق الجزيرة زائرون من كل جهة ، وفي السجل المعد لتدوين أسماء الزائرين اسم ملك إيطاليا الحالى وفوكيه وروثيلد وغيرهم من عظماء العالم .

وفي جبل أتوس نحو عشرين ديراً للروم والروس ، وأغلب الرهبان من الروس وهم يمتلكون أهم الأديرة وأغناها ، ويبلغ مجموعهم نحو الخمسة عشر ألف راهب .

ولما عدنا إلى طاشوز استأنفنا التجول حول الجزيرة منذ مطلع الشمس ثم تركناها وسافرنا بجزراً إلى دده أغاش فوصلناها الساعة السادسة مساءً ، في جو صاف



دير ايفرون بجبل أنوس

بديع ، وغادرتها متأخرين عن الموعد المقرر المعتاد ، وكان القطار غاصاً بالجنود والضباط والركاب غير أنى تمكنت بواسطة البشيش ، من تدبير ديوان خاص لى ورفيق هكسيوس ، ولاحظنا فى أثناء السفر أن الجنود قائمون على خفارة الطريق . وفى منتصف الساعة التاسعة وقف القطار لجأة فى مكان بعيد عن إحدى المحطات فسأل الركاب الكسارى عن السبب فأجابهم بأن الحرارة التى اعترت القاطرة لثقل القطار وازدحامه تقضى بهذا الوقوف . وبينما نحن فى هذا الحديث إذا بشرذمة من الفرسان تدنو منا بسرعة ، فكانت الظلمة حالكة فلم نصرها ولكن وقع حوافر الخيل طرق آذاننا فزاد ذلك فى رعبنا وحسبنا له ألف حساب لأننا ظننا أنهم أفراد إحدى العصابات البلغارية وكان كلما اقترب الصدى زاد قلقنا ، وما زلنا نضرب أحساساً فى أسداس حتى أبصرنا الفرسان فاذا بهم فرسان أتراك مقبلون علينا من الجبل على خيول بيضاء ، وتقدم الضابط إلى سائق القطار سائلاً عن سبب وقوفه ، ثم أمر أحد الفرسان بالعودة إلى زملائه لتطمينهم وكان ذلك من بواعث التطمين للركاب فبدأ روعهم . على أن هذا الاطمئنان كان وقتياً وكان القلق الذى ا حوذ علينا مقدمة لقلق آخر أشد وقماً ، ذلك أنه ما كاد القطار يسير بنا مدة حتى عاد ، وقف بنا قبل محطة قللى بورغاز ثم عاد

القهقري إلى أوزون كوبري ، وحيث ذب الرعب في القلوب مرة أخرى .

وبعد أن وقفنا نحو ثلاث ساعات وعوامل الخوف تنازعنا ، تلقينا الأمر بعدم النزول في تلك المحطة ومتابعة السفر إلى أدرنة . ولا يخفى أن محطة قللي بورغاز ملتقى الخطوط الحديدية التي تتقابل فيها القطارات الآتية من أوروبا والقادمة من الاستانة إلى أوروبا أو من سلانيك وددنه أغاش ، وقد أثر فينا هذا الأمر القاضى بعدم النزول في هذه المحطة ، قللي بورغاز ، لركوب القطار المسافر من الاستانة إلى فينا ، فأردنا أن نستطلع جلية الأمر وبعد إلحاح شديد اضطر الكومسارى أن يصرح لنا بالحقيقة فقال : « إن بلغاريأ من رجال الصابات وضع آلة جهنمية في طريق القطار ، فانفجرت تحت مركبة الطعام ، في محطة قللي ، فقتل رئيس الخدم وثلاثاً من النساء التركيات وثلاثة أشخاص آخرين مع عدد من الجرحى . ، والذي تحقناه أن الآلة كانت قد وضعت تحت المركبة في محطة فليبوبرلي بعد أن أدبرت الآلة المركبة فيها بحيث تنفجر حين وصول القطار إلى الجسر المقام على نهر ماريتزا وراء محطة قللي بورغاز فدمره وبذلك لا يعود في إمكان الجنود والركاب أن يعبروا الضفة الثانية من النهر .

وقد شاهدنا في المحطة المركبة المحطمة ، وجثث القتلى وهي مغطاة بأقشة بيضاء ، وكان المنظر محزناً للغاية . على أن تأخيرنا بسبب وقوف القطار ، كان باعثاً على إحباط سعى الثوار البلغاريين الذين دبروا هذه المكيدة . وكان رحمة وسلاماً إذ لولاه لرحاضحية تلك الجريمة ! وتأخر القطار بنا ثلاث ساعات ولذلك لما وصلنا إلى صوفيا كان القطار البلغاري غادر المحطة إلى فينا فقضينا هناك أربعاً وعشرين ساعة ، وأخيراً وصلنا عاصمة النمسا بخير وأخبرنا الخديو بكل ما تقدم وأطلعت على تقرير مفصل لرحلي . وسلته بعد رجوعنا لمصر إلى أحمد خيرى باشا .

فمن ذلك كانت رحلي هذه شاقة حافلة بالمتاعب والأخطار . والغريب أني لما ركبت القطار في دده أغاش حدثتني نفسي بأن حادثاً ينتظرني في الطريق وخطر لي أن أعهد إلى مسير هكسيوس في إيصال أوراقى المحفوظة في حقيبتي إلى المنزل ، وقد وقع هذا الحادث فعلاً ولكنه وقع في قطار آخر . ومن المصادفات الغريبة أنه في أثناء سفرى من جزيرة طاشوز رأيت طائفة من الدراويل تسابق الباخرة وتداعبها ودنا منى أحد سكان الجزيرة وأنا أنظر إلى هذه الدراويل وقال : « إن هذا فأل حسن . ، وفي الواقع إنه كان مصيباً .

وقد نشرت جريدة «جورنال دى جنيف» في عدد ٢ سبتمبر نبأ هذه الرحلة في رسالة ضافية بقلم المسيو هكسيوس لا تختلف عما تقدم .

العودة الى الاستانة . وقد بقينا في فينا حتى يوم ١١ سبتمبر ثم غادرناها على قطار السكة الحديدية الرومانية إلى نجر قسطنجة على البحر الأسود ومنها بالبحر للاستانة فوصلناها يوم ١٤ منه . ولما أقلت الباخرة مراسيها أمام جبوقلى كان في الانتظار المشير شاكر باشا واللواء حسنى باشا وضابط من الياوران ، يحملون تحية السلطان . ثم ركبنا الزورق رهبر إلى ضولمه بفتح ، ومن هناك أقلتنا العربات إلى سراى يلدى ، فحضرنا مأدبة شاهانية . وبعد الغداء دخل الخديو عند السلطان وظل معه نصف ساعة حدثه فيها جلالته عن ثورة حدثت في بلاد البلغار ، وعن إشاعات خلاصتها أن الثوار سينشرون الطاعون في أنحاء تركيا بواسطة عشرين زجاجة من باسيل الطاعون ؛ وكذلك كان جلالته متخوفاً من أن يسموا مياه الاستانة المعدة للشرب !! وبعد انتهاء الزيارة ذهبنا للسلام على الوالدة ثم عدنا إلى جبوقلى .

خطأ نبيل رتبة : وفي ٢٠ سبتمبر جاءنى اللواء حسنى باشا متألماً ، وقص علىّ حكاية غريبة ملخصها أنه دعى للمابين برقية أرسلت إليه بعنوان «الفريق حسنى باشا» ، وكان يترقب الانعام عليه بهذه الرتبة الكبيرة . فظن أنه أنعم بها عليه فعلا ، وأذاع ذلك بين إخوانه فرحاً مسروراً . ولكنه لما ذهب إلى المابين ليقدم شكره على هذا الانعام أخبره الباشكاتب أن هناك خطأ فقط وقع من كاتب البرقية ؛ وأنه لذلك حائر متأملاً لا يدري ماذا يصنع ، وكيف يدارى خجله أمام أصدقائه الذين أخبرهم بالنبأ ، وهم كثيرون !

فأبلغت ذلك للخديو ، وانتهر سموه فرصة وجوده مع السلطان في اليوم التالي لتناول طعام الغداء على المائدة السلطانية ، وذكر له الواقعة ملتصقاً بالانعام بهذه الرتبة على الرجل ، فصدرت الارادة السلطانية في الحال بهذا الانعام !!

العود الى مصر . وقد بقينا في الاستانة حتى ٢٨ سبتمبر ، ثم غادرناها بعد مأدبة وداع في يلدى يوم ٢٧ منه قاصدين الاسكندرية فوصلناها يوم ٢ أكتوبر . واستقبل الخديو فيها كالمعتاد .

الشيخ على يوسف في ندره وباريس . كان الشيخ على يوسف من

المتيمين للسراى ، فانتهاز فرصة زيارة الخديو لندره وسافر اليها ليتتبع أخبار هذه الزيارة كيما ينشرها في المؤيد ، ثم بارحها الى باريس وتقابل مع بعض السياسيين فيها ، وتكلم معهم بخصوص المسألة المصرية ، كما سيجيء ، ثم أرسل اليها من لندره في ٥ يوليو خطاباً يقول فيه : « كانت مأدبة المستر موزلى - وقد كان قاضياً بمصر - في ١٠ نيو سان استيفان كلوب ، وهو كلوب المحافظين ، مساء أمس وأجاب الدعوة اثنان وعشرون شخصاً بينهم عضوان في البرلمان ومديرو جرائد استاندرد والديلى تيلغراف والديلى نيوز وغيرهم من الكتاب والأعيان ، ومع أنى كنت سمعت من المستر موزلى نفسه أنه لا يخطب ولا كلام بل حفلة تصارف وسمر بسيط ، فقد جر الطعام إلى المدام ، والمدام إلى الكلام ، وانتهى الأمر بالقوم أن كانوا في حلبة خطابة فخطب منهم سبعة منهم عضوا البرلمان ، وأصحاب الجرائد الثلاثة وشخص اسمه المستر ديسى مؤلف كتاب « الخديو في مصر ، والمستر موزلى واضطرت أن أتكلم أيضاً . وكان مدار الخطب كلها مظاهره للجناب العالى الذى شربوا نخبه مراراً ، وحيوه مراراً بكلمة « هورّا » .

وأضاف إلى ذلك أنه رد عليهم بالشكر ، وبسط القضية المصرية ، وما للخديو من منزلة بين أمته .

ووردت لنا منه أيضاً رسالة من باريس يصف فيها احتفاء الصحفيين الفرنسيين به ؛ وما تبادلوه من الأحاديث بخصوص مصر وسياسة فرنسا .

ثم أرسل لنا رسالة أخرى جاء فيها : « سيذهب وفد من مجلس النواب الفرنسى إلى لندره ليجتمع مع مندوبين من برلمان إنجلترا للفاوضة في المسائل المختلف عليها بين الدولتين . وقد طلبت مقابلة مسيو آنتين وكيل مجلس النواب الفرنسى بواسطة دولونكل لأعرف منه إن كانت مسألة مصر من جملة المسائل التى يجرى الكلام فيها أم لا ، وقد كتبت لصاحب لى فى إنجلترا ليعرف شيئاً من ذلك أيضاً حتى إذا كان هناك قسط من الكلام لمصر عدت إلى لندره لأعرف ما يمكننى الوقوف عليه من أسرار المخبرات فى شأن مصر خصوصاً إذا كان من أعضاء البرلمان ، الذين نعرفهم ، من يكون فى اللجنة المختصة لذلك ولعل هذا هو السبب فى كثرة الأسئلة التى تتوارد على من لندره فى المواضيع المصرية . »

وكتب لنا بعد ذلك ما يأتى : « عاد النواب الفرنسيون وقد قابلت دولونكل وهو متفجع بالأمال الكبار ، ويقول إن المسألة المصرية لا بد أن تعرض أول المسائل

على مجلس التحكيم الذي يراد عقده ، وقد كان في المادة البرلمانية على يسار المستر تشمبرلين وعلى يمين السير شارل ديلك وتكلم مع الاثنين في المسألة ؛ ومن رأيه أن تشمبرلين لا يبقى طويلاً بل الوزارة كلها ستغير وتأتي وزارة الأحرار ، ولما خطب قال لا بد من عرض المسألة المصرية في مقدمة المسائل ولكنه لم يرد أن يتعمق معنى في الكلام حتى يعرض ما لديه رأساً على الجناب العالی ، وهو مسافر غداً إلى البلدة التي بها مسيو اتين وكيل مجلس النواب وبعد مقابلته يتوجه إلى ديفون ، وربما اقتضى الحال تأخير سفره إلى يوم الخميس أو الجمعة التاليين .

هزيمة الخديو طلباً للقطار . تفضل سمو الخديو ففتح ملجأ اللقطاء الذي أسسته جمعية مكارم الأخلاق بالاسكندرية مبلغ ألفين وثمانمائة جنيه تصرف له كل عام . وقد حضر للسراي وفد مكون من المحافظ بصفته رئيس شرف الجمعية ، وقاضي الشر محمد بك سعيد رئيس جمعية العروة الوثقى ، والشيخ عبد الفتاح شريف رئيس جمعية مكارم الأخلاق وعبد القادر الغرياني بك وخليل بك حماده وكيلاها لشكر الخديو على هيبته .

وقد افتتح هذا الملجأ يوم ٢١ أكتوبر وكنت بمن رافقوا سموه وبعد الاحتفال رسمياً تفقد جنباه غرف الملجأ ، وسأل عن نظمه وأوصى القائمين بأمره بزيادة العناية بأمر هؤلاء الرؤساء الأبرياء .

الزبرجد في البحر الأحمر . أخذ الخديو بعد عودته من الاستانة يعنى بمسألة استخراج الزبرجد من جزيرة الزبرجد بالبحر الأحمر ، بعد ما انتهى أمر طاشوز إلى انزعائها من الإدارة الخديوية .

وقد كلفني أن أحاطب مسيو هكسيوس في الموضوع ليوافينا بأخبار استخراج الزبرجد ويبيع ، وقد جاء الرد منه يوم ٥ نوفمبر أنه قد وصلته أنباء من باريس ولندره بأن تجار الزبرجد غير مرتاحين إلى أثمانه لكثرة ما يعرض منه عليهم من جهات مختلفة وبأثمان رخيصة ويقول في بيانه بأنه لا بد أن يكون هذا الزبرجد مسروقاً .

وبوصول هذا الرد اهتم الخديو بالأمر ، وبعث محمد سعيد بك رئيس نيابة الاسكندرية إلى الجزيرة لتحقيق الأمر ، فقام ، وبعد رجوعه قرر أن نصف الزبرجد قد امتدت إليه أيدي السارقين وأنه قبض على من اشتبه فيهم ، وقد أبلغني الخديو بعدئذ

أن هكسيوس يسمى لدى شركة انجليزية لشراء امتياز الزبرجد بهذه الجزيرة بمخمين ألف جنيه .

شقيقة ملك الانجليز في مصر وكبار الزوار الالهانب . في ٢٣ ديسمبر وصلت إلى القاهرة البرنيس دى باتنبرج شقيقة ملك الانجليز ، فاستقبلها على المحطة من قبل الخديو البرنس محمد على باشا وكذلك اللورد كرومر وقنصل جنرال ألمانيا ، ونزلت في فندق الجزيرة .

وفي اليوم التالي لوصولها زارها عباس في الفندق . وكانت هذه البرنيس قد أقامت مأدبة للجناب العالي عند وجوده بلندره كما ذكر ، وقد أدب لها سموه يوم ٢٨ مأدبة فخمة في سراى عابدين ، حضرها اللورد كرومر والنظار والمستشاران ، وروساء المعية ، واستمرت الحفلة حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

وبعدئذ حضر الدوق أوف سكوت وقربنته واللورد تشمبرلن عند مروره بيور سعيد أثناء سفره إلى الكاب وقد جاء إلى العاصمة وزار الخديو وشاهد الخزان .

وزار مصر ولي عهد ألمانيا وشقيقه بصفة غير رسمية ، وقد مرضا ولكن لم يمنعهما المرض من مشاهدة بعض الآثار المصرية ، خصوصا آثار الأقصر ثم رؤية خزان أسوان .

وقد قدم إليهما الجناب العالي إحدى سفن الركائب الخديوية لهذا الغرض . وأعد لها مأدبة عشاء في عابدين ورافقهما إلى زيارة القناطر الخيرية ، فتركا مصر شاكرين ، وتبادل الخديو مع الدوما البرقيات بخصوصهما . وأظهر ابتهاج بهذه الزيارة التي عوضت ما كان يتوهمه الإمبراطور من زيارة مصر في السابق ، بجاء الرد منه لطيفاً ، وأنعم على بعض الحاشية بنياشين .

وكذلك حضر الدوق دوساكس فأولم له الخديو وليلة غداء في عابدين ، وكنت من ضمن المدعوين وقدمنى سموه إليه كباقي أفراد الحاشية التي حضرت الوليمة ، ولذا أنعم على بنيشان فيليب من الدرجة الثانية .

وزار مصر أيضاً الأرشيدوق فرانسوا فردينند ولي عهد النمسا (*) بصفة غير رسمية ، وبينه وبين الخديو مودة عظيمة ، فرحب به سموه وخصص له مختاراً لزيارة الآثار القديمة . (٥) وهو الذي قتل في البوسنة وكان قتل سبباً في نشوب الحرب العظمى .

في الصعيد، ونزعه معه نزهة بديعة في القناطر الخيرية، وتغدى معه في القبة وكانت تصعبه قرينته. ومملكة البرتغال ونجلها ولي العهد وقد زارا الصعيد على وابور خديوى. زارها الخديوى في فندق سافوى، فاستقبلت سموه عند مدخل الفندق وبعدئذ ردت له الزيارة في سراى عابدين، وزارات والدته وكذلك الحرم، وأعدت لها وليمة فاخرة في سراى عابدين. وبعدئذ توجهن معاً إلى الأوبرا؛ ولما سافرت الملكة ونجلها ودعا الجناب العالى على المحطة؛ ولما عادت إلى مملكتها أبدت شكرها وبمنونيتها، وأعلنت ذلك في جريدة اللواء، فان صاحبه زارها وتكلم معها، وكتب خلاصة الحديث بعد استئذنها؛ ومن حوادثها في مصر أنها حضرت الليلة التي أقامها صالح باشا ثابت في منزله بجوار نزل سافوى لمناسبة زفاف ابنته، فدخلت الحرم ورأت العروس وتكلمت معها، ثم خرجت وجلست مع ابناها بين المدعويين من الرجال وافتتحت المقصف.

افتتاح دار الأتار العربية. في صباح ٢٩ ديسمبر كانت احتفال ديوان الأوقاف بافتتاح دار الأتار العربية في ميدان باب الخلق، وقد حضره البرنس محمد على باشا والبرنس فؤاد باشا، والغازى مختار باشا ورياض باشا والنظار واللورد كرومر وقناصل الدول الجزالية، والشيخ حسونة النواوى والسيد عبد الخالق السادات والسيد محمد توفيق البكرى والشيخ محمد عبده، وكثير من أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وأصحاب الصحف، وعدد عظيم من الأعيان الأجانب مع قريباتهم.

واجتمع المدعويون في سرادق نخم مواجه للدار في انتظار الخديوى، فلما قدم حياه المنتظرون وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى. وبعد أن استقر به المقام ألقى عبد الحليم عاصم باشا مدير عموم الأوقاف خطبة الافتتاح. والتبس من الجناب العالى فتح الدار. وقد رد سموه عليه بخطبة قصيرة جاء فيها: «إذا كان لمصر أن تتخربيقايا أول مدينة قامت في العالم، فمن حقها كذلك أن تتباهى بالجناب العظيم الذى وصل إليها من مدينة العرب وحضارتهم.»

ثم تقدم سموه فدخل الدار وكان هذا إعلاناً بافتتاحها رسمياً، ثم تفقد حجرها وخلفه المدعويون حتى انتهى وسر بنظامها. ثم عدنا مع سموه للسرادق فتناولنا شيئاً بما في المقصف الفاخر الذى أعده الديوان، وبذلك انتهى الاحتفال.

مسألة صندوق التوفير. كاد هذا العام ينقضى على وفاق بين الخديوى والإنجليز،

ولكن حدث في ديسمبر خلاف جديد بين الخديو واللورد كرومر على مسألة صناديق التوفير بالبوستة (*).

ذلك أن اللورد أوعز إلى النظارة أن يهبوا مشروعاً أوسع من مشروع الصندوق الذى كان موجوداً ، ولم يقبل الأهل على لاعتقادهم مخالفته للشريعة لأنه نص على فائدة وهم يعتبرونها ربا محرماً . وكان اللورد يعتقد أنه لو تم إقبال الفلاحين على إبداع أموالهم في صناديق التوفير ، لقلت حوادث السطو والسرقات في الأرياف وأهم أسبابها الحصول على الأموال المخزونة في المنازل .

ولم يكن الخديو يعلم بايعاز اللورد ولا بالمشروع حتى جاء ذكره في جلسة مجلس النظارة فعارض الخديو فيه لأنه لم يستوف صيغته الشرعية ولم تستبدل كلمة « فائدة » التى هى حجر عثرة في المشروع القديم ، فقام اللورد وقعد لهذا الاعتراض من جانب الخديو ، ولذلك رأى سموه أن يدعم موقفه بأراء العلماء من الوجهة الدينية فأحضر عدداً منهم لسراى القبة وفي مقدمتهم الشيخ محمد نجيت والسيد محمد توفيق البكرى ، ولم يكن الشيخ محمد عبده المفتى من المدعويين نظراً لسوء تفاهم بينه وبين سموه ، واستدعاني جانبه عند وجود العلماء بالسراى واتبيننا إلى تقرير المشروع الآتى :

المادة الأولى : كل من أراد أن يضع شيئاً من ماله فعليه أن يقدم طلبه على استشارة مطبوعة تشتمل على ما يأتى :

أولاً - توكيل الطالب لمدير البريد توكيلاً عاماً باستعمال ما دفعه الطالب في أنواع التجارة الجائرة شرعاً .

ثانياً - إذن الطالب لمن يكون مديراً عاماً للبريد بأن يخطط ماله المدفوع منه بمال غيره من المشتركين .

ثالثاً - قبول الطالب الاشتراك مع باقى أرباب الأموال المدفوعة في الربح بقدر ما يقابل ما دفعه .

المادة الثانية : لكل واحد من أرباب الأموال المذكورة أن يسترد ما دفعه ويطالب بما خصه من الربح عند انتهاء السنة وتسوية حساب الربح بنسبة مقادير الأموال وعلى مدير البريد إجابة طلبه .

المادة الثالثة : بخصوص ضم الربح على رأس المال .

المادة الرابعة : في حالة وفاة أحد من أرباب الأموال فلورثته الحق فيما دفعه أو تجديد الاشتراك .

المادة الخامسة : تكون جميع الأموال المودعة بالصندوق تحت مراقبة الحكومة المصرية وحفظها .

ولما كان الخديو في يوم هذا الاجتماع على أهبة السفر للاسكندرية ، كلفني أن أقدم نسخة من المشروع لمظلوم باشا وأخرى لدومرتينو باشا لتسليمها إلى اللورد كرومر ، وكلف السيد محمد توفيق البكري أن يتفق مع محمد بيرم بك (*) القاضي بالمحاكم المختلطة ليفهم مستر بويل السكرتير الشرقي للورد بكل ما عمله الخديو . وأمرني سموه أن أطلع قاضي مصر أولاً على المشروع وأعرف رأيه وكذلك الشيخ حسونة النواوي ، حتى إذا عرض هذا المشروع على مجلس شورى القوانين - وهما عضوان به - لا يعارضانه . فذهبت للشيخين أولاً . فلاحظ القاضي أن يضاف إلى جملة « في أنواع التجارة الجائزة شرعاً ، جملة « الخالية عن معاملة الربا بوجه من الوجوه ، وقد خط هذه الزيادة قبله وكتب أمامها : « عن القاضي ، فاستغربت في نفسي لهذه الزيادة التي لا تأتي بشيء جديد ، أما الشيخ حسونة فقد زأى أن يغير عقد الشركة الوارد في البند الثاني من المادة الأولى فيكون : « أشرك فلاناً صاحب هذه القسيمة مع الموكلين لي المشتركين في صندوق التوفير . ثم نقح بعض أشياء في الأسلوب .

ولما أطلعت البكري على هذه الاضافات والتنقيحات وسألته إن كان يرى ضرورة إضافة شيء آخر أجاب بالنفي ووافق على التنقيح .

وبعد ذلك توجهت بنصوص المشروع إلى مظلوم باشا فلاحظ على ما جاء منه بأن في انتظار المودع لآخر السنة حتى يمكنه سحب شيء من ماله المودع تشديداً وصعوبة تحول دون نجاح المشروع . وقد عدت إلى العلماء وناقشتم في هذه الملاحظة واتفقنا إلى أن يكون النص كما يلي : « لكل واحد من أرباب الأموال المذكورة أن يسترد ما دفعه ويطلب بما خصه من الربح متى أراد . »

ولما انتهت هذه الاجراءات كتبت نسختين سلمت لإحدهما لمظلوم باشا وطلبت منه أن يطلع عليها وكيل المسالية المستر متشل أينس . والثانية لدومرتينو باشا ، وكان

(٥) وهو من عائلة مغربية وكان أبوه من كبار العلماء ومن المقربين لكرومر .

تاظر المالية قد اقترح تحديد الفائدة باثنين ونصف في المائة ليكون ذلك أسهل في العمل ،
ولكن العلماء لم يرتضوا ذلك .

وقد أخبرت الخديو أولاً فأولاً بما تم في هذا الموضوع ، وكان يريد إنهاء المسألة
قبل عودته من الاسكندرية ، وقد سألتني في إحدى البرقيات عن كان له الفضل في إنهاء
نصوص المشروع فأجبت بأنه الشيخ محمد نجيب .



محمود باشا الداماد السابق ذكره في سنة ١٩٠٢

وكان سموه يرعى من وراء إيجاد
النصوص الجديدة إلى إظهار أن المفتي
ضعيف في المسائل الشرعية ، لأنه أشار
بإبقاء النص الأصلي ، ليكون ذلك ذريعة
إلى فصله كما كان يرغب سموه . وفاته أن
المفتي مؤيد من اللورد كرومر .

ولما عاد سموه زاره كرومر وحادثه
بجدة في أنه يعرقل مشاركة . فقال له عباس
إنه لم يعلم برغبته حتى يختاط ويجعل النص
موافقاً للشرع قبل عرضه على المجلس .

وقد كان ذلك سبباً في سوء التفاهم
بينهما ، لأن الخديو ظهر بمظهر المحافظ على
الشرع ضد المحتلين وهو ما يتحاشونه كثيراً .



قصر بكنجهام ص ١٧

سنة ١٩٠٤

وسائس البكري في الأزهر ضد المفتي . محاضرة أمري للسيد البكري .
مدام هولييت آدم والانجليز . الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا . فضائح
فوضى الرتب . في العائلة الخديوية . سقط الخديو على عمن عاصم باشا . يوسف
بلغت باشا ووالده . سفر الخديو الى أوربا ثم الاستانة وسفره مع الحرم همقات
الخديو مع الانجليز . تركيا والحدود القريبة . خلع همقات بين مصطفى كامل
وعباس . قضية زواج صامب المؤيد . فاضى مصر التركي وديوانه الوواقف .
تعيين رئيسا للخديويين العربى والافرنجى .

وسائس البكري في الأزهر ضد المفتي . كان الخديو قد استمع إلى نصح
الشيخ محمد عبده في العمل لإصلاح الأزهر كما قدمنا ، وفوض للشيخ أمر السير بمرحلة
الإصلاح ، معتقداً أن الشيخ في مقابل ذلك لا يعارضه في تصرفاته ورغباته ؛ ولكن
الخديو غاب ظنه في تقدير صلواته بالشيخ واستقلاله ؛ فقد انحلت كسوة من الدرجة
الأولى من كساوى التشرىف العلية بموت أحد كبار العلماء ، فأرسل الخديو لشيخ الأزهر
يلفنه أمر سموه الشفوى بتوجيه هذه الكسوة إلى الشيخ محمد راشد مفتى المعية ، فلم ينفذ
الأمر وأبستدت الكسوة إلى شخص آخر ، فلما اجتمع العلماء عند سموه في التشرىفات
الصف الشهرية قال الخديو لشيخ الأزهر غاضباً : ألم أمرك بتوجيه كسوة فلان إلى فلان ؟ ،
فطلعتم الشيخ معتدراً . فرد الشيخ محمد عبده قائلاً : ه إن الذى قرره مجلس إدارة الأزهر
إنما هو التنفيذ لأمر أئفدنا وهو ما نص عليه القانون المتوج باسم سموكم ؛ وأما الأوامر
الشفوية فلا يعتمد عليها المجلس ، فاذا شاء أئفدنا أن تكون كساوى التشرىف العلية

بمقتضى إرادته الشخصية، فيصدر بذلك قانوناً آخر ينسخ هذا القانون، أو مادة قانونية نصها: كساوى التشريف للعلماء توجه بأمر منا. « فلما سمع الخديو هذا الرد احر وجهه ووقف ايذاناً للحاضرين بالانصراف.

وعلى أثر ذلك طلبنى الخسديو فرأيتة فى غاية الكدر وبادرنى بقوله محتداً :
« تعرف إيه اللى حصل النهارده ؟ ، فأجبت سلباً ، فأخبرنى بما حصل ملوحاً بالانتقام من الشيخ محمد عبده .

وقابلت الشيخ بعد ذلك فلبت على هذا الرد الجاف ، وقلت إن الواجب يفضى عليه بأنه يحسن القول فى الرد ، وأفهمته أننا بهذا الأمر قد خسرنا كل ما قننا به من الجهود وقدنا الخطوة الأولى فى سبيل إصلاح الأزهر .

وزاد فى غضب الخديو على الشيخ محمد عبده ما كان من توتق العلاقة بين الشيخ والورد كرومر ؛ فقد كان اللورد يجله ويقدره قدره ويستشير به فى بعض المسائل الحكومية الهامة . ولما ذاع أمر هذا الحادث قام المشاغبون الناقدون على الإصلاح بالأزهر ، بتعصيد من الخديو ، ضد الشيخ .

وأكثر السيد محمد توفيق البكرى من التردد على سموه فى هذه الأيام ، وكان يعمل على إيذاء الشيخ المفتى لأنه عدوه وعدو الخديو بـ «معتقدان . وفى ذات يوم طلبنى سموه لقصر القبة ، وجمعى مع البكرى قائلاً : « يا سيد أنا لا أتق إلا بشفيق بك ، فليكن هو الوسطة فى مخابراتنا . »

وفى ٩ يناير حضر السيد عندى وطلب مقابلة الخديو وكان على وشك السفر إلى المنزه . وبعد المقابلة . قال لى سموه إن السيد البكرى سيحضر لى أوراقاً أتسلها منه وأعطيها لحسن عاصم باشا باعتبار أنها واردة له من الخديو . وبعد ذلك حضر الشيخ على يوسف وتحادث مع سموه فقال له : « اتحد مع شفيق فيما أمرته بخصوص السيد البكرى . ، وأمرنى أن أعرض على سموه برقياً كل ما يحصل .

وقد علمت منهما بعد سفر الخديو أن الغرض من هذا المسعى الذى دبره البكرى والشيخ نجيت عضو المحكمة الشرعية . هو حمل بعض أعضاء مجلس إدارة الأزهر على الاستقالة وهم : الشيخ ابو الفضل الخيزاوى ، والشيخ سيمان العبد ، وشيخ الحنابلة ، ليستبدلوا بالشيخ نجيت والشيخ محمد راشد وثالث يكون من خصوم الشيخ محمد عبده ، وبذلك يكون فى مجلس الادارة حزب قوى لمعارضة نفوذه .

وكان الشيخ على يوسف يعترض على هذا العمل وينوه بخطورته إذا انكشف ، وقد ذكرته بهذه المناسبة بأنه هو السبب في اتصال السيد توفيق بالخدوي بعد مجافاته ، لأنه سعى في صفح الخديو عنه .

وبينا نحن نتحدث عن هذا الموضوع في إدارة المؤيد إذ حضر الشيخ المفتي وقال إنه بلغه أن هناك مؤامرات في الأزهر ، وأنه عالم بالعرض الذي ترمى إليه ؛ وأن الحكومة لا بد أن تعلم ذلك . وأضاف على ذلك أن الأعضاء المطلوب استعفاؤهم لا يفعلون ذلك إلا بطلب من الخديو نفسه .

وكنت قد فكرت في حل لهذا المشكل ، وذلك أن يأتي المفتي إلى في عابدين ويطلب مني أن أرسل إشارة برقية للخديو خلاصتها : « أن الشيخ محمد عبده بلغه ما يجري في الأزهر ، وإنه يعرض على أعتاب الخديو استقالته من عضوية مجلس إدارة الأزهر ، وأنه مسافر إلى المنزه لهذا الغرض . »

وكان غرضي بهذا الحل أن يعرف الخديو أن المفتي علم بالدسائس التي تدبر فيحذرها ، وفي الوقت نفسه حينما يرى خضوع الشيخ يتنازل عن خصومه له ، فينتهي المشكل بذلك . فلما عرضت هذا الحل على الشيخ محمد عبده قال إنه سيفكر ثم يجبرني برأيه . وفي اليوم التالي قابلني وقال لي : « إن ممثل أبنس وكيل المسالية علم بالمناورات الواقعة في الأزهر ، وإنه ربما طلب مني الإفصاح عن أسباب استقالتي فأذا أقول ؟ » فأجبت بأن خير حل لذلك هو أن يتوجه للمنزه في الغد ويعرض الاستقالة على الخديو ، محتجاً بأنه لا يريد لإحداث متاعب لسموه ببقائه فوافقني .

وأرسلت للخديو في ١٠ منه رسالة بأنه لم يستقل أحد من فاضهم البكري . وجاءني الشيخ المفتي مساء وقال إنه عازم على السفر غداً ، فأرسلت لسموه برقية بأن البكري لم يفلح في مساعاه ، وأن الشيخ محمد عبده رأى من نفسه أن يقدم استقالته لإراحة لحاظر الخديو ، وسيحضر للمنزه لهذا الغرض وذلك تصرف حسن منه ومسلك طيب نحو سموه .

وقد ذهب الشيخ المفتي وقدم استقالته فلم يقبلها الخديو ؛ ولكنه قدح أمام سموه في حق البكري مما جعل عباساً يزيد تمسكاً بعلاقته واعتياداً على سعيه في الدس للشيخ محمد عبده .

وقد جاءني برقية من المنزه في ١٢ منه فيها : « إن الشيخ المفتي حضر أمس وتشرف

بالمقابلة ولكنه لم يحصل على نتيجة بالمرة ، ولذا يجب مقابلتكم لشيخ الأزهر وتفهمه ذلك ، إذ ربما يدخل الملقى بتمويها لا أصل لها ، ومن جهة أخرى يجب مقابلة توفيق البكرى وتفهمه أن يستمر في إتمام المشروع المكلف به وهو إنهاء مسألة الشيخ أبي الفضل الحسين عودة سموه . .

أما مسألة الشيخ أبي الفضل فقد كان البكرى يصرح بأنها من أيسر الأمور ، ولكنه حضر لى وأفهمنى أن شيخ الأزهر يماطل ويصانعا فى الظاهر ثم يوعز فى الخفاء لزملائه بعدم الاستقالة ووصفه بأنه « جزويت » أى شديد المكر . ثم أبدى لى ما يفيد عجزه حتى يحضر الحديدو ويحادث كرومر فى الأمر . فأرسلت لسموه برقية بذلك ، وبأنى قابلت الشيخ الكبير فتنى لى ما قاله البكرى ، وقرر خضوعه للجناب العالى ؛ ولكنه يرى أن الدسائس زادت فى الأزهر ، وأن المتوسطين لم يحسنوا الخطة ، فانكشفت الدسائس بشكل غير مستحسن .

وفى ١٣ يناير حضر عندى السيد البكرى وحادثنى طويلا فى هذه المسألة ، فنصحت له بأن يكتب للحديدو بما يريد ويسله لى لإرساله لسموه ، وكنت أرى بذلك إلى أن يعلم سموه بجهل البكرى سفر الملقى ، ويطلع على فكرته فى طلب المساعدة من كرومر وهو الأمر الذى يكرهه عباس ، وبذلك بغضى عن السيد توفيق محور هذه الدسائس فتقطع أسبابها ؛ ولم أخبره بأن الحديدو سيحضر للقاهرة اليوم حسبا أعلم لثلاثا يمتنع عن الكتابة . فوافق السيد وكتب ما نصه : « مولاي أدام الله ملكه — أخبرنى محمد يريم بك أمس بخبر ، ولكنه يقبل قدم أفندينا بأن لا يسمعه أحد فانه إن سمع لفظ ؛ وذلك الخبر هو أن الشيخ محمد عبده توجه أول أمس إلى اللورد كرومر وقال إن سمو مولانا الحديدو يريد رفقى ورفقت مجلس الإدارة جميعه ، وطلب منه أن يتداخل فى الأمر ؛ فقال اللورد بأنه لا يمكنه التداخل . ولما يتس الشيخ محمد عبده منه قال له : إننى لى حينئذ أن أتوجه للاسكندرية وأنكلم مع سمو الحديدو . فقال له اللورد : أنا لا أمنعك بان تتوجه ، ولكن الأليق أن ننظر سموه إلى أن يحضر ، نخرج الشيخ محمد عبده ، وقابل بطرس باشا غالى فأشار عليه بالسفر إلى الاسكندرية ، فقال الشيخ محمد عبده لكثير من أصحابه ، بأنى سأسافر فى هذا المساء إلى الاسكندرية لمقابلة ولى النعم ، فأشيع الخبر فى مصر بأنه سافر حتى أنه كتب فى بعض الجرائد ، ولكنى طلبت مقابلة الشيخ محمد عبده أمس لحضر عندى فسألته عن المسألة بوجه الاجمال لأعرف فكره ، فوجدت أنه خضع وغير الموضوع حيث قال بأنه لا يوجد أدنى توقيف منى فى تغيير

مجلس الادارة، ولكن لم نفهم قصد سمو أفدينا تماماً فنحن ننتظر مقابلته بالذات لنفهم الغرض فنتفذه، وكذلك شيخ الجامع قال لشفيق بك صباحاً بأن المشايخ مستعدون لتقديم الاستفتاء، ولكن لسمو أفدينا بالذات، وهذا كله غير ما كانوا يقولونه قبل مقابلة الشيخ عبده لكرور، ورأى عبدكم أن سموكم لا تظرون لهم أدنى غضب، ولكن حيث إنهم لم يفهموا أو لم يثقوا بأن أكون أنا واسطة بين سموكم وبينهم، فسموكم تفهمونهم المسألة وتأمرونهم بتنفيذها في الحال وقبل صدور الأمر بال تنفيذ فتكلمون مع اللورد كرومر فيها من باب حسن المعاملة.

هذا وعندى أشياء كثيرة سأشرف بعرضها عند تشريف الركاب العالى إلى هنا
أدام الله مولاي ولى النعم مؤيداً بالعز والنصر دوام الدهر ؟
العبد الخاضع
إمضاء - محمد توفيق البكرى

حاشية - المبدأ الذى يتخذه مولاي في هذه المسألة هو هذا : إنى أريد إصلاح الأزهر لأنى أعتقد أنى باصلاحه أصلح حالة الاما الدينية والأدبية، ولكن لجنة الادارة الحالية لا يمكنها أن تنفذ الاصلاح، لسبب هو أن أعضاءها قسمان : قسم ضعاف جداً لا يصلحون لعمل، وقسم أذكاء ولكن الثقة الدينية مفقودة منهم، فليجئ بهذه الصورة لا يمكن أن علباء الأزهر يقبلون لها أمراً ولا نهياً، وكل إصلاح منها يقابل بالرفض والهياج، فأجبت أنى أبقى الأذكاء، وأبدل الضعاف بأخرين حائزين للاقتدار والثقة، فيكون من مجموع الكل لجنة مقتدرة ذكية فيما ثقته فيمكنها أن تقنع العلباء بقبول الاصلاح.

أما الأعضاء فعندنا أسماء كثيرة منها الشيخ النجاشى مفتى الأوقاف الذى شمله مولاي بعنايته أخيراً ؟
العبد الخاضع
إمضاء - محمد توفيق البكرى
١٣ يناير سنة ١٩٠٤

ووصل الخديو في المساء عائداً من المنتزه، فانتظرتة في المحطة وركبت معه القطار إلى القبة؛ وفي أثناء الطريق قرأت عليه رسالة البكرى فلم يستحسن ما جاء بها من الآراء ولا سيما مسألة استشارة كرومر.

ولما لم يفلح السيد توفيق البكرى في مهمته أتى التبعة أمام الخديو على شيخ الأزهر وقد استغرقت حينما حادثنى سموه في الأمر، وردد أمامى كلمة "جزويت"، وصفاً للشيخ، وهى الكلمة التى قالها البكرى، فكان الخديو يردد حتى أفاظله لا أفكاره فقط

وكان من جراء ذلك الشغب أن استاء الشيخ الأكبر، وطلب الاستقالة. ولكن بطرس باشا أشار على الخديو بعدم قبولها، لأنها أتت في وقت حرج، فأرسلني سموه للشيخ لاهدى. فجاظره؛ ثم قابل الخديو بناء على نصحي في مسجد المطراوى حيث كان يؤدى فريضة الجمعة، فنال عنايته ودعاها لتناول طعام الغداء معه في القبة.

وقد انتهت الدسائس ضد المفتى، بأن صرح اللورد كرومر يوم ١٤ يناير أثناء مقابلته للخديو، بأنه مهما كانت الأحوال فإنه لا يوافق على فصل الشيخ المفتى من الاقناب ما دام موجوداً.

ولكن ذلك كله لم يثن الخديو عن خطته. فأثار على الشيخ جريدتى اللواء والظاهر وعلى الأخص في فتوى صدرت منه رداً على سؤالين من بعض مسلمى الترنسفال وهما:

(١) بقر يضرب على رأسه بالبلطة حتى تضمف مقامته، ثم يذبح قبل أن يموت بدون تسمية. هل يجوز أكل لحمه؟

(٢) يوجد أفراد في هذه البلاد (الترنسفال) يلبسون البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد اليهم. فهل يجوز ذلك أم لا؟

فأفتى الشيخ المفتى بالإباحة في الحالتين فقام العلماء وقعدوا بخصوص الفتوى الأولى على الأخص يجرمون فيها أكل لحوم هذه الأبقار باعتبار أنها موقوذة، ويطعنون على الشيخ. فرد عليهم الشيخ بأن الموقوذة هو ما ضرب بغير محدد كالخشب والحجارة حتى انحلت قواه ومات.

لم يكتف الخديو بذلك، بل حرض العلماء عليه، فرموه بأنه وهابى كما رموه بالزندقة لعدم أخذه بأراء شيوخ المذاهب؛ فرد عليهم الشيخ بما يدحض فريتهم.

وزاد خصوم الشيخ على ذلك بأن لفقوا صورة شمسية له مع بعض نساء الأفرنج وحلواها إلى اللورد كرومر وأفهموه أن هذا في عرف المسلمين إزراء بالشيخ ومنصبه، وأنه ينبغي إقالته مراعاة لشعورهم. فتبسم اللورد ساخراً من هذه السخافة، وأبدى رية في صفحة هذه الصورة. وقال لهم: إن الأستاذ يزورنا هنا وتحضر مجلسه ليدى كرومر وغيرها من عقائلنا، فهل يصح أن نند هذا إهانة له أو لنا؟، وبذا خاب مسعاهم لدى كرومر. وكنت أنظر إلى هذه الدسائس بعين التوجس لأنها لا تجدى الخديو نفعاً بل تشجع الدساسين على غيهم.

وقد نشرت هذه الصورة في جريدة «حارة منيقي» كما نشرت جريدتا «البا باجلو» المصرية، و«الأرنب»، صورة وقحة أثارَت دهشة الجمهور وكانت سبباً في قضية جنائية حكم فيها في فبراير على عبد الحميد كامل أفندي صاحب الجريدة الأولى بالحبس ستة أشهر وحسين توفيق أفندي صاحب الجريدة الثانية بالحبس أربعة أشهر لانتهاكهما حرمة الآداب في حق فضيلة المفتي بواسطة إشهار رسمه وتصويره واقفاً مع امرأة بلباس الرقص بحالة شائنة، ثم القذف في حقه بأنهما أسندا إليه الكفر وتحليل المحرمات، وغير ذلك من الأمور الموجبة احتقاره عند أهل وطنه.

. وفي ٢٥ فبراير قرأت في بعض الصحف العربية أن المفتي قابل بطرس غالي باشا وقال له: «يظهر أن الجناب العالي اتفق مع الإنجليز على إبعادي من منصبى، فإذا كان هذا الخبر صحيحاً فاني مستعد لتقديم استقالتي».

ولما سألت بطرس باشا عن هذا الخبر أجابنى: «إني سمعت من الخديو أن المحتلين عرضوا خبث المفتي وأنهم غير راضين عنه - وإن كان سموه لم يسمع ذلك من كرومر نفسه - ولكنه كان يعلم أن اللورد قال مرة بأنه مهما قيل عن هذا الرجل فإنه لا يمكن تعويضه في كفاءته، ولذلك فاني أستبعد جداً موافقتهم على فصله».

وكانت لدسائس الأزهر ذبول أخرى؛ فقد قام الشيخ محمد الرفاعي والشيخ محمد راشد وآخرون بتقديم مذكرة ضد الشيخ الكبير والمفتي ولكنها حفظت لرضاء الخديو عن الأول وعجزه عن تنفيذ ما يريد ضد الثاني(*).

محاولة أمرى للسيد البكرى . وقد كان من الآراء التي عرضها السيد البكرى على سمو الخديو في هذه الأثناء العمل على استمالة المستر بويل، السكرتير الشرقي للورد كرومر، وأصحاب جريدة المقطم للمعاونة في هذا النضال.

أما الأول فقد قال عنه السيد: «إنه مستشار اللورد المطاع، وإن استمالته سهلة بواسطة بيرم بك»، ولكننى شرحت للخديو ما تنطوى عليه هذه المحاولة من الخطر إذا علم بها اللورد، وأنه من المرجح أن يرفض بويل نفسه هذا العرض.

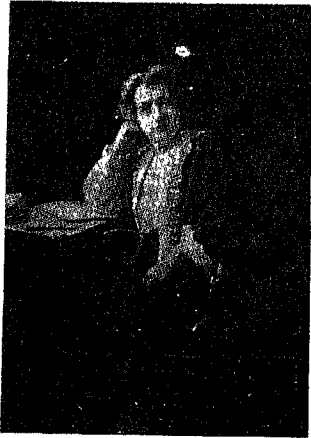
ومع ذلك فقد جاءنى السيد يوما وقال إنه يريد إبلاغ كرومر بواسطة بويل أن من مصلحته الاتفاق مع الخديو، الذى تقف الأمة من ورائه تؤيده، ثم تحدث فى

(*) راجع هذا الموضوع فى سنة ١٩٠٥ من المذكرات.

مسائل أخرى ، فلم أستحسن شيئاً من ذلك فانصرف وأرسل لي كتاباً يقول فيه « حيث إنكم لم تستحسنوا ما عرضته عليكم فلا داعي لعرضه على الخديو ، ولكن على كل حال أرجو أن تعرفوا أن أهم سلاح لنا هو أن الأمة كانت نائبة على الحكومة في مسألة صندوق التوفير ، وأن الخديو هو الذي أسكنها وهدأها ، وأنه إذا رفع يده عن إسكانها عادت إلى ما كانت عليه ، وكانت المتاعب على الحكومة وأنصارها ، وهذا أمر سيعلم لهم أى الانجليز من جملة طرق . . »

وقد تكلم معي أيضاً في أنه يستطيع ضم اسحاب المظلم للخديو ، فقلت له أن يصنع ما يريد ، فحدثهم في ذلك ، فأجابوه بأنهم يلقون من الخديو إغراضاً على الرغم من الخدم التي قاموا بها لسموه . فقال لهم السيد إن سموه لم يفض الطرف عنهم ، وإنه يقدر خدماتهم وينوي إظهار ذلك التقدير بالانعام برتبة على صديقهم أخنوخ فانوس افندي ، فشكلوا السموه ووعدوا بالمساعدة .

ولم يمض يوم واحد على ذلك حتى طالعت في المقطم مقالا فيه طعن على الخديو والحاشية ، فلفتت نظر السيد إلى ذلك ، وأن الانساق لم يمض عليه أكثر من يوم . ولكنه اعتذر بأن المقال كان معداً من قبل الانساق ، وأنه لن يحدث شيء من ذلك في المستقبل .



مدام جوليت آدم

مدام هولبيت آدم والانجليز

وقد حدث احتكاك جديد بين الخديو والمحتلين بسبب قدوم مدام جوليت آدم الكاتبة الفرنسية الشهيرة إلى مصر؛ وكانت قد تقابلت مع سموه في العام السابق بباريس ، وعرفها قبل ذلك بأعوام على يد مصطفى كامل ، فدعاها لزيارة مصر على نفقته الخاصة لتقضى بها فصل الشتاء . ولما كانت معروفة بخصومتها للانجليز ، فقد تقرر أن يتولى دعوتها مصطفى كامل باشا فقدمت وأقامت أياماً في القاهرة شهدت خلالها

عدة مآدب أقامها مصطفى كامل باشا وحسين واصف باشا والبرنس حيدر بك وغيرهم وحضرت أنا بعضها ، ثم سافرت إلى الصعيد مع مصطفى كامل باشا والبرنس حيدر بك وهناك خلال رحلتها دعاها كثير من الوجهاء إلى مآدب أخرى ، ولما عادت أدب لها سموه مآدبة في سراى القبة ، ثم عادت بعد ذلك إلى فرنسا شاكرة مسرورة .

وبعد قليل ظهرت مجلتها الشهرية « نوفيل ريفو » وفيها فصل طويل عن مصر تنتقد فيه سياسة فرنسا التي أدت إلى احتلال الانجليز لمصر ، وتقول في ختامه : « إن كل الاصلاحات التي تمت بمصر وضع أساسها الفرنسيون ، ثم ادعاها الانجليز لأنفسهم ، ولقد ثار اللورد كرومر لنشر هذا المقال وكتب إلى وزارة الخارجية الانجليزية ، فأرسل وزيرها يطلب في لطف بيانات عن زيارة مدام آدام واحتفال الخديو بها مع العلم بأنها تخصم إنجلترا . وحضر اللورد إلى السراى وتحادث مع سموه وأطلعته على رسالة وزير الخارجية ، فأجابته بأنه يعرف مدام آدام منذ سنوات ، وكانت قد دعته لمآدبة أثناء زيارته لفرنسا فرأى من باب المجاملة — وقد حضرت لمصر — أن يرد لها الدعوة وإن الدعوة كانت خالية من كل معنى سياسى .

وطلب سموه من كرومر أن يكتب الرد بطريقة يقنع بها وزير الخارجية . فسر اللورد بهذا الطلب لما يشف عنه من تقرب الخديو من الانجليز والعمل على رضائهم . وقد قال لى الخديو إنه ورد في رسالة وزير الخارجية جملة مفادها أن الجناب العالى لاينسى مركز إنجلترا في مصر ، وهو سيكون عما قريب أقوى مما هو الآن ، وأن سموه يبدى شعوراً طيباً نحو إنجلترا ، ولكنه يجب كذلك أن يعلم العالم أن هذا الشعور حقيقى لا ظاهرى .

الاتفاق الودى بين فرنسا وإنجلترا . فى ٨ أبريل من هذا العام وقع حادث سياسى خطير له علاقة وثيقة بمستقبل مصر ، وذلك هو عقد الاتفاق الودى بين فرنسا وإنجلترا .

وكانت السياسة الفرنسية ترى إلى مناوأة السياسة الانجليزية في مصر بعد أن فازت إنجلترا دونها باحتلال وادى النيل ؛ ولكن فرنسا لقيت في ذلك الحين مصاعب جمه في مراکش ، وخشيت أن يؤدي فشل إدارتها إلى تدخل الدول ولا سيما إنجلترا وأسبانيا في مصالح مراکش ؛ ولكن أسبانيا كانت مشغولة بمتاعبها في المنطقة الأسبانية (الريف) ، وكانت إنجلترا هى التي يخشى منها ، ولهذا كان من الواجب أن تحصل

فرنسا على حياد إنجلترا، وكان الثمن الطبيعي لذلك هو أن تحصل إنجلترا على حياد فرنسا في شؤون مصر . وبدأت المفاوضات بين الدولتين على هذا الأساس منذ سنة ١٩٠٣ ، وانتهت بعقد الاتفاق الودي بينهما ، ووقعه اللورد لانسدون وزير خارجية إنجلترا ومسيو كامبون سفير فرنسا في لندرة .

وتنص مواد هذا الاتفاق الخاصة بمصر على حرية الحكومة المصرية في المسائل المالية . وعلى موافقة إنجلترا على اتفاقية قال السويس التي عقدت عام ١٨٨٨ خاصة بحجدة القتال . وقد اتسبب السير الدون جورسبت . نظراً للمسامه بالأحوال المصرية عامة والمالية خاصة ، لوضع ما يختص بمصر في هذا الاتفاق . وهذا هو أهم نص فيه :

« تعترف الحكومة الإنجليزية أنها لا ترغب في تغيير نظام مصر السياسي وتعترف الحكومة الفرنسية من جانبها أنها لا تعرقل أعمال إنجلترا في مصر بسؤالها أن تحدد خوعد الجلاء عن مصر أو بأية طريقة أخرى . » وبعبارة أخرى اعترفت فرنسا بالاحتلال الإنجليزي لمصر وتركت لإنجلترا حرية أكثر مما كان لها قبلاً في الشؤون المصرية . وقد وافقت ألمانيا والنمسا وإيطاليا على هذا الاتفاق .

وفي ٢٨ نوفمبر صدر ديكريتيو يؤيد هذا الاتفاق .

وكان من نتيجته فضلاً عن فشل فرنسا في مسألة فاشودة أن تحقق المصريون أنه لا يمكن الاعتماد على فرنسا في أي أمر يتعلق بالمسألة المصرية .

وكان عند الشاب المصري المملوء وطنية والذي كان يسير وراء الخديو المتحمس لبلاده أمل في مساعدة فرنسا لمصر ضد الاحتلال ولكن عندما وقعت مسألة فاشودة قل هذا الأمل وتوجس من فرنسا حتى إذا ما كان إتمام هذا الاتفاق اقتناكلنا من سباتنا وعلمنا أن لمصر أن تعتمد على نفسها فقط دون مساعدة أي دولة أخرى لأن كل دولة تفضي بكل مصلحة لأي بلد آخر ، ولو كانت على حق . مقابل مصالحها الخاصة .

فصائح فوضى الرتب . لم تكبد تنتهي مسألة مدام آدام حتى عادت مسألة الرتب تثير في الجو سحباً كثيفة .

ولقد تحدثت عن فوضى الرتب فيما تقدم ، وذكرت ما كنت أخشاه من تحرك الإنجليز لمخاصمة الخديو في شأنها . وقد حدث ما توقعت هذا العام ؛ ذلك أن الخديو

ظل يدون في مذكرته أسماء المرغوب في الانعام عليهم ، حتى انتهى شهر مارس ، فأخرج مذكرته وأخذ يعل على عزت بك بعض أسماء من بينها نديم افندى الذى كان موظفاً في ديوان الأشغال وفصل بسبب الاختلاس ، وطلب له الرتبة عبد القادر حلى باشا ، مع أن القرار الذى يقضى بفصله أصدره مجلس النظار وبرئاسة الجناب الخديوى . فلم يفتن الديوان الخديوى إلى ذلك فنشر اسمه في الوقائع الرسمية فثار السير جارستن وكيل الأشغال وأبلغ الأمر لمكرومر الذى كلف بطرس غالى باشا بالغاء الرتبة ؛ وكان الخديوى عندئذ يثق به كثيراً ويشاوره في كل أمر هام ، وبعد البحث تقرر أن تلتفى الرتبة بطريقة خفية ، وذلك بأن يعلن أنه حدث خطأ في الأسماء ، ويعاد نشرها مع حذف اسم نديم ، وقد تم ذلك !

وما كاد يسدل الستار على هذه الفضيحة حتى تلتها أخرى من نوعها تماماً ، تلك أنه أنعم على أشخاص من بينهم ابراهيم افندى لمعى الذى كان موظفاً في « الضربخانه » دار السك ، وفصله وكيل المالية لتدخاله في مسألة المطبعة العثمانية ، فقصده الوكيل إلى كرومر شاكياً ، فطلب اللورد سجل هذا الموظف ، وطلب من دومرتينو باشا أن يتفاهم مع الخديوى فبعث إلى المتزهد بالأمر فأرسل الخديوى برقية بالانتظار مساء ، وبأن يكون بطرس باشا في القبة ؛ ولما اجتمعنا تباحثنا في الأمر ، وتقرر إلغاء بعض الرتب ؛ وعلت أثناء الحديث أن الانجليز يستغربون أن يكون هذا خطأ فقط ، ويشيرون إلى أن في إمكانهم أن يقدموا تقريراً عن الأموال التى دفعها العمد وغيرهم لنيل هذه الرتب على يد الوسطاء ، ولحقوا إلى سحب امتياز إعطاء الرتب إذا تكررت هذه الأخطاء .

وكان من جراء ذلك أن أخذت الصحف المعادية كالمقطم والبروجريه تنشر فصولاً شديدة اللهجة ؛ وكانت فضيحة أكبر من الأولى .

في العائلة الخديوية . منذ ثلاثة أعوام حدث بين البرنس جميل طوسون وقربته البرنيس نعمت الله هاتم افندى شقاق أدى إلى الطلاق فعادت البرنيس من الاستانة إلى مصر ؛ وقدم البرنس في هذا العام إليها بعد أن عرف من وكيله بها أن البرنيس تيميل للرجوع إليه ، ولا سيما بعد أن أخذ ابنه منها بمجرد بلوغه السابعة فبرح بها الألم لفراق نجلها .

وكان البرنس يعتقد أنه بمجرد حضوره إلى مصر مع الصبي ورؤية والدته له ،

فإنها تقبل العودة إليه مباشرة .

وكان الحديدو وقت قدوم البرنس في المنتزه ، فأرسلت دولة الوالدة تحبزه بحضوره والتماسه ؛ وعندئذ استدعاني جنابه حيث وجدت معه عزت باشا وألماس الباشا أغا ، فأمرنا بالتوجه للقاهرة ومقابلة البرنس والمفاوضة معه في هذه المسألة وأن نطلب إليه الموافقة على الشروط الآتية :

- (١) أن تكون العصمة بيد البرنيس .
- (٢) أن تكون دائرتها منفصلة عن دائرته .
- (٣) ألا تقيم معه في أوربا .
- (٤) أن ينشر في الجرائد خبر رجوعه إليها ، لمحو ما كان قد كتبه قدحاً فيها .

ولما عرضنا على البرنس هذه الشروط ، قال إنه يرغب الرجوع إلى البرنيس بدون شرط ، فأفهمنا تعذر ذلك ؛ واقترحنا عليه أن ينتظر ريثما يحضر الحديدو إلى القاهرة فيقابل به ويطلب منه الصفح . وكان قد طلب الزيارة في الاسكندرية فرفض الحديدو لأن البرنس لم يزر سموه في فينا وقت أن كان بها في صيف العام الماضي ، وأخيراً أرسل البرنس إلى الحديدو برفية يطلب فيها الصفح والموافقة على الزواج وتعهد بقبول الشرط الرابع وهو النشر في الصحف ، وأعد ثلاث بريقات لذلك وقد أردنا أن نعترف رأى البرنيس ، ففهمنا أنها ميالة إلى العودة دون الشروط المذكورة ؛ ولكن الحديدو رفض فقط عدل الشرط الأول بأن تكون العصمة في يد سموه ؛ فأبلغنا ذلك للبرنس ؛ وبعد قليل حضر وكيله وقال إنه سيقابل البرنيس شخصياً ، فذهبتا إليها ؛ وسألها عما إذا كانت حقيقة تريد أن تكون العصمة يدها أو يد سمو الحديدو ؛ فأجابته : « نعم أطلب أحد الأمرين » ، وعندئذ قال بلهجة جافة : « إن البرنس جميل برفض » .

وقد كان هذا الرد سيئاً في استيائنا جميعاً ؛ وقالت البرنيس : « ولماذا إذاً كان السؤال ؟ » ، وبذلك انقطعت المفاوضات .

سقط الحديدو على حسن عاصم باشا . غضب الحديدو على حسن عاصم باشا وذلك لاعتقاده أنه غير حريص على المصالح الحديدوية ، وأنه بالعكس يعرقلها ؛ وسبب ذلك أن بيت زرفوداكي في الاسكندرية ، اشترى من الحكومة حديقة وسراي الجزيرة

وجزءاً من الأرض الزراعية التي أمامها على النيل ؛ ثم اتفق أن يستبدل أرض الوقف الواقعة بجوار الكوبرى الأعلى ، بتفتيش الخديو بمشتر ؛ وكان سموه يرغب في هذه الصنفقة من ناحيتين : الأولى بيع تفتيش مشتر والثانية الاشتراك مع زرفودا كنى في الأراضي التي تشتري من الوقف ؛ فطرحت المسألة على مجلس الأوقاف الأعلى وكان حسن عاصم باشا عضواً فيه بصفته رئيساً للديوان الخديوى ؛ وكان بيت زرفودا كنى يقدر أرض الوقف بمبلغ مائة وثلاثين ألف جنيه وتفتيش مشتر بمبلغ مائة وخمسين ألف جنيه ؛ ولكن حسن عاصم والشيخ المفتى طلبا العكس في تقدير ثمنى الوقف والتفتيش وقال المفتى : إن الأنفع للوقف في مثل هذا إنما يعرف بتقدير الثمن لا بالقلّة السنوية فلا بد من تعيين لجنة من أهل الخبرة برئاسة باشمهندس الأوقاف لتقدير ثمنها وثمان أرض مشتر . وقرر المجلس الأعلى أن يدفع زرفودا كنى مبلغ ٢٠ ألف جنيه زيادة حتى يكون ثمن التفتيش مائة وثلاثين ألف جنيه فقط فاغتاض الخديو لذلك ، وزاد في غضبه ما بلغه من دومرتينو باشا من أن كرومر قال إنه يحمد الله على وجود أشخاص ذوى مقدرة ونزاهة في حاشية الخديو مثل حسن عاصم باشا ؛ ومن هذا اليوم أصبح الخديو والمتعلقون في الحاشية يتناولونه بالذم الشديد .

أما عن حسن عاصم في ذلك فهو أن الخديو لم يخبره برغبته حتى يعمل لتحقيقها من جهة ؛ ومن جهة أخرى فإن المحتلين كانوا واقفين بالمرصاد لقرار المجلس ، ولو تم الأمر كعرض زرفودا كنى ، فربما كانوا يطلبون نفضه . وهم يعتقدون في الوقت نفسه أن الخديو يستخدم نفه ذه لمصلحته الخاصة ؛ أما الآن فقد عرفوا نزاهة سموه ونزاهة رجاله ؛ ولكن هذا العذر لم يقبل لدى الخديو .

ومن هذا الوقت أحال الخديو على كل الأعمال والمخابرات التي تجرث بينه وبين النظار وغيرهم .

وما زاد العلاقات توتراً بين عباس وعاصم باشا أنه وردت برقية من الاستانة بالشفرة ، فأمر عاصم باشا بحلها ، وكان ذلك يوم الجمعة ، فبدلاً من أن يذهب بها إلى السراى اكتفى بإرسالها داخل ظرف للخديو ؛ فنضب سموه واستدعاني وهو محتد وقال : « كان عليه أن يرسلها مع أحد الموظفين حتى يتلقى الأوامر إذا كان هو لا يتنازل بالحقور بنفسه . » ثم أمرني أن أتسلم أعمال القلم التركي وأعرضها على سموه ؛ فصرت ألتقي الأوامر بهذا القلم وأنفذها ؛ وأذكر أن سموه قال لي ذات يوم : « سبحان الله

كان حسن باشا عاصم يريد أخذ الأشغال من يدك ، ولكنك قد أخذتها أنت منه ، ولم يبق عنده شيء يذكر . ، وقد علمت أنه ذكر مثل ذلك لآخرين من رجال المعية .
ومع هذا فقد لبثت علاقاتي الودية مع عاصم باشا ؛ ولم أتجنب مقابلته أو الجلوس معه كما فعل كثيرون غيري ؛ وقد سلك احمد خيرى باشا مسلكى معه .

يوسف طلعت باشا ووالده . رفع يوسف طلعت باشا شكاية من والده احمد طلعت باشا رئيس الديوان الحديوى في عهد اسماعيل لأنه يريد حرمانه من الميراث في أمواله ، بالاتحاد مع شقيقه احمد طلعت بك ووكيل الدائرة مختار بك ؛ وذلك بوقف أملاكه غير الموقوفة ، وإخراجه منها وإقامة احمد طلعت بك ناظراً عليها ومن بعده شقيقه له ومن بعدها أولادها من عبد اللطيف باشا ، فكان ثروة بيت طلعت تنتقل إلى بيت عبد اللطيف .



احمد طلعت باشا



يوسف طلعت باشا

ولما علم يوسف باشا اتحاد مع شقيقته الكبرى وعزما على طلب الحجر على والدهما حتى لا يتمكن من وقف أملاكه . ولما علم الحديوى بذلك لم يسترح إلى فكرة الحجر لما فيها من المساس بكرامة هذه الأسرة الكبيرة .

وكلفنى بالمخاطبة مع المحافظ لعمل ما يلزم لحفظ أموال طلعت باشا لابنائه مع

حفظ كرامته كذلك ؛ وأمر عزت بك أن يذهب للقاضي ويرجوه عدم الموافقة على
الوقفية إلا بعد التحقق من وجود الباشا في صحة توأله لعملها ؛ وبدلنا مسمى لدى
أحمد طلعت بك لاستبدال الوكيل ، وهو صاحب فكرة الوقفية . ولكن هذا المسمى
لم يفلح ، وانتهى الأمر بادخال يوسف طلعت باشا بالوقفية بشروط .

سفر الخديو الى أوروبا ثم الاستانة وسفرى مع الحرم . سبق أن سافرت
الوالدة إلى الاستانة ومعا عزت بك ، وقد انتظرنا الأخبار التي يرسلها ليتخذها الخديو
أساساً لحظته سفره ، والقيام بالزيارة إذا كان الجو ملائماً لها .

وفي أوائل يونيو جاءنا منه أنه حادث الباشكاتب في شأن يالى جوقلى ، فأخبره
بأن عقود الملكية تحت يده ، ولا ينقص إلا إذن السلطان بتسليمها ، وأن سبب تأخير
صدور أمر السلطان هو تكدر خاطره من الخديو ، بسبب مسلك الصحف التي تصدر
في مصر نحو جلالته ، ولما بلغه من أن الخديو يقدم في الادارة التركية بالحرمين ،
ويقول بأن هناك صعوبات في سبيل الحجاج ، وكذلك لأجل مسألة سكة حديد مريوط
التي بنى الخديو مدها ويبيعها للانجليز .

فلما وردت هذه الأخبار ، سألتى سموه عن رأيي في مسألة السفر فاستحسن عدم
زيارة الاستانة هذا العام ؛ وعلمت منه أن دولة الحرم تريد قضاء الصيف بالاسكندرية
فأجبت بأن لا مانع من ذلك ، إذا وافق رأى سموه . وظننت بادىء الأمر أنه موافق
على ذلك ، ثم تبين بعدها أنه مصمم على السفر . ولكن جاءت رسالة من عزت بك
يقول فيها إنه يستصوب عدم السفر للاستانة ، وأن الصدر الأعظم أفهمه ذلك وهنا
قال سموه : : كيف أتأخر ، وقد علم النظار بالأمر وكذلك اللورد كرومر ؟ وفي تأخرى
ما يفيد أن العلاقات بينى وبين السلطان ليست مرضية وهذا ما لا أريده بحال . ثم
كلفنى بالتفاهم مع بطرس غالى باشا في حل مناسب دون أن يعلم بذلك أحد غيره ، فقلت
لسموه : : إن الأفضل أن بطرس باشا نفسه لا يعرف فكر سموكم . ، وأيدنى في فكرتى
محمود بك صادق أحد موظفى السراى ، وكان حاضراً ؛ فقال الخديو : : إذا ماذا أضع
وأتم لا تشيرون على بحل ؟ ، ففكرت قليلاً ثم عرضت على سموه أن يقول بأن أخبار
الاستانة تفيد أن جلالة الخليفة دعا أمير البلغار للزيارة ، وقد يتفق وجوده مع وجود
سمو الخديو ، ويؤثره السلطان بحفاوة أكثر ، وهذا ما لا يريده الجناب العالى ، ولذا
عدل عن الزيارة . فاستحسن سموه هذا الحل وكلفنى باخبار رئيس النظار وبطرس باشا

فذهبت إليهما، وسألني الرئيس عما إذا كنا قد أخبرنا بلدز بالعدم على السفر قبل الآن، لأنه لو كان الأمر كذلك فلا يحسن التخلف، فأجبتة بالنفي، فوافق على الفكرة وكذلك بطرس باشا.

سفري مع الحرم : وقد تقرر بعد ذلك أن تسافر دولة الحرم إلى الاستانة، وأن أكون برفقتها، وفي يوم ١٨ يونيو نزلنا إلى المحروسة؛ وبتنا بها وفي الصباح أقلمت بنا بعد تلقي التعليقات من الخديو؛ وخلاصتها أن المحروسة حينما تدخل الاستانة تهدي السير أمام ضوئها بفتحة، ويؤدي البحارة التحية، وإذا حضر أحد من السراي للاستقبال على زورق أو حضر زورق الوالدة، فلا تقف المحروسة بل تستمر في السير حتى جبوقلى خوفاً من أن يلدز ترسل أخيراً بعدم النزول في اليالى والنزول في بيك، وأمرت كذلك بأن أقابل الصدر الأعظم فريد باشا وأبلغه تحيات سموه وشكره على إحساسه نحو.

هدية الخديو للسلطان : وأرسل الخديو معي جمجتين للحيوان المسمى دجاموس البحر، في صندوقين، ومنبراً مطعماً على الطراز العربي، هدية من سموه للسلطان. وقال لي إنه عند سؤال تحسين بك عن السبب في تخلفه أجيبه بأن السبب هو الدسائس الأخيرة التي كثرت ضد سموه.

سفر الخديو لأوروبا، ووصولنا الاستانة : وأما سموه فقد سافر بعدنا بيوم واحد إلى ديفون لأخذ الحمامات.

وقد وصلنا إلى جناق قلعة يوم ٢٢ منه؛ وفي صباح اليوم التالي وصلنا الاستانة ومنها إلى جبوقلى، وحضر القزلر أغاسى والباشمصاحب فأبلغنا دولة الحرم تحية الوصول من قبل السلطان. وبعد قليل خرجت دولتها ونزلت في الزورق رهبر مع الأنجال إلى بيك، للسلام على الوالدة ثم عادت لجبوقلى.

وبعد الغداء توجهت مع عزت بك إلى بلدز لمقابلة تحسين بك فلم يتح لنا ذلك، مع وجوده في غرفته، فنزلنا إلى دائرة المسابين فوجدنا نوري باشا، فرجوته أن يعرض على السلطان لإحلاص الخديو، ثم عدت إلى بيك وأبلغت الوالدة بتقريب الخديو ليديها.

الوالدة والحرم في التياترو الخصوصي : وفي ٢٥ يونيو دعا السلطان الوالدة والحرم، فقابلتا جلالتهم وأمر لهما بدخول التياترو الخصوصي، ولكنه لم يسألها عن الخديو إلا

عزاً ، مما دل على تكدر خاطره بسبب الدسائس ؛ وقد كتبت الحرم بذلك خطاباً إلى عباس .

مقابلي لتحسين بك : وفي ٢٦ منه حررت مذكرة صغيرة ، بعثت بها إلى الباشكاتب وقلت فيها : « إن حضوري للمقابلة كان لمهام رسمية لا لأجراجه بشيء . » ، وذلك لكي أبلغه أولاً - أنتى معين لمرافقة دولة الحرم . ثانياً - لإبلاغ جلالة السلطان تحية الجساب العالى وإخلاصه . وثالثاً - للاتفاق معه على ما يجب إجراؤه في تقديم هدية من الخديو للسلطان .

لجأنى الرد منه بطلب المقابلة ، فقابلته يوم ٢٧ منه فاعتذر بأنه كان مشغولاً ، ثم اتفق معى على إرسال الهدية في عربة إلى سراى بلد ، ففعلت .

سفرى لفيينا : وفي ٨ يوليو دعيت لمقابلة الخديو في فينا ، فسافرت إليها ووصلت في العاشر منه ، فقابلته وحدثته عن الحالة في الاستانة بما تقدم ، وكان سبب استدعائى هو السفر إلى مصر لمعرفة حالة العمل في سكة حديد مريوط والأدوات اللازمة خصوصاً الفلنكات التى كان يعتزم سموه شراؤها من تركيا .

رجوعى للاسكندرية : فسافرت من فيينا إلى باريس ، ثم أبحرت من مرسيليا فوصلت إلى الاسكندرية يوم ١٩ بعد رحلة مكدره فأبلغت تحية الخديو لفخرى باشا نائب القاتمقام ، ولبطرس غالى باشا ومظلوم باشا وعبانى باشا ، وكانوا بالاسكندرية . وقد بقيت بمصر أباشر الاحمال في سكة حديد مريوط ، وشغلتنى عن كل أمر آخر ، فلم أقيد مذكراتى مدى شهر أغسطس ومنتصف سبتمبر .

رجوعى إلى فيينا : وفي ١٧ سبتمبر سافرت من الاسكندرية إلى تريستا ، فوصلتها يوم ٢١ منه وقضيت بها بضع ساعات مع صديقى سوسيك بك أحد موظفى المالية السابقين ، وتجهلت في المدينة . ثم ركبنا القطار إلى فيينا فوصلتها صباح ٢٢ سبتمبر ، وتقابلت مع الخديو في الفندق ، فسألنى عن نتيجة الاحمال الجارية وعن مجرى الشؤون في مصر ، ومن بينها دعوة محمود فهمى باشا إلى الاحتفال يوم ٣١ أغسطس الماضى بعيد جلوس السلطان مع أنه ليس من المقيمين في الاسكندرية ، وعما إذا كان حسن عاصم هو الذى وجه إليه الدعوة لتدخله معه واتفاقه ، فأجبت سموه بأنى أنا الذى دعوته على مسئوليتى ، وعندئذ قال لى سموه إذا كان الأمر كذلك فلا بأس .

وكان سمو الخديو قد كلفني أن أقابل خيرى باشا ، وأكله بشدة في شأن انصائه
بِعاصم باشا ، كما بلغ الخديو ذلك ؛ وأن سموه مستاء لوجود رجال في معيته يصاحبون
من يفضب سموه عليهم .

وقد كانت مأمرى شاقة ، لأن خيرى باشا صديقى ، ولكننى تطلعت في إبلاغة
ملاحظات الخديو ، فطلب منى أن أجتهد لدى سموه في نفي ما علق بنفسه من جهة ،
وأن أذكر لجنابه أنه ليس غيبياً ، حتى يميل لحسن عاصم ، ويترك الخديو صاحب الأيادى
البيضاء عليه .

وقد قمت بتبليغ ذلك للخديو ، ونجحت في تطيب خاطره من ناحية خيرى باشا .
زيارة الخديو للغازى مختار باشا : وفي ٢٣ سبتمبر أرسل الغازى احمد مختار باشا
— وكان وقتئذ في فينا — بطاقة كتب عليها أنه طريح الفراش ، فهو يتأسف لعدم تمكنه
من زيارة سموه .

وعندئذ أوفدنى الخديو إليه للسؤال عنه ، وقال لى : د لانه إذا كان الغازى مريضاً
حقيقة ، فالى أتوجه لزيارته .

وقد ذهبت إلى الغازى ، فوجدته مريضاً طريح الفراش ؛ ولما أخبرت الخديو
بعد رجوعى قام بزيارته ، وأنا بصحبته ؛ وقد تأثر لحالة الغازى وأظهر عطفه عليه ،
فقبل دولته هذا العطف بالشكر .

وقد مكث معه نحو نصف ساعة ، وأخبره بأنه سيصحب معه إلى الإستانة
بطرس خالى باشا ، وكان قد حضر إلى فينا صباح اليوم .

وكان الغرض من إخباره أن يبلغ المايين بذلك أن يكون معلوماً للسلطان أن
بطرس باشا سيكون بمعية الخديو ؛ وكانت هذه هى أول مرة يصحبه فيها للإستانة .

سفر الخديو للإستانة : وكان سموه قد استدهى عرت بك من الإستانة إلى فينا
في أثناء غيابه ، ثم كلفه عند عودته أن يراقب الحالة ، ويفيده عما إذا كان الجو مناسباً
للزيارة . وبعد رجوعه بعث برسالة يقول فيها بأنه لا مانع من الزيارة ، وأنه تفاهم
مع الصدر الأعظم والباشكاتب في ذلك .

وفي يوم ٢٥ سبتمبر ، ركب الخديو قطار العصر إلى بودابست ؛ وأرسل إلى

تصل جنرال الدولة في بودابست برقيه يرجوه أن يبقى في التصلية مساء ، حتى يقوم بالتأشير على جوازات السفر ، ثم أرسلت إليه الجوازات .

رسالة ودية من ملك الانجليز للخديو : وفي أثناء الطريق أخبرني الخديو أنه كان قد كتب رسالة للملك الانجليز ، لجاهه رد رقيق ، وفي ديباجته : « صديق العزيز ، وقال جنابه : « إن هذا شيء يدعو للالفة التي يحمل لها الانجليز . » وكان يلوح عليه السرور وهو يمدني بذلك ، وقال : « إنهم حقيقة يبذلون الجهد في اجتنابنا إليهم . »

الوصول للاستانة : وصلنا إلى الاستانة يوم ٢٧ قبيل الظهر ، وكان على المحطة ابراهيم باشا التشريفاتي والفريق حسنى باشا ، من قبل السلطان ، وعزت بك وقومندان المحروسة وكاوتسكى بك وغيرهم ، فركبنا العربات إلى بلدر ، وكان بانتظارنا في « شاليه كسك » ، الحاج على باشا الباشا بينجى وسعيد باشا رئيس شورى الدولة ، وقد جلس أمام سموه على المائة .

الخديو والمعية في حضرة السلطان : وبعد الغداء طلب الخديو لمقابلة السلطان ، وتمكث عنده ثلاثة أرباع الساعة ، وخرج مسروراً من حسن استقبال جلالاته لسموه وحفاوته به .

ثم طلب السلطان تقديم الحاشية ، فدخل ثانية وقدم بطرس باشا قائلاً إنه من عيد مولانا المخلصين ، فقال السلطان لبطرس باشا : « إننى سمعت بمدحك وعمن من زيارتك للاستانة . » ثم قدمنا أنا واحمد زكى باشا السرتشريفاتي وعزت بك ، فقبلنا الأعتاب .

وبعد ذلك خرجنا إلى بيك ، وقد أمرني الخديو أن أبقى فيه للمبيت مع بطرس باشا ، وعاد هو والمعية إلى جبوقلى ، بعد أن شكر ابراهيم باشا ؛ وقال إن وجوده في استقباله دليل رضا السلطان .

حديث السلطان والخديو في هذه الزيارة : وقد علمت من الجناب العالى أن السلطان تحدث معي في مسألة مقدونيا ، وأن الثوار بها أخذوا يتحركون بتشجيع بلغاريا ، وأن هذه الدولة تستعد خفية للقتال ، فتشترى المدافع السريعة وغيرها ، ولكن الدولة واقفة على حركاتها وتدابيرها ، وتتخذ احتياطاتها لكل الطوارئ . وتشترى السلاح والذخيرة . وقال السلطان أيضاً إنه أوصى على جملة مراكب « طوربيدو » ؛ لأن المراكب الكبيرة لا تنفع في الحرب مثل الخفيفة السريعة ، كما تبين من الحروب الأخيرة .

وتكلم مع سموه أيضاً في مسألة موت السلطان مراد ، ودحض ما قيل من أنه توفي مسموماً ، وأنكر كل ما أذيع عن سوء معاملته له ، وبالاختصار تبرأ من كل ما نسب إليه في ذلك .

وفي صباح ٢٩ منه أرسل السلطان إبراهيم باشا للسؤال عن الخديو ؛ وحدث التزاور كالمعتاد بين سموه والسفراء .

الانعام على كريمي الخديو : وفي ٣٠ منه كانت دولة الحرم مدعوة للسرائى ، وقد ذهبت معها الأميرتان عطية الله هانم وفتحية هانم كريمتا الخديو بنساء على رغبة السلطان ، فأنعم على كل منهما بنيشان شفقت من الدرجة الأولى ؛ ولم يرض الخديو أن يرسل ولى العهد ، لأنه لا يرغب أن يمنح شيئاً وهو صغير لئلا يتوهم أنه أصبح عظيماً ، فيأخذه الغرور .

مأدبة عشاء في بلدز : وفي أول أكتوبر دعى الخديو إلى مأدبة عشاء في بلدز ومعه بطرس غالى باشا واحمد زكى باشا وعزت بك وأنا ، فتوجهنا بالكسايى والتشريفية والنياشين إلى كمنك شاليه ؛ فدخل الخديو لدى الخليفة ؛ ووقف كل منا أمام كرسيه حتى حضر السلطان والخديو ، جلس عن يمين جلالتة والصدر عن يساره ، ودعى رئيس شورى الدولة ومستشار الصدارة والحاج على باشا وعزت باشا ونورى باشا وتحسين بك وفاثق باشا المرانخور وقائمقام بحرى أمريكى الجنس ورجال التشريفات ؛ وكانت الموسيقى تعرف أثناء الطعام وبعده .

وقد لاحظت في هذه المأدبة أن غطاء المائدة والمناشف الفوط ، لم تكن مكنوية ، وبها بعض القذر ، وأن بعض الشوك والملاعق اعترها شيء من الصدأ ؛ وكان الطعام عادياً غير معتنى بأعداده ؛ وعند الخروج قال السلطان للخديو إنه سيدعوه إلى التياترو غداً . وفي ٧ منه سيعمل له استعراض للجيش التركى ؛ ولما كان سموه ينوى السفر يوم ٨ منه فقد تسكدر لذلك واحمر وجهه .

بين بطرس باشا وناظر خارجية الدولة : وتحدث بطرس باشا مع الصدر فريد باشا وناظر الخارجية ، وفي أثناء حديثه مع الأخير ، سأله بطرس باشا عما إذا كان قد زار مصرفقال الناظر ؛ . إننى أمضيت عمري في السفارات الأوروبية ولم أعرف آسيا . ، كأنه يحسب أن مصر فى آسيا ا

مأدبة ثانية في بلدز ومشاهدة التياترو : وفي ٣ أكتوبر دعينا لمأدبة في السراي وبعدها دعينا للتياترو؛ ثم خرج الخديو مجلس مع الصدر؛ وحادثه الصدر في أنه عمل كل مايجب لتصفية العلاقات بين جلالة الخليفة وبين سموه؛ فشكره على حسن مسعاه . ثم حضر ابراهيم باشا وسأل الخديو عما يريد أن ينعم به السلطان على رجال معيته ، لأن ذلك من حق جنابه ؛ فطلب المجيدى المرصع لمصطفى فهمى باشا وبطرس غالى باشا ، والجران كوردون مجيدى لأحمد زكى باشا ولعزت بك ولى ؛ وطلب ثمانين مدالية فضية وعشر مداليات ذهبية لبحارة المحروسة .

فذهب الصدر للخليفة ، ثم عاد فأعلن موافقة جلالته على هذا الطلب ، وصدور أمره بهذه الانعامات .

وشاية ضد الباشكاتب : وفي صباح اليوم التالى توجهت بناء على طلب الباشكاتب فقال لى : ، إن السلطان منكدر جداً لما بلغه من أحد الراشئين أنى لم أقابلكم مقابلة حسنة وأنى رفضت رؤيتكم ؛ فأرسلت لك اليوم لأعاتبك على ذلك . ، فأكدت له أنه لم تصدر منى أية شكوى فى حقه ، وطلبت منه عرض ذلك على السلطان . وبالفعل توجه ، وبعد ساعتين عاد فقال لى : ، إن الخليفة لم يصدقنى فأرجوك أن تسكتب معلوماتك فى هذا الموضوع . وقد فهمت من حديثه أن الذى أتى هذه الوشاية هو حسمى باشا مهنمدار الخديو ، وكنت أعلم أن الخديو ميال إلى تغييره فقلت لتحسين بك : ، ولماذا لم تعينوا بدله فى مهمته . ، فقال : ، لأنه تعرف بالخديو وربما لا يود سموه تغييره . ، فأجبت : ، مادام قد تحقق لكم كذبه فلا داعى لوجوده حتى تنقطع الدسائس . ،

وكتبت مذكرة قصيرة تلخص فى : ، أنى لما حضرت للاستانة فى معية الحرم الخديوى لم أحضر عند الباشكاتب إلا مرتين : الأولى ، كان دولته فيها مشغولاً فلم أتمكن من لقائه . وفى الثانية قابلنى بلطف وإثنى أعترف بأنى لم أجد من دولته إلا كل معاملة حسنة . ،

وقد ترجم هذه المذكرة بالتركية وأبدى لى سروره وإرتياحه ، وتوجه للعرض على السلطان وبعث لى بأن لا داعى للانتظار .

ثم أخذت النياشين والمداليات وذهبت بعد أن أعطيت — كالأمر — الخلدنم الذين حملوها مكافأة ، وعدت إلى الخديو لخدمته بما جرى فاستغرب هو وبطرس باشا من أن الباشكاتب مع مكانته السامية فى المابين يحتاج لمثل هذه الشهادة لدى الخليفة .

مأدبة الوداع وهدية السلطان للخديو: وفي اليوم الخامس من أكتوبر ذهبنا إلى بلد الوداع وحضرنا مأدبة للعداء، وقد أهدى السلطان للخديو أزرارا للقمص من البرلنت وأهدى إلى بطرس باشا علبة سجائر من الذهب نقش عليها بالبرلنت الحرفان د. ح. ، بشكل زخرفي رمزاً لاسم عبد الحميد، لظهر بالدعاء لجلالته. وتحدث الخديو مع السلطان في مسألة دير الأقباط بالقدس وهي مسألة تهم بطرس باشا، ولما خرج أخبره بذلك، وبأن الخليفة وعده بأنه سيكون دائماً مع الأقباط فشكر لجلالته ذلك العطيف. العودة إلى مصر: وبعد ذلك رجعنا إلى جبوتلى ثم ركبنا المحروسة عائدين إلى مصر فوصلنا الاسكندرية في صباح ٨ أكتوبر.

وقد كان في الاستقبال لخرى باشا وعباني باشا و ابراهيم فواد باشا والمحافظ محمود صدقي باشا.

علاقات الخديو مع انجليز. أسرعت المحروسسة في السير بين رودس والاسكندرية بناء على نصيح بطرس باشا للخديو، وذلك بقصد الوصول الى مصر قبل مصطفى فهمي باشا - وكان عندئذ في طريق العودة من أوروبا الى مصر - حتى يستطيع بطرس باشا أن يقابل اللورد كرومر قبل رئيس النظار، لأنه كما قال بالنص يريد أن يوضبه حسب المرغوب، ولما حضره مصطفى فهمي باشا يوم ١٠ أكتوبر قابل الخديو فابلقه لإنعام السلطان عليه بالمجدي المرصع، ثم أخبره بأنه، أى سموه، غاضب على مصطفى كامل باشا لطعنه الجارح على الحكومة، وزاد بأنه لا يزال يذكر الحفاوة التي لقيها في لندره، وأنه سيذورها كل عام. فخرج وهو مسرور بمحديث الخديو.

وكان ذلك كله بقصد أن يبلغ رئيس النظار هذا الكلام إلى اللورد عندما يقابله؛ وفي ١١ أكتوبر عاد بطرس باشا من القاهرة وقص علينا نبأ مقابله للورد، وأنه حكى له ما حدث في الاستانة أثناء زيارة الخديو، والاستقبال الفخيم الذي لقيه والانعام عليه هو ورئيس النظار وهدية السلطان له قال: «كنت أتوقع أن يغضب اللورد لذلك. ولكنني على العكس وجدت منه ارتياحاً للحديث». ثم قال: «إن مصطفى فهمي باشا أبلغ اللورد حديث الخديو فسر منه. وبالأخص لما علم من سخفه على مصطفى كامل؛ ولكن قال له اللورد إنه علم أن الخديو لا يعود للقاهرة إلا في منتصف نوفمبر، وربما أول الناس ذلك بأن سموه لا يرغب حضور استعراض الجيش الانجليزي يوم ٩ نوفمبر لمناسبة عيد ميلاد الملك». وبعد المباحثة في هذا الموضوع تقرر أن يرجع الخديو قبل الاستعراض،

وأن يطل من شرفة عابدين كما كان يفعل والده .

بين الحديوي وكرومر : وفي ١٢ منه جاءت برقية من اللورد كرومر يطلب موعداً للمقابلة ، فعرضت على سموه أن يدعو للعداء يوم حضوره فوافق ، وبذلك كتب له زكي باشا برقية بأنه مخير في الحضور يوم ١٥ أكتوبر أو يوم ١٧ منه ، وأنه يدعو للعداء مع الجناب العالي لجاه منه الرد بالشكر والقبول وأنه سيحضر يوم ١٧ منه على أن يعود في نفس اليوم .

وفي اليوم المذكور حضر اللورد وكنت في الانتظار مع زكي باشا في محطة سيدى جابر ، وحضر مستر جولدفنصل انجلترا بالاسكندرية ؛ وقد ركب اللورد معنا في القطار الحديوي الخاص بعد أن قدمنى زكي باشا له ولبثنا نتحدث حتى وصلنا المنزه ، وكان الحديوي بالسلامك عند وصولنا فصاح اللورد باشاً . وبعد الاستراحة تناولنا طعام العشاء ثم اختلنا مدة ساعة ؛ وعلينا أن الحديث دار فيها حول زيارة الحديوي للاستانة والحفاوة التي لقيها ؛ وبعد ذلك ركبا حربة وطافا ببعض جهات المنزه وبعض أراضي التنشيش ؛ وقد سر اللورد من هذه الرياضة ، وقال : الآن علمت لماذا يجب الحديوي الإقامة في الاسكندرية .

وأخيراً استأذن شاكرآ وودعه في المحطة دومرتينو باشا .

مسألة استعراض الجيش الانجليزى : وفي ٢ نوفمبر تقابلت مع بطرس باشا الحداثى في مسألة حضور الحديوي للاستعراض وأخبرنى بأن اللورد اتفق مع قومندان الجيش الانجليزى على أن يحضر سموه في ساحة عابدين يوم ٩ نوفمبر عيد الملك ، ويستعرض الجيش أمامه ثم ينزل من عربته ويقف بجوار العلم الانجليزى ؛ وعندما تنتهى الحفلة الرسمية يركب الحديوي جواده ويمر على الجنود فتحيه بالسلام الحديوي . ثم يعود إلى جوار اللورد كرومر تحت العلم وتستعرض الجنود أمامه مرة أخرى وأخيراً تتقدم الجنود صفاً واحداً وتعزف السلام الملكي ثم السلام الحديوي .

وقد سألته : ولكن الحديوي بناء على ذلك سيقف تحت العلم الانجليزى وهو مالا تخفى دلالاته . فجزكتفيه وسكت .

ولما أخبرت الحديوي بهذا الترتيب فكر برهة ثم قال بدون إرتياح : طيب النزول من السراى والوقوف بجانب العلم أخف من دفع العلم على عابدين . فقلت لسموه : إن بطرس باشا لما يعلمه من عدم استحسان سموكم الوقوف في الشرفة لانه

لامعنى له رأى أن الترتيب الأخير أفضل وربما أنه هو الذى أوعز به . فقال : « ولكنى عندما أقابله سأقول له إنه هو الذى خسر المسألة » .

ولكن جنابه عاد فى ٣ نوفمبر فقال لى إنه بعد التروى رأى أن عمله سيكون موضع انتقاد من الشعب إذ سيقول عنه إنه صار انجليزياً ، ولا سيما بعد سوء التفاهم بينه وبين مصطفى كامل باشا ، وطلب منى أن أطلب بطرس باشا لمقابله عند حضوره للاسكندرية .

وفى ٦ منه حضر بطرس باشا ، فقابلته على المحطة ، وفى الطريق حدثته عن أفكار الخديو ، فقال إنه لم يكن ينتظر أن يهتم الانجليز إلى هذا الحد بمسألة وجود الخديو فى الاستعراض ، لأن اللورد أخبره أنه أستأذن جلالة الملك فى أن يأخذ الضباط السلام للجناح الخديوى فأذن ؛ ثم قال : « ومع ذلك فإذا أراد سموه الوقوف فى الشرفة فقط فلا مانع ؛ ولكن كروم لا يستحسن ذلك بعد ما تقرر . » ثم فكر برهة وقال : « وهذا هو الذى كان يريد مصطفى فهمى باشا منذ أعوام فلم يحصل عليه ؛ وما دامت المسألة قد وصلت إلى هذا الحد فلنعمل ذلك اليوم مختارين قبل أن نعمله غداً مرغحين ؛ وإذا أراد الخديو فى المستقبل أن يغير خطته فلا مانع عند اللزوم . »

واختلى بطرس باشا بالخديو نحو ساعة وبعد خروجه سأله عما تم فقال لى : « لقد استحسن الخديو كل شئ . »

وعدنا إلى القاهرة يوم ٨ منه وفى يوم ٩ حصل الاستعراض فى الساعة التاسعة والنصف صباحاً فى ميدان عابدين على التفصيل المتقدم .

وكان هذا أول حادث من نوعه فى عهد الخديو عباس حلى .

تدخل الانجليز فى مسألة أمير الحج : وكان سموه قد كلفنى بمقابلة بطرس غالى باشا ليتحدث مع كرومرفى أن جنابه يرغب فى تعيين محمود حسنى بك — وهو بالمعاش — أميراً للحج هذا العام ، وأنه تكلم مع السردار فى ذلك فوافق . ولما قابلت بطرس باشا علمت منه أن اللورد يرغب أن يكون أمير الحج عارفاً باللغة التركية ليستطيع التفاهم مع السلطات فى الحجاز اتقاءً للشاكل ، وطلب منى أن أقابل محمود بك حسنى لأعلم ما إذا كان يعرف التركية ، وعما إذا كان أصله تركياً فقابلته وعلبت منه أن معرفته بها قليلة وأن أصله من الأكراد .

فأخبرت بطرس باشا بذلك فسألني عما إذا كنت أعرف رجلا مستكلا هذه الشروط فذكرت اسم محمود فهى باشا فوافق عليه وأردفه باسم محمود شكرى باشا ، وبعد ذلك عرضت على الخديوى ما حصل فوافق على أن يكون محمود فهى باشا مع محمود حسنى بك وقد ذهبت لاخبار الباشا بذلك فقبل شاكرآ ، وتم تعيينهما الاول أميناً للصرة والثانى أميراً للحج .

تركيا والحدود الغربية . وبعد ذلك أرسلنى الخديوى إلى بطرس باشا لاخبره أنه بينما كان سموه فى سيدى عبد الرحمن القرية من مرسى مطروح ، حضر عنده المأمور وأخبره أن الأتراك بنوا فى السلم التابعة لمصر مخزين للدون بحجة أنه يصعب عليهم أن يصعدوا بها على الجبل المشرف على الميناء حيث تقع النقطة التركية ، وأن مأمور العشور التركى نزل فى الأراضى المصرية على بعد يوم ونصف من هذا الجبل الذى يعتبر حداً فاصلاً بين مصر وطرابلس ووجى العشور من العربان مع أنهم فى أرض مصرية . وأمرنى سموه أن أعطى مذكرة بذلك لبطرس باشا ليخبر اللورد كرومر فيها . وأن رأى سموه أن ترسل مراكب تابعة لخفر السواحل لاحتلال بناء السلم ، وأن يبنه على سفن خفر السواحل بزيادة المروء على الميناء المذكورة ، وأن تقام نقطة مصرية على مسافة يومين من مرسى مطروح تتألف من ملازم ثان وستة عساكر قبل أن يضع الأتراك يدهم على هذه الأراضى ، لأنهم يعتبرون أن الحدود هى فى أم الرخم التى لا تبعد عن مرسى مطروح بأكثر من ثلاث ساعات بالهجين ، فمن اللازم الإسراع بعمل الاحتياطات لحفظ حقوق مصر ، ولو أخذت الدولة السلم لخسرت مصر ميناء حربية هامة ، هذا فضلا عن أنها أقرب طريق إلى واحة سيوه .

واقترح سموه إرسال هنتر باشا مدير عموم خفر السواحل والقائمقام دومريكر لعمل مشروع للحدود ، يرسل لسكرومر بعد الاتفاق عليه . وقد تقابل بطرس باشا مع اللورد وحدته فى ذلك فشكر الجناب الخديوى ، ووافق على ذلك .

ثم أبلغنى بطرس باشا أن الحكومة المصرية احتجت لدى تركيا على هذا الاعتداء ، وأن كرومر أوعز إلى سفير إنجلترا فى الاستانة بالاحتجاج لأن الضابط العثمانى قال للندويين المصريين إنه حصل ذلك بناء على أوامر الدولة غير أن مصر احتلت أرضها .

قطع العلاقات بين مصطفى لأمل وعباسي . كانت أسباب الخلاف تشدد بين الخديوي ومصطفى كامل شيئاً فشيئاً (١) . ولما تارت قضية زواج صاحب المؤيد ، وعمل الخديوي لتأييده من وراء الستار ، زاد نفور مصطفى كامل من خطة الخديوي . فلما سافر سموه إلى ديفون هذا العام زاره هنالك مصطفى كامل ، وصارحه برأيه في مضار هذه الخطة ، وبين له أن الرأي العام لا يعطف على الشيخ ، ثم حدثه في أمور أخرى من هذا القبيل وكان حديثه للخديوي بلهجة شديدة ، فغضب الخديوي وغضب مصطفى كامل أيضاً . فلما عاد الثاني إلى مصر ، اعترم قطع العلاقات بينه وبين الخديوي فأرسل لي الخطاب التالي لتسليمه للخديوي (٢)

د مولاي . تشرفت في ديفون بالثول بين يدي سموكم يوم ٢٧ أغسطس الماضي ورفعت إلى مقامكم السامى أن الحالة السياسية الحاضرة تقضى على بأن أكون بعيداً عن نظامكم وأن أتحمل وحدي مسؤولية الخطة التي اتبعتها نحو الاحتلال والمحتلين منعاً لتكدير خاطركم الشريف ودفعا لما عساه يقع من الخلاف والنزاع وقد رأيت يامولاي بعد التفكير أنه صار من المحتم على القيام بهذا الواجب وأنه أول عمل يلزمي تأديته عقب عودتي إلى الوطن العزيز لأن الانجليز أظهروا في خلال السنوات الأخيرة من التضييق على جنابكم العالى ما يجعل وجود رجل ينتقد سياستهم في الصباح والمساء بجانب سموكم داعياً لااعتدائهم على حقوق ذاتكم السنية وحجة لتداخل جديد غير محمود .

وإني ، بعد أن رأيت احتجاجهم على جنابكم الرفيع بمناسبة المقابلة التي تفضلت جلالة ملكة البرتغال بمنحى إياها ، ومعارضتهم للعنف لفضامتك بسبب الاستقبال الودى الذى نالته مدام جوليت آدم من لدنكم ، وتصريحهم بأن إنجلترا لا تسمح لجنابكم العالى باكرام من يعادياها ، وادعائهم بأن كل ما يكتب أو يقال ضدكم موعر به من سموكم ، أعد نفسى مقصراً تقصيراً حقيقياً في تأدية الواجب نحو مقامكم الرفيع إذا بقيت صلتى بسموكم على حالها وفضيلة نعمة التقرب منكم على القيام بواجب تدعو اليه الوطنية والسياسة .

وإني أرجو أن يعتقد مولاي ، حفظه الله ، أنى لم أقصد إلا محض خدمته بما قلته لسموه بشأن أولئك المفسدين الذين يلتصقون بالمعية ويضرون بها أكثر من أعدائها

(١) الفر صفحة ٣٤٧

(٢) وقد دامت الحاصل على ذلك حتى حركات سنة ١٩٠٦ حيث وقعت حادثة دفواي فرجت

الصلوات بينهما بوساطتى .

الظاهرين ويدخلون اسمكم الكريم في كل حادث غير حاسبين للرأى العام حسابا غير ذاكرين أن عرش الخندوية هو البقية العريضة لاستقلال البلاد وأنه يجب أن يكون على الدوام محاطا بالاحترام التام والالجال التام ليقاوم القوتين المحاربتين له ألا وهما الاحتلال والزمان .

وإنه يحلولى أن أبقى إلى آخر لحظة من حياتى خادما لتلك المبادئ الوطنية العالية التى كنتم سموكم أول الداعين اليها والمنادين بها وأن تزداد كل يوم اتساعا الهوة التى بينى وبين الذين ادعوا خدمة الوطن ليخدموا مصالحهم ثم انقلبوا عليه بلا خجل ولا حياء . وإنى أشرف يامولاي بأن أرفع إلى سدتكم العلية واجبات الشكران على جليل التفاتكم وسامى رعايتكم وأقدم إلى المقام الرفيع أسمى ما يأتى من التجلة والاعظام .

مصطفى كامل

مصر فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٠٤

فضيلة زواج صاحب المؤبر . كان من أهم حوادث هذا العام قضية زواج

صاحب المؤبر . فى آخر ربيع الثانى سنة ١٣٢٢ عقد السيدة صفية السادات على الشيخ على يوسف بسرأى الخرنفش بمنزل السيد محمد توفيق البكرى وتولى الوكالة عن الزوجة الشيخ حسن السقا ؛ فلما علم والدها السيد عبد الخالق السادات بذلك ، رفع دعوى بالتفرقة بين كريمته والشيخ على يوسف بعدم أهليته لها ؛ وتحدد لذلك جلسة ٢٥ يوليو بمحكمة مصر الشرعية . ورأس الجلسة فضيلة الشيخ احمد أبى خطوة وحضر عن الشيخ على يوسف ، حسن بك ضبرى الحامى ، وعن زوجته ، الشيخ محمد عز العرب بك ؛ وحضر عن السيد عبد الخالق السادات ، الشيخ عثمان الفندى .



السيد عبد الخالق السادات

وفى هذه الجلسة قضت المحكمة بالحيلولة بين الزوجين فأحتجت السيدة صفية على ذلك بعريضة أرسلتها لقاضى قضاء

مصر ، وأرسلت صورة منها إلى ناظر الحفانية وفيها تقول : « إنها لا يمكن أن تقبل

تنفيذ حكم الحيلولة بلوغها سن الرشد ، ولأنها تزوجت من الشيخ على باختيارها وكفائها ،
وفي ٢٧ يوليو صدر قرار المحكمة بوقف السير في الدعوى حتى ينفذ أمر الحيلولة
السابق صدوره .

وتوجهت السيدة صفية إلى منزل الشيخ الرافعي ؛ وفي الوقت نفسه طلب الشيخ
على منه أن يتوسط لدى زوجته بالعودة إلى منزل والدها ؛ ولكنها أبت ذلك رغم
معارضه الشيخ الرافعي من أنه سيتوجه معها بمرافقة شيخ الأزهر والمفتي والشيخ حسونة
النواوي ليضمنوا لها الراحة عند والدها .

فلم ترض بذلك قائلة إن والدها بعد أن قبل مكثها عند الشيخ الرافعي أشاع أنه
لم يوافق على ذلك .

وفي ٢٨ منه اجتمع وكيل الحفائفة وعثمان بك مرتضى والشيخ محمد بختي والشيخ
احمد أبو خطوة وقرروا تعديل قرار الحيلولة من ضرورة إرسالها عند والدها إلى
إبقائها مع الحيلولة عند رجل مؤتمن ؛ وحيث إن الشيخ الرافعي الذي هي عنده رجل
مأمون ؛ لهذا لم يروا مانعاً من بقائها طرفه . وبهذا حل الاشكال .

وكان يوم أول أغسطس محمداً للسير في الدعوى فعددت الجلسة برئاسة الشيخ
احمد أبي خطوة ؛ وترافع الخصوم وكان النزاع قائماً في هذه الجلسة على كفاءة المتداعين
حتى يكون الزواج صحيحاً ، أو عدم كفاءة الشيخ على يوسف حتى يكون فاسداً ، وقررت
المحكمة تكليف كل من المدعي والشيخ المدعي عليه ، أن يثبتا بالطريق الشرعي ما يدعيانه
فقرر وكيل المدعي عليه أن اسم موكله مقيد بدفاتر الاستحقاق في أوقاف نقابة الأشراف
في سنة ١٨٩٧ ، ثم تأجلت الجلسة بعد ذلك إلى ٦ أغسطس ، لسؤال السيد على البيلاوي
عن أساس قيد الشيخ على يوسف بدفاتر الأشراف .

وفي جلسة ٨ أغسطس حضر نقيب الأشراف بسوهاج ، وقرر أن الشيخ على يوسف
شريف علويّ ينتهي نسبه إلى سيدنا ومولانا أبي عبد الله الحسين ، وقال إنه عرف ذلك
البيت من الشهرة العامة .

وأخيراً تقرر تأجيل الجلسة إلى ١١ أغسطس للتأمل وتقرير ما يرى ، وفي هذه
الأيام ردد كثير من الصحف بأن الشيخ على يوسف والشيخ الرافعي لا ينفذان قرار
الحيلولة وأن الشيخ على يتوجه في ساعة متأخرة من الليل لمنزل الشيخ الرافعي ويخرج
منه في الصباح المبكر ، وأن الملابس تؤخذ يومياً من منزل الشيخ الرافعي ويستحضر

بدلها من منزل الشيخ على ؛ وقد كتب وكيل السيد السادات خطاباً بهذا المعنى للشيخ الرافى ، فاعتناظ الشيخ لذلك وثار ، وبلغ السيدة صفية ذلك فأنثرت وعولت على الخروج ؛ فكتب الشيخ إلى قاضى مصر الكتاب الآتى : « همت السيدة صفية بالخروج من المنزل فدافعتها ، ولكنها مصممة على الخروج متى تمكنت من ذلك ؛ وبما أنه لا يمكننى إقامة الحيلولة فأطلب من سباحة القاضى أخذها من منزلى . »

وفى جلسة ١١ منه صدر الحكم بىطلان عقد الزواج لأسباب ذكرت فى حيثيات الحكم ، أهمها قيمة نسب الشيخ على يوسف ، والفارق بينه وبين السيد عبد الخالق السادات من حيث المنزلة .

ولما كان السيد عبد الخالق السادات يركن فى هذه المسألة إلى الشيخ راضى الكبير توصل الشيخ على يوسف إلى استرضاء الأخير حتى أقنع الأول بقبول العقد ثانية للشيخ على يوسف على السيدة صفية السادات وقد تم ذلك .

قاضى مصر التركى وديوانه الأوقاف . كان قد وقع خلاف بين قاضى مصر التركى وديوان الأوقاف لأنه قرر فى جلسة المجلس الأعلى محاسبة نظار الأوقاف فرأت المحكمة الشرعية أن ذلك من حقها فكتب القاضى إعلاناً فى الوقائع الرسمية بأن نظار الأوقاف الخيرية والأهلية عليهم أن يقدموا الحساب فى آخر العام المهجرى لقاضى افندى فتدخلت الحكومة وكرومر فى المسألة خشية أن يعتبر القاضى حكومة داخل حكومة ، ولأنه ادعى أن له الولاية العامة الشرعية فى مصر ؛ وأرسل الخديو عزت بك إلى القاضى فأقنعه بسحب إعلانة ، ووعده بأن ينظر سموه فى الأمر ويسويه على ما يرضيه ، فقبل وكتب إعلاناً آخر يسحب به إعلانة الأول فى ٢١ نوفمبر .

وفى هذه الأثناء أراد القاضى أن يقدم استقالته ، وكان فى عزم الحكومة والورد كرومر قبولها واتهاز هذه الفرصة لتغيير التقليد المتبع ، وتعيين قاضى مصرى بدله ، وخوطف الخديو فى ذلك فقال إنه يرشح الشيخ حسونة النووى . فقيل له إن الشيخ عبد القادر الرافى أهل لهذا المنصب فقال سموه نعم ولكن بعد الشيخ حسونة . ولما رأى القاضى هذا الجو لم يقدم استقالته واكتفى بسحب إعلانة .

وقد أوقعت الحكومة مسئولية هذا العمل على الشيخ محمد بحيث . لأنه عاون القاضى فى إعلانة الأول ، فاتفق الرأى على فصله ، وأقنع بطرس اللورد بذلك فوافق

عليه ؟ وكان في هذا إرضاء للخديو وقد كان يستخط على الشيخ بحيث لأنه كان المحرك لمسألة الشيخ على يوسف وزواجه بينت السادات بحجة أنه ليس أهلاً لها رغم علمه بأنه من رجال الخديو .

تعييني رئيساً للديوانين العربي والافرنجى . في ٢٧ ديسمبر حضر إلى زكي باشا وأخبرني أن الخديو عازم على إحالة حسن عاصم باشا إلى المعاش في هذا اليوم ، وأنه يأمرني مع عزت بك أن نبحث عما إذا كان من المعتاد في مثل هذه الحالة أن يصدر أمر عال أو لا .

وقد اتضح لي أنه لا بد من الأمر فأخبرت زكي باشا بذلك وعرضه على الخديو ؛ وبعد الافطار بسراى القبة - وكنا في رمضان وكان عاصم باشا ضمن الموجودين - أحضر الخديو حزمة بك رئيس القلم العربي وأعطاه الأمر بالإحالة وكان من إملاء بطرس باشا وأرسل لحسن عاصم باشا بعد عودته لمنزله ، وهو مختصر وجاف وفيه يقول الخديو ما ملخصه : « اقتضت إرادتنا إحالة سعادتكم على المعاش ولذا لزم إخطاركم بذلك ، وكان هذا نتيجة لما كان منه في نفس الخديو منذ مسألة تفتيش مشتمر وما ترتب عليها . وهذه المناسبة أذكر أن عباساً عندما كان يأمر بفصل أحد الموظفين اعتاد أن يقول لرئيس القلم العربي : « طرطره » .

وقد دافعت جريدتنا اللواء والأهرام دفاعاً شديداً عن حسن عاصم باشا وعرضتنا بالخديو في مطامعه المالية التي هي سبب غضبه عليه .

وظل منصب عاصم باشا خالياً حتى يوم ٣١ ديسمبر ، حيث حضر إلى زكي باشا وأخبرني أن الخديو - بعد محادثات بينه وبين بطرس باشا - عزم على إسناد منصب رئيس الديوانين العربي والافرنجى إلى وأن يعطى لعزت بك منصب رئيس الديوان التركي .

ولم يسارع الخديو سراى عابدين في هذا اليوم حتى وقع الأمر بتعييني وتعيين عزت بك رئيساً للديوان التركي . وهذا نص الأمر الذي صدر بتعييني : « سعادتو أحمد شفيق بك - بناء على ما نعهد فيكم من الصداقة وحسن الإدارة والدراية . اقتضت إرادتنا تعيينكم رئيساً للديوانين الأفرنجي والعربي ابتداء من أول يناير سنة ١٩٠٥ وأصدرنا أمراً هذا لتباشروا أعمال وظيفتكم بأهنية والنشاط . »

الخدوي وأصحاب المقطم . الرسائس في الؤزهر أيضا . السيرارنت فأسل
في مصر . شركة للزبرجد والنحاس . لجنة الاختلافات الخديوية . غادة تعمل
على استمالة عباس . رحلة الخديو لهولستان وأوربا . وفاة الشيخ محمد عبده .
الخدوي وعسن عاصم باشا . بعد العودة . قاضي مصر وطلب السفر لهولستان .
منصب القبول كخبراً . تعيين مفتي جديد .

الخدوي وأصحاب المقطم . في ٢١ يناير جاءني الدكتور فارس نمر أحد أصحاب
المقطم ثم قال لي مصطفى فهمي باشا ، وطلب مني كلاهما أن أرسل إلى المطبعة الأميرية
بألا تنشر إنعام الخديو على فارس نمر برتبة المتمايز . وقد صرحا لي بأن الغرض هو
بقاء أصحاب المقطم أحراراً غير مقيدين بجهة معينة ، وربما كانت السبب الحقيقي هو
استصدار شأن هذه الرتبة . وبناء على ذلك أرسلت إلى المطبعة بعدم ذكر اسمه في
كشف اليوم .

وفي ٢٣ منه تحدث مصطفى فهمي باشا مع الخديو بشأن هذه المسألة ، فغضب
سموه ؛ وعندما قابلته مساء في قصر القبة وجدته متبيحاً لذلك ، لأنه فهم من حديث
مصطفى فهمي أن المعية هي التي تسمى إلى استمالة أصحاب المقطم بالرتب ، وأن فارس نمر
لا يقبل أية رتبة كانت .

ثم قال لي : وهذا نتيجة تسرعك يا شفيق ! ، فدافعت عن نفسي بأن فكرة
استمالة أصحاب المقطم لم تكن فكرتي ، وأني لم أعمل شيئاً لتنفيذها . ثم تقرر أن يتحدث
أحمد شوقي أفندي مع فارس نمر في هذا الخصوص ، على أن يتوسط مصطفى فهمي باشا

في إزالة ما وقع في نفس الحديدو من سيمه الاثر ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وكان ألم الحديدو لذلك عظيماً .

السير ارنست طاسل في مصر . في ٢١ مارس أقام عباس مادبة بسراى القبة للسير ارنست كاسل . وكان قد حضر إلى مصر مع شقيقته ؛ وفي أثناء الحفلة لفت نظرها حجر جميل من الزبرجد في رباط رقبتي فأبدت استحسانها له ؛ وفي القد أرسلته لها مع رسالة صغيرة قلت فيها : « أرجو ألا ترفضى قبول هذه الهدية الصغيرة التي أسعدنى الحظ بتقديما إليك إذ رأيت أنها وقمت من نفسك وقعاً حسناً ، وأنا موثق أنها متى كانت على صدرك صار لها من الرويق ما ليس لها في رباط عنق ؛ وقد تركت لك صياغة هذا الحجر ، على أمل أن تختارى له الصياغة التي تلائم ذوقك ، وإني أنتهر هذه الفرصة لأعرب لك أيتها السيدة العزيزة عن أسى شعائر إخلاصى واحترامى . »

لجأنى منها في اليوم التالى رد رقيق نصه : « سيدى العزيز — لا أدرى في الحقيقة كيف أعبر لك عن شكرى على ما أظهرته لى من العطف والمودة . وفي الواقع أنك ذهبت في تكريمى وبجاملتى الى أبعد مدى في إهدائك هذا الحجر الجميل الى ، ولقد أحججتنى بجاملتك هذه ، وخيل الى أن إشارتى اليه هي التي أوحى إليك أن ترسله الى وهذا ما زاد في خجلى ؛ على أنى أؤكد لك أن هذا العطف من جانبك وقع من نفسى أحسن موقع ، وسأحفظ هذا الحجر الجميل تذكيراً للجاملة التي رأيتها من الذى أهدها لى ، فشكراً لك ألف مرة وا قبل أزكى تحياتى . »

المراسلئ فى الأزهر أيضا . ذكرت ما وصلت اليه الدساتئ فى الأزهر فى العام الماضى ، ثم تلت ذلك فترة ساد فيها النظام فى الأزهر ولكنها ما لبثت حتى قامت حركة جديدة من المدرسين ، وشكوى من قانون الأزهر وشيخه وقعها المتطلبون ؛ وكان القائمون بهذا الشعب يدخلون فى روع الآخرين أن هذه الشكوى كرهبة الحديدو؛ وفى هذه الأثناء ثارت مسألة زواج الشيخ على يوسف من كريمة السيد عبد الخالق السادات كما أسلفت ، وكان الشيخ على يوسف يدعى أن المفتى هو الذى يمرض السيد السادات ، فأراد الحديدو أن يلتهم من المفتى بتغيير مجلس الإدارة ، وإخراج الشيخين محمد عبده وعبد الكريم سلهان ، فلم يرق ذلك فى عين شيخ الأزهر السيد على الببلاوى ، ففكر فى تقديم استقالته ، إلا أنه قبل رجائى ورجاء المفتى فى البقاء فى منصبه ، ولكنه

علم أخيراً بأن الشيخ سليم البشرى والشيخ المنصوري وصلوا إلى الحصول على مرئى فى الأوقاف العمومية دون علمه ؛ فعزم على الاستقالة لما كان يعرفه من أن هذين الشيخين هما روح الشغب فى الأزهر ؛ وحضر لى السراى فى يوم ١٥ مارس ، وقدم استقالته لى بصفتى رئيس الديوانين العربى والأفرنجى ، فقبلت وأرسلت إليه خطاب قبولها مشفوعاً بالشكر الرقيق .

وفى ٢١ مارس استقال الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكرىم سلمان من عضوية مجلس الأزهر وخلف السيد البىلاوى فى مشيخة الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربىنى فى ١٩ منه . وقد خلع عليه الخديو الخلمة المعتادة فى حفلة بسراى عابدين حضرها كثير من العلماء وذلك فى ٢٤ مارس ، وبهذه المناسبة ألقى الخديو كلمة قال فيها : إن الجامع الأزهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية تنشر علوم الدين الخنيف فى مصر وجميع الأقطار الاسلامية ؛ وأول شىء أطلبه أنا وحكومتى أن يكون الهدوء سائداً فى الأزهر الشريف ، والشغب بعيداً عنه ، فلا يشتغل علماءه وطلبته إلا بتلقى الصلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف العقائد وشغب الأفكار ، لأنه هو مدرسة دينية قبل كل شىء . ثم قال : وقد قبلت استقالة الشيخ البىلاوى لائقى منذ اثنتى عشرة سنة أسبر على قاعدة قبول استقالة كل من يقدم لى استقالته . وقد أسندت وظيفة مشيخة الأزهر للأستاذ الشيخ الشربىنى المعترف له من جميع الطبقات ؛ أزهريين وغيرهم ؛ بالعلم والتقوى والصلاح ، وأطلب منكم أيها العلماء أن تكونوا بعيدين دائماً عن الشغب وأن تحشوا إخوانكم والطلبة على ذلك . وهكذا فشلت الخطوة الأولى لاصلاح الأزهر .

شركة لمزبرجهر والنحاس . فى ١٤ فبراير عقد بناء على الأمر الخديوى اتفاق بين مسيو شارل هكسيوس وعبد الرحمن كاسى بك من أعيان السويس وشريكه حنا عنصره . اللذين كانا يبحثان عن المعادن فى جزر البحر الأحمر وفى لورسينا ؛ والغرض من هذا الاتفاق أن ينصرف عبد الرحمن كاسى بك وشريكه الى شراء اللؤلؤ والأحجار الكريمة ويرسلانها الى هكسيوس فى جنيف ، ليبيعهما على أن يقسم الربىح مناصفة بين الفريقين شهراً فشهراً . وقد جعلت مدة هذا الاتفاق خمس سنوات وعهد الى فى حفظ العقد الخاص به . وكذلك وقع بين الطرفين اتفاق آخر مؤداه ، أن يتعهد عبد الرحمن كاسى بك وحننا عنصره لمسيو شارل هكسيوس بأن يرشدها الى الأماكن التى وجدا فيها مناجم نحاس من النوعين الأصفر والأحمر ، على أن يفحص مسيو هكسيوس هذه المناجم

ويتصرف فيها بما يراه ملائماً بحيث يتولى هو بنفسه طلب امتياز باستخراج المعدن والبحث عنه، ويكون له أن يستثمره هو بنفسه أو بواسطة شركة يؤلفها لهذا الغرض، ويكون لعبد الرحمن بك وحننا عنصره ثلاثون في المائة من الأرباح الصافية، بشرط أن يقوموا بالرحلات التي يستلزمها العمل، ويقدموا إلى هكسيوس كل ما يجدها من القطع المعدنية في خلال مدة الاتفاق مهما كان نوعها، تاركين له الحرية في استئثار الأرض التي توجد فيها المعادن، وألا يعقدا اتفاقاً آخر مع سواه قبل مضي خمس سنوات. وعهد إلى كذالك في حفظ العقد المحرر بينهما، والحكم فيما يشجر بين الطرفين من خلاف. وبعد ذلك أرسل إلى عبد الرحمن كأمى بك رسالة عن نتيجة مباحثه وخريطة عن الامكنة المرغوبة، وبعض نماذج من النحاس فأرسلتها لمسيو هكسيوس في جنيف؛ ثم جاءت رسائل أخرى من كأمى بك بها تفصيلات عن الأحجار التي وجدها، وذكر لي أيضاً أنه علم أن جماعة من الانجليز ذهبوا إلى الطور للبحث عن المعادن، مزودين بجميع التوصيات والتسهيلات. ولما علم الخديو بذلك، قال إن هذه التوصيات هي من صنائع الانجليز في مصر. ولم يستطع أن يقدم إليه التوصيات التي طلبها نظر لوجود الانجليز المشار إليهم.

لجنة الاستعمارات القبرية. ألفت في القاهرة لجنة للاحتفال بالخدو في أعياده وعند سفره واستقباله، وأخرى كذلك في الاسكندرية. فلما سافر الخديو في هذا العام إلى الثغر في أول مايو استقبلته اللجنة هناك بحفاوة كبيرة فشكر سموه أعضائها شفوياً ثم أمر بارسال كتاب لهم بشكره.

ولما كانت لجنة القاهرة هي صاحبة الفكرة، ولم تنل هذا الشرف والعناية من جانب سموه، فقد تدمر أعضاؤها وتحدث بعضهم أمام الشيخ علي يوسف بذلك، فبعث برسالة لسموه يعلبه فيها بذلك وإلى أن لجنة القاهرة قد تفرغ عن مهمتها إذا لم تنل ما تستحقه من الرعاية.

وقد أجاب عباس علي ملاحظة الشيخ علي يوسف فكتبت المعية إلى اللجنة خطاباً رقيقاً.

غادة نعمل على استملاك عباسي. كانت مدام الكسندرا أفيرينو ملتبادي، وهي سيدة يونانية متمصرة، تصدر مجلة، أنيس الجليس، بالاسكندرية، وقد حاولت الزني بجهاها عند الخديو مراراً، وحامت حوله سنوات، ولكنه غض النظر عنها فأرسلت

لسموه الرسالتين الثالثتين؛ الأولى بتاريخ ١٧ مايو نصها: «لقد تعودت أن أفتح كتابي بالنساء والدعاء للذين لا أبرح عن تقديمهما على الدوام بالسر والجهر، ولكن بلغني من سعادة حسين بك زكي ما جعلني أن أفتح كتابي بالشكوى والاسترحام بشأن تلك المقابلة التي ضاق في التماسها صدرى وذهب كل صبرى؛ وحقاً إنه ليست الصاعقة تنقض علىّ قريحتي بأشدّ عندي من الخبر الذي، رواه لي حسين بك بشأن تأجيل تلك المقابلة إلى بعد عودة مولاي المعبود بالسلامة من رحلته المباركة وذلك لكثرة شغني بها واضطراري إليها وطول انتظاري إياها، إلى أبعد مما يتحمّله فؤادي وأكثر مما تطيقه نفسي، مع أنني أعهد ذاتي ملتزمة تلك المقابلة من سيدي الرحيم الشفيق، فضلاً عن أن سموه لا يعهد على كل حال فرصة لذلك، لأن الفرص تحت أمره وطوع يديه - وقد آن أن يكون لي حق في إحداها بما يتفق جبراً لحاظرى الكسير وإجابة لالتماسي الذي طال عليه الأمد ونفذ معه الصبر. آه يامولاي من يصف الآلام التي تحرق فؤادي بالأس المستحوذ علىّ؛ أشعر بأني مدفوعة بيد القضاء إلى هدة الشقاء ومنها إلى هدة الفناء؛ وإن حسين بك لو كان يروى لسموه ما شهدته من قلق وسوء حال حين بلغني ذلك الخبر بالتأجيل، لتيقن ما ينطوي عليه فؤادي وعزف مبلغ ما أنا فيه من التلذذ الشديد لتلك المقابلة السنوية التي هي طوع إرادة مولاي في كل حين يريد بها فيه، وفي أي مكان يعينه لها؛ وإني لقد أكثرت من إظهار الأسى والحزن مضطرة بسبب ما يعلمه مولاي، فلعل كرمه يريحي من عناء المدة الطويلة المستقبلة فقد كفاني ما قاسيت من أطول منها قبلاً، وعسى أن يكون هذا الرجاء كأنه آخر اليأس المتصل بأول النجاح، وتكون تلك المقابلة أتمل بها مدة تلك الرحلة. ولقد عهدت مولاي يمنح السعادة لكل من يطلبها منه، ولهذا صرت في جانب الأمل الكبير بأن هذه التعيسة المخلصة تسأل تلك السعادة التي صارت تستحقها بكثرة ما بذلت لها من الصبر الوافر والقلق الطويل، ولا شك أن كرم مولاي وانعطافه يكونان ضامنين لهذا الأمل إذ هو بعد الله على كل شيء قدير وبكل دعاء من هذه المخلصة جدير.

عبدة سموكم التعيسة

الاسكندرية في ١٧ مايو سنة ١٩٠٥

الاسكندرية في ١٧ مايو سنة ١٩٠٥

وهذا هو نص الرسالة الثانية وتاريخها ٢٣ مايو:

«ولّى نعمتي ومعبودى - أفتح كتابي بتقديم واجب الاخلاص والتكريم مع الدعاء لله تعالى بأن تكون السلامة مرافقة لمولاي من رحلته السعيدة بأذن الله ورجوعه المبارك، وبعد فقد تقابلت مع سعادة حسين زكي بك فوجدت من رقة حديثه ما اتخذته

كنسخة من حديث مولاي ورقته ولطفه ، حتى ابتهج بذلك فؤادى المضطرب ، وسرّ خاطرى القلق ، واتمش أملى الذابل ، ولا سيما بعد حرمانى من تلك المقابلة التى كنت أنتظرها انتظار الأرض المطشانة لندى الصباح ؛ ولكنتى أسلى نفسى عن كل ذلك بسلامة مولاي ، وأعرّجها بأنى قد صبرت عدة سنوات فلا صبر عدة أشهر ، وإن كانت على أطول من سنين ، حتى يمن الله ويمطف المولى المحبوب على عبدته التعميسة ... ثم إننى مرسلّة مع سعادة حسين بك الرواية التى علم سيدى بها ، وقد كتبته بخط يدى لتكون كأنها عيون تنظر إليه بالنيابة عنى ، ولعل مولاي يشرفنى بتلاوتها فى أثناء رحلته السعيدة وأوقات فراغه ، فيجد فيها لأول وهلة ما ينطوى عليه مضمونها من حكاية حال وأمبيليا ، التى أرجو أن تكون عاقبتى شبه عاقبتها مع ذاك الأمير ، كما أن مولاي يدرك بلا شك تلك العواطف والوجدانات التى أملت على تلك الرواية ، وعباراتها المؤثرة ، بما كنت فيها لسان حال نفسى ؛ فعسى أن تصادف هذه الرواية من عند مولاي ما رجوته من وضعها فى هذا القالب ، الذى صورت فيه حالى تصويراً تاماً بشخص أمبيليا مع ذاك الأمير ، بل غاية ما أرجوه قبولها وتشريفها بالنظر العالى فان ذلك حسبى وكفى .

ثم إننى قد تعودت رجاء مولاي على الدوام فلا عدته مرجوياً ولا عدمنى راجية فضله ، وسائلة لإسعافه ومعونته ؛ وذلك أن لى سوقاً فى الرمل وقطعة أرض بجانبه وقد أخذ الخواجا مانولى زرفوداكى بما كسبى فيها معاكسة تفضى إلى الضرر فى ضرراً لا يريد وقوعه مولاي بهذه المخلصة ، وذلك أن الخواجا زرفوداكى يريد أخذ قطعة الأرض بالشفعة ؛ لذلك أتمس من جنبه العالى لإصدار إشارة منه بالإيعاز إليه بأن يمتنع عن أخذ قطعة الأرض بالشفعة ، وعن معاكسة السوق ؛ لأن أقل إشارة من مولاي يكون منها كل النفع لى ، ومنع الضرر عنى . وإننى فى الحتام أكرر شدة أسنى لفراق سيدى وغيابه ، وحرمانى من طلعه السنية ؛ بل وجوده فى هذا الثغر الذى كنت مؤتسة معه بظله الظليل ، وقربه المؤنس ولكنتى أفرج أسنى هذا بالصبر لحين رجوعه السعيد ، سائلة المولى أن يشمل مولاي بعنايته العميمة ، وأن يجعله تحت حراسته أينما حل وسار ، كما أسأله أن يرينى طلعه المباركة وهو على ما أحب وأشتهى من العافية الدائمة ، والسلامة الملازمة باذن الله ودعاء هذه العابدة المخلصة التى ترجوه ألا ينساها كما أنها لا تنساه إلى الأبد .

عبدة سموكم الطائفة

الإكندرية فى ٢٣ مايو سنة ١٩٥٥

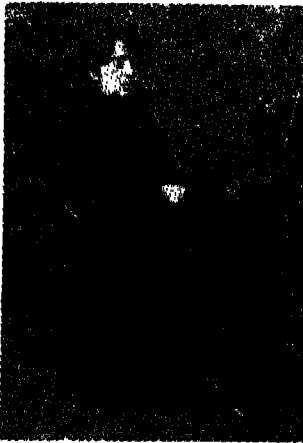
الكندرا أهيرنو ،

ولكن مدام أهيرينو رغم هذه المساعي المتكررة لم تفر من الخديو بطائل .

رحلة الخديو الى الاستانة وأوروبا . في ٢٥ مايو غادر الخديو المياه المصرية الى الاستانة مودعاً كالعادة . ولا أكن بمعته هذا العام لأن سموه أراد إبقاى في مصر لآكون قريباً من النظار لما عسى أن يطلبوه من المعلومات . وكان محمد عزت بك رئيس القلم التركي من رافقوا جنابه ؛ فوصل سموه الى الاستانة في ٢٩ مايو واستقبل فيها بحفاوة ولم يمكث بها إلا مدة وجيزة ثم برحها في ٣ يونيو الى فينا .

وفي ١٣ يونيو، وردت لى رسالة من عزت بك أخبرنى فيها أن الخديو كان مسروراً من الاستقبال والوداع بالاستانة

شكوى البرنيس زيدة للملك الانجليز : وقد سافر الخديو بعد ذلك إلى انجلترا نبقى فيها خمسة أيام كان فيها محل حفاوة وإكرام من جانب ملك بريطانيا والأمراء الانجليز والرجال الرسميين ، وأقيمت له عدة مآذب . وفى إحداها ، وكانت بسراى وندسور ، وقع ما كدر سموه ، وجاء فى تفصيل ذلك برسالة من الشيخ محمد عثمان أحد المرافقين للخديو بتاريخ ٢٧ يونيو ملخصها :



البرنيس زيدة هانم

أن الجناب العالى بيننا كان فى ضيافة ملك الانجليز فى وندسور ، إذ جاءت له شكوى من البرنيس زيدة هانم ضده . مدعية أنه لم يحترم اتفاقاً حصل بينه وبينها بخصوص ترتيب ثلاثة آلاف جنيه لها سنوياً ، فتكدر سموه من ذلك ؛ وأرسل يأمرنى أنت أتقابل مع البرنيس ومع شاكر باشا قرينها ، وأتوصل بكل حيلة لى أخذ كتابة من البرنيس بأن ما كتبه لللك ليس شكاية ، بل استرحاماً ليتوسط لدى الخديو فى إجابة رجائها ، وبعد الحصول على الكتابة المذكورة يجب أن

أتوجه لى شاكر باشا وأسمعه كلاماً قاسياً مرأ فى هذا الموضوع ، لأن ما حدث من البرنيس بعيد عن الآداب والتربية ، وكان عليه أن ينصحها بعدم الاقدام على هذا العمل الشنيع ؛ وقال لى إن الخديو ينتظر الرد بمجرد وصول هذه الرسالة .

وعندما وصلتني في ٣ يوليو كانت البرنيسيس وشاكر باشا قد سافرا إلى كارلسباد ، فأرسلت بذلك برقية للحديدو ، وأشرت بأن يأمر دومرتينو باشا الموجود بكارلسباد أن يحصل على الكتابة المطلوبة .

وكان الغرض من ذلك أن تعرض هذه الكتابة على ملك الانجليز حتى يعلم عدم أحقية البرنيسيس فيما ادعته على الحديدو .

وفي ٢٩ أكتوبر عاد اللورد كرومر إلى مصر من الخارج ؛ وكان الحديدو في الاسكندرية فأرسل اللورد برقية يعلم سموه برجوعه ؛ فأجابته برقية لطيفة هناك فيها سلامة الوصول . ولكنه لما قابل الحديدو في أول يوم من رمضان ، لم يهتبه كالعادة ، بل وجه إليه انتقاداً مرأى في مسألة البرنيسيس زيدة ، فاستاء الحديدو أيما استياء لهذه المقابلة الجافة .

وقد تحدثت مع بطرس باشا في شأن هذه المقابلة يوم ١٠ نوفمبر واستطرد بنا الحديث ، فذكر لي أنه عندما أرسلت البرنيسيس شكايها لملك الانجليز أمر بإحالتها إلى كرومر فرد طاعناً على الحديدو بأن سموه يتدخل لدى القضاء الشرعى في المسائل الشرعية ، ويحصل على ما يريد من الأراض .

وفي ١١ نوفمبر تقابلت مع المستشار المسالى فطلب منى أن أعرض على الحديدو تخصيص مبلغ مائتي جنيه معاشاً شهرياً للبرنيسيس وأن يعطيا مبلغ ألف جنيه مصاريف المحامى عنها ، وقد تم ذلك .

وفاة الشيخ محمد عبده . كان الشيخ محمد عبده مريضاً منذ عدة أشهر ، وكان قد أزمع السفر للاستشفاء في الخارج ، ولكن رؤى أن صحته لا تساعد على السفر ، فتمكث بالاسكندرية يغالب المرض ويغالبه ، ويؤوره العظام والكبرياء والعناء ، ويعنى به الكثير من البرنسات حتى أن بعضهم أرسل طبيبه الخاص للعلاج .

وفي ١١ يوليو فاضت روحه إلى بارئها ، وقد شهدت تشييع جثمانه إلى مقره الأخير في مشهد حافل وموكب جليل .

وكتبت الصحف فصولا ضافية في رثائه ، منوهة بذكره ورفيع خلاله وأعماله .
عقب الحديدو : وقد كان سيرى في جنازته سبياً في غضب الحديدو فأرسل إلى رسالة أتبها لما فيها من دلالة ومغزى : كان الجناب العالى يظن أنكم تحاظرون على تنفيذ

رغبته السنية غاية المحافظة ، وكان يعلم أنكم تقدرون أوامره العالية حتى قدرها ، وكان يمتصد أنكم لا تخطون خطوة إلا في سبيل رضاه وأمره الكريم ، وكان يتيقن أنكم تكونون على من رغب عنه ومع من رغب فيه ، ولكن قدر فكان .

قلتم في جوابكم الأخير إن المفتي مكث أربعة أيام كوامل من يوم الجمعة ٧ الجاري (يوليو) إلى يوم الثلاثاء ١١ منه . الروح تنازعه وهو ينازعهما إلى أن غلبته فتركته أي . أنكم كنتم مترقبين له حصول الأمر آنأ بعد آخر خلال هذه المدة ، بن على ما بلغنا أن أثاربه حتى الحكومة جهزت له ما يلزم لتشيع جنازته قبل موته بيومين ، وسعادتكم على ما أتم عليه من معرفة الحقيقة والحالة ، فلم لم تستفهموا بإشارة برقية عما يلزم وقت أن تبلغ الروح الخلقوم . هذا أمر واجب عليكم كان اللازم أن توجهوا ففكرتم اليه قبل كل شيء . ولكنه يا للأسف فاتسكم .

علمتم بموته فكان من الضروري أن تعلموا أيضاً بأنه سترد إليكم تعليمات بخصوص ذلك الحادث ، وما كنتم تبرحون السراى ولا إلى منزلكم حتى تأتي أوامر الخديو اللازم اتباعها .

أخبر الجناب العالى أطال الله بقاءه بإشارة برقية عن هذا الحادث ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن ما الذى يعمل فى هذه الظروف . وتعتمدون أن الجناب العالى لا بد وأن يصدر أوامره بما يعمل إزاء هذا الأمر فاذا أصدرت بعمل شيء . فقوموا بتنفيذه ، وإن وردت بدونه فاعلموا أن الأمر مهممل ، الجنازة حارة والميت كلب ؟ ، فلا تعملوا شيئاً .

يظهر ، والله أعلم ، أنكم أردتم بالسير وراء نعشه المجاملة بعد الموت وهو على ما تعهدونه عدو الله وعدو النبي وعدو الدين وعدو الامير وعدو العلماء وعدو المسلمين وعدو أهله ، بل وعدو نفسه ؟ فلم هذه المجاملة ؟

صدرت لكم أوامر بما يعمل ، فلم لم تبدلوا جهديكم فى تنفيذها ولم لم تسموا وراء سريان مفعولها حتى بذلك تكونون أديتم ما فرضه عليكم الاخلاص ؟

قلتم إن الأوامر وردت والجنة بين مصر والاسكندرية فلم يمكن تنفيذها بالثغر ولكنها نفذت بالقاهرة ، فأين ذلك التنفيذ وقد سار فى الجنازة القاضى والشيخ حسونه وغيرهم .

قلتم فى جوابكم إنكم منعمتم الشيخ على يوسف من كثرة الاطناب ، والمدح فما فائدة ذلك وأتم أول من يعلم أن مثل ذلك ألفاظ سيالة تنقضى بمجرد النطق فلا أثر

لها ، لكن تنفيذ الأوامر هو الذى يترتب عليه المقصود . على أن المؤيد أفرغ جمبته فى بدمج الرجل فلم يبق شيئاً مما منع عنه ، ولو فرضنا أن المؤيد لم يذكر شيئاً للرجل ، فهناك جرائد أخرى لا يمكن منعها تقوم بالاطناب والمدح ، وقد قامت فعلا والأوامر العالية على خلاف ذلك . سعادة أحمد زكى باشا موجود عندهم فلم تستشيروه ؟ ألم تعلوا سبب امتناعه عن تشييع الجنازة ؟ ألم تعتقدوا ما كان عليه المفتى من العداوة والمعاكسة للدين وأهله وأنصاره ؟ ولكنه أمر فات والرجل مات وغير يمكن رد ما قد فعل .

وفى طى الرسالة السابقة ملحق هذا نصه : « ترون طى هذا قصيدة رثاء قالها أحد مستخدمى ديوان الأوقاف العمومية وقد طبعت أيضاً بمطبعة الديوان المذكور ، والجناب يجب أن يعرف إن كانت مطبعة الديوان جعلت لأعمال المصلحة فقط أو لها وغيرها أو لغيرها فقط . فاستدعوا عبد الحليم عاصم باشا عندهم واستفهموا منه هذه الاستفسامات وأسألوه إن كان ذلك الشاعر المطبوع طبع هذا الرثاء بأمر من الباشا أو بغيره ، فإذا كان بغيره ، فكيف يقع ذلك وسعادته يشرف على كليات وجزئيات هذا الديوان ؟ وإن كانت طبعت بأمره ، فكيف يكون ذلك وصاحب الأمر موجود ؟ وبالجملة فالمطلوب كتابة تقرير مسهب عن تفصيل هذه المسألة ويكون مضى بامضاء سعادته وإمضاء سعادتكم ، ولا يمنعكم ذلك من تعليق ملحوظاتكم وأرسلوا جميع ذلك إلى الجناب العالى ليطلع عليه فيرى رأيه فيه . »

الغدير ومصم عاصم باشا . وقد كان حسن عاصم باشا من الذين اهتموا بوفاة المرحوم الشيخ محمد عبده وساروا فى مشهده ، وعملوا على الاحتفال بتأبينه ، مما زاد فى حنق الخديو عليه . فأرسل لى سموه بامضاء محمد عثمان ، ما يأتى بتاريخ ٢٣ أغسطس : « اجتمعوا لديكم حسين محرم باشا ويوسف ضيا باشا وراشد بك باشكاتب الخاصة وسعادة احمد خيرى باشا وعند اجتماعهم خاطبوا خيرى باشا بما يلى :

« إن الجناب العالى فى غاية العجب والاستغراب من جهة اهتمامكم بأشغاله الخصوصية والعمومية ، وميلكم إلى جنازه الرفيع وإظهار إخلاصكم لسدته السنية ومحبته الذاتية ، لأنه لا معنى لذلك مع ما أتم عليه من كثرة اجتماعكم فى مجالس أناس مفسدين مثل حسن عاصم (الذى سبق إقالته) ، فهل لكم علاقة كبيرة تجارية أو سياسية مع أصحاب هذه الجمعية ؟ فإذا كان الأمر كذلك فالجناب العالى لا يرى مانعاً من انفصالكم عن شرف خدمته واشتغالكم مع الشركة بكل جهودكم وكال حريرتكم مع أعضائها المحترمين .

وسبب إرسال هذه المذكرة بهذا الشكل هو عدم علم الجناب العالى بوجود أجد من الموظفين الأكارب الحائزين للرتب والنياشين والميداليات والوظائف السامية ، المحاصلين عليها سعادتهم ، يسلك هذا المسلك الذى يأباه الدين والذمة وتبرأ منه الانسانية والرموة .

أما مذكرات سعادته - التى أرسلها وعرضت - فلم يرد الجناب العالى تلاوتها ولا النظر إليها لأنه حفظه الله يعلم أنها عشوة بالنفاق والتلق ، وليست صادرة عن إخلاص ومحبة كما يزعم سعادته ، ولذلك ضرب بها عرض الحائط ، وعليه فنبهوا على سعادته بعدم إرسال مذكرات ولا خلافها للجناب العالى حتى يشرف سموه ثغر الاسكندرية أو عاصمة ملكه .

ثم أفهموه أن الجناب العالى لم يرد بجمعه هذه الذوات المتلوة أمامهم هذه المذكرة ، إلا ليظهر لهم أنه لا تخفى عليه خافية من أعمال كبيرهم وصغيرهم ، وأنه يعلم المناق من من المخلص ، وأنه يجازى من يخالف الرغبة السنية ويحيد عن الطريق السوى . بذلك كله صدرت الإرادة السنية .

وقد جمعت هؤلاء المذكورة أسماؤهم وتلوت عليهم الرسالة المتقدمة وتقرر أن يكتبوا تقريراً باخلاصهم للجناب العالى ، وأنهم يتبرأون مما يذكره عنهم الداسون ؛ وقدموا إلى هذا التقرير فأرسلته للخديو .

بعد العودة من أوروبا . عاد الخديو إلى الاسكندرية يوم ٢٧ سبتمبر وكان فى استقباله النظار ومعهم نائب المستشار المسالى ؛ وقد تحدث سموه معهم فى عدة أمور تخص سياحته ، ومن ذلك أن السلطان قال له : إنه متأسلم من الأرمن كثيراً ، وإنه سيقضى عليهم بعد عممل التدبيرات اللازمة . وأضاف متسكماً : وسنرى ماذا تفعل الدول ؟

وقد جاءتنى رسالة من بطرس باشا متعجباً ، كيف أن السلطان يفضى بهذا السر إلى الخديو ، ثم يذيمه الخديو حتى للانجليز ؛ وقال الباشا إن ممثل لإنس تحدث مع النظار فى هذا الموضوع بعد خروجه من عند الخديو .

فأضى مصر وطلب السفر للاستائز . فى ٢٣ اكتوبر جاءتنى بريقة من مصطفى فهمى باشا هذا نصها : أرجو أن تبلغ الجناب العالى حالا بالبرق نص الآتى :

زارني كبير القضاة وأبلغني أن شيخ الاسلام أرسل إليه برقية يشير عليه فيها بناء على الارادة السلطانية ، بتعيين وكيل عنه والسفر إلى الاستانة ؛ فأجبت أنه باعتبار كونه من موظفي حكومة الجناح العالی ، يجب عليه أن يتقيد بالقانون فيما يتعلق بالأجازات . وخرج من غير أن يبدى إشارة تدل على أنه ينوى العمل بنصيحتي هذه . ثم كتب إلى نظارة الحقانية ينبئها بأنه عازم على السفر ، وسترده الوزارة عليه اليوم أنه يتعين عليه أن يقدم إليها طلباً قانونياً فيما يتعلق بأجازته ؛ وحيث إن هذه المسألة شأنها وأهميتها كما لا يخفى على سموكم ولا بد أن يزور كبير القضاة سموكم قبل مغادرته القطر يوم الأربعاء القادم ، فقد بادرت إلى عرض الأمر على سموكم بتفصيلاته لتكونوا على بينة منه ؛ هذا وألفت نظر سموكم إلى مسألة تعيين وكيل لأن هذا التعيين من اختصاص حكومة سموكم وقد عاد القاضي فاسترد كتابه بناء على المساعي التي بذلتها نظارة الحقانية وواعد بأن يقدم طلباً قانونياً .

وقملا قدم القاضي طلباً لنظارة الحقانية يطلب أجازة عشرين يوماً . وفي ٢٤ أكتوبر قابل الخديو مستأذناً في السفر ، وبارح الثغر إلى الاستانة . وفي ٢٠ نوفمبر أرسل يطلب مد أجازته إلى شهرين واعتمدت الحقانية ذلك ولكن في ديسمبر صدر أمر السلطان بعزله وتعيين جمال الدين افندي قاضي مكة (*) بدلاً عنه ووصل القاضي الجديد إلى مصر في ١٣ ديسمبر .

منصب القصر كهنرا . كان منصب نائب الخديوية في تركيا لا يزال شاغراً فارسل الخديو يطلب إنسانه لرشيد بك الذي سبق أن أشرنا إليه وإلى رسائله السياسية . وفي ٢٥ أكتوبر جاءت برقية من الباشكاتب ، بأن جلالة السلطان لا يستحسن تعيين رشيد بك ، نظراً لأنه سبق له الفرار من الاستانة ؛ وإنما يرتاح لتعيين محمد بك عزت رئيس الديوان التركي ؛ ولكن الخديو لم يوافق وكذلك لم يرغب عزت بك ، وكتب للسلطان بأن تعيين رشيد بك إنما بصفة معاون فقط للتجربكتخدأ .

تعيين صفيّ مهدير . وفي ٥ نوفمبر كلف الخديو بطرس باشا بالتوجه إلى كرومر لمحاذته في شأن تعيين الشيخ حسونة النواوي خلفاً للشيخ عبد القادر الرفاعي الذي توفي .

(٥) وتبين بعده يحيى افندي عبد الرحمن فاضل ثم لييب افندي الأراؤوطي وأخيراً السيد محمد نوري افندي إلى أن ألفت وظيفة قاضي مصر في سنة ١٩١٤ عند نشوب الحرب الكبرى .

بعد أن يكثفت مفتياً يومين فقط ومات بالفالج؛ فسأل بطرس باشا عن اسم آخر احتياطاً
لكى يرشح إذا لم يقبل الشيخ حسونة، فاختر الخديو الشيخ بكري محمد عاشور الصديقي.
ولما قابل اللورد رضى بالشيخ حسونة؛ وكذا لك وافق مصطفى فهمى باشا بعد
أن علم بموافقة كرومر؛ ولكن المستشار المالى توقف لأز إبراهيم فؤاد باشا أخبره
أنه لا يصلح للافتاء إلا الشيخ الصديقي؛ وبهذا تم تعيين الشيخ الصديقي. وقد شكوا
مصطفى فهمى باشا بهذه المناسبة لكرومر من تدخل بطرس باشا فى مسألة ليست من
اختصاصه والمقصود بهذه الشكوى أن يعلم اللورد أن الخديو لا يثق به، لأنه مقرب
لدى الإنجليز.

سنة ١٩٠٦

مسألة طابا . تقرير هام من مختار باشا للحكومة المصرية . سفرى للاستشارة
لوزراء المسألة . انهجاج الحكومتين المصرية والانجليزية الرسمية . بدو انجلترا
النهائى . تعيين أعضاء اللجنة وتحديد النجوم . ملك الانجليزية هانج على عباس .
ولى عهد انجلترا فى مصر وخطاب البكرى لـ
الخدوى فى الاستشارة . عود الى دسائس الاوثر . وفاة البرنس محمد ابراهيم
وجيد الدين . وجاية يعقبها انقاص مرتبى . هادئة ونسواى . الخديو والنظار
والانجليزية . تأسيس شركة لبيندار والاستاندارد . مسألة الرتب أيضاً .

مسألة طابا . أسلفت أنه لما تولى عباس ، أرادت تركيا إخراج سيناء من فرمان
التولية فعارضت انجلترا ، وانتهى الخلاف بأن بقيت إدارتها فى يد الحكومة المصرية .
وفى يناير أصدرت الحكومة أمراً الى براملى بك مفتش جزيرة سيناء بوضع
خفصر من البوليس فى نعب العقبة لمراقبة الحدود منعاً لتهرب الأسلحة ، فلم يسمح له
اللواء رشدى باشا قائد الحامية التركية بالعقبة بذلك ، فرجع وأخطر الحكومة التى
طلبت من السلطان تعيين لجنة من الأتراك والمصريين لتحديد النجوم بين سيناء وسوريا ،
فلم يحرك ساكناً .

عند ذلك أرسلت الحكومة المصرية بلوكا من العساكر النظامية مع الاميرالين
سعد رفعت بك قومندان سيناء وبراملى بك ، على الوابور نور البحر لاحتلال وادى طابا
فقتلوا بها رغم معارضة الأتراك .

وفى ١٠ يناير وردت برقية من الصدارة للخدوى هذا نصها : « علمنا من جواب



الأمير الای سعد بك رفعت



الأمير الای براملی بك

الواء رشدى باشا، أن الأمير الایین سعد بك رفعت، وبراملی بك الانجليزى المسلمین من طرفكم على الواور نور البحر إلى طابا، أنزلا هناك خمسين جندياً نصبوا لهم معسكراً صغيراً. وأنه بالرغم من أن أمير الواء رشدى باشا أفهمهما بأنه لا محل لاقامتهم تجاه القره قول العثماني فانهما أصرا على رأيهما ومن حيث إن هذه الحال ربما جاءت بنتيجة قد لا تتفق مع الرضا العالى ومن حيث إنه يفهم أنكم لم تعطوا الآن تنبيهات من قبلكم فترجو حيتكم وديانتكم المسلم بهما العمل بسرعة على ملافاة هذه الحالة .

فاستدعى الخديو بطرس باشا، وتفاهم معه في الموضوع واجتمع بطرس بعد ذلك بالنظار، ثم تقرر بعد أن صدر الأمر بسحب القوه المصرية إلى جزيرة فرعون الرد على الصدر بالتالى : و من القديم فان موقع طابا تحت إدارة الحكومة المصرية . ومن الثابت أن التلغراف الوارد من مقامكم السامى يوم ١١ رمضان سنة ١٣٠٩ - ٩ أبريل سنة ١٨٩٢ بخصوص شبه جزيرة سينا يقرر حفظ الحالة على ما كانت عليه ومن حيث إن قومندان العقبة يمانع في وجود العساكر المصرية هناك في حين أن الغرض من وجودهم هو منع تهريب الأسلحة، ولكن منعا



جزيرة فرعون

لسوء التفاهم أمرنا بسحبهم، ومن حيث إن نقتى بأن هذا لا يرضى صاحب الجلالة الخليفة ، لحسماً لهذه المشاكل ومنع تكرارها، أرجو تعيين مندوب من قبلكم ليتفق مع المندوب المصرى على تعيين الحد الفاصل وبذلك لا يقع تعرض آخر لاقامة العساكر المصرية الذين

نقضى الضرورة بوجودهم .

لجاء الرد من الصنادرة العظمى في أواخر يناير بما يأتي : « لعدم وجود خلاف بنقطة طابا المجاورة للعقبة فلا محل لتعيين خط فاصل ، ونرجو بذل هممكم في منع الخطر الذى يحدث من إنشاء نقطة عسكرية هناك . »

وبناء على هذا الرد أرسلت المدرعة «ديانا» إلى طابا في ١٧ فبراير لمنع العساكر التركية من التوغل في سيناء وللحفاظة على القوة المصرية بجزيرة فرعون وعدم احتلال الأتراك لها . وفي ١٨ منه تزاور قومندانها مع اللواء رشدى باشا .

وفي ٢٢ منه وردت برقية من الصنادرة جاء فيها : « بما لا شك فيه أن حوالى العقبة هوتحت إدارة السلطة السنية وأيضاً فإن المقاطعة المصرية هي من الأجزاء المنتمية للممالك الشاهانية ولا حاجة لتعيين مندوب لاقامة خط الحدود ؛ وبالرغم من أنه كان يلزم صرف النظر عن إنشاء القره قولات العسكرية التي أرسلنا عنها برقيتين ، فقد علمنا أخيراً مع الأسف بارسال مدرعة من طرفكم إلى طابا . وإرسالها لا يتفق مع سابق إشعار نظامتكم . ومن هنا تحدث مسألة لا موجب لها قد تكون منافية لصداقة التبعية ، إذا فرض وأنزلت المدرعة العساكر وأقامت نقطة هناك فترجو خاصة سحب المدرعة . »

تقرير هام من **مختار باشا للحكومة المصرية** . بعد ذلك قدم الغازى مختار باشا إلى بطرس غالى باشا ناظر الخارجية تقريراً مطولاً عن المسألة تثبت به نصه لأهميته : « قبل الدخول في ماهية الحادثة نبين وجهة نظر الدولة العلية فنقول إنه في ١١ كانون ثانى سنة ١٣٢١ روى تسلمت برقية سامية من استانبول بناء على المعلومات الواردة عليها من قومندان العقبة جاء فيها : إن الإدارة المصرية شرعت في إحداث نقط عسكرية في جهات متعددة بين العقبة والعريش وأنه صار مخابرة قومندان العقبة بمنع الانشاءات المذكورة وأخطرت الخديوية المصرية تلغرافياً بصرف النظر عن أمثال هذه المنشآت ، ذلك لأن الدولة العلية لا يمكنها السماح بإنشاءات عسكرية في نقط كان متروكا لإدارتها لمصر بصفة مؤقتة . وبناء عليه لما زرت الخديوية وأكدت له المسألة ، قال لى بأنه أرسل تلغرافاً إلى نظامتكم بأن التدابير المذكورة كانت لتدعيم النظام في تلك النقط ، ولأنه لم يسبق تعيين الحدود فانه طلب في تلغرافه المذكور إرسال مندوبين لتعيين الحدود . وبعد ذلك سمعت بأن قومندان العقبة أخطر مأمورى مصر بعدم القيام بعمل أى منشآت هناك ، وأنه على الرغم من هذا الاخطار فقد علم بحصول الانشاءات . لذلك أرسلت قوة

سكركية لهدم ما استحدثت ومنع العمل ؛ وعند وصول القوة تصادف وصول الواوور نور البحر وإخراجه خمسين نفرأ من العساكر للقيام بعمل الانشاءات، ومن هذا الوقت حصل الخلاف الذى ما زال مستمراً . ولازالة هذا الخلاف يجب إيضاح ماهية المسألة فى تفسير علاقات مصر بالدولة فنقول :

التصرفات الملكية لمصر وإدارة أمورها الداخلية : كانت مصر من القديم فى قبضة الدولة وكلما دعت الحاجة تعين من قبلها والياً عليها لإدارة شئونها الداخلية لأنها من الأجزاء المتممة للدولة .

ولكن لسبب من الأسباب فإن الوالى محمد على باشا قام ضد الدولة وانتصر عليها . وكان من أثر ذلك تصديق مندوبى إنجلترا والنسأ وروسيا وبروسيا على حصول محمد على باشا على فرمان العالى رقم ٢ ربيع الآخر سنة ١٢٥٧ الذى جاء فيه . . . أبقى فى عهدكم بطريق الامتياز إدارة الخطة المصرية المحدودة بمحدودها القديمة المعينة بالخريطة المختومة بخاتم الصدارة ، مضموماً إلى ذلك الوراثة وشروطها أنه كلما خلا محل الوالى يكون إسناد الولاية لأولاده وأولاد أولاده الذكور ؛ الأكبر فالأكبر ويكون تعيينهم بمعرفة الدولة العلية .

وفى حين انقراض الذكور يكون التعيين من حق الدولة وليس لأبناء الاناث حق فى منصب الولاية . . . الخ . . . وفى هذه العبارة ثلاث نقط مهمة .

أولاً : الخريطة المذكورة، وعندى صورة منها، وهى تحدد مصر شرقاً من العريش إلى السويس بوصول خط مستقيم يبقى فى شرقه أراضي ولاية الحجاز وسورية .

ثانياً : كلمة إبقاء التركية، معناها أن مأموريته هى بحسب القديم، أما إدارة مصر الداخلية فهى تحت قيود معينة منها امتياز الوراثة، أما حق التصرفات الملكية فهى بمثابة سائر الايالات الشاهانية (أى كما كانت فى قبضة الدولة العلية) .

والدليل هو أولاً : إنه عند انقراض الذكور ترجع الى الدولة أمور الادارة وثانياً : سكان مصر هم تابعون للرعية العثمانية وثالثاً : أن ليس للخديوية مناسبات سياسية مع الدول الأجنبية ورابعاً : قوتها العسكرية معدودة من القوة العمومية العثمانية . وأمثال ذلك لا يجعل فى الملكية من فرق بين مصر وسائر الولايات الشاهانية . و فقط إدارة الأمور الداخلية تدخل تحت القيود الموضوعه للإمتياز وصاحب هذا الامتياز هو المرحوم محمد على باشا ومن بعده حسب قاعدة الوراثة لواحد من أولاده وأحفاده

الذكور . وخلاصة القول أنه عند العودة لسكلمة (مصر) يرد على المخاطر تصرفات الملكية والادارة الداخلية ؛ فالكلمة الأولى دائماً محفوظة في قبضة الدولة ، والثانية هو أنه في دائرة القواعد المرسومة يكون من ورثة محمد علي باشا خديو يحمل رتبة الصدارة .

طريق الحج : قديماً كان طلب والى مصر التصريح له باستخدام موظفين مصريين وعساكر مصرية للحفاظ على طريق الحمل الذي يمر بطورسينا والعقبة ومدائن صالح ، ودام هذا الحال خلفاً بعد سلف إلى ما قبل ١٥ سنة . ولما صار البدء بارسال الحمل المصري بحراً من السويس لم يبق من لزوم لطريق البر فالدولة رأت أن تربط إدارته بولاية الحجاز ، وعلى هذا كانت حدود مصر تبتدىء من الوجهه وبعده ضبا ومويلح . وبعد تولية الحضرة الخديوية صار استرداد العقبة وصار ترك شبه جزيرة طورسينا لمصر بصفة حدود (بمقتضى تلغراف) يستبان منه هذه التفصيلات : أن الدولة بحسب قرار الدول المعين فيه الحد من العريش إلى السويس هو عبارة عن جزء الحلق بناء على لزومه إلى الخريطة المصرية ، ولزوال الحاجة صار استرداد قسم منه وبقى شبه جزيرة طورسينا إلى إدارة مصر تحت استرداده عند اللزوم . لهذا لا يمكن قبوله بصفته حدوداً وإن قيام الادارة المصرية بإنشاءات عسكرية فيه مخالفة ظاهرة كالشمس .

العساكر الشاهانية الموجودة بموقع طابا ، هي للحفاظ على هذا الحق وفي قسم من ممتلكات الدولة كان ملحقاً بمصر على سبيل الأمانة ؛ وقد يستخلص أيضاً أن التصرفات الملكية في مصر هي بيد الدولة مثل تصرفاتها في باقي الولايات وليس في الأمر معاهدة مبرمة عن طريق أجنبي فالدولة باعتبارها صاحبة الالحاق لها كذلك حق الاسترداد ، خصوصاً رأن الأراضى المتحدث عنها خارجة عن القرار الدولى .
لهذا فهي . في كل وقت خاضعة لما هو جار لسائر الولايات .

فاذا قيل بفرض أن هذه الأراضى بموجب التلغراف رقم ٧ أبريل سنة ١٨٩٤ بقيت لمصر ، كما صار لإبلاغ بعض الدول ، فالجواب هو أن التبليغ لم يتضمن الالحاق وليس هناك صراحة قطعية بذلك بل على العكس فإن كلمة لإبقاء التى ذكرت في البلاغ لبعض الدول تفيد المحافظة على الحدود القديمة وهي بمثابة إعلان فقط بأن مصر هي المرجع في كل ما يتعلق بهذه النقطة .

لذلك لم نفهم السبب الموجب للحدة والاعداد الحاصل من جراء منع الانشاءات العسكرية ، وعدم قبول تعيين الحدود في أرض تركت لمصر مع قابليتها للاسترداد ؛

مع كون ذلك من الحقوق الصريحة للدولة وعلى الخصوص التهديد الواقع بارسال الوابور البحرى ديانا قد يفهم أن مصر ظنت أن لها الخط المرسوم بين العقبة والعريش . ولكن الحقيقة أن النهاية لشبه جزيرة طورسينا وقنال السويس وخليج العقبة من الشمال والخط الواصل منها إلى الجنوب يتشكل منها قطعة مثلثة .

وإن هذا الخط هو حدود بين الدول — فادارة المثلث المتخلف من هذا الخط بين العريش والسويس وإن كانت لولاية الحجاز إلا أنه صار السكوت عليها إلى الآن . على أن تطور مسألة المساكر الشاهانية وتهديدهم في موقع طابا إن هو لاحق صريح للدولة جعلها مجبورة للبحث فيه .

وفي الواقع كذلك أن الخط الممتد من العقبة إلى العريش وإن كان بشكل شبه جزيرة كبيرة وأن النهاية الشمالية للخليج مع إيصالها بالخط المتقدم يتشكل منها منطقة صغيرة هي طورسينا وأن كل خليج من خلجان هذه المنطقة يعرف باسمه الخاص .

بناء عليه يجب العلم بأنه من حق الدولة العلية في كل يوم إرسال عساكرها لغاية جهة السويس .

موقع طابا المختلف عليه والداخل في شبه الجزيرة إن كانت إدارته تركت لمصر فإن مرور فرع خط السكة الحديد الحجازية من العقبة يجعل منه ميناء بالخليج وأن سواحل الميناء لا تكون في يد إدارتين . ومع أن الملكية للدولة فإن كل ما هناك هو عبارة عن ساحة جبلية صخرية لا تنفع بشيء . وإن ترك إدارتها للدولة لن يضر ذلك لمصر في شيء .

وحيث إنه لم يكن لدولة إنجلترا أى مناسبة في موقع طابا فليس لوجود الباخرة ديانا أى معنى لأية شكوى لحق الكلام هو لسمو الخديو وحده فلذلك يرد على الخاطر أن سموه هو العامل على وجود هذه السفينة هناك .

وحيث إنه من أهم وظائف الخليفة المعظم تأمين سلامة طريق الحج ، وكان أمر المحافظة يقوم به ولاة مصر إلا أنه من بعد سيكون جلاله الخليفة مجبوراً على القيام به . فأعرض لفخامتكم السلفية رجاء أن تفضلوا بمطالعة الشيء في وقته . .

ولما أطلع الخديو على هذا التقرير تباحت ومصطفى فهمى باشا وبطرس باشا فيما جاء به . وبعد محاضرة الأخيرين للورد كرومر قدما لسموه تقريراً منه بوجود حفظ

حقوق مصر في سيناء ؟ وبعد المناقشة فيه عدلت عباراته الشديدة . وفي اليوم التالي بعث سموه برسالة سرية للصدارة هذه ترجمتها :

« بنساء على التلغراف الوارد أخيراً من نظامتكم حصلت عمادتنا مع صاحب الدولة مختار باشا بحضور رئيس مجلس النظار وناظر خارجتنا ، وكان من الطبيعي الرد على جوابه في اليوم التالي .

لحضر لدينا في اليوم التالي الرئيس مع ناظر الخارجية ، وعرفنا بأن تقرير دولة مختار باشا لا يمكن قبوله لما فيه من تجاوز لحقوق مصر الممتازة ، وقدما إلينا تقريراً بهذا الصدد ، وقالوا بوجوب إرساله إلى الباب العالي ؛ فبعد محو وإثبات فيه قبلناه منهما مع الاضطرار والأسف ، لأن الرفض قد لا يمكن توقيفه مع موقفنا ولا أرى من حاجة للايضاح .

ماهية هذا التقرير هو أن الحدود المصرية في شبه جزيرة طور سيناء تنتهي بالعقبة ، ويدخل في هذا التحديد موقع طابا ؛ ذلك لأنه برود تلغرافكم السامى مع فرمان الأخير كانت نظارة خارجتنا بينت الحدود المصرية بناء على طلب اللورد كرومر فيما مر ، وهذا هو سبب الاحتجاج الواقع الآن .

ولما كان هذا التقرير مغايراً بالمرّة لآرائى وأن صداقتى ووجدانى لا يقبلان كتمانها ، وكنت أيضاً مجبراً على تقديمه ، فقد فملت ذلك بعد محو وإثبات ، تاركا تقدير الواقع لشرف نظامتكم .

وحيث إنه من ضمن الأغراض الخفية ، التي يعمل بعضهم عليها ، تصويرى في نظر متبوعى المعظم بصورة أخرى ، لئكنى أمين بأن حالى ومقالى يحولان دون ذلك . أما فيما يختص بطريقة حل وتسوية هذه المسألة فانه جاء في خاطرى أن يكون رد نظامتكم على التقرير المذكور بما أتى :

إن التفسير والايضاح هما من حق صاحب الأمر والفرمان دون سواه . وعلى كل حال فانه من الأمور المسلم بها أن الدولة التي تترك مؤقتاً لجهة من جهاتها أمر إدارة جهة ، لها عند اللزوم والحاجة أن تستردها فيقال في هذه الحال :

قضت الضرورة بالحاق الجهة الفلانية بصورة قطعية إلى ولاية الحجاز ، والحدود

المصرية تعتبر من نقطة د كذا ، ويكون تفرافكم بصورة قطعية بنقض النظر عن جوابنا الذى نص فيه على عدم القبول . هذا على ما أظن هو الحل .

وحيث إنه ثابت من تحريات الخصوصية أنه ليس ثم من حق سياسى ولا من سبب للتطور فاقى كفييل بأنه لا يمكن تدخل أى طرف آخر .
وعلى أثر وصول هذه الرسالة السرية للاستانة جاء الرد بما يأتى :

د كان قد صرح للادارة المصرية بايجاد عساكر بقدر اللزوم فى الوجه ومويلح وطابا والعقبة وبعض مواقع من شبه جزيرة طورسينا وسواحل الحجاز بسبب إرسال المحمل المصرى بطريق البر كما هو فى علمكم السامى .

وبما أن هذه المواقع لم تدخل فى خريطة التحديد المصرية المرفقة مع فرمان الصادر إلى المرحوم محمد على باشا فى سنة ١٢٥٧ هـ ، ولمساس الحاجة أعيدت الوجه أولا وبعدها طابا ومويلح والآن العقبة إلى ولاية الحجاز .

أما شبه جزيرة طورسينا فقد صدرت الارادة الشاهانية بالمحافظة على الحدود المنوحة إلى محمد على باشا وجدكم اسماعيل باشا والدم كما كانت من قبل .
ثم وردت رسالة خاصة من الباب العالى للخدوي هذا نصها :

د أنشرف بأن أعرض لسموكم أن إشعار نظامكم المتضمن إعادة موقعى طابا والمويلح إلى إدارة ولاية الحجاز وتبليغاتكم الفخيمة فى شأن طريق الصدق والاخلاص الذى اتخذتموه مع الباب العالى ، قد استوجب حصول التقدير والمحظوظية لدى مولانا ملجأ الخلافة ، وبحسب ما أمرت به أبشر نظامكم بسلام الحضرة السلطانية العالى .

وعلى حسب إشعار نظامكم قد أجرينا التنبيهات على من لزم لأخذ موقعى طابا والمويلح تحت الادارة مباشرة

أما موقع العقبة فان فرمان العالى الذى أعطى إلى المرحوم محمد على باشا فى ٢ ربيع آخر سنة ١٢٥٧ كما أنه مندرج به جملة الأيالة المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة المشروجة فى الخريطة التى أرسلت فى ذلك الوقت مختم عليها بختم مقام الصدارة .

كذلك كافة فرمانات العاليسة التى أعطيت إلى مصر كان معطوف فيها حدود نصر على فرمان العالى المبين أعلاه .

وحيث لا بد أن يكون الفرمان العالى المذكور والخريطة المنبأ عنها موجودين
ومحفوظين هناك ، فبطلميها والاطلاع عليهما لا شك أنه يزور التردد الحاصل لدى
نظامتكم في هذا الخصوص .

ثم بناء على أن إعادة ارتباط مرفق العقبة في الوقت الحاضر إلى ولاية الحجاز
هو من أهم وألزم الأمور ، والهمة الجليلة التي تتعم من نظامتكم في هذا الباب تستلزم
محظوظة على انفرادها لدى الحضرة الشاهانية صار ينتظر من انتساب وعبودية نظامتكم
المسئلة للاعتاب العلية حصول نهو هذا الأمر بدون إعطاء فرصة لتتمكن المداخلة
الأجنبية واستكمال الأسباب السريعة لاعادة ارتباط موقع العقبة بولاية الحجاز كما
تقتضيه شيتكم الجليلة المنطوية على العلم بدقائق الأمور .

هذا وقد أمر حضرة احمد مختار باشا باعطاء الايضاحات المقتضية لذاتكم السامية
في هذا الخصوص افندم . .

سفرى لمرساته ونهراء المسائل . عند ذلك تقرر سفرى في معية الوالدة وسافرننا
من القاهرة في ١١ أبريل ومعى ملف بصور جميع المكاتبات والوثائق المتعلقة بمسألة طابا .

تعليمات الخديو : وكانت التعليقات التي أعطيت لى أن أقول في السراى إن الجناى
العالى بذل كل ما يستطعمه ولا يزال على ولائه للسلطان ، وأن أقابل سفير إنجلترا ؛ ولكن
لا أبرح له بالمكاتبات السرية ؛ وكنت قد استشرت بطرس باشا قبل السفر فيما إذا طلب
السفير محادثتى فهل أحادثه في شىء ، فأجاب بأن لا مانع وأنه سيخبر كرومر بذلك .

السفر : وركبنا الباخرة « برنس عباس » ، وفي ١٥ منه وصلنا الاستانة لجاء
القرلز أغاسى والفريق حسنى باشا للسلام على دولة الوالدة من طرف السلطان .

في المابين : وقد ذهبت على الأثر إلى بلدز ، فلم أجد رئيس الكتاب ، فوجهت
إلى نورى باشا وسلمته الوثائق ورجوته عرض احترام وإخلاص الخديو للسلطان ،
وتقبيل الاعتساب من طرفى ، فدخل ثم عاد بشكر الخديو والسلام لى ؛ وقال لى إن
جلالته أمر بمحضورى غداً عند رئيس الكتاب .

وقد ذهبت في الميعاد المحدد فسلمت على تحسین باشا وأبلغته تحية الخديو ؛ ثم
دخل على السلطان وعاد فأبلغنى أن جلالته متأكد أن سمو الخديو يعاضد الرغبات
السلطانية في مسألة العقسة ، وأبدى ملاحظات ومعاومات تؤيد أن طابا من أراضى

الدولة ، وكلفني أن أكتب للخديو بذلك ثم قال : إن مختار باشا أرسل يطلب أن تبعث الدولة برقية معينة للحكومة المصرية فلم يوافق السلطان عليها وفضل أن تحل المسألة بمعرفة الخديو .

ديارتي للصدر الأعظم : وفي ١٦ أبريل قابلت فريد باشا الصدر الأعظم فرحب بي . وقد قال لي مثل ما قاله محسن باشا من جهة السلطان وعن مسألة العقبة . ثم أضاف بأنه كان الوحيد الذي دافع عن الخديو حتى اتهمه السلطان بالتحيز له ؛ ولكنه اقتنع أخيراً باخلاص عباس وبأن من صالح الدولة أن يكون التسابع والمتبوع على وفاق ، لا سيما والخديو رجل مخلص وصادق الاسلام ومحب للدولة والسلطان ؛ ثم كلفني أن أخبر الجناب العالي بأنه سيبدل كل مجهود لمعاونة سموه في الاستانة في المسائل الرسمية ، وأنه ينصح أن تكون المراسلات الخاصة بالعقبة للسراى رأساً وأن الانجليز أميل الآن إلى التساهل في الموضوع .

حديثي مع سفير إنجلترا : وفي ١٧ منه قابلت سفير إنجلترا ودار بيننا الحديث حول مسألة العقبة ، فقلت منه أنه في ابتداء المشكلة طلب إلى الباب العالي إخلاء طابا وبعدئذ تدور مفاوضات لحل المشكلة ؛ وكان الباب العالي عازماً على القبول ، ولكن ثبت أن الأتراك ينوون احتلال جزيرة فرعون لولا إرسال العساكر المصرية واحتلالهم إيهاها ؛ وقد هددهم الأتراك باخراجهم بالقوة إلا أن حضور المدرعة الانجليزية ديانا حال دون ذلك ، وأن الباب العالي كان قد عين اثنين من الضباط للفهم في مسألة الحدود ولكنها عادا للاستانة بعد مقابلة الغازي لها .

ويعزى تغيير خطة الباب العالي في التمسك والتشدد إلى الغازي مختار باشا وأحمد عزت العابد باشا .

وقد فهمت من حديثه أن دولته متمسكة بوجهة نظرها وهي إخلاء طابا من الجنود الأتراك ، وذلك عكس ما فهمت من الصدر الأعظم عن خطة إنجلترا . وقد قال لي السفير : إن هذه المسألة لو سلمنا فيها للباب العالي فإنه يتدخل بعدها في كل شيء . ثم تحدثت معي في أن الصحف المصرية عدا المقطم تناصر الباب العالي وتسامل عن السبب في ذلك ، فأجبتهم بأن اللواء — لسان حال مصطفى كامل وجماعته — متصلة بالغازي فتهدأ بنشر آرائه وتتبعها الصحف الأخرى ، فليح لي بأنه يجب القيام بعمل شيء لتدارك هذا التيار الضار .

ثم قابلته في اليوم التالي في مادبة عند سفير إيران فقال لي : د إنه ينتظر النتيجة ككتفريج مثل أبي الهول ! أو جريدة اسكتاتور الانجليزية ا ،
وفي ٢٢ أبريل ورد لي من مصر كتاب باسم الصدر الأعظم ، وكتب لي عزت بك بأن أحمله إليه بنفسى ، وأخبرني أن الصدر كان قد أرسل برقية لمصر خاصة بنتيجة المخبرات مع مختار باشا ، فأرسل الرد عليه في صيغة غير لائقة ، واضطر الخديو أن يجارى رجال الاحتلال في قبول هذه الصيغة ، وهو يأسف لذلك ويكلفني إبلاغه للصدر شفهاها فضلا عن أن سموه كتب له تقريراً بالأسباب التي دعت إلى أن يكون الرد بهذه الصيغة والتقرير مرفق بالرد .

وقد توجهت للصدارة في اليوم التالي فسلمت الرسالة للصدر ، وبينما كان يقرأها دخل شخص لا أعرفه فبدأ على الصدر الامتعاض لوجوده وثني جانب التقرير حتى لا يرى ما فيه ، ثم قال لي بالفرنسية : د أخبر الجناب العالى أننا نجري اللازم الآن لانها مسألة طابا ويلزم أن يساعدنا ، فقلت له : د إن بطرس باشا ينتظر المعونة في مسألة الدير بالقدس ، فأجابني : د عليه مساعدتنا في مسألتنا ، وعلى أن أرضيه تمام الرضاء ، ثم خرجت .

وقد قابلت زبماكو باشا فعلبت منه أن الباب العالى سيعمل على حل المشكل بصفة ودية ، يعنى أنه سيتساهل في موقفه ، ففهمت معنى ما قاله لي الصدر من أن المسألة في طريقها للحل .

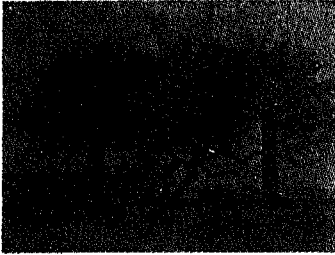


القونستاندليوموت

اهتجاج الحكوميين المصريين

والانجليزية الرسمية . بعد ذلك جاءني نبأ بأن الأتراك أرسلوا نفراً لاحتلال رفح . وفعلا أزالوا عمودي الحدود ونصبوا الأعمدة التركية محل أعمدة التفراف المصرية فصدرت الأوامر بقيام المدرعة ميزفا وعليها قومندانها وموت معتدماً من قبل الحكومة البريطانية ونعوم بك شقير معتدماً من قبل الحكومة المصرية ، فلما

وصلت المدرعة في ٢٨ أبريل أرسل قومندانها إلى قومندان العساكر الشاهانية ما يأتي:
« قومندان العساكر الشاهانية برفح . بعد السلام أكتب إليكم هذا لاجئكم أني
جئت مندوباً من قبل الحكومة البريطانية لمقابلتكم بشأن خط الحدود ويمكنني الانتظار
هنا ساعتين فقط فاما أن تأتوا إلى أو أذهب إليكم ومعى نعم شقير بك الذى حضر
مندوباً عن حكومة مصر وأرجو أن تشكروا بالرد حالاً مع رافعه . واعلموا أن
مأموريتنا هذه هي مأمورية ودية سلبية ويمكن انتهائها بمقابلة قصيرة . فلنالم يحضر رغم
الانتظار أرسل المعتمدان إليه هذا الاحتجاج :



عمودا الحدود برفح

« حضرة قومندان العساكر الشاهانية
برفح . نعلم حضرتمكم أننا انتظرنا خمس ساعات
في بيت التلغراف تجاه معسكركم لاجل مقابلتكم
فلا حضرتتم ولا أرسلتم جواباً ، فعدنا إلى
الواوور وقد لاحظنا أن عمودى الحدود اللذين
كانا قائمين عن جانبي السدرة التي عسكرتم
بقرها قد رفعا من مكانهما ولاحظنا أيضاً أن

عمد التلغراف المصرى من خط الحدود إلى طريق بن رفح قد بدلت بعمد أخرى ،
فيالنيابة عن الحكومة المصرية والحكومة البريطانية نحتج على فعلكم هذا احتجاجاً شديداً
ونطلب أن تعيدوا عمودى الحدود وعمد التلغراف إلى أماكنها وتحافظوا على الحدود
المقررة وسنرسل نسخة من كتابنا هذا إلى رجال الحل والعقد من المصريين والانجليز
في مصر وإذا أجبتم مخاطبتنا فالطراد لا يسافر من ميناء رفح قبل صباح الغد الثلاثاء
الساعة تسعة أفرنجى . »

وفي اليوم التالى حضر القومندان وقابل نعم شقير بك وقال له : « بما أنك معتمد
الحكومة المصرية فاني أفأوضحك ولكن الكبتن ويموث معتمد الحكومة البريطانية فاني
أستقبله كزائر . » ثم أفهمه نعم بك أن هذه الرسالة هي احتجاج رسمي ؛ وحفظاً
للسلمة عليه أن يكتب الحكومته بتعيين لجنة مختلطة من أتراك ومصريين لتعيين حدود
طابا والعقبة .

بعرض إنجلترا الزماني . وفي ١٢ مايو سمعت إشاعة مضمونها أن انجلترا
أرسلت أسطولها إلى بيرة للقيام بمظاهرة بحرية ضد الدولة بخصوص طابا وأنها أرسلت

للدولة إنذاراً باخلائها ، ولم أستطع التأكد من صحة هذه الاشاعة تماماً فقابلت السفير
الانجليزي فأعلمني أن إنجلترا لما رأت أن في قبول مطالب تركيا خطراً على حرية القنال
ومصر والعائلة الخديوية أو عز وزير خارجيتها السير ادوارد جراى إليه فرفع إلى الباب
العالي بلاغ حكومته النهائي بتاريخ اليوم بدعوه إلى إجابة مطالب إنجلترا في عشرة أيام
وهذه المطالب هي ١ - إخلاء طابا ٢ - عود عساكر رفح إلى حدم ٣ - إعادة
عمودي الحدود في رفح إلى مكانهما .

وقال لي إن السلطان صرح له بأنه لم يكن يعلم أن مسألة طابا قد تخرجت إلى هذا
الحد وأن جلالاته لما علم أمر بقبول وجهة النظر الانجليزية بشأها .

وفي ١٤ منه بعث توفيق باشا الصدر الأعظم الذي خلف المرحوم فريد باشا
الرسالة الآتية إلى السير نيقولاس أوكونور السفير الانجليزي بالاستانة : « شرفتم
بالمذكرة التي تكرمتم بارسالها إلى في ١٢ الجاري بشأن احتلال طابا وقد قر الرأي على
أن الضباط أركان حرب الموجودين الآن في العقبة والموظفين الذين يتنبذون من قبل
سمو الخديو يهرون معاً على الأمكنة اللازمة ليجروا التحريات الفنية على مقتضى القواعد
الطوبوغرافية ويعينوا على خريطة النقط الطبيعية التي يكون بها ضبان الحالة الحاضرة
وبقاء القديم على قدمه في شبه جزيرة سينا وأن يرسموا خطأ للحدود يتبدى من رفح
بقرب العريش ويتجه جنوباً بشرق على خط مستقيم تقريباً إلى نقطة على خليج العقبة
تبعد على الأقل ٣ أميال من العقبة وبذلك تكون الرغائب التي أيدبتموها سعادتكم في
رسالتكم المشار إليها قد تحققت تماماً - هذا ونسأل سعادتكم أن تبلغوا ذلك إلى لندن
ونأمل أن حكومة جلالة الملك ترى بذلك برهاناً جديداً على رغبتنا الشديدة في دوام
حفظ العلاقات بيننا على دعائم المودة التامة وأن في إبداء حكومة جلالاته تمام ارتياحها
لذلك دليلاً على القيمة التي تعلقها على حفظ وتوطيد العلاقات الحسنة الكائنة لحسن
الحظ بين الحكومتين - أفندم
الامضاء توفيق »

وقد أرسلت للخديو رسالة بتاريخ ٢٨ مايو جاء فيها : « انتهت مسألة طابا ، ولكن
الجميع ساخطون هنا على الغازي مختار باشا والأخص السلطان والصدر وناظر الحربية
وقد سمعت أحد النظار يقول إن مختار باشا خدم صالحه الشخصي بأخذ سرى
نمرة ٣ ولم يفكر في خدمة الدولة ، والصدر يقول إن الذولة العلية لم تتخاخر حتى اليوم
بصفة رسمية مع إنجلترا بشأن مصر ، ولكن سياسة مختار باشا اضطرتها للخبايرة في
مسألة طابا ولا يخفى ما في ذلك من النتائج الضارة بتركيا ومصر .

وبالاختصار فالرأى العام هنا تمهيج ضد الغازى وراض عن خطه الجناب العالى لدفاعه عن مصالح الدولة والدين رغم حرج مركز سموه . وقد ظهر لسيدى مما سبق عرضة أن سكوت الانجليز لم يكن إلا ظاهرياً وأنهم ضغظوا على الدولة عند اللزوم للحصول على غايتهم ، لأنهم يعلمون أن سياسة الدولة فى كل المسائل كانت تشديداً ثم تفریطاً كما حدث مع كثير من الدول .

وقد حدث فى الأيام الاخيرة أن وابوراً بخاريأ ألمانيا كان بمياه البسفور فضبطه رجال الدولة أمام باشا بنججه بحجة فارغة ، فاغتاط السفير لهذا التصرف وركب فى هذا الوابور ورفع فوقه العلم الألمانى ، وأمر قومندانيه بالسير فلم يتعرض له أحد ، وهو الآن يطالب بمبلغ سبعمائة جنيهه تعويضاً عن العطل والاضرار . فهكذا أحوالنا هنا ولا حول ولا قوة إلا بالله . . .

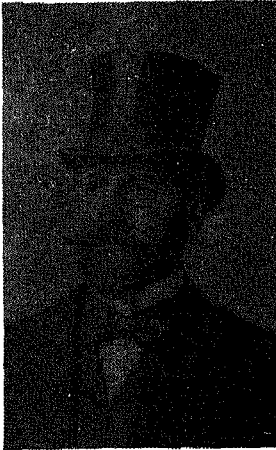
تعيين أعضاء اللجنة وتحرير النصوص . بعد ذلك عدت إلى مصر فوصلتها يوم ٢٨ يونيو . وصدر أمر الباب العالى إلى المندوبين العثمانيين فى العقبة أن يجتمعوا مع من تتدبهم مصر لتعيين خط الحدود ، فاتدبت الحكومة المصرية لجنة مكونة من اللواء ابراهيم فتحى باشا والامير الاى اوين بك مدير المخابرات وتعين نعموش شقير بك سكرتيراً لهذه اللجنة التى قامت بمهمتها وعينت الحدود بتعيين خط فاصل لإدارى بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وبين شبه جزيرة طورسيناء . وفى أول اكتوبر وقسع مندوبو الحكومتين التركية والمصرية هذه الاتفاقية وأنهى الاشكال .



اليزوباشى اسماعيل المفق افندى

وصدرت الاوامر إلى اسماعيل افندى المفق اليوزباشى بمصلحة الاشغال بالجيش المصرى والمستر ويد أحد مهندسى اللجنة المصرية ، بالقيام إلى طابا مع بعض الضباط والعساكر والبنائين ، لاقامة اعمدة الحد . فوصلوها فى ٤ ديسمبر وفى ٣١ منه أنهوا بناء أول عامود على رأس طابا وأعطى نمرة ٩١ ، وآخر عامود على تل الحراب فى ميناء رفح أنهموا لإقامته فى ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ وأعطوه نمرة ١٠١ .

ملك الانجليز هاننغ على عباس . سمعت من البرنس حسين كامل باشا أن ملك الانجليز كان يعطف على الحديدو ويحبه ؛ وكان يعتقد أنه إزاء هذا العطف مخلص له ولكن مسألة طابا غيرت مجرى الامور ، لأن الانجليز في مصر وفي الاستانة تمكنوا من الحصول على صور البرقيات التي تبودلت بين الحديدو والاستانة وكانت كلها ضدهم ، مع أن الحديدو كان يظهر لهم بالعكس أنه معهم ومخبراته في صالحهم ؛ فلما اطلع عليها الملك قال : . كنت أظن أن الحديدو معنا ، ولكننا نعرف الآن أنه يظهر لنا غير ما يضمن فلا نتق به . وبهذه الحالة خسر الحديدو عضداً قوياً ضد كرومر ، لأن الملك كان يعترض على تصرفات اللورد ضد الحديدو ، أما الآن فان جلالة قد غير اعتقاده وخطته . وأخبرني البرنس حسين كامل باشا أيضاً أن هناك سبباً آخر لوقوف الملك ضد كرومر ؛ ذلك أنه كان يود أن يعمل اللورد على مساعدة السير إرنست كاسل في مشروعاته المالية بمصر حتى تثمر وتزدهر ، لأن الملك في حاجة مستمرة للمال ؛ ولكن كرومر لم يكن ميالاً لمساعدة كاسل ، لأنه صديق الملك ويمد جلالاته بالمال ، فلهذا كان الملك والسير كاسل يضمنان معارضة اللورد .



السير إرنست كاسل

ثم قال البرنس بأن السير كاسل زاره بعد مقابله للجناب العالي ، وتكلما سوياً عن الحديدو فلم يجده متحمساً له ؛ وقال إنه كتب اسمه في دفتر التشريفات أولاً وإنه عندما قرب ميعاد سفره تذكر أن الحديدو كان ضيفه يوماً من الأيام وبينهما مودة فطلب مقابلة سموه .

وأضاف السير كاسل إلى ذلك أنه يتوقع أن تقع بمصر في الشتاء المقبل حوادث سيئة لأن كرومر سيعود بالأوامر الشديدة ؛ فسأله البرنس عما يحسن أن يفعله الحديدو مع الملك ، فقال إنه يجب التأييد وعدم الاندفاع في شيء .

هذا وقد أخبرني دو مرتينو باشا أنه رجا السير إرنست كاسل في أن يعمل لإصلاح العلاقات بين الحديدو والملك .

ثم علمت منه أيضاً أن اللورد كرومر، أثناء المفاوضات التي جرت بخصوص طابا، جاء للخديو يوماً وقال له بصراحة إنه حصل على صور البرقيات والمكاتبات المتبادلة بينه وبين السلطان، ويفهم منها بأن الانجليز ضد صالح مصر. وأنه علم من بروستر بك أن الذي يشجع الخديو على العمل ضد الانجليز هي شخصية تعمل من وراء ستار وأنها كلما جاء اللورد لمقابلة سموه، فانها تجلس وراء البساط الفاصل بين قاعة الاستقبال وغرفة المكتب، وتستمع للمحادثة التي تدور بين الاثنين. وقال له بروستر إن الانجليز يبحثون الآن في مسألة خلع الخديو.

وحدثني دومرتينو باشا بأن كاسل قال للخديو عند مقابلته لسموه إن ملك انجلترا متأثر جداً من سموه، وإنه قال: «إني لا أعتز للخديو أنه جعلني على وشك الدخول في حرب مع تركيا»، وأضاف كاسل إلى ذلك أنه يصعب، الآن تحقيق أمنية الخديو في إصلاح الأمور بين الطرفين.

ولى عمره انجائراً ومطاب الكبرى له. في ٢٩ مارس حضر البرنس دوجال وقربنته وكان في استقباله في المحطة الخديو وشقيقه، والنظار والمستشارون والوكلاء والمحافظ، وكبار رجال المعية؛ وكذلك استقبله اللورد كرومر وقربنته؛ وقد ركب الجناب العالي مع البرنس في عربة، وركب البرنس محمد علي مع البرنيس دوجال، وركب الباقون العربات خلفهم.

وكانت الطريق غاصة بالجمهور المحتشد بين المحطة وسراى عابدين لمشاهدة الموكب ولكن الاستقبال كان فاتراً فلم يصفق ولم يهتف أحد.

وبلغني من الخديو أن البرنس استاء من الفرقة الموسيقية الانجليزية التي كانت في استقباله، لأنها لم تتم عزف السلام الملكي.

وفي ٣١ مارس تناول طعام الغداء على مائدة السردار بالعباسية، وشاهد ألباً رياضية قامت بها الجنود.

وفي مساء اليوم نفسه أقام له الخديو مأدبة عشاء فخمة:

ولى العهد وأعضاء مجلس الشورى: وكان أعضاء مجلس شورى القوانين قد طلبوا مقابلة البرنس فأذن لهم بذلك وساء الخديو تصرفهم هذا؛ إذ كان سموه يريد

أن يقدمهم أحد رجال التشريعات . ولما قابلهم البرنس خاطبهم باعتبارهم نواب البلاد . وقد خطب رئيس الجمعية العمومية أمام سموه ، وطلب في خطبته أن يراد الجزء المخصص للتعليم من الميزانية المصرية ، لأن المقرر الآن لا يكفي لسد حاجة البلاد .

وبعد خروجهم من عنده فكروا في إرسال عريضة إليه ، يطلبون منه فيها التوسط لدى خديويهم في منح البلاد نظام الحكم الدستوري . ولكنهم عادوا فرأوا أن في هذا التصرف إحراجاً لعباس ، فقرروا أن يتقدم السيد محمد توفيق البكري عضو مجلس الشورى إلى البرنس على صفحات الصحف بكتاب مفتوح . يعرب فيه لسموه عن أمانى الأمة المصرية ، وهذا نص الكتاب :

إلى صاحب السمو ولى عهد الدولة البريطانية . من سماحة السيد البكري نقيب أشرف الديار المصرية .

يا صاحب السمو الملكى :

إن المصريين لمتهجون سروراً بزبارة سمو ولى عهد أكبر دولة فى الأرض بسطة فى الملك ، ونفوذاً فى عالم السياسة . هذه الدولة التى قام بناؤها العالى المتين على أساطين قوة الدستور والحربة الشخصية ، ورعاية ألحق لها وللغير . هذه الدولة التى احتلت بلادنا منذ ثلاثة وعشرين عاماً ، على أن تمنحها كل وجوه الرق ، لتسلها زمام أمرها .

ولقد استبشر المصريون وابتهجوا فى أنكم تنازلتم وخصصتم أعضاء مجلس شورى القوانين بحظوة مقابلكم العلية ، بل فوق ذلك تفضلتم ولقبتموهم فى خطاب سموكم المنيف ، بنواب الأمة ، مما أودع فى المصريين الأمل أن تكون لهذه المقابلة أشرف ذكرى عند الأمة المصرية ، متى أصبح أمثال هؤلاء الذين تشرّفوا بمقابلة سموكم من رجالها نواباً حقيقيين .

المصريون يا صاحب السمو الملكى أكثر الأمم وفاء لمن يسديهم الجليل ، وهم يعترفون سرّاً وجهراً بالتقدم المادى العظيم الذى نتج لوادى النيل من مهارة المهندسين الانجليز ، ومن أعمال موظفى الاحتلال الصادقين .

ولكن الأمة التى كان لها دستور نيابى قبل عهد الاحتلال ، ولم ينشأ مجلس الشورى بشكله الذى هو عليه فى أول الاحتلال ، الامع وعد من اللورد دوفرين مندوب بريطانيا العظمى إذ ذاك — أن يكون هذا المجلس بعد قليل من السنين مجلساً

نياياً كاملاً، يساعد الحكومة على أداء وظيفتها أحسن أداء، لا بد أن تذكر هذا الامتياز الذى كان لها دائماً، كما أنها لا تنسى هذا الوعد بالحصول عليه، وهى اليوم وقد سميت أعيانها نواباً أكثر ما تكون ذكراً له، رجاء أن تكون زيارة سموكم سبباً كبيراً فى مساعدة عاجلة من ذولة بريطانيا العظمى، لنيل المصريين دستوراً نياًياً شريفاً. ذلك الدستور الذى التمسته الجمعية العمومية (وأعضاء مجلس شورى القوانين من جملتها) من جانب الحكومة الخديوية رسمياً قبل سنتين . ذلك الدستور الذى قال عنه جلالة والدكم المعظم أخيراً فى البرلمان : « إن البلاد التى منحتها الأمبراطورية الانجليزية حكومة نياية أدى ذلك الى نموها وتقدمها وسعادتها ، كما أدى الى ازدياد روابط الصداقة بينها وبين الأمبراطورية . فتمننى يا صاحب السمو الملكى ، واجعل هذه الزيارة الشريفة خير مذكر لدولة بريطانيا العظمى بالوفاء بوعدنا ، فى أول عهد احتلالها ، لتبقى لهذه الزيارة أشرف الذكرى وأدومها لدى المصريين . »

وقد نشر هذا الخطاب أولاً فى صحيفة المؤيد بتاريخ ٣ أبريل، وعلقت عليه بقولها :
 « لقد أحسن سماحته فى أسلوبه ، وبضمنه تلك الكلمة العالية التى ألفاها جلالة الملك ادورد السابع ملك إنجلترا وأمبراطور الهند والمستعمرات البريطانية ووالد صاحب السمو ضيف مصر العظيم اليوم ، من أن كل أمة لانجلترا سيادة عليها أو شأن فيها منحها دستوراً نياًياً ، عاد عليها بالتقدم والسعادة ، وزاد فى روابطها مع الدولة البريطانية . »
 وبعد ذلك نشرته الأهرام والمقطم والظاهر والجوائب المصرية ، ونشرت خلاصته جريدتا الوطن ومصر ، وترجمته من العربية إلى الانجليزية جريدة الغازيت اجبسيان والجورنال دى كمبر والبروجريه ، ونشرت خلاصته جريدة الاجبت ومورن نيوز والفاردى الكسندى وكثير من الصحف الطليانية ، وعلق كثير من الصحف المصرية عليه تعليقات مؤداها أن الشعب المصرى أصبح يشعر بحقوقه ، وأن هذا الخطاب دليل الحياة وشعور الأمة بالضغط عليها .

أما الجرائد الانجليزية فلم تعلق عليه بشئ ؛ وأما جريدة البروجريه المنحازة لدار المتمد الانجلىزى ، فقالت انه لم يمن الوقت لمصر أن تكون فيها حكومة نياية . ونحن لا نرى من الوطنيين واحداً فقط متضلماً فى المعلومات الأساسية اللازمة لهذه الغاية ، وكذلك قالت بعض الصحف الفرنسية بهذا الرأى .

وقد ردت المؤيد قائلة :

ولا يهيم المصريين أن يكون بعض الأجانب في مصر أو كلهم ضد هذا الاقتراح؛ لأن هؤلاء يحبون أن يتوغلوا في استنزاف ثروة المصريين واستلاب أموالهم وأملأهم بكل العوامل التي في أيديهم الآن من الامتيازات، ومبادلة المنافع بين بعضهم البعض، وباخلاق الوطنيين إلى الفتور العميق الذي لا ينهمم منه منبه .

ولقد كان الخطبة رئيس الجمعية العمومية، وطلب زيادة ميزانية التعليم، ولخطاب السيد البكري بطلب مجلس نيابي، ضجة وأثر كبير في الرأي العام المصري، وكان هذان الأمران موضوع شرح الصحف وتعليقاتها عدة أيام .

وفي ٥ أبريل ركب البرنس وقرينته من سراي عابدين إلى المحطة عربة خديوية دون احتفال رسمي، وودعهما الخديو والنظار واللورد كرومر وكبار الموظفين الانجليز. وقد أبدى سمو البرنس لدى ركوبه عظيم شكره للجناب الخديوي على حسن لقاؤه وحفاوته .

وقد سافرا إلى بورسعيد، وركبا الدارعة د رينيون، للتجول بها في البحر الأبيض المتوسط .

وكانت الوالدة على وشك السفر للاستانة، فجاءت إلى عابدين في عصر ١١ أبريل. فأرقدني الخديو إليها لرجائها الانتظار قليلا .

الخديوي في الاستانة . في ١٠ يونيو حضر الخديو للاستانة، واستقبل بها كالعادة. وقد قابل سموه جلالة السلطان، وخرج من لدنه مسرورا بالحفاوة التي لقيها. وفي ١٢ منه دعى سموه إلى مأدبة في بلدل، ومعه حسنى باشا وبعض الحاشية. وقد قام سموه بالتراور بينه وبين السفراء كالمعتاد في ١٤ و ١٦ يونيو .

وربقى سموه في الاستانة حتى ٢٦ يونيو، ثم بارحها بعد ذلك إلى الحمامات في ديفون، وظل عزت بك مع الوالدة، وسافرت أنا إلى مصر لانتهاه مهمتي ولا يكون على صلة بالنظار .

عود إلى سائس الأزهر . في أثناء وجود الخديو بالاستانة وردت إليه شكاية رفها المفتي الشيخ محمد بكري عاشور الصدفى إلى قائمقام الخديو في مصر، وهو رئيس النظار، ملخصها : « في أثناء امتحان الشيخ حسين محمد الرفاعى في الشهادة العالمية

على يد ستة أعضاء، من بينهم المفتي، سأل شيخ الجامع (*) المتحدين عن هذا الطالب، فأجابوا بما عدا أحدهم وهو الشيخ البحراوى بأن الطالب يستحق الدرجة الثالثة، وقد تم تقرير من اللجنة بذلك؛ ولكن الشيخ البحراوى لم يرد التوقيع عليه، مع توافر أغلبية اللجنة، بحجة أن الطالب لا يستحق شيئاً. وفي اليوم التالى أرسل شيخ الأزهر بأنه غير أعضاء اللجنة، وقد أتى بأربعة أعضاء جدد، وأبقى الشيخ البحراوى وواحداً آخر فقط وعين الشيخ بحيث بدل المفتي؛ ويعتبر الشيخ المفتي هذا التغيير فى أواسط الامتحان وبدون سبب ظاهر ماساً بشرفه وشرف الأعضاء الذين غيروا.

وهو يطلب النظر فى شكواه، والعمل على صون كرامته، وكان ذلك فى ٢٥ يونيو. وبعد عودتى إلى مصر ورد لى من الجناب العالى باسم محمود محمد افندى أحد موظفى الديوان العربى رسالة مؤرخة فى ١٣ يوليو، وفيها: «إن الجناب العالى اطلع على شكوى المفتي التى قدمها للقائمقام، وأمرنى باستحضار المفتي وتعيينه على شكواه وطنه فى الشيخ الأكبر، وبأنه كان الأولى تقديم هذه الشكوى لى الجناب العالى بدل تقديمها لى رئيس النظارة؛ ثم أطلب كذلك شيخ الأزهر، وأخبره باستياء الخديو لهذه الأعمال التى تستدعى تكدير خاطره فى السفر الذى قصد منه لى الراحة والاستشفاء، وأن سموه كان قد نبه على الشيخ قبل سفره بتلافى مثل ذلك إذا حدث.

والخلاصة أن الجناب العالى لا يريد مطلقاً أن تتكرر هذه الفصول وتلك الضججات، ولا سباً بين رجال الأزهر.

وقد قلت بما كلفت به فى أسلوب أدبى لا يفضب الشيخين.

ثم وردت لى رسالة أخرى بتاريخ ٢٢ يوليو، وفيها يأمر الخديو أن أستحضر الشيخ المفتي، وأخبره بأن الخديو مقتنع الآن بأنه يعنى بالمسائل الشخصية، أكثر من أى شيء آخر، وأن هذه هى النقطة التى كان يخشى سهوه أن تسقط مركزه ومهابته، ودليل ذلك ما حدث الآن من دسائسه فى حق شيخ الأزهر؛ وأن شيخ الأزهر غير كفء حقيقة لأنه مكنته من التحدث ضده؛ ولكن الجناب العالى لا بد أن يتخذ خطة إزاء شيخ الأزهر وإزاء المفتي معاً عند عودته، وأنه منذ اليوم قد أمر بفصل ابنه الموظف بالأوقاف الخصوصية؛ ويأمر جنابه بتبليغ هذا القرار لى مدير الأوقاف الخاصة للعمل به من اليوم؛ أما الشيخ نفسه فسيكون حسابه معه يوم يعود.

(٥) وهو يومئذ الشيخ حسونة النواوى

وفي الرسالة أمر كذلك بأن أقابل شيخ الأزهر وأفهمه أن يسير في طريقه دون تغيير في خطته حتى لا يفهم أحد أن المفتي ظفر به أو فاز عليه .
وأن أقابل بطرس باشا وأخبره بأنه إذا حضر له المفتي فإنه يعنفه ويفهمه بأن ما حدث من الجناب العالي في موضعه ،

وأن أنه على أحمد شوقي بك بالإيعاز إلى الصحف الوطنية لتعلن طرد ابن الشيخ المفتي من الأوقاف الخديوية ، حتى يذاع الأمر ويعلمه الجميع .
فقدت هذه الأوامر في الحال ، وحاول الشيخ المفتي أن يبريء نفسه ويشكو من قسوة القرار القاضي بفصله ، ولكنني أريته خطأه في تصرفاته .

وفاة البرنس محمد إبراهيم وعبد الدين . في ٢٠ أغسطس توفي في فرنسا

البرنس محمد إبراهيم وحيد الدين ، وشيعة جنازته في ٤ سبتمبر بالاسكندرية وفي اليوم التالي بالقاهرة ؛ ودفن بمدفن الامام الشافعي؛ ورافقت جنازته من الاسكندرية إلى القاهرة حرمة البرنيس صاحبة هاتم والبرنس ابراهيم حلى باشا ، وبعض البرنسات .



البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين

وشاية بمقبرها انفاص مرتبى . في ١١ أبريل قصدت إلى المستشار المالي وأتممت :
— بناء على الأمر — معه موضوع الزيادة المطلوبة لمراتب الديوان الخديوى في الميزانية — وكانت لم تتغير من عهد توفيق — فأصدر الأوامر اللازمة لتنفيذها .

وكنت قد لاحظت أثناء وجود الخديو بالاستانة تغيراً من ناحيتي لم أعرف سببه في حينه ، وبعد رجوعي للقاهرة جاءتني رسالة بتاريخ ٩ يوليو من جنيف بامضاء (محمود محمد) بأنه بناء على الأمر الخديوى يجب أن يكون مرتبى كمرتب عزت بك ألفاً ومائة جنيه بدلاً من ألف ومائتين كما هو الآن ، وذلك لأن سموه لاحظ ألا يكون هناك فارق في مراتب رؤساء الديوان . وقال لى محمود محمد افندى في الرسالة : إنه عرض

مذكراتي في نصف قرن ج ٢

لسموه أن هناك وفرأ في ميزانة السراى يمكن أن يكمل منه مرتب عزت بك إلى ألف ومائتى جنيه فأمر سموه بيقلم المتوفر ، ووعده بأن يكمل مرتبتنا في العام الآتى .

وقد فهمت ، عند وزود هذه الرسالة ، أن لما شعرت به من تغير الجناح العالى نصيباً من الصحة ، حاولت أن أعرف السر فى ذلك . وأخيراً علمت أنه أثناء وجودى بالاستانة وشى فى حق لى سموه باتى أمرت بصنع سقالة ، لوابور ، فيض ظفر ، لى مصلحة الركائب ومن أخشابها . وهذه الوشاية تطوع بها زامر افندى ضابط بوليس السراى .

وعلى أثر ذلك بعثت برسالة لسمو الخديو أنى فيها مارق اليه ، وأبين أنى دفعت ثمن السقالة ، لمصلحة الركائب ، وكذلك كل ما تكلفه فيض ظفر ، من الاصلاحات وبعثت بالايصالات التى تبنت ذلك ، ورجوت سموه صفاء خاطره من ناحيتى مع استعدادى لتنفيذ إرادته فيما يختص بمرتبى - وإن كان الثؤلم فى ذلك أنى أنا الذى سأقدم الميزانية لنظارة المالية وسأعاقب نفسى بيدي ... الخ .

وفى ٢٧ أغسطس جادنى رد بامضاء محمود محمد افندى يتلخص فى : أن الجناح العالى لم ينظر فى مسألة المرتبات إلى الوشاية التى ذكرتها فى رسالتى ولم يبد على سموه أى غضب أو تأثر حينما أمر بذلك ، وأنه متأكد أن الجناح العالى سيقب بوعده فى العام القادم .

وفى ٢ أكتوبر قدم الخديو من الاستانة وكنت فى المستقبلين ، وقد أردت أولاً أن أعاطبه فى الموضوع ، ولكنى فضلت الانتظار حتى تسنح فرصة مناسبة : وكان ذلك فى يوم ٤ أكتوبر إذ استدعانى سموه إلى قصر المنزه ، واستقبانى ببشاشة ولكنى كنت لا أزال منقبض الصدر ، وقد سألتى رأى فى تعيين زامر افندى ، ملاحظاً لمربوط ، وكان أمره قد صدر بذلك ، فاتهزت الفرصة وقلت لسموه : لولا أن هذا الرجل فى خدمة أفندينا لما تأخرت عن مقاضاته ! أمام المحاكم على وشايتة وزعمه أنى استخدمت سقالة ، لمصلحة الركائب فى فيض ظفر مع أنى دفعت ثمنها كما ينطق بذلك السند الذى بعثت به لأفندينا ، فطيب خاطرى من هذه الوجهة ، وأرائى ، فى تल्प ، أنى مخطئ فى تكليفى واحداً من المصلحة بعمل السقالة ، ، وكان الأولى أن أوسط أجدأ صحابى . فقلت لسموه : لى لم أجد بين صحابى من أستطيع تكليفه هذا العمل . ثم قال لى : لى أعرف أنك دفعت أجراً عن كل شىء أجرى فى فيض ظفر . ولكنهم خدعوك واستخدموا عمال المصلحة . ثم أشار لى من طرف خفى أن أحمد الله على

أنه لم يعاملني كما عامل عزت بك وغيره ، وذلك لأنه علم أنني دفعت نقوداً ؛ أما هم فاستخدموا بعض الزوارق لمصالحهم الخاصة .

وفي أواخر أكتوبر أتممت عمل ميزانية المعية وعرضتها على سموه وقلت : إنه بناء على الأمر وضعت يدي أمام اسمي ١٤٠٠ جنيه في العلم وكذلك أمام اسم عزت بك ؛ ولكن يا أفندينا ماذا يكون موقفى أمام المالية التي قررت لي ١٢٠٠ جنيه ؟ ، فأجابني : يا شفيق ، أنت تعلم أن حسن عاصم باشا مع تمسكه بالرياسة ووجهه أن يعمل مستقلاً لم يعمل ما عملته أنت . ، ففرفت في الحال سبب غضبه وهو أنني كتبت في الميزانية عناوين جديدة لبعض الوظائف ، فاعتذرت عن ذلك لسموه بأن غرضي أن تكون ميزانية المعية مرتبة ، واستسمحته في أنى لم أستشره في ذلك فنظر في الميزانية ورأى فيها وفراً فأضاف منه إلى مرتبي ومرتب عزت بك مائة جنيه لكل منا ؛ وقدمت الميزانية على ذلك .

مبارزة ونسواى . كان من أعظم حوادث هذا العام حادثة دنشواى المروعة التي اهتزت لها البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وكان لها أسوأ الآثار ، وخلاصتها أن فرقة من الجنود الإنجليزية خرجت مع ضباطها قاصدة إلى الاسكندرية بطريق البر ؛ وكانت الحكومة قد أرسلت أوامراً إلى العمدة والحكام الإداريين بالعمل على راحتهم عند مرورهم ببلادهم ؛ فلما وصلت هذه الفرقة إلى منوف أخبر بعض رجالها مأمور المركز برغبتهم في الصيد ببلدة دنشواى المشهورة بكثرة حمامها ، وتوجه إليها بالفعل خمسة من الضباط للصيد ؛ ولما وصلوا إليها انحدر بعضهم إلى أجران البلدة ، وأراد أحدهم صيد حمامة فأخطأ التصويب ، وجرح امرأة كانت تسوق النورج ، واشتعلت النار في ذلك الجرن ؛ وكان زوج المرأة حاضراً فهجم على الضابط وأراد أن يقوده إلى مركز الحكومة ؛ واجتمعت حولها الأهالي ، وجاء بقية الضباط لانتقاد زميلهم ؛ وفي أثناء ذلك حضر الحفراء وشيخهم لانتقاد الضابط ، فظن بقية الضباط أنهم آتون للفتك بهم فأطلقوا النار عليهم ، فأصيب شيخ الحفراء وعدد من الأهالي .

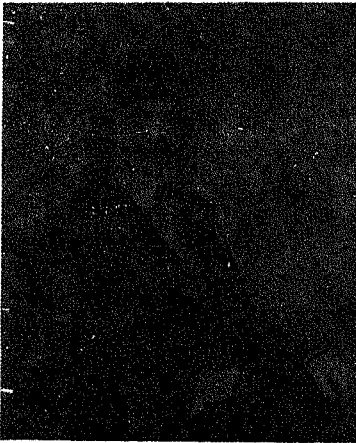
وعندئذ هاج السكان ورجعوا الضباط بالحجارة ، وضربوهم بالعصى النليظة ، فأصيب منهم المساجور كوتين وجرح اللتنت سميث ؛ وقد قبض الحفراء على هذين الضابطين وثالث مهمم وجردوهم من سلاحهم وجسروهم حتى جاء ملاحظ البوليس ، وأوصلهم إلى معسكرهم . أما الضابطان الآخريان ؛ وهما الكابتن بول والطبيب البيطرى ، فخربا وقطعا نحو ثمانية كيلو مترات عدواً ، ثم سقط الكابتن صريعاً لأنه كان مصاباً

بجراح خطيرة وتوفى على الأثر . واخيراً توجه الطبيب وأخبر العساكر فحضروا على الفور ، وقبضوا على من كان حول القتييل من الأهالي وفرق أحد الأهالي من أمامهم قبعوه وقتلوه ومثلوا بجثته

وأبلغ الحادث إلى السلطات العليا فحضروا في الحال مستشار الداخلية ومدير المنوفية ورئيس النيابة وعدد عظيم من رجال البوليس مسلحين بالبنادق والسونكي ؛ وقبض على عدد كبير من اهالي دنشواى ، وبدى بالتحقيق معهم في الحال ؛ واستمر التحقيق عدة أيام ؛ ثم صدر القرار باحالتهم إلى المحكمة المختصة في يوم ٢٤ يونيو ليحاكوا أمامها ؛ وكانت مؤلفة من بطرس غالى باشا رئيسا ، والمستر هيتر وفتحي زغلول بك والمستر بوند والقائمقام لادول القائم بأعمال المحاماة والقضاء في جيش الاحتلال .

ثم وقف عثمان بك مرتضى وتلا قرار نظارة الحفانية بعقد المحكمة المختصة للنظر في التعدي الذي وقع في ١٣ يونيو ؛ ثم قرأ تقرير الاحالة الصادر من سعادة شكرى باشا مدير المنوفية بناء على اتدابه من حكمدار العاصمة ، وهو يتضمن تفصيل الحادثة .

وعلى أثر ذلك قام ابراهيم الهلباوى بك المحامى العمومى وذكر وقائع الحادثة ، وقال : حيث إن هذه الجريمة من الجرائم الشديده ، فنطلب معاقبة المتهمين بأشد عقوبة بعد سماع شهادة الشهود . . وكان محامو-المتهمين هم أحمد لطفى بك ، ومحمد يوسف بك . عثمان يوسف بك . واسماعيل عاصم بك .



ابراهيم الهلباوى بك



أحمد فتحي زغلول بك

وبعد انتهاء الاستجوابات والدفاع قام ابراهيم الهلباوى بك وقال : لا يوجد مصرى لا يشاركتنى فى شعورى نحو الحادثة ، ولذلك أطلب الحكم على المتهمين بأشد عقوبة .
ثم قال : و فاذا تقدمت اليكم و طلبت رفع كل رحمة من نفوسكم لمعاينة هؤلاء المتهمين و خصوصا رؤساء العصاية لا أكون مقالياً .

وفى ٢٧ يونيو أصدرت المحكمة حكماً لا يقبل الطعن وهو يقضى على أربعة بالاعدام ، وعلى اثنين بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وعلى واحد بالسجن خمس عشرة سنة ، وعلى ستة آخرين بالسجن سبع سنين ، وعلى ثلاثة بالحبس مع التشغيل سنة ، و جلد كل واحد منهم خمسين جلدة ، وعلى خمسة بجلد كل واحد منهم خمسين جلدة ؛ و تبرئة الباقين و الافراج عنهم فى الحال إن لم يكونوا محبوسين لسبب آخر .

وفى يوم الخميس ٢٨ يونيو نفذ حكم الاعدام و الجلد فى وقت واحد فى قرية دنشواى .
وكانت الاجراءات الشنعة التى لجأ اليها رجال الاحتلال فى هذا الحادث مثار سخط عميق فى مصر و الخارج . و أذكرى هذا السخط ما قام به مصطفى كامل من الحملات القوية فى مندليات أوروبا و صحفها منوها بفضاعة الأحكام التى صدرت و شذوذ الاجراءات التى اتبعت و كونها تتنافى و أيسط قواعد المدنية و العدالة و الانسانية . و كان لهذه الحملات أثرها فى إنجلترا ذاتها ، و تأثر بها فريق كبير من الرأى العام البريطانى و لاسيما دوائر الاحرار ؛ و ظهر صدق هذا الأثر فى البرلمان حيث استجوب السير ادوارد جراى عن حادثة دنشواى ، فلم يجد ما يدافع به عن خطة المحتلين فى هذا الحادث سوى اتهامه المصريين بالتعصب و بأن هذا التعصب قد بلغ حداً يخشى منه على شمال إفريقيا كله .
ولكن المصريين ، و حتى النزلاء الأجانب فى مصر ، احتجوا على هذه التهم الباطلة ، و دوسى هذا الاحتجاج ثانية بين أرجاء البرلمان الانجليزى ، فاضطر السير جراى فى تصريح ثان أن يستبدل كلمة التعصب بكلمة القلق . و كان لهذا التراجع مغزاه و أثره فى الافراج عن المحكوم عليهم فى حادثة دنشواى كما سيحى .

وقد نوهنا فيما سلف بقطع العلاقات بين الخديو و مصطفى كامل فى سنة ١٩٠٤ فلما عزم مصطفى على السفر لأوروبا لقيامه بالمداخلة عن شناعة هذه الحادثة رأى أنه من الواجب عليه أن يمد الصلات الحسنة بينه و بين الخديو حتى يستدير برأيه و يظهره على إثارة الرأى العام فى أوروبا و إنجلترا ضد هذا الحادث . فكانت الخديو بوساطة قوافل عباس و أبلغت مصطفى ذلك فسافر إلى باريس فلتندره و قام بحركة ضد كرومر و خطب

هناك خطباً كبيرة في مجمع من الكبراء كما كتب عدة مقالات في الصحف الفرنسية وخصوصاً الفيجارو .

وانتهت جهوده باثارة الرأي العام الانجليزي نفسه على شناعة الاجراءات التي اتخذت ، وبما وقع في مجلس العموم الانجليزي من استجواب كان له أثره في صدور العفو عن مسجونى دنشواى كما سياتى ..

الحريو والنظام والدمجيز . في يوم ٢٦ اكتوبر زار اللورد كرومر الجنباب العالى وأبلغه أنه اتفق مع ناظر خارجية انجلترا على توسيع اختصاص النظار ، والقسم من سموه تعيين سعد بك زغلول ناظراً للعارف ، فوعده سموه بابداء رأيه في القدر . وبعد المداولة في اليوم التالى بينه وبين رجال المعية ، قر الرأي على أن أقابل مصطفى فهمى باشا وأبلغه موافقة الخديو على هذا الاقتراح . وقد تسلمت الذكريتو الخاص بذلك وعدت للاسكندرية فوقعه سموه ، وأعدته ليلا .

ولم يرتح الخديو أولاً لتعيين سعد زغلول ، ولكنى تعاونت مع الدكتور صادق رمضان ، طبيب المعية ومن أصدقاء مصطفى كامل ، على تحسين العلاقات وإزالة سوء التفاهم الذى يرجع إلى كثرة اختلاط سعد بك بالمرحوم الشيخ محمد عبده (*) .

وفي ٣ نوفمبر صدر لى الأمر بالنظر إلى القاهرة ومقابلة بطرس باشا وتفهميه أن الجنباب العالى كان ينتظر منه بعض معلومات عن مسألة الأزهر وعزم شيخه على الاستقالة وعمما إذا كان الشيخ شاكر يصلح خلفاً له . وذلك قبل مقابلة المستشار المالى لجنابه حتى يكون على بينة من هذه الشئون ، وأن الجنباب العالى ينوى عند استقالة شيخ الأزهر أن يطلب تعيين الشيخ حسونة أو الشيخ شاكر . وأن أسأله رأيه كذلك فى حضور البرنس محمد على باشا صلاة الجمعة اليتيمة بجامع عمرو بالنيابة عن الخديو ، وكذلك رأيه فى أن يرسل برقية لسكرومر يوم عيد الملك بالاعراب عن أسفه لعدم سهود هذه الحفلة أو يكتبنى بارسال برقية تهنته للملك .

فوافق بطرس باشا على مسألة الانابة فى صلاة الجمعة ورأى أن يرسل الخديو برقية بالاعتذار . أما مسألة الأزهر فاستحسن بقاء الحال على ما هى عليه وحمل شيخ الأزهر على عدم الاستقالة ، لأن الظروف غير ملائمة الآن .

(*) وقد منح سعد بدينه رتبة الباشوية .

تأسس شركة لبتاندرار واوستاندرار . تم الصلح بين الخديو ومصطفى كامل كما نوهنا سابقاً دون أن يتقابلا . فلما رجع الخديو من أوروبا إلى الاسكندرية ثم عاد إلى القاهرة وكذلك رجع مصطفى كامل من أوروبا في ١٥ أكتوبر توسط الدكتور صادق رمضان ومهد السبيل للمقابلة وفعلا اجتمع مصطفى كامل والدكتور صادق رمضان ومحمد فريد بك ولطيف سليم باشا وقابلوا الخديو في سراى مسطرد واتفقوا على تأسيس الحزب الوطنى وجريدتى لبتاندار الفرنسية والاساندارد الانجليزية . وأوعز الخديو سراً إلى الكثيرين من الاغنياء بالمساعدة ومنهم البرنس جميل طوسون واحمد مدحت يكن باشا وعمر سلطان بك ومحمد بك فريد كما وعد الخديو بالمساعدة في هذا المشروع . وقد تكررت المقابلات السرية بينهم والخديو في جامع سيدى التبرى بزمام القبة . وقد علمت هذه التفاصيل من عباس . وقد سرنى هذا الوفاق .

وفي ديسمبر سافر مصطفى ومحمد بك فريد إلى أوروبا لانتخاب المحررين في الجريدتين .

وعاد الخديو إلى القاهرة في ٢٤ نوفمبر ، وفي ٢٩ منه قابل اللورد سموه وقال له : إن وكالة روتر ورد إليها تلغراف فيه أن جريدة التيمس نشرت مقالا لمكاتبها في مصر يدعى فيه أن الخديو يمضد مصطفى كامل بالمال لنشر جريدة فرنسية (٥) ، واتقد للورد هذا العمل بشدة ، فأجابه الخديو بأن ذلك لا أصل له وأنه لم يتقابل مطلقاً مع مصطفى كامل ولم يمدده بمعاونة ما ، لا مباشرة ولا بالواسطة ؛ فقال اللورد ربما كان المشجع من أعضاء العائلة الخديوية ، فأجابه سموه بأن أغلبهم فقراء ولا يستطيعون بذل مثل هذه المعاونة ؛ فقال اللورد : إن محمد بك فريد يمدد بالمال . ، فأجاب سموه بأن هذا البيك ليس من العائلة الخديوية ولا سلطان للخديو عليه .

وقد رأيت الخديو عقب هذه المقابلة فوجدته في غاية الغضب والتأثر ، وقال لى إنه لا يطيق صبراً على هذه الحالة ولا يحتمل هذه الاهانات بل يفضل الاعتزال على هذه المعاملة ، فبدأت روعه واشترك معى في ذلك محمود بك صادق من رجال المعية . وقد جال بخاطرى أن جنوح الانجليز إلى هذه المعاملة يرجع إلى مسألة طابا وعلمهم أن الخديو كان في الظاهر معهم وفى الباطن مع السلطان وأكد ذلك لديهم عدم حضوره في حفلة الملك .

(٥) جريدة (L'Etandard égyptien) التى صدرت ببدمت سنة (١٩٠٧) .

مسألة الرتب أيضاً . في ٢٨ ديسمبر تقابل المستشار المالى مع الخديو ، فتحدث إليه في أمر الرتب والنياشين ، وأنه من الضروري أن تطلبها الحكومة للموظفين والأعيان في عيد الجلوس ؛ وطلب الرجوع إلى دكتور رياض باشا الذى يقضى بذلك فرأى سموه تأجيل البحث في هذا الموضوع حتى يقابل اللورد كرومر في الغد .

وفي اليوم التالى ، وهو المحدد لمقابلة اللورد كرومر ، حضر الشيخ على يوسف أولاً وتحدث معه الجناب العالى في الموضوع ، وعرض على سموه أن يقبل إعطاء الموظفين رتباً ونياشين . أما العمدة والأعيان فلا ؛ لأن المفتشين الانجليز يوعزون للديرين بإعطاء صنائعهم أو من يقدمون الرشوة إليهم .

ثم حضر اللورد بعد ذلك وتحدث مع عباس ولكنهما لم يصلا إلى نتيجة حاسمة ؛ وكان سموه عقب المقابلة في حالة تأثر وانفعال شديدين .

سنة ١٩٠٧

الإنجليز وهير الجاوس الخديوي . كيف أنشئت الجامعة (الأهلية) وانتخب رئيسها . التزامهم على صحيفة الأزهر . مدرسة القضاء الشرعي . تقرير كرومر عن الحركة الوطنية . اصدار جريدتي ليتاندار والاستاندارو . أماديت سياسة الخديوي . اقالة اللورد كرومر وتعيين السير الدود جورست مكانه . جورست وسياسة الوفاق الجريد . أرضى مهرد الخديوي . الأزمة المالية . قيام الامتياز المصرية . من استبعاد عباسي .
شؤون مختلفة .

الإنجليز وهير الجاوس الخديوي . انتهى العام الماضي وبين الخديوي والمحتلين سوء تفاهم مستحكم الحلقات يعود بالأخص إلى مسألة طابا وموقف الخديوي منها ، وإلى عدم حضور سموه حفلة عيد الملك . واستهلت سنة ١٩٠٧ ، والجوقا تم ، والاحتكاك يضطرب بين الخديوي وكرومر ورجال الاحتلال ، وتمتد آثاره إلى كل المشروعات العامة بل والخاصة التي عرضت في أوائل هذا العام .

امتد هذا الاحتكاك إلى مشروع الجامعة وتأليفها وإلى مسائل الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي وإلى علاقة الخديوي بنظاره ولا سيما سعد زغلول باشا ، كما امتد إلى شؤون المسألة الخديوية الخاصة ، فتدخل الإنجليز فيها وفي سواها . ولما كانت ظواهر هذا الاحتكاك متصلة متشابكة ، فقد آثرنا سرد الحوادث متتابعة بتاريخ وقوعها ، لأنها تكاد تكون مرتبة ترتيباً طبيعياً ، ومدارها النزاع بين سلطة الخديوي وسلطة رجال الاحتلال .
في ٦ يناير حضر عندى طورنيزن باشا وطلب منى كشفاً بأسماء المدعويين من الإنجليز في الأوبرا ليلة عيد الجلوس لاعطائه لواطسون باشا الياور الخديوي وقد قال

له إن كرومر يود أن يحضر هذه الحفلة ، وأن يطلب إلى الانجليز المدعويين عدم التأخر ليكون ذلك بمثابة ترضية لسمو الخديو عما كان من سوء تفاهم بينه وبين اللورد ؛ ولعل من الأسباب التي حملت اللورد على ذلك - فضلا عما تقدم - ما كان من أثر حادثة :نشواي المعروفة في العام المنصرم وشعوره باستياء المصريين جميعاً منها ، والحملة التي شهرها عليه مصطفى كامل في أوروبا ؛ وهي حملة كان يتهم الخديو بأنه يمدّها بالمال عن طريق محمد بك فريد .

وقد أجهت طورنيزن باشا بأن الكشف المطلوب عند رئيس لجنة الاحتفال ، وهو عبد الحميد باشا رئيس مجلس شورى القوانين قد ذهب لأخذه منه وقد علمت أنه وجد في هذه الحفلة عدد من الانجليز .

عيد الجلوس في الأزهر : وفي ٨ يناير كان عيد الجلوس ، فأتدبني الخديو لحضور الاحتفال الذي سيقام في الجامع الأزهر لهذه المناسبة ، وكان الأزهر يضيء بالأنوار في الداخل والخارج وقد فرشت به الأبسطة وجلس الحضور عليها ، وفي وسطهم الشيخ محمد شاكر نائباً عن الشيخ الشربيني شيخ الأزهر ، وعن يمينه الشيخ أبو الفضل وعن يساره المفتي .

واقترنت الحفلة بتلاوة القرآن الكريم ، وبعدها قام أحد العلماء وخطب معدداً مناقب الخديو وداعياً له ولأنجاله ؛ وبعد أن انتهى قمت وشكرت الخطيب على شريف شعوره ، وقلت : وإن هذا الشعور يتخلج بلا ريب في صدور كل المحتفلين المخلصين للسدة الخديوية . ثم شكرت القائمين بأمر هذا الاحتفال الجليل ، ودعوت لسمو الخديو . واختتمت الحفلة بقرأة ما تيسر من القرآن ؛ وبعدهم قال لي الشيخ شاكر :
« هذه أول مرة شكر المنسوب الخديوي فيها المحتفلين ١١ »

كيف أنشئت الجامعة (أوهلمية) وانتخب رئيسها . أثار الأستاذ أحمد حافظ عرض على صفحات المؤيد نقاشاً ومناظرة في موضوع : « أيّ أضع للقطر المصري في حالته الحاضرة الكتابيب أم مدرسة كلية عالية ؟ » وذلك في سنة ١٩٠٥ . وقد استدرجت المناظرة كثيراً من الكتاب للاشتراك فيها على صفحات الجرائد المختلفة وانتهت بنيران طائل ولا نتيجة .

أما الخطوة الأولى الأساسية في بناء الجامعة فقد بدأها مصطفى كامل العمراوى بك في العام الذي يليه ؛ فقد رأى قصور المحصول العلمي في مصر عن إرواء من شاء

التعمق في العلم ، وكان لزاما على من يريد استكمال معارفه التحول إلى أوروبا ، وفي ذلك ما فيه من مشقة في السفر وبعد عن الأهل وإرهاق في التفقات . ففكر في إنشاء جامعة تضم كليات مختلفة على مثال جامعات أوروبا تكفي طالبي العلم . وفكر في الدعوة لمشروع الجامعة والتبرع لها . وكان ذلك في سنة ١٩٠٦ . بنى سويف ، وكان مستشاره القانوني في ذلك الأستاذ نجيب شقرا بك المحامي .



مصطفى كامل للشراري بك

بدأت الخطوة الأولى العملية في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٦ ، بأن نشر نداء في جميع الصحف العربية والأجنبية في مصر داعياً لفكرة الجامعة مهيباً بالقادرين من الأمة أن ينزلوا الميدان . قال في نداءه :

« كثر بحث الجرائد في الزمن
الآخِر في ارتقاء المعارف في مصر .
والمعارف والعلوم ، كما يعلم الناس ، حياة الأمة
وركن ترقيا وتقدما . وقد استلقت أحد
المحامين بمقالة نشرها في إحدى الجرائد أنظار
المرحوم منشأوى باشا إلى تخليد ذكره

بإنشاء مدرسة جامعة ، فصادف الاستلفات أذنا واعية وكان في نية المرحوم إنشاؤها
لولم يعاجله القضاء . فهل تعجز الأمة المصرية ، وهي تزيد على عشرة ملايين ، عن أن تقوم
بمشروع حيوي نوى تنفيذه فرد واحد لم تكن ثروته تبلغ جزءاً يسيراً من ثروة غيره
من الأفراد ؟ وهل لا يعد إحجام أغنياء الأمة عن الاكتتاب دليلاً على أنها لا تزال
بعيدة عن الترقى الحقيقي ؟ وهل يعتقد الناس أن الوطنية تقوم بشقشقة اللسان أو ببذل
النفس والتفيس في سبيل الوطن وترقيته بالطرق التي تفيد ولا تضر ؟ بالطرق التي يجمع
عليها العقلاء المعتدلون .

هذه الأمور جالت في خاطري زمناً ، ووجدت أن من العار علينا أن نقف
وغيرنا يتقدم ، وأن نكتفي بالشكوى والتحصن من الزمان والأقدار ، وحقنا أن نشكوا
من قلة وطنيتنا وبخيلتنا على الأعمال العظيمة المرقية للوطن .

لذلك ، ولاعتقادي بأن على كل منا ديناً لوطنه يجب وفاؤه وعدم الماطلة فيه ،

بادرت للاكتتاب بمجمساته جنيه أفرنجي لمشروع إنشاء مدرسة جامعة مصرية على الشروط الآتية :-

أولاً : ألا تختص بجنس أو دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم فتكون واسطة للآلفة بينهم .

ثانياً : أن تكون إدارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة ممن يصلحون لإدارة مثل هذا المعهد العلمي الكبير وثبتت كفاءتهم للبلاد .

ثالثاً : أن يكتب على الأقل ألف من سكان مصر كل منهم بمبلغ لا يقل عن مائة جنيه ، ويجوز أن يزيد عن هذا المبلغ الى ما شاء كرم الواهب وجه لوطنه وللإنسانية .

رابعاً : أن يقام بناء هذه المدرسة الجامعة في بقعة خلوية من أجل بقاع مصر على شاطئ النيل ؛ وتعمل لها حديقة من أجل الحدائق وغير ذلك من الأمور التي يقررها المكتتبون .

ويقيني أن كل من في فؤاده ذرة من حب الوطن الحقيقي من اليسورين يجود بمائة جنيه أو أكثر لخير وطنه وخير أولاده ليربوا في وطنهم التربة الحسنة ولكي نبرهن للأمم الغربية على أن فينا بعض الاستعداد والكفاءة .

وأمل أن جرائدنا تترك النزاع الشخصي وتنشئ المقالات الضافية في استنهاض الهمة لاتمام هذا المشروع العظيم .

وفي الختام أقول إذا لم يجب هذا النداء ألف من أغنياء مصر ، وهم ألوف عديدة ، فلنضيء وجوهنا أمام كل الأمم ولنعترف بأننا عاجزون عن مباراة الأجانب في مضمار الحياة الأدبية والمادية .

وها أنا ذا في انتظار ما يكون ! فلعل أغنياءنا يقبلون بكلياتهم على هذا المشروع المفيد لأفرادهم وللأمة ، حتى يكون ذكر من يشترك منهم في هذا العمل خالداً في سجلات كبار الرجال الذين كانت لهم الأيدي البيضاء في ترقية أوطانهم ، وسيق لهم بين الخلق أثر جميل لا يمحي . .

وبناء على برقية وردت له من الشيخ علي يوسف حضر لمصر فأخبره صاحب المؤيد أن الخديوي راض عن هذا المشروع ومشجع له ، ويطلب منه الاستمرار فيه . فاتفق على أن يكون محل الاجتماع الأول برضاء الجميع في دار سعد زغول بك القاضي

مساء الجمعة ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ وقد غص المكان بالملمين للدعوة ، ومنهم رجال القضاء والعلم والسياسة والجاه ؛ منهم قاسم أمين بك وحفنى ناصف بك ومحمد فريد بك وعلى فهى بك وحسن سعيد بك وزكريا نامق افندى والشيخ عبد العزيز شاوئش واحمد رمزى بك وحسن مجوم بك وحسين السيوفى باشا ومحمد عثمان أباطه بك ومحمد راسم بك وحسين أبو حسين بك ومحمود الششبنى بك ومحمد يوسف بك وحفنى ناجى بك ومحمد هاشم بك وتشاوروا فى حاسة ويقين . وقد بلغت المبالغ التى اكتببها الحاضرون ٤٤٨٥ جنيه مصرى ، وقرروا ما يلى :

أولاً : انتخاب لجنة تحضيرية من حضرات سعد زغلول بك وكيلا ، وقاسم بك أمين سكرتيراً ، وحسن سعيد بك أميناً للصندوق ، ومصطفى كامل الغمراوى بك ومحمد بك عثمان أباطه ومحمد بك راسم وحسن بك مجوم وحسن باشا السيوفى وأخوئ افندى فانوس وزكريا نامق افندى ومحمود بك الششبنى أعضاء .

ثانياً : تأجيل انتخاب الرئيس الى الجلسة القادمة .

ثالثاً : نشر الدعوة فى جميع الصحف المحلية .

رابعاً : الاجتماع مرة أخرى بدعوة خصوصية لانتخاب الرئيس وأعضاء اللجنة النهائية .

خامساً : تسمية هذه الجامعة بالجامعة المصرية .

وكان احمد زكى بك قد انتخب سكرتيراً لمجلس الادارة فتكلم مع الغمراوى بك محاولاً إقناعه بتحويل هبته الى عقار لان حركة الاكتاب كانت قد ركدت وخيف عليها ، أما التبرع بعقارات فهو أساس متين ودعامة ثابتة للمشروع . فاقنع وتبرع بستة أفدنة قبعه الكثيرون فى ذلك وأقبلوا على الاكتاب .

رأى العميد الانجليزى لورد كرومر أن المشروع سائر فى سبيل النجاح وكان لم يصادف لديه هوى ولا قبولاً لما ينتظر فى حالة نجاحه من ثمرات طيبة فى سبيل ترقية مصر والنهوض بها ، فعاد لما بدى به عام ١٩٠٥ ونادى بأن الأمة أخرج الى التعليم الأولى من التعليم العالى ودعا لانشاء الكتاتيب وأقبل بعض الأعيان على إنشائها .

فأثبت بذلك إمكان القيام بمشروعى التعليم العالى الجامعى والتعليم الأولى فى آن واحد .

بعد ذلك عين سعد زغلول ناظراً للمعارف كما سبق؛ وكان الفكر السائد بيننا هو أن كرومر يريد بتعيين سعد في نظارة المعارف أن يبعده عن الاشتغال بالجامعة، ظناً منه أنه بذلك يقضى عليها، ولهذا أمرني الخديو بالتوجه مع اسماعيل أباطه باشا لمقابلة سعد، وأن نطلب منه، بأمر من سموه، ألا يقفل أمر الجامعة وأن يستمر لإشرافه عليها. فلما قابلناه وأبلغناه رسالة الخديو لم يؤكد لنا عزمه صراحة في تنفيذ هذه الرغبة ولكنه وعد بالأينساها. ولما أبلغنا الخديو ذلك لم يسر لتلك الاجابة.

فقام مقامه قاسم أمين بك وسعى في سبيل إنجاح المشروع وقابل الخديو وعرض عليه أن يأخذ سموه المشروع تحت رعايته واعتبار ولى المعهد رئيس شرف فقبل سموه ذلك؛ وبعدئذ قر الرأى على اختيار أحد البرنسات لمنصب الرياسة؛ واتجهت الأنظار أولاً الى البرنس حسين كامل باشا.

وقد كلفت من قبل الخديو بمقابلته لهذا الغرض، ولكنه اعتذر لسببين: الأول أنه أحس بعدم رضاء الانجليز عن وجوده في رياسة الجامعة، والثاني تخوفه من التبعات السادية في حالة عدم كفاية مواردها المالية. فعرضت الأمر بعد ذلك على البرنس عمر طوسون، فاشترط أن يكون هو رئيساً عاملاً ويكون ولى العهد رئيس شرف؛ ولما كان هذا مما لا يقبله الانجليز بحال، اتجهت أفكارنا الى البرنس محمد على باشا، ولكن اللورد كرومر عارض في ذلك أيضاً، فعرض الأمر ثانية على البرنس حسين كامل باشا، فاقترح تعيين شقيقه دولة البرنس احمد فؤاد باشا؛ إذ ربما لا يعارض المحتلون في قبوله؛ فأمرت بالذهاب الى بطرس غالى باشا لأعرض عليه الاسم الجديد.

وزارني بعد ذلك الشيخ على يوسف وقاسم أمين بك، فأخبرتهما بترشيح الخديو لدولة البرنس احمد فؤاد باشا فارتاحا لذلك.

وفي ١١ يناير عدت الى بطرس غالى باشا، بعد حضوره من الوكالة البريطانية، فأبلغني أن اللورد لم يبد اعتراضاً على المرشح الجديد.

وفي ١٧ منه توجهت بنساء على الأمر الى البرنس حسين كامل باشا لأخذ رأيه نهائياً في تعيين دولة شقيقه البرنس احمد فؤاد باشا، فأخبرني أنهما بحثا الأمر، وأنه نصح لدولته بالتروى والنظر في برنامج الجامعة وفي مقدار الاكتسابات وكفائتها.

وبعد ذلك كلفني الخديو أن أذهب الى تفتيش بردين لمقابلة البرنس احمد فؤاد باشا، وهناك قضيت السهرة في التفاهم مع دولته، وبعد أخذ ورد قبل هذا الترشيح، ورغب

في تعييني وكيلًا للجامعة، فعدت واخبرت الحديو بذلك فارتاح لهذا الحل .
 وتم الأمر بتعيين دولة البرنس احمد فؤاد باشا رئيساً ؛ وبعدها انتخني مجلس
 الادارة للوكالة . وكان الحاضرون من أعضائه أصحاب السعادة والعزة محمد علوي باشا
 مراقب الجامعة و عبد الخالق ثروت باشا واسماعيل صدق باشا ويعقوب أرئين باشا
 واسماعيل حسنين باشا ومقرس فهمي بك وعلي بهجت بك وجناب السير جاستون ماسيرو (*)
التراهم على مشيئة الأثر هر . وقف القارىء على ما كان بالأزهر من الدسائس
 في العام الماضي ولا سيما بين الشيخ الأكبر الشريفي وبين المفتي الشيخ محمد بكرى
 عاشور الصدي . ولما عاد الحديو من أوروبا في العام المنصرم أخذ الشيخ الشريفي إجازة
 وكان المفهوم أنها مقدمة لاستقالته نظراً لعدم ارتياح الحديو لما وقع ؛ فانتدب الشيخ
 محمد شاكر للادارة ، وبعد ذلك بدأ البحث في اختيار خلف للشيخ الشريفي وكان
 الاختيار معلقاً بين الشيخ حسونة النواوى والشيخ محمد شاكر ، ولكن نظراً لأن
 الأخير كان مقرباً من الحديو وبينهما صلوات وثيقة ، فقد كان المفهوم أن الانجليز لن
 يرضوا عن تعيينه ؛ وهذا ما حدث بالفعل حينما تقابل اللورد كرومر في يوم ٢٢ يناير
 مع الحديو للحدثة في الموضوع ، وانتهى الأمر بالاتفاق على إسناد هذا المنصب الى
 الشيخ حسونة النواوى .

وفي اليوم التالي أرسلني الحديو للفاوضة مع بطرس غالى باشا في رغبة سموه
 الانعام على الشيخ شاكر برتبة أو نيشان ليحدث اللورد في ذلك ، فلاحظ الباشا أنه
 أنعم على الشيخ منذ ثمانية أشهر بالمجدي الثاني ، وأنه منح منذ أيام قلائل علاوة قدرها
 عشرة جنيهات ؛ فإذا يقال لو منح ترقية أخرى ؟ قلت : إن المكافأة المطلوبة إنما هي
 لقيامه بإدارة الأزهر مدة انتدابه . فوعد بمحادثة اللورد في ذلك .

ولما عدت للحديو وعلم بما دار بيننا قال : « إذا سألتهم أنا شخصياً مع اللورد ،
مدرسة القضاء الشرعي . وعلى أثر ذلك سافر الحديو يوم ٢٨ يناير الى سيوه
 في رحلة استغرقت حتى يوم ١٩ فبراير ؛ فلما عاد أرسل رئيس مجلس النظار يقول إن
 المجلس سيعقد في يوم ٢٥ فبراير فلما أعلنت الحديو بذلك بدا على سموه الغضب ،
 وقال : « عجيب بأن مصطفى فهمي يعاملني كما في أحد النظار . »

وأمرني بأن أخبر بطرس باشا بالتوجه للعبة يوم ٢١ منه ، فلما حضر حادثه في

(*) تراجع سنة ١٩١٤ من هذه المذكرات .

تلك فأزال ما في نفسه من التأثر ووافق سموه على عقد المجلس في التاريخ المذكور . وكان من أهم المسائل المعروضة عليه مشروع مدرسة القضاء الشرعي ، ودارت بشأنه مناقشة طويلة حادة أبدى سموه فيها للمجلس عدم ارتياحه لهذا المشروع لعدم رضاه العلماء عنه ؛ وقد ظن سموه أولاً أن ناظر الحقانية إبراهيم فؤاد باشا معضد له في رأيه ، ولكن ظهر في النهاية بعدما أيد سعد باشا زغلول المشروع أن جميع النظائر معه ما عدا ناظر الأشغال حسين فخري باشا فقد انضم للتخديو طالباً بتأخير المشروع لجلسة أخرى ، ولكن الأغلبية انحازت لسعد باشا فلم يسع الخديو إلا أن يمضي القانون مكرهاً وهي أول مرة حدث فيها ذلك .

فلما خرج النظار تكلم سموه مع المستشار المال فقال لسموه : « إن ما فعلتموه سموكم هو عين الحكمة وبهذه الطريقة ارتفعت ، وصغر النظار . »

وقد بلغنا من سموه أن سعد باشا قال أثناء المناقشة في حدة ظاهرة : « حيثئذ لا يستطيع الإنسان أن يتكلم هنا . » وأنه ضرب يده على المنضدة ، وقال أيضاً : « إنه إذا فصلت مدرسة القضاء عن الأزهر ولم تنسب إليه يقال عن القاضي المتخرج منها إنه كافر . » وكان سموه متأثراً لذلك جدد التأثر ، وقد صرح لنا أنه منذ اليوم لم يحضر جلسات مجلس النظار ، لأنه سيرغم على الموافقة على مشاريع لا يريد بها وينسب إليه الرضاء عنها . وفي ٢٧ فبراير تقابلت مع سموه بحضور اسماعيل أباطه باشا ، فأبدى أسفه لما حدث في مسألة مدرسة القضاء الشرعي ، فقلت لسموه : « إنه يمكن لجنابكم المال القضاء على هذا المشروع بتنظيم الأزهر وإدخال الإصلاحات عليه وأن تقدموا له النعم والخيرات والمرتبات ؛ وقد ترك الانجليز لنا الأزهر فلم نفعل نحن شيئاً . » وقد سر اسماعيل أباطه باشا لفكرتي كما رأيت من الخديو ميلاً لتنفيذها .

وفي ٥ مارس تقابل للورد مع الخديو ودار الحديث حول عدة مسائل من بينها مسألة المدرسة ، فأثنى اللورد على سعد باشا ومقدرته وذكائه ، كما امتدح بهذه المناسبة خطبته التي ألناها في الجمعية العمومية عن وجوب التعليم باللغة العربية . فرد سموه بأن مشروع المدرسة قد أثار غضب العلماء ، وأنه كان الأولى التريث فيه فقال للورد : « ولكن المفتي وشيخ الأزهر بحماه ولم يعترضوا عليه . »

تقرير كرومر عن الحركة الوطنية . يلاحظ اللورد في تقريره عن سنة ١٩٠٦ أن الحركة القائم بها بعض المصريين لتأسيس حزب يدعون أنه الحزب الوطني هي

شيء جديد لم يسبق له وجود في مصر؛ إذ أن المصريين لم يكونوا مستقلين في عصر من العصور، بل تقلبوا من جيل إلى جيل تحت نير الفرس واليونان والرومان والعرب والجركس وأخيراً الأتراك، وإنه لا يوجد إلا عصر الفراعنة المظلم الذي يظن أن المصريين حكموا فيه أنفسهم.

أما الحزب القائم بالحركة الحالية إن لم يكن قائماً بكيته على أساس التعصب الاسلامي فإن ذلك التعصب هو سلاحه وأنشودته.

وهو يستتج ذلك من كون المحرك الوحيد الذي يؤثر على شعوب الشرق هو الدين، وأن شكل الحكومة الدينية هو الوحيد الذي يميل إليه الشرقيون ويعتزون به. ولهذا يجب على الدول أن تلاحظ حركات التعصب الاسلامي أينما ظهرت؛ لأنه يخشى منها لإفلاق النظام وتكبير الراحة العامة كما كاد يحصل في الربع الماضي في القطر، غير أن اللورد لا يظن أن ذلك الحزب المستر تحت رداء الوطنية تقوم له قائمة، ولا أن مبادئه المتعصبة تسرى في عروق الأمة المصرية لأن القائمين به أفراد مغرورون لم يولم أحد الزعامة. بل يظن أنه يوجد في القطر حزب آخر أجدر بأن يلقب بالحزب الوطني، وهو مؤلف من عقلاء الأمة الذين يشتغلون بسكون وصبر لما فيه المصلحة العامة، وتقدم البلاد؛ وهو يسميه حزب تلاميذ المغفور له الشيخ محمد عبده، ويستشهد بواحد منهم وهو سعد زغلول باشا ناظر المعارف الآن.

اصدار جريدي ليتاندار واوستاندارو. في ٣ مارس صدر أول عدد من ليتاندار اجبسيان، باللغة الفرنسية و الاجبسيان استاندارد، باللغة الانجليزية. وهاتان الجريدتان أسهما مصطفي كامل عقب حادثة دنشواي وقام فيهما بحملة شديدة ضد انجلترا بسبب هذا الحادث؛ وكانت نتيجة هذه الحملة أن وزير خارجية انجلترا، بعد أن اتهم المصريين، بايماز كرومر، بأقبح التهم، وبعد أن أقره على خطئه واستحسن كل ما أتاه، عاد فسحب ما قاله من الالفاظ الخارجة في مجلس العموم؛ ثم بعد ذلك عزل اللورد كرومر شر عزلة، ولم تمض بضعة أشهر حتى أعقب ذلك صدور العفو عن مسجونى دنشواي وأفرج عنهم بمناسبة عيد الجلوس في ٨ يناير سنة ١٩٠٨.

أهاريدى سياسي للفحميرو. في ٢٤ مارس نشرت جريدة الاجبسيان استاندارد تصريحات كان قد أفضى بها الخديوي لمكاتب الطان وهذا نصها: «أنا أحب بلادى حباً صحيحاً كما يعرف كل مصرى كيف يجب أن يحبها وتعلقنا بهذا الوطن عظيم، فهو وطننا مذكوراتى فى نصف قون ج ٢

الخاص وفيه خيرنا وله كل محبتنا ونكره أن نموت في وطن آخر سواه .

ويدهشني ما يديده المصري من السهولة العجيبة في اقتباس التهذيب الأوربي ، ولقد حان الوقت ليبدل كل جهد لتحقيق أمانى الشعب المصرى فيما يتعلق بتقدمه . ، وأنكر سنوه بصفة قاطمة وجود أقل تعصب في مصر ، وقال : « إن الشعب المصرى صالح من طبعه ، وعامل أمين لين العريكة ، كما أن التسامح من أعظم قواعد ديننا . » ثم تكلم عن التهمة الموجهة إليه ، وخلاصتها أنه يريد أن يوجد لنفسه سلطة شخصية ليستعملها على النمط الشرقى ، فقال : « إننى تعلمت وأدركت بواسطة تربيته الأوربية أنه لا بد من اتحاد الأمة مع ملكها في العمل لمصلحة البلاد وحسن إدارتها . أما الحكومة الاستبدادية فانها عمل شاق ولا أقوى على احتماله . » وختم كلامه بقوله : « قد بذلت كل قوى عاملا لمصلحة بلادى وما عارضت مطلقاً في عمل اعتقدت أنه نافع لمصر ، ولم أرفض في حياتى الاصفاء للنصائح والارشادات . »

وقد نشرت اللواء ترجمة هذه التصريحات بالخط العريض ، بعد أن وزعت إعلانات يدوية تلفت فيها النظر لما ستشره .

وفي اليوم التالى طلب إلى الخديو أن أستدعى إليه الشيخ على يوسف فلبس قابله قاله : « الحقنا ! الولد مصطفى كامل عمل عملة بطالة ؛ أولاً وزع منشوراً أمس صباحاً فيه يلفت أنظار الناس لتصريحاتى ، ثم نشرها في جريدته بطننة ورتة . » وانفق الخديو مع الشيخ أن يكتب المؤيد اليوم والمنسبر غداً بأنه لم يكن ثمة ما يدعو لهذه الحركة الصيانية ، وأن ما قاله الخديو لمكاتب الطان هو نفس ما يقوله على الدوام محدثيه ؛ وبالفعل تم ذلك ؛ وقد قال سموه بهذه المناسبة أيضاً : « الغرابة أن رجالنا الباشوات وجدتهم أمس موافقين على ما فعله مصطفى كامل من الطيش ! ، وعلت من سموه أنه يعنى لطيف سليم باشا ، واحمد شوقى بك ، ثم قال : « وإن صاحبنا مستر موزلى (*) غاضب كثيراً لما حدث . » وقال أيضاً : « إننى لا أقول شيئاً ضد اعتقادى ، وحينما أقول أنا أحب مصر مثل حب المصريين لها ، وإننا لا نريد أن نموت بعيدن عنها لا بأبلغ ؛ لأننى فى الحقيقة لما ذهبت إلى الخرطوم ، وحينما أكون فى الاستانة كل سنة ، أرى على وجوه المصريين وعلى لسانهم حينئذ بلادهم ، وشوقهم الشديد للرجوع إليها حتى أصغر

(*) كان قاضياً فى المحاكم الأهلية وخرج منها ، واشتغل بمكاتبه بعض الصحف الانجليزية بلندن ، وهو محب لمصر والمصريين ، ونصوح للخديو فى الأعمال التى تهتم الانجليزية وخصوصاً بالنسبة للصحافة .

واحد فيهم مثل الشنه جي (*) الذي، في معية والدي . ،
وقد بلغني مما سمعته بخصوص مكاتب الطان ، أن مصطفي كامل باشا هو الذي
أوعز إليه بالتوجه إلى القبة ومحادثة الخديو ، وربما كان الوسطة أجد شوقي بك ؛
وبعد أن دون المكاتب رسالته عرضها بواسطة شوقي بك على الخديو لحذف منها بعض
عبارات ، ثم توجه بهما شوقي بك إلى موزلي لأخذ رأيه فقال : « إذا نشر ذلك يضر
ولا ينفع . » وألح في عدم نشر الحديث ، ولكن سموه رغماً عن هذه النصيحة أمر
بارسالها إلى الطان .

والنقطة الدقيقة في هذا الحديث ، هي التي تمس الحالة القائمة وفيها تليح لمسألة
المجلس النيابي في قول الخديو : « لئن تعلت في أوروبا وبأنه لا بد من اتحاد الأمة مع ملكها
في العمل لصالح البلاد وحسن إدارتها ؛ أما الحكومة الاستبدادية فانها عمل شاق
لا أقوى على احتماله . » ولو صدر هذا الكلام في وقت آخر لما كان له كبير أهمية ؛ وقد
قالت البروجريه ، وهي جريدة فرنسية محلية ميالة للسياسة الانجليزية ، بمناسبة هذه
العبارة : « اتضح الآن أن الخديو من الحزب الوطني، أي الذي يطلب المجلس النيابي . » ثم
وردت برقية بأن التيمس قالت : « إن سموه أظهر الآن أنه موافق على سياسة
مصطفي كامل . » وأنها تهدده بأن يعدل عن هذا المسلك لأنه مدين لانجلترا بمركره .
وقد نهجت الجرائد الفرنسية هذا المنهج إلا أن الاجبشيان جازيت هونت الأمر
فكتبت تقول بأنه لا يوجد في حديث الخديو ما يوجب تهديد التيمس لسموه .
وزاد هذا الحديث توتر العلاقات بين الخديو والمحتملين .

حديث سياسي آخر : وفي ٣١ مارس كتبت الصحف حول الحديث الذي أدلى
به الخديو إلى المستر ديسى مكاتب الديلي لتعرفه قبل سفره لانجلترا ؛ وفي هذا الحديث
ينوه المكاتب بثلاث نقط مهمة :

(١) استنتج المكاتب من كلام الخديو أنه يرى الاحتلال أمراً طبيعياً ، ويفضله
على احتلال أي دولة أخرى .

(٢) أنه يرى الشعوب الشرقية ميالة للسلطة المطلقة بدلاً من السلطة النيابية ،
وعليه ينصح للانجليز أن يتركوا له هذه السلطة وأن يتفقوا معه في الأعمال حتى يكون
الجميع يبدأ واحدة لصالح البلد .

(٣) هو الذي يحمل الطعام من المطبخ لفرقة المائدة .

(٣) أبدى الخديو أنه رغم احترامه للسلطان باعتباره الرئيس الديني ، لا يمكن أن يتنازل لتركيا عن أى امتياز نالته أجداده ، وأن المصريين يؤيدونه في ذلك ؛ وعلى ذلك فإن اتهامهم في حادثة طابا بالاشتغال لصالح تركيا مردود وليس له أصل .

وفي الحديث أشياء أخرى مثل اعتراف الخديو بحميل الملك ادوارد الذى أبدى لسموه ، في كل مرة زار فيها إنجلترا ، كثيراً من العطف وكرم الوفاة ؛ وقد نوهت الصحف الميالة للانجليز بهذا الحديث ، وأشارت إلى الصحف الوطنية بقولها : « ها هوذا الخديو على غير فكركم ، فهو يريد الاحتلال ولا يطلب مجلساً شورياً . » فردت الجرائد الوطنية بأن كلام مكاتب الدايلى تلمزح لا يعول عليه ، لأنه استطراد واستنتاج لا يبرره الحديث ، وأنت بشواهد عديدة على أن الرجل في كتاباته يخلط ، هذا فضلا عن أنه لم يطلع الخديو على ما كتبه قبل النشر كما هو المعتاد في هذه الأحوال ، ولهذا لا يمكن التعويل على كلامه وكتابته .

وفي أول يونيو سألنى الشيخ على يوسف تليفونياً من مصر عن هذا الحديث ، وعما يمكن أن يكتبه بشأنه ، فوعدهت بالمقابلة في اليوم التالى عند رجوعى لمصر من الاسكندرية بمناسبة اجتماع مجلس الأوقاف الأعلى ، ثم عرضت على الخديو الأمر فقال لى : « أنا لم أقل مطلقاً لديسى لى مبال للسلطة الشخصية ، وقد صرحت لمكاتب الطان بعكس ذلك ؛ فكيف أقول الآن العكس . أما بالنسبة لما يقوله ديسى من أنى موافق على الاحتلال ، فهذا لا يعقل ؛ لأنه لا يوجد مصرى يرغب احتلال بلده بدولة أجنبية ؛ أما تفضيل الانجليز على غيرهم ، فهو لاشك مما يقوله كل إنسان . » وأخيراً قال لى : « عندما تقابل الشيخ على يوسف في مصر أخبره بأن فكرى لم يتغير بالنسبة للاحتلال ؛ وقد أوضحته رأيى لمكاتب الطان بالنسبة للحكومة الشخصية ولا بأس أن يكتب ذلك . » ثم قابلت الشيخ وأخبرته بذلك فكتب شيئاً بهذا المعنى ؛ ولما رجعت عرضته على الخديو ، وكان اسماعيل أباطه باشا موجوداً ، فوافقا عليه ، وأمرنى سموه أن أخبر الشيخ على يوسف بأن يقول : « إن مكاتب المؤيد قابل أحد رؤساء المعية — بدلا من أن يذكر اسمى — وعلم منه كيت وكيت . » قال الخديو : « وإن سئلت أقول لى أجمل ذلك . » وقد حصل ونشر المؤيد تحت عنوان « صحيح الحديث ، ما يأتى :

« قطعت جبهة قول كل خطيب . كتب إلينا كثيرون ؛ ومن جملتهم احمد افندى عبد اللطيف المحامى ، بعد اقتناعهم من استنتاجات المؤيد ، وعتب المحامى المذكور عليه

يعدم نشر خطاب له ، ولكن لم يشأ المؤيد أن يناقش النفاظ بالنفاظ فأوفد مكاتباً خصوصياً للاسكندرية فقابل أحد رؤساء المعية وهذا ما قاله وأذن بنشره حرفياً ؛ نقلت الجرائد في هذه الأيام حديثاً عن جريدة الديلي تلغراف عزاه مكاتبها للجناب العالي الخديوي وقد جاء فيه كلام عن مركز الاحتلال الإنجليزي في مصر وعن الحكومة الشخصية في البلاد الشرقية ، والحقيقة أن المستر ديسى طلب قبل سفره من القطر المصري مقابلة الجناب العالي وجرى معه حديث لم تعرض صورته بعد على سموه ، ومع اعتقاد الجناب العالي بحسن نية المكاتب فيما نشره ، إلا أن رأى سموه في الاحتلال لم يكن من قبل بجهولا ورأيه فيه لم يتغير ؛ وأما رأيه في أمر الحكومة الشخصية فقد قاله سموه بأجلى عبارة لمكاتب الطان قبل الآن ولم يبد لسموه رأى جديد يخالفه .

اقامة اللورد كرومر وتعيين السير الروف جورست مطان . بلغ الاستياء من سياسة الاحتلال غايته ، سواء في ذلك الخديو والشعب المصري ؛ وعرف الانجليز أن نفوذهم الذي عمّل اللورد كرومر على تقويته وتدعيمه ، منذ تعيينه ممثلاً لانجلترا خلفاً للسير ادوارد مالت سنة ١٨٨٣ بدأ يتضاءل ويضعف على يد كرومر نفسه بسبب أخطائه الأخيرة ، ولا سيما فيما يختص بمحادثة دنشواي التي صدعت من هيبته في نظر أوروبا كلها ، ولما أحدثته هذه السياسة الفاشمة من رد الفعل وتقوية النزعة الوطنية ، وتنبه الأفكار بين عامة الشعب ؛ عندئذ رأت انجلترا أن تضحي بفردو اللورد كرومر على أن تضحي بمصالحها العامة ؛ فقررت تعيين السير الدون جورست معتمداً بريطانياً خلفاً له ، ووضعت سياسة جديدة تقوم على اجتذاب الخديو إلى جانب انجلترا ، واستمالة الأحزاب الوطنية التي كانت تتمنخ عن الظهور .

وصدر هذا القرار في أول أبريل فكان له وقع حسن في النفوس ، بعدما بلغ التذمر نهايته ، وبذلك أخذت البلاد تستعد للعهد الجديد بشيء من الرجا .

وفي ٢٥ أبريل تألفت لجنة للاحتفال بوداع اللورد ، بأشراف مستر فنسان كوربت المستشار المالي ، وقد قابل دومرتينو باشا وأشار إليه من طرف خفي أن اللجنة تود لوشرف الجناب الخديوي الأوبرا يوم الاحتفال ، وأنه إذا لم يحضر فإن اللورد يتحدث عن الخديو اسماعيل والخديو توفيق ، ولا يشير إلى سموه بشيء ، بل يلتفت على الأوقاف والأزهر والمحاكم الشرعية .

فسأل الخديو دومرتينو باشا عن مناسبة الحديث بينه وبين كوربت فقال :

و عندما أراد توزيع اللوجات ، فكر في لوج الجناب العالى ولمح لى أنه إذا لم يحضر سموه ، ففى وسعه أن يرسل من ينوب عنه .

وفى ٢٧ ابريل جاء اللورد وزار الحديو زيارة الوداع وقال لسموه ما أبى : و جئت لآخر مرة ، وقد لا تتقابل بعد ذلك ؛ فالآن أريد ألا أخفى عليكم شيئاً فأقول بصراحة إن العلاقات الشخصية بينى وبينكم كانت طول المدة التى أقمنا حسنة . فأبدى الحديو شكره ؛ ثم قال اللورد : و أما العلاقات السياسية فكانت سيئة وخصوصاً فى السنوات الأخيرة ، فان سموكم اندفتم فى تيار اللواء والمؤيد وطلب مجلس نيابى . فأجاب الحديو بأنه لم يطلب ذلك ، وأتم اللورد كلامه قائلاً : و فما نفع هذا المجلس ؟ ألم تعلموا أنه يكون ضدكم وأنكم تلعبون بالنار ، فليكم أن تشجعوا وتخرجوا من المأزق الذى اندفتم بنفسكم اليه وتركوا هذه الأمور لتتعرضوا مركز الحديوية للخطر . واعلموا أنه إذا حصل اختلال فى مصر واضطر الحال لاستخدام القوة العسكرية الانجليزية ، وأطلقت رصاصه واحدة فانها تكون القاضية على مصر وعلى العائلة الحديوية . ولقد كان اعتصاب سائقي العربات مصوبغاً بصبغة سياسية وهذا شىء غير حسن ، ولكن لما يعلمه المعتصبون من قوتى وشدقنى انتهى الأمر بإسلام ولم يستمر الاعتصاب . ولكن بعد خروجى سيرجع وهناك الطامة الكبرى ، وأن المسيحيين والوطنيين وأغلب المصريين مستاءون من هذه الأمور .

وما الذى دفعتك لمقابلة مكاتب الطان الذى نشر حديثك معه ؟ ولكن أما وقد حصل تغيير الآن فى المعتمد ، فان الفرصة أمامك فيمكنك تغيير خطتك أولى من أن تكون سبباً للضرر بشخصك والحديوية وعائلتك .

فرد الحديو على اللورد بقوله : و إذا كنت تعنى بكلمة عائلتى أولادى ، فأنا والله الحمد عندى ما يكفينى ويكفيهم ؛ أما إذا كان القصد الأمراء الآخرون ، فأنت ضيقت عليهم دائرة الانتساب لأسرق ، أعنى الذكريتو المحدد لأعضاء العائلة الحديوية ، وقد شجعتم ضدى وعينت منهم أوصياء على أبناء العائلة بدون علمى ، ولم أعلم إلا من الصحف .

ومن جهة سياستى فأنا أعلمتكم أنى لا أريد الضرر لبلادى وأننى أبتعد عما يجلب لها أى ضرر . وفى مدة الخمسة عشر عاماً كانت الاستقامة من شعائرى ، وكنت أجتهد فى تسهيل مهمتك ، وأنا آسف على نسيانك الخدمات التى قمت بها لك ، وأستغرب من

وصول كل إشاعة سيئة ضدى إلى أذنك ، وعدم وصول شيء من المساعي الحميدة التى كنت أقوم بها .

وبعد خروجه قال لنا الخديو : د ... وكان كلامه فى نهاية الغلظة ينم عن نزوع إلى الانتقام والتشنى من خصم لم ينل بغيته منه ويريد تهديده وتهديد مركزه . ، وإزاء هذه الغلظة قرر الخديو ألا يرسل مندوباً عن سموه فى حفلة الوداع بالأوبرا واكتفى بأن يتوجه سموه يوم ٢ مايو فيزور اللورد وزوجته فى الوكالة البريطانية .

وفى عصر ذلك اليوم جاء السير الدون جورست وقابل الخديو وتحدبا معاً ، وأعلم سموه أنه لم يقابل الملك قبل سفره إلى مصر ، وأنه سيمكث لآخر يونيو لمراقبة الأحوال هنا ، ويعود إلى إنجلترا لشرحها لوزير الخارجية ، لأن التقارير ليست كالشاهدة ، وبعد أن يمضى إجازته يعود للعمل . فأبدى له الخديو ارتياحه لتعيينه وقال له : د إننى أعتبر ذلك التفاتاً وترضية من جلالة الملك وحكومته لى ، حيث اختار رجالاً أعرفه واشتغلت معه وهو صديق لى ، فأؤمل يا سير جورست أن تكون فى المستقبل نفس الرجل الذى عرفته فى الماضى . ، فأجابه السير بأنه يؤكد لسموه أن خطته لا تغيب ، وأنه سيكون دائماً الصديق القديم ، فرجاه الخديو ، لمعرفته بشئون الداخلية والمالية والبلاد ورجاله وباللغة العربية ، ألا يعتمد فى معلوماته على واسطة ثم قال الخديو : د عندما يبعلك شيء فلا تعضب بل احضر عندى فى أى وقت كان ، وتحادث معى حتى لا يقع سوء تفاهم بيننا ؛ وأؤكد لك أننى أريد خدمة بلادى باستقامة ولا أميل إلا للحق ، ولتسكن وجهتنا واحدة ، ألا وهى العمل النافع لمصر .

وبهذه المناسبة تحدث الخديو مع جورست عن جلسة مجلس النظار التى حدث فيها المناقشة فى مشروع مدرسة القضاء الشرعى وتوجه شيخ الجامع على أثرها إلى اللورد كرومر وشكا اليه ، فلم يمض يوم أو اثنان حتى أرسل سعد باشا لشيخ الجامع خطاباً يعدل فيه ما ورد فى الذكرى الخديوى . وقال الخديو :

د فهل يمكن أن يعدل الذكرى الخديوى بخطاب بسيط من ناظر المعارف ١٩ ، وبعد انتهاء الزيارة ، بلغنى من دومرتينو باشا نقلاً عما سمعته ، أن الإنجليز يقولون إن جورست سيكون سهلاً ليناً فى البداية حتى يمحدث من الخديو ما يستوجب الملاحظة فيكون عندئذ شديداً جداً على سموه .

وفى ٣ منه علمت من بطرس غالى باشا ، أن اللورد كرومر نقل كل ماجرى بينه

وبين الخديوي من الحديث بنصه لمسيو دوفيل يوا قنصل عام هولانده وأقدم القناصل الموجودين بمصر ؛ وعلم بطرس باشا من كرومر أيضاً أن الخديوي وعد بأن يتبرأ من الحزب الوطني في الخطاب الذي سيلقيه يوم استقبال جورست ، وأنه أتى على سموه نصائح بصفته محباً له بأن يعتمد عن مصطفى كامل وعلى يوسف واحمد شوقي ؛ ثم قال لى بطرس باشا : « إن اللورد حدثني بغاية الاعتدال ، وليس كما سمعته وقاله لى الخديوي ؛ وقد أبدى لى اللورد أنه بتغييره وتعيين جورست قد أتاحت لسموه فرصة ثمينة للخروج من المأزق الحرج الذي زج فيه بنفسه . ولم يقل لى شيئاً عن تهديده للأريكة الخديوية بل قال فقط : إن السياسة الحالية مما تضرر الخديوي . »

وفي أول مايو توجه مصطفى فهمى باشا وقابل البرنس حسين كامل باشا ، واجتهد في إقناعه بقبول حضوره في حفلة وداع كرومر .

وأرسل المستشار المالى خطاباً لرياض باشا يطلب منه فيه الاشتراك في هذه الحفلة ، فقيل ؛ ولما سئل إذا كان ينوى الخطابة ، أجاب نفياً .

وبتوى بعد ذلك ، أن وكيل البنك الأهلى بالاسكندرية ، وهو انجليزى ، بذل وسعه في ضم الوطنيين للاحتفال باللورد فلم ينجح ، فهدد بعدم مساعدتهم وقت الزوم . وقال لكامل بك تيور : « أنت رجل مالى ولك أشغال كثيرة وتحتاج لى المال فاذا أبيت الانضمام فاننا نحن أيضاً نمنع عنك المال حين احتياجك إليه . » ومع هذا التهديد فقد رفض الحضور .

وفي ٢ مايو توجه الخديوي صباحاً لزيارة اللورد بدار الوكالة البريطانية وكان اللورد في انتظاره على آخر درجة من السلم ؛ وتقابل الخديوي مع زوجة اللورد ، ولم يحضر الاجتماع أحد ، وجرى الحديث عن الهواء والمناخ والأزمة المسالية وبعد ذلك أوصله اللورد حتى الباب الداخلى .

وقد بذل رجال الاحتلال كل مجهود لاحضار أكبر عدد من الوطنيين في حفلة الوداع ولكن بالرغم من هذه الجهود فقد رفض الكثيرون الحضور .

وجاءنى واطسون باشا الباور الخديوى يسعى في حضورى فاعتذرت بأنى سأكون يوم الاحتفال فى الاسكندرية ، كما اعتذر عزت بك بأنه لا يعرف اللغة الفرنسية التى ستلقى بها الخطاب ؛ أما احمد زكى باشا فقد اضطر لقبول .

ورفض يوسف ضيا باشا الحضور وقال : « إنه لاوقت لديه للتوجه للأوبرا . »

وقد علمت من الخديوي أن واطسون باشا كتب أمام أسهاء رؤساء المعية الاعتذارات التي قالوها عندما عرض عليهم أن يحضروا حفلة الأوبرا .

وقال لي سموه أيضاً إن البرنسات الذين يخاصمونه من عائلة حلیم وعائلة فاضل وربما أيضاً البرنس عمر طوسون ، قبلوا الدعوة للاحتفال بكل ارتياح ، وإن البرنس سعيد حلیم كتب خطاباً إلى اللورد يفرض مدحاً وشكراً للرعاية التي كان يولهم إياها . وكتبت الصحف الوطنية تندد بالذين سيحضرون الاحتفال ، ولا سيما بالبرنس حسين كامل باشا . وهكذا مرت الحفلة يوم ٤ مايو دون أن يحضرها من الوطنيين إلا عدد قليل بمن أثر عليهم صنائع الانجليز ؛ أما هؤلاء فقد حضروا جميعاً بطبيعة الحال في الاجتماع .

وقد ألقى اللورد خطبة ضافية في هذا الاحتفال ؛ لا حاجة بنا لا يرادها ؛ ويستطيع القارئ أن يراجع هذا الخطاب الذي تلاه كرومر بالطعن على الأمة المصرية ورجالها ، في الصحف التي صدرت في هذه الفترة ، ولكننا نحيله على المقال الشهير الذي رد به الشيخ على يوسف صاحب المؤيد على خطاب كرومر وفند فيه مطاعنه بقوة ودلالة ؛ وقد نشرته جريدة المؤيد عقب الاحتفال .

جورست وسياسة الوفاء المجرى . في ١٠ مايو اطلعنا على الخطبة التي سلقينا جورست يوم استقباله الرسمي ، فوجدنا بها نقطتين هامتين : الأولى أنه نوه فيها بتأكيد روابط المحبة من زمن بعيد بين إنجلترا والدولة العلية ، والثانية اعترافه في آخر خطابه بأن حكم مصر إنما هو للجناب الخديوي .

وقد أرسلنا فأحضرنا خطبة كرومر سنة ١٨٨٣ للموازنة بين الخطبتين فوجدناهما متماثلتين تماماً ، ولكن جورست أشار فقط في خطبته إلى السنين التي قضاها في خدمة الحكومة المصرية بنظارة المالية .

وفي ١٦ مايو كانت الاستقبال الرسمي ، فالتقى السير الدون جورست خطبته المذكورة بعد تعديل فيها بمحذف اسم الدولة العلية ، لأنه رأى في الرد الذي أعدته — بصفتي رئيساً للديوان الأفرنجي ، وبعد عرضه على نظارة الخارجية كالمعتاد — أننا سنقول : « روابط الود بين إنجلترا والدولة العلية وبالأخص مصر . » فاكنتي هو بذلك مصر فقط ؛ وكان في ردنا جملة أخرى وهي : « تأكد ياسعادة الوزير أنك ستجد مني كل المساعدة بالاخلاص . » وقد أراد الخديوي حذفها ولكن بطرس باشا استصوب بقاءها .

ثم إن الذي سر الخديو في خطبة جورست اعترافه بسيادة الدولة العلية حيث تكلم عن توثيق روابط المودة بين إنجلترا والدولة العلية ثم اعترافه بأن الحاكم لمصر هو الخديو حيث قال جورست : « إنى أشعر في خاصة نفسى بارتياح لاختيار الملك لى وكلا مفوضاً ، وقصلاً عاماً فى بلاد أنت ملكها الكريم . »

وفى ١٩ مايو قابلت البرنس حسين كامل باشا ودار الحديث بيننا عن المعتمد الجديد ، فقال البرنس إنه قابل جورست وفهم منه أنه ميال لاصلاح الأمور ، وقال دولته للمعتمد : « إن المديرين مغلوله أيديهم عن العمل بسبب المفتشين الانجليز ، مع أنهم أدري بمصلحة البلاد . فرد بأنه يجب تغيير هذه الخططة . »

وفى ٢٥ مايو زار المعتمد عباساً ودار بينهما حديث ودى ، وقال جورست إنه سيسافر إلى إنجلترا لعرض الحالة على ناظر الخارجية شخصياً بدل التقارير ، وإنه سيعود بعد ذلك لمصر للعمل بكل إخلاص مع جنابه العالى .

وقد زار المعتمد الخديو مرة ثانية فى ٥ يونيو ، ولكن سموه لم يصرح بشيء مما دار بينهما من الحديث ؛ بيد أنه بعد خروج جورست قابل سموه اسماعيل أباطه باشا ففهم من سموه أمرين مما يتعلق بهذا الحديث : وهو أن جورست ابتداءً فى انتقاد أعمال كرومر ولم يرد عليه الخديو ؛ والثانى أن جورست نصح بعدم الاشاعة إلى أن فى مصر أحزاباً ؛ وقد فهمت من ذلك أن جورست أراد ألا يتكلم الناس عن الحزب الوطنى لأنه ربما هو الذى يثير أفكار الانجليز .

وفى ٢٢ يونيو ، سافر الخديو إلى الأستانة فوصلها يوم ٢٧ منه ؛ ومكث بها أسبوعاً ثم بارحها إلى زيفون لأخذ الحمامات .

وفى ١٠ يوليو سافر جورست إلى لندن ؛ وقد كلفنى بطرس غالى باشا أن أرسل برقية للجناب العالى : « بأن المعتمد سافر مرتاحاً من حسن معاملة الخديو له ومن سير الأمور فى مصر على العموم ، ووعد بأنه سيعلم بذلك وزارة الخارجية الانجليزية لتطمئن الخواطر ، لأن تقارير كرومر كان لها تأثير سيء فى النفوس . » ففعلت .

وفى ٢٥ منه جاءنى مظلوم باشا ناظر المالية وطلب منى أن أرسل برقية للجناب العالى بأن المستشار المالى سيقدم استقالته ؛ وقد فهمت من حديثه أن سبب استقالته ملاحظة جورست عليه وانتقاده لسياسه المالية وكثرة الانفاق من الاحتياطي ؛ وفهمت كذلك أن جورست غير مستريح لمستشار الداخلية المستر متشل اينس ، ولا إلى

اللورد سيسل الذى رشح لأن يكون مستشاراً مالياً ؛ وقد أرسل جورست للحديدو في ديفون خطاباً رقيق العبارة يفيض بعبارات الاحترام . يعلم سموه باستقالة كوربت ، ويعرض على اعتابه تعيين خلف له إذا وافق ولى النعم عليه . وهذا أمر ما كان يصدر في عهد كرومر ؛ إذ كانت التعيينات كلها تجري دون أخذ رأى الحديدو .

فرد الحديدو عليه بخطاب يقول فيه إنه واثق من الشخص الذى انتخبه لثقة سموه فيه ، ولهذا يوافق عليه ؛ وقد خلفه في ٩ اكتوبر المستر هنرى بول هروى .

وعاد الحديدو في يوم ٢ اكتوبر . وقضى ليلة في المحروسة ، وقابل النظار في سراى رأس التين في اليوم التالى .

عهد جديد : هذا وقد بدأ عهد جديد في البلاد من ناحية سياسة المحتلين بعد رجوع جورست من لندن ؛ فكان أول أعماله أن جمع لديه كبار الموظفين الانجليز في الحكومة المصرية ، وأوصاهم بمعاملة أقرانهم المصريين بالحسنى . وعدم الخروج عن دائرة نفوذهم واختصاصهم ؛ ولم يحضر هذا الاجتماع سون الموظفين الانجليز ، وقد أمرهم بكتبان هذه النصيحة ؛ ولكن الغريب أن المؤيد نشرت الخبر في اليوم التالى . وفي أول ديسمبر تقابل بطرس باشا مع الحديدو ، فأبدى سموه ارتياحه للبعثد الجديد وخطته .

وفي ١٧ منه قابلت بطرس غالى باشا . فعلمت منه بمحصل الوفاق بين الحديدو وجورست على منح الرتب والنياشين ، سواء أكان ذلك بواسطة الداخلية أم من لدن جنابه .

وقد أفهمنى أنه يخشى أن يحدث في هذا الشأن أخطاء كالتى وقعت ، وأن تعود تجارة النياشين ؛ وذلك لا يحسن أمام جورست .

وفي ٢٣ ديسمبر ، بعد مقابلة بين الحديدو والمعتمد ، علمت أنه أخبر سموه أن الحكومة الانجليزية لا تعارض في العفو عن مسجونى دنشواى ، وأنه قر الرأى على إصدار العفو في عيد الجلوس للحديدوى .

وهكذا سارت الأمور في هدوء في ظل العهد الجديد .

أرضنى بهرو الحديدوى . في ذلك الحين تغيرت حالة الحديدو عن ذى قبل . وأصبح كثير الصخب ، يتكدر ويسخط لأقل شىء ، وغدا مشقت الأفكار ؛ فراعتنا هذه الحالة التى لا نعلم لها سبباً .

وفي يوم ٢٥ مايو قابلت بطرس غالى باشا ، وعرضت عليه الحالة ، فقال لى إنه توجد إشاعة بأن الحديدو كان يكلف أحد الإنجليز بالكتابة فى صحف إنجلترا ضد كرومر ، وأن هذا الرجل ، نظراً لوجود مكاتبات لديه من الحديدو ، يطلب مبلغاً عظيماً ؛ وإلا فإنه يفضح الأمر ؛ وهذا ما يخشى الحديدو حدوثه من وقت لآخر .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن سموه متكدر من السلطان ، لأنه رغب أن يشتري أرضاً واسعة بالضمان فيها غابات يمتلكها رجل اسمه شريف افندى من أزمير بمبلغ ١٢ ألف جنيه ، وقد أراد سموه أن يكون البيع باسم الركيدار احمد أغا الكريدلى . فلما علم السلطان بذلك ، حال دون إتمام الصفقة ، فتأثر الحديدو جد التأثير ؛ ولكن انتهى الأمر بشراء عباس هذه الأرض ويظن بطرس باشا أن الحديدو لهذا السبب لا يتوجه هذا العام إلى الاستانة ، وتمنى لو حدث ذلك ؛ ولكن سموه لم يتأخر عن السفر إليها .

وفي أثناء هذه المقابلة جرت سيرة احمد شوقى بك ، فقال بطرس باشا : « إنه ربما كان الوساطة بين الحديدو وهذا الإنجليزي . » وزاد على ذلك قوله : « ما هو انت يا شفيق الذى جبتك كما بلغنى ، لأن أفدينا كان زعلان منه ، وأراد أن يخرج من المعية لولا مساعدتك له . » وقد كان يظن بطرس باشا أن ذلك حدث فى الأيام الاخيرة ، ولكنى أفهمته أن ذلك حدث أيام حسن عاصم باشا ؛ إذ أراد شوقى بك أن يقدم استقالته ؛ ولكن نظراً لذكائه ونشاطه ومقدرته فى الترجمة وحاجة المعية إلى خدماته ، فقد منعه من ذلك ؛ ولم أكن أعلم أنه يصل به الأمر لما نراه الآن ، كما أخبرت بطرس باشا بأنه وشى فى عند الحديدو ، فقال لى إنه يعلم ذلك .

وبعد ذلك سألت دومرتينو باشا عن مسألة هذا الإنجليزي ، فقال لى : « نعم هى مسألة حقيقية ؛ وقد علمت أن هذا الرجل كان قد حضر لمصر ، وطلب الحصول على امتياز كثير الفائدة ، ولكن جورست وقت أن كان مستشاراً مالياً رفض ذلك . فلما ذهب الشيخ على يوسف إلى لندن ، وعده بمساعدة مالية إذا رضى أن يكتب الجرائد الإنجليزية ضد كرومر وأعماله ؛ فقبل وكتب واستمر على ذلك مدة ؛ ولم يعرف اللورد سر المسألة حتى توصل قبل خروجه من مصر إلى معرفة هذا الرجل ، وعلم أن يده خطابات كثيرة عدا خطابات أخرى من الشيخ على يوسف بأمر الحديدو ، ومنها يعلم أنه أرسلت إليه نقود تبلغ الألفى جنيه . وخطابات أخرى تفضح الحديدو وكاتبها . وأخيراً طلب اللورد من هذا الرجل أن يعطيه هذه الخطابات مقابل إعطائه الامتياز الذى يريده فأبى .

وأخيراً تفاوض الرجل مع الوسطاء بينه وبين الخديو، وطلب مائة ألف جنيه وإلا فإنه يسلم الأوراق للوكالة البريطانية؛ وعليه اتدب سموه كلا من أحد شوقي بك وحسين محرم باشا للخبرة في هذا الشأن مع الرجل، ولكنه رفض خمسين ألف جنيه تعويضاً.. مسكين الخديو لا يعرف من أى جهة يأتيه الكدر والضرر!

وفي ٢٩ مايو علمت من بروستر بك حقيقة مسألة الانجليزى؛ وهو مستر موزلى الذى كان قاضياً بالمحاكم الأهلية وأرغم على الاستقالة؛ ولكنه ليس هو الذى يهدد بتسليم الأوراق للوكالة البريطانية، أو يطالب بتعويض، لأنى أعرف أنه يوجد اتفاق يقضى بمنحه ١٢٠ جنيهاً كل ثلاثة أشهر، وقد صرف له ذلك عن يدي من الخاصة منذ أسبوع فقط؛ أما الرجل المقصود فهو رجل أرمنى كانت له علاقة بالشيخ على يوسف وموزلى، وتفاهم مع الخديو بخصوص الكتابة في الجرائد واسمه اسطفان بك، وأعرفه لما كنا في الخارجية معاً، ويعمل الآن في بيع وشراء الأراضي، وكان هو الذى طلب من الحكومة أراضى أظنها بجهة النوبارية، ولم تساعده الوكالة ولا جورست أيام أن كان مستشاراً مالياً. وقد انتهى الأمر بحصوله على مبلغ من الخاصة، وطويت المسألة.

الزراعة المالية. في السنوات السالفة ارتفعت أسعار العقارات والأراضى الزراعية لدرجة لم يسبق لها مثيل، فكانت الصفقة تباع في الصباح بثمان عال، وفي المساء تباع بثمان أعلى؛ وكثرت المضاربة حتى أنى كنت أملك ثلاثة أفدنة من الأراضى الزراعية في شارع الهرم اشتريتها بمائة جنيه للفدان فبعتها بسعر ١٣٠٠ جنيه؛ كما أننى اشتريت ثلاثة أفدنة أخرى في شبرا بسعر الفدان ١٨٠٠ جنيه، وكنت أرجو المكسب الطائل؛ ولكن غاب ظنى فهبطت الأسعار إلى درجة كبيرة؛ وكذلك اشتريت ٢٠٠ فدان أرضاً غير مزروعة خارج زمام الفيوم بسعر الفدان ١٠ جنيهات، ولكنها هبطت إلى جنيه واحد للفدان (٥).

وكان كرومر في تقريره السنوى قد أشار إلى أن هذا الارتفاع الفاحش في الأسعار لا بد أن يكون له رد فعل وأنه سيعقبه هبوط كبير؛ وقد تحقق ظنه! ووقعت الأزمات، وامتنعت المصارف عن التسليف خصوصاً تلك التى كانت تستورد أموالها من الخارج، وأخذت تطالب بما لها من الديون، فأرهب الكثيرون وكنت منهم. وفي ٢٠ يوليو بعثت بترقية للدكتور كاوتسكى بك بناء على طلب بطرس باشا

(٥) وهي باقية على فنى للان بلا زراعة.

ليعرض على الخديو أن الأزمة المالية أثرت في التجارة ، وأن رجال المال في مصر يسمون في توقيع مذكرة يرفعونها للدالية ، لا قراض البنك الأهلي ثلاثة ملايين من الجنيهات ، للعمل على تخفيف الأزمة .

وكان رأى السير جورست أن الأزمة الحالية لا ينتظر انقضاءها قبل عامين أو ثلاثة ، حتى تعود الثقة المالية التي أثرت فيها تقارير كرومر وخطة الحزب الوطنى . ومن هنا بدأ نقده لكرومر وسياسته .

وفي ٢٦ يوليو أرسلت لسمو الخديو برقية بذلك ، وأتبعها في اليوم التالى برقية أخرى عن إحصاء المحال التجارية التي أعلن إفلاسها ، وقد بلغت الثمانين ١

وفي نفس اليوم وردت لى برقية من طور نيزن باشا بأن أطلعه يومياً على الحالة المالية وموقف الحكومة منها ، لاحاطة الخديو بها تباعاً ، فأرسلت اليه برقية في ٢٩ منه بتفصيل عن الحالة ، وبما جاء فيها : « إن المزارعين باعوا قطنهم بنقص ٢٠ قرشاً عن أسعار الكونتراتات بسبب المناورات التي قام بها تجار الصادرات ، ليتمكنوا من الشراء بأسعار رخيصة ؛ وكان المعتاد أن يكون البيع فوق الكونتراتات ، ثم تفاصيل أخرى توضح حرج الحالة وتفاقها .

قيام الإضراب المصرى . منذ أواخر العام الماضى نشطت حركة تأليف الأحزاب المصرية بصفة منتظمة ؛ وهى ثلاثة : الحزب الوطنى ، وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ، وحزب الأمة .

وابتدأ تأليفها منذ أكتوبر سنة ١٩٠٦ ، وانتهى في سبتمبر سنة ١٩٠٧ ؛ وإليك خلاصة عن ظروف تأليفها ، وبيان برامجها المختلفة :

الحزب الوطنى : كان مصطنى كامل قد سافر في صيف هذا العام إلى أوروبا للدعاية لمصر ، وعاد في أواخر سبتمبر ، وخطب في الاسكندرية في ٢٢ أكتوبر خطبة طويلة أعلن فيها مبادئ الحزب الوطنى ؛ وكان مصطنى كامل معتل الصحة في ذلك الوقت ؛ فلما رأى تأخر صحته أسرع بتأسيس الحزب ، وخطب خطبته في ٢٧ ديسمبر بالقاهرة ، وكان معظم الوطنيين يلتفون حوله قبل تأليفه بطريقة رسمية

وكان برنامجه واسماً يفرى أصحاب النفوس الطامحة ، ويرضى المتطرفين والشبان

وهذا هو : —

- (١) استقلال مصر كما قرره معاهدة لندره سنة ١٨٤٠ ، ذلك الاستقلال الذى يضمن عرش مصر لعائلة محمد على مع الاستقلال الداخلى عن تركيا .
 - (٢) إيجاد دستور فى البلاد بحيث تكون الهيئه التنفيذية مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوروبا .
 - (٣) احترام المعاهدات الدولية ، والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون ، وقبول مراقبة مالية كالمراقبة الثنائية ؛ ما دامت مصر مدينة لأوروبا ؛ إذا طلب منها ذلك .
 - (٤) الصراحة فى انتقاد الأعمال الضارة ، وتشجيع الأعمال النافعة للحكومة المصرية .
 - (٥) العمل لنشر التعليم على أساس وطنى صحيح ، بحيث ينال الفقراء منه أو فى نصيب .
 - (٦) ترقية الزراعة والصناعة والتجارة .
 - (٧) بث الشعور الوطنى فى الشعب ، وإفهامه حقوقه الوطنية ، ودعوته للائتلاف والتساند بين عنصره .
 - (٨) العناية بالشئون الصحية .
 - (٩) بث روح المحبة بين المصريين والأجانب .
 - (١٠) تقوية العلاقات بين مصر والدولة العلية .
 - (١١) الدعاية لمصر فى الخارج ، ونفى كل شبهة عنها يلصقها بها خصومها .
- ويشترط لقبول الأعضاء بالحزب الوطنى ما يأتى :
- (١) أن يكون الطالب مصرياً ، معروفاً بالأخلاق الفاضلة . لم تصدر عليه أحكام تمس شرفه وسمعته .
 - (٢) ألا يكون عضواً فى حزب آخر .
- أما الأعمال التى ستعرض على الجمعية العمومية للحزب الوطنى للتصديق عليها فأهمها :
- فى ميدان السياسة :
- وضع تقرير سنوى باللغات الثلاث : العربية والفرنسية والإنجليزية عن حالة

مصر، يردّ فيه على ما يورده معتمد الدولة البريطانية في تقريره ضد مصالح المصريين وآمالهم، وتبين فيه مقاصد الأمة ومطالبها والأمور الشاغلة لها .

في ميدان التربية والتعليم :

إعداد المعدات لمؤتمر التربية . والسعى في تنفيذ قراراته بعد انعقاده . وسيدعى الذين اشتركوا مبدئياً في هذا المؤتمر للاجتماع في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٠٧ بمدرسة مصطفي كامل ، لتقرير الأمور المبدئية اللازمة لعقد المؤتمر (*).

وهذا الحزب هو أقوى الأحزاب المصرية ، وأعظمها في العدد والنفوذ .

حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية : بعد تأليف الحزب الوطني ، تحركت فكرة تكوين الحزب الذي رأى الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد لإنشاءه ، خصوصاً وقد شعر الحديوي بأن الحزب الوطني قد توسع في برنامجه بما لا يناسب الحالة الجديدة ، حالة الوفاق بين سموه والسير الدون جورست ، وأنه لا بد من قيام حزب يؤيد سموه ويكون عاملاً من عوامل التوازن .

عندئذ أُلّف الحزب الثاني في أبريل ، وسمى « حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » برئاسة الشيخ علي يوسف ، وكالة احمد حشمت باشا ؛ وهذا ملخص مبادئه :

(١) تأييد السلطة الخديوية فيما منحها فرمانات الشاهانية لاستقلال مصر الاداري .

(٢) الاعتماد على الوعود والتصريحات التي أعلنتها بريطانيا المظلمى عند احتلالها القطر المصري ، ومطالبها بتحقيقها .

(٣) المطالبة بمجلس نيابي مصري يكون تام السلطة فيما يتعلق بالمصريين والمصالح المصرية .

(٤) أن يكون التعليم الابتدائي عاماً ومجاناً .

(٥) أن تكون اللغة العربية لغة التعليم في البلاد .

(٦) أن تعطى الوظائف في المصالح المصرية للوطنيين بمقتضى الكفاءة ، مع تقليل عدد الأجانب بقدر الامكان .

(*) ولكن هذا المؤتمر لم يمتد .

(٧) أن تكون محاكمة الأجانب جنائياً أمام المحاكم المختلطة .



حسن عبد الرازق باشا

حزب الأمة : بينما كان الحديوي في أوروبا ، كان محمود سليمان باشا ، وحسن عبد الرازق باشا يؤلفان حزب الأمة ، وتم ذلك في ٢١ سبتمبر ، وجعلت الجريدة ، التي يشرف على تحريرها الأستاذ احمد لطفي السيد بك لسان حاله . وقد خطب يوم تأليفه عبد الرازق باشا ، نائباً عن محمود باشا (الرئيس) الذي تخلف لأسباب صحية . وقد كان الحديوي يخشى أن يكون لسعد زغلول باشا وأخيه احمد فتحي زغلول باشا يد في تأليف هذا الحزب ؛ -

لذلك سألتى مرتين وهو بأوروبا عن ذلك فأجبتنه بأنه لم يظهر لى أن لها علاقة به .

وكانت تلتخص مبادئ هذا الحزب في :

(١) معاضدة حركة التعليم ونشره بكافة الطرق وجعله إجبارياً في الأوتلى والابتدائى .

(٢) الحصول على حق البلاد الطبيعى فى الاشتراك مع الحكومة فى وضع القوانين والمشروعات العامة ، وتوسيع اختصاص مجالس المديرىات ومجلس شورى القوانين ؛ تدرجاً إلى إيجاد مجلس نواب .

(٣) توسيع نطاق الجمعية الزراعية توصلاً إلى تقدم البلاد الزراعى ، وعدم إهمال الصناعة والتجارة ، والسعى لترقيتهما .

وبعد حضور الحديوي من أوروبا دارت عدة أحاديث بينة وبين رجال معيشته فى شئون هذا الحزب . وقد ظهر بعد ذلك أن لسعد باشا بدأ فى تأليفه ، وأنه يعمل سراً مع أخيه فتحي باشا لتقوية نفوذه . وقد علمنا أن اللورد كرومر كان من المعضدين لقيام هذا الحزب إذ كان يتوسم فيه مناهضة سياسة عباس .

وكان رأى الشيخ على يوسف تأليف حزب يعضده رجال اللجنة المصرية فى البرلمان الانجليزى ، التى تشكلت للبحث فى الشؤون المصرية ، كما سبق الاتفاق بينهم وبين مسيو موزلى ، ولكن رُوى أن الانتظار أفضل .



١ - العلم المصرى على يوسف

٢ - العلم المصرى كامل

٣ - العلم المصرى القديم

وفي ٦ أكتوبر بلغني من اسماعيل أباطه باشا أنه تقابل مع بعض أعضاء حزب الأمة، وطلبوا منه الدخول فيه فأبى لعدم انتظام الحزب، حتى إن جميع محرري «الجريدة» أعضاء فيه، وأنه طلب إليهم لإجراء انتخاب، وانتقاء الأعضاء حتى يستطيع العمل معهم؛ وقد فهم منهم أنهم غير مرتاحين لخطة «الجريدة».

وبعد تأليف الأحزاب الثلاثة اشتدت المنازعات بينها، ولا سيما بين الحزب الوطني وحزب الإصلاح.

وكانت جريدتا اللواء والمؤيد ميداناً لهذا النزاع، الذي وصل في كثير من الأحيان إلى حد المهارة والانتقامات الخطيرة، حتى لقد اتهمت المؤيد، مصطفى كامل بأنه يقلد عرابي.

وقد كتب مراسل التيمس بتاريخ ٢٠ نوفمبر كلمة عن الأحزاب في مصر، جاء فيها ما يلي: «إن الحرب الصحافية التي دارت رحاها بين ما يدعى أحزاب الوطنيين^(١)، لا تزال قائمة بحدة وشدة».

وأما الحزب الوطني (الرسمى) الذي أُلّف سنة ١٩٠٦، فقد انقسم إلى قسمين: حزب المتطرفين. برئاسة مصطفى كامل باشا؛ وحزب المعتدلين، برئاسة الشيخ علي يوسف^(٢).

وإنك لا تجد فرقاً بين ما عرضه هذان الصحافيان المتناظران من المشروعات الإصلاحية. ولكنهما اختلفا في أمر واحد، وهو أن كامل باشا يطلب جلاء الأنجليز عن مصر في الحال، وينتقد المحتلين والحكومة المصرية الحاضرة بلهجة عنيفة.

وأما مناظره — وهو أوفر منه حكمة، أو أكثر خوفاً وتديراً في سوء العواقب — فإنه يرى الآن، أو يتظاهر، أن مسألة الجلاء خارجة عن دائرة السياسة الممكن تنفيذها. وينكر على زعيم المتطرفين وأنصاره حدة لهجتهم (وقد كانت لهجته من قبل) ولكن يصح أن يقال أن المؤيد والمنبر — وهما لسان حال المعتدلين — قد أظهرتا تعقلهما السياسي وحكمتها. بسعيهما أخيراً وراء إيجاد تفاهم أفضل وأنفع مع الأمة المحتسلة.

وأما حزب الأمة الذي تألف حديثاً. فإنه حتى الآن لم يتم بعمل يستحق الذكر.

(١) يرى بذلك إلى الحزب الوطني وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية وحزب الأمة

(٢) الحقيقة أن الشيخ علي يوسف لم يكن منعياً للحزب الوطني

ولعله أقرب إلى المحافظين في تأثيره على طبقة الملاك ، لا على طبقة الموظفين والشبان والطلبة والمحامين ؛ فان من أهم من هؤلاء بالسياسة ، كان مناصراً لمصطفى كامل باشا .

من اسبتمبر عباسي . في ١٩ مارس سمعت من الشيخ احمد الزناتي أن أحد متخرجي مدرسة القبة المسمى جمعة افندي الموظف بتفتيش المنزّه ، أتى في الصيف الماضي أن ينفذ أمراً ، فصدر الأمر بتشغيله في مشال لحم ؛ ولما علم بذلك هرب ، واستخدم في إحدى الشركات ؛ فبه الخديو على الشيخ احمد أن يبحث عنه ويسترجعه للخدمة الخاصة بأى مرتب كان ، حتى يوقمه تحت طائلة عقابه الصارم .

وفي ٣٠ مارس طلبني الخديو فوجدته متكدرأ جداً ، وسألني عن شرف افندي رئيس فراشي سراي عابدين ، فقلت لا بد هو موجود . وبعد أن سبه ولعنه أمرني أن أعمل تحقيقاً معه في سبب غيابه ، وعدم مباشرته أعماله ، وكذا مع فراش آخر أهمل في واجباته ؛ وبعد التحقيق أقطع خمسة عشر يوماً من مرتب شرف افندي . وأفضل الثاني .

فقيمت بالتحقيق المطلوب . فأتضح لي أن شرف افندي لم ينقطع عن عمله مدة وجود الخديو في عابدين ، أو في غيبة سموه ؛ وأنه في ذلك اليوم لم يخرج من السراي إلا لاستحضار أحد العمال ، لوضع لوح من الزجاج في مشرفة السلالمك .

أما الفراش الذي يقول عنه الخديو إنه أهمل في واجباته . فقد ظهر أن الخديو أمر بإيقاد الحمام للاستحمام ، فبه شرف على أحد الفراشين . وهذا نسي أن يبلغ الشخص المختص بهذا العمل . وعند دخول الخديو إلى الحمام لم يجد ماء ساخناً ، فأحضره في الحال من ماء القهوة . وهذا ما كدر الخديو .

ولكن رغم هذا التحقيق فقد أصر الخديو على قطع خمسة عشر يوماً من مرتب شرف افندي ، وطرده الفراش المهمل .

وقد أمر الخديو بفصل عويس بك أحد موظفي سراي رأس التين ، لأن سموه طلب منه مراتب وكراسي من الموجودة بالسراي لارسالها إلى تكية المنزّه ، فرفض عويس بك قائلاً : إن المراتب يمكن أن يقال عنها إنها استهلكتك وأدخل قطنها في التنجيد ، أما الكراسي فنظراً لأنها مقيدة في العهدة فلا يمكن إرسال شيء منها !

شؤره مختلف .

أراضي واحة سيوة : قام الخديو في هذا العام برحلة إلى سيوة ما بين ٢٨ يناير

و ١٩ فبراير . وفي أثناء وجوده هناك أنعم ببعض الهدايا على الأهالي ، وأعطى للأمور سيوة تقوداً وقماشاً لتوزيعها على الأهالي ؛ وحدث عند توزيعها أن تألم البعض من مساواتهم جميعاً في هذه المنح سواء من كان منهم يعمل بأرض الخديو أو لا يعمل ، وقاموا ضد الأمور واتهموه بالتحيز والغرض .

وقام بعض المشايخ وادعوا أن الأمور كان اشترى لى ولحسين رمزي باشا ويوسف ضيا باشا أرضاً بثمن يبلغ الأربعمائة جنيه ؛ أى أكثر مما قبضوه عند توقيع عقد البيع ، وطلبوا منه دفع الباقي فأفهمهم أن الثمن كله مدفوع فأنكروا وتأمرؤا عليه . وبعد جهد اتفق معهم على إعطائهم مبلغ سبعين جنيهاً مصرياً زيادة على المبلغ المدفوع منى و ٥٨ جنيهاً من يوسف ضيا باشا و ١٣٠ جنيهاً من حسين رمزي باشا . فرضوا وانتهى الأمر على ذلك . ولكن المشايخ عادوا فأوعزوا للأهالى برفض هذا الاتفاق وأرسلوا عرائض مع مندوبين من قبلهم للخديو ولنظارة الداخلية . فأرسل المسأور تقريراً وطلب فيه من سمو الخديو أن يرسل مندوباً لتهنئة الأهالي وإنقاذه من هذا المأزق الحرج ، وقدم المندوبون ورفع الأمر إلى الخديو وكان من رأيه أن تتنازل عما اشتريناه ١ ولما قابلت الخديو لا منى على أنى لم أخبره بأمر هذه الصفقة . فقلت إن المسألة ترجع إلى الصيف الماضى حيث كان المسأور فى الاسكندرية ، وطلبت منه أن يشتري لى أطياناً ، ولكن بعد أن يستأذن ولّى النعم ، وقد استأذن من سموكم لأنه عرض عما إذا كان بعض المصريين يريدون مشتري شىء قبل يساعدهم فأجيب بالقبول ، وقلتم سموكم إن المصريين أولى من الأروام مثل جورجى وغيره .

فقاطعتى الخديو قائلاً إنه ظن أن الأمر متعلق ببعض أقرباء المسأور . أما الآن فان أهل سيوة اشتكروا للداخلية ، وسيفتح ذلك أعين المختلين وآذانهم فيندخلون فى أحوال سيوة وهذا ما لأرضاه ١

وبعد أخذ ورد بيننا وبين مندوبى سيوة انتهى الأمر بتنازلا عن الصفقة ، ثم طلبهم الخديو ووجههم على أفعالهم وثورتهم ضد المسأور وأمرهم بالرجوع مباشرة إلى سيوة . وكان المسأور يعمل لعقد هذه الصفقات نظير حصص يستولى عليها من الأراضى المشتراة ؛ ولقد أثرت هذه المسألة على مركز المسأور حتى فكرت وزارة الداخلية فى تغييره .

فى ١٣ مارس بلغنى من حسين محرم باشا أن الخديو كلفه بالتوجه لمستشار الداخلية ليطلب منه عدم إرسال مأمور جديد بدل المسأور الحالى لأن ذلك عما يساعد

السيويين على الاستخفاف بالمأمورين ويفهمون أن في إمكانهم عزل من لا يريدونه ، وطلب كذلك أن يجرى تأديب الشيخ عثمان حيون أصل الفتنة . فرد المستشار بأن نقل المأمور كان مقررًا من قبل لأنه مكث زيادة عن حقه نصف سنة . وبعد صدور الأوامر وتعيين خلفه الذى توجه للسفر لا يمكن تغيير شيء إنما فيما بعد يمكن إرسال مفتش من الداخلية لسيوة وحينذاك يعزل المشايخ المشاغبين وينتهى الأمر .

ثم إن المستشار أفهم حسين محرم باشا بأنه يعلم مسألة تدخل المأمور في مشترى أراضى لبعض مستخدمى المعية ، ولما أخبره حسين باشا بأن الخديو عندما بلغه شكوى السيويين أمر المشتريين بالتنازل عما اشتروه ، وحدث ذلك فعلا ، رد عليه المستشار قائلا : « وأظن أن أفندينا اشترى أيضاً ١... »

وأراد بذلك أن يعلم هل تنازل الخديو عن أرضه التى يعلم المستشار أنه اشتراها هناك أو لا (*)

سعى الخديو لاجتذاب الأهالى : في ٤ مارس أقام الخديو بسراى عابدين مادة غداء دعا إليها أعضاء لجنة المعرض الزراعى والنظار والمديرين ، وكانت المائدة معدة لتسعين مدعوًا .

وسبب هذه الدعوة هو أن البرنس حسين كامل باشا كان قد لاحظ في حديث مع الخديو بأن سموه لم يفعل شيئاً لاجتذاب الأهالى ، واستحسن أن يدعى أعضاء لجنة الجمعية الزراعية لتناول الشاي أو الطعام عند سموه .

وفي ٢٧ فبراير لما كنت بحضرة الخديو ، ومعنا اسماعيل اباطه باشا ، جرى الحديث حول وجوب سعى سموه إلى استمالة الأهالى ، فانتهزت الفرصة وعرضت عليه فكرة البرنس حسين كامل باشا ، كأنها من عندى ، فاستحسن اسماعيل اباطه باشا هذه الفكرة ولكنه فضل أن تكون الدعوة لأعضاء الجمعية العمومية ، فقلت يخشى أن الحكومة تنسب هذه الدعوة إلى غرض سياسى ، خصوصاً وأنه ستلقى على الجمعية جملة طلبات لا يستريح لها الإنجليز . فوافقنى اسماعيل باشا وعلى ذلك فقد جعلت الدعوة لأعضاء لجنة المعرض الزراعى ، وكان لها أثر حسن جداً .

(٥) والحقيقة أنه بعد تنازلنا اتفق الخديو مع المالكين لها فاشتراها منهم باسم البرنس عبد المنعم ولي العهد .

تعليم ولى العهد وشقيقه : كانت تربية البرنس محمد عبد المنعم وعبد القادر تجرى داخل الحرم لغاية هذا العام ، فلا يخرجان للزهة إلا في الخلوات في ضواحي العاصمة ، ولا يشهد المصريون طلعتهما ؛ لحادثت والدهما في ضرورة إخراجهما ليراهما الشعب ، ويجهز لها محملاً في سراى عابدين لتعليمهما ، فوافق على هذه الفكرة ، وعين محمود شكرى باشا مرافقاً لمرافقتهما والاشراف على تعليمهما. وفي أول نوفمبر سنة ١٩٠٩ صدرت لإرادة سنية بتعيينه مرياً لدولة الأمير محمد عبد المنعم . وقد كلفنى عباس بالبحث عن معلم انجليزى فاستشرت وزارة المعارف في ذلك ، وتعين المستر روب ثم خلفه فيما بعد أستاذ اسكوتلندى .

وها هى ذى صورتها مع أساتذتها .



ولى العهد وشقيقه مع أساتذتها

وقد وقف الشيخ احمد الزناتى (المعلم العربى) فى الوسط . وعن يمينه البرنس عبد المنعم وعن شماله البرنس عبد القادر وخلف عبد المنعم محمود شكرى فالمعلم الانجليزى فالمعلم الفرنسى (كومب) .

سنة ١٩٠٨

الخطوة الثانية لاصلاح الأزهر . مسائل الرتب أيضا . سياسة الوفاق بين
جورسن والحزب . وفاة مصطفى كامل باشا وانتخاب محمد فريد بك رئيسا للحزب
الوطني . لائحة المعاشات الجديدة . سفر الحزبوا للاستانة وأوربا . قاضي قضاة
السودان . اعلامه الدستور في تركيا . فواطر تحميم باشا هن عرفة عبر الحميد
بعباس . دعوة الحزبوا الى مصر . الحركة الوطنية وطلب الدستور في مصر . عرفة
مهم بتركيا . إنجلترا . من استبداد عباس أيضا . نظارة بطرس غالي باشا مدير
الدووقاف العمومية الجديد . بين النظارة الجديد . الارتفاع للدستور . رسالة تهديد
للحزبوا . الانجليزية يعثونه بالامتهنباطي . الانجليزية والوظائف . الحزبوا والاعمال
الهامنة . مجلس شورى القوانين والدستور . اضطراب الامم . قاضي مصر
والولاية الشرعية . المشادة بين الحزبوا والحزب الوطني . تدخل الحزبوا في الانتخابات

الخطوة الثانية لاصلاح الأزهر . لما عين الشيخ الشريفي شيخا للأزهر
سنة ١٩٠٥ حضر بعد قليل من تعيينه ومعه الشيخ سليمان العبدن كبار العلماء الشافعية
وقابلا الحديو ، ثم حضرا عندي ، وتحدثنا في شأن الأزهر ، وما يحتاج اليه من المعونة
المادية والأدبية ، فأبدت عطفى على الأزهر واهتمامى بأمره وبعونته على تأدية مهمته ؛
وسألت الشيخ عما يطلب علاوة على الميزانية . فقال : « ألف جنيه . » فقلت له : إن شيخ
الأزهر ينبغي أن يطلب أكثر من ذلك ، فلما سألتى عما يلزم طلبه قلت له : خمسة
آلاف . فأبرقت عينا الشيخ وقال : « إذن أدع لك هذا الأمر . » فقلت : « إننا إذا أعطينا
أخذناه . » ولفت نظره إلى حالة الفوضى التي تسود طلاب الأزهر ونظمه . وقلت : « إنه

يجب للسير بالإصلاح أن يقبل الشيوخ والطلاب النظام الحالي بالانصراف إلى
الدرس المنتظم الذي يعقبه امتحان سنوي ، وأن ينق الأزهري من الدخلاء بين الطلبة ،
وأن تعدد نظم الدرس حتى توافق روح العصر .

فقال الشيخ ، إنما اعتدنا في مستهل كل عام دراسي أن نوزع الأعمدة على الشيوخ
ونخصر لكل شيخ كتاباً وللطالب أن يختار شيخه فيستمع إليه . . . فأجبه بأن ذلك
لا يتمشى وروح التعليم ونظمه في عصرنا الحاضر .

وبعد مدة قليلة من هذه المحادثة
توفي الشيخ الشريبي إلى رحمة الله وخلفه
الشيخ حسونة النواوي للمرة الثانية . ولما علم
ما دار بيني وبين سلفه وتأكد من اهتامي
بمجاللة الأزهر والأزهريين ورغبتني في المساعدة
على زيادة المرتبات زيادة توافق كرامة العلم
والعلماء نجاء لمقابلتي ومعه الشيخ سليمان العبد
أيضاً ؟ بعد انصرافهما من لندن سموه ،
فأعدت له ما دار بيني وبين الشيخ الشريبي ،
وقلت له مع ذلك إن فضيلة الشيخ يعرف النظم
الموجودة في المدارس العالية التي يدرس هو
فيها ، وما هي عليه من التنسيق في الأحكام ،
وما تسبغه من جليل الفوائد على الطلبة وعلى



الشيخ سليمان العبد

العلم والعلماء . فوعدني بالنظر في هذا الأمر ، وأبدى لي ما يعترض تغيير النظم الأزهرية
من الصعاب ؟ ثم تحدثنا بعد ذلك مرة أخرى واتفقنا على البحث في النظم التي يمكن
إدخالها في الأزهر والمعاهد الدينية ، وأبدت استعدادي لوضع مشروع في هذا الصدد .
ثم عرضت على الحديو ما دار بيننا فاستحسن الفكرة ؛ وقلت لسموه إننا بهذه الوسيلة
يمكن أن ندخل الإصلاحات اللاتقية بالأزهر ، ويكون للجناب العالي أكبر فضل في
تحسين حالة التعليم والمعاهد الدينية على الوجه اللائق بكرامتها ؛ وكان سموه إذ ذاك
على أهبة السفر إلى أوروبا ؛ وفعلاً أخذ مجلس إدارة الأزهر في تعديل القوانين المعمول
بها في الأزهر ؛ وكان من ضمن أعضائه الشيخ محمد حسين العدوي ، فعهد إليه يبحث

هذه القوانين وتعديلها ؛ ووضع في ذلك تقريراً أرسلته المشيخة إلى المعية للنظر فيه ؛ ولكن يظهر أن الشيخ العدوى مع كونه واضح المشروع وموافقاً للمجلس فيما رآه ، لم يكن مقتنعاً بهذا التعديل في بعض أبوابه ، ولذلك قدم إلى المعية وتشد مذكرةً تختص بالدراسة والتعلم يرى فيها أولاً إصلاح الأزهر على الوجه السابق ، وأن يبقى تعليمه حراً وأن يضاف إليه من العلوم الحديثة بقدر ما تتطلبه إجابة العلوم الأزهرية ؛ وبعد ذلك سافر الخديو إلى أوروبا .

ولما كنت بالاسكندرية عند سفر سموه اجتمعت بالشيخ محمد شاكر شيخ معهد الاسكندرية لما كنت أتوسمه فيه من أصالة الرأي ، وراجعنا قوانين الأزهر وغيرها . وبعد عدة جلسات اتفقنا على مواد القانون ووضعنا مشروعاً . وكان يشترك معنا في بعض الاجتماعات الشيخ محمد حسين مخلوف العدوى .

ولما عاد الخديو من السفر عرضت عليه هذا المشروع فرأى أن يكون هناك ثلاثة مجالس إدارية : أحدها للأزهر والثاني لمعهد الاسكندرية والثالث للمعهد الاحمدى ، ويكون هناك مجلس عال يجتمع في الأزهر تحت رئاسة شيخه مع بقاء مواد القانون على حالتها ، فأدخلت هذه التعديلات على المشروع .

وفي ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٧ اجتمعت بناء على الأمر الخديوى مع بطرس غالى باشا رئيس النظار و ابراهيم فؤاد باشا ناظر الحفائية وحسين رشدى باشا مدير الأوقاف العمومية وقرأنا القانون ، وبعد المناقشة وتعديل بعض المواد تقرر عرضه على مجلس النظار ليرى رأيه فيه ؛ ولكن روى بعد ذلك أن تشكل لجنة لمراجعته يكون بين أعضائها شيخ الأزهر والمفتى وشيخ المالكية والشافعية والحنبلة وأنا ، وأن يرأسها ابراهيم فؤاد باشا ناظر الحفائية ؛ فشكلت اللجنة وراجعت القانون وبعد مناقشات طويلة وإدخال تعديلات أخرى وافقت على المشروع . ولما كنت أخشى تدمير بعض العلماء ولا سيما الرجعيين منهم ، طلبت أن تقرر اللجنة أن هذا القانون ليس فيه ما يتنافى وأصول الدين الاسلامى ؛ وقد حصل ذلك .

وفي فاتحة يناير سنة ١٩٠٨ أخبرنى الشيخ حسونة أن كثيراً من العلماء قد امتنعوا لعدم أخذ رأيهم فى القانون ، وأنهم يقومون الآن بتوقيع عريضة لترفع إلى الجنب العالى ، يطلبون فيها إرسال القانون إليهم لفحصه ، فطلبت أن ترسل إلى العريضة والمشايخ الموقعون عليها ، وأفهمته أنى واقف على أسماهم وحركاتهم ، ولكنى فقط

أريد مواجهتهم . وانصرف الشيخ على ذلك ولكن أحداً منهم لم يحضر ، وكنت أعلم أن الشيخ محمد راضى من علماء الحنفية هو زعيم هذه الحركة ، وأن القائلين بالعمل بها من صفار العلماء ، وأن الشيخ حسونة أفهمهم خطأ فكرتهم واستحالة تحقيقها ، وأنه نائب عنهم في لجنة المراجعة . وقد استمعوا إلى قوله واقتنعوا وعدلوا عن حركتهم ، ولكن جاءنى الشيخ محمد شاكر فأخبرنى أنهم بعد أن اقتنعوا عادوا إلى فكرتهم . فقابلت شيخ الأزهر وأفهمته ما يترتب على وقف هؤلاء العلماء من استياء الخديو ، فأبدى لى استعداده للبعد عن كل ما يكدر خاطر الجناب العالى ؛ ثم قابلت إبراهيم فؤاد باشا ، وهو صديق الشيخ ، فشرحت له الموقف فبادر إلى الشيخ ونهيه إلى خطورة الأمر ، وطلب إليه منع إرسال العريضة ؛ ولكن أصحابها كانوا قد أرسلوها بالفعل . وفى يوم ٤ يناير بلغنى من الشيخ محمد شاكر ، وكان قد قابل سمو الخديو فى الإسكندرية ، أن سموه متأكد جداً وغاضب على شيخ الأزهر . وكنت أعلم من بطرس باشا برغبة الخديو فى تعيين الشيخ أبى الفضل ؛ وبالرغم من المساعى التى بذلتها لتهئية الحال فقد بلغنى أن الخديو يعتقد أنى مقصر فى مساعى !

ثم تحدثت مع أصدقاء آخرين للشيخ لاقتاعه بخطأ موقفه وخطأ تعلقه بأذيال الزغوليين بدلا من التعلق بشخص الجناب العالى . ففى الشيخ وجود أية علاقة بينه وبينهم .

وفى ٦ يناير حضر الخديو من الإسكندرية وطلب معلوماتى فى هذا الموضوع فأطلعت على كل ما تقدم ، وفى يوم ١٠ منه كانت صلاة الجمعة فى السيدة سكينه وقد تقابل سموه مع شيخ الأزهر ، فسأله عن إجازة العيد فى الأزهر فأجاب الشيخ على السؤال . ثم قال : « يظهر أن أفندينا لا يريد أن يرى وجهى فهل هو غاضب على ؟ » فقال سموه : « والله أنا سمعت كثيراً من الأقوال فى حقك ولكنى أزم الصبر ! » ، وبعد الظهر أمرنى سموه أن أستحضر الشيخ لسراى عابدين ؛ ورغبة منى فى حسم الخلاف تحدثت معه طويلا قبل المقابلة فى خطر موقفه ، ورسمت له طريق إصلاحه والأيناقتش الخديو طويلا ، بل يوافق على انتقاداته ويعد بإصلاحها ؛ لأن هذه رغبة الحكام عادة ؛ وقد كان ذلك وذهب من نفس الخديو كثير مما كان بها من جهته ؛ وبذلك زالت من الجوى إشاعة كانت تتردد باستقالته نشرتها جريدة اللواء قبل ذلك بأيام .

طرد الشيخ راضى : وبقى الخديو ساخطاً على الشيخ محمد راضى حتى إنه فى يوم عيد الأضحى كان ضمن الوافدين على السراى للتهنئة ، ولما انتظم العلماء حضر احمد زكى باشا

رئيس التشریفات وسط الحجره التي هم بها ونادى الشيخ راضى وقال له بصوت مرتفع :
« يا شيخ راضى ، افدينا غير راض عنك ولا نحب أن يقابلك . ، وسله إلى أحد
التشریفاتية ليرافقه إلى خارج السراى .

وبعد صدور الأمر العالى بهذا القانون انعقد المجلس الاعلى لأول مرة بمشيخة
الأزهر فى يوم ١٧ مارس تحت رئاسة الشيخ حسونة النواوى وعين الشيخ محمد حسين
مخوف العدوى فى هذه الجلسة مفتشاً للأزهر .

وقرر تشكيل لجان من المشايخ لامتحان سائر الطلاب فى الأزهر ووضعهم فى
السنين اللاتفة بمعلوماتهم حسباً تقتضيه ، وعهد باجراء ذلك إلى مفتش الأزهر ، فأجراه
كا عهد اليه فى مسجد محمد بك أبى الذهب بجوار الأزهر وقدم كشفه سنة سنة إلى
المشيخة ؛ وكان ذلك فى أواخر السنة الدراسية . وفى شهر شوال ، أول السنة الدراسية
الجديدة ، ابتدأت الدروس بالأزهر على هذا الوضع وكان ذلك يوماً مشهوداً لم يسبق له
نظير فى الأزهر حضره شيخ الجامع بنفسه ومعه المفتش وكثير من الشيوخ وعمال
المشيخة لمعاونتهم فى ضبط الطلاب وإجلاس المدرسين وتعريفهم أماكن الدراسة ؛
واستمرت هذه الحركة أياماً بين الأخذ والرد وفى نهايتها تعين الشيخ محمد حسين
شيخاً للجامع الأحمدي ؛ وسار الحال على ما يرام .

وإنى أحمد الله على توفيقى فى خدمة العلم بالأزهر ، وإذا لم ينجح قبلى المرحوم
الشيخ محمد عبده فى معالجة إصلاحه فذلك يرجع أولاً إلى أن كبار العلماء كانوا يتدمرون
من قبول رأى أحد تلامذتهم ولا يرضخون لما يقرره من الاصلاحات التي لم يتعودوها
وخصوصاً فى شأن العلوم الحديثة التي كانوا يعتبرون أن فى بعضها ما يخالف الدين ،
وثانياً لأنه كان يترفع عنهم ويمتد بنفسه معتقداً أنه أوفر منهم مقدرة وعلماً .

أما أنا فكانت أحترمهم بتقبيلى أيديهم وإكرامهم وملاطفتهم ؛ وأجتهت فى
إقناعهم بالأرغبة لى لإصلاح حالهم مادياً وأدياً ، فكان يسهل عليهم الأخذ بأرائى
خصوصاً وقد كانوا يعلمون أننى أحظى بتعضيد الخديو وحكومته .
وهذه تعد الخطوة الثانية لإصلاح الأزهر .

على أن هذه السكينة لم تدم طويلاً ؛ فقد حدثت بعد ذلك دسائس أفضت إلى
اضطراب الأزهر واضرب الطلاب عن الدرس ، وتظاهروا واشتبكوا مع الشيوخ فى
سباب وعداء ، ودخل بينهم دخيل السياسة والفساد .

مسائل الرتب أيضاً . في ٧ يناير أمرت بفرز الكشوف الواردة من النظارات بطلب رتب ونياشين للوظفين والعمد والأعيان وبعض الأسماء التي رؤى حذفها من هاته الكشوف، وقابلت مصطفى فهمي باشا وأعطيته الملاحظات الخاصة بذلك. وفي ٨ منه توجهت لسراى القبة وهنأت الحديدو بعيد جلوسه ، فأمرني أن أخبر مصطفى فهمي باشا بأن يفصل التجار والأعيان عن العمد في الكشوف ، وأن يكون منح الرتب والنياشين للأولين من الحديدو ، والآخريين كطلب نظارة الداخلية وقد تم هذا . وبقى الحال على ذلك حتى أواخر العام حيث علمت من بطرس غالى باشا أنه قد حصل الاتفاق بين جورست والحديدو على منح الرتب والنياشين للعمد والأعيان ، سواء كان ذلك بواسطة نظارة الداخلية أو برغبة الحديدو . وقد تخوف بطرس باشا أن تقع غلطات جديدة من سموه وأن ترجع عادة شراء الرتب كما كانت ، فتقع من جراء ذلك فضائح أخرى .

وجرى حديث في شأن الرتب بين الحديدو وجورست ، فأبدى هذا الأخير أن مستشار الداخلية يشكو من توقف إعطاء الرتب ، وأفهمه أن تشجع العمد بالرتب مما يفيد الأمن ، فأجابه الحديدو بأنه وقف إعطاء الرتب لأن الداخلية كانت تعاكس من يمنحون الرتب رأساً من الحديدو ؛ وادعت بأن العمدة قد يترك وظيفته لأجل أن ينال رتبة ثم يعمل الوسائل لرجوعه إليها ، وقد كان يجدر بالداخلية ألا تقبل مثل هذا العمدة في مركز العمودية ثانية ؛ ثم ضرب مثلاً لجورست بأنه كان قد أراد أن ينعم على واحد في القيوم ، برتبة تتوقف الداخلية ، وعلى ذلك لم ينعم عليه ؛ وبعد مدة أرادت الداخلية مرتين أن تمنح رتبة لنفس هذا الشخص ، فأبى الحديدو نظراً لعدم موافقة الداخلية أولاً وكان سموه يحاذر في مسائل الرتب بصد الذي ثار من فضائحتها . ومن ذلك ما سمعته في شهر مايو من حسين زكي بك أن زوجته السويسرية حصلت على الكشوف التي كان يقدمها سابقاً للحديدو لما كان منوطاً به بيع الرتب والنياشين بالمبالغ المتحصلة ، فيؤثر الحديدو عليها بخطة ، مبنياً كيفية توزيع هذه المبالغ بعد خصم نصيب الوسطاء . ومن ذلك مبلغ أربعة آلاف جنيهه لطورنيزون باشا لدفعها لمحل الرهونات بباريس ، عن بعض مجوهرات لسيدة يهه أمرها ، ومبلغ أربعة آلاف جنيهه لعبد العزيز عزت باشا ليسلمها لاسماعيل كمال بك من جماعة تركيا الفتاة ، ومبلغ خمسمائة جنيهه للسيد محمد توفيق البكرى ، ومثلها لمصطفى كامل باشا ، ومبلغ سبعمائة جنيهه للكونت دلاسال باشا

ليسلمها لصاحب جريدة البروجريه للكف عن انتقاد السراى ، وغير ذلك من المبالغ التى كانت تصرف فى مثل هذه الوجوه بعد تحصيلها من طلاب الرتب والنياشين .

وقد كان هذا العمل منوطاً بحسين زكى بك ، ولما أحيل أخيراً إلى أحمد شوقى بك غضب الأول ، ولوح بأن زوجته ستفترها ، إذا لم يحصل على مبلغ مناسب لإزاء تسليمها .

فرفعت الامر للتخدير فاهتم به كثيراً ، وأخذنا بعد ذلك فى المفاوضات مع حسين زكى بك حتى تم الأمر بالصلح نظير مبلغ معين . ولعله يجدر فى أن أثبت أن وساطة الرتب كانت غالباً محصورة فى حسين زكى وأحمد شوقى ، وأما غيرها فقد كانوا يتفقون ما يحصلونه على الدعاية للتخديو .

سياسة الوفاق بين جورست والخيرى . منذ أن عين جورست معتمداً بريطانياً ، والأمر تسير فى هدوء بين الخديو والمحتلين ؛ ولكن بعض الصحف ، كالجريدة والمنبر والأهرام ، ظلت تنتقد أعمال المعتمد الجديد بشدة ، ولا سيما الجريدة التى كانت تهمة بأنه لم يتهج غير سياسة سلفه ؛ وفى حديث بينى وبين الخديو عرضت لهذه الحملات فدافع عن جورست قائلاً : « إن هذا الرجل كانت نيته ولا تزال طيبة بالنسبة لمصر والمصريين ، ولهذا فقد طلب المغفوع عن مسجونى دنشواى من تلقاء نفسه . ثم إنه أظهر للوظفين الانجليز رغبته فى أن يحسنوا معاملة المصريين ، وكذلك ساعدنا على إصلاح الأزهر ، رغم أن مصطنق فهمى باشا أراد أن يلقى بالدسائس بينى وبينه . ثم أضاف إلى ذلك : « وإذا كانت أفكار المعتمد الجديد بدأت تتغير ، فذلك من جراء سعد باشا وتشجيعه طلبه الحقوق وغيرهم على التدخل فى الأمور السياسية ، وانضمامهم للأحزاب ، حتى قال لى جورست : إذا كانت أفكار الطلبة بهذا الشكل ، فإذا يكون منهم عند تقلدهم الوظائف العامة ؟؟ »

الخديو وفتحى زغلول : فى ٩ يناير استقبل الخديو أحمد فتحى زغلول باشا ، وبعد خروجه علمت من سموه أنه أراد أن يبنى لجناحه ما يشاع عن ميوله ضد الخديو وقال : « إذا كان ذنبى هو الحكم الذى أصدرته فى قضية دنشواى ، فاق كنت معذوراً . ، فأجابه الخديو بأنه لا يفكر فى ذلك ، ولا سيما أنه لم يكن رئيس المحكمة المختصة ، وأنه إذا كان هناك انتقاد من هذه الوجهة ، فيكون على بطرس غالى باشا . وهو من المخلصين سموه . فاتهن فتحى باشا هذه الفرصة وقال : « وأنا أعلم ذلك ، ولهذا لا أعمل عملاً إلا

بارشاداته . قال الخديو : « إني أتعقد عليك قبيل كل شيء أنك من حزب الشيخ محمد عبده الذى اقتصحت نياته السيئة في هذه الأيام ؛ إذ أن بملت أورد في كتابه خطابين للشيخ يقول فيهما إنه لا بد من سحب كل سلطة من يد الخديو إذا أريد وضع نظم جديدة لإدارة مصر بحيث يخرج من سلطته الأزهر والأوقاف والرتب والنياشين وألا يتدخل في الإدارة أبداً ، وأنه استشار في رأيه هذا كثيراً من المفكرين فوافقوا عليه . »

وقد سأل الخديو فتحى باشا عن هؤلاء الذين استشارهم الشيخ ؛ فقال إنهم سعد باشا والشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ عبد الرحيم الدمرداش .

قال الخديو : « وأتعقد عليك كذلك أعمالك في حزب الأمة ، وفي الجريدة . » فقال : « يا أفندينا نحن غير راضين عن خطة الجريدة ولهذا حررنا لمديرها خطاباً بذلك . » ووعده أن يحضر لسموه الخطاب .

وقد قال لى الخديو بعد ذلك : « وعند أخذ هذا الخطاب أساسه لجورست ، وأقول له هل يليق بموظف كبير أن يتدخل في مسائل الجرائد والمسائل السياسية ويكون عضواً في حزب ١٩ ، »

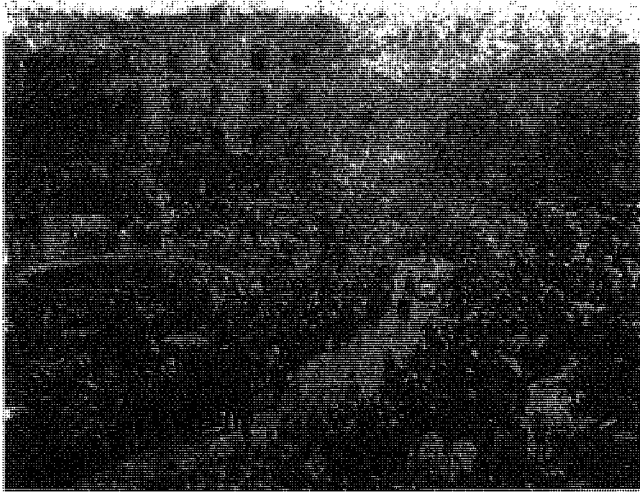
وفي ١١ يناير تقابلت مع بطرس غالى باشا فأخبرته بما وقع بين فتحى باشا والخديو . الخديو والنظار : وفي هذه المقابلة سألتى بطرس باشا عن زيادة التفاضل الخديو لمصطفى فهمى باشا في هذه الأيام فقلت له : « ربما كان ذلك على أثر ما عرفه سموه من أن الباشا عمل زينة كبيرة يوم الاحتفال بعيد جلوسه ولأنه يعرض على الخديو كل أمر هام ويأخذ رأيه فيه أولاً ، بناء على نصح جورست لمصطفى فهمى باشا . » وسألتى بطرس باشا أيضاً عن وقت خروج أودان بك من الخدمة في الديوان الأفرنجى ، فأجبت بأنه بعد أن يبلغ الستين ، وفهمت أنه يقصد من ذلك أن يعين بدلاً منه ابنه واصف غالى بك الموظف بالخاصة ، وقد كنت بالفعل أفكر فيه لأنه شاب نشيط يجيد اللغة الفرنسية والعربية .

وفي ١٥ يناير كلمتى الخديو بمقابلة سعد زغلول باشا والتحدث معه في مسألتين : الأولى رغبة سموه في إعطاء نيشان إلى مسيو بارودى مدرس علم الكيمياء مكافأة له باعتباره كهاوى الخاصة الخديوية . والثانية طلب رأيه في رجاء قنصل ألمانيا الجنرال يعاطا نيشان مسيو مورتنس أمين المكتبة الخديوية ؛ وقد قال لى سعد باشا عن المسألة الأولى إن الأمر فيها للخديو . أما الثانية فقال إنه من زمن وجيز أرسل إنذاراً لمورتنس ، وفهم بعد ذلك من الخديو ومن القنصل أنهما سيرسلانه إليه للاعتذار ، ولكنه لم يحضر

للآن، ولهذا لا يستطيع الموافقة على الانعام عليه ما لم يحضر ويعتذر .
وعلت على أثر مقابلة جرت بين الخديو والمستشار المالي ، أن الأخير قال لسموه :
« إن بطرس باشا يتوجه يومياً لرؤية جورست ، وكذلك مصطفى فهمى باشا يزوره
لرؤيته كل ثلاثة أيام أو أربعة ، بعكس ما كانوا يفعلونه في أيام كرومر حيث كانوا
يتوجهون يومياً تقريباً كل صباح . »

وفاة مصطفى كامل باشا وانتخاب محمد فريد بك رئيساً للحزب الوطنى .
فى يوم ١٠ فبراير وقع حادث جلل اهتزت له البلاد كلها ؛ وهو وفاة مصطفى كامل باشا
صاحب اللواء ورئيس الحزب الوطنى وزعيم الحركة الوطنية .

كان مصطفى كامل يعانى أوصاب المرض قبل ذلك بأسابيع . وكانت الجهود
المتواصلة التى يبذلها فى بث الدعوة الوطنية والذود عن حقوق مصر ، سواء فى داخل
البلاد أو فى خارجها تصدع من بنيتها الضعيفة ، ولكنه استمر فى جهاده حتى اللحظة الأخيرة .
وفى اليوم التالى - ١١ فبراير - شيع جثمان مصطفى كامل إلى مقره الأخير ؛
وكان يوماً مشهوداً لم يسبق له نظير فى تاريخ مصر الحديث ؛ وكان الاحتفال



جنازة المرحوم مصطفى كامل باشا

بجائزة الزعيم الشاب آية على يقظة الشعور القومي، وذلك العطف الفياض الذي بثه الفقيه العظيم برائع خلاله في نفوس مواطنيه؛ وقد اشتركت فيه طبقات الامة كلها من الكبراء والأعيان والموظفين والطلبة والعامل، ولبست البلاد جميعاً ثوب الحداد وكانت اليقظة القومية التي استطاع الزعيم الشاب أن يبثها في الامة، دعامة هذه الحركة الوطنية القوية التي انفجرت بعد الحرب، وما زالت تسير في مجراها.

وبعد وفاة مصطفى اهتم الخديو بانتخاب من يخلفه في رئاسة الحزب الوطنى حتى



محمد فريد بك

كان يوم ١٤ فبراير حيث عقدت الجمعية العمومية للحزب فانتخب محمد فريد بك بالاجماع وطلبه الخديو فهناه وشجعه على الاستمرار في خطة سلفه منوها بحسن مركز عائلته المادى والأدبى وبأنه ليس في حاجة إلى منصب أو مادة وبهذا سيكون وجوده في رئاسة الحزب مفيداً جداً. وقد هنأته بدورى أيضاً.

لائحة المعاشات الجديدة . في ٢ أبريل حضر المستشار المالى إلى سراى عابدين فقدم للخديو مشروع لائحة المعاشات للموظفين الملكيين، وطلب أخذ رأى سموه فيها فكلفنى

بالاطلاع عليها مع اسماعيل أباطه باشا وموسى غالب باشا، فاجتمعنا وقارنا هذا لمشروع بلائحة توفيق باشا.

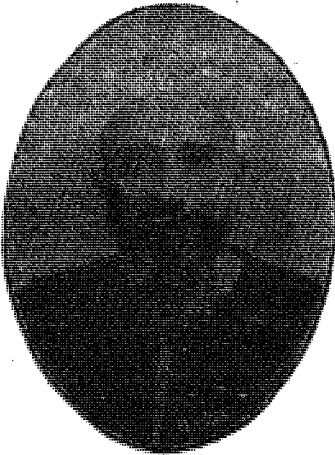
وفي اليوم التالى توجهت صباحاً للبعية وعرضت على الخديو خلاصة البحث في مشروع اللائحة، فكان الفرق بين اللائحتين ما يأتى :

أولاً - أن أقصى المعاش صار بمقتضى المشروع الجديد ٨٠٠ جنيه سنوياً بدلا من ستمائة.

ثانياً - أن معاش البنت أو الولد ينقطع عند بلوغ أحدهما سن الثامنة عشرة بدل السادسة عشرة.

سفر القرمو للإستانة واسربا . وفي ٣١ مايو سافر الخديو للإستانة ومكث بها أسبوعاً ثم بارحها إلى فينا فباريس ولندرة ثم رجع إلى أوروبا وأمضى بها بضعة أسابيع ورحل نهائياً إلى الاستانة ثانية . وبقيت في مصر لمباشرة الأعمال والاتصال بالنظار .

قاضى قضاء السودان . في أثناء غياب الخديو عرضت مسألة تعيين قاضى قضاء السودان بدلا من القاضى السابق الشيخ هارون ؛ فأرسلت مذكرة بذلك للجناب العالى لجاه لى الرد بتاريخ ٤ يوليو من محمود شكرى باشا المرافق لسموه وفيه : أن المطلوب قبل صدور الأمر أن أتقابل مع الشيخ شاكر واستعلم منه عن المذهب الذى تجرى عليه الأحكام فى السودان وبمن كان يستمد القاضى سلطته فى القضاء ، وهل يعتمد فقط على الأمر الصادر اليه بالتعيين أو من الجناب العالى مباشرة .



الشيخ محمد مصطفى المراغى

وبعد استيفاء هذه المعلومات أرسلت بتاريخ ١٥ يوليو برقية بأن الأحكام تجرى فى السودان طبقاً للمذهب الحنفى ، والقاضى السابق كان يصدر الأحكام بمقتضى الأمر الشفوى الصادر للسردار من الجناب العالى عند تعيينه .

وبتاريخ ١٩ يوليو جاء الرد بالموافقة على تعيين فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى فى هذه الوظيفة ، وهو الذى وقع الاختيار عليه وأن يصدر القاتمقام أمراً بذلك ، ويكون من ضمن الأمر : أن تكون الأحكام الشرعية التى يصدرها القاضى منطبقة على ما يجرى فى المحاكم الشرعية بالقطر المصرى .

اعلامه الدستور فى تركيا . كانت تركيا فى السنوات الأخيرة تتمخض عن انقلاب وضعت أسسه جماعة تركيا الفتاة ، وكانت الأفكار رغم الضغط عليها تتخفر للوثوب حتى انفجرت أخيراً فى هذا العام ، وانتهت الثورة — التى كان من كبار محرريها الضابطان أنور بك و نيازى بك ومساعدهما طلعت بك التلغرافى فى سالونيك بافناء

الأوامر التي كانت تصل من الاستانة بالتدابير العسكرية لتقمع الثورة - باعلان الدستور في طول البلاد وعرضها رغم إرادة السلطان ورجال المايين ، وكان محمد عزت بك مرافقاً لدولة الوالدة اثناء وجودها بالاستانة فبعث إلى برساكتين وصف فيها الاستانة وقت هذا الانقلاب الذي تم بدخول جيش سالونيك بقيادة محمود شوكت باشا إلى الاستانة .

وقد جاء في الرسالة الأولى بتاريخ ٢٨ يوليو ما يأتي : « في اليومين الماضيين ابتدأت المظاهرات من الصبح للمغرب والمجتمعون لا يقلون عن خمسين ألف رجل بين عالم وضابط وكاتب وتاجر وكثير من العوام وكل منهم يحمل علماً ، وقد طافت المظاهرات بالوزارات جميعاً والموسيقى تصدح أمامهم ، وحلقوا جميع الوزراء على مبادئ الانقلاب بما فيهم شيخ الاسلام . وبعد ذلك توجهوا لسراي يلدز وكنت بين المتفرجين عليهم من تنكية الشيخ ظافر ، واستمر الموكب أربع ساعات بالضبط يمر من أمامي وتصور كم ألفاً تمر في هذا الوقت بملء شارع يلدز ، وكلهم يصيحون هاتفين للدستور والحرية والمساواة مما لم يكن يخطر على بال أحد . فسبحان مقلب الأحوال في طرفة عين . وقد أصبحت الجرائد حرة وجوزات السفر كذلك ، والأهالي يتحدثون في الشؤون السياسية ملء أفواههم وطلبة الحقوق وغيرهم كانوا في مقدمة الجميع ، وقد خرج طلاب مدرستي الطب والبحرية رغم أنف ضباطهم .

والنهاية أن الواقع هنا يكاد الانسان لا يصدقه ويعتبر نفسه في حلم من الأحلام .
وجاء في رسالته الثانية بتاريخ ٣ أغسطس ما يأتي : « لقد اختصرت في رسالتي السابقة لأن الحاصل هنا لا يمكن شرحه أما سبب هذه النعمة التي حصل عليها الأتراك فهي قوة الأوردء الثالث (*) واتحاد ضباطهم بواسطة الجمعيات السرية المشككة في ولايات الروملى الثلاث ، حيث كانت المخابرات فيها حرة بسبب الاصلاحات المطلوبة . وقد أخبر حسين حلى باشا رئيس لجنة الاصلاحات المطلوب إدخالها في الروملى بما يجرى فيها ، وأنذر بوخامة العاقبة . ولما عرض ذلك على السلطان طلب الصدر فريد باشا وأراد منه أن يطفئوا نار هذه الفتنة فأجاب الصدر بعدم إمكان ذلك ويلزوم منح الدستور ، وبالطبع لم يقبل جلالتة هذا الرأي فاستقال فريد باشا . ثم طلب السلطان سعيد باشا الصغير « كوجك » فأبدى استعداداه لاصلاح الأمور ، وتولى الصدارة وكتب إلى حسين حلى باشا برقية توبيخ وتأييد فرد عليه بلهجة شديدة قائلاً : « إنه إذا

(*) فريق من الجيش أكبر من الآلاى .



سید نیازی بك



أنور بك



عمود شوكت باشا



طلعت بك

لم يعط الدستور في مسافة أربع وعشرين ساعة تكون العاقبة وخيمة ، وتضمحل الدولة حيث أعلن الاتحاديون الدستور هنا في سلانيك .

وفي الحال اجتمع الوزراء وتقرر إعلان الدستور ، ثم صدر فرمان شرح أحكام هذا الدستور ، وأرسل إلى الباب العالي بواسطة نوري باشا ؛ إذ أن رئيس الكتاب ، وتحسين باشا ، لم يستطع الخروج من السراي لشدة تحقير الشعب له ؛ وكذلك فر عزت العابد باشا مشعباً بالسخط من الأفواه والصحف . والجمهور هنا في نهاية الثورة والهيح على رجال الحكم السابقين .

أما السلطان فقد خرج بدون تحفظ ، وواجه من الأهالي نحو الخمسين ألفاً وسار بينهم بالعربة ذهاباً وإياباً ، فسبحان من يغير ولا يتغير (*) .

فمراطر خمسين باشا عن عمركه عبد الحميد بعباسي . علم القاري . أنتى كنت حلقة اتصال بين عباس وعبد الحميد بواسطة الباشكاتب تحسين باشا الذى انزوى بعد الانقلاب في بيته فقيراً .

وقد أخرج تحسين باشا فيما بعد خاطراته عن الأشياء المهمة التي مرت به ، ومنها طبعاً علاقة عباس بعبد الحميد في السنوات الأولى من زيارة الخديو للخليفة . كانت هذه العلاقات حسنة أولاً ثم ما لبثت أن تغيرت عند فرار رجال تركيا الفتاة والتجأهم لمصر . وطلب الخليفة منهم من نشر مقالات السخط على إدارة الحكومة التركية الاستبدادية وإغلاق جرائدهم ونفى أصحابها من مصر ، عند ذلك حصل الفتور بين التابع والمتبوع . قال تحسين باشا : إن عبد الحميد ما كان ينظر إلى الخديويين في أى وقت من الأوقات بعين الارتياح . وفي الواقع كان طبيعياً جداً ألا يأمن السلطان خديوي مصر وأن يضعهم على الدوام تحت بفظته ومراقبته نظراً لسياسة محمد على (القول له) وثورته وحرركه المهودة ضد الحكومة المتبوعة .

ولقد سبب زيادة وسوسة السلطان إلى غايتها ما بسطه الانجليز من نفوذهم على مصر بعد الثورة العرابية . والخلاصة يمكن القول أنه لم يكن في قلب عبد الحميد أى اطمئنان لمصر في أى وقت كان .

لم يقبل السلطان أن يأذن لاسماعيل بالاقامة في استانبول إلا بعد أن قدم لجلالته تأمينات الولاء ابنة حسن باشا ، ومع ذلك كان تحت المراقبة .

(٥) وقد عول فيما بعد وراحتن نى سراى بسلانك .

لما تولى عباس باشا الشاب ، كان السلطان يظن أنه سينطبع بالسياسة الانجليزية لعدم تجاربه ولطامعه في تحقيق بنص آماله .

قد كان السلطان على علم بمطامع الانجليز في مصر وبلاد العرب ، ولذا كانت متيقظاً على الدوام نحو هذه السياسة ، وكان يتوقع أن عباساً سيساعد الانجليز على تنفيذ هذه السياسة .

وكان يوجد بعض ذوى المطامع الشخصية الذين يدسون الدسائس ، حتى إن السلطان يكون في ريبة وقلق نحو الخديو ومصر

. ومن المعلوم أن تمضية الصيف في مصر غير ممكنة للطبقة الغنية لشدة الحرارة ؛ ففهم من يمشيها في أوروبا والبعض في استانبول . فاذا أراد الخديو تمضية الصيف في إحدى ممالك أوروبا كان من الواجب عليه أن يمر على لندرة ، ومن المحتمل أن يتفق مع الانجليز على سياستهم . أما إذا أمضى الصيف في استانبول فانه لا يحرك ساكناً ، فوجوده في الاستانة أقل خطراً لسهولة مراقبته ، لأن تعيين المهندرات والياوران الشاهانية كان الغرض منه مراقبته لا المغالاة في مظاهر احترامه .

وكان الخديو في أثناء إقامته يحضر إلى السراى ويدعى لتناول الطعام من حين إلى حين ، وكان يحظى بالمقابلة بعض مرات ويطيب خاطره بمختلف المظاهر (١) .

وزيادة في الحفاوة عين من الوزراء رائف باشا مهمنداراً للخديو ، ولكن نظراً لبعض التداير التي اتخذت من جراء توالى التقارير تأثر عباس وكادت الألفة التي كانت تسود في أول الأمر تزول ومشت الثيمة بينهما فتضايق السلطان من ذلك . ولقد استفحل الأمر حتى صار من الضروري إرجاع الحالة إلى ما كانت عليه من قبل . وكان للخديو كاتبان أحدهما للعربي والآخر للتركي ؛ وكان كاتب العربي شخصاً يسمى شفيق باشا (٢) اكتسب محبة الخديو وصداقته وكان ذا دراية ورزانة . ولقد دعوت شفيق باشا بناء على أمر السلطان إلى السراى وتباحثنا طويلاً وانكشفت جميع الوشايات وفهم أمرها ، ورجع شفيق باشا إلى مصر صادق الاقتناع وقابل عباساً وأوضح له حقيقة الأمر . ولقد ظهر بعد ذلك من الآثار ما يفيد أن الحالة رجعت إلى سابق صفتها .

(١) يعنى الهدايا الثمينة وأهل نياشين الدولة وما إلى ذلك ، وكانت عباس يجب عليها بالمثل كما ذكرت آنفاً .

(٢) يريد صاحب هذه المذكرات .

وكانت هذه المناسبة عبرة عظيمة لمقدمي التقارير السرية ؛ فقد كان بعض أشخاص من العطاء كلما حضر الخديو إلى استانبول يقدمون ضده التقارير إلى السلطان ويقولون على حركاته وأحواله ظلاماً من الريبة حتى تزداد وسوسة السلطان منه . وكانوا في الوقت نفسه يكتبون للخديو يعرضون اخلاصهم . فلما عادت بين السلطان والخديو سابق العلاقات الحسنة ، قدم الخديو للسلطان تقارير الولاء والاخلاص لسموه من الذين كانوا يدسون الدسائس . ضده عند الخليفة ، وكان هذا دليلاً على ما وصلت إليه الأخلاق من التدهور .

إخلاص عباس باشا : كلف عباس في المدة الأولى لزيارته للاستانة مخلصاً لعبد الحميد راعياً في تنفيذ أوامره ، لدرجة أنه لما طلب منه إبعاد رجال تركيا الفتاة أرسل جانباً منهم على مركب شرعى لا يصلحهم إلى استانبول . ومن ذلك أيضاً أن جلال الدين باشا ، بعد زواجه بالأميرة المصرية عصمت هانم ، قد فر إلى أوروبا وحضر إلى مصر وأقام فيها ، فأرسل عباس للسلطان يقول إن المذكور يعاون رجال تركيا الفتاة بالمال . وقال عنه أيضاً إنه طمعاً في ميراث زوجته عمد إلى قتلها .

عباس وبناء ككشك ذى برج في الجبل : أنشأ الخديو في أرضه الكائنة بجوقلى ككشكا ، والرأى لهذا الككشك من بعيد يشاهد برجاً . وما كاد البرج يتم بناؤه حتى قدم واحد من العطاء المجاورين له تقريراً للسلطان ذكر فيه أن الناس يلهجون بأن هذا البرج جار عمله لوضع نظارة معظمة في أعلاه ليتيسر له بواسطتها مشاهدة حركات وسكنات عبد الحميد في بلد . وهذا الككشك لفت أيضاً نظر أحد السلاطين المقيم فوق ككشك كلندار (وهو منزله على البوسفور) فأرسل للسلطان يخبره عنه (*) .

عودة الخديو إلى مصر في ١٧ سبتمبر عاد الخديو وحدثنا بما لاقاه في رحلته ، ثم قص علينا أنه بعد زيارته للاستانة ورحلته لأوروبا زار قوله ورودس وبعض سواحل الأناضول من جهة مرماريس ومكرى كوى ، وكان ذلك محظوراً عليه من قبل . وقد سمعت منه أنه لم ير احتفالاً بمقدمه أجمل من ذلك الذى لقيه في قوله ؛ فقد استقبلته الحكومة والأهالى بمظاهر ودية جميلة جداً ثم دعاه الأهالى لتناول العشاء في اليوم التالى وقالوا له إن الاحتفالات نظمت في اليوم الأول حسب برنامج الحكومة المحلية ، أما اليوم فإن الأهالى يريدون أن يعملوا ما يرون . فشكر سموه المتدوين عن الأهالى

(٥) ولما كنت مباشراً لبناء هذا البرج علت بصدر الأمر بايقاف البناء وطرده الحال ولكنى أقيمتهم من الخروج حتى أتوا البناء بارتفاع أقل من ارتفاع الرسم الموضوع له .

من أترك وأروام ويهود وقبل العشاء عندهم ؛ وقد أعدت عربة لركوبه ، ولكنه ما كاد يصعد إليها حتى جاء ستة من الأهالي الأشداء خللوا الخيل ووضعوا أنفسهم مكانها ، وساروا جرياً بالعربة وحوها ألوف من الأهالي حتى محل الدعوة ؛ وهناك كانت المائدة . وبعد الطعام ابتدأت الخطب فرحب أحد القناصل بالخدوي بالنيابة عن زملائه وبالإصالة عن نفسه ، ثم خطب مدير البلدية وغيره . وفي النهاية قام أحد رجال الانقلابات (أى الدستور) وقد حضر خاصة من سلايك ورحب في خطاب لطيف بالجناح الخديوى . وقد طلب أحد الحاضرين من سموه أن يمد البلد بعنايته في استحضار المياه الكافية لها فوعدهم بذلك وأغدق على فقراء البلد الاحسانات وزار قبور أسرة محمد على وبيته والمدرسة والتكية ومكتباً ابتدائياً لوقف محمد على ، وقال عباس إن الذى يزور مقابر أجداده ومنزل محمد على يرى أنهم كانوا من أسرة حسنة وليست فقيرة ؛ والخلاصة أن سموه سر جداً من الحفاوة به .

وَد : احتفال الحكومة بإعزاز من المصدر الذى أرسل برقية بهذا المعنى ، لأنه علم من سموه قبل السفر بيوم عزمه على زيارة قولة . أما طاشوز فاتفق على عدم زيارتها حتى يفصل في مسألتها ، ولذلك مر الخديو حوالها فقط .

الحركة الوطنية وطلب الدستور في مصر . في هذا العام ازدادت قوة الحركة الوطنية وتنبه الشعب إلى حقوقه السياسية ؛ ويرجع ذلك لأسباب منها التنافس بين الأحزاب السياسية الثلاثة التى تألفت في العام الماضى ، واتساع دائرة المناقشات في حقوق الشعب وما إليها ، ومنها إعلان الدستور في تركيا وأخبار الاستانة التى كانت تصور الانقلاب العثماني تصويراً واضحاً وتبين قوة الشعب وأثرها ، مما كان له وقع عميق في مصر ، وأثر قوى في إذكاء الشعور الوطنى ، ومنها إحساس المصريين بترجع الانجليز واضطرابهم لتغيير عييدهم في مصر اللورد كرومر أمام قوة الوطنية المصرية .

وقد كان من الأعضاء البارزين في مجالس شورى القوانين أمثال حسن عبدالرازق باشا ومحمود سليمان باشا واسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا واحمد يحيى باشا من يعمل بكل قواه لتتمتع مصر بدستور يشرك الأمة مع الحكومة في تصريف الأمور ؛ وكان الخديو لا يكره مثل هذا الطلب على أن تتبع في تحقيقه طريق معقولة هادئة ؛ وكان يرى أن اسماعيل أباطه باشا هو خير من يستطيع " ير في هذه الطريق بعيداً عن الأحزاب . لهذا شجع اسماعيل أباطه باشا ، عند فكر في السفر إلى لندن ، لتقديم مذكرة

لوزير الخارجية يشرح بها الحالة في مصر ، ويطلب المزيد من الاشتراك بين الشعب والحكومة في تصريف الشؤون . بل زاد على ذلك فطلب من السير دون جورست التوصية عليه لدى وزارة الخارجية . وقد فعل ، عملاً بسياسة الرفاق .



احمد حني باشا



اسماعيل أباطه باشا

وسافر الباشا ومعه محمد الشريعى باشا والسيد حسين القصبى ومحمد عثمان أباطه بك وعبد اللطيف الصوفانى بك وناشد حنا بك . وكان الدكتور ابراهيم الجورجى متطوعاً لمساعدتهم والترجمة لهم طول مدة إقامتهم بلندن أثناء وجود الخديوى فى أوربا ، فلقى من وزير الخارجية الرعاية وحسن الاستقبال ، وعاد إلى مصر فى منتصف أغسطس .

وكانت وصاة جورست لهم أن يحصروا كلامهم فى مسألة توسيع نطاق اختصاص مجلس شورى القوانين دون الكلام عن الجلاء .

وفى اليوم الذى غاد فيه الخديوى من أوربا وهو يوم ١٧ سبتمبر ، لما توجه نظرى باشا مع النظار لمقابلته فى المحروسة ، أخبره أن مستر جراهام النائب عن جورست يريد أن يتشرف بمقابلته فأذن سموه أن يرسل إليه فى الحسالى خيراً لحضوره لسراى رأس التين ؛ وفى المساء قابل الجناب العالى مدة طويلة علمت بعدها أن سبب المقابلة هو أن جورست كتب له أنه بمجرد وصول سمو الخديوى يقابله ويرجوه ألا يقول لاسماعيل أباطه باشا شيئاً عن نتيجة عمله فى لندرة ولا يعده بشئ . ما ؟ فأجاب سموه : « لئنى لا أعلم شيئاً حتى أعد وأقول شيئاً لاسماعيل باشا ؛ ولكن الذى أعرفه مما كان ياتينى من مصر وأنا بأوربا ، أنه يوجد الآن تيار قوى نحو طلب الدستور ، وأن هذا

التيار حقيقي غير مصطنع فلا يستهان به ؛ لأن مجموع الأمة هو الذي يطلبه . وأنه ليس حركة عسكرية كما هي الحال في تركيا ، وأن الأصوب هو التفكير في شيء يعطى للأمة ، وإن كنت لا أنصح باعطاء دستور كامل كما في فرنسا وإنجلترا مثلا ، وإنما يمكن اشتراك الأمة مع الحكومة بدون مساس بالامتيازات .

ثم قال سموه إنه لا يكون مستولا عما يحدث إذا لم ينظر بالمعطف لمطالب الوطنيين ؛ فالدستور الآن : مودة ، وكل الشعوب تطلبه كما في تركيا وفرنسا وسواها ، فلا يجب إذا طلبه المصريون .

غير أنه كانت هنالك مناقشات من أباطه باشا وعلى شعراوى باشا تفتت في جهودها ، وكنت أرى من الخير اتحاد هذين الرجلين وأنصارها حتى يكون لقيوتهما المجتمعة أثرها ؛ ولهذا فقد دعوتهما لمأدبة يوم ٣١ أغسطس بحضور الشيخ محمد شاكر ؛ وكان الغرض من ذلك إصلاح ذات بينهما . ودار الحديث في الموضوع فأبدت لها أنه لا يمكن لمصر أن تنال خيراً ما لم تتحد وتجتمع على رأى واحد ؛ وأنه يجب لكى نعطي للشعب نموذجاً حسناً أن يبدأ بذلك كبار الرجال في مجلس الشورى وفي الجمعية العمومية ؛ ولكن مع الأسف فإن هؤلاء يعطون أمثلة للشقاق والخلاف ، وأخص من بينهم بالذكر على شعراوى باشا واسماعيل أباطه باشا .

أما على شعراوى باشا فقد راوغ وقال إنه لا يوجد في نفسه شيء ضد اسماعيل أباطه باشا ، وأنهما كانا حتى آخر لحظة متحدين في المجلس .
وأما اسماعيل باشا فقد كان صريحاً وقال : « الحقيقة أنه يوجد بيننا شيء . وأن كلا منا يشعر ببعده عن الآخر . »

وبعدتد طلبت منهما أن يدعا ما فات ، وأن يعملوا معاً لوضع برنامج يتبعه مجلس الشورى في طلب ما ترجوه البلاد ، ودعوتهما لاتهاز هذه الفرصة وعدم إضاعتها على الوطن بسبب المنافسات الشخصية .

وفي ٣ سبتمبر كان اجتماع آخر ولكنني لاحظت أنه لا يزال بينهما نفور وأنهما لم يعملوا شيئاً في الموضوع .

وجاءني يوم ١٠ منه احمد يحيى باشا ، فحدثته في جمع كلمة أعضاء مجلس الشورى ، وقصصت عليه ما حصل بين اسماعيل باشا وشعراوى باشا وطلبت منه أن يجتمع بهما فوعده أن يبذل كل مجهود للتوفيق .

وفي ٢٤ سبتمبر عقد اجتماع بين اسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا والدكتور محمد علوى باشا طيب العيون واحمد يحيى باشا و ابراهيم سعيد باشا و ابراهيم مراد باشا وتناقشوا فيما يجب عمله .

وفي ٢٥ سبتمبر كنت مدعواً للعشاء مع اسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا، فدارت بينهما مناقشة حادة وأخذ الأول يعير الثانى بحزب الأمة وأن مكانه فى مجلس الشورى هو أسمى من ذلك، وأنه خير للبلد أن يصرف تفكيره فى جمع كلمة أعضاء هذا المجلس فيكون حزباً واحداً أقوى من جميع الأحزاب؛ وشعراوى باشا يعير أباطه باشا بأنه بعد أن اعتزل الأحزاب عاد يحسن الآن لتأليف حزب جديد .



على شعراوى باشا

وقد تدخلت بينهما، وقر الرأى على أن يدعو شعراوى باشا الحاضرين إلى مأدبة ثم يقيم أباطه باشا مأدبة أخرى لاتمام الصفاء والوفاق؛ أما أنا فقد اعتذرت حتى أذع لها فرصة لتصفية ما بينهما بعيداً عن تدخلى .
وقد علمت فيما بعد أنهما اتفقا على الاتحاد وأن شعراوى باشا اتفنع بذلك، بعدما أقنعه كل من ابراهيم سعيد باشا وعلوى باشا و ابراهيم مراد باشا بذلك، اتفقوا جميعاً على عقد المجلس بعد أن يجتمعوا أولاً بأعضائه ويتفاهموا معهم على عمل مفيد .

ولما أخبرت الخديو بمسعاى من مبدئه إلى نهايته لم يرق فى نظره أن أظهار بذلك التدخل، فدافعت عن عملى بأننى تدخلت بصفة شخصية محضة لم يشعر أحد بها .

وفي ١٢ اكتوبر قابل مستر جراهام الخديو وحادثه فى الحالة الحاضرة، وجرى الكلام عن الحزب الوطنى فقال جراهام إنه الآن فى هبوط ولا قيمة لتهديداته، وعن مجلس شورى القوانين فقال إنه يوجد شقاق بين الأعضاء فيما يخص بطلب الدستور؛ حتى إن بعض الأعضاء خرجوا من الجلسة حينما علموا أن المناقشة ستدور حول هذا الموضوع — يقصد بذلك طلبه سعودى باشا — والبعض لم يحضر الجلسة وسافر إلى بلده ومنهم فتح الله بركات بك وآخرون وكلهم مستاءون من اسماعيل اباطه باشا لأنه قال عنهم لوزير الخارجية الانجليزية إن الحكومة رشتهم فأمنتهم على مراكزهم الحالية .



فتح الله بركات بك

وفي ١٥ اكتوبر قابلت بطرس غالى باشا فعلبت منه أن جراهام قابله وحديثه عن ضعف الحزب الوطنى ، فأجاب به الباشا بأن ذلك صحيح ، ولكن ظهر ما هو أهم وهو حزب الأمة ، فاعترف بذلك جراهام ؛ وقال لى بطرس باشا : إن الغرض من ذلك هو أن نوهم الانجليز بوجود قوة تخيفهم فى البلاد حتى لا يعتقدوا أن الجوق قد خلا لهم . .

عمارة مصر بتركيا وانجلترا .

فى ١٦ اكتوبر تقابل جورست مع الخديو لأول مرة بعد رجوعهما من أوروبا . وعقب المقابلة اجتمع سموه ببطرس غالى باشا واطلعه على كل ما دار بينهما .

وفى المساء صحبنى سموه معه للمنتزه ، وكان فى الانتظار هناك اسماعيل اباطه باشا ولما اجتمعنا نحن الثلاثة علمنا من سموه أن مقابلة جورست له كانت ودية كالعادة ، وأنه تحدث عن حالة أوروبا العمومية : النمسا وبلغاريا وكريد وسياسة انجلترا مع تركيا ، وفهم سموه أن الانجليز سيعضدون الأتراك إلى النهاية ؛ ولكن النتيجة ستكون اعتراف أوروبا باستقلال بلغاريا وبضم البوسنة والهرسك للنمسا وكريد ليونان . وقد ظهر للخديو أن انجلترا لا يمكن أن تخرج بلا غم يخفها ، ويقول إنه تجرى محادثات بين هذه الدولة والأتراك بتعديل بعض نصوص فرمان مصر ، بأن يكون لها حق فى عقد قرض بدون مراجعة الدولة . وهى نقطة خطيرة على مصر لأن مصر تؤول للبصريين ، ويؤول المصريون إلى نير انجلترا ، خصوصاً إذا تم للأتراك إلغاء الامتيازات فذلك يسرى على مصر فتصبح بذلك مستقلة فعلا بالنسبة لأوروبا ، وربما تشتري مصر من الدولة الجزية بدفع ملايين معدودة فتصبح بذلك مستقلة بالنسبة لتركيا ويكون الخطر على مصر عظيماً .

جورست واسماعيل أباطه باشا : وقد أبدى جورست استياءه من أباطه باشا . لأنه لما تكلم مع وزير الخارجية بلندرة ، لم يظهر له أن جورست مساعد للمصريين . مع أن الباشا قال للخديو إن وزير الخارجية لما سأله إن كان قد حصل كلام بخصوص قانون المديرية مع جورست . فأجاب الباشا بأن المتمد أعطى ما يمكنه إعطاؤه ؛ وكذلك قال جورست للخديو : أنت طلبت مني أن أساعد أباطه باشا . لأنه أحسن أعضاء مجلس الشورى . وقد فعلت وقابلته وتناقشت معه . فلما ذهب إلى لندره لم يتم بي ، وعمل كل شيء بدون رأى مع أنى حين سألتى وزير الخارجية عما إذا كان يحسن مقابلة أباطه باشا أجبته بالإيجاب .

وظهر من كلام جورست أنه يلوم الخديو على وصايته له باسماعيل أباطه باشا . وظهر أيضاً أن الحكومة الإنجليزية لم تعطه أوامر بخصوص عمل تغييرات في حالة مصر ، لأنها مشغولة بالمسألة الشرقية ؛ وعليه فلا أمل للمصريين في شيء .

الاستور : ولما وقف أباطه باشا على ذلك قال : . إننا سنعمل الواجب علينا ، فسيجتمع مجلس الشورى في ٣١ أكتوبر ، ويقرر طلب عمل قانون لاشتراك الأمة في إدارة مصر بدون مساس بالامتيازات وصندوق الدين وخلافه . ولا نقول برلمان ولا قانون سنة ١٨٨٢ ؛ وسأسافر بعد أربعة أيام للاجتماع مع إخوانى أعضاء المجلس ونرتب بيننا الخطة ، ونجمع الأعضاء كلهم معنا إن أمكن ، وتتوجه للحكومة ، ونعرض طلبنا . وننتظر حتى اجتمع الجمعية العمومية في فبراير سنة ١٩٠٩ . فتؤيد طلبنا ؛ وبعدئذ إن لم تحرك الحكومة ساكناً نفتصب ولا تتوجه للمجلس . ، غير أنه نظراً لما عمله الخديو من استياء الانجليز من تأخير مجلس الشورى في إنجاز الأعمال ، وأنهم عزموا على استصدار دكرى بقرائه إذا لم يبد المجلس رأيه في مسألة عرضت عليه في مدة معينة يعتبر كأنه صدق عليها . فقد وعد أباطه باشا أن يحض إخوانه على إنهاء ما هو باق تحت النظر ، مثل لأمتحة المعاشات ، ولوائح القضاء الشرعى ، وغيرها .

أما تعديل مجالس المديرية فإن المجلس يقرر تأخيره حتى تنظر الحكومة في طلبه الخاص بانشاء مجلس نيابى .

وتقرر أن يتوجه أباطه باشا ويترك بطلانه عند
 لأنه ربما رفض ، كما أنه رفض استقبال على شعر باشا الألبانى جبرى مع
 اسماعيل أباطه باشا إلى القاهرة ، فكرنا في أنه ربما يكون كلام جورست من باب

الايهام الذى يقصد به تمييز الهمم للمصريين فلا يحركون ساكناً .

وقد بلغنى من بطرس غالى باشا ، ثم من الخديو . أن المستشار المالى كلم سموه بخصوص الجرائد العربية . وكانت الاجابة مثل ما أجيبت به جراهام . وقد قال لى الباشا إن المستشار قال له : كيف يمكن طلب البرلمان مع وجود الاحتلال ١١ ،

من استمراء عباسى أيضاً . فى أول يوم من رمضان ، أهان الخديو بعض موظفى سراى رأس التين بالسب الشديد ، وعاقبهم باستقطاع أيام من مرتباتهم ؛ ووقع مثل ذلك فى سراى المنزه ؛ واستمرت هذه العاصفة الاستبدادية عدة أسابيع .

وقد شاهدت بعينى أنه حث على شخصين من الموظفين فى سن الشيخوخة . فطردهما من الخدمة بعد توبيخ شديد ؛ وغضب على تركى يعمل بوظيفة وقاد ، فدعا إليه بعض العساكر السود ، وأمر أقوامهم وأضخمهم — حتى إنه كان يلقب بالبهلولان — بأن يمسك به (بمحتضنه) ، وأخذ الخديو يضربه بسوط كان معه ضرباً مؤلماً ، وهو يقول له بالتركية : ه انت عربيت الأتراك وأهالى شواطئ البحر الأسود . انت أنلفت وابورات الكهرياء بسراى القبة ، فخرقت خزانها ، أما التركى . فكان يتلقى الضربات ولا يتأوه . ولا يزيد على أن يقول : ه العفو العفوا ، ولما تعب الخديو من ضربه ، تركه وأمر بطرده من الخدمة .

واستمر الضرب والسب وخضم المرتبات وكذلك الانذارات ، وكل ذلك لافل هفوة ، فكان موظفو السراى فى انزعاج دائم ؛ وكان الخديو يعانى مثل هذا الاضطراب فى ظل هذه الحياة العاصفة .

نظارة بطرسى غالى باشا . فى ١٩ اكتوبر ، عاد مصطفى فهمى باشا من أوروبا ، فذاعت الاشاعة بزمه على الاستقالة . لأن صحته ليست على ما يرام ، ورددتها الصحف .

وفى ٢٦ منه ، قابلت بطرس باشا . فأبلغنى أنه تكلم مع الخديو فى إدخالى ضمن النظارة التى ستشكل ، وذاعت إشاعة بأنى سأعين ناظراً للعارف ؛ ولم أسأل بطرس باشا عن التفاصيل . ولا عن أفكار الخديو ، وما قاله بخصوصى ، حتى لا أهدى له اهتمامى ؛ ولكنه لما سألتنى عما إذا كنت مسروراً بذلك . أجبته بالإيجاب .

وفى ٥ نوفمبر عاد الخديو إلى مصر ، ومعه النظار والمستشار المالى ورجال المعية ؛ وبعد أن اختلى بالنظار والمستشار معاً ، اختلى بالآخر وحده مدة طويلة . ثم شاركهما

بطرس غالى باشا ؛ وعلمت أن المستشار قال للخديو إن مصطفى فهمى باشا سيطلب مقابلة خصوصية ، وربما التمس بعض أشياء ففهم سموه أنه سيلتمس إحالته على المعاش بشروط خاصة مثل إعطاء مكافأة أو غيرها ، فأجاب الخديو بأنه ليس عنده شيء يعطيه .

وفى ٩ نوفمبر أخبرنى الخديو أن مصطفى فهمى باشا أرسل يطلب مقابلة خصوصية لليوم التالى وقال : إنه لا يبعد أن يكون هذا الطلب لتقديم الاستقالة ، وعليه يلزم أن ترسل لى فى القبة اسماعيل أباطه باشا ، وتمر على بطرس باشا وتستحضره معه هناك . ، فنفذت الأمر وتوجهت مع الثانى ؛ وبعد مناقشة طويلة قر الرأى على أن الخديو يطلب جورست الساعة العاشرة يوم ١٠ منه ، ويحدد لمصطفى فهمى باشا الساعة الرابعة مساء من اليوم نفسه ؛ وفى أثناء الكلام مع جورست يخبره بطلب فهمى باشا ، فان علم أن سبب طلب المقابلة هو تقديم الاستقالة فيتكلم سموه مع جورست فى الخلف ؛ والخديو يفضل بطرس باشا على نحرى باشا ولو أنه مسيحي ؛ وقد كان يفضل الثانى ؛ ولكن تأثر بمساعى اسماعيل أباطه باشا فى هذا الاختيار وقال إننى سأطلب من جورست تعيين بطرس رئيساً للنظار ، وأقول له إننى ضامن له بحيث لو حصل منه مالا يرضى فاقبأطلب منه الاستقالة .

وفى ١٠ منه حضر جورست حسب الاتفاق وتحادث مع الخديو نحو الساعتين أولاً فى أمور عادية ؛ ثم عطفنا على مسألة مصطفى فهمى باشا ، فقال جورست إن طلب الباشا للشول بين يدى الخديو هو لأجل تقديم الاستقالة فقال سموه عندئذ يجب طبقاً لاتفاقية إنجلترا مع مصر أن نتكلم سوياً فيما يقع بعد هذه الاستقالة ؛ فقال جورست إننى لم أتحدث فى هذا الشأن معكم لأنى أرغب ألا أتدخل فيما بينكم ورئيس نظارتكم ؛ وأخيراً دار الكلام على من يخلف مصطفى فهمى باشا ، فقال الخديو إن كل الحمل الآن علىّ وعليك ؛ فنحن نريد رجالا يعملون ونحرى باشا وبطرس باشا كلانا يتفق على دخولها فى النظارة الجديدة من أول الصيف ، والأول يظهر لى أنه لا يتحمل هذا العبء أما الثانى فانه يعول عليه ؛ فقال جورست : وهلا يحصل انتقاد من الأهالى بتعيين رئيس قبلى ؟ ، قال : إنه قبلى ولكن مصرى ؛ أما نوبار فلم يكن مصرياً . ، ثم اتفق الحال على أنه إذا تراءى تعيين بطرس باشا رئيساً للنظار فتبقى معه نظارة الخارجية ولا تعطى له الداخلية ؛ ثم قال الخديو لجورست : وأنا لا أريد أن أضغط على فكرك من حيث تعيين بطرس باشا ، فلنا أن تتروى فى هذه المسألة وتقرر نهائياً ما يجب عمله بعد مقابلة مصطفى فهمى باشا مساء هذا اليوم . ، فقال جورست : ولا لا أنا موافق منذ الآن . ، وبعد ذلك قال

نجورست عن اختيار النظار إنه يحسن أن يكون ذلك باتفاق سموه مع الرئيس البديد .



سعد زغول باشا

ثم تكلم جورست عن سعد باشا ، فقال إنه مستاء جداً منه بالنسبة لجفاء أخلاقه فهو متكبر وكلامه قاس مثل الحجر ، ولكنه إذا خرج مع الخارجين فربما يحصل منه ما يسوؤنا - يعني أنه خائف من لسانه وأعماله - فإذا استصوب الخديو يبقى مدة شهرين أو ثلاثة ، ثم نعمل طريقة لاختراجه .

قال الخديو : وإن بطرس باشا قال لي إذا طلب الانجليز إبقاء سعد ، فأتركه لي وأنا أعرف ما أفعله لخروجه .

ثم حضر مصطفى فهمي باشا وقدم استقالته شفويًا وقبلت استقالته ؛ وحضر جورست وتكلم مع الخديو في النظار الجدد وأشار بتعيين مصطفى ماهر باشا للداخلية نزولاً على رأى المستشارين الذين اجتمعوا عنده ؛ فقال الخديو عنه إنه طيب ومجتهد ولكنه ذو أغراض شخصية فهو ليس كباقي المرشحين من حيث النزاهة .

ثم دعاني الخديو أمامه بحضور جورست ، وأمرني بالتوجه لمصطفى فهمي باشا لأرجوه ألا يتكلم عن مقابلته مع سموه اليوم ، حتى تنتهى مقابلة جورست وإن لم أجده فأترك له إعادة بذلك ، ففعلت .

ثم حضر بطرس باشا مع أباطه باشا وكان لديه قبل ذلك للنظر في اختيار النظار الجدد ولأجل أن يقنعه بإبقاء الخارجية في عهده فقبل ، أما سبب إرسال مصطفى باشا فهو لغرضين : الأول للوثوق منه أن الاستقالة تشمل النظارة بأجمعها لا عن شخصه فقط ، والثاني حتى يأتي رد من إنجلترا بالموافقة على تعيين بطرس رئيساً للنظار .

وفي ١١ نوفمبر جمع مصطفى فهمي باشا جميع النظار في منزله ، وأخبرهم بأنه رفع استقالته للجناب العالى ، وشكرهم على مساعدتهم له في مدة رياسته .

وعلمت من الخديو أن جورست عرض على سموه اسم سابا باشا ليكون في النظارة الجديدة ، وذلك مكافأة له على خدماته وتطبيقاته لخاطره نظير خروجه بصفة غير مرضية من إدارة البريد ؛ فقال له سموه إنه يجب سابا باشا ويرى فيه الكفاية . ولكن وجود ناظرين مسيحين لا يروق في أعين الناس ، ولذا سحب جورست اسمه .

وعلمت أن النظارة ستشكل على هذا النحو :

بطرس غالى للرياسة والخارجية - سعد للبعارف - إسماعيل سرى للأشغال
والحرية - فخري باشا للمالية - محمد سعيد للداخلية - حسين رشدى للحقانية .

وقد سئل جورست عن رأيه فى إبراهيم نجيب باشا فقال إنه لا يستحسن وجوده
ليس فى النظارة فقط بل وفى وكالة الداخلية أيضاً .

وسمعت من الخديو أن يوسف صديق بك تكلم معه فى تعيين البرنس حسين كامل
باشا رئيساً للنظار ؛ ويطن سموه أن اليك مدفوع سراً من البرنس نفسه ؛ ولكن
الخديو قال إنه يظن أن البرنس لا يرغب فى هذا التعيين وقطع الحديث . فلم يجرؤ
يوسف بك أن يلمح حتى لا يبدو هذا الإيعاز .



إسماعيل سرى باشا



محمد سعيد باشا

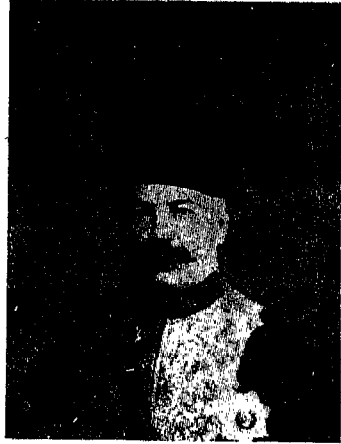
وفى ١٢ نوفمبر أنبأ جورست وزارة الخارجية تلغرافياً بتعيين بطرس باشا رئيساً
للنظارة الجديدة . وتقرر أن يكون رئيس النظارة مشولاً أمام الخديو . وكل ناظر مشول
أمام الرئيس - وهذه سلطة جديدة منحت لبطرس باشا - واتفق جورست مع الخديو
على ذلك ، وعلى أنه إذا حصل خلاف بين سعد باشا ودناوب فعلى سعد أن يرفع
الخلاف لبطرس ، وهذا ينظر فى الأمر .

وقد فاتح بطرس باشا الخديو فيما إذا كان يستحسن تعييني ناظراً للبالية بدلا من نغرى باشا إذا امتنع عن قبول هذا المنصب ، فلم يجبه الخديو ، بل قال له : لا . لا . يلزم أن تلح على نغرى باشا حتى يقبل ؛ وإذا رفض فأنا أرسل وأطلبه وهو لا يتأخر عن القبول . ، وشفع ذلك بقوله إنه لا يستغنى عني في الديوان . ثم حضر جورست وعرض على الخديو برقية وزير الخارجية بالموافقة على تعيين بطرس باشا فشكره سموه على معاوته ؛ وفي الحال حضر الباشا وتسلم الأمر بتعيينه ، وتوجه للنظار الجدد وتكلم معهم فوافقوا جميعاً ما عدا نغرى باشا .

وبعد ذلك أخذنا ن فكر في اختيار ناظر للبالية ، وكان معنا الشيخ علي يوسف ؛ فأشرت على الخديو بتعيين احمد حشمت باشا وكيل حزب الاصلاح ؛ وبعد المداولة والمخامر مع جورست اتفق الرأي على تعيين احمد حشمت باشا بدلا من نغرى باشا .



احمد حشمت باشا



حسين رشدي باشا

وفي ١٣ نوفمبر حضر بطرس باشا ومعه خطاب بتشكيل النظارة الجديدة وأمر بتعيين النظار ، فعرضت الأول على الخديو ، وأمضيت منه الأمر وهنأت الجميع ، ودعوتهم لتناول الغداء عندى يوم ١٨ نوفمبر .

ثم التمس من الخديو أن يكلمهم في مسألة الأمن وأن يلفت نظرهم إليها ، فخطبهم

بالفعل في هذا الموضوع وغيره ، وهناك وأعرب لهم عن ثقته وتأييده ، فانصرفوا شاكرين .

وكان في العزم أن يتوجهوا جماعة واحدة كما ذهبوا مع بطرس باشا إلى الوكالة البريطانية ، فاستصوب الخديو أن يتوجهوا متفرقين حتى لا يقال إنهم خرجوا من لندن الخديو لابتداء خضوعهم لجورست ، وكلفني أن أهدى لبطرس باشا هذه الملاحظة فوافق الباشا على رأي سموه .

وعلمت أن الخديو كان قد كلف بطرس باشا بالتحدث مع جورست لتعيين أحمد زكي باشا للحريرية ، فأجاب بأنه لا يحسن الآن أن يعين أحد من المعية لثلا يعترض كرومر عليه . وعلى ذلك فقد صار من اللائق ألا يفاتحه في دخوله في النظارة ؛ وربما عرض جورست اسما آخر للحريرية مثل عبد العزيز عزت باشا ؛ وقال لي الخديو إنه سعى كثيراً لدى الانجليز لملء منصب في النظارة . ولكن خشية أن يقع شقاق بين سموه وجورست قرر إحالة هذه النظارة على ناظر الأشغال .

صديق الأوقاف العمومية المبريد . وفي ١٧ نوفمبر أمرني الخديو بأن أحرر



خليل حمادة باشا

الأمر القاضي بتعيين خليل حمادة باشا أمين جرمك الاسكندرية مديراً للأوقاف العمومية ؛ ويظهر أنه كان متردداً في تعييني في الأوقاف وذاعت الاشاعة بأنه قر الرأي على انتخابي مع أنه لم يفاتحني أحد في هذا الأمر بعد كلام بطرس غالي باشا معي يوم ١٢ نوفمبر .

ولم يرض المستشار المال وغيره عن تعيين حمادة باشا في الأوقاف . ولكن الخديو قال للمستشار إن محمد سعيد باشا هو المتكفل به فقبل .

ثم كلف الخديو محمد سعيد باشا بإرسال برقية باستحضار حمادة باشا وأن

يتوجه إليه في سراى القبة صباحاً قبل أن يسافر سموه إلى بليس ، لجاء الباشا وتمت المسألة ؛ وبعد ذلك صدر الأمر وسلته لخليل حمادة باشا ثم رافقته إلى الأوقاف . وقدمت له الرؤساء وخطبت فيهم مظهراً ثقة الجناب العالى في المدير الجديد لأنه انتخبه لجدارته وإخلاصه ؛ فعلمهم أن يساعده كما ساعدوا سلفه ، وأظهرت لهم أن المصلحة تقدمت في السنوات الأخيرة باجتهادهم وإخلاصهم ولكن يجب عليهم أن يضاعفوا العناية والمشاركة فقام دلاور بك مدير الإدارة والحسابات وشكرنى على ما قلته بالنسبة للوظفين ووعدهم بأنهم جميعاً سيشتغلون بدأ واحدة . ثم قام المدير الجديد وطلب منهم المساعدة وقال إنه لا يصل إلى الغاية التى يرى إليها الجناب العالى من تقدم هذه المصلحة إلا إذا تعاونوا جميعاً ، وحثهم على العمل وعلى النظام ، ثم ودعت المدير وانصرفت .

النظار الجرد واورزهر . وفى نفس ذلك اليوم تناول النظار ورئيسهم ومدير الأوقاف الجديد طعام الغداء على مائدتى ؛ وبعد الانتهاء دارت مناقشة عنيفة بين سعد باشا وحسين رشدى باشا حول الأزهر . فقال الأول : إن الإصلاح الذى تقرر ما هو إلا حبر على ورق (٥) لأنه لا توجد المعدات اللازمة لهذا الإصلاح ، فلا يتوفر المدرسون اللازمون فى العلوم العصرية للمعاهد الدينية ، والمشايخ الموجودون لا يمكنهم القيام بما يتطلبه النظام الجديد .

فقال رشدى باشا : نأخذ من دار العلوم ومن المتخرجين فى مدرسة القضاء مساعدين للشايخ ، وكذا نستحضر من الخارج من يلزم . فرد عليه سعد باشا بأن هذا لا يمكن ، فاشتد الجدل حتى قال رشدى باشا : أنت يا سعد لا تريد إلا بقاء مدرسة القضاء الشرعى ، وتريد محو الأزهر !

وفى ٢٢ منه ببلغنى من بطرس باشا أنه حصل خلاف بين ناظر المعارف والمستشار المالى ، فاستدعاهما رئيس النظار وفصل فى الخلاف ، وكان الحق بيد المستشار ، فخص سعد باشا للحكم . وكان الخلاف بخصوص تغيير بعض المواد المتعلقة بالتعليم . وأبلغنى رشدى باشا أن نظارة المعارف كانت تريد استمرار السير على تأويلها فى صالحها ، ولكن المستشار يريد تأويلها بغير ذلك ؛ وعلى رأى حسين رشدى باشا يكون الحق بيد سعد باشا .

المرشاف للرسور . كان يوم ٩ نوفمبر يوم عيد ميلاد ملك الانجليز ؛ ولم

(٥) سياتى تفصيل ذلك .

يحدث زقوف تحت العلم الانجليزي كالعادة ، ولكن الخديو ونظاره والمستشار المالى ورجال المعية وقفوا فى الشرفة المطلة على ميدان عابدين أثناء الاستعراض ؛ ولما انتهى صدحت الموسيقى بالسلام الملكى ، وقيل أن تصدح بالسلام الخديوى صاح طلبة مدرسة الحقوق ، وكانوا منتشرين فوق سطح المدرسة وفى حديقتها ، وكثير من الأهالى الواقفين بجوارها : يعيش الخديو ، وكرروها ثلاثاً ؛ ويعيش الدستور ، وكرروها ثلاثاً . ولما انتهوا صدحت الموسيقى بالسلام الخديوى ؛ فرد عليها الطلبة والأهالى ، وأندم من جوق يشاء ، ثلاثاً ؛ وقد أعجب الجميع بنظام الطلبة والترتيب بحيث كان يخيل للسامع والرائى أن هذه المظاهرة كانت ضمن برنامج الاحتفال الانجيزى .

رسالة تهرير للخديو وفى ١٤ منه وردت رسالة للجناب الخديوى بامضاء أحد رجال جمعية الانتقام المصرى ، جاء فيها : « بأيتها الأمير ؛ إن المفربات الجهنمية ، التى تنسف الأرض ، قد أعدت لنسفك بمرتك وخيوها ومن يكون معك فيها أثناء مرورك رغم أنف جواسيسك وحرسك . فاعزل بطرس رئيس المحكمة المخصوصة واحذر حيث لا يقضى الخذر والمدة خمسة عشر يوماً من تاريخه . »

وكان رأى الخديو أن محرر هذا الخطاب هو أحد رجال الحزب الوطنى من أتباع محمد بك فريد .

الانجليز يمشون باوجهناطى . فى ٢٢ نوفمبر سألت مشاقة باشا الذى كان مراقباً لخزينة المسالية ، عن كيفية استعمال مبلغ احتياطى الحكومة ، فقال إنه فى ذات يوم طلب منه فنانان كوربت المستشار المالى السابق أن يكتب كشفاً بالأسهم التى يمكن للحكومة المصرية شراؤها بالذهب المخزون فى صندوق الدين وتحول بعد الاتفاقية الانجليزية الفرنسية للحكومة المصرية ، فصدح بالأمر وقدم إليه كشفاً بعد أن دقق فى اختيار الأسهم المطلوبة . وعرضه على كرومر . وبعد مدة علم أن المستشار كلف السير ارنست كاسل شراء أسهم لم تدرج فى الكشف وهى أسهم التفضيل الانجيزى وأسهم الترنسفال ؛ وأرسل مشاقة باشا تحت إمضائه وحده شيكاً بمبلغ مليون وثلاثمائة ألف جنيه باسم السير ارنست كاسل قيمة ما اشتراه من الأسهم ؛ ولا بد أنه بعد خروج مشاقة باشا استمر الحال على ذلك حتى تحول الاحتياطى إلى أسهم سعرها الآن هبوط مستمر ولا بد أن اختيار أسهم التفضيل الانجيزى وأسهم الترنسفال كان

لغاية وهي خدمة الحكومتين الانجليزية والترنرفالية ، لأن هذه الأسهم كانت وقت الشراء مرتفعة القيمة ، ثم هبطت بعد ذلك .

ولم يعلم أحد بهذا السر إلا كوربت وكرومر ومشافة وبعض الموظفين الانجليز .

الانجليز والوظائف . في ٢٨ نوفمبر دار حديث بيني وبين بطرس غالى باشا ورأينا معاً ضرورة تغيير مستر هول ناظر مدرسة الحقوق ؛ وكان دنلوب قد طلب استحضار ستة وأربعين معلماً انجليزياً في السنة الماضية ، ولكن جورست خفض هذا العدد إلى ستة عشر . وفي هذه السنة خفض العدد المطلوب إلى أربعة ، وقرر أنهم منذ الآن فصاعداً لن يستحضروا سوى الضروري . وقال جورست أيضاً إنه يعلم بأن الذين استحضروا شبان ليس لأغلبهم نصيب كبير في الأدب والعلم ، هذا مع أن جورست هو الذى أشار بتعيين مستر هول لنظارة مدرسة الحقوق ؛ أما بطرس فكان من رايه تعيين ناظر مصرى ووكيل انجليزى له .

التدريو والاعمال الرهامة . ذكرنا أن جورست مذ عين معتمداً بريطانياً في مصر ، قد ترك الاعمال الداخلية للتدريو يتصرف فيها ؛ وقد كان التدريو مهتماً بمباشرة هذه الاعمال . وفي أثناء حديثي المشار إليه مع بطرس باشا قلت له إن سموه يجتهد جداً مع النظاري مباشرة الاعمال وأن هذا هو اللازم ، فأظهر الباشا سروره من هذا الاشتراك . وأشرت عليه بضرورة زيارة سموه للتدرييات لأنه لم يرها منذ بعيسد ، فيحسن أن يتصل الآن بالشعب ، خصوصاً بعد مزاعم الحزب الوطنى عن سموه ، كما سيأتى .

والواقع أن سموه كان يهتم بتصرف الامور اهتماماً متواصلاً حتى إنه عند وجوده بالقبعة كان يأمر بمحضور رئيس النظار أو بعض النظار مع الرئيس وفي الغالب محمد سعيد باشا واسماعيل سرى باشا ليتناقش معهم في الامور وكان بما اهتم به مسألة اختيار المديرين ثم مسائل الطلبة ، وكان طلبة مدرسة الهندسة قد اعتصبوا لأن نظارة المعارف قررت حضورهم ثلاثة أيام في الأسبوع لغاية الظهر فقط والثلاثة الأخرى لبعد الظهر ؛ وكان المتبع أن يحضروا للظهر فقط كل يوم ، فهاجوا وطلبوا الرجوع للقرار الأول مع أن النظارة لم تغيره إلا لشكاية علوى باشا الذى قال للنظارة إن المعارف تساعد الطلبة على البطالة فاذا لم يشتغلوا بعد الظهر قضوا أوقاتهم في اللعب والمقامى .

وقد ساعدهم بعض الاساتذة الانجليز لطلب الرجوع للقرار الاول ، ولكن الحكومة قررت عقاباً لهذا الاعتصاب تعطيل الدروس شهرين جزاء للطلبة وعبرة لغيرهم ، وعزمت على عقاب كل مدرسة تكرر هذا العمل ، فهاب التلامذة العقاب وسكتوا ، بعد أن كان تلامذة الحقوق قرروا الاعتصاب أيضاً بجملة لطلبة الهندسة .

وكان قد بلغ الداخلية أن الطلبة سيوقفون عربة سموه يوم الجمعة عند ذهابه لمسجد السيدة زينب ، فأعطيت أوامر للبوليس باتخاذ الاحتياطات الشديدة ، ومنع الناس من الوقوف على الأرصفة مع أن الحديدو نبه بأن يكونوا فوقها ، ومنع أيضاً الاحتشاد في الطرقات .. الخ . حتى خيل للإنسان أنه سيحدث شيء مضر من الطلبة ، ولكنهم وقعوا عريضة فقط يتبرأون فيها مما ينسبه الانجليز من أمور لم تخطر ببالهم ويؤكدون حسن إخلاصهم .

وكذلك كان يشتغل الحديدو مع بطرس باشا وناظر الحفانية والقاضي والمفتي لحل المسائل الموقوفة المختصة بلوائح المحاكم الشرعية التي بعد أن صادق عليها القاضي وأعضاها عدل عنها لأنه يريد إثبات الولاية العامة له ، ولكن الحفانية رأت أن الولاية العامة هي للحديدو وليست للقاضي .

مجلس شورى القوانين والرستور . وعنى سموه أيضاً بما سيرعنه مجلس شورى القوانين في أول ديسمبر من طلب مجلس نيابي ؛ وقد اتفق بطرس باشا مع رئيس المجلس على أن يطلبوا نظاماً كافياً لاشتراك الأمة مع الحكومة في إدارة شئونها الداخلية ، عدا ما يختص بالمعاهدات الدولية .

أى أنهم لا يأتون بكلمة مجلس نيابي ، إنما يطلبون كل ما يريدونه . وقال لهم بطرس باشا إنى سأقول رداً على ذلك إنكم الآن مشتركون مع الحكومة ؛ وقد علم جورست بذلك فوافق كما أنه وافق على طرح لوائح التعليم على مجلس الشورى .

وفي أول ديسمبر عقد المجلس جلسته وبعد أن كان الانقسام موجوداً بين أعضائه ؛ إذ يريد البعض طلب مجلس نيابي ، وهم محمود سليمان باشا وعلى شمرارى باشا ومحمود عبد الغفار بك ، ومعهم اثنان أو ثلاثة آخرون ؛ والبعض الآخر وهم جماعة اسماعيل أباطه باشا يرون طلب نظام بدلاً من كلمة مجلس نيابي يضمن إشراك الأمة الفعلية مع الحكومة ، اتفقت آراؤهم على ما يأتي : « يطلب المجلس من حكومة

الجناب العسالى إعداد مشروع قانون يمنح الأمة حق الاشتراك الفعلى مع الحكومة فى إدارة أمورها الداخلىة وفى تدبير شئونها الأهلىة ، وأن يكون لها رأيها تقريريا فى مشروعات القوانين واللوائح التى تطبق على الأهالى . وفى تقرير الضرائب والرسوم بحيث لا يكون لهذا القانون تأثير على نصوص المعاهدات الدولية والامتيازات القنصلية والدين العمومى وأحكام قانون لجنة التصفية ، ولا على كل ما يتعلق بالأوربيين من المصالح والحقوق الواجبة الاحترام . ولا على كل ما ارتبطت به الحكومة من التعهدات والاتفاقيات . وبعد وضع هذا القانون يقدم إلى مجلس شورى القوانين لابتداء رأيه فيه وهذا وذاك عملا بالمادتين ١٨ و١٩ من القانون النظامى .

وبذلك عدل الأعضاء عن كلمة مجلس نياى .

ولم يحضر هذا القرار شيخ الجامع الأزهر فانه قام من الجلسة وانسحب قبل انتهائها أما القاضى فلم يحضر مطلقاً .

وقد كنت بعد ظهر هذا اليوم مع الشيخ على يوسف عند الحديدو بالقبة ، ولما سمع بما وقع فى الجلسة قال : « على بطرس باشا الآن أن يشتغل عند الآخرين . (يعنى الانجليز) ، وهذا دليل على استحسان سموه لما قرره مجلس الشورى .

اضطراب الامم . فى ٢ ديسمبر زار السير جورست الحديدو ومكث معه طويلاً ، وكان موضوع الحديث أولاً اضطراب الامن ، وقد عرفه الحديدو أن الناس يخشون السفر للأرياف مخافة القتل ، وروى له حادثة وقعت لشكيب باشا؛ وهى أنه سرقت بعض أجزاء من وابور الرى الذى بأرضه ولم يتمكن من استرجاعها إلا بعد إرسان رشوة لسارقها ؛ وقد حضر اللصوص هذا العام أيضاً لتكرار ما عملوه فى العام الماضى ، ولكن الخفبر أطلق عليهم الرصاص ليلاً ، فأصاب أحدهم وظهر أنه ابن مأذون الناحية .

وروى مظلوم باشا أن أحد الكبراء كان يريد أن يشتري عربة ولكنه توقف خوفاً من سطوة الأشقياء عليها وربما قتلوه ؛ وقال الحديدو إنه إن استمر الحال على ذلك لابد وأن تهبط أسعار الأطلان ، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الضرر . فأجاب جورست بأنه سيبحث عن علاج لهذه المسألة .

قاضى مصر والولاية الشرعية . فى عصر ٧ ديسمبر بينما كنت أعرض بعض

الأعمال على الخديو إذ حضر خطاب من محمد القاضي جمال الدين أفندي ففضله وقرأه ، ثم بعدها أمرني أن أستدعي بطرس غالي باشا وحسين رشدي باشا لخطبنا وتداولنا مع سموه . وقد علمت أن القاضي يريد أن يجعل نفسه خديوياً لمصر ، بمعنى أن سموه يكون الخديو السياسي ، والقاضي يكون الخديو الشرعي ؛ فللاً ول الولاية العامة الادارية والثاني الولاية العامة الشرعية ١١ وبعد ذلك ذهب سموه للقبة وبقى بطرس باشا ورشدي باشا يتداولان ثم اتفقا على استشارة جورست في إرسال محمود شكركرى باشا للإستانة للداولاة مع أولى الشأن في دعاوى القاضي .

وقد استدعاني بطرس باشا بعدها ، وطلب الى إرسال إشارة تليفونية للجناب العالي في القبة أقول فيها إنه تم الاتفاق على انتداب محمود شكركرى باشا للسفر الى الإستانة ، وطلب صدور الأمر ليحضر لمقابلته .

المشادة بين الفريقين والحزب الوطني . في ١١ ديسمبر تقابل الشيخ على يوسف مع الخديو وكنت حاضراً ، فأظهر جنابه استيائه الكبير عما يفترى به عليه اللوآء والحزب الوطني من خيالاته للوطن وقال : « كيف أقضى خمسة عشر عاماً في حروب عنيفة مع الإنجليز ، والآن ينسى هؤلاء المغترون ذلك ، ويقولون إنى عائن ، ولو ادعوا شيئاً آخر لما صعب على » ، ولكن لا يمكن أن أكون خائناً .
« وقد كانوا يظهرون للعالم أن الأمة جميعها معهم في هذا الاحتقاد ، ولكن موقف الجمهور في يوم الاحتفال بالجمعل ، قد كشف سر هذا الحرب وبدأ على الوجوه السرور والانشراح .

« فن وقت ركوبى في العربة حتى المصطبة ثم أثناء رجوعى لعابدين كان الهدوء سائداً ، ولم يقع إلا خروج بعض الشباب في شرفة أحد المنازل بشارع محمد على وصياحهم : « يعيش الخديو ، يعيش الدستور . » ثم عند الملتصية أراد بعضهم أن يهتف كذلك فنفطى على صياحهم زرغردة النساء .

وبالاختصار فإن يوم أمس كان من الأدلة الواضحة على أن الأهالى مسالمون . وكان الحزب الوطني يثير الطلبة ، ولكنهم عرفوا الآن أن لا فائدة تعود عليهم من الهتاف والصياح ، وأصبحوا لا يدعون لاشارة الحزب الوطني مثل ما كانوا يذعنون ؛ والآن أنكشف الستار وظهر أنه لا مفضل للحزب من الأهالى ، وهذه ترضية عظيمة لشخصى فالحمد لله .

تدخل الخديوي في الانتخابات . في ١٣ ديسمبر بعد صلاة الجمعة في المطراوى (المطرية) رجعتا مع الخديوي، وبعدها حضر المحافظ ومحمد شكرى باشا مدير المتوفية؛ وبعد الغداء تحدث سموه في مسائل الانتخابات فقال المدير: «إن هلباوى بك رشح نفسه للانتخاب في مديريته، وكذلك احمد لطفي السيد بك مديرا للجريدة . ، قال الجناب العالى ، إنه يتحدث الأعب مع بعض المرشحين للانتخاب ، فمن ذلك ما حصل من الدمرداش فانه أحضر مشايخ البيومية وحلفهم بالطلاق ألا يساعدوا أحداً بخلافه لأنه كان أحس بحركة ضده لاسقاطه من الجمعية العمومية ، واستبداله بضابط في المعاش اسمه إبراهيم راجى بك، فلو لا هذه الألعوبة لسقط الدمرداش ، لأن راجى أخذ فوق الستين صوتاً ولكن الشيخ نال فوق المائة والعشرين .

ومما يؤسف له أن الخديوي صرح لنا بأنه عمل بواسطة أعوانه لاسقاط الشيخ فلم يفلح ولم يكن من الحكمة أن يتحدث الخديوي بمثل هذا الكلام في مثل هذا المجلس . كذلك قال الخديوي إنه لما قابل جورست في المرة الأخيرة وجدته جدا عن كثرة الاضطراب في مضر أجا به الخديوي بأنه لا أهمية لذلك ولا خوف منه ، وقال له إن الشاهد على ما يقوله هو أن أهالى العاصمة وقدرهم نصف مليون لم يحضر منهم للاقسام يوم الانتخاب إلا ألف وخمسةة شخص ، فدهش جورست لذلك ، ودون هذا الكلام في مفكرته حتى يسأل مستشار الداخلية في هذا الأمر؟ وقد كان مما يسوء كل مصرى أن يقف عميد الاحتلال على هذا الأمر الذى يشوه من أمانى البلاد في سبيل الحكم الدائى !

سنة ١٩٠٩

أمين فمرك الاسكندرية . الحزب الوطني والموظفون . بين المقننات المال
والنظار . تعيين البرنسي مسجون لامل باشا رئيساً لمجلس شورى القوانين . بحث
قانونه المطبوعات واضطهاد الصحافة . صدى القانون . افتتاح بورسودان .
شؤون الازهر . نوبية السلطان محمد رشاد وسفر الخديو لهيولتة وأوربا . اشتراكي
لادارة الاوقاف الخديوية . مضمون عزت العايمر باشا طهر . مرضى السيد
البركي . مهام سياسية لمحمود شكرى باشا في الونساتة . صانعة امتياز قناة
السويس .

أمين فمرك الاسكندرية . جاء في مذكرات العام الماضي أن خليل باشا حمادة
وقد اجتمع لدى الخديو سراى عابدين بطرس باشا ومحمد شعيد باشا وشيخ بك وبعض كبار
الموظفين الانجليز للنظر في تعيين ذلك الخلف ، فأظهر سموه ميلا لتعيين مصطفى ماهر باشا
مدير الغربية ، ولكن شيخي بك رأى أن يبقى ماهر باشا مديراً لينظم المديرية كما نظم
الديهيية قبلها . وعندئذ فكر الخديو في تعييني فوافق على ذلك محمد سعيد باشا و بطرس باشا
ولكنهما طلبا من سموه أن يفكر فيمن يخلفني في الديوان الخديوي . فعاد سموه وأخ
على شيخي بك بقبول مصطفى ماهر باشا ، وكلف سموه بطرس باشا بمحادثة جورست
في الامر وفي أن يكون الأمين هو ماهر باشا أو شيخي بك . وقد وافق جورست على
ماهر باشا لأنه كان قد رشحه للنظارة أو وكالتها في العام الماضي ورفض الخديو .

وقد ظفقت أن اسمي طرح أمام جورست واختار مع ذلك ماهر باشا فأنرت

لذلك وتحدثت الى بطرس باشا في الامر، فتقلى ما ظنبت وقال . فإنه لم يعرض سوى اسم ماهر باشا فوافق عليه جورست مباشرة . .

الحزب الوطني والموظفون . في ١٢ مارس حضر إلى السراى على بك ابو الفتوح الذى عين مديراً لجرجا ليشكر الخديو على هذا التمين ، وكان قد بلغ سموه أن الحزب الوطنى يسعى لضم الموظفين إلى جانبه وخصوصاً رجال الادارة ليكونوا له عضداً وسنداً ، وأن على بك ضمن المتمين لهذا الحزب . ولما قابل سموه قال له : يا على بك أنا وطنى وأحب وطنى ، وكل المصريين وطنيون يحبون وطنهم ، ولكنى لا أود أن أكون عضواً في الحزب الوطنى ؛ وأظن أن الأفضل ألا تكون أنت أيضاً كذلك . . فتبرأ المدير مما نسب إليه .

المستشار المالى والنظار . في ١٣ مارس كانت مز بين المسائل المعروضة في جلسة مجلس النظار برئاسة الخديو مذكرة من المستشار المالى بخصوص شراء الحكومة لسكة حديد الواحات بمبلغ قدره مائة وخمسة وعشرون ألف جنيه من شركة الواحات بشروط منها بقاء جزء من الأرباح للشركة لمدة معينة . . .

وقد طلب محمد سعيد باشا إرجاء النظر في هذه المسألة الهامة إلى جلسة أخرى لأنها بلغت إلى النظار في آخر وقت . وقال سعد باشا إنه لم يقرأ المذكرة لأن ؛ فغضب المستشار وطلب البت في الموضوع بهذه الجلسة لأنها من اختصاصه هو وناظر المالية ومتى كانا متفقين فيجب أن يكون لبقية النظار ثقة فيما يقرانه . فأجاب محمد سعيد باشا : . إذا كان الأمر كذلك فلا معنى لطرح المسائل المالية على المجلس . . واشتد الجدل وطلب حسين رشدى باشا بيانات من المستشار فأجابه إلى ما طلب . وعندئذ قال رشدى باشا : . إذن المسألة ستكون شركة بين الحكومة وشركة الواحات ، وعندئذ غضب المستشار واحتد ولوح باستقالته لأن النظار لا يثقون بأعماله .

وهنا تدخل الخديو وأشار على محمد سعيد باشا بعدم الاصرار على تأخير المسألة فأطاع هو وزملاؤه ، وقرر تنفيذ الاتفاق الذى عمله المستشار مع الشركة . ولولا هذا الاتفاق لأفلست وعادت السكة الحديد والأراضى التى أصححتها والآبار الارتوازية التى أنشأتها للحكومة بمقتضى عقد الامتياز .

ولم ينكر المستشار هذه الحقيقة ، ولكنه احتج بأن إفلاس هذه الشركة يذهب بثقة أصحاب رموس الأموال في مصر فلا يوظفونها فيها وتقف حركة الأعمال المالية .

ثم دارت مناقشة حادة أخرى على موضوع آخر لأن المستشار طلب الموافقة على لائحة المعاشات ، وطلب النظر تأجيلها وصمموا على موقفهم رغم تشدده .
وقد صرح الخديوي لنا بعد انتهاء الجلسة بأنه لم يشهد من قبل مناقشات حادة بالمجلس كالتى شهدها اليوم . فقلت لسموه : وهذا شيء حسن ؛ لأن المستشار من الآن فصاعداً سيحسب للنظر حساباً ، ويعلم أنهم غير من سبقهم من النظر فهم لا يقبلون شيئاً إلا بعد الإقتناع .

تعيين البرنس حسين كامل باشا رئيساً لمجلس شورى القوانين وفى يوم ١٤ مارس اجتمع بطرس باشا واسماعيل أباطه باشا والبرنس حسين كامل باشا بعد اختياره رئيساً لمجلس شورى القوانين فى سراى عابدين ، وتناقشوا مع الخديوي فى الحالة الحاضرة وما يجب عمله ، فقر الرأى على أن يذهب بطرس باشا إلى جورست ويطلب منه أن يوافق على عمل تعديل فى مشروع مجالس المديرىات بحيث يكون لها الحق فى فرض ضريبة لا تزيد عن خمسة فى المائة من قيمة الأموال لصرفها فى التعليم ، وأن تكون قراراتها نافذة فى هذه المسألة . وأن يقنع جورست بضرورة ذلك . واتفق أيضاً على أنه متى انتهى بطرس باشا من هذه المهمة يتوجه البرنس إلى جورست ويطلب منه توسيع اختصاص مجلس شورى القوانين .

بعث قانونه المطبوعات واضطهاد الصحافه . فى ١٢ أكتوبر تقابل الخديوي مع جراهام نائب جورست وتحدثا عن الصحف العربية فقال جراهام إنها تبادت فى الطعن على الكبير والصغير دون مبالاة وطلب سن قانون لكبح جماحها فأجاب الخديوي بأن قوانين البلاد كافية لذلك ، وأن إصدار قانون شديد الآن ربما حرك الساكن فيحدث الانفجار .

وفى ١٦ منه قابل جورست الخديوي ، وكان المظنون أنهما سيتكلمان فى مسألة الصحف ولكنهما لم يطرقا هذا الحديث ، وكان اسماعيل أباطه باشا قد طلب منى أن أنه الخديوي — قبل المقابلة وقد حصل — كيلا يظهر سموه معارضة فى سن قانون لها بل يقول إنها مسألة تقتضى التروى لأن أباطه باشا سمع من كرومر فى إنجلترا أن المنتظر عمل قانون ضد الصحافة العربية سواء أكان مديروها أجانب أم مصريين وأن الدول واقفت على ذلك بدليل أن عبد العزيز جاويش محرر اللواء التونسى لم تعترف فرنسا بحمايتها له .

ولكن بعض الصحف، وخصوصاً المنتسبة للحزب الوطني، تمادت في شدتها ضد شخص الخديوي حتى كانت ترميه بجائته لوطنه والاتفاق مع الإنجليز ضد مصالح الأمة! فضايق سموه ذرعا بهذه الحملات وسلم بالنظرية الإنجليزية في سن القانون، بل أضفى هو صاحب الرغبة والسعي في ذلك فكلف بطرس باشا بالتعميل في تنفيذ هذه الفكرة واستقر الرأي على بعث قانون سنة ١٨٨١ ولتحاسب الصحف بمقتضاه، وهو قانون قاس شديد.

ولما علم الشيخ على يوسف بعزم الحكومة على بعث هذا القانون الذي سن أيام الثورة العرابية جاء إلى الخديوي يوم ١٩ مارس وقال لسموه: «إن هذا أمر لا يصح بعثه بعد ربع قرن، وإنه يسمى إلى الجميع من حيث الحرية التامة، وسنحتاج لاستعمال هذه الحرية في وقت ما فلا نجد لها، فأجابته الخديوي: «إن ذلك صحيح ولكن المخاطر بيننا وبين إنجلترا تقدمت تقدماً عظيماً ولا يمكننا الرجوع إلى الوراء». فقال الشيخ على: «وما ذنبنا إذا خرج بعض الصحف عن حد الأدب في انتقاداتها على الحكومة فكيف يؤخذ البريء بجريرة المذنب مثل محرري اللواء والجريدة الذين لا ذمة لهم، فأجابته: «إن هذا ما حدث وإنتى أحسن بأننا لم نعمل عملاً في صالحنا الحقيقي ولا بأس يا شيخ على بأن تذهب إلى بطرس باشا وتتكلم معه في هذه المسألة». وكان الخديوي قد بدأ يعود إلى رأيه الأول ولا سيما بعد هذا الحديث الذي دار بينه وبين صاحب المؤيد، فأرسل في طلب محمد سعيد باشا وحسين رشدي باشا وتكلم معهما في مسألة قانون المطبوعات وبعد أن كان هو الذي يطلب تنفيذ قانون سنة ١٨٨١ عاد ووافقهما على أنه ليس في المصلحة خصوصاً وأنه سيقال عن سموه وعن نظاره أنه لما سلبت الحكومة الإنجليزية قيادة الأعمال الداخلية إلى الوطنيين كانت فاتحة عملهم أن رجعوا بالمصريين إلى الوراء وهذه وصحة شنيعة! واتفقوا على تدير الأمر.

وفي اليوم التالي دعاهما إلى سراي القبة وتكلم معهما في مسألة القانون ووافقهما على عدم تنفيذه، وأمرهما أن يتوجها إلى بطرس باشا وأن يتكلموا معه.

وعلمت في هذا اليوم من اسماعيل باظه باشا أنه توجد أزمة نظارية فاتمقنا على أن توجه لبطرس باشا في المساء لنعلم الخبر فذهبنا وفهمنا منه أن النظرار علوا قبل المخاطبة مع جورست بالموضوع وبعد أن قبلوه برمته جاءوا يعترضون على بعض نقاط فيه. وخرجنا من المناقشة بأن الحق في جانب بطرس باشا وقد سمعنا منه أنه في الحقيقة

لا يرغب في بعث هذا القانون ، ولم يكن بعثه إلا بناء على إلحاح الخديو في إجراء ما يجب لاسبكات الصحف الجامعة وفهمنا أيضاً أن بطرس باشا مستاء جداً لمداورات الخديو مدى يومين مع حسين رشدى باشا ومحمد سعيد باشا بدونه ومستاء أيضاً من تقلب أفكاره حيث طلب سن قانون المطبوعات ثم هو يعترض الآن عليه ، فكأن بطرس باشا وحده هو الذى يطلب تنفيذ هذا القانون ولا يخفى ما يتاله من العار لو علم الجمهور بذلك .

وفي ٢٢ مارس قابلت أنا وأباطه باشا حسين رشدى باشا وسعيد باشا قضاةنا معهما في موقفهما فعلنا أنهما لم يتناقشا مع زملائهما عدا الرئيس في هذا الموضوع قبل المخبرات مع جورست بل بعدها بكثير ، وكان كلما أبدى أحدهما ملاحظة أجابه الرئيس بكلام مبهم وبدا لهما جلياً أنه يريد إقرار القانون بنصه وبلا مناقشة . فاستاء النظار من استبداده لأنه لا يريد أن يمكنهم من بحث القانون وأظهروا له أنها مسألة هامة لا يمكن أن يأخذوها على مسؤوليتهم ولهذا أرادوا أن يحولوا فكر الخديو عن هذا القانون فسعى لديه محمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا حسياً قدمنا ، وكان ذلك سبباً في غضب بطرس باشا وخصوصاً حينما أبلغاه رأى الخديو في العدول عن رأيه الأول . ولما سمعت واسماعيل أباطه باشا هذه البيانات حكمتنا للنظار ضد بطرس باشا . ولكنه ظل على إصراره وغضبه حتى إنه لوح بالاستقالة أمام النظار . واعتذر عن الحضور بالتحريف محتمه حينما دعاه الخديو فذهب إليه أباطه باشا وأقنعه بحسن نية سموه ووجوب التوجه إلى السراى . وأما النظار فثبتوا على موقفهم من المعارضة . وأبدى ثلاثة منهم استعدادهم للاستقالة ، وهم محمد باشا وسعيد باشا وحسين رشدى باشا . ولما تخرج الموقف كلفنى الخديو أنا وأباطه باشا بالتوجه إليهم والتفاهم معهم ، فقمنا بالمهمة وحادثناهم منفردين ثم مجتمعين بأن لا معنى للتوقف بعد أن تخالفت مصر مع إنجلترا وهذه مع الدول لقبول تنفيذ اللائحة على الأجانب وأن تنفيذها سيكون مؤقتاً لحين عمل لائحة أخرى ملائمة للحالة الحاضرة وتعرضها الحكومة على مجلس الشورى ، وأعطى ناظر الداخلية الحرية في تنفيذ هذه اللائحة على أرباب الجرائد أو إحالتها بواسطة قلم المطبوعات على النائب العمومى ، ثم قلنا إن مركز الخديو قد أصبح حرجاً لأن جررست لما قابله وأراد سموه تحويله عن تنفيذ اللائحة لم يوافق وعندئذ قال النظار ما معناه : ونحن نفدى سموه لأننا نعلم أن إحساساته شريفة وأثبت لنا ذلك عند حديثنا معه لأنه علم أن رجوع اللائحة في هذا الوقت الذى أعطتنا فيه إنجلترا

الحرية في العمل بما يثبت لها ولاوروبا أن الأمة المصرية ليست أهلا للحرية . مع أن المشاعين هم فئة قليلة تعد على الأصابع ، ولهذا وافقنا على الرجوع عن هذه اللائحة .
وانتهى الأمر بقبول النظار ثم انصرفنا حيث كان الليل قد اتصف . وفي اليوم التالي توجه النظار لسراى القبة وقابلوا الخديو ولما خرجوا وجدتهم بما فيهم الرئيس ضاحكين ، وعلت أنا واسماعيل اباطه باشا من سموه أن سعد باشا ظل ساكناً حتى أعلن الآخرون قبولهم ثم قال : ه إن هذا الأمر غير مرجح لضميرى؛ أنا لما كنت محامياً وأدافع في قضاياى وأحسر بعضها كنت أتكدر ولكن كنت أقبل الحكم وضميرى مرتاح . أما في هذه المسألة فضميرى غير مرتاح مع قبول هذه اللائحة .

ونظراً لوجود إشاعة بأن هناك أزمة نظارية ، وبعد خروج النظار من السراى سمعت من الخديو انه إذا قدم النظار استعفاهم فانه لا يكلفهم بعد ذلك بشئ . مطلقاً وأنه يكون مضطراً لتشكيل نظارة أخرى تحت رياسة لخرى باشا .

وبلغنى أنه حصلت مخابرات بين النظار والرئيس في إدخال تغييرات على مشروع تنفيذ قانون المطبوعات سنة ١٨٨١ . وقال النظار لرئيسهم إن جورست قبل فكرة التعديل بناء على نصيح شيتى بك .

ولما اجتمعت مع حسين رشدى باشا وسعد باشا ومحمد سعيد باشا في الداخلية وقرأت المشروع المعدل ، وجدته لا بأس به فلما توجهوا عند الرئيس وعرضوه عليه قال إنه ليس صريحاً . وذلك قبل أن توجه لجورست ومحدثه ، ولما عاد من عنده قال إنه لم يقبله فارتاب النظار لهذا التناقض . واعتقدوا أن الرئيس ليس مخلصاً في عمله وأنه يريد أن ينفذ قراره الاول ثم أرسلوا القانون المعدل مع المستشار المالى إلى جورست وأخيراً جاء الرد بالقبول فاجتمعوا في بيت الرئيس وتناقشوا في الموضوع ، وعاد بطرس باشا ثانية إلى جورست ليلاً ليأخذ منه الكلمة الأخيرة لقبول المشروع مع تعديل بطرس باشا مقتضاه عمل قرارين أحدهما بتنفيذ لائحة سنة ١٨٨١ والثانى بالتعديل .
وانتهى الأمر على ذلك .

وفي مساء ذلك اليوم استدعانى الخديو وطلب ميزانية الديوان الخديوى ولما اطلع عليها أمر أن يزداد مرتبى أربعمائة جنيه في السنة من وفورات الميزانية ، فشكرت السموه هذا الانعام وقلت : إن لسائى يسبح عن إيفاء حق الفكر . فأجابنى : يا شفيق باشا إن الحالة تغيرت وصارت أشغالتنا كثيرة ولنا أمرار جديدة ، فأنا شخصياً لا آتمن سواك

عليها ولذلك رأيت ان تبقى معنا الآن وفي المستقبل كما كنت معنا من قبل . ، فقلت
- وقد تأثرت لهذا الكلام- : : إلى يا مولاي غرس نعمة بيتك الكريم في الشرف
أن أخذمه إلى ما شاء الله ولا سيما بعد أن سمعت هذا الكلام المشجع الذي اعتبره
أعظم مكافأة لي . ، وقبلت يديه وانصرفت .

وفي ٢٥ مارس اجتمع النظار بسموه لخطابهم بشدة وكان موجهاً كلامه بالأخص
لمحمد سعيد باشا واتقد معلمهم ، وهو أنهم بعد أن اتفقوا على قبول لائحة المطبوعات في
الجلسة السالفة رجعوا في قولهم ، ووسطوا المستشارين بينهم وبين جورست في قبول
بعض تلميذات اقترحوا إدخالها ، ولو أنه حصل الاتفاق أخيراً بينهم وبينه وبين الرئيس .
ولكن التقرير ثم التغيير فيه شيء لم يره سموه من النظار السابقين مدى السبعة عشر
عاماً الماضية .

ولا يبعد أن جورست الذي يسير معنا بالاتفاق التام يفضض يوماً من الأيام
عندما نطلب منه المساعدة في مسألة فلا يجيبنا إلى طلبنا ويعمل ما يراه لأنه لا يعتمد
على ما نعرضه عليه خوفاً من أن نرجع فيه كما رجعنا في هذه المسألة وبذا نخسر معاوته .

وكان هذا الكلام للنظار أمام المستشار المالي وقطة باشا واحمد زكي بك فاستأوا
من ذلك وتكدهروا أيما كدر . ولما ذهبت مساء اليوم إلى وكالة فرنسا ، حيث كنت
مدعواً لتضية السهرة بمناسبة وجود الدوق أوف كنوت وعقيلته هناك ، قابلني في حلقة
المدعويين سعد باشا ثم محمد سعيد باشا ثم حسين رشدي باشا واحمد حشمت باشا
وكلبوني في هذا الموضوع وكان التأثير ظاهراً بالأخص على سعد باشا وسعيد باشا ،
فبدأت زوعهم وأكدت لهم أنهم قاموا بالواجب وأن الخديو لا بد أن يكون مقتبلاً
بالتعديل الذي أدخل لأنه لم يكن موافقاً على القانون ولكنه استاء فقط من الطرق
التي اتبعت .

وفي اليوم التالي حضر سعيد باشا إلى القبة فقابل الخديو وعلم منه أنه كدره
كان من توسط شفيق بك بينه وبين جورست في قبول التعديل ومع ذلك فإن سموه
أظهر له الرعاية والعناية فزال عنه بعض الكدر وبعد الظهر توجهت إلى بطرس باشا
فدعاني للعداء وعلبت منه أنه مقتبض بما قاله الخديو للنظار وأنه قال لسموه أثناء محادثة
خصوصية إنه لو كان سموه رضى بالرجال الذين كان قد انتخبهم أولاً ومنهم شفيق باشا
لما حصل كل ذلك ولكن سموه طلب منه قبول هؤلاء النظار فامتثلت لأوامره .

وكان سموه قد سافر الى بلبس وعند عودته ركبته معه في القطار من محطة مصر الى القبة وعرفته بالمطلوب إجراؤه في قرار تنفيذ قانون المطبوعات فسألني عما إذا كان بطرس باشا قد قبل فأسألت سعيد باشا تليفونياً فقال: نعم إن بطرس باشا قد قبل . . . فقلت لأنفدينا: الحمد لله إن المسألة قد انتهت مع النظار والرئيس وجورست . فقال : ه ولكن لم تنته معي فكيف يحصل هذا التغيير بعد أن قررنا ما قررناه ؟ .

صرى القانونيه . نشرت الوقائع الرسمية في ٢٧ مارس قرار مجلس النظار بتنفيذ قانون المطبوعات لسنة ١٨٨١ على الصحف والمطابع والقرار الخاص بتكليف ناظر الداخلية بحالة المتهمين على القضاء ما لم يقرر مجلس النظار تطبيق مادة ١٣ من القانون المذكور فثارت لذلك جميع الصحف وحملت اللواء على القانون بمنف ووردت تلغرافات للبعية وللحكومة بالاستيلاء منه . وفي اليوم التالي ذهب الخديو إلى المحطة لتوديع الدوق اوف كنوت وفي أثناء ذهابه وعودته إلى عابدين لاحظ أن بعض الطلبة الذين ينتمون للحزب الوطني كانوا جالسين على قهوة الشيشة وغيرها وهم في حالة عدم اكتراث ولما مر عليهم لم يتحركوا ولم يقفوا الأداء السلام بل بالعكس رفقوا ساقاً فوق ساق ونظروا إليه . وقد شعر سموه أنه لا بد وأن يكون الحزب قد كلفهم بتنظيم هذه المظاهرة انتقاماً منه بسبب قانون المطبوعات والصحافة .

وفي يوم ٢٩ مارس حضر السراي سكرتير الحزب الوطني . وسلبني خطاباً باسم الخديو وفيه احتجاج من لجنة إدارة الحزب الوطني خاص بتقييد حرية الصحف . وبما ورد في هذا الاحتجاج .

ه إن الحزب الوطني هو قوة لا يستهان بها . وهو مخلص للسدة الخديوية . .
فلما أرسلت الخبر تليفونياً للجناب العالي جاءني الأمر بارسال هذا الاحتجاج لبطرس باشا .

وبلغني من سموه بعد ذلك أنه ورد للنظار إنذار بأن عشرة من الطلبة سينتقمون منهم ويقتلونهم نظراً لآقرارهم إرجاع قانون مطبوعات سنة ١٨٨١ وأن النظار متخوفون من هذه الجمعية .

مظاهرة الطلبة : ولما عاد سموه إلى القاهرة في ١ أبريل بعد افتتاح بور سودان . — كما سيحيى . — كان النظار في انتظاره بمحطة القبة مع البرنس محمد علي باشا ، فعلمنا منهم أنه وقعت أثناء غياب سموه مظاهرة كبيرة قام بها الطلاب المنتمون للحزب

الوطني ، وأن هارفي باشا الحكمدار الذي كان مشرفا على تشييتهم سقط عن جواده ، ولكن البوليس تمكن من القبض على ناصية الحال وقبض على عدد من المتظاهرين لتقديهم للحكومة . وعلنا أن جيش الاحتلال كان على استعداد لأول إشارة وأن القائد العام كان يراقب المظاهرة بنفسه في ميدان الأوبرا .

وقد لامهم سموه على عدم إرسال الأخبار إليه مدة غيابه ، ولا سما في أمر بهذه الخطورة .

في مجلس الشورى والقانون : وفي ١٣ أبريل اجتمع مجلس شورى القوانين فاقترح على شعراوى باشا ، وأيده ثمانية من الأعضاء ، إلغاء قانون المطبوعات ؛ فرد عليه اسماعيل أباطه باشا بأن هذا الطلب غير قانوني ، فانه لا حق للمجلس في طلب إلغاء قانون ، واقترح أن يطلب من الحكومة عمل مشروع قانون للمطبوعات بدل الذي تقرر تنفيذه ، ثم يعرض المشروع الجديد على المجلس . فقام مقار باشا عبد الشهيد ، وطلب ألا يغير القانون الحاضر ، وألا يلغى ، بل يبقى كما قرره الحكومة . ولما أخذت الأصوات كانت الاغلبية مع مقار باشا فتقرر إبقاء القانون على حاله .

وقد كانت هذه نتيجة سيئة المغزى بالنسبة للأمة المصرية وتقديرها لحرمانها وحقوقها ، ولكن الذنب في ذلك يرجع إلى الخلاف بين أباطه باشا وشعراوى باشا وهو الذي مكن عبد الشهيد باشا من إحراز الاغلبية .

إنذار اللواء والحكم على الشيخ جاويش : وبالرغم من سن قانون المطبوعات فان الحكومة والانكليز كانوا يتخرجون من تنفيذه على الصحف التي ظلت تكتب بشدة متناهية ، وقد علنا أن البرلمان الانجليزى نفسه أوصى وزير الخارجية الانجليزى بعدم التصديق على حرية الصحف في مصر .

ولكن حدث أمران اضطرارا الحكومة إلى الخروج عن هذا التحفظ :

الأول : أن اللواء نشرت فصولا طويلة مدحت فيها ، دنجرا ، الهندى قاتل اللورد كرزون في إنجلترا واعتبرت عمله عملا وطنياً خالداً ، وحضت القبان على التشبه به في وطنيته .

والثاني : أن الشيخ جاويش نشر في اللواء مقالا شديداً للبهجة طعن فيه في حق بطرس باشا ونفى باشا زحلول ومحمد بك يوسف

أما اللواء فقد تقرر إنذاره بعد أخذ وردة بين مصر ولندنه حتى إن بطرس باشا لوتج بالاستقالة إذا لم ينذر ؛ لأن هذه الكتابة تعتبر تحريضاً صريحاً على ارتكاب جرائم القتل السياسي .

وأما الشيخ جاويش فقد قدم للمحاكمة وحكم عليه بالغرامة .

مظاهرة سياسية : وقد قابلت الصحف الانجليزية والوطنية هذا العمل بالارتياح . أما جرائد الحزب الوطني فاستخدمته في البداية للحزب وقالت إن الشيخ جاويش يعتبر شهيد الحرية .

وفي يوم ٢٩ أغسطس تألفت مظاهرة كبيرة في حديقة الأزبكية لتحية الشيخ جاويش نظمها الحزب الوطني . ولما علمت الحكومة بخبر المظاهرة اجتمع ناظر الداخلية مع المحافظ لعمل الاحتياطات اللازمة ، ونبه على الشيخ شاكر لبذل كل مجهود حتى لا يشترك فيها طلاب الأزهر . ونصحت المؤيد والجريدة بالهدوء ، وقد انتهت المظاهرة بسلام .

وفي نفس الوقت بذل الخديو مجهوداً لا قالة محمد فريد بك زعيم الحزب الوطني من الاشراف على تصفية الشركة التوفيقية للملاحة في النيل ، وكان المنشاوى له نصيب كبير فيها ، وكان فريد بك يتناول نظير عمله مائة جنيه شهرياً ، هذا فضلاً عما يقال من أن مركزه هذا يفيد الحزب الوطني مالياً . ولهذا كلفني الخديو بأن أسعى لدى أفراد أسرة المنشاوى للعمل على رفع يد فريد بك عن الشركة ، واستعنت على ذلك باسماعيل أباطه باشا . ورشحناه هو للحلول محل فريد بك . ولكن السعى لم يتم . ولما علم فريد بك بذلك أرسل إلى أباطه باشا يلومه على هذا العمل الذي اعتبره غير لائق بمكاته .

افتتاح بورسوايه . كانت الحكومة قد انتهت من إنشاء نهر بورسودان ، وقر الرأي على أن يفتحه الخديو رسمياً .

وفي ٢٩ مارس تحرك القطار الخصوصي من القبة يقل سموه والنظار وكبار رجال المعية إلى السويس حيث كانت المحروسة في الانتظار . فنزلنا بها في منتصف الليل والبحر هادى والهواء رطب وسارت حتى بلغت الميناء الجديدة يوم أول أبريل ، وهناك أطلقت المدافع من الشاطئ وأذن الشيخ محمد الجيزاوى المقرئ إعلاناً بافتتاح بورسودان رسمياً .

ثم افتتحت الحفلة بخطاب من حاكم السودان العام مرحباً بالجندي وولاه كندى بك مدير أشغال السودان فشرح بإيجاز الأعمال التي تمت في الميناء وقام بعده دورى بك مدير الموانئ والنفاسارات فوصف الميناء وفائدتها التجارية وأنه قد نصب في مدخلها فانار من الدرجة الثالثة يمتحنى نوره كل عشر ثوان وقد وضع هذا الفانار بحيث ينبعث منه شعاع أحمر علامة على الخطر في بعض الجهات .

فرد عليهم الجندي شاكرأ ومشجعاً ، ثم توجه سموه الى البناء فوضع آخر حجر ثم أنعم على بعض كبار الموظفين الإنجليز بنياشين مختلفة الدرجات .

وكان في الاستقبال ونجحت باشا السردار والضباط والموظفون وقاضى القضاة ومفتى الخرطوم وشيخ علماءها ؛ وأديت المساكر التحية ، ثم سعد إلى الباخرة ونجحت باشا ومعه سلاطين باشا لشكر الجندي على تفضله بالحضور . ثم نزل سموه إلى الشاطئ ، وزكب العربة الخصوصية وطاف في موكب بعض شوارع الثغر التي كانت مزينة بالأعلام .

ثم عاد للمحروسة فاستقبل بها أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية الذين حضروا مدعوين لشهود الاحتفال . ثم أمحباب الصحف وغيرهم . ودعا إلى الغداء كبار موظفي السودان وأعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية .

وفي الساعة الرابعة زرنا مخازن الجمر ك ووابورات الكهرباء ، ثم مررنا بالقنطرة التي تصل القسم التجارى من المدينة بالقسم المدنى . وزرنا منزل حاكم المدينة ثم عدنا للمحروسة .

وفي المساء كنا مدعوين للعشاء عند السردار وكانت الميناء والمحروسة ووابوران صغيران لحكومة السودان تتلألأ بالألوان الساطعة ، وبعد العشاء أطلقت النيازك ؛ ومما لفت الأنظار ظهور صورة الملك ادوارد السابع وصورة الجندي في ألوان زاهية واضحة . ومما لاحظته سموه وجود أعلام انجليزية بجانب الأعلام المصرية في ساحة الاحتفال ، ولم يدع أحد من المجلس ولا الجمعية إلى هذه المأدبة .

وفي اليوم التالى ركبتا المحروسة عائدتين بعد الوداع الرسمى المعتاد ، فوصلنا إلى الطور يوم ؛ منه حيث يوجد الحجر لاجراء الرسوم-الصحية المعلومة . وكان هنالك الوابور برنس عباس يقل المدعوين للاحتفال عائدين كذلك فأرسل إليهم سموه يلغهم أسفه على عدم دعوتهم للمأدبة السردار وأنه آسف بسبب ذلك .

ووصلنا إلى السويس يوم ٥ منه ، فاستقبل سموه من جميع الطبقات بمصاهرة
كبيرة ، ونزل بالمدينة وطاف ببعض شوارعها ثم غادرنا السويس إلى القاهرة فوصلناها
في الساعة الخامسة مساء .

شهره الأزهر . في ٩ أبريل كنت في سراى القبة مع الشيخ شاكرو المفتي
والشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي ثم حضر الشيخ احمد زناقي فاجتمعنا بناء على الأمر
الحدوي للناقشة في شئون الأزهر ومطالب الطلبة إزاء القانون الجديد ؛ وفي الشكاوى
التي وصلت للسراى من الطلبة ومن جمعية اتحاد العلماء . وقد كان من رأي أن يأمر سموه
بتشكيل لجنة من أحد علماء الأزهر وآخر من المعهد الإسكندري وثالث من طنطا ومن
إبراهيم ممتاز باشا رئيس الأقاليم العربية بالداخلية وحسن بك جلال أحد رجال القضاء
وثلاثة آخرين مثل اسماعيل بك حسين ناظر مدرسة المعلمين العليا واسماعيل وأفت
بك المدرس بها وأمين بك سامي ناظر المدرسة الناصرية . وتنتظر هذه اللجنة في مطالب
الطلبة ولها أن تنظر في تعديل القانون واللائحة الداخلية ، وأن تقترح التغييرات اللازم
إدخالها لراحة الطلبة والعلماء في جميع المعاهد .

ولكن اقتراحى هذا لم يزل مقبولا وقال الحدوي : إننا ننظر في جلسة غير رسمية
في تقرير اللجنة ، ثم يجتمع المجلس العالى بصفة رسمية ويقرر ما يراه في هذا التقرير .

استقالة الشيخ حسونة وتعيين الشيخ سليم البشرى للمرة الثانية : أسلفنا ذكر

ما كان بين الحدوي وبين الشيخ حسونة من سوء تفاهم لم يزل إلا ظاهراً ؛ ولذلك فإن الشيخ
اتهر فرصة التذمر من القانون الجديد وبادر في أوائل هذا العام بتقديم استقالته فقبلت ،
وبعد المداوات قر الرأي على تعيين الشيخ سليم البشرى شيخاً للأزهر ؛ وكان الأمر
محل بحث بين النظار وجورست . وانتهى بموافقتهم وصدور الأمر بالتعيين في ١٣ منه .

وفي ١٧ منه حضر الشيخ الجديد للسراى بين جمهور من العلماء فطلع عليه الحدوي
(الكرك) ولم يكن ذلك متبعاً من قبل .

تولية السلطان محمد رشاد وسفر الحدوي لمؤسستائه وأوروبا . وردت التلغرافات
بتولية السلطان محمد رشاد خلفاً للسلطان عبد الحميد الذى أرسل إلى سلاتيك للإقامة
فيها ، وفي يوم ١٤ أبريل احتفلت البلاد بهذه التولية ، وفي ٣٠ مايو سافر الحدوي إلى
الاستانة لتبته الخليفة الجديد فوصلها يوم أول يونيو ، ومن هناك أرسل سموه إلى

بطرس باشا القائم مقام برقية يصف فيها حسن استقباله عند وصوله وحفاوة السلطان



السلطان محمد رشاد

ورجال المابين به ، وكذلك رجال
حزبى الاتحاد والترقى ، وأمر
بموافاته بالأخبار تباعا وكذلك
أرسل محمود شكرى باشا الى
رسالة مطولة يصف الاستقبال
ومآجاء فيها : ، وكانت المدرعات
العثمانية الراسية أمام السراى
السلطانية تؤدى التحية العسكرية
للحضرة الخديوية وموسيقاها
تعزف بالسلام الخديوى وهذا
لم يحصل قبل الآن . ، وجاء فيها
أيضاً : ، وصدرت الارادة
الشاهانية مؤذنة للخديو المعظم
بزيارة الخزينة الجليلة التى تحوى
الآثار النبوية بسراى طوب قور . ،

وقد نشرت هذه الرسالة بالوقائع المصرية ونقلتها عنها بعض الصحف فكان لها
وقع كبير لدى الاهالى الذين كانوا يظنون تغير نفس السلطان على الخديو نظراً لسياسة
الوفاق مع الإنجليز فى العهد الأخير .

وعاد الخديو من رحلته فى ١٧ سبتمبر بعد تجواله فى أوروبا

اشترافى لادارة الورواقف الخديوية . فى ٢٠ يونيو قام احمد خيرى باشا
مدير الورواقف الخديوية بالاجازة وكلفنى بناء على الأمر السابق صدوره إليه من الخديو
بقيامى بعمله حتى يمود من الاجازة فقامت بالعمل . وفى أول يوليو كانت الاحتفال
بامتحان مدرسة خليل أغا وافتتحت الحفلة بتلاوة القرآن ، ثم قام بعض الطلبة بتمثيل
رواية أدبية وبعدئذ أقيمت الخطبة التالية : ، أيها السادة . إني سعيد لاشتراكى معكم فى
هذا الاحتفال الذى يذكرنا بمؤسس هذا المعهد الفخيم وهو المرحوم خليل أغا . أتعلبون
من هو ؟ كان إذا ذكر اسم خليل أغا أيام سلطوته وضع الناس أصابعهم فى آذانهم رغبة

عنه ، واليوم كلنا آذان مصغية لذكرى هذا المحسن العظيم ؛ ولم ذلك؟ الجواب في قوله تعالى:
 « إن الحسنات يذهبن السيئات ، حكمة بالغة وعبرة تكبرى . فإذا ذكرنا اليوم خليل أفا
 ذكرنا أعمال البر والاحسان ولا سيما المعاهد العلمية التي هي الأساس الوحيد لرقى
 الأمة ثم قلنا بعد ذلك إن العبد الرقيق الخصى هو خير من كثير من أغنيائنا — أسيادنا
 البخلاء — لأن خير الناس أفعمهم للناس .

« فنلنا بأمثال خليل أفا وأمثال بطل الرواية التي سمعناها وهو زهدى بك لنهوض
 المصريين وتقديمهم ؟

« اللهم أكثر من الرجال النافعين لامتنا فإن ذلك ليس عليك بعزير .
 « وإني في الختام أشكر جميع الذين شرفوا الاحتفال وأثنى على همه حضرة ناظر
 المدرسة وأسائنتها الكرام .»

وقد علقت إحدى الجرائد على هذه الخطبة بقولها : « يا حذالو أن أمثال خليل أفا
 من الذين أثاروا من وجوه غير شرعية أن يكفروا عن سيئاتهم بعمل الخيرات ،
 حضور عزت العاير باشا إلى مصر . حضر لمصر عزت العايد باشا ونزل ضيفاً
 على الشيخ على يوسف وقد توجه مساء ١٦ يوليو لمقابلة الخديو بالقبة ومكث معه مدة
 ثم انصرف يثنى عليه .

مرض السيد البكرى . بمناسبة مقالة كتبها السيد محمد توفيق البكرى في جريدة
 اللواء في السنة الماضية واطلع عليها الخديو غضب سموه عليه لأنها لم تكن تتناسب مع
 مركزه الدينى ، وبلغ السيد ذلك فأرسل إلى رسالتين كلتاهما استرضاء واستعطاف
 للخديو . وقد بدأ البكرى يعانى الآلام مرض عصبى شديد ، واستمر في شدته وتفاقه
 وأصبح في حالة صعبة .

وفي ١٦ أغسطس وصلتني رسالة من الشيخ على يوسف يقول فيها إن حالة
 السيد البكرى سيئة جداً وإنه في مرضه يخيل إليه أنه مضطهد من الخديو والحكومة والعالم
 كله حتى أقاربه وأهل بيته ، فهو في حالة تشبه الجنون ، وإنه يريد من الشيخ على يوسف
 المساعدة في أمرين :

الأول أن أطاون السيد في عمل سلفه ليتمكن من السفر إلى الخارج ، وربما احتاج
 الأمر لإدخاله في مصحة « سنا تور يوم » .

والثاني أن أحضر للقاهرة ، وأقابل السيد (٥) وأطمئنه برضاء الخديو عنه .
ولما أطلعت بطرس باشا على خطاب الشيخ على يوسف أخبرني أنه أرسل إليه
جملة رسائل فيها تفصيل عن حالة السيد البكرى تؤكد جنونه . ثم أطلعت على برقيات
وتقارير من السيد نفسه يطلب فيها حمايته من المضطهدين له . وأنه ، أي بطرس باشا ،
أرسل إليه برقية يؤكد له فيها أن الحكومة ستتخذ الاجراءات اللازمة لمساعدته في
كل ما يطلبه وأرسل له النائب العموى ليطمئنه .

وبعد التفاهم مع بطرس باشا اتفق الرأي على أن يأمر مدير الأوقاف بمساعدته
في عمل سلفه على أوقاف البكرى الخيرية بمخمسة مائة جنيه ، ليتيسر له الذهاب للخارج
مستشفياً ، وأن أتوجه إليه وأطمئنه من قبل الجناب العالى .

وقد زرته فوجدته في حالة يرثى لها من التطورات المؤلمة ، وبذلت كل جهد
لطمأنته ونهيت كل موظفي دائرة أوقاف البكرى لرعايته ، وأبلغته برضاء الخديو عنه
وعمله على معونته ، وخرجت من عنده بعد أن قمت بكل ما أمكنني لراحته .

وبعد ذلك تمت مسألة السلفة وسافر البكرى للاستشفاء في العصفورية في لبنان .

مهام سياسي لمحمود شكري باشا في الاستانة . أسلفت أن محمود شكري
باشا سافر للاستانة بناء على الاتفاق بين جورست و بطرس باشا والخديو ، للمفاوضة
في مسألة القاضى التركي واختصاصه ، بعد أن تشبث بأن تكون له الولاية الشرعية
العامة ورفضت الحقاينة ذلك . وقد استقال القاضى بعدئذ وأصبحت مهمة
محمود شكري باشا أن يسوى مسألة تعيين القاضى الجديد . وقد انتهت بأن يعين الخديو
خلفاً له يختاره الباب العالى ، ثم جدت مسألة جديدة هي حاجة مصر لقرض تحقده
تفريعاً لللازمة التي كانت تأخذ بمخناقها ؛ فكلف محمود شكري باشا بأن يتفاوض مع
الباب العالى فيها على أن يتمها ثم يعود بمعية دولة الوالدة .

وقد حضر مع دولتها يوم ١٩ أكتوبر ؛ وعلى أثر وصوله عقد مجلس بحضور
الخديو ومحمود شكري للباحثة في نتيجة مهمته ، وإن كانت الحكومة قد عدلت عن
القرض أخيراً .

وفي هذه الاثناء وردت برقية من الصدارة تقرر أن الدولة العليا توافق على عمل

(٥) وقد ذكرته قبل وفاته بدسائسه ضد الملك تنفيذاً لأغراض الخديو مما هو المذكور في مذكراتي

فقال : « لى أعرف بطلى الناتج من نوعة الصباب وعدم الخيرة . »

قرض لتنمية ثروة البلاد على أن تبين الأوجه التي سيصرف فيها القرض .
فأرسلت هذه البرقية إلى دار الوكالة البريطانية لترى رأيها ، وبعد قليل ورد
منها رد مكتوب باللغة الفرنسية ليرسل للاستانة على لسان الخديو ، فسلمه لي سموه
لترجمته فكان نصه ما يأتي :

« ردأ على كتاب غفامتك أنشرف بأن أخبركم أن قرار مجلس الوكلاء في الاستانة
قد أنابني في عقد قرض . ولكن حكومتى لا تنوى الآن أن تعقد قرضاً فلا يعوزها
تصریح بهذا الصدد ، على أن منع مصر من الاقتراض دون إذن سابق من حكومة
السلطان هو عقبة مستمرة في سبيل تنمية موارد البلاد بأحسن الوسائل الاقتصادية ،
ومن شأنه أن يؤخر تقدمها المادى الذى لا نملك أنه يهيم جلالة السلطان وبهم غفامتك
أيضاً . لذلك أبدى أشد الرعبسة في أن يرد لي ما كان لسلفى من الحق الكامل
في عمل القرض . »

ولكننا لاحظنا أن الرد لا يتفق مع القرار ؛ لأن تركيا لم تمنع أن تقترض مصر
بل اشترطت فقط أن تخبرها بمصارف القرض . ولهذا تقرر أن يكون الرد ببناء
على اقتراح بطرس باشا ، بأن الحكومة تشكر الدولة على مساعدتها لعقد القرض ،
ولكن الحكومة ليس في نيتها الآن عمله ، والذى يهيمها فقط أن يرد إليها ما كان لها في
مدة الخديو السابق من الحق في عقد القروض عند الحاجة بدون استئذان . »

ثم دارت المخابرة بين جورست وحسين رشدي باشا في ذلك فوافق على
الرد الأخير .

صألة امتياز قناة السويس . لما شعرت شركة قناة السويس بحاجة الحكومة
إلى المال انتهزت هذه الفرصة وعرضت على الحكومة أن تصرح لها بمد امتياز القناة
أربعين سنة جديدة مقابل أربعة ملايين من الجنيهات ؛ وكان المستشار المالى يميل
للأخذ بهذه الفكرة وكذلك السير جورست وبترس باشا ، إلا أن رأى العام كان
ضدها ، وكذلك بعض النظار كسعد باشا ورشدي باشا ومحمد سعيد باشا . وكتبت
الصحف بهذه المناسبة كتابات شديدة . وتماطرت البرقيات والاحتجاجات على السراى
من الأعيان والأحزاب والهيئات المختلفة . ووردت لنا برقيات من محمود سليمان باشا
وعلى شعراوى باشا واحمد يحيى باشا يطلبون فيها طرح المشروع على الجمعية العمومية ،
وكذلك جاءنا مثل هذا الطلب من حزب الاصلاح ، وأرسلت الاحتجاجات لناظر

الخارجية الإنجليزية ولرئيس النظار بطرس باشا . وقد كلفني سمو الخديو أن أسلم لبطرس باشا هذه البرقيات ، وأن أفهمه أن سموه يخشى أن تكون هذه الحركة ضده شخصياً فيلزمه أن يجتهد منها ، وأن سموه لا يرى مانعاً بعد هذه الحركة القوية أن يعرض المشروع على الجمعية العمومية حتى تخف مسؤولية النظارة . وقد قابلت قبلها محمد سعيد باشا وفهم مهمتي ، فألح عليّ في القيام بها خير قيام ، وإقناع بطرس باشا إقناعاً تاماً . ولما قابلته أبلغته رأي الخديو وزدت عليه : « إننا نجتهد الآن يا باشا في إزالة ما علق بالنفوس من حادثة دنشواي بدلا من أن نضيف إليها أمراً جديداً تقع مسؤوليته عليك . » فقال لي : « حينئذ يلزم أن يتفاهم أئفدنا مع جورست . » قلت له : « وأتم أيضاً . » فوعد بذلك ، وظهر لي أنه اقتنع بطرح المسألة على الجمعية العمومية .

وفي ٣٠ أكتوبر تقابلت مع محمد سعيد باشا فصرحت له بأن عمل محمود سليمان باشا ومن معه قد سرني وشرح صدرى ، لأنه يساعدكم على الوصول للغاية التي تطلبونها فأجابني بما فهمت منه أن له يبدأ في تحريك المطالبين بتقديم المشروع للجمعية العمومية . وربما كان الوساطة هو احمد يحيى باشا .

واجتمعت بعدها بأباطه باشا فأخبرني أنه تقابل مع بطرس باشا وأقنعه بفكرة عرض المشروع على الجمعية العمومية أو مجلس الشورى فإن أمكن إقناع جورست بذلك كان بها وإلا فيلوح رئيس النظار بالاستقالة .

وقد حدثت أباطه باشا برأى الخديو ورغبته في أخذ رأى الأمة . فقال لي :
« يظهر أن بطرس باشا مقتنع الآن تماماً . ولهذا ذهب إلى جورست ليتفاهم معه . »

وتوجهت للبتزّه يوم ٣١ أكتوبر ففرضت على الخديو كل ما سمعت من الأحاديث ؛ وبينما كنت معه حضر محمد سعيد باشا وأخبرنا أن الرئيس تقابل مع جورست وأقنعه بضرورة استشارة الجمعية العمومية فقبل . وبالفعل حضر جورست في صباح اليوم التالى وقابل سموه في سراى رأس التين وتحادثنا طويلا في الموضوع وانفقا على عرض المشروع على الجمعية على شرط أن يدافع سعد زغلول عنه ويكون رأى الجمعية قاطعاً . وقال جورست إنه إذا لم توافق الجمعية فيسكتب لحكومته لنصرف نظرها عن المشروع . وقد اطمأنت الأفكار وهدأت النفوس عندما أذيع قرار الحكومة بصفة رسمية .

أما موعد انعقاد الجمعية العمومية فقد أجل أسبوعاً حتى يلقى جورست رأى حكومته في الموقف .

وفي أول نوفمبر وردت برقية للجناب العالي من الصدارة بأنه : « بلغ الباب العالي حدوث مخبرات في شأن امتياز قناة السويس ، وأن ذلك يدعو لأخذ رأى الباب العالي في هذه المسألة حيث لا يمكن تعديل شيء في فرمان الامتياز إلا بإرادة شاهانية وفرمان آخر . » وقد أبلغ الخديو الأمر لجورست ثم تقابل معه بطرس باشا وانفقاً على الرد بكيفية مختصرة مضمونها : « إنه صحيح حدوث مخبرات بين الحكومة الانجليزية وشركة قناة السويس في الموضوع . »

وقد عرض المشروع على الجمعية العمومية ، ودافع عن سعد باشا طبقاً لما تقرر ، ورفضته الجمعية بأغلبية كبيرة كما سيجيء مفصلاً .

وسيرى القارىء في السنة التالية أداء عباس لفريضة الحج التي بدأت في شهر ديسمبر سنة ١٩٠٩ وانتهت في يناير سنة ١٩١٠ .

سنة ١٩١٥

عباس يردى فريضة الحج . مسألة امتياز قناة السويس في الجمعية العمومية . مقتل بطرس غالى باشا . الرئيس روزفلت رئيس جمهورية أمريكا بمصر . تعيين مدير الديوانه الأوقاف العمومية وبعض أعماله فيه . وفاة ملك الإنجليز . سفرى لاسكندرية لقضاء فصل الصيف بالنظار . اختيارى رئاسة لجنة اصلاح مدرسة المعلمين الناصرية . قضية ديوانه « وطنيتى » . الخطوة الثالثة لاصلاح الأزهر .

عباس يردى فريضة الحج . عزم الخديو على أداء فريضة الحج منذ العام الماضى مع دولة الوالدة فأبلغنا الاستانة بذلك لتقوم باتخاذ ما يلزم لراحة سموه أثناء السفر وأداء الفريضة . وتقرر أن يكون بطرس غالى باشا قائمقام خديو ، مدة غيابه . وقد كتبت صيغة الأمر الخديوى بهذا التعيين فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٩ بحضور اسماعيل أباطه باشا والشيخ على يوسف . ولو حظ أنه يحتوى على نقطتين هامتين : الأولى التشاء على الحكومة العثمانية وعلى السلطان بقصد إرضائهما بعدما كان من موقف الحكومة المصرية فى مسألتى القاضى والقرض ، والتنويه بذكر الخلافة الاسلامية للسلطان . والنقطة الثانية إظهار شعور الخديو نحو الأمة المصرية لتقريب النفوس وجذبها إليه . ومما جاء فى آخر الأمر : « وسنرفع أكف الضراعة إلى مقام العزة الالهية فى تلك البقاع الطاهرة بأن يوفقنا إلى خدمة الأمة العزيزة المصرية التى لا تفارقنا إلا وقلبتنا معها ، وفكرنا مشتغل بما يؤدى إلى خيرها ومجدها فى الحال والاستقبال . كما أننا على يقين من أن دعواتها الصالحة تكون ملازمة لنا فى الحل والترحال . »

ثم توجهت لبطرس باشا لأعرض عليه المشروع ولكنى لم أجده فتركته مع

قعة باشا سكرتير مجلس النظار ، ولدت نظره إلى التقطين السالفتين بنوع خاص ، ثم ذهبت إلى سراى عابدين لوداع الموظفين بأقلام المعية إذ كنا على أهبه السفر .

الوصول إلى مكة : رفي ضحى يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٩ تحرك بنا القطار من القبة ، وكان معي اللواء حسين محرم باشا السرياور ، ومحمد عويث باشا ، واحمد خيرى باشا ، واحمد صادق بك وكيل الخاصة ، ومحمود محمد بك من القلم العرى ، والشيخ محمد شاكر وكييل الأزهر ، والسيد محمد البسلاوى من العساء ووكيل الكتبخانة الخديوية ، والشيخ محمد عاشور مفتى الأوقاف الخصوصية ، وبعض ضباط الحرس لنعد ما يلزم لاستقبال الخديوى فى مكة .

وقد وصلنا إلى السويس الساعة الرابعة مساء فنزلنا بالباخرة « برنس عباس » وقضينا بها الليلة . وفى مساء ٨ منه غادرنا السويس وأحرمتنا صباح ١٠ منه عند وصولنا أمام نهر رابع وبدأنا بالتلبية . وفى عصر هذا اليوم وصلنا إلى جدة ونزلنا فى منزل السيد عمر ناصف وكيل الشريف فى جدة ، فاستقبلنا بجله أحسن استقبال وبتنا بها . وفى صباح اليوم التالى لحقنا بركب المحمل ، فوصلنا إلى بحرة فى الساعة العاشرة مساء ، وفى الطريق شاهدنا قلاعاً تحتلها المساكر الشاهانية ، وكانت عند اقترابنا تحيينا بالسلام ، وفى بحرة قدم لاستقبالنا فيصل بك وعبد الله بك (*) لجلال الشريف والشريف جمل بك ابن أخى الشريف موفداً منه ومعه ياور الشريف احمد بك ، ولما وصلنا إلى المدخل الضيق الموصل إلى مكة والمعد لتعداد الجمال والحجاج ، دعينا لركوب عربتين . فركبنا ودخلنا المدينة ومررنا بين شوارع قفرة وبيوت عتيقة حتى وصلنا إلى الحرم الشريف ، وبعد أن أدينا مراسم الحج قصدنا دار الامارة . فأبلغت الأمير الشريف حسين السلام الخديوى ونحن وقوف . فتشكر ثم جلسنا وشكرته على العناية التى لقيناها فى جدة ، وفى طول الطريق .

وقد علمت أن الشريف أعد داره لنزول الخديوى ، وأما الوالدة فقد خصصن لها منزل بتاجا باشا أمام الحرم ، وكذلك أعدت المساكن لرجال الحاشية وبعضها مطل على الحرم .

وفى ١٤ منه زرنا بعض المقامات والمقابر ، وطفنا ببعض الشوارع الضيقة ، وعلى العموم لم ترق البلدة فى نظرى من حيث نظافتها وأحوالها الاجتماعية .

(*) هما نبيا بند المرحوم الملك فيصل ، وسمو الأمير عبد الله أمير شرق الأردن

استقبال الخديوي : وفي ٢٥ منه ووصل إلينا نبأ وصول الخديوي إلى جدة وقيامه منها إلى بجرة ، فذهبت للشريف وأبلغته ذلك ، وبعد المحادثة قررنا إرسال مذكرة لسموه بكيفية الاستقبال التي اتفقنا عليها ونصها :

« ينتظر الشريف في قهوة البستان مع وكيل الوالي والعساكر الشاهانية وقومندانها وبعض الأشراف ، وتقيم البلدية سرادقاً للاستقبال ، ويقدم أعيان البلدية والأعيان بواسطة الشريف . »

ولما وصل الخديوي إلى بجرة كان يرافقه سمو البرنس كمال الدين حسين ، والشيخ بكرى الصمدى المفتى ، والدكتور على لبيب بك الجراح وبعض الياوران والحاشية ، وكان سموه ممتطياً صهوة جواده وسائراً في الطليعة خلف ثلة من الحرس السوارى ، ويحيط هذا الركب فرقة من الجنود العثمانية ومعهم أنجال الشريف و مندوب حكومة الحجاز ، وجم غفير من الأشراف .

ولما نزلت الوالدة وكرمتاها ركنين عربية « لاندو » تجرها أربعة بقال ، أما البرنيس فاطمة فاضل خانم انصدى والقلقوات فركنن عربية الشريف والهادج ، وأعدت شقائف لباقي رجال المعية ، وكان حول الموكب سوارى الحرس الخديوي وعساكر الشريف ومن خلفه حرس الدولة .

ثم تناول البرنس كمال الدين حسين ومعه جميع الحاشية وأنجال الشريف طعام الغداء على الطراز الأفرنجى ، أما في العشاء فقد رأس المأدبة الخديوي وأبدى شكره للأولاد الشريف على تلك الحفاوة . ثم بارح سموه بجرة ممتطياً جواده ومعه الحاشية قاصداً مكة . وبالقرب من قهوة البستان استقبله أحمد خيرى باشا ، وخطوفة أمين بك القائم بأعمال ولاية الحجاز ، وقومندان العساكر الشاهانية . وكان الشريف حسين أمير مكة منتظراً سموه في القهوة المذكورة ، وسار برفقة سموه مع بعض الأشراف إلى السرادقات التي أعدها الحكومة خارج مكة احتفالاً بسموه . وكان العلماء والوجهاء والأعيان والتجار في انتظاره ، وعند نزوله عن جواده في السرادق المخصص له قدم له كبار القوم ومن بينهم أعضاء بلدية مكة ، فأبدى الخديوي شكره للجميع .

وبعد تناول القهوة سار إلى مكة محفوفاً من الجانبين بالجنود العثمانية ، حتى وصل إلى قشلاق الحميدية ، وعرفت الموسيقى بالسلام الخديوي . ولم أحضر الاستقبال لمرضى . ودخل سموه مكة من باب جهول حيث كان حرس المحمل واقفاً لأداء السلام .

وسار في طريق الشبيكة ومر أمام التكية المصرية التي كانت مزينة بالأعلام والمصابيح، وكذلك دار الامارة ودار البلدية وغيرها، وكان الطريق مزيناً، ووصل إلى باب الحرم الشريف فجر يوم الخميس ١٦ ديسمبر وصلى الصبح مع الامام المالكي، ثم طاف طواف القدوم وخرج للسمي بين الصفا والمروة، وكان الشريف قد عرض عليه أن يقوم بالسمي راكباً، ولكنه أنهى وأراد أن يكون كباقي الحجاج، وبعدئذ نزل في دار الامارة وهناك قال له الشريف: «أنت تقيم في ملكك؛ لأن هذه من آثار جدك محمد علي باشا»، فشكره ثم انصرف.

وعند طلوع الشمس أطلقت المدافع ترحيباً بمقدم الجناب العالي ثم تبادل الزيارة مع الشريف، وجاء بعده القائم بأعمال الولاية أمين بك. وبعد الغروب طاف بيت الله المعظم.

ولما وصلت الوالدة ومن معها بموكبها إلى مكة في الغروب أطلقت المدافع، وعزفت الموسيقىات واستقبلتها الجموع أحسن استقبال. ونزلت في دار بناجا باشا. وبعد هزيع من الليل طافت دولتها طواف القدوم ثم سعت في عربتها مع البرنيسيات. تشريفات وزيارات: وفي يوم الجمعة ١٧ منه وفد المصريون إلى دار الامارة لكتابة أسماهم بسجل التشريفات. ورد الخديو الزيارة إلى القائم بأعمال الولاية. وكانت فرقة من الجنود الشاهانية مصطفة على جانبي الطريق إلى بابها، ولما وصل الركب عزفت الموسيقى بالسلام الخديوي. فأسرع القائمقام الذي كان ينتظر على بابها مرحباً بمقدم سموه. وهناك قدم له العلماء والمأمورون الملكيون والعسكريون، وأعضاء المجلس البلدي، والأعيان والتجار. ثم زار سموه التكية المصرية وتفقد محالها ومخازنها ومطبخها. وأكل من خبزها ثم عاد إلى دار الامارة وزار الشريف.

ولما آن وقت الظهر قصد الحرم الشريف لصلاة الجمعة، وأنعم سموه على الخطيب بمخلة سنية. وفي أثناء الصلاة هطلت الأمطار فاستبشرت الأهالي لأنهم كانوا محرومين منها مدة طويلة.

وفي ١٨ منه زار الأماكن المباركة مع حاشيته وزار المحمل المصري في جرول، فاستقبل استقبالاً عظيماً وقدم لسموه أمير الحج جميع ضباط المحمل وموظفيه. ثم زار بعد ذلك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ثم مولد سيدنا علي كرم الله وجهه ثم عاد للسراي. وبعد الظهر استقبل كثيراً من الزائرين. وبعد الغروب قصد بيت الله الحرام.

ورضع المدرج فصعد ووصل هو والحاشية في محل فوق الكعبة . وقد أوقدت الشموع فيه . وبعد الدعاء المأثور نزلنا وعدنا .

وفي مساء ١٩ منه أول سموه وليمة للشريف وأبناؤه وأمين بك وعليه القوم وكبار المأمورين والقاضي والمفتي وشيخ الحرم ومديره وقومندان العساكر الشاهانية ورجال المعية . وبعد العشاء والاستراحة في البهو الكبير خطب أمين بك خطبة بليغة رحب فيها بقدم سموه .

وفي ٢٠ ديسمبر تبادل الزيارة مع دولة الشريف وزاره كثير من الزائرين وفي المساء طاف بالكعبة .

وفي يوم التروية خرج سموه من مكة إلى عرفة راكباً جواداً بملابس الاحرام مع حاشيته وكلهم محرمون . وكان يرافق سموه عبدالله بك نجل الشريف ومعه كثيرون من عليه الأشراف . وتقدمت هذا الركب فصيلة من عساكر الحرس الخديوي السوارى تتبعها فرقة من جنود البيشمه (من عرب الحجاز) على هجنهم وهم يضربون نوتهم ويوقعون أناشيدهم البدوية وباقى الركب يلي قائلًا : ه ليك اللهم ليك ، لا شريك لك ليك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وكان هذا الحشود الروحي الرنان ، بنغماته المؤثرة ، وما يتجلى فيها من آيات الخشوع ، ينفذ الى أعماق القلوب ، ويحدث في النفس أصعق الآثار . وكان يحيط بالركب جميعه فرقة أخرى من الحرس الخديوي . وقد استراح سموه بسرادق الشريف الخصوصى بمنى وبعد ذلك توجه إلى مسجد الخيف . وصلى الظهر ثم توجه لزيارة والدته بمنزل الشريف هناك ، ورجع إلى السرادق بعد صلاة العصر . وبعد صلاة صبح يوم ٢٢ ديسمبر ركب في موكبته إلى عرفة فوصلناها الساعة الحادية عشرة صباحاً ونزل سموه في السرادق الذى أعده الشريف له . وأما الحاشية فنزلت في سرادق أخرى . وبعد صلاة العصر بنحو ساعة ركب الخديو جواده ، وسار الى يساره الشريف ومن خلفهما البرنس كمال الدين ووكيل الولاية وجم غفير من كبار الأشراف ورجال الدولة وحاشية سموه ، حتى وقفنا حذاء جبل الرحمة على مرتفع ، وقد اجتمعت هناك ألوف الحجاج ، والسكك في خشوع يلون ويسألون الله ما يريدون . وهنا يعجز القلم عن تصوير هذا المنظر الرائع الذى تبرز فيه آلاف الأنفس والأرواح في صعيد واحد . وتوجه كلها إلى وجهة واحدة ، هي مقام العلى الأعلى . وما رلنا وقوفاً هناك حتى أفاض الناس فأفضنا معهم .

وكانت إفاحة الجناب العالى من عرفات من الفخامة بما لم يشهد له مثيل . وما كاد يتحرك الحملان حتى سار سموه وإلى جانبه الشريف ثم من فى مبيتها من الأمراء والعظاء فى ركب نظم رهيب ، حتى وصلنا إلى المزدلفة ونحن فى غاية ما يكون من الراحة وسارت صاحبة الدولة والدة والبرنيسيات فى موكب نظم آخر .

استعراض حرس المحمل : ولما وصلنا جميعاً إلى المزدلفة نزلنا فى الأمكنة التى أعدت لنا وقضينا فيها ليلة النحر ، وبارحنا فجر يوم الخميس ١٠ ذى الحجة الموافق ٢٣ ديسمبر إلى منى ورمينا جمرة العقبة وتحملنا من الاحرام ، ثم صلينا صلاة العيد ونحرت الضحايا الكثيرة بحضور الخديو ، ونزلنا مكة وطفنا طواف الإفاحة ، ثم تغدى سموه فى دار الإمارة وعدنا إلى منى بعد صلاة العصر .

وفى يوم الجمعة ١١ ذى الحجة الموافق ٢٤ ديسمبر احتفل بقراءة فرمان الشريف وذلك فى السراى المعد للجناب الخديو ، لجلس سموه فى الوسط وعن يساره الشريف ثم أمين بك ثم أنجال الشريف وعلية الأشراف ، وعلى يمين سموه البرنس كمال الدين حسين فأنا ثم عرت باشا وخيرى باشا ثم موظفو المعية . وبعدئذ حضر الوفد الحامل للفرمان والخلعة السنية فقام مكتوبى الولاية وقرأ فرمان التركية ثم قام كاتب يد الشريف وتلا ترجمته بالعريية . وعقب ذلك فك خلاف الخلعة وألبسها أحد المهمندارين للشريف ثم أمر الجناب العالى بتوزيع الشربات على الجميع ، وبعد شرب القهوة انصرف الشريف مودعاً من الخديو بكل تجلة واحترام .

وبعد ذلك استعرض حرس المحملين الشامى والمصرى ، وقد بلح سموه حساكر على بن دينار سلطان دارفور مع رئيسهم وقد أتوا بمحملهم وراء الصفوف ، فاستدعى سموه رئيسهم . وبعد أن لاطفه وحياه أمره بأن يسير بجنده فى هذا الاستعراض فلبى الدعوة . وبعد نهاية الاستعراض استقبل الخديو المسيرى بالعيد فى سراىه ، ثم رد الزيارة للشريف . وبعد تبادل التهانى ركبنا الشترين معنا إلى رعى الجمرات وعدنا إلى مقرنا . وفى المساء أعدت وليمة عشاء للشريف وعظاء قومه .

وفى أثناء العلام كانت الموسيقى تعرف وسهام الألعاب النارية تشق كبد الفضاء وقضينا يوم ٢٥ ديسمبر بمنى .

وفى ٢٦ منه بعد صلاة العصر نزلنا إلى مكة وبنا بها . وفى ٢٧ منه وزعت الصدقات والهدايا من الخديو والوالدة وقامت الحاشية عند الظهر إلى بكرة ، وبعد صلاة

العشاء طاف الخديو وبعض رجال المعية طواف الوداع .

وبما أذكره أن الحاج المدنيين عند دخولهم مكة كانوا يشدون بنعمة طلبة
النشيد الآتي :

يا سلام اكتب سلام	بين زمزم والمقام
فاطمه ست النساء	وعلى سيد الاكرام
ومحمد بن عبد الله	يا قارىء كتاب الله
اقرأ الحمد باسم الله	أيا داخل الجنة
خبرني بما فيها	فيها الروح والريحان
دار الله لا حسد فيها	ومحمد وعلى فيها
فيها القبة الخضراء	فيها طير من جواهر
يغرغد بين حواها	سیدی الحاج يا شريفة
أما بشاره والاعلى	والاعروسه ما جينا
فك الكيس واعطينا	سیدی الحاج يا عكة
ربي يوصلك مكة	من مكة للدينه
من المدينة لبلادك	من بلادك لأولادك
زمزمى والطايرى	شيعى عبد القسار
والنسي من عادته	فرشوا سجاده
يا صلاة الله عليه	كلكم صلوا عليه

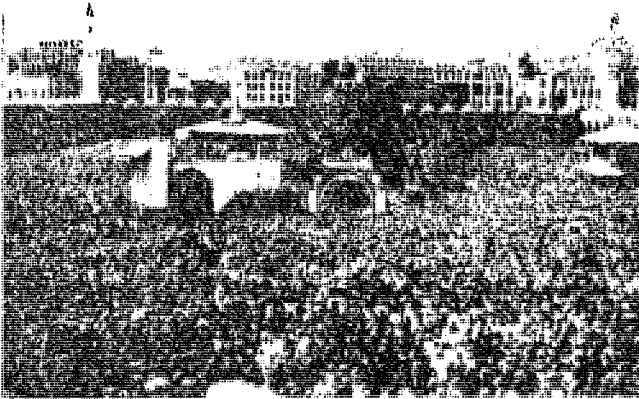
ثم يصيحون : يا حى .

وعند طواف البدر حول الكعبة كانوا يهزولون صارخين : ه اغفر اغفر إن
لم تغفر من يغفر ؟ ، وكذلك أذكر أنه عند تجوالى فى حوارى مكة وجدت أسواقاً لبيع
الجوارى والعبيد بدون مراقبة ، وأيضاً تعرفت بأستاذ يابانى مسلم فى جامعة طوكيو
وعلمت منه أنه أسلم منذ سنوات بعد أن قرأ القرآن مترجماً إلى الإنجليزية فانهذب إليه
وكان يتكلم العربية بصعوبة .

وبعد أن خرجنا من باب مكة وجدنا الشريف وأهله وعظماة القوم فى الانتظار
لوداعنا . وصحبنا الشريف ناصر ، الذى كان تعين مهمنداراً للخديو من قبيل الشراقة
العظمى مدة وجود سموه بالحجاز ، وقد أعدت الخبير الحصارى لركوب الخديو . ومن

معه من الحاشية ، وكان منظر الصحراء في غاية الهجعة لاكتمال القمر ، والسرور شامل . وكانت حوافر الخبير نفوس في الرمال وتسكب ويقع بعض راكبيها فيضحك الباقون عليه ، ومع مزيد حرصى فقد وقعت . ولم تمض برهة حتى وقع الخديو أيضاً ولكن من يقع لم يكن يصاب بسوء . واستمرت هذه التسلية حتى وصلنا بحجرة في منتصف ليلة ٢٧ ديسمبر واسترحنا قليلاً . ثم ركبنا إلى جدة فوصلناها يوم ٢٨ منه . وقد استقبلنا فيها قائمقامها وقومندان عساكرها مع كثير من الأعيان وسرنا جميعاً حتى عمل الكورتينة وركبنا زورقاً بخارياً إلى المحروسة ، وكانت الوالدة قد سبقتنا إليها مع حاشيتها . أما باقي رجال الحرس والمعوية فقد نزلوا بالباخرة الرحمانية التي كانت في انتظارهم .

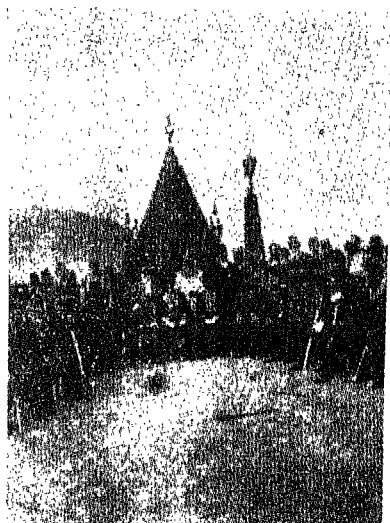
ثم استقبل الخديو في اليخت أنجال الشريف وقائمقام جدة وقومندان عساكرها ثم فواصل الدول وكانوا قد حضروا بصفة رسمية لتوديع سموه فشكروهم على رقتهم وأرسل برقيات الامتنان والشكر إلى جلالة السلطان ومقام الصدارة العظمى ودولة الشريف وحكومة الحجاز .



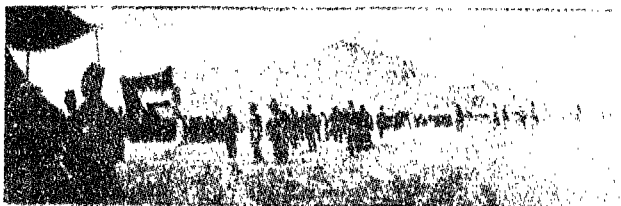
الكنية



ميناء جدة



المحل الشريف



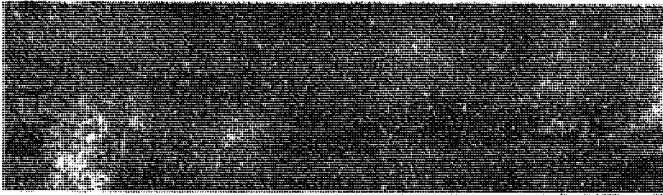
بجرة



مضى



منظر صومى للى والمهاج عييون فيه



المهاج على جبل الرحمة بمرقات

وقامت المحروسة من جدة إلى الوجه فوصلناها ظهر يوم ٢٩ منه .

وفي ٣١ منه نزلنا إلى البرسالمين فاستقبلنا قائمقام الوجه وسليمان باشا أبو رفادة شيخ قبائل بلي والمتعهد بحملة الركاب العسالى ، فركب الخديو مع بعض رجال المعينة المجهن في ركب حافل من عربات هذه الجهة ، أما باقى الحاشية فكانوا في شقائف فوصلنا في اليوم الأول من يناير سنة ١٩١٠ مكاناً به نبع ماء فاسترحنا وأمضينا اليوم هناك في الخيام المعدة لنا . وفي اليوم الثانى ركبنا حتى وصلنا إلى منبع ماء آخر فاسترحنا فيه أيضاً وأمضينا الليلة . وفي اليوم الثالث وصلنا إلى مسيل النجد . وقد وجدنا هناك أورطة من الجيش العثمانى ، كانت أتت لحراسة الخديو من قبل الدولة وسارت معنا حتى وصلنا خشم بلع . وفي يوم ٤ منه ركبنا بعد صلاة الصبح إلى شرفة النجد في أرض صحيرية وعرة المسالك . يصعب السير فيها على الخيل والبغال والحير والجمال ، حتى إن أحد سوارى الترك كان يسرع فيها بجواده فانقلب به واربطم رأسه بحجر فانكسر وغاب شعوره . وقد مررنا على رأس الحجر وهى قمة عالية سوداء تشرف على واد ضيق فرشت أرضه بحجارة صوانية حمراء وصفراء ، ومازلنا سائرين في أراض جبلية وعرة حتى وصلنا النجوة .

وفي ٦ يناير وصلنا إلى محطة البدائع الساعة العاشرة صباحاً فاستقبل سموه عدة من الرجال الرسميين والأشراف والمشايخ فشكروهم وتوجه معهم إلى صيوانه الخاص واصطفت في الطريق فرقة من الجنود البيادة العثمانيين ، وقد أمر الخديوي بتوزيع الكسكسوى على من كان في خدمة الركاب الخديوي من الضوية والسقاين والعكامة والفراشين والخيمية ، وقد أمر الخديوي بسفر الحرس السوارى الخديوي وبعض بلوكات البيادة إلى محطة العلا لانتظار عودة سموه بها ، كما أمر بتجهيز قطار خاص يقوم مساء ذلك اليوم إلى المدينة المنورة بجانب من الحرس والخدمة وبعض رجال المعية ومعهم الخيام والصوابين اللازمة .

أما قطار الجناب العالى ودولة الوالدة فقد تحرك من البدائع صباح ٧ يناير ، وعندما وصل إلى محطة هدية بلغه أن السيول قطعت الطريق فرجع القطار الأول إلى محطة هدية المذكورة وانتظر بها .

وكان يوم ٨ يناير هو يوم عيد الجلوس ، ولكن الجناب العالى لم يرغب في حمل احتفال في هذا اليوم ؛ وتقدم لييب بك البتاونى ، بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عنا جميعاً بالتهنئة لسموه .

وفي ٩ يناير وصل الخبر باصلاح الطريق ، فأمر سموه بقيام القطار الأول وكذلك القطار الخديوي حتى محطة الحفيرة حيث بات القطار الأول بها ، وأما القطار الخاص فبات بمحطة البوير التي قبل المحطة السالفة .

وفي ١٠ منه فقلنا وصلنا المدينة في الساعة السادسة مساءً تماماً ، فاستقبل سموه على رضا باشا محافظ المدينة وأبلغه سلام الدولة العلية وتهاى الحكومة المحلية ، والشريف شحات وكيل شريف مكة وقومندان صوم القوة العسكرية الموجودة بها وكثيرون غيرهم ، وأطلقت المدافع إيداناً بالوصول . ثم نزل سموه فقدم له المحافظ المستقبين الذين حضروا واحداً واحداً فشكروهم ، وسار ومن خلفه المحافظ والبرنس كمال الدين ورجال المعية يتلوم شيخ الحرم وأعيان المدينة المنورة ، بين صفوف العساكر التي كانت تودى التعظيم وموسيقاها تعرف السلام الخديوي . فدخلنا من باب العنبرية حتى وصلنا إلى الصوان الخصوصى الخديوي ، وهناك استقبلهم سموه بكرمه وإيناسه وشكروهم شكراً جزيلاً . وبعد الاستراحة زار مع البرنس والحاشية الحرم الشريف وأدى صلاة المغرب وقام بواجب الخدمة بالمقصورة الشريفة وكان الخشوع متملكاً القلوب .

وزار الوالدة في منزل شيخ الحرم الذي خصص لاقامتها ثم عاد إلى سراقه .
وكانت عباس مدة وجوده بالمدينة يكثر من صلاته في الحرم ويؤدي الخدمة
بإيقاد الفناديل في الحجرة الشريفة مساء وإطفائها صباحاً مرتدياً فروجة بيضاء ويشد
عليها حزاماً ويلف رأسه بعمامة على نظام خدمة الحجرة ثم يدخل من باب البتول .

وفي ١١ يناير بعد صلاة الفجر في الحرم قصدنا البقيع وهو مقبرة المدينة وورنا
بها قبة سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا الامام مالك وسيدنا ابراهيم ثم زوجات الرسول
صلى الله عليه وسلم وسيدنا العباس وشيهم . وبعد الظهر زرنا التكية المصرية وقصد
سموه دار الحكومة العثمانية لرد الزيارة لمحافظةها .

وفي ١٢ منه وبعد صلاة الفجر وأداء الخدمة ، قصد سموه مسجد قباء ثم عاد
قبل الظهر إلى المسجد الشريف فوصلى الظهر ورجع إلى صيوانه وأمضى اليوم في
استقبال الأعيان .

وفي ١٣ منه أدى الخدمة وقصد زيارة سيدنا حمزة . وفي اليوم التالي — بعد أداء
الخدمة وصلاة الصبح — رجع إلى المعسكر المصرى لاستقبال الزائرين ثم قصد الحرم
وصلى الجمعة .

وبعد أداء الصلاة خطب السيد محمد البلاوى الخطبة الآتية قبالة المقصورة الشريفة
أمام الخديو والحاشية : الحمد لله الذى أوفى بين قلوب عباده المؤمنين ، ورفع درجات
من أحسن في عمله ، وأخلص لله في سره وجهره وأشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة صبد
معترف بربوبيته ، مقر بوحدانيته ، راجح رحمته ، خائف من عذابه ، وأشهد أن سيدنا
محمداً رسول الله . هادى الخلق الى الحق ، ومرشدهم الى طريق السعادة ، اللهم صل وسلم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الذين أوفى بين قلوبهم بالاسلام ، فتعاونوا على
البر والتقوى ، أو أوشك الذين هدامهم الله ، وأوشك هم أولو الألباب ؛ قال الله تعالى .
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم . فأصبحتم بنعمته إخواناً .

و عباد الله . إن سعادة الأمم . وارتقاءها وتقدمها ، وبلوغها غاية الشرف ، ونهاية
المجد ، إنما يكون بالتلايف أفرادها ، وتضامنهم في جلب المنافع ، ودفع المضار ، وتطهير
قلوبهم من دنس الحسد ، ودرن الأحقاد ، حتى يكونوا — وإن تباينى مساكنهم . وتباعدت
أماكنهم — بحكم واحد إن ألم منه عضو ألم لأجله سائر الأعضاء ، إذ ذاك يكون المسلمون

آباء رحماء ، وأبناء بررة ، يشملهم الله برحمته ، ويعممهم باحسانه ؛ لهذا آخى بمد الهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، لجعل لكل مهاجر أخاً من الأنصار ، فتواصلوا وتحابوا واتحدوا في إعرار دين الله ؛ وإعلاء كلمته ، فأورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها ، وما ادخر لهم في دار السعادة خير وأبقى . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المحبة ، وهذا الإخلاص ، من علامات الإيمان . فقال : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

ه فهل منا من أخلص وده لأخيه اهل منا من أحب لأخيه ما يحب لنفسه اهل منا من مد لأخيه يد المعونة ، إن رآه سالكا طريق خير وهدى اهل منا من أشفق على أخيه ونصحه وقومه إن رآه سالكا طريق غي وضلال لم يكن شيء من ذلك ، بل اتخذنا الحقد قريناً ، والحسد سميراً ، ولم نعن على عمل خيري ، ولم نساعد في شيء من أعمال البر ، واتبعنا الشيطان ، وكان الشيطان لربه كفوراً . والأعجب من ذلك كله ، أنه إذا وفق الله رجلاً منا للقيام بعمل يعود علينا خيره ، ويشملنا نفعه ، نقف في وجهه ، ونسفه رأيه ، حسداً من عند أنفسنا . والواجب يقضى علينا أن نعرض عمل العامل منا على العقل والشرح ، فما وافقهما قبلناه من صاحبه وشكرناه عليه ، وما خالفهما رددناه إلى صاحبه ، ونهناه إلى مواطن الخطأ فيه ؛ لكن بالأدب والحكمة ، لا بالقسوة والغلظة ، كي تقدم نفسه على الابتكار ، ولا تحجم عن عمل نفعه خيراً تاماً .

ه فيما عباد الله ، اتقوا الله وكونوا إخواناً متناصرين ، وأعراناً متساندين . وإياكم والدخول فيما لا يعني ، والاشتغال بما لا يفيد ؛ لعل الله يصلح حالنا ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

وقد كان لهذه الخطبة تأثير عميق في النفوس ، حتى إن شيخ الحرم أثنى على الخطيب وهنأه .

وبعد ذلك بارحنا الحرم ، وتوجه عباس لزيارة والدته .

وفي ١٥ منه أدى سموره الخدمة ، وصلى الصبح ، وزار زيارة الوداع ، وقصدنا المحطة حيث اكتظفت بالمردعين ، فسكرهم وصالحهم ، وتحرك القطار إلى تبرك ؛ وكان قطار المعية قد سبق قبل القطار الخاص .

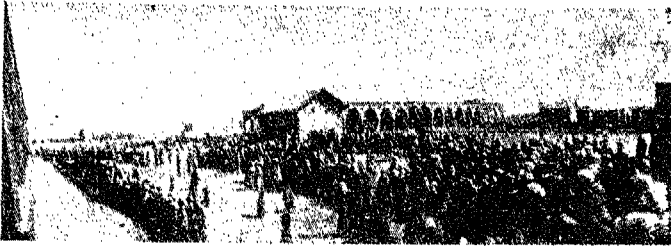
وما أذكره أن عباساً في مدة إقامته في المدينة كان يعامل بعض رجال المعية معاملة

سيدة بالشتم والعز ، وبالأخص حسين محرم باشا ، لهفوات بسيطة ؟ وكنا نتساءل عن هذه الحدة ، فقال أحدنا إنه لاشتغال ففكره بما عساه يحدث في مصر .

وفي صباح ١٦ منه وصلنا تبوك ، ودخل القطار الخاص إلى الكورنتينة ونزلت به الوالدة . أما الحديدو والمعيرة فأتنا نزلنا في صواوين خصوصية ؛ ومكثنا في تبوك خمسة أيام عانينا فيها كثيراً من شدة البرد .

وقد حضر إلى تبوك منيسر باشا الألماني ، باشمهندس الخط الحديدى الهجارى ورفاك قائمقام معان ، فلم يتمكننا من مقابلة الحديدو ، عملاً بتعليمات الكورنتينات فبقيا في الضيافة حتى يوم ٢١ منه حيث قابلهم .

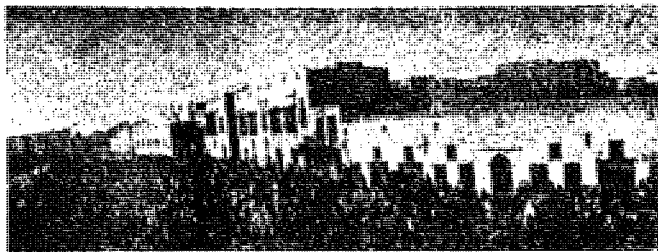
وبعدئذ قمنا من تبوك فوصلنا معان في منتصف الليل ، وهناك صدر الأمر للحرس بالقيام إلى العقبة فالسويس برأ ، وفي معان تناول سموه الغداء في دار منيسر باشا .



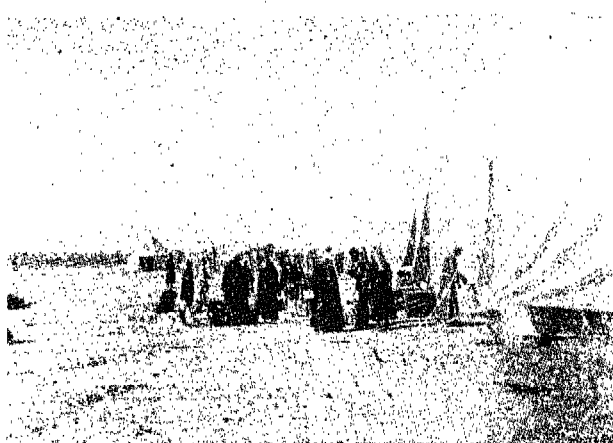
استقبال الحديدو بمحطة المدينة المنورة



المدينة المنورة



الركب المدنى وهو داخل المدينة في عودته من الحج



تبوك



محطة مبان



التكية المصرية بالمدينة المنورة

وفي الساعة الثالثة من مساء يوم ٢٢ منه تحرك القطار الخاص إلى حيفا ، فوصلناها
بعده ظهر يوم الأحد ٢٣ منه ، فاستقبلته بها الوفود ، وفي مقدمتهم مأمور الدولة وقناصل
الدول والعلماء والمتصرف ووكيله وقومندان عموم القوة العسكرية ، وأطلقت المدافع
تحية بمقدمه ، وعزفت الموسيقى بالسلام الخديوي ؛ فنزل سموه إلى هو المحطة الذي أعد
لاستقباله ، وتناول القهوة ، ثم ركب القطار إلى الأسكلة ، ومنها بزورق بخاري إلى المحروسة
وقد أمر سموه بترحيل فقراء الحجاج المصريين إلى بور سعيد على نفقته
باحدى بواخر الشركة الخديوية . وفي الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم تحركت
المحروسة ، فوصلنا الاسكندرية بعد ظهر يوم الاثنين ٢٥ يناير ، وكان الاستقبال نظماً
عظيماً . وبذلك انتهينا من تأدية فريضة الحج .

وكان قد رافق عباس في حجه الكاتب القدير محمد لبيب البنتوني بك لتدوين الرحلة
الحجازية . وبعد رجوعه أخرجها بالتفصيل وزاد عليها تعليقات تاريخية قيمة عن هذه
الأصقاع ، وجعلها في سفر جليل باسم « الرحلة الحجازية » .

مسألة امتياز قناة السويس في الجمعية العمومية . سبق أن قدّمنا أن مسألة
مد امتياز قناة السويس تقرر عرضها على الجمعية العمومية لأخذ الرأي فيها على شرط

أن يتولى سعد زغلول باشا الدفاع عن وجهة نظر الحكومة فيها ، وقد انقضت دورة الجمعية والمسألة لا تزال تحت البحث .

وفي ٧ فبراير افتتح سمو الخديو دور الانعقاد السنوى كالمعتاد . وكنت بجمعة سموه مع رئيس النظار ومحمود شكرى باشا وحسين محرم باشا . وقد ألقى سموه على الأعضاء الكلمة الآتية :

« أيها السادة . نهدي إليكم تحياتنا ونبدي لكم سرورنا من اجتماعكم في هذا اليوم . دعونا كم لاخذ رأيكم في الاتفاق الذى يراد عقده مع شركة قناة السويس ، فان هذه الشركة قد عرضت على حكومتنا منذ سنة امتداد أجل امتيازها . وبعد المخاطرة الطويلة أمكن الوصول إلى المشروع المطروح أمامكم . وقد علمت أن حكومتنا بجمعة على قبوله إذا رضيت الشركة بالتعديلات التى اقترحتها الحكومة عليها . فالغرض إذا من اجتماعكم إنما هو البحث فيما إذا كان من مصلحتنا مد أجل الامتياز إلى أربعين سنة مع اقتسام الأرباح فى هذه المدة بين الحكومة والشركة مناصفة ؛ وفى مقابل إعطاء الشركة نصف الأرباح عن المدة الجديدة تدفع للخزينة مبالغ موزعة على السنين سنة الباقية من مدة الامتياز الحالى . وقد قدر هذه . القيمة بعد البحث الدقيق أشخاص من ذوى الخبرة فى الشؤون المالية . وهم يرون أنه إذا حصلت الموافقة على التعديلات المذكورة تكون الفائدة التى تالها مصر موجبة لتمام الرضاء وأن ذلك غاية ما يصح طلبه من الشركة .

« ولا يخفاكم أن هذه المسألة ليست من المسائل التى يقضى القانون النضام بأخذ رأى الجمعية فيها . ولكن نظراً لأهميتها الاستثنائية بالنسبة إلى الجيل الحاضر والأجيال الآتية . قرر مجلس النظار ألا يبت فيها برأى قبل أن يعلم إن كانت الجمعية العمومية توافق على امتداد الامتياز .

« ونظار حكومتنا مستعدون لاعطائكم البيانات التى ترونها لازمة فى هذه المسألة ، ونحن واثقون أن كل واحد منكم يشعر بالمسئولية التى يتحملها أمام بلاده عند نظره هذا المشروع المهم والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير البلاد . »

وبعد انتهاء الخطبة هتف الرئيس والأعضاء لسموه وعدنا للسراى ؛ ثم حضر الأعضاء لشكر سموه على افتتاح الجمعية فقال لهم جنابه :

«لأنى أرغب أن أجمع الجمعية العمومية كلها على عمل من الأعمال الهامة . والمسألة المطروحة الآن أمام الجمعية هي من المسائل الدولية التي لم يسبق للجمعية النظر في مثلها بمقتضى القانوزن النظامى ، ولكننى أمل من الأعضاء ألا يكون هناك تأثير عليهم من الاشاعات والأقاويل ، وأن يجعلوا نصب أعينهم مصلحة البلاد وحدها ، لأن الآراء التي سيبدونها في هذه المسألة ستعرض على الراى العام الأوربى الذى يحكم حينئذ حكمه على الجمعية التي هي هيئة البلاد النابتة ، وعنوان كفاءتها وفهمها للأُمور .»

وفي هذا الوقت كانت المظاهرات تطوف شوارع العاصمة هائفة ضد مشروع قناة السويس ضد الاستبداد ، و ضد جريدة الأهرام لأنها تروج للبشروع ؛ وكانت صحف الحزب الوطنى والجريدة تكتب بلهجة حادة ضد مروجى المشروع ، وتتهم بطرس باشا خاصة والنظار عامة بالخيانة والاجرام فى حق الوطن . حتى لقد امتد اتهامها إلى الحديو نفسه بعد إلقاء خطبته السابقة . وكان الجو مكهرباً من جراء هذه الحملات وتوالت هذه المظاهرات الحماسية عدة أيام ، وانتهت بمقتل بطرس باشا كما سيأتى .

تقرير الجمعية العمومية : وقد تألفت لجنة خاصة فى الجمعية العمومية لفحصه ، وفى يوم ٢٢ مارس عرضت اللجنة تقريرها على الجمعية وخلاصته ما يأتى :

١ — أن المشروع المعروض على الجمعية لم يستوف الاجراءات القانونية ، فان الحكومة والشركة لم تنفقا عليه اتفاقاً صريحاً .

٢ — وأنه لا يحق للجمعية العمومية تعديل المشروع لأنه ليس اقتراحاً من الحكومة المصرية ، بل هو مجرد مشروع تعاقد بين الحكومة والشركة .

٣ — ومع ذلك فان هناك غبناً فاحشاً فيه تقدره اللجنة بنحو ١٣٠.٥٩٨.٠٠٠ جنيه أصلاً وفائدة على قاعدة حساب المستشار المالى الذى قدمه فى المشروع .

٤ — أنه لا حقيقة للخاوف التي تتوقفها الحكومة فى حالة رفض المشروع كأن تعلن الدول أن القناة دولية مثلاً .

٥ — لا توجد ضرورة مالية ملجئة لهذا التعاقد بالغبن الفاحش ولا سبياً وهو واقع على مستقبل بعيد ، لا بد فى الحكم عليه من الخطأ العظيم الذى لا يقبله الجيل الحاضر ولا يرضى بتحمل تبعته أمام الأجيال القادمة . ومثل هذا التعاقد لا يصح إلا إذا ظهر ربحه ظهوراً بيناً .

٦ - أنه حتى اليوم لم تشترك الأمة في تدبير الشؤون المالية حتى تضمن استخدام المبلغ المقابل لمد أجل القناة في أغراض مثمرة ، وهو أقل ما يتطلب في مثل هذه الحالة وبناء على هذه الأسباب قررت اللجنة رفض المشروع بالاجماع .

ولما انتهت اللجنة من تلاوة قرارها صفق الأعضاء وحددت الجمعية جلسة أخرى للناقشة فيه في يوم ٥ ابريل ، وفيها تقدم محمد سعيد باشا رئيس النظار فألقى بياناً على الأعضاء بأن الحكومة حين قررت عرض المشروع على الجمعية ، قررت كذلك أن يكون رأيها فيه قطعياً بصفة استثنائية ، والحكومة تقرر لم ذلك قبل النظر في المشروع حتى يكون لم كل الحرية في قرارهم الذي يصدرونه وحتى يقدروا مسؤوليتهم أمام هذا الجيل والأجيال القادمة والرأى العام الأوربي .

ثم وقف بعده سعيد زغلول باشا فدافع عن المشروع حسبما تقرر ، وبعد ذلك سمع الأعضاء تقريرين قدمهما صابر باشا صبرى وطلعت حرب بك في بيان الخسائر الفادحة التي تتعرض لها البلاد من جراء المشروع ثم تقرر تأجيل القرار النهائي يومين .
رفض المشروع باجماع الآراء : وفي ٧ ابريل اجتمعت الجمعية ودارت مناقشات



احمد محمد خشيبة بك



طلعت حرب بك

حولية بين الأعضاء والنظارة ثم أخذت الأصوات فتقرر رفض المشروع بالإجماع .
وكان لهذا القرار وقع عميق في جميع الدوائر المصرية والأجنبية ، وقد أرضى
النواحات الوطنية المتطرفة والمتدلة على السواء .

حديث الخديو : وفي ١٩ منه تحدث سمو الخديو مع مراسل جريدة الطان
حديثاً جاء فيه :

« إننى أحب بلادى وشعبى ، وإن أمتنى أن أكون حاكماً دستورياً ، ومن الأدلة
على ذلك منح الجمعية الصومية رأى القطعى فى مشروع مد امتياز قناة السويس . »

مقتل بطرسى باشا . وفى يوم ٢٠ فبراير وصل إلينا فى السراى نبأ خطير وهو
إطلاق الرصاص على بطرس باشا رئيس النظار من قى يدعى ابراهيم ناصف الوردانى
المتسمى بالحزب الوطنى؛ وذلك عند مفادرة الرئيس لنظارة الخارجية فى الساعة الواحدة
بعد الظهر .

وتفصيل الخبر هو أن بطرس باشا اعتاد أن ينادر الخارجية (سلم الحفانية الآن)
كل يوم فى الساعة الواحدة . وفى هذا اليوم نزل من الديوان ومعه حسين رشدى باشا
وعبد الخالق ثروت باشا النائب العام ، وأحمد فتحى زغلول باشا وكيل الحفانية
وأرمولى بك التشرىفاتى بالخارجية ، ثم فارق من كانوا معه عند السلم الخارجى . وبينما
هو بهم بر كوب عربته إذ دنا منه هذا الفتى « الوردانى » متظاهراً بأنه يريد أن يرفع
له عريضة ، وأطلق عليه رصاصتين أصابته إحداها فى بخصرته والأخرى فى صدره .
وما كاد يلتفت خلفه ليرى صاحب الفعلة حتى أطلق عليه الفتى ثلاث رصاصات أخرى
أصابت إحداها عنقه من الخلف واثنان فى كتفه ، وأطلق رصاصة سادسة أصابت ثيابه .

وكان خلف القاتل أحد سماء النظارة فقبض عليه ، بينما كان الناظر قد سقط إلى
الأرض أمام عربته ، فجمله الحاضرون إلى فناء النظارة ، وحضر على الأثر الدكتور
سعد بك الخادم فأخرج الرصاصات من العنق والكتف ، وأفاق الجريح قليلاً . ثم
نقل إلى مستشفى الدكتور ملتون بسباب اللوق ، وهناك وافاه الأطباء وقرروا إجراء
عملية لاخراج الرصاصات الباقية .

ولما وقف الخديو على هذا النبأ بلغ التأثر منه ومن رجال الحاشية مبلغه ، نظراً
لما كان يتمتع به بطرس باشا من ثقة أئمناب العالى ومحبة له .

وأصدر سموه أوامره في الحال تليفونياً إلى فتحى زغلول باشا باتخاذ جميع الوسائل الممكنة بكل سرعة للعناية بالجريح، ثم أوفدنى سموه وأحمد خيرى باشا للسؤال عن صحته وإبلاغه أسف سموه وتمنياته في الشفاء وأن نرسل لسموه أخبار الجريح حتى يزوره بالمستشفى بنفسه .

وبعد قليل من وصولنا حضر سموه ودخل على بطرس باشا في غرفته ، ثم دنا منه وقبله والدموع تنسكب من عينيه ودعا له بالشفاء ، وكان الجريح أثناء ذلك يقول :
ه العفو يا أفندينا . مرسى . مرسى .

ثم غادر سموه المستشفى آسفاً متأثراً بعد أن شجع الجريح وحث الأطباء على بذل كل ما في وسعهم لانقاذه ، وأمر أن تبلغ إليه الأخبار لحظة فلهظة وبقيت أنا بالمستشفى لهذا الغرض . وبعد ذلك حضر البرنس حسين كامل ودنا من الجريح وقال له :
ه تشجع ، فرد بطرس باشا بقوله : ه أنا لا أوم نفسى على شىء فقد قضيت ما يجب على الوطن . .

وبعد انتهاء العملية لاجراج الرصاص ارتاح الجريح نوعاً ولكن الألم ازداد بعد قليل وارتفعت درجة الحرارة ، وأصبح في خطر قريب ، ولم تأت الساعة الثامنة والربع مساءً ، حتى أسلم الروح بين بكاء الحاضرين .

وفي صباح ٢١ فبراير صدر أمر الجناب الخديوى بأن يكون الاحتفال بمجازة المرحوم بطرس باشا رسمياً .

وفي الساعة العاشرة والنصف صباحاً سار الجناز من مستشفى الدكتور ملتون إلى كنيسة بطريكية الأقباط ثم إلى المدفن .

النظارة الجديدة : وفي الساعة الثالثة بعد الظهر تم تأليف النظارة الجديدة على الشكل الآتى :

محمد سعيد باشا لرياسة النظار والداخلية ، وسعد زغلول باشا للحقانية ، ويوسف سابا باشا للبالية واحمد حشمت باشا للعارف ، وحسين رشدى باشا للخارجية ، وسرى باشا للأشغال والحربية .

التحقيق والجانى : وكان المحققون قد تسلبوا الجانى منذ ساعة الجريمة ، وهو شاب فى الثالثة والعشرين من عمره ، تلقى العلوم فى المدارس المصرية حتى حصل على

هذه التالى فى نصف قرن ج ٢

شهادة البكالوريا وتوفى والده فقام بتربيته عمه الدكتور طيفل حسن (باشا) وأرسله إلى سويسرا لتلقي علوم الصيدلة فمكث في لوزان سنتين ، ثم ذهب إلى إنجلترا فمضى بها سنة وعاد إلى مصر فافتتح بها صيدلية في شارع عابدين واتصل بالحزب الوطنى ، وهو شاب عصي المزاج شديد الانفعال .

وقبل أن يفتح معه محضر التحقيق الرسمى سأله وكيل الحفانية : « لماذا فعلت فعلتك بالباشا؟ » فأجاب غاضباً « لأنه خائن للوطن » فرد عليه بقوله « يا مسكين لو عرفت أنه أكبر وأصدق وطنى في خدمة البلاد ما فعلت فعلتك » .

وقد تولى النائب العمومى ثروت باشا التحقيق ، وسئل عدة أشخاص عن لهم صلة بالجاني والذين وجدت أسماؤهم أو صورهم بين أوراقه ، وأوراق أعضاء الحزب الوطنى وفى مقدمتهم محمد بك فريد الذى قرر « أنه عرف الجاني منذ سنة ١٩٠٦ فى جنيف حيث كان أميناً لصندوق جمعية الطلبة المصريين بها ، وأن هذه الجمعية أسست لمساعدة الطلبة المصريين الذى يفدون إلى جنيف ، وأن علاقته بالقاتل كعلاقته بكل عضو من أعضاء الحزب الوطنى » .

وقبض على شفيق منصور وعباس حسنى ومحمد الصباحى الطالب بمدرسة رأس التين وعبدالله حلمى المهندس بالأوقاف ومحمد زكى على افندى المحامى الذى تولى رئاسة المظاهرة التى تقدم ذكرها ، ثم قبض بعد ذلك على اثني عشر آخرين .

جمعية سرية : وفى ٢٥ فبراير أطلق سراح ثمانية من هؤلاء المتهمين ، وبقي تسعة منهم الوردانى ثبت أنهم أعضاء فى جمعية سرية للقتل السياسى ألفت منذ ست سنوات * وقد ضبط قانون الجمعية بين أوراقهم ، كما ضبط خطب وأرد إلى شفيق منصور يقدم له فيه مرسله ابراهيم ناصف الوردانى بأنه « صيدلى كياوى بارع وعاروف بتركيب الديناميت » .

وسمعت النيابة أقوال على الشمسى افندى وخلاصتها أنه رأى الوردانى يوم العقاد الجمعية العمومية للنظر فى مشروع امتياز القناة وهو نائر متبيج . وذكر عن أخلاقه أنه شديد الاخلاص لأخوانه حتى إنه كان ينفق عليهم بعض ماله ويدع نفسه فى حاجة

وشدة ، وكان يلاحظ فيه الجيـء في مجالسه وقلة الكلام مع شدة الحماسة في الجمدل
ولكنه لم يكن يجاوز حدود الأدب في مناقشاته إذا احتد ،

وقد تأيدت أقوال على الشمسى افندى عن تهيج الجانى في يوم اجتماع الجمعية
بشهادة القاضى مراد سيداحمد بك واحمد حجازى بك وغيرهما .

واستدعت النيابة صاحب طوابع الملوك ، لأنه ذكر في طالعه الذى ظهر منذ ثلاثة
شهور أبحاثاً ، يؤخذ منها أن بطرس باشا يقتل وينعم على ابنه بالباشوية ويتولى رياسة
النظار سعد أو سعيد .

ولما سئل عن ذلك قال إنه لا دخل له في السياسة ، ولكنه يقدر تقديرات فلسفية
تدل على مثل هذه الحوادث . ولو فرض أنه كان عالماً بالمؤامرة فهل كان أيضاً يعرف
أن الخديو سينعم على ابن القتل ، نجب غالى ، بالباشوية ؟

نقص القانون : وقد ظل التحقيق حتى يوم ١٤ مارس ثم أصدر النائب العام
قراراً باحالة الوردانى والمقبوض عليهم على قاضى الاحالة ، ونظرت القضية بالاحالة
في يوم ٢٢ منه وكان القاضى متولى بك غنيم فأصدر قراره باحالة الوردانى وحده إلى
محكمة الجنايات وإخلاء سبيل الآخرين لأن القانون حتى ذلك الوقت كان ينص على
إعفاء المشتركين في الاتفاق الجنائى إذا لم يرتكبوا حوادث بالفعل (١)

وفي جلسة ٢٠ ابريل نظرت القضية أمام الجنايات وسمعت المحكمة شهادة الشهود
ثم قررت انتداب بعض كبار الأطباء لبيان ما إذا كانت العملية التى أجزيت للفقيد كانت
ضرورية كما قرر الأطباء الذين قاموا بها أم لا .

الحكم بالاعدام : وفي يوم ١٢ مايو سمعت المحكمة تقرير الأطباء وهو يفيد
ضرورة العملية . وأتى النائب العام ، ثروت باشا ، مرافعة بليغة قوية . وقام بالدفاع عن
المتهم محمود بك ابو النصر واحمد بك لطفى وابراهيم بك الهلباوى ، وطلب الدفاع لخص
المتهم من الوجهة العقلية فرفضت المحكمة هذا للطلب . وقررت الحكم بالاعدام وأيد
هذا الحكم في النقض .

وقد حاول رجال الحزب الوطنى استصدار عفو من الخديو . وأيدت الصحف
الافرنجية والجمالية الايطالية بالعرائض والمنشورات هذا للطلب ولكن لم يجد ذلك نفعاً

(١) بعد ذلك سبيل عدل هذا القانون وأصبح مجرد الاتفاق الجنائى جريمة يعاقب عليها .

وبما هو جدير بالذكر أن الفتى المحكوم عليه أبدى ثباتاً مدهشاً حتى آخر لحظة .

روزفلت رئيسي جمهورية أمريكا بمصر . كان هذا الرئيس قد حضر إلى مصر يوم ٢٤ مارس ، فاستقبله من قبل الحديو سعيد ذو الفقار باشا التشريفاتي الأول وزار سموه في عابدين فرد له سموه الزيارة ثم أقيمت له مأدبة شائقة .

وفي ٢٦ منه أدب له البرنس أحمد فؤاد باشا رئيس الجامعة الأهلية المصرية مأدبة عشاء ودعاه لالقاء محاضرة في الجامعة . فلبى الدعوة وألقى محاضرتة في اليوم التالي وتكلم فيها عن أهمية الجامعة وأنها الطريق القويم للتربية الصحيحة ، وتحدث عن واجبات الذين يلون أمرها والطلبة الذين ينتسبون إليها .

وبعد ذلك تكلم عن فضل بطرس باشا وأشار إلى أن هذه الجرائم مكروهة في نفوس الجميع وأنها وبال على الأمان الوطنية . وتطرق من ذلك إلى الحديث عن الأمان التي تمنح الدساتير وهي لم تول في دور التكوين ، وقال : إن مثل هذه الأمان تكون خطراً على نفسها لأنها لم تتم فيها الصفات التي تمكنها من الانتفاع بالدستور ، وأن الأمر الجوهري ليس هو الاسراع للحصول على سلطة ليس أسهل من سوء استعمالها ، وإنما هو ترقية الصفات التي يسمو بها الفرد والأمة ترقية دائمة وإن تكن بطيئة ، وأن هذه الصفات هي التي تجعل الأمة قادرة على حكم نفسها بنفسها .

ثم أشار إلى الإدارة الانجليزية في السودان (*) ، وأثنى على اللورد كرومر وسياسته في مصر .

الوطنيون وروزفلت : وكان هذا الخطاب مثار عاصفة من النقد في المؤيد والمجريدة ومخفف الحزب الوطني ؛ ووجه الشيخ جاويش رسالة إلى روزفلت بلفت نظره فيها إلى أنه في بلد إسلامي . فليس له أن يبشر بحسنات المسيحية ، وأن ينسى فضل التعالم الإسلامية ؛ ونظم حافظ إبراهيم قصيدة قوية يذكر فيها روزفلت برأى الأمريكين في الانجليز يوم كانوا يحتلون بلادهم وبما جاء فيها :

يا نصير الضعيف : مالك تطرى	خطة القوم بعد ذاك التكبير ا
لم تطيقوا جوارهم بل أقمتم	في حماكم من دونه ألف سور
أنت نظريهمو وثقني عليهم	نائباً آمناً وراء البحور

() وكان قد رجع من زيارته للسودان

ليت شعري أ كنت . تدعو إليهم يوم كانوا على تخوم الثغور ؟
يوم نسجتم على صفحات الدمس تاريخ مجدكم بالنور
ووثبتم إلى الحياة وثوباً ونفضتم عنكم غبار القبور
يا نصير الضعيف حبب إليهم هجر مصر تفر بأجر كبير .

وجه محمد فريد بك إلى روزفلت رسالة برقية باسم اللجنة التنفيذية للحزب
الوطني يظهر فيها استياء البلاد من هذه الخطة التي ترمي إلى تضييق حمة الأمة المصرية
عن الاستمرار في جهادها السلي للحصول على الدستور .

وجهت إلى روزفلت أيضاً برقيات الاحتجاج من كثير من الهيئات والأفراد .

وكتب الشيخ على يوسف في المؤيد خطاباً مفتوحاً إلى روزفلت حمل فيه على
مسلكه وخطته وإخلاقه بواجب الضيافة ، ونشرت ترجمة هذا الخطاب الشهير في بعض
الصحف الأمريكية فكان له وقع كبير في أمريكا . وكتبت إحدى المجلات الأمريكية
الشهيرة إلى الشيخ على يوسف تطلب إليه أن يكتب لها فصلاً في هذا الموضوع يتحدث
فيه عن روزفلت ، وما كان لزيارته من أثر في نفس الشعب المصري ؟ فلبى الشيخ
الدعوة وبعث إلى المجلة المذكورة بمقال رنان كان من خير ما كتب (١) .

سفر روزفلت : وقد غادر روزفلت مصر بعد هذا كله يحمل في نفسه أثر هذه
الاحتجاجات وتلك الردود وما كاد يصل في طريقه إلى مدينة لنسدره حتى ألقى في
٧ جلد هول ، عن مصر خطاباً في منتهى الشدة جاءتنا البرقيات بنفاصيله في يوم ٧ يونيو ،
وفيه يدعو روزفلت الانجليز إلى تثبيت أقدامهم في مصر ، لأنهم ليسوا حراس مصالحهم
فيها فقط ، بل هم فوق ذلك حراس مرافق المدينة . ، وطلعن في أخلاق المصريين ورمام
بالتوحش والدل ، وقال : إن الانجليز أصلحوا مصر ولكنهم أخطأوا أخيراً إذ مكثوا
المصريين من التمتع بشيء من الحرية ، فأظهر مقتل بطرس باشا أن هذه غلظة فاحشة
يجب أن يتداركها الانجليز قبل فوات الوقت . ، إلى غير ذلك من المثالب والمطاحن .
وقد كتبت الجرائد المصرية جميعها ما عدا المقطم منددة بهذا الخطاب ، مينة
ما فيه من غلو وتحامل في فهم المصريين ، وما يدل عليه من الحقد والتعصب على الشرقيين .
تصريح السير جراي : وفي يوم ١٤ يونيو حملت لنا البرقيات نصريحاً للسير

(٥) نشرت المؤيد هذا المقال في عددها الصادر في ١١ يولييه سنة ١٩١٠ فليراجعه من شاء .



السير إدوارد جراى

إدوارد جراى عن موقفه
انجلترا في مصر بعد حادثة
مقتل بطرس باشسا وبعد
خطاب روزفلت على أثر
سؤال من أحد النواب .
وقد جاء في هذا التصريح :

« إننى أوافق على جميع
الآراء التي أبداهما المستر
روزفلت بشأن القطر المصري
إلا قوله إن لينا المتساهل
لأعداء الاحتلال قد عرض
عمل انكلترا بمصر إلى الضياع ،
فقد يمكن ألا أوافق على أن
عملنا عرضة للخطر ، ومن
الطبعي أن ينتقد التأخير
الذي حدث في معاقبة

الورداني ، ولكن لا يمكن توجيه اللوم إلى القضاة . ومن المتفق عليه أنه يجب حتماً
أن نستعمل سلطتنا حتى نظهر جلياً أن المصريين الذين يدبرون شئون بلادهم برأينا
— دون أن تكون لهم مندوحة عن اتباع هذا الرأي — يجب حمايتهم من الاعتداء
عليهم بهذه الطريقة المستحدثة . »

خطبة فريد بك في لندره ضد روزفلت وجراى : وعقب ذلك سافر محمد فريد
بك إلى لندره لدحض هذه المطاعن التي أذاعها روزفلت وذلك التصريح الذي ألقاه
السير جراى ، وقرأت في برقيات يوم ٩ يوليو أنه ألقى خطاباً جامعاً في لندره جاء فيه :
« يسرنى أن أتكم هنا لأنى أشعر بأنى حر فى الكلام أكثر منى فى بلادى التى
تحكمها عصابة من المستعمرىن الانجليز الذىن يضررون انجلترا وهم يظنون أنهم يخدمونها .
« إننا لا يمكننا أن نقر الاحتلال الانجليزى ، بل إننا نعتبره ظالماً لا يستند إلا
إلى القوة التى لا تخول حقاً . إن أمنكم تستطيع — مدفوعة بيد الاستعمارىن المالىين —

أن تعلن حمايتها على مصر ، وأن نضعها إلى أملاكها ، ولكن لا يمكننا أن نجعل مركزها في مصر شرعياً . والحماية والضم ذاته لا يسقطان حقوقنا .

و لقد أجهذا الاستعماريون فعلة الورداني متكا لهم في إنفاذ حكم الارهاب بمصر فأصدروا قوانين منها :

أولاً : محاكمة الصحف أمام محاكم الجنايات التي لا تستأنف أحكامها .

ثانياً : فصل الطلبة الذين يشتركون في المظاهرات السياسية داخل المدارس أو خارجها .

ثالثاً : معاقبة كل من يتفقون على ارتكاب جريمة وإن لم يرتكبوها .

و وقد قوبل ذلك بالسكون واكتفت الأمة بالاحتجاج في الصحف ضد قوانين لا تسن إلا إبان الثورات .

و هكذا يريد الاستعماريون أن يمثلونا بالفوضويين ليبرروا وجود الاحتلال وحرماننا عما بقي لنا من حرية قليلة . ولا يضح الحكم على أمة بأنها فوضوية لأن شخصاً متحمساً من أبنائها ارتكب جريمة سياسية . فالجرائم التي من هذا القبيل ترتكب كل يوم في أوروبا وأمريكا دون أن تضطرب الانسانية ؛ فالرئيس د ماكنلي ، في أمريكا و د كارنو ، في فرنسا و الملك د ممبرتو ، في إيطاليا ... الخ قتلهم الفوضويون فلم يخطر لدولة احتلال بلاد الفاتلين . . .

ثم تحدث عن بطلان الاحتلال وبطلان اتفاقية السودان وغيرهما وذكر الانجليز بوعدهم بالجملاء في لهجة قوية قاسية .

فيعني مديراً لديوانه الأوقاف العمومية وبعض أعماله فيه . قدم مصطفى ماهر باشا مدير الأوقاف تقريراً عن حالة الديوان المسالية قال فيه إن الديوان مشرف على الإفلاس بسبب كثرة المطالبات منه . وكان المعروف عن هذا الديوان أن أعماله سر من الأسرار التي لا يطلع عليها أحد ، حتى نوهت بعض الصحف بهذه الحالة وأشارت بوجوب تعيين انجليزي يشرف على أعماله . وقد دارت المحادثات بيني وبينه وبين النظر بناء على الأمر لتعيين مدير جديد لديوان الأوقاف يستطيع إصلاح هذه الحالة فقر رأبهم على تعييني رغم تمسك الخديو بأبقائي في المنية ، ولكن الضرورة حملت على قبول ما كان يأباه من قبل .

هذا الديوان . وإنى أؤكد لكم أننى لا أنسى صاحب الفكر الصائب والنية الحسنة من المكافأة والتعصيد . وإننى مع اعترافى بتقدم ديوان الأوقاف فى السنين الأخيرة . أصرح بأنه لا يزال فى احتياج عظيم للإصلاح ؛ وكل عمل فى الوجود قابل للإصلاح والنمو حسب الطبيعة فليتنا بصفتنا حراساً على هذه المصلحة ، مسئولين عنها أمام الله وأمام الناس ، أن نهض بها إلى الرقى المطلوب حسب رغبة الجناب السالى حفظه الله كما نوه بذلك فى أمره العالى .

، المساجد محتاجة على الدوام لتعميرات ونظافة وعناية ، والمعاهد الدينية لالتفات خاص ورعاية ، والوعظ إلى انتشار على سنة نافعة مفيدة . والأحياء الجديدة إلى محال لاقامة شعائر الدين بها ، والزراعات إلى ترقية ونمو مع استبدال القطع الصغيرة منها ، والخرايب التى فى صقع جيبد إلى تجديد واستبدال ما كان منها فى صقع غير جيد ، والأحكار إلى طريقة موصلة لاستبدالها فى زمن قصير .

، ولا تخفى عليكم علاقة الديوان مع المحكمة الشرعية الفراء فيلزم على الدوام أن يكون حسن التفاهم سائداً بيننا وبينها لنكى تساعدنا على الإصلاحات اللمة المطلوبة منا خصوصاً فى عهد سماحة قاضيا الحال المذلل للصاعب بفكره الصائب .

، وأمام هذه الأعمال الكبيرة الكثيرة التى وصفتها إجمالاً لكم وتفصيلها ووقاتها لا تخفى عليكم لا يتيسر النجاح فى القيام بها والفوز لاتمامها إلا ببذل الهمة والإخلاص فى العمل والمثابرة على تادية الواجب وما هو فوق الواجب بنية صالحة لا يشوبها تكلف أو تظاهر أو اشتغال بالصغائر وما يجرى مجراها من الأمور الشخصية أو المنافسات الفردية ؛ فلنكن كلنا بدأً واحدة وقلباً واحداً مترجمين إلى فكرة واحدة وهى القيام بالواجب الذى وجدنا من أجله فى هذا المكان .

، لا محسوبة ولا محاباة ولا تساهل فى الواجب هنا . من قام بواجبه وأخلص النية فله منى التعصيد والرقابة ، ومن قصر فلا ينتظر منى إغضاء عن تقصيره أو تراخياً فى إنذاره أو معاقبته . فلا لين فى حق ولا تراخى فى باطل .

، هذه كلمتى لكم أقولها بكل إخلاص من قلبى وأرجو أن تصل إلى مكان الإخلاص من قلوبكم والله أسأله أن تكون هذه الإدارة مثال الكمال فى كل حال .

فوضى الديوان وإنشاء قلم استعلامات : كان أول ما لاحظت فى الديوان أن الفقراء الذين يقصدونه لالتماس المساعدة أو لأخذ استحقاقهم وكذلك أصحاب الأعمال

العامة الذين يريدون قضاء أعمالهم لا يصلون إلى غايتهم إلا بعد مشقة أو تسلم أمورهم للخدم والفراشين وهؤلاء لا يستطيعون التصرف بشكل مقبول. ولهذا رأيت أن أحسن حل لهذا الموضوع هو إنشاء قلم في فناء الديوان باسم قلم الاستعلامات ليكون واسطة بين الإدارة وأصحاب الاحمال فيستقبل العرائض والمطالب ويوجهها إلى أقسامها ليأخذ عنها الجواب فيبلغه لأربابها. وقد عاد هذا القلم بالراحة على أصحاب المصالح ومع احتكاكهم بالموظفين مباشرة لما كان معروفاً من أن بعضهم كان يرتشى، وذكرت جريدة الأهرام بعدها الصادر في ٦ أبريل لإطراء هذه الفكرة.

نظافة المساجد : وفي أول أبريل أدبت فريضة الجمعة بالمسجد الحسيني وتفقدت حالة المسجد وملحقاته ومرافقه، وكان معي بعض كبار الموظفين في الديوان فلفت نظرم إلى العناية بالمساجد ونظافتها، وخصوصاً دورات المياه منعاً للأُمراض ومحافظة على حرمة المساجد وجلالها.

ولبثت أودى صلاة الجمع في مساجد مختلفة دون علم القائمين بأمرها لنفس هذه الغاية حتى يشعر المباشرون لها أن هناك رقابة على أعمالهم، فكان لذلك أثره الحسن. تعيين مفتش للمعاهد من غير العلماء : ثم فكرت في إدخال بعض العناصر الجديدة في الأزهر بقصد إصلاحه، فقرر تعيين عبد الفتى شاكرك مفتشاً لإدارة المعاهد الدينية وسكرتيراً لمجلس الأزهر الأعلى، ولكن هذا التعيين أثار ثائرة العلماء باعتبار أن منصب مفتش إدارة المعاهد من حقهم وأن عبد الفتى بك غريب عن الأزهر، فرفعوا عرائض بالاحتجاج لشيخ الأزهر، وكذلك جاءني الشيخ علي سرور الزنكلوني والشيخ محمد السنواني وشكروا إلى من هذا القرار واتسأ النظر فيه.

وقد رأيت موافقتهم والسير في الإصلاح الذي أقدره بخطوات وميدة فوعدتهما بأن يكون عبد الفتى بك سكرتيراً فقط للمجلس الأعلى وتركزت التنقيش لإدارة الأزهر وأرسلت التعليقات الخاصة بذلك إلى المشيخة.

توسيع اختصاص الموظفين : ولاحظت بعد ذلك أن حصر السلطة في يد واحدة وحرمان الموظفين إلا من سلطة محدودة يقلل من تفكيرهم وتصرفهم، ويجعلهم آلات تتحرك دون أن تفكر، وقدرت أن توزيع السلطة يزيد عدد العقول المفكرة في الاحمال، ويعطيها الفرصة الكافية لتنتج في الوقت نفسه بخفف العبء الثقيل الملقى على عاتق الرئيس.

لجمعت في منزلي كبار الموظفين والمأمورين للتفاهم معهم في توسيع اختصاصهم وأقيت عليهم الكلمة الآتية :

« قد جمعتم اليوم للبدالة في الأمور المختصة بوظائفكم لعلنا نتهدى من مبادلة الأفكار معكم إلى نتيجة تزيد في تحسين الأحوال وتعلمي من سمعة الديوان .

« ثم أوصيكم قبل كل شيء بصفتمك نائبين في الجهات عن مدير الأوقاف أن تكون علاقتكم مع الإدارة في الأقاليم وفروع الحكومة خصوصاً المحكمة الشرعية ، لارتباط أعمالكم بأعمالها في كثير من الأمور ؛ على أحسن حال وأهدى سبيل وأن تجتهدوا دائماً في تحسين هذه العلاقات لتسهل الوسائط في إنجاز أعمال الأوقاف .

« وأرد منكم بصفتمك ممثلين لديوان الأوقاف أيضاً ، وهو المصلحة الخيرية المنتسبة العلاقات مع طبقات الناس ، أن تكون معاملتكم للأفراد قائمة على الطريقة المثلى والخطة الحسنى والألا نشوب سببكم الخصوصية شائبة تضع من أقداركم في النفوس وتزرى بكم في العيون . نعم ربما يقال إن السيرة الشخصية تتعلق بشخص الانسان ولا دخل لها في وظيفته ما دام مؤدياً لها أحسن الأداء ؛ لكنني أرى أن الموظف إذا جمع إلى حسن الإدارة حسن السيرة ، كان ذلك أليق به وأكمل له ، واحترام الموظف لنفسه يكسبه احترام الناس ، خصوصاً من كان حوله من العمال فترين له في النفوس سلطة أدبية هي في الواقع أرفع وأنفع من السلطة المادية ، وتلك هي زينة الوظيفة وجمالها .

« ثم إنني أود أن يكون المأمور منكم عالماً بكل ما تحت إدارته محيطاً بأطراف عمله ، فإذا سئل عن أي شيء من هذا القليل كان جوابه عن علم ومعرفة وألا يكتفي بالنظر فيما أمامه من الأعمال الكتابية فوق مكتبه وإنجازها فقط ، بل يجب عليه أن يتنقل في أنحاء مأموريته ويطلع بنفسه على جميع الأماكن والمحال المتصلة بإدارته .

« والآن أطلب منكم أن تبدوا لي ما يعين لكم من الملحوظات في مشروع الأمر الإداري المتعلق بتوسيع اختصاصاتكم .

وبعد أن استمرت الجلسة أكثر من خمس ساعات صدر الأمر الإداري مفتتحاً بالمقدمة الآتية :

« قدرأنا أن نوسع لكم في اختصاصاتكم ما لم يكن لكم من قبل وقصدنا بذلك أن يكون في أيديكم من سعة الاختصاص ما يؤهلكم إلى الاحسان في العمل ويوصلكم إلى

الارتقاء في الأعمال والوظائف ولتدركوا عظم المسئولية التي توازي سعة الاختصاص وقصدنا من جهة أخرى توفر الوقت في العمل للتمكن من إنجاز الأشغال في أوقاتها وانتظام السير فيها على وجه السرعة. وقد بدأنا بإعطائكم بعض الاختصاصات على سبيل الاختبار لنبنى حكمتنا في المستقبل على سيركم فيها .

كان لهذه الخطة أثر حسن جداً وعلقت عليها الصحف باستحسان وألحت على اتباعها في جميع دواوين الحكومة .

تعديل المجلس الأعلى للأوقاف : في ٢٧ يوليو صدر لي أمر خديوي بتعديل

هيئة المجلس الأعلى في ديوان الأوقاف . وخلاصته أن هذا المجلس يؤلف من مدير عموم

الأوقاف رئيساً ومن رئيس الديوان

العربي الخديوي ومفتي الديار المصرية

ومحافظ مصر والعضو المندوب عن القاهرة

في مجلس شورى القوانين وموسى غالب

باشا المهندس والدكتور محمد شكرى باشا .

وحسين واصف بك المهندس بالأشغال

أعضاء . ويتوب رئيس الديوان العربي عن

الرئيس عند غيابه .

رحلة لزيارة مأموريات الأوقاف :

وفي ١٥ أغسطس سافرت إلى الوجه البحري

لزيارة مأموريات الأوقاف وتفقد أحوالها

والوقوف على ما يعوزها من وسائل

الاصلاح والتحصين . وكان يرافقني محمد

سليمان أباطة بك مدير قسم الزراعة بالأوقاف ومحمد أفندى وجيه السكرتير الخاص . وقد بدأنا بزيارة مديرية البحيرة فررنا على أملاك الأوقاف بدمهور وعائنا ما تحتاجه من التعجير ثم قصدنا زراعتي الابراهيمية وجنبواى وغيرهما فوجدناها جميعاً في حاجة للاصلاح وقد تقرر فتح اعتماد قدره ثلاثون ألف جنيه لذلك .

وفي ٢٠ منه زرنا زراعة مشتبر في القليوبية ، ثم سافرنا إلى الزقازيق فتمقصدنا

زراعة كفر الحمام ومأمورية الأوقاف بها وكانت في حالة مرضية .



حسين واصف بك المهندس

وفي ٢٣ منه كنا في قلين وشباس، ثم زرنا مأورية المحلة في اليوم التالي وتفقدنا
وقف أبي العباس والمساجد في البندر ومدرسة الجمعية الخيرية بها .

وذهبنا للنصورة يوم ٢٧ منه فعائنا الأملاك بها وشاهدنا زراعات طلخا ثم
شربين وسررت من حالتها .

وانتهت الرحلة يوم ٢٩ منه فعدت إلى الاسكندرية .

رحلة إلى مرسى مطروح : وفي أول سبتمبر ركبت الباخرة عبد المنعم ومعى
محمد على دلاور بك مدير الادارة ويوسف بك لطفى مأمور الأوقاف في الاسكندرية
والشيخ محمد بخت قاضي الثغر الشرعى وغيرهم من موظفي المصلحة قاصدين مرسى مطروح
لافتتاح مسجد جديد بقررت الأوقاف تشييده من قبل وأنفقت عليه نحو ألف وخمسمائة جنيه .
وقد وصلنا في اليوم التالي فاستقبلنا نائب قومندان خفر السواحل بصفة عسكرية
ثم ركبنا الهجن إلى أن وصلنا إلى مسجد سيدى العوام ، حيث استقبلنا مأمور المركز
وموظفوه في سرادق أعد لذلك وكذلك أعيان الجهة والتجار ومشايخ العربان . وبعد
أن أقام العربان حفلة ، برجاس ، ألقى خطبة أعلنت فيها افتتاح المسجد باسم الحاديو



١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦
افتتاح مسجد مرسى مطروح

(١) ابراهيم آدم بك (٢) يوسف لطفى بك (٣) محمد على دلاور بك (٤) أحمد شفيق باشا
(٥) الشيخ محمد بخت (٦) الشيخ محمد البورى

فنهف الجميع بالدعاء لسموه وتناولنا المرطبات في السراوق ثم أدينا فريضة الجمعة بالمسجد وخطب الشيخ بحيث وعدنا للباخرة .

وفي الساعة السادسة مساء قمنا من مرسى مطروح فوصلنا الاسكندرية صباح ٣ سبتمبر ثم عدت إلى القاهرة في ١٠ منه .

الاحتفال بذكرى محمد على الكبير : جرت عادة ديوان الأوقاف أن يحتفل في

يومي ١٣ و ١٤ من رمضان كل عام في مسجد القلعة بذكرى وفاة محمد على الكبير وذلك بقراءة القرآن وتوزيع الصدقات . وقد رأيت أن الاكتفاء بذلك لا يمثل ذكرى المحتفل به حق التمثيل وأن اللازم ذكر شيء من تاريخه في هذه المناسبة ، فكتبت فعلا خطبة بها شيء عن إصلاحات محمد علي ، على أن يلقيها الشيخ محمد راشد إمام الحضرة الخديوية في المسجد . ولما كان الخديو في أوروبا فقد أناب عنه دولة شقيقه البرنس محمد على وحضر النظار وكبار الموظفين كالمعتاد وبعد قراءة القرآن وقفت وألقيت الكلمة التالية :

ورد في الحديث المأثور : « اذكروا نحاسن موتاكم » ، وفي ذكر هذه المحاسن من تمجيد أعمال السلف وتحليل آثارهم ما يجري مجرى حسن الجزاء على ما أتوه من جليل الأفعال وما اتصفوا به من حميد الصفات فهو حق لهم في ذمة الخلف يجب علينا القيام به وحسن أدائه لهم . ولما كانت هذه الليلة ليلة الاحتفال بذكرى وفاة ذلك البطل العظيم رأس هذه العائلة المالكة فقد رأينا من الواجب المحتم أن نذكر شيئاً من آثاره على طريق الاجمال والإختصار بوجه عام ، فوضعنا في ذلك نبذة جعلناها كالفهرست لتلك الأعمال الجليلة نضيف إليها في كل عام إن شاء الله تفصيل ما أجملناه وتوضيح ما لحصناه . وإني أستأذن دولة البرنس النائب عن الحضرة الفخيمة الخديوية بسماحها والله يتقبل منا صالح الدعوات لصاحب هذا الضريح في هذه الليلة المباركة إنه بالاجابة جدير ، ثم وقف الشيخ راشد فألقى الكلمة التي سبق أن كتبها لتلقى في هذه الليلة .

حالة التكايا والمساجد : لما كانت التكايا داخيلة في اختصاص الأوقاف وقد

سمعت عنها أموراً غير مشرفة مع أنها لم توجد إلا لمساعدة المحتاجين ، كلفت مأمور قسم ثالث أوقاف أن يبحث هذه المسألة ويكتب لي عنها تقريراً وعن حالة المساجد التي تقع في دائرة اختصاصه . وقد بعث إليّ بالتقرير الأول في ٦ سبتمبر وبالتقرير الثاني في ٢٠ منه ، فثبت لي أن حالة التكايا أسوأ مما بلغني عنها ، وأنها أصبحت ملجأ لغير

المحتاجين ، على حين أن المستحقين فيها لا يبالون أرزاقهم ؛ وأصبح بعضهم مباءة للفساد بسبب إهمالها وعدم تنظيم شئونها .

وقد قررت بعد ذلك أن يكون في كل تكية سجلات خاصة بأسماء الفقراء يوقعون فيها على ما يتسلمونه من الصدقات منعاً للتلاعب ، مع تغيير بعض مشايخ التكايا المفسدين .

أما حالة المساجد فقد علت من التقرير أن بعضها فتحت أمامه وبجواره مقاهٍ تزدهم بروادها وتغلط شائراً الصلاة بوضائهم ، فكتبت إلى نظارة الداخلية لحظر هذا الأمر وإغلاق هذه المقاهي وعدم التصريح بفتحها بجوار المساجد .

التوظيف والترقي في الديوان : إن التكلم على التوظيف في ديوان الأوقاف من النقط الأساسية التي عليها قوام العمل ، خصوصاً وقد ذهب الناس مذاهب شتى في أمره وأطلقوا فيه من الظنون ما لا يصادف الواقع ؛ فهم يتوهمون أن مجرد كون الديوان مصلحة خيرات وإحسان كاف لأن يقبل كل ملتجئ إليه طالب للخدمة دون أن يكون للكفاءة والنظام ورعاية وجوه الميزانية موضع من الاعتبار .

توهموا هذا وتوهموا أن الديوان لا يرد رجاء راج ما دام متوسلاً بشفاعة أو محسوبة فتصوروه مملوءاً بالمعاطلين الذين ضاقت في وجوههم سبل العيش وأعجزتهم وسائل الرزق وصدوا عن كل عمل . وفي هذا القول مبالغة شديدة وغلو ظاهر .

والحق أن الديوان قد درج في المدة الأخيرة في أمر التوظيف على خطة اختيار الأكفاء الذين تستقيم بهم حركة الأعمال ملتزماً بحدود ميزانيته جارياً على حكم نصوص القانون السالئ ولوائح الاستخدام التي تسير عليها الحكومة في ترتيب الدرجات وفي التعيين والترقي والعلاوة والمعاش .

انتقاء الموظفين : وقاعدتنا في انتقاء الموظفين إذا خلعت وظيفة في الأوقاف أن ننظر في استعداد موظفيه وكفاءتهم وحسن سابقتهم في الخدمة فننتخب من بينهم أليقهم لها وأحقهم بها أو نعلمد إلى الكفاء الذي شهد له عمله في خدمة الحكومة فتعيينه أو نعلمن عنها في الصحف ليتقدم إليها أرباب الشهادات من متخرجي المدارس أو من مرفوق الحكومة حتى إذا اجتمعت الطلبات عرضت على لجنة من رؤساء الأقسام لاختيار أكفأ الطالبين وأعظمهم أهلية للوظيفة التي يراد التعيين فيها .

حالة بعض الموظفين؛ وقد أكون مبالغاً إذا لم أستدرك على ذلك القول بأنه يوجد بالطبع بجمار الأكتفاء المستخدمين عدد قليل الأهمية واللياقة سواء كان بين كبار الموظفين أو بين صغارهم.

وقد تأكدت من ذلك بنفسى أثناء طوافى بمأموريات الأوقاف فى الوجهين البحرى والقبلى إذ سألت أحد المأمورين عن مقدار المسالغ المتأخر تحصيلها عنده فأجاب بأنها لا تتجاوز مائة وخمسين جنياً وهى فى ذمة رجل مضمون ولما طلبت من كاتب الحسابات كشفاً ببيان هذه المبالغ ظهر أنها تقدر بألاف الجنيهات . فلما راجعت المأمور أجاب بأن ما زاد على المائة وخمسين جنياً إنما هو قيمة المبالغ المرفوع بها قضايا أمام المحاكم، وكأنه قد جرى فى خياله أن مجرد تقديم القضايا إلى المحكمة يخرج مبالغها عن وصف كونها مبالغ متأخرة فهى لا تستحق منه اهتماماً ولا ترتقى قيمتها عنده إلى مجرد ذكرها . ومن ذلك تبين درجة تقدير ههنا المأمور لعمله ومسئوليته . كذلك لاحظت أن أحد المأمورين لا يعرف مواقع المساجد من المدينة التى يقيم فيها منذ أكثر من سنة؛ وهذا وحده يدل على قدر اهتمامه بها ومبلغ تمهده لها . وإنما ضربت هذين المثالين لأهمية الموظفين المشار إليهما ، وأما الحال فى صغار المستخدمين فلا يعدم الناقد أن يجد من بينهم من تجرد عن الكفاءة والأهلية؛ وسيلبدل الجهد إن شاء الله فيما تنظم به الأمور وتستقيم به الأحوال .

تعيين تلامذة : وقد اتخذنا طريقة جديدة لاعداد الموظفين فى الدرجات الصغيرة وتمرينهم على العمل حتى يتدرجوا فى الوظائف محيطين بأعمالها فقررنا عشر وظائف تلامذة مرتب كل منها ثلاثة جنيهات ينتخب لها عشرة أشخاص من حاملى الشهادة الابتدائية بعد الاعلان عنها فى الصحف؛ وقد كان ذلك، وهم الآن ينتقلون فى أقسام الديوان وفرعه للتمرن على أعماله قسماً بعد قسم حتى إذا خلقت وظيفة من الدرجة السابعة التى بدايتها خمسة جنيهات ونهايتها تسعة ، ألحق بها التليسد سواء كان فى أقسام الديوان أو فى مأمورياته .

الظهورات : وهناك باب آخر من أبواب التوظيف ربما تناولته الشبهات وكان محملاً للظن بأن التعيين فيه جار على حسب الأراض والأهراء وهو باب الظهورات . وقد رأينا من المصلحة منذ تولينا إدارة الديوان أن نضيق حدوده ما أمكن ولا نعهد بعد الآن شيئاً من هذه الوظائف . ورأينا من جهة أخرى أن نتدرج إلى تبيت هؤلاء

العامل الظهورات الموجودين الآن شيئاً فثباتاً حتى ينتهي الأمر على طول الزمان بسد هذا الباب الذي ربما كان موضعاً لعبث الأيدي في الرقت والتعيين .

وقد رفعنا بذلك مذكرة إلى المجلس الأعلى نالت مصادقته وقررنا فيها وجوب تثبيت العامل الظهورات متى توفرت فيه شروط أربعة وهي: (١) أن يكون سائراً لرضا رؤسائه شاهدين له بالكفاءة والاستعداد وحسن السلوك (٢) ألا يكون وقع عليه مدة خدمته من الجزاءات التأديبية ما يمس بيوهر وظيفته (٣) أن يكون أمضى في خدمة المصلحة ثلاث سنوات على الأقل (٤) ألا يكون به داء عضال .

ومما يحسن ذكره في هذا المقام ، للدلالة على ترقى حالة التوظيف في ديوان الأوقاف ومراعاة المستخدمين فيه . من حيث إننا نلتم كل ما يستحقونه من الترقية والعسلاوات بلا تفتير ولا تفریط وحسن معاملتهم في تطبيق نصوص القانون في أمر معاشاتهم ، أن موظفي الحكومة كانوا قبل الآن يعتبرون خدمة الأوقاف أقل درجة في الشأن من خدمة الحكومة فكانوا لا يقبلون عليها ؛ أما الآن فقد ظهرت شدة ميلهم لخدمتها ورغبة في التمتع بمزايا إدارتها .

هذه هي حال التوظيف في ديوان الأوقاف بقيوده وشروطه الآن ؛ إلا أنه مع علم بعض الناس بها لا يزال لهم ولع بالسعي والرجاء وراء التوظف به ، فإذا ذكرت لهم هذه القيود ، رددوا القول بأن المصلحة خيرية لا ينبغي فيها التدقيق في بذل الخير للضعفاء والمعوزين بتعيينهم في الوظائف التي ينالون بها وجوه العيش ويتوسلون بها إلى أبواب الرزق . ولكنه قول باطل ونظر متسيف . فان الخير كل الخير للناس وللواقفين والمصلحة الأوقاف أن يكون الموظف المؤمن على مال الوقف وإدارته من خير الناس وأكثرها العالمين ، وأضرب لك مثلاً أن رئيس الحكومة محمد سعيد باشا أوصاني على شخص لتوظيفه ففرضت عليه الدخول في الامتحان فأبى . ولما سألته عن مؤهلاته ، لم أر منه الكفاية لأخذ الوظيفة التي كان يرغب فيها فرفضت طلبه بالباشا . وتصادف وجوده في المنزلة عندما توجهت لأداء صلاة الجمعة مع الخديو فقمانحني أمام سموه عما فعلته بخصوص الشخص المذكور فأجبت به بأنه غير لائق لدخوله في الوظيفة المطلوبة له فقال بالنظرية السابق التنويه عنها فرددت عليه بأني لا أقبل أن يحسب على موظف غير كفء للقيام بوظيفته فإذا كان الغرض مساعدته على معاشه فليكن من باب الاحسانات . وما على الباشا إلا أن يلتمس من أفندينا تخصيص مرتب له فكان عباس من جنانبي .

هذه كراتي في نصف ثوبن جنة .

أما الترقية فقد انتهت منذ وطأت أقدامى هذه المصلحة رسائل التوصية بترقي بعض الموظفين فكنت أؤثر عليها للبحث في ملفات خدمتهم فإن وجدت من بينهم المستحق كتبت اسمه في كشف المستحقين لترقيته في الوقت المناسب والباقي أرفضه ولو كانت التواصي من رجال المعية أو من النظار . فإن أحد النظار طلب ترقية لأخيه وآخر لابن مرضعته فرفضت لعدم استحقاقهما لأنني لو أجبتهما لطلبهما لا تتقد على الموظفين ورموني بالحماة .

وكان بعض أصدقائي يرتكنون على مودتي لهم فيطلبون ترقية بعض المتتمين إليهم ولكنني كنت أتبع نفس هذه الطريقة .

وفاة ملك الانجليز . في يوم ٧ مايو وصلت البرقيات بوفاة ملك الانجليز إدوارد السابع، وقد أرسل سمو الخديو عقب وصول هذا الخبر برقية من الاسكندرية إلى السير دون جورست يعزبه فيها هو والحكومة الانجليزية وهذا نصها :

علمت الآن الخبر الرهيب بوفاة جلالة الملك إدوارد السابع فجأة ، فأرجو أن تبلغ تعزيتي للحكومة الانجليزية وتعرب لها عن مشاركتي لها في أحزانها . ولو كنت بالقاهرة لحضرت بنفسى إلى الوكالة البريطانية لأعرب لكم عن كل ما أشعر به في هذا المصاب المحزون الأليم ، ولكن نظار حكومتى سينزورونكم ليعربوا لكم عن أسف حكومتى ومشاركتها للحكومة الانجليزية في أحزان هذا اليوم الذى نشترك كلنا فيه .



البرنس محمد على

البرنس محمد على يشيع الجنازة :
 وفى ٩ منه سافر سعيد ذو الفقار باشا التشرىفاتى الأول واللواء واطس باشا والصاغ محمود خيرى من الباوران إلى لندن ليتفروا هناك بالبرنس محمد على للاشتراك في تشييع جنازه الملك .
احتفال بالجنازة في شكنة قصر النيل : وفى ٢٠ منه احتفل في شكنة

قصر النيل بجزءه للبلد المتوفى ، وحضر هذا الاحتفال البرنس حسين كامل باشا وكثير من البرنسات والنظار ووكلاؤهم وأعضاء مجلس شورى القوانين ، وكنت من حضروا هذا الاحتفال بصفتى مديراً لديوان الأوقاف العمومية .

وفى الساعة الخامسة عزفت الموسيقى بألحان محزنة وأقبل الموكب يتقدمه رئيس كهنة البروتستانت ويحف به رجال الدين حتى وصل إلى منصة فى وسط ساحة الشكنة فاعتلاها الرئيس وتليت الصلوات المعتادة ، ثم أطلقت المدافع ونشر العلم البريطانى فياه الجنود الانجليز هاتقين للبلد الجديد ، جورج الخامس ، . وبذلك انتهت الحفلة ، وخرجنا بعد أن قدمنا للسير جورست عبارات التعزية ثم التهته بالملك الجديد .

سفرى لاسكندرية لقضاء فصل الصيف فلانظار . وفى ١٤ يونيو سافرت إلى الاسكندرية لقضاء فصل الصيف وأخذت محلاً خصيصاً لأمعمال الديوان فى سان استفانو .

افختيارى لرياسة لجنة امتحان مدرسته المعلمين الناصريه . كان أحمد حشمت باشا ناظر المعارف طلب منى قبول رياسة امتحان مدرسة المعلمين الناصرية فى أواخر شهر مايو الماضى، فقبلت هذه المهمة . وبعد انتهاء الامتحان والتصحيح والمراجعة رفعت لناظر المعارف تقريراً فى ١١ يوليو عن حالة المدرسة ، وهذا نصه :

« بناء على إفادة نظارة المعارف العمومية المتضمنة لانتخابى رئيساً للجنة الامتحان بمدرسة المعلمين الناصرية :

« أشرف بأن أرفع إلى سعادتكم تقريرى هذا بعد اطلاعى على جميع التقارير المقدمة من حضرات الممتحنين . وأتهز هذه الفرصة فأؤكد لسعادتكم بأن نظام الامتحان كان بالغاً حذراً يوجب الإعجاب والاستحسان بهمة سعادة ناظر المدرسة وحضرات الممتحنين والمراقبين .

« قد تبين لى من جملة تلك التقارير أن هذه المدرسة تسير سيراً جميلاً فى طريق التقدم والقلاح . وأن النتيجة فى هذا العام كانت أحسن منها فى العام الماضى جرياً على سنة الترقى . وقد وجدت فيها من الملاحظات والآراء ما يلىق أن يوضع موضع النظر والعناية طلباً للكمال والاتقان .

و الذي توجه اليه الأفكار وتجتمع حوله الآراء هو وجوب صرف اللمعة في هذه المدرسة إلى العناية بتقديم فن الانشاء لأنه مقصد المتاصد من التعليم فيها ما دامت الناية منها تخرج الطلبة إلى وظيفة المعلمين للغة العربية .

ولا وصول إلى هذا الغرض إلا بكثرة الدرس لتربية ملكة الانشاء . وهذه الملكة لا تنمو وتغزر مادتها بمجرد حفظ قطع معينة من النظم والنثر ، فان الاقتصار على طريقة اللفظ وحده تنهى الطالب الى أنه يعتمد كل الاعتماد على الاتيان بما حفظه دون أدنى تصرف . ومن المحقق أن ساوك هذه السبيل مما يعطل تربية المسكات التي لا تنأى إلا من طريق تصرف الذهن وتشعب الفكر . ولا يتيسر تكوينها إلا بكثرة المطالعة في الكتب المشتمة على جيد القول وحر الكلام فينتقل الطالب فيها ما شاء من باب الى باب ومن مطلب الى مطلب من غير كفة ولا استكراه وبدون أدنى سأم أو ضجر فيتولد عنده حينئذ من الارتياح والاشتياق ما يجعل ذهنه منبسطاً لالتقاط محاسن التعبير وبدائع التركيب بما تنمو عليه الملكات الصالحة . هذا فضلاً عن اتساع محصوله من العلوم والفضول التي يتقلب في أبوابها أثناء المطالعة في مثل تلك الكتب المطولة فيتكون لديه منها ومن جملة ما يحفظه من قطع النظم والنثر مادة غزيرة يتصرف بها في وجوه الكلام والانشاء .

و فأرى لأجل ذلك مطالعة كتابين أو ثلاثة من هذا القبيل مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وكتاب الكامل لأبي العباس المبرد وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه وما يماثلها من كتب الأدب واللغة والتاريخ .

و أرى فوق ذلك من وجوه التحسين . أن يعين درس محاضرة في آداب اللغة مرة في كل أسبوع حتى يترنن الطلبة بكثرة المناقشة والمباحثة على قوة التصرف وصحة الرأي فيتكون لهم بذلك حكم يقدررون به على تصريف عقولهم دون الاتكال على أحكام الغير ، ويكون لفكرهم تحكيم في الموازنات ولعقولهم تصرف في المقاضات .

ثم لا بد أن يسار بالطلبة في طريق التفسير للقرآن الكريم ، سبيل التوسع في التطبيق لأحكامه الشريفة على حاجات الهيئة الاجتماعية نظامية واقتصادية ؛ فلا يقفون به عند حد التفسير اللفظي . ولقد عز على ما رأيت من أحد الطلبة من التقصير في تطبيقه للآيات الكريمة التي تعتبر أساساً لعلم الاقتصاد وهي قوله تعالى : و آت ذا القرنى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين

وكان الشيطان لربه كفوراً ، الى قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً .

« فان الطالب لم يحسن تطبيق معانيها الشريفة على أحوالنا الاجتماعية والاقتصادية التي نحن في حاجة الى معالجتها أدائها بقوة الأحكام الالهية المؤثرة في النفوس تأثيراً لا يتسنى لغيرها من الأحكام الوضعية .

« وإن ألزم ما يكون لطلبة هذه المدرسة الذين يتخرجون منها ممارسة صناعة التعليم والتربية ، تضلهم من علم الأخلاق فانه الأساس لاصلاح النفوس وتهذيب الطباع . وليس ينفع التبريز في العلوم والفنون ما دامت النفس خالية من فضائل الأخلاق ومحاسن الصفات ؛ بل ربما كان النفع منها موهوماً والضرر محققاً . ولذلك أرى أن يراود نصيب هذا العلم الواسع في أوقات الدراسة فان مدته في البروجرام الحاضر لا تزيد عن ساعتين في الأسبوع كله في السنة التحضيرية فقط .

« وأرى أيضاً أن تفتح نظارة المعارف باب الترغيب لمن تعلمو درجاتهم من الطلبة في علوم اللغة العربية أدبياً ومادياً . أما الأدنى فهو أن تأمر النظارة بطبع ما تراه جيداً في باب الانشاء وغيره مما يجيء في أوراق الامتحان ثم تجعله بمجموعة تشر بأسماء الطلبة المجيدين مع التنبيه على ما يكون فيها من التقصير ثم توزع على سائر الطلبة . وأما المادى فهر أن تقرر النظارة مكافأة أو نوعاً من الترقية لمن يستمر على الاشتغال بما يجيد فيه بعد تخرجه من المدرسة مدة سنتين ويحوز السبق في الاختبار الذي يخصص لذلك فينشط المتخرجون إلى بلوغ درجة الاتقان في العلم الذي يصرفون همهم نحوه كما ألما إلى ذلك في خطابنا الذي ألقيناه عليهم وكما يشير إليه حضرة الممتحن في الخطب حيث ذكر في تقريره أنه يوجد أربعة من بين الطلبة حازوا الدرجة الهائية في هذا الفن وأنه يجب على نظارة المعارف أن تستخدمهم في مدارس القاهرة للاتفاق بهم وللحفاظة على تقدم الفن حتى يتمكنوا من إتقانه على أسانذته فيصلوا إلى درجة النبوغ فيه .

«وجملة القول أن حال هذه المدرسة يتدرج من حسن إلى أحسن ، خصوصاً إذا نالت من عناية النظارة بها ما تستحقه ؛ وعدلت بعض التعديل في أوقات الدروس ، بتخفيض بعضها فيما هو ليس بضرورى جداً لطلبها كالضلع في مثل الجغرافيا الطبيعية والعمل الكيماوى ؛ وازدياد بعضها في العلوم الجوهرية لهم لمزاولة صناعة التعليم المخصصين له مثل علوم اللغة والتفسير وعلوم التربية والأخلاق ، وفي كثرة المطالعة والمحاضرة حتى

لا تكبر نسبة الناجحين أقل منها في الرياضيات مثلاً .

وإنتى لأجد نفسى مقصراً عن الواجب إذا أنا ختمت تقريرى هذا ولم أكتب حرفاً عن المنافع والفوائد التى لا تزال هذه المدرسة مصدراً لها فى السابق واللاحق . فكم أنجبت من الطلبة فى مدة خمس وثلاثين سنة منذ إنشائها إلى اليوم وكم انتفعت الأمة بعلومهم ومعارفهم . وكم استفادت الحكومة من استعدادهم للقيام بمهام وظائفها . فهى جديرة بأن تكون فى المقام الأول بالنسبة لحسن سابقتها ولشدة الحاجة إليها اليوم ولضرورة الاستفادة منها فى المستقبل .

ووفى الواقع فإن الحاجة شديدة إليها داعية إلى صرف العناية نحو تقدمها وتوسيعها وداً نحن ألقينا نظرة إلى النمو المتواتر كل عام فى عدد طلبة المدارس ، أميرية كانت أو حرة . وبكفينا الاطلاع على جداول الامتحان فى هذا العام ليقوم لنا البزهان الواضح على أن الأمة فى حاجة مستمرة الى زيادة عدد المعلمين . ولا يقال إن المدارس المعنية لتخرج المعلمين بما تسد الحاجة أو تقوم بالمطلوب . فإنا إذا نظرنا الى عدد الداخلين فى هذا العام فى امتحان الشهادة الابتدائية وقدرهم ١٨٩٥ من المدارس الأميرية و ٢٥٩٦ من المدارس الحرة و ١١٣٣ من المعلمين فى منازلهم مع ازدياد هذا العدد عاماً فعاماً . وجدنا عدد المعلمين ينقص نقصاً ظاهراً بالنسبة لهذا العدد العظيم . نعم ربما قامت مدارس المعلمين بالحاجة لمدارس الحكومة الأميرية . ولكن من لنا بوجود العدد اللازم من المعلمين لتعليم طلبة المدارس الحرة ومدارس الجمعيات الخيرية وتعليم الطلبة فى منازلهم ، وعودهم عظيم كما يبيناه والزيادة فيه متوالية كما نراه .

وهناك أمر آخر وهو أننا إذا نظرنا نظرة أيضاً الى أن عناية نظارة المعارف أصبحت متجهة نحو تعميم التعليم فى مختلف العلوم باللغة العربية ، ظهرت زيادة الحاجة الى كثرة عدد المعلمين من هذه المدرسة ووجب صرف العناية الى ترقيةها وتقديمها كل الوجوب لتكفلها بهذا الغرض أكثر من سواها ؛ لا أننا نراها فى ضعف النمويسنة عن سنة . فقد ألقى منها فصل فى هذا العام من السنة التحضيرية فاستبدل الفصلان بفصل واحد . فإذا استمر الحال على هذا المتوال فى كل عام فلا تمضى خمس سنوات حتى تنخفض فصولها الى خمسة فتتحدر هذه المدرسة العظيمة الفائدة فى طريق النقص بدل أن تلو فى طريق النمو .

وإنما دفعنى الى الاسهاب فى هذا الموضوع ما لا أزال أراه وأسمعه من كل

طرف عن شدة الحاجة والعوز الى وجود العدد العظيم من المعلمين بين الامة المصرية وأن هذا هو الامر الأولى المقدم على سواه من وجوه انتشار التعليم فيها . ولو فرضنا أن العناية بهذه المدرسة جاءت بزيادة عدد المعلمين اللازمين فان المتخرجين منها يأتي منهم النفع العام على كل حال للامة بأسرها ، فضلا عن أن الحكومة ليست مكلفة باستخدام ما يزيد عن حاجتها ولهم في انتفاع الامة بهم مكان معلوم .

« وأنا لا أشك في أن هذه المدرسة ، التي كانت ولا تزال مفخرة المفاخر للرحوم على مبارك باشا ولبن بعده من رجال الحكومة الذين أنالوها حقها من العناية ، ستكون إن شاء الله بنائية ناظر المعارف الحالى ورئيس الوزراء — وهما في رقى المعارف مشهورة مذكورة — سائرة في طريق التوسع والتقدم على نظام يزيد في علو مكاتهما ويضاعف من حسن سمعتها ويكفل دوام الاستفادة منها وانتفاع الامة المصرية بها ، فتسكفل لوزراء مصر بدوام الفخر وتشهد لهم على الدهر بحسن الذكر . »

وقد ورد لي من ناظر المعارف رسالة الشكر التالية المؤرخة ٢٢ أغسطس وهذا نصها بعد الديباجة : « وصل إلينا التقرير الذى تفضلتم سعادتم بارساله إلينا عن

نتيجة الامتحان النهائى لطلاب مدرسة المعلمين الناصرية الذى جرى هذا العام تحت رئاستكم وأنا لنسدى سعادتم واجب الشكر الجزيل على هذه الخدمة العلية الجليلة ونرجو ألا تحرم نظارة المعارف فى جميع الفرص من عظيم مساعداتكم أفندم . »

قضية ديوانه « وطنيتى » .

وفى ١٢ يوليو علمت أن النيابة تحقق فى قضية سياسية خلاصتها أن الشيخ على الغاياتى المحرر بجريدة العلم المتمسك للحزب الوطنى طبع ديوان شعر بعنوان « وطنيتى » فيه



الشيخ على الغاياتى

سط من شأن الحكومة وتحرير على العكس بالنظام فاستدعته لتحقيق معه ، ولكنه فر إلى تركيا ؛ فاستحضرت الشيخ عبد العزيز جاويش لأنه كتب مقدمة للديوان يثني على موضوعاته وصاحبه ، واسماعيل حافظ صاحب العلم ، لسؤاله عن سبب مدحه وإطرته لهذا الديوان .

وبعد التحقيق أحالتهما مع آخرين إلى محكمة الجنايات ، فهوكوا في جلسة ٩ أغسطس بتهمه التحريض على جنابة القتل السياسي وكراهة الحكومة والازدراء بها وتحييد الجرائم والعيب في حق الذات الخديوية .

وقد حكم على الشيخ الفياقي غياباً بالحبس سنة مع الأشغال ، وعلى الشيخ جاويش بالحبس البسيط ثلاثة أشهر ، وحكم على الآخرين بشهرين مع إيقاف التنفيذ .

وبما جاء بديوانه وطنيقه في مهاجمته للخديو والطعن على خطته :

و أعاس هذا آخر العهد بيننا
أرضيد ، فينا أن نكون أذلة
وأرضيت أعداء البلاد وأهلها
وفيها من الدعوة إلى الثورة :

وهل سال في مصر الدم
ومضوا إلى أهل الضلا
أم تار فيها النوم ؟
ل بأعدموا من أعدموا ؟

الخطوة الثالثة بوصول الأزهري . كان الورد كرومر يدرك ما للأزهر من كبير الأثر في تكوين الرأي العام الاسلامي ، وما يحتاج إليه من الإصلاحات الجمة ، وكان يخشى التدخل في شؤنه خشية أن يتهم المصريون الانجليز بتعرضهم لشؤونهم الدينية ، غير أنه كان يعضد بطريق غير مباشر الشيخ محمد عبده وغيره من الرجال القلائل الذين كان يأمن فيهم رغبة الإصلاح وتحرير هذا المعهد القديم من ركود الماضي وأغلاله . فلما توفي الشيخ محمد عبده ، وغادر كرومر مصر ، ضعف الاهتمام بأمر الأزهر وإصلاحه ، ولكن الخديو أدرك بذكائه أنه يجني مغنم معنوية كثيرة إذا استعمل سلطته الخاصة بشؤون الأزهر وعنى بإصلاحه ، وأنه يستطيع بهذه الوسيلة أن يزيد نفوذه في العالم الاسلامي وأن يزيد بغض الرأي العام الاسلامي للانجليز ؛ ولهذا رأى أن يأخذ حركة إصلاح الأزهر ، وعندئذ كانت الخطوة الثالثة للإصلاح .

فيما أن هذا الشعب الذي كان قائماً والذي أتينا على وصفه فيما تقدم وتغرب الزغوليون من الحديو بالحقاق مدرسة القضاء الشرعي بالأزهر — وكان سموه حريصاً على إلغائها ليكون القضاء مختصاً بخريجي الأزهر كما هو شأنه من قديم الزمان — عهد بوضع قانون آخر للأزهر إلى لجنة شكلت من فتحي



عبد الحاق ثروت باشا

زغلول باشا وكييل الحقانية واسماعيل صدقي باشا وعبد الحاق ثروت باشا فوضعوا المشروع على أساس أن تكون جميع المعاهد ملحقة بالأزهر ومجلس إدارته . وأنت ترجع إلى المجلس الأعلى بواسطة ؛ ولكن الحديو لما عاد من السفر وقرىء المشروع أمام لجنة عقدت برياسته رأس التين من بينها رئيس النظار محمد سعيد باشا وحسين رشدي باشا وفتحي زغلول باشا وشيخ الجامع الأحمدى الشيخ محمد حسنين وشيخ معهد الاسكندرية الشيخ أبو الفضل وأنا . وتليت المادة المتعلقة

بالالحاق المذكور ، ناقشها الحديو مناقشة وحيمة قضت بتغييرها ، وتفسير كل ما بنى عليها من المواد . وجعلت المعاهد كلها تابعة للمجلس الأعلى مباشرة ولكل معهد مجلس إدارة خاص به كالأزهر .

ثم وجه الحديو سؤالاً إلى شيخ الجامع الأحمدى قائلاً : وهل إذا ثار الأزهر مرة ثانية تتور المعاهد الملحقة به بمقتضى هذه المادة ؟ ، فأجابته بأن معهد طنطا لم يسلم من شر هذه الفتنة إلا بقطع العلاقات بينه وبين الأزهر وطلابه وشيوخه في هذه المدة ، فكانت المشيخة لا ترخص لأحد من الأزهريين بدخول المسجد الأحمدى في أى وقت من الأوقات ، لا للزيارة ولا لشيء . إلا إذا قابل شيخ الجامع الأحمدى في مكتبه بالمسجد ، بل كنا نعمل على مطاردتهم من المدينة ، وكانت المشيخة تضطرم الى الخروج منها ، وساعدها على ذلك رجال الحكومة في طنطا . وانتهت الجلسة عند هذه المادة وصدر الأمر بقرأة المشروع وتعديل سائر موا . على أساس القانون نمرة ٢٦ . ولما تم تعديله على هذا النحو وعرض على الحديو ، اقترح شيخ الجامع الأحمدى إرسال

المشروع لمجلس إدارة المعاهد لابتداء ملاحظاتهم عليه ثم قدم الى رئيس مجلس النظار محمد سعيد باشا، فرأى أن يقرأه أولاً في لجنة مشكلة من شيخ الجامع الأحمدي وفتحى زغلول باشا وسماعيل صدق باشا؛ وانتهت قراءته على تعديل كثير من مواده، ثم أخذ بعد ذلك دوراً طويلاً في مجلس الشورى وانتهى الأمر باقراره، وصبر به الأمر العالي في ٢٧ سبتمبر، وعمل به في المعاهد الدينية.

سنة ١٩١١

استداد روح المعارضة . حول الرتب والنباتين لأعضاء مجلس الشورى
والجمعية العمومية . رحلتى للصعيد والسودان . الخطوة الثالثة فى اصلاح الازهر .
رأى غورست والتدبير فى المعارضة . المؤتمر القطبى . المؤتمر المصرى ومبايعة .
هديث غورست والتدبير عن المؤتمرين . سفر التدبير للإستاتة وأوربا . وفاة
رياض باشا رئيس المؤتمر المصرى . وفاة غورست وتعيين كفتنر . اتجاه السياسة
الجديدة . الانعاصم على بيشانه ايطالى . أعمالى فى ديوانه الاوقاف . الابن
الأكبر للسليطانه رشاد فى مصر لحنبة ملك انجلترا

استداد روح المعارضة . كان مقتل المرحوم بطرس غالى باشا فى العام الماضى
مظهراً من مظاهر التطرف والتهور فى المعارضة التى لم يجد فى إسكانها بعث قانون
المطبوعات القديم الذى أبطل العمل به أيام كرومر . فاشتدت الحملات الصحفية على
الحكومة ولا سيما فى صحف الحزب الوطنى ، وكذلك صدر كتاب وطنيتى ، للشيخ
على الغاياتى حاوياً لكثير من الحض على الثورة وتمجيد أعمال المجرمين السياسيين .

ولما كان محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى قد كتب مقدمة لهذا الديوان ،
فقد قدم للحكاكة بتهمة تحسين جريمى الوردانى وندجرا الهندى ، اللذين أطراها صاحب
الديوان فى بعض مقطوعاته .

سجن محمد فريد بك : عقدت الجلسة لحاكته يوم ٢٣ يناير برئاسة القاضى
دلبروعلى الأرمى وعضوية أحمد ذى الفقار بك وأمين بك على ، ومثل النيابة محمد توفيق
نسيم بك رئيس نيابة الاستئناف ، وسئل فريد بك عن التهمة الموجهة إليه فقال

ما ملخصه : إن الكتاب ظهر وهو في أوروبا وأنه كتب المقدمة قبل سفره كقراءة يجذب فيها الجهاد في سبيل الأوطان وأنها تصلح مقالة مستقلة كما تصلح مقدمه لديوان .

وقد اعترضت عليه المحكمة بأنه قرأ معظم ما حواه الديوان منشوراً في الصحف ، وبما أنه مطلع على القانون وفاهم للمستوية فلا بد أن يكون قد عرف أن هذا القول مما يعاقب عليه القانون ، فرد عليها بأن هذا القول يعد عذراً له ، لأن سكوت الحكومة على المؤلف عقب نشره القصائد في الصحف يعتبر رضا منها به ، ويبيح له تفريله .

وبعد إتمام المناقشة ترفع رئيس النيابة ، ثم حكمت المحكمة على محمد فريد بك بالحبس البسيط لمدة ستة أشهر .

ولكن هذا الحكم لم يرد أعمال التضييق إلا شدة ، ولما قضى فريد بك مدة الحبس وخرج أقام له أعضاء الحزب الوطني حفلة تكريم بفضيق الكورتنتال بالرغم من أن هذا التكريم نفسه يحرمه القانون لأنه استحسان لجرمة .

المعارضة في مجلس شورى القوانين : في العام الماضي كان الجمعية العمومية موقف مشهود في مسألة مد أجل قننة السويس ، دل على تنبه الأفكار ، وقوة روح المعارضة التي ظلت تنهز كل فرصة لتطلب توسيع سلطة النواب ومنح الدستور للبلاد وعرض المسائل المالية .

وفي هذا العام تألفت جهة معارضة في مجلس شورى القوانين قوامها أعضاء حزب الأمة في المجلس .

حول الرتب والنياسين لعضء مجلس الشورى والجمعية العمومية .

وقد اقترح أعضاء المعارضة إصدار قانون يقضى بعدم منح أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية رتباً أو نياشين ، وذلك منعاً لسوء الظن بهم ، وضماناً لاستقلالهم عن السلطة التنفيذية .

وقد كان هذا الاقتراح مثار ضجة كبيرة داخل المجلس وخارجه ، وانتهى بالرفض من الأغلبية .

تكريم المعارضين : وقد تألفت لجنة بعد ذلك لتكريم ممثلى المعارضة في مجلس شورى القوانين ، وأقامت لهم حفلة في فندق الكورتنتال يوم ١٠ أبريل وهم : محمود سليمان باشا وعلى شعراوي باشا ومرقس سميكة بك وفتح الله بركات بك وأحمد بك حبيب

وخطب في الحفلة حسن عبد الرزاق بك، وأحمد عبد اللطيف المحامى وأبراهيم باشا ابوى بك ويوسف شكور باشا وأحمد لطفي السيد بك. ورد عليهم مرقس سميكة بك.

تكريم الأتالية : وقد كان الرد على هذا التكريم، تكريماً أكثر لأعضاء الأتالية بشندق سافوى أو تيل يوم ١٥ أبريل برياسة حسن زايد باشا، وخطب في الحفلة الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وحسين هلال بك وحسن زايد باشا والسيد محمد رشيد رضا وموسى غالب باشا.

رطلتى المصير والسوراه . في مدينة الخرطوم مسجد قديم له أوقاف خائنة . وقد تدمر هذا المسجد فشرعت الحكومة السودانية في إنشاء مسجد جديد ثم خابرت ديوان الأوقاف في موضوع إتمام هذا المسجد على نفقته طالبة مدها بمبلغ ١٩٩٠٠ جنيه لهذا الغرض . لذلك وحيث إن أوقاف المسجد القديم قد اندثرت رأيت أن أسأله إلى الخرطوم لبحث هذه المسألة في مكاتبهم مع رجال الحكومة السودانية . حصلت على إذن مسمى الخديو بهذا السفر .

ورأيت اتهاز هذه المناسبة للبرور على أموريات الأوقاف ومزارعها ومساجدها ومدارسها بالوجه القبلى فجمعت كل اللازم من المعلومات عن المستخدمين وكفائهم من تقارير رؤسائهم المختلفين .

وقد بدأت رحلتى مساء يوم ١٥ يناير على باخرة نيلية وضعتها تحت تصرفى دأة المرحوم على باشا فهيس مستصحباً السكرتير الخاص (محمد جيه افدى) وباشا مهندس الدينان (محمود فهيب باشا) وقد رافقتنى حرمى وصدايقنا مدام نقلا باشا ووصلت إلى بنى سويف في اليوم التالى وزرت مسجدها وأمورية الأوقاف بها ثم غادرتها إلى بيا هزت مأموريتها وزراعتها وأبسوج وسدس فوجدت حالتها جيدة إلا أن المصارف كانت في حاجة للتطهير في زراعة بيا .

وفي ١٩ يناير وصلت بنى مزار فزرت مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية وتفقدت حالة التعليم بها ثم سافرت إلى المنيا فاستقبلنى بها مديرها ووكيلها وموظفو الأوقاف . وبدأت بزيارة مساجد المدينة وانتهيت بمسجد الاسام القولى حيث أدت فريضة العشاء ثم حضرت الدرس الدينى به .

وفي الصباح قصدت مأمورية الأوقاف ثم زرت المدير والقاضى الشرعى وشكرت لها عنايتيها بمسائل الأوقاف .

وفي مساء ٢٢ منه وصلت إلى ملوى، وفي صباح اليوم التالي زرت مساجدها وأطيان وقف فاضل باشا وتنوف والبوره، وبعد الظهر زرت مأمورية الأوقاف ومكتبين تابعين لها .

وفي صباح ٢٤ منه قامت بنا الباخرة إلى أسيوط فاستقبلني مديرها ابراهيم صبرى باشا، وبعد الاستراحة توجهت إلى ديوان المديرية لرد الزيارة . كما زرت رؤساء المحكمتين الأهلية والشرعية والنيابة وشكرتهم على اهتمامهم بمسائل الأوقاف . ثم زرت مدرسة الصنائع وكان يديرها حضرة أمين بهجت بك والمدرسة الأميرية الابتدائية وهي تسكن في دار تحت نظارة الأوقاف .

وفي المساء زرت المساجد الشهيرة، وقد لاحظت عدم إقبال الأهالي على حضور الدروس الدينية إذ رأيت مدرساً في أحد المساجد وليس أمامه إلا مستمع واحد !
وفي ٢٥ منه زرت مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية ومأمورية الأوقاف والمكاتب التابعة لها ثم زرت أعضاء قوميون الأوقاف .

وفي ٢٦ منه سافرت بالباخرة إلى طهطا فوصلتها في الساعة الرابعة بعد الظهر وزرت مساجدها، وفي الصباح سافرت بالسكة الحديدية إلى سوهاج فاستقبلني مديرها على أبو الفتوح بك والموظفون وأعيان المدينة . وبعد أن صليت الجمعة بمسجد الأستاذ العارف مررت على مساجد المدينة التابعة للأوقاف، وحضرت الدرس الديني في المساء بمسجد العارف . وقد تناولت الغداء على مائدة المديز مع همام حمادى باشا وعبد الرحيم حمادى بك وأمين العارف بك . وزرت مدارس مجلس المديرية ودار المجلس . كما زرت كلا من همام باشا وعبد الرحيم حمادى بك في منزلهما . وبعد أن زرت مدينة أنخميم بارحت سوهاج إلى نجع حمادى فأقمت بها يوماً .

وفي ٢٩ منه سافرت إلى قنا فزرت مأمورية الأوقاف ؛ ومدير قنا محمد خليل نايل بك ورئيس المحكمة الشرعية (رداً لزيارتها) وتناولت الغداء على مائدة المدير .
وفي المساء سافرت إلى قوص وزرت مسجدها الشهير وهو أكبر مساجد الوجه القبلي ووجدته في حاجة إلى الترميم .

وفي ٣٠ منه وصلت إلى الأقصر وزرت آثارها كقابر الخلفاء والدير البحري ومدينة الكرنك ومعبد الأقصر ومسجد أبي الهجاج .

ثم سافرت إلى أسوان فوصلتها يوم ٣ فبراير . وفي المساء أبحرت بنا الباهرة من السلال إلى وادى حلفا فوقفت في صباح ٤ فبراير عند الفجر عند معبد أبي سنبل فتمكنت من زيارته وهو منحوت في الجبل ، كبير الاتساع ، وواجهته شرقية بحيث يستقبل أشعة الشمس عند الشروق فتنتشر في أرجائه وهذا من أروع المناظر . وبلغنا وادى حلفا بعد ظهر يوم ٥ منه فأخذنا القطار إلى الخرطوم فوصلناها عصر يوم ٦ فبراير .

وعندما وقف القطار في أبي حمد حضر أحد كبار الضباط وسأل عنا وأبلغنا تحية الحاكم العام وترحيبه بنا واستفسر عن راحتنا فشكرنا له هذه العناية .

ولما بلغنا الخرطوم كان من مستقبلينا فضيلة قاضى قضاة السودان الأستاذ المراغى والضابط محمود حافظ رمضان افندى شقيق الأستاذ حافظ رمضان بك — موفداً لاستقبالنا من قبل الحاكم العام ومرافقتنا مدة إقامتنا بالخرطوم .

وقد نزلنا في فندق (الجراند اوتيل) وكان به كثير من السائحين يملئون غرفه وهكذا نزل السكرتير والباشمهندس في غرفة واحدة .

وبعد الاستراحة في الفندق ذهبت في الموعد الذى حددلى لزيارة ونجحت باشا في برامى الحكومة فاستقبلنى بالترحاب وهو صديق قديم لى . وقد أبلغته سلام الخديو فسألنى عن سموه وأعرب عن شكره له . كما أتى شكرته على اهتمامه بالسؤال عنى فى الطريق .

ثم تبادلنا الحديث فى موضوع سياحتى ومشاهداتى فى رحلتى وغير ذلك من الشؤون . وأبلغنى أنه على استعداد للأمر بحمل كل التسهيلات اللازمة لى مدة إقامتى . وقيل انصرافى قال لى إن قاعة الاستقبال هذه ينقصها صورة الخديو فوعده بتبليغ ذلك مع التأكيد بأنها سترسل له عقب وصولى إلى القاهرة .

بعد ذلك ، وفى اليوم التالى ، بدأت بزيارة صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان فى دارالحكمة الشرعية فاستقبلنى بالحفاوة وأجلىسى بجانبه ؛ وكان هناك أحد كبار الانجليز فعرفنى به وهو المستر كارتر السكرتير القضائى وأخذ مجلسه فى الجانب الآخر ، وجاءت القهوة وكانت المنضدة الصغيرة أقرب لفضيلة الأستاذ من المستر كارتر فلما أراد المستر كارتر وضع فئجانه لم يتحرك الأستاذ المراغى بل أمر الخادم فى وقار بتقريب المنضدة ، فأكبرت هذا المظهر المشرف لفضيلته وأدركت أنه يقدر مكاتته حقاً ويحافظ

على كرامته وكرامة الشرح ومن تلك الحفلة امتلأت قسبي بالميل إليه رزق قدره في نظري .

وقد زرت بعد ذلك رؤساء المصالح مبتدئاً بالمستر كارتس وبناء على توصية الحاكم العام زرت كلية غوردون فاستقبلني فيها مدير المعارف وهدايت بك ناظر الكلية ومفتش المعارف والأساتذة فطفنا حجر التدريس والمعمل الكيماوى ، وهي في حالة بائنة .

وفي ٨ منه زرت القائم مقام كندى بك مدير مصلحة الأشغال بالسودان وتحادثت معه في شأن إتمام الجامع الذى زرته مع باشمهندس الديوان الذى تيزن من العناية أن بعض الأعمال الداخلة في المبلغ المطلوب لإتمام المسجد . فقد تمت بالفعل وببشرها لا لزوم له والآخر في حاجة للتعديل .

وبعد المناقشة مع رجال الحكومة تم الاتفاق على عمل مقايمة جديدة بالمطالب من الأشغال وأخذ الباشمهندس في إعدادها على أساس دفتر أتمات البناء وأدواته لحكومة السودان وقد حصلنا عليه لتعمل بعد ذلك مناقشة ويهدد بالعمل إلى أحد المقاولين ، وقد خصص مهندس لمراقبة العمل ، وقد تم بناء المسجد على حساب الديوان .

أما مسألة الأوقاف فقد علمت من فضيلة الشيخ المراغى أنه قد بحثها مع الحاكم العام وتشكلت لها لجنة من فضيلته ومن بعض الضباط ، وانتهت بمصر أعيان وقف الجامع القديم الذى اصنع عدم وجود شيء لها ولا يعرف من شروطها شيء ولا يعرف على أى شيء هي موقوفة ، ولكن علم بالجماع وجود أوقاف وأنها كذا وكذا . فحصل اتفاق على تسجيلها وعلى أن تكون للجامع وللشعائر الدينية واستبدال الأجزاء المأخوذة منها للخدمة العامة بأراض جيدة في المدينة بغير عيب على جهة الوقف ؛ لهذا فضلت عدم التكلم في شأنها ، ولكنني بحثت مسألة النظر على هذه الأوقاف فعلمت أن فضيلته فضل أن يؤول إليه في أول الأمر فاطمأنت لذلك .

ولقد صادفت من حكومة السودان كل حفاوة وتسهيل لمهمنى ، وعلى الأخص من السردار ونجت باشا إذ أخطر كل الجهات التى زرتها للاحتفاء في ودعائى للعشاء مع الجنرال هاملتون .

وقد صادف أثناء وجودى في الخرطوم إقامة حفلة سنوية يقسمها الانجليز فدعيت إليها ، وقد لفت نظري أنه لم يكن هناك مطربىس غيرى وسعادة شخير باشا .

كذلك أقام الضباط المصريون حفلة شاي احتفاء بنا في ناديهم لاقبنا فيها من الحفاوة والاکرام ما أثلج صدورنا وجعلنا نشعر بما بين المصريين من روابط المودة المتينة .

وقد نظمت لنا رحلة من الخرطوم إلى أم درمان على زورق من زوارق الحكومة السودانية ، فزرننا هذه المدينة القديمة وشاهدنا فيها آثار الحرب التي خربت كثيراً من مبانيها ودورها . ومن أروع ما يشاهد في هذه الرحلة خط التقاء النيلين ، الأبيض والأزرق ؛ ولون الماء فيهما هو سبب هذه التسمية . ويمتد هذا الخط واضحاً إلى أكثر من كيلو مترين قبل أن يتم امتزاج المياه ، وكانت هذه الزهرة جميلة جداً .
وعدنا في ٩ منه فبلغت القاهرة في ١٦ منه ورفعت تقريراً عن الرحلة إلى الخديو .

الخطوة الثالثة في اصلاح الوزهر . وكذلك ثارت معارضة شديدة عند نظر قانون الأزهر الجديد رقم ١٠ لسنة ١٩١١ في أيام ٧ و٦ و٧ و٨ أبريل الذي قامت بوضعه لجنة برئاسة فتحي زغلول باشا وكيل الحقانية ، وكان أظهر الأعضاء المعارضين لبعض مواد هذا القانون اسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا وفتح الله بزكات بك .

وقد كان موضع الاعتراض هو المادة ١١ ، التي تقضى بأن الخديو له الحق في رئاسة مجلس الأزهر الأعلى عند الاقتضاء ، والمادة ٢٣ ، التي تقضى بأن يختار الخديو رئيس الأزهر من بين هيئة كبار العلماء .

وكانت حجة المعارضين للمادة ١١ ، أنها تنقص من حرية الأعضاء في المناقشة كما أن فيها مضیعة لوقت الخديو في نظر المسائل الجزئية والاشتغال بها عن المسائل العامة ، وكانت حجتهم في معارضة المادة ٢٣ ، أنها لا تمكح حرية اختيار الشيخ لهيئة كبار العلماء وهم أعرف بأنفسهم .

وقد انتهت المسألة باقرار هاتين المادتين بحكم الأغلبية .

تنفيذ قانون الأزهر الجديد : سبقت الإشارة إلى عرض قانون الأزهر الجديد رقم ١٠ لسنة ١٩١١ على مجلس شورى القوانين ، وقد صدر به الأمر الخديوى في ١٢ أبريل .

وفي ٤ يونيو عقد مجلس الأزهر الأعلى بحسب هذا النظام الجديد برئاسة الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع وحضور الشيخ بكرى عاشور الصدى الملقى والشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية وأحمد فتحي زغلول باشا وكيل الحقانية

مذكراتى فى نصف قرن ج ٢

وأحمد ذهني باشا ناظر مدرسة المهندسخانة وكننت عضواً فيه باعتباري مدير ديوان الأوقاف .

وقد سألتني أحمد فتحى زغلول باشا عما إذا كان ديوان الأوقاف يسمح بتقديم ما تدعو إليه الحاجة من المال لتنفيذ النظام الجديد فأجبت بأن سمو الخديو قد أمر بوضع مبلغ ثلاثة آلاف جنيه تحت تصرف المجلس الأعلى للأزهر للاتفاق منه حتى نهاية هذه السنة .

ثم قرر المجلس سريان القانون الجديد على جميع المعاهد إلا فيما يتعلق بالمنهاج ، فقرر ألا يسرى إلا على الطلبة الجدد من بدء العام القادم .

رأى الخديو وغورست في المعارضة في مجلس شورى القوانين . وقد كانت هذه المناوشات سبباً في ازدياد نشاط المعارضة والحركة الديموقراطية العامة مما دعا إلى اهتمام الخديو بها ، فقد كان مسافراً للاسكندرية في يوم ٢٦ أبريل وقابله للوداع أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية فألقى عليهم خطبة جاء فيها :

رأى الخديو في المعارضة : « أتأسف أن بعض الأعضاء قد اشتغلوا بسفاسف الأمور والشخصيات التي جعلوها في شكل عموميات ، أكثر من اشتغالهم بالأمر الهامة العائدة على البلاد بالخير .

« إنى هنا منذ سنة ١٨٩٢ ولم يحصل ولم أسنع أن واحداً من حضرات أعضاء المجلس أو الجمعية طلب لنفسه رتبة أو نيشاناً .

« والواقع أن كثيراً من أعضاء المجلس قد طالت خدمته فيه وأدوا خدمات جمة للحكومة والأمة ثم خرجوا منه ، وبمضهم توفى ، ولم ينالوا رتبة سامية .

« قلت : إنى منذ الثمانية وعشرين عاماً التي انقضت على المجلس لم أسمع أن واحداً من أعضائه طلب لنفسه رتبة أو نيشاناً ، ولكنى في هذا العام سمعت أن بعضكم سعى للحصول على رتبة سامية وغضب على نيشان مطلوب له .

« بل سمعت أن هذا الشخص قال أمس على مسمع من كثيرين إنه قد طلب له نيشان ورفضه ؛ ولكن كلامه هذا ناقص ، وكنت أحب أن يكمله وأن يكون صاحب مبدأ صحيح في رفض هذا النيشان وصاحب المبدأ يجب أن يتخذ أساساً في حياته ، فلا يقبل الرتبة قبل ٢٤ شهراً ، ثم يرفض النيشان الآن ، لأنه نيشان لا رتبة سامية ! »

وقد تحدث سموه يوم ١٣ مايو مع رئيس تحرير جريدة إيجهت فعاد لهذا الموضوع قائلاً إن هذه الحركة الصناعية لا تقلقه لأنه واثق من هدوء الشعب المصرى . وإن الدستور الذى تنشده الأمة هو أول من يسعى لتحقيقه لأنه يريحه من الأعباء المثقلة ، ولذلك فهو يمهده باصلاح الشؤون الداخلية ، وترقية مستوى الشعب وخبرته . وذكر أن الحرية أسمى استعجالها مما اضطر الحكومة لبعث قانون المطبوعات .

رأى غورست في المعارضة : ولم يكن الحديو وحده هو الذى اهتم بالمعارضة ، فان السير دون غورست تحدث عنها في تقريره السنوى الذى ظهر في ١٠ مايو ، فأشار إلى أن هناك روحاً عدائية ظاهرة في مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية لمشروعاته الاصلاحية وللسياسة الانجليزية عامة ، وأن هذين المجلسين أصبحا آتئين في يد الحزب الوطنى للتبنيج والتحريض . واستشهد على ذلك بطلب المجلس والجمعية للحكومة دستورية تامة وحملتهما المنكرة على الحكومة فيما يتعلق بالميزانية والسودان والعداوة والروية اللتين ظهرتتا في مشروع قناة السويس إلى أن قال :

« فلا نظارة بطرس باشا ولا نظارة محمد سعيد باشا استطاعتا أن تتوليا قيادة المجلس حتى الآن ، أو أن تنشأ حزبا قويا للحكومة . مع أن رجالها مشهود لهم عند الجمهور بأنهم من أعقل المصريين وأقدرهم ، وكذلك البرنس حسين كامل باشا الذى قطع الأمل ، وعدل عن السعى في إدخال روح النظام والاعتدال إلى المجلس في مداولاته ؛ ولما استعنى من رياسته لم يكن من يقبل هذا المنصب الذى لا يعترف لمن فيه بالفضل . بل كان المصريون يرفضونه واحداً بعد واحد . »

ثم ذكر أن هذه الحالة تدعو للنظر في اختيار طريقتين : طريقة حكم مصر بمعاونة نظار من الوطنيين ؛ وطريقة السعى في تنشيط المجالس النيابية ، لأن الطريقتين أصبحتا متعارضتين ، لا كما كان يحسب أنهما ستسيران معاً بالتعاون . وقد فضل الطريقة الأولى لأن النظار يختارون من أكفأ المصريين ، على حين أن النواب لا ينيبون في الحقيقة إلا عن فئة البكوات والباشوات الأغنياء ، ولا يستطيعون مقاومة أى تحريض كاذب تصطنعه جماعات قليلة من ذوى الأغراض .

وختم تقريره بأن هناك كثيرين ينتقدون سياسته في مصر من الانجليز أنفسهم ، وأن هذا الانتقاد منشأه عدم تفهم المهمة الشاقة التى تودها السياسة الانجليزية في مصر ، وأنه إذا كان هناك فريق يعادى هذه السياسة فيها فليس من المستحسن أخذ الجميع بالشدّة .

المؤتمر القبطي . سمعا بفكرة عقد مؤتمر قبطي ، لبحث مطالب الأقباط وشكواهم قبل مقتل بطرس باشا ، وقد أخذ بعض أعيان الطائفة يعمل سراً لعقد هذا المؤتمر ، ويبت روح السخط بين الأقباط ويصور لهم أنهم مغيبون في الوظائف والحقوق العامة ، وكانت صحيفتنا الوطن ومصر تنفخان في هذه الروح .

معارضة بطرس باشا لها : وقد قابلت بطرس باشا وتحادثت معه في أمر هذه الحركة وعواقبها الخطيرة ، وتفريقها للأمة ، فطفا نتي بأنه لا خوف منها ، وأنه لا يسمع باستفحالها . وقد كان بالفعل معارضاً لها حتى أرسل إنذاراً لجريدة الوطن بسبب هذه الحركة .

ولما حدثت حادثة اغتياله ، زادت الحركة قوة وبدأ الكثيرون من الأقباط يريدون على الكتابة في الصحف القبطية ، الشكوى إلى الصحافة الانجليزية .

كلمة الأستاذ واصف بطرس غالى عن العنصرين : ولذلك أخذ اسماعيل أباطه باشا في تأليف لجنة للتوفيق بين الأقباط والمسلمين قبل استفحال الخطر الطائفي ، وكتبت جريدة الريفورم منوهة بهذا المجهود ، فكتب لها واصف غالى كلمة بتاريخ ٢٣ يناير ملخصها أن الوفاق تام بين العنصرين فلا يحتاج إلى لجان ولا مؤتمرات ، وأنه هو شخصياً قد تناسى الحملات التي وجهها بعض الكتاب في الصحف للمرحوم والده ، لأنها لا تعبر عن رأى عقلاء الأمة .

وذكر في رسالته أن الخديوي قال له بعد مقتل والده : « كما أن الشيء الناصع لا تشوبه شائبة ، فإن عمل المرحوم بطرس باشا مسجل في التاريخ لا يمسه شيء . »
وأن شيخ الأزهر قال له في اليوم التالي : « إن ذلك المسيحي عمل من الخير للمسلمين ما لم يقدر على عمله كثير منهم . »

واتتهى من كتبه بقوله : « فهلوا إذن يامعشر المسلمين والأقباط ، لنضم بعضنا إلى بعض كالبنيان المرصوص حتى لا يميز في المستقبل بين مصرى ومصرى ، والعمل جميعاً باخلاص لما فيه خير البلاد . »

انعقاد المؤتمر ومطالبه : وعلى الرغم من جهود عقلاء المسلمين والأقباط فان فكرة عقد المؤتمر القبطي لم تضعف ، وتولى الدعوة إليه مطران أسيوط وجماعة من أعيان الوجه القبلي ، وحدد له يوم ٦ أبريل .

وقد تخوف القائلون بالفكرة من عقده في أسبوط وخشوا من مسيلها أن يلحقوا بهم أذى ، وأرادوا عقده في القاهرة وخصوصاً بعد أن قامت مشاجرة بين المسلمين والأقباط بالقرب من كنيسة أسبوط يوم ٤ أبريل . ثم عادوا فطلبوا الترخيص بعقده في أسبوط ، وبعد أن تأكدت الحكومة من المحافظة على الأمن عند انعقاده رخصت بعقده .

وقد خطب فيه : توفيق دوس بك ومرقس حنا افندى وأخوخ فانوس المحامى . وتلخص المطالب التي انتهى إليها في طلب العطلة يوم الأحد بجانب الجمعة ، وأن تكون القناعة للتوظف هي الكفاءة وحدها ، ووضع نظام لمجالس المديرية يكفل للأقباط تمتعهم بالتعليم ، حتى لا يقتصر التعليم على الدين الإسلامى وحده ، ووضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصرى في المجالس النيابية .

المؤتمر المصرى ومباهمة . أحدث مؤتمر الأقباط ثغرة في الأمة ، وتنافراً بين العنصرين وأخذت صحف الفريقين تتنابد تنابداً خطراً .

لذلك رأى جماعة من عقلاء الأمة تلافى هذه الحالة بإجتمع مؤتمر مصرى ، يبحث في شئون المصريين جميعاً بما فيها مطالب الأقباط . باعتبارهم جزءاً من وحدة الأمة . ورأس هذه الحركة رياض باشا فنسبت الأمة أخطاه السياسية والتفت قلبها حوله .

وقد اجتمع المجلس لأول مرة يوم ٢٩ أبريل بواحة عين شمس بفندق « الهليوبوليس » وحضره نحو خمسة آلاف من جميع المديرية والطبقات .

واقفحه رياض باشا بخطبة جاء فيها :

« دعوناكم وفيكم صفوة الكتاب والمفكرين لتتشاوروا في بعض المسائل العمومية الشاغلة للرأى العام في الحالة الحاضرة .

« ومن بين هذه المسائل مسألة ما كنا نود لها وجوداً وهي ما يسمونه بمطالب الأقباط ، لأن حالة البلاد لا تسمح بتقسيم المصالح بين أبنائها تبعاً لانتقساماتهم الدينية .

« وسنعرض عليكم موضوعات أخرى أدبية واقتصادية لتقررروا فيها الوسائط التي تساعد على رقى حالة التعليم ونمو الثروة العمومية ، وإنى لا أشك في أنكم ستحكمون في مداولتكم ورغباتكم روح العدل والميل إلى تأييد الروابط الوطنية بينكم وبين سائر

إخواننا وأبنائنا من أبناء الديانات الأخرى ، إلا أن ذلك لا ينعنى من أن أوصيك بأن تراعوا في مباحثاتكم وطلباتكم فوق روح العدل والانصاف ، روح التسامح والانعطف ، الذى عرفت به دياتنا السمحاء .

ثم تلاه احد لطفى السيد بك فألقى تقرير اللجنة التحضيرية للمؤتمر .

وعقدت الجلسة الثانية بعد الظهر فخطب فيها الدكتور هـ أبانا باشا ، خطبة موضوعها ، إن عناصر الجنس المصرى كلها من أصل واحد .

وخطب بعده محمود أبو النصر فى موضوع ، عطلة يوم الأحد ، وبعده محمد حافظ رمضان بك فى ، العوامل الاجتماعية للحركة القبطية .

وفى ٣٠ أبريل عقدت الجلسة الثالثة وخطب فيها احمد عبد اللطيف بك المكباتى عن ، الأقلية والمجالس النيابية ، ثم الشيخ عبد العزيز جاويش فى ، جعل الخزانة المصرية مصدراً للانفاق على جميع المرافق المصرية بالسواء ، و ابراهيم الهلباوى بك فى ، إسناد الوظائف للأكفاء .

وفى ٢ مايو انعقدت الجلسة الرابعة والخامسة وخطب محمد أبو شادى بك والشيخ على يوسف عن ، التعليم فى مصر ، وعلى الشمسى افندى فى ، التعليم العملى ، و ابراهيم رمزى بك عن ، الصناعة فى مصر ، وعبد الخالق مذكور باشا عن ، وسائل ترقية التجارة والصناعة ، وعمر لطفى بك فى ، التعاون المالى والقنابات الزراعية .

وفى ٤ مايو عقد المؤتمر جلسته السادسة الأخيرة ، وكتب مذكرة عن المسألة القبطية تلخص فى أن المؤتمر لا يرى إمكان قسمة الحقوق السياسية فى مصر بين طوائفها الدينية المختلفة ، وأنه ليس من حقوق أبناء أى طائفة دينية أخرى أن تطلب عطلة يوم الأحد أو غيره من الأيام ، وأن تظل العطلة الرسمية هى يوم الجمعة فقط . وأن قاعدة التعيين فى وظائف الحكومة هى الكفاءة من جميع وجوهها عملية وإدارية وأخلاقية معاً . وأنه لا يرى تعديل قانون الانتخاب بما يجعل لكل طائفة دينية مصرية دائرة انتخابية خاصة . وعدم الموافقة على إعطاء كل طائفة من طوائف الأمة المصرية ما تجبیه منها مجالس المديرىات لتنفقه كما تشاء .

وقد وافق على معظم الاقتراحات التى عرضت عليه خاصة بحالة الأمة الاجتماعية والاقتصادية . كانشاء بنك وطنى وعقد مؤتمر للتعليم وتأسيس القنابات الزراعية :

هدريت غورست والمديون الموترين . تحدث السير الدون غورست في تقريره الذى ظهر يوم ١٠ مايو عن مسألة الخلاف بين المسلمين والأقباط مبتدأً بجرمة مقتل بطرس باشا وقال : إنه يعتبر الجريمة سياسية وليست طائفية كما كان يعتقد عند وقوعها .

ولكن مسلك الحزب الوطنى مع الوردانى جعل الأقباط يفهمون أن الجريمة طائفية وأدى ذلك إلى كثرة النقاش والمجدل على صفحات الصحف والمناظرة بين الفريقين حتى اقتضى الأمر تنفيذ قانون المطبوعات وإنذار بعض الصحف مرة واثنين كالوطن ومصر ؛ وحتى وقعت عدة حوادث بين الأقباط والمسلمين عولجت بمتهمة الحكمة من الحكومة .

ثم أشار إلى مسألة طلب الأقباط لتعليم الدين المسيحى فذكر أن الأمر فى الواقع لم يكن يخلو من فرق فى المعاملة بين الأقباط والمسلمين ، واستصوب لإجابة الأقباط إلى ما يرومون على قدر الامكان من هذا القبيل .

ثم عرض لبقية مطالب الأقباط ولا سيما مسألة التوظيف ، وذكر أنها ليست مبنية على أساس وظيفى ثم استشهد بمجدول لعدد الموظفين المسلمين والأقباط فى كل مصلحة ، واستدل منه على أن عدد الأقباط ورواتبهم يفوقان كثيراً نسبتهم العددية .

حديث الخديو عن المسألة القبطية : وقد تناول سمو الخديو هذه المسألة كذلك فى حديث له مع رئيس تحرير جريدة إيجهت يوم ١٣ مايو فأظهر ارتياحه لأعمال المؤتمر المصرى وما بدا فيه من الهدوء والروية ، ودعا الأقباط إلى البدء بمد يديهم لآخوانهم المسلمين لأنهم بدءوا بالخسومة .

سفر الخديو للاستانة . عزم سمو الخديو على السفر للخارج فأصدر إرادته إلى رئيس النظار محمد سعيد باشا يوم ١٢ مايو بأن يكون قائم خديو مدة غيابه . وقد أبحر من الاسكندرية يوم ١٥ منه إلى أراضيها بالضمان وبقى بها حتى يوم ٢٩ منه ، حيث جاءتنا الاخبار بمبارحته لها إلى الاستانة فوصلها أول يونيو .

وقد بقى فى الاستانة مدة أسبوعين وسافر منها يوم ١٦ يونيو إلى قوله فوصلها يوم ١٧ منه فأقام بها يومين ثم غادرها إلى فينا .

وفى أول يوليو غادر النمسا إلى باريس وبقى بها حتى يوم ٢٠ يوليو .

حديث عباس مع مكاتب جريدة الفيجارو بياريس : بينما كان عباس في باريس نشرت جريدة الفيجارو في عددها بتاريخ ٤ يوليو حديثاً معه عن شؤون مصر المادية والأدبية نلخصه فيما يأتي :

قال إن مصر تحملت في السنوات الأخيرة أزمة مالية شديدة غير أنها والله الحمد تخلصت منها بسبب خصوبة أراضيها وجهود مزارعيها .

وأما عن المسائل الأدبية فإن البلاد تطورت تطوراً عظيماً وبعد أن كان المصري لا يهتم بالتعليم فإنه اليوم يجعله من أهم غاياته ؛ ولهذا فإن المدارس تنشأ في أنحاء البلاد وهي خاصة بالطلاب وأن البعثات العلمية إلى أوروبا تزداد انتشاراً .

وأما عن التقدم المادى والأدبى فاتى عند تجمالى في داخلية البلاد أشعر بأن الأهالى صاروا أكثر تنوراً واتباعاً مما كانوا عليه عند توليتى العرش في سنة ١٨٩٢ .

ومز أهم النظم التى وجدت المجالس البلدية التى أعطت الأهالى بعض السلطة لإدارة شؤونهم . ورغبة منهم فى نشر التعليم قررت زيادة الأموال خمسة فى المائة لذلك حتى أصبح الآن التعليم الأولى والابتدائى والزراعى والصناعى عاماً فى جميع أنحاء البلاد . أما الحكومة فأخذت على عاتقها التعليم الثانوى والعالى .

أما عن نوع الحكم فى مصر فقال سموه إنه شخصياً ضد الاستبداد ولكنه يرى وجوب زيادة اشتراك الأمة مع الحكومة فى إدارة شؤون البلاد الآن حتى يتسنى لها الاستعداد للحكم النيابى لأن بلادنا غير بلاد أوروبا .

وقال أيضاً : وجد بين المصريين بعض المتطرفين الذين أفسدوا ثقة الحكومة فى رزاة الشعب بأن ألحوا بطلب الدستور وسخطوا على الحكومة لرفض طلباتهم وعدوها عدوة للأمة ، فاضطرت الحكومة لإصدار قوانين جديدة ضد الصحافة ، ولكن لم تطبق لأن الأمة لم تسائر المتطرفين بل اتخذت طريق الحكمة والاعتدال . ثم تكلم سموه عن المجالس النيابية فقال : إن العمل فيها سائر على نظام تام والجميع دائرون فى عملهم بجدّة وليس هناك ما يقال بأن الهدوء فى البلاد معناه ضعف فى وطنية الأمة فإنها لم تكن أكثر قوة عما هى فى الوقت الحاضر .

وأما بالنسبة للأقباط الذين يظنون أنهم مظلومون بجانب المسلمين فقد قال سموه إنه رغم رجاء الأقباط فى مطالبهم إلى غير ما كهم الشرعى فإن عطفي عليهم ليس بأقل

من عطفي على المسلمين في وقت ما كما هو شأنى مع كافة الرعايا المصريين على اختلاف دياناتهم وجنسياتهم . ثم أكد أن تسامح المسلمين سائد مع إخوانهم الأقباط . وقد شكر المكاتب لسمو الخديو هذه المعلومات واستأذن في الانصراف .
زيارته لإيطاليا وحفاوة ملكها به : وفي ٢١ منه سافر إلى تورينو بإيطاليا ومعه عمه البرنس فؤاد باشا بناء على دعوة ملكها لسموه .

وفي صباح اليوم التالى قصد قصر الكورنيجى حيث كان الملك فى استقباله عند أسفل سلم القصر ورافقه إلى حجرة الجلوس التى كانت تنتظره جلالة الملكة فيها .
وفي المساء أقيمت لسموه مأدبة فخمة جلست فيها الملكة فى الصدر وعلى يمينها الخديو وعلى يسارها البرنس فؤاد وأمامها الملك والبرنيس هيلانه وسعيد ذو الفقار باشا ، وأهدى الملك لسموه صورته فى إطار بديع ، وقلد سعيداً ذا الفقار باشا وسام تاج إيطاليا من الدرجة الأولى ، وأنعم بمثل هذا الوسام على رمزى طاهر باشا السرياور وفى اليوم التالى زار المعرض الايطالى .

ثم برح تورينو مساء إلى سويسرا يوم ٢٣ منه وقد بقى سموه فى أوروبا حتى منتصف أغسطس وعاد إلى مصر فى ٣١ منه .

وفاته رياض باشا رئيس المؤتمر المصرى . توفى مساء يوم ١٧ يونيو مصطفى رياض باشا فى قصره بالاسكندرية فكان الخبر وفاته رنة حزن وأسف عند جميع المصريين ، وقد نقلت جثته يوم ١٨ منه من قصره إلى محطة الرمل ، فى قطار خاص مؤلف من ثلاث عربات وضعت الجثة فى إحداها ، وركب فى الثانية الأميران حسين كامل باشا وعمر طوسون باشا والقائمقام الخديوى (محمد سعيد باشا) إذ كان سموه بالاستانة ، وناظر الأشغال والمعارف . وركب فى الثالثة أسرة الفقيه .

وقد سارت الجثة فى موكب رهيب حتى وضعت فى قطار خاص إلى مصر ، فبلغها حوالى التاسعة مساء ، فاستقبله فى محطاتها على بك صديق وكيل المحافظة وكثير من أعيان المصريين وثلة من رجال البوليس .

ونقلت الجثة إلى حجرة الاستراحة محمولة على أيدى ٢١ بحاراً مصرياً ، وظلت بهذه الغرفة حتى الصباح .

وفى ١٩ منه ازدحمت محطة مصر بالأمراء والنظار والعلماء وكبار الموظفين

والأعيان الذين جاءوا لتشيع الفقيد، وانتشر البوليس في الطرق التي يجتازها، ونكست الفنادق والأندية الأعلام حداداً عليه، وأغلقت الحكومة دواوينها ومصالحها كذلك. وعند الساعة العاشرة نقلت الجثة من غرفة الاستراحة ملفوفة بالعلم المصرى، ومحمولة على أكف البحارة فوضعت فوق عربة مدفع من مدافع الجيش، وسار المشهد يتقدمه أرباب الأشراف، فشيوخ المولوية فأورطة السوارى الثالثة وبأيدى بعض فرسانها المزاريق، وبأيدى الآخرين سيوفهم منكسة، فبطارية الطوبجية الثالثة منكسة بناذقها، فلاميد المدرسة الحربية، فأورطنا القيادة الثالثة والسابعة ومع كل منهما موسيقاها توقع نغمات الحزن، فكبار الضباط العسكريين الذين بالقاهرة من انجليز ومصريين. وتلهم جميعاً جثة الفقيد تحيط بها ثلة من فرسان البوليس، ووراءها العلماء ثم قائمقام الخديو والبرنسان حسين كامل باشا وعمر طوسون باشا وغيرهم. وصلى على الفقيد في جامع قيسون، ثم دفن في الامام الشافعى.



الفرنس عمير طوسون باشا



الفرنس حسين كامل باشا

وفي مساء يوم ٢٨ يوليو أقيمت حفلة تأبين للفقيد العظيم في مدفنه . حيث أقيم سرادق ضم عظام مصر وعلماءها . وكنت أحد الحاضرين بهذه الحفلة . وقد أبن الفقيد عدد كبير من عظام مصر وأدبائها منهم محمود فهمى باشا رئيس

الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين واحمد زكي باشا ومحمد حافظ رمضان بك وحافظ ابراهيم بك والشيخ محمد نجيت وسواهم .

وظلت الصحف تنشر الفصول في مآثر الفقيه وتاريخه ، والقصائد في رثائه .

وفاة غورست وتعيين كتشنر . ساءت صحة السير الدون غورست المعتمد البريطاني في مصر فقصده إلى لندن يوم ١١ أبريل من هذا العام .

وفي يوم ١٢ يوليو وردت الأخبار البرقية منبئة بوفاته . وقد احتفل هنا بالصلاة على روحه في الكنيسة الانجليزية بيولاقي وحضر هذا الاحتفال احمد شامت باشا القائم بأعمال نظارة الخارجية المصرية ، بصفته نائباً عن الحكومة المصرية .

تعيين اللورد كتشنر : وفي ١٤ يوليو قرأنا في البرقيات أن لورد كتشنر عين خلفاً للسير الدون غورست .

وقد كان تعيين كتشنر مثاراً للقلق في دوائر السراي لأنه رجل عسكري معروف بالشدة من جهة ، ثم هو معروف بعدائه للخديو من جهة أخرى منذ حادثته الحدود ، فارتقبنا أن يكون تعيينه بدء سياسة جديدة غير سياسة الوفاق التي سار عليها السير الدون غورست ، وتوقعنا أن تعود المصادمات بين المعتمد الانجليزي والخديو .

انحياض السياسة الجريفة . ولم تلبث الصحف الانجليزية أن أيدت ما توقعناه . فانه لم يكذب يصل إلى مصر يوم ٢٧ سبتمبر حتى كتبت جريدة المورننج بوست تقول :
« إن اللورد كتشنر قد عين في هذا المنصب لأنه من أعظم الذين وضعوا أساس مركزنا في مصر ، واشتغل في عمل عظيم . رجال الادارة الذين كانوا قبله فيها .

« ولكن كانت النتيجة السقوط في هاوية من الارتباك والتشويش بسبب سياسة السير الدون غورست ، الذي كان قد أرسل لاتباع سياسة اعترف هو في تقريره الأخير بخطئها . فهمة اللورد كتشنر أن يقلل هذا الارتباك ؛ ويعيد النظام ، وأن يعود للارهاب مع نشر التمدن ، وإيجاد حكومة جيدة . »

وكتبت جريدة الديلي جرافيك عن صعوبة مهمة اللورد كتشنر تقول :

« إن هذا الشعب ساخط على الدوام وجاحد ومرتكب على ما يعتبره حقاً له ، وهو شعب حرر من رق العبودية ولكنه يعادى المصالح الانجليزية . »

و الذى يجب أن يعرفه المصريون أنه مهما كانت الظروف والأحوال فانه لا يمكن الرضا عن أمانهم بالنسبة لمصالحنا العديدة التى ألجأتنا إليها حالة وجودنا فى مصر ثلاثين سنة .

و ربما يمكن التفاهم حينما يدرك المصريون الحدود الواجبة فى تدبير آمالهم السياسية ، وإن اللورد كيتشر حائز . لكل الصفات اللازمة لهذا الحل ، و كتبت صحف الإنجليزية أخرى مقالات لا تخرج عن هذا المعنى .

ولقد أخذت سياسة كيتشر تتضح بعد قدومه مباشرة فى اهتمامه بأبسط المسائل وتدخله فى ككل كبيرة وصغيرة ، وقيامه برحلات فى الأقاليم والاتصال بالفلاحين مباشرة ، بما سأتق على ذكره فيما بعد .

الانعام على " بنيشان ايطالى " . وردلى خطاب بتاريخ ٢٩ أغسطس من صاحب السعادة ناظر الخارجية حسين رشدى باشا يعرفنى فيه بأن حضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا أنعم على " بنيشان " كورون دى إيتالى ، من الدرجة الثانية وأن الجناب الحديوى أذن لى بقبول هذا النيشان .

وفى ٢٨ أكتوبر وردلى من سعادته أيضاً خطاب ومعه النيشان وكذلك خطاب آخر من ناظر خارجية إيطاليا بالتهنئة فرددت عليه بالشكر على هذا الانعام .
أهمانى فى ديوانه الأوقاف .

الأوقاف الأهلية : كانت الاعمال الخاصة بالأوقاف الأهلية التى يديرها الديوان منقسمة إلى قسمين منفصلين : أحدهما إدارى يتبع قسم الأوقاف الأهلية والآخر حسابى يتبع قسم الحسابات . لجمعت العاملين فى قسم الأوقاف الأهلية تسهياً للعمل وإنجازته ومتناً للشهادة والمجادلة التى كانت تقع أحياناً بين القسمين القائمين بالعمل .

وقد تم فى هذا القسم وضع قاعدة لصرف مرتبات شهرية للمستحقين فى الأوقاف الأهلية على نسبة إيرادهم سداً لحاجتهم الوقتية دون انتظار لآخر السنة فكان فى ذلك راحتهم وتوفر على الديوان كثرة ترددهم وإلحاحهم فى الصرف على الحساب طول أوقات السنة .

قسم القضايا : كانت قد شكلت لجنة عليا لفحص أعمال قسم القضايا ووضع النظام اللازم له ؛ ولكن نظراً لما كان متراكماً فى القسم وفى فروع من القضايا ، اشتغل القسم بتصفية العمل القديم مع الأخذ بأسباب التنظيم على التدرج . وقد ضم إليه قسم المباحث

الحقوقية وقيم العقود لما بين عملهما وعمل القسم من صلة وتجانس، وعدلت طريقة تكليف المحامين في الجهات بالقضايا واستبدلت بها تعيين عدد من المتدربين القضائيين في المأموريات ليتفرغوا لهذا العمل وتكسيهم الصلة المستمرة بأعمال المصلحة علماً أوسع بمشاكله وأسبابها وتفاصيل موضوعات القضايا أكثر من سواهم في الخارج .

قلم التحصيلات : وأنشأت في قسم الإيرادات قلماً جديداً باسم قلم التحصيلات وذلك لما تبينته من حاجة الديوان الشديدة لمراقبة سير التحصيل في الفروع مراقبة فعلية ومن عمل هذا القلم تمهيد طريق السداد بالحسنى للمتأخرين دون الالتجاء لدوائر القضاء إلا في الأحوال التي لا تتجح فيها وسائل التراضي .

الاحتياطي للمعاشات : وقد كان المتحصل من احتياطي المعاشات ومكافآت المستخدمين، يضم إلى ميزانية إيرادات الديوان مقابل احتساب ما يصرف من ذلك في ميزانية المصروفات العمومية فرأيت أن الاستمرار على هذه الطريقة قد يحمل ميزانية المصروفات ما يؤثر في وجوه الصرف الأخرى . فعمل حساب هذا المتوفر واستبعد من الميزانية العمومية وفتح له حساب خاص واشترى به من أطيان الأوقاف بمجهة يبا ما يستثمر لمصلحة الميزانية الخصوصية للمعاشات والمكافآت .

الاشهار في المزاد العلني : وقد كان الاشهار في المزاد يجرى بغير تحديد لمواعيد مما يجعل للناس سيلاً دائماً للنافسة والانتقام فينجم عن ذلك الضرر لهم وللديوان؛ إذ كان يترتب على هذا تأخير أعماله، فقررنا تعديل بعض أحكام لائحة التأجيلات لتقديم مواعيد البدء في الاشهار وتحديد عدد الجلسات ومواعيدها، ووضعت الشروط اللازمة لقبول العطاءات بكيفية تضمن معها استقامة العمل وإنجازه في الأوقات المناسبة حتى يحدد الديوان الوقت الكافي لتحرير العقود النهائية مع من يرسو عليهم المزاد وتحقيق الضمانات التي يقدمونها .

تعديل مواعيد الأقساط : ولقد وجدنا الحاجة ماسة لتعديل مواعيد سداد أقساط الإيجارات بما يتفق مع الوضع الجغرافي لكل منطقة في القطر وأوان المحصولات فيها . فكان من نتائج هذا التعديل زيادة ضمان حقوق الديوان .

تحديد مساحة الصيني : ووضعنا كذلك نظاماً نافعاً لتحديد مساحة الأطيان المزروعة صيفاً، وثقنا معه من زوال كل المشاكل التي كانت تقوم في هذا الشأن .

تطهير المساق والمصارف : وقد لاحظت أن المستأجرين لا يوجهون العناية الواجبة لحفظ الأراضي في حالة مرضية فيهملون تطهير المساق والمصارف الفرعية . فعالجت هذه الحالة بأن قررت قيام الديوان نفسه بهذا العمل على حساب المستأجرين محافظة على خصوبة الأراضي .

المستوصف العباسي : وقد فتح في أوائل سنة ١٩١١ المستوصف العباسي لمعالجة قفراء المصريين بعد أن قام الديوان بالاتفاق على إنشائه ثم قرر مساعدته باعانة سنوية عندما كانت إدارته في يد جمعية المستشفيات والعيادات المجانية المصرية .

ولمالم توفق الجمعية المذكورة لوجود المساعدة من أهل البر بما يضمن لها نفقات هذا المستوصف كان لابد لديوان الأوقاف من أن يقوم بالاتفاق عليه . فرأينا أن نضمه لإدارة الديوان في سنة ١٩١٢ وتتكفل بكل نفقاته التي أعانه على الاقتصاد فيها تبرع حضرات الأطباء الأفاضل المشتغلين به من مصريين وأوربيين مجاناً خدمة منهم للإنسانية . وأصبح هذا المستشفى في مقدمة المستوصفات في معالجة مرضى القفراء .

مسجد مصر الجديدة : في ٤ يونيو دعيت لحضور الاحتفال بافتتاح مسجد مصر الجديدة الذي أسسته شركة واحه عين شمس برياسة البرنس حسين كامل باشا ، وكان في المدعوين احمد حشمت باشا ناظر المعارف واسماعيل سرى باشا ناظر الأشغال وقاضى مصر وشيخ الجامع الأزهر والمفتى ومستشار الداخلية وأبراهيم فؤاد باشا ويعقوب أرتم باشا .

وابتدأت الحفلة بتلاوة آى القرآن ، ثم وقف بوغوص نوبار باشا فألقى كلمة الشركة بالفرنسية منوهاً فيها بمعاونة الجناب الخديوى للشركة في مشروعها شاكرآ فيها لسموه إنابة سمو البرنس حسين في حفلة الافتتاح ثم عرض لأعمال الشركة في بناء مساكن للعالم وإنشاء ترام سريع ، وتدرج إلى إنشاء هذا المسجد للسليين وهم غالبية سكان مصر الجديدة .

ثم قمت فألقيت كلمة بدأتها بشكر الشركة على اهتمامها بتأسيس هذا المسجد على نسق جميل يناسب جمال أبنيتها ، ورجوت أن يعقب ذلك الاهتمام مثله بتأسيس معاهد علمية وصناعية ، حتى تماثل مصر الجديدة عين شمس القديمة في شهرتها ، فيطلع عليها العرفان شمسه ، ويعيد التاريخ نفسه .

ثم نهض البرنس حسين كامل فافتح المسجد بكلمة سمعها الحاضرون وقولاً ،
ثم وقع سموه على محضر فتح المسجد ثم أديرت المرطبات .
وقد صلينا الجمعة في المسجد الجديد .

أول تقرير عن أعمال الديوان : وفي نهاية العام قدمت للجناب العسالى تقريراً
صافياً عن ديوان الأوقاف قالت عنه الصحف إنه الأول من نوعه بالنسبة لهذا
الديوان . وقد ذكرت فيه تاريخ ديوان الأوقاف وأسماء الذين تولوا إدارته من
النظار والمديرين وتواريخ تعيينهم ونهايته . ثم شرحت فصول الإيرادات وأبواب
المصروفات بتوسع ودقة في كل ناحية من نواحيه ، وقد كتبت هذا التقرير باللغتين
العربية والفرنسية ووزعته على الصحف ومثلى الدول وكبار الجاليات والموظفين
الإيجاب ليتين الإصلاح الذى وجد فى الديوان وما كان فيه من الداء الذى وصفت
له الدواء بصراحة تامة . ولما تقابلت مع الجناب الخديوى بعدها أبدى لى سروره من
أعمالى وثناءه على هذا التقرير الجامع الدقيق . وما جاء فيه :

مولاي

ه لى أشهد لمن سبقنى من المديرين فى الأزمان الأخيرة بجميل الأثر فى إدخال
كثير من النظام على هذه المصلحة . غير أن ما وضعوه لم ينتشر بين الجمهور أمره من
وقت لآخر فاستلست زمام هذا الديوان وأنا على علم بما يدور على الألسنة وما يتقوله
عليه بعض الناس بوجوه مختلفة ربما كان لهم فيها العذر لعدم وقوفهم على جلبة الأمر
ولأنهم يتخيلون فى شأنه بعض الغموض فى حالته المالية والإدارية .

ه فكان أول ما انصرف اليه همى أن أسعى جهدى فى كشف الأحوال على وجه
يزيل الشك ويجعل الناقد على بينة من أمره فابتدأت برفع مذكرة عن ميزانية الديوان
لعامنا الحاضر يبين منها أن الحالة المالية موطدة الدعائم على أحسن نظام فضلاً عن
وجود مبلغ من النقود يربو على الثلاثمائة ألف جنيه فى الخزينة .

ه وأنا أرفع الآن هذا التقرير الإدارى متكفلاً بشرح نظام الديوان وتوضيح
إدارته وأنوته فيه بكل صراحة عن مواضع النقص الذى يجب سده وما ينبغى أن يبذل
من المساعى فى سبيل الإصلاح المطلوب له وما أمكن لى فى هذه المدة القصيرة من سبل
البداية فى هذا الطريق . وقد أعدته للنشر بعد رفعه الى مقامكم العسالى فاتمة لأمثاله فى
الأعوام القادمة إن شاء الله .

مولاي

هذا منتهى ما وصلت اليه قدرة العبد الضعيف من الاحاطة بأعمال ديوان الاوقاف وبسط الكلام في توضيحها بعد أن بينت في كل قسم من أقسام هذا التقرير وجوه الآراء والأفكار وما تسنى القيام به من تعديل أو تحوير يؤدي إلى حسن الادارة ودقة النظام، وأشارت في مواضعه إلى ما انعقدت المزمجة عليه من متابعة السير في تنسيق الوضع وتوفيق العمل على قدر ما هداى اليه البحث في مدة هذا العام الأول .

ولست أدعى أنني أحطت بكل وجوه البحث والفحص في هذا الزمن القليل ولكنني على رجاء بأن أتلافى في الأعوام المقبلة ما فاتني في هذا العام إن شاء الله . ولا أزمم أنني بلغت منتهى الصواب في علاج ما عاجلته من الأعمال وإنما يمكنني الجزم بأني بذلت قصارى المجهود . فإن كنت أصبت فهو بعض ما أطلب به نفسي في حسن الخدمة وأداء الواجب ، وإن كنت قصرت فما هو عن إهمال أو توان . والله يعلم أنني ما أوردت في عملي ولا أصدرت إلا والاخلاص رائدى وابتغاء وجه المصلحة العامة قائدى . ولذلك رأيت من المصلحة أن أنشره على الملا بعد عرضه على سددكم السنية ليتناوب الامعان فيه أهل المعرفة والنظر فأقبل منهم بالقبول الحسن والشكر الواجب ما يعين لهم من الرأي السديد والفكر الصائب مما خفى على أمره وقصرت قدرتي عن بلوغه . فالنصح مقبول والحق متبع ؛ وما دامت النية خالصة فالناس في خدمة المصلحة سواء والمعول عليه في إدارة الأمور أن يسترشد فيها برأى أهل الرشد والهدى وإن عز ذلك على أهل الغرض والهوى .

والله يطيل بقاء مولانا المليك مصدراً لكل خير يفيض على أمته ويهدينا سواء السبيل في وجوه خدمتها وخدمته آمين .

العبد الخاضع
مدير الأوقاف
شفيق

مصر في يوم الأحد ١١ مايو سنة ١٩١١

أكبر أنجال السلطان رستاد في مصر نحية ملك إنجلترا :

وصوله للاسكندرية : في الساعة الثانية بعد ظهر يوم ١٩ نوفمبر رؤيت الباخرة (عثمانية) التي تقل حضرة صاحب الدولة والنجابه أحمد ضياء الدين افندى ومن معه ، وما ظهرت في مياه النهر حتى خرجت زوارق كثيرة براكبها إلى البوغاز لاستقبال الزائر العظيم ، وفي الساعة الثالثة دخلت الباخرة الميناء ، وكانت الزوارق تحيطها عن بعد ، والمستقبلون يهتفون هتاف الترحيب والدعاء للسلطان ونجله ، وفي الساعة الرابعة وصل الخديو على زورقه الخاص واعتلى الباخرة ، فاستقبله ضياء الدين افندى وقدم لسموه رجال حاشيته ، وشكره والأمة المصرية وحكومتها لهذه العواطف الكريمة . وكان من المستقبلين أيضاً كامل باشا الصدر الأعظم الأسبق ، وبعدهما هناء الجناب العالي واستراح قليلا نزل هو واحمد ضياء الدين افندى وحاشيته ومعهما كامل باشا الصدر الأسبق في الزورق إلى سراى رأس التين ، مارين بين صفوف زوارق المستقبلين من جماهير الأهليين الذين والوا الهتاف حين مرور الزورق ، وعند وصوله إلى رصيف السراى استقبلهم النظار ورجال المعية السنية وفرقة من الجنود المصرية وأخرى انجليزية ، وصدحت الموسيقى الخديوية ، وأطلقت المدافع إجلالا وترحيبا ، وصعدوا جميعا إلى السراى وتناولوا طعام العشاء ، وبعد ذلك استقل عباس مع ضيوفه القطار إلى سراى المنتزه لتمضية الليل .

سفر الخديو والوفد الشاهاني إلى بورسعيد : وفي صبيحه يوم ٢٠ منه تنزه أحمد ضياء الدين افندى برفقة الخديو وشاهد جميع محتويات هذه السراى وأعجب بها ، وبعد تناول طعام الغداء استقلا مع حاشيتهما القطار الخاص من المنتزه قاصدين بورسعيد ؛ وكانت المحطات على طول الخط مزينة بالأعلام ، والجموع محتشدة والهتاف متواصل ، حتى وصل القطار إلى بورسعيد في الساعة الرابعة مساء . وكان في استقبالها البرنس محمد علي باشا وجناب اللورد كاتشنر والسير رجينلد ونجت سردار الجيش وحاكم السودان والسير جون مكسويل قائم الحامية الانجليزية ومحمد محمود سليمان بك محافظ القنال والحكمدار وكثيرون غيرهم من كبار الموظفين والوجوه والأعيان ، وكان في المحطة بلوكان أحدهما بريطاني والآخر مصري ، ثيابا سموها ، وصدحت الموسيقى بالشهيد العثماني والمصري . وأطلق ٢١ مدفعا ؛ وقد صافح سمو الخديو

المستقبلين وقدم كثيرين منهم إلى نجل السلطان ثم نزل في رفاص بخارى إلى نخت المحروسة يصحبه الوفد الشاهاني ودولة البرنس محمد علي باشا ومحمد سعيد باشا رئيس النظار وحسين رشدى باشا ناظر الخارجية .

١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦



٥ ٢ ١ ٣ ٤

(١) ضياء الدين افندى (٢) الخديوى (٣) محمد سعيد باشا رئيس النظار (٤) حسين رشدى باشا ناظر الخارجية (٥) جنائى بك مدير تشريفات الباب العالي (٦) محمد صادق باشا ياور أول خديوى (٧) احمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية (٨) احمد بك ياور سلطانى (٩) عارف باشا بالديوان التركى (١٠) محمد عزت باشا رئيس ديوان تركى خديوى ومهندار ضياء الدين افندى (١١) طاهر رمزى سرباور خديوى (١٢) رشيد بك وكيل القبوكتخدانية المصرية بالاسنانة (١٣) عونى بك سكرتير الامير (١٤) ثابت بك أمواجى باشى السلطان .

وتناولوا طعام العشاء على المائدة الخديوية وقضى عباس وضيغه الكريم الليلة في المحروسة .

وصول ملك انجلترا وملكتها إلى بور سعيد : في الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٠ منه لاحت مدينة ، في عرض البحر بين المدرعات التي تخفرها ، ولما وصلت الميناء تشرف اللورد كتشنر بمقابلة جلالتهما .

استقبالها : وفي صباح ٢١ منه أعلن تشريف جلالة الملك والملكة رسميا ؛ فأطلقت المدافع واصطف الجنود المصرية والانجليزية لأخذ السلام وعزفت الموسيقى .

وفي الساعة العاشرة والنصف نزل الخديوى وضياء الدين افندى وجنائى افندى مدير تشريفات الباب العالي والبرنس محمد علي باشا ومحمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا

وسعيد ذو الفقار باشا السرتشريفاتي ورمزي طاهر باشا السرباور ووطن باشا الياور الخديوي وجميعهم بالملابس العسكرية في زورق بخارى وصعدوا إلى الباخرة « مدينة » فحيثهم موسيقاها بالسلام الخديوي أولاً ، وبالسلام السلطاني ثانياً ، وبعد التعارف أبلغ ضياء الدين أفندي إلى جلالة الملك تحية جلالة والده السلطان ، ثم قدم له مكتوباً رقيقاً منه .

زيارة الملك للخديوي وللأمير ضياء الدين أفندي : بعد أن تمت المقابلات بكبار الانجليز وقناصل الدول برح جلالة الملك يحته قاصداً المحروسة . فأدت البحارة السلام وصدحت الموسيقى بالشيد الملكي . وكان في استقباله الخديو وضياء الدين أفندي والبرنس محمد علي باشا وكبار الحاشية ، فصاح الخديو وضياء الدين أفندي ، ثم جلسوا في جو الاستقبال وتبادلوا الحديث برهة من الزمن ، وبعد ذلك عاد الملك بزورقه إلى يخته .

وفي ظهر هذا اليوم تناول طعام الغداء مع الملك والملكة الخديو والأمير وجناني بك والبرنس محمد علي ورئيس النظار وناظر الخارجية وكبار الحاشية وكتشتر ووجت ومكسويل وكذلك المستشاران للمالية والداخلية وقناصل الدول . وبعد تناول الطعام والقهوة دار الحديث بصفة ودية بين الملك والملكة وضيوفهما ، وقد اختلئ الملك مع كامل باشا ، ثم ودع جلاتهما الجميع ، ورجع الخديو وضياء الدين أفندي ومن معها إلى المحروسة .

عود الخديو وضيوفه إلى القاهرة : بعد تناول طعام العشاء يوم ٢١ منه بارح الجميع بورسعيد على القطار الخاص بصفة غير رسمية الساعة ١١ مساء فوصلوا إلى سراى القبة في صباح اليوم التالي ، وزيادة في الحفاوة بضياء الدين أفندي لم يشأ عباس أن يجعل إقامة دولته في الأيام القصيرة التي يقضيها بعيداً عنه ، فخصص له جناحاً في سراى القبة مزيناً بالرياش الثمينة الفخمة يرافقه ثابت بك أئواجي باشي السلطان ، وقد اهتمت دولة الوالدة بتنظيم غرفة نومه وكان ذلك بوجود محمد عزت باشا وزميله محسن بك فوزي . وقد علمت من الأخير أن القراش كان في غاية الأبهة وأن الغطاء كان مشغولاً بالقصب الحرّ محلي باللؤلؤ ، وقيل إن هذا الغطاء كان لسمو الوالدة في عرسها .

سفر جلالة الملك : في فجر الأربعاء ٢٢ منه تحرك اليخت الملكي ليبحاز القتال تتقدمه وتتبعه سفن الأسطول المسافرة في حراسته وأطلقت المدافع عند حركة اليخت .

الانعام نيشان على الأمير : وفي الساعة الخامسة مساءً منه توجه جناب اللورد كتنشر إلى سراى القبة وقد دولة ضياء الدين افندى نيشان فكتوريا من الدرجة الأولى ، المهدي اليه من جلالة الملك .

زيارات للأمير : في ٢٣ منه توجه الأمير والحديو وحاشيتهما إلى الأهرام لمشاهدة الآثار وتناول طعام الغداء في الكشك الخصوصي ، وفي مساء هذا اليوم أقام له عباس مادبة الوداع في سراى عابدين حضرها بعض أفراد العائلة الحديوية وكامل باشا واللورد كتنشر والنظار ونائب القومسیر العثماني وكبار موظفي المعية وغيرهم .

وفي ٢٤ منه زار سموه برفقة المهمندار مساجد آل البيت الشهيرة وجامع محمد علي والرفاعي والسلطان حسن ودار الكتب ودار الآثار العربية ودار الآثار المصرية . وفي نفس هذا اليوم أقامت صاحبة الدولة والمعصمة والدة الحديو مادبة في سرايها بقصر الدوبارة إكراما لسمو الأمير ومن معه .

سفر الحديو والأمير للاسكندرية : وفي يوم ٢٥ منه بعد الظهر ركب سمو الأمير والحديو وحاشيتهما القطار الخصوصي إلى الاسكندرية فوصلها الساعة ٥ مساء ثم نزل الجميع إلى يمت المحروسة .

سفر الوفد الشاهاني للاستانة : وفي فجر ٢٦ منه أبحرت المحروسة بالوفد العثماني بعد أن ودع عباس ضياء الدين افندى وحاشيته ، وسافر بمعية الأمير من قبل الجناب العالي حضرات محمد عزت باشا ومحمود بك صادق من رحال المعية ورشيد بك من موظفي الخاصة الحديوية وعارف بك وكيل الديوان التركي الحديوي .

إهداء السلطان صورته لعباس : كان لما لقيه صاحب الدولة ضياء الدين افندى من حفاوة الحديو واهتمامه بتوفير وسائل راحتته وسروره أثر عظيم في نفس السلطان محمد الخامس ، لذلك أراد أن يعرب عما كان لصنيع ملك مصر مع أكبر أمجاله من حسن الوقوع وجميل الأثر لدى جلالته ففضل باهداء صورته الفوتوغرافية لسموه ، وقد ازدانت هذه الصورة السكريمة باسم جلالته مرقوماً بالألماس على الطراز السكوني الجميل وهي موضوعة في إطار بديع الصنع ويعلوه التاج الشاهاني من الألماس والياقوت .

أثر الهدية في نفس عباس : قد قابل الحديو هذه العلامة الأبوية بما يليق بمقام

جلالة المتبوع من الاجلال والاحترام ورفع لسدته آيات الشكران على هذه العواطف الكبرى وتلك الرعاية العلية العظمى .

وأذكر أن ثابت بك أثوابجي باشى السلطان قام بمساع لزواج ضياء الدين افندى من إحدى كريمات الخديو ولكنها لم تنجح لوجود ذرية من محظية له .

وأذكر أيضاً أنى لما تشرفت بمقابلة السلطان رشاد عقب تأليف صدارة الغازى مختار باشا الائتلافية تبادلنا الحديث أولاً عن عباس فأظهر محبه له وسأل عن صحته . ثم انتقلنا الى الكلام عن تأليف الصدارة الجديدة فسألنى السلطان عن رأى وما يقوله المصريون فيها ، فهنأته وقلت إننا نحن المصريين مسرورون من تشكيلها لأنها تضم اليها نخبة من الصدور الأقدمين ومن بينهم كامل باشا وإننا نسأل المولى التوفيق لهذه الصدارة فى خدمة البلاد ، قال جلالته : و أنا أعلم أن المصريين مخلصون لنا ، وبعدها نطق بالآية الآتية نطقاً تركياً : و إنما المؤمنون إخوة ، وأخيراً التفت إلى ثابت بك الذى كان واقفاً بجانبه وقال : ما رأيك أنت يا ثابت بك ، فأكثر من المدح والثناء فى حكمة الخليفة فى هذا الاختيار .

فظهر لى أن السلطان رشاد يعتمد على آراء ثابت بك حتى فى المسائل السياسية ا

سنة ١٩١٢

الحرب الطرابلسية . موقف مصر منها . البرنس فؤاد . تدخل الخديو .
مخارثاني مع ضمير إنجلترا بالاستانة . الخديو والحزب الوطني المؤامرة على حياة
الخديو وكفتنر ومحمد سعيد . انضمام محمد فريد بك للخديو . مهاجمة الشيخ جابرس .
استقالة سعد باشا وقضيت مع اسماعيل أبانظر باشا . كفتنر في مصر . تعليم
خزانه أسوان . بيني وبين الشيخ علي يوسف . أعمال في ديوانه الاوقاف .

الحرب الطرابلسية . منذ زمن كانت إيطاليا تفكر في استعمار طرابلس عند
سوح الفرصة، فلما أرسلت الدولة العلية بعض الثقلات العسكرية إلى طرابلس أسرع
إيطاليا بارسال إنذار نهائي بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ هذا نصه (*) :

ما انفكت الحكومة الإيطالية منذ سنين تذكر الباب العالي بضرورة وضع حد
لسوء النظام وإهال الحكومة العثمانية في طرابلس وبنغازي، وبوجوب تمتيع هذه البلاد
بما تتمتع به سائر أقسام إفريقيا الشمالية وهذا التغيير (المشار إليه من حيث تأييد الأمن
وترقية البلاد) الذي يقتضيه التمدن يجعل المصالح الحيوية بحسب ما تستلزمه مصلحة
إيطاليا من أول درجة بالنظر لقصر المسافة الفاصلة بين تلك البلاد وشواطئ إيطاليا .

وبالرغم من حسن مسلك الحكومة الإيطالية التي كانت دائماً موالية وعاضدة
لتركيا في كثير من المسائل السياسية في العهد الأخير وبالرغم من اعتدالها وصرها
حتى الآن، كانت الحكومة العثمانية تجهل رغباتها في طرابلس، وليس ذلك فقط بل إن جميع
مشروعات الطليان في تلك الأصقاع كانت تصادف دائماً مقاومة مطردة لا تحتمل .

(٥) ولو أن الحرب الطرابلسية بدأت في آخر سبتمبر من السنة الماضية إلا أننا فضلنا وضعها في هذه
السنة حتى يسهل على القراء الاطاحة ببياني الحوادث التي حصلت فيها .

فالحكومة السلطانية التي كانت حتى الآن تبدي عداها دائماً نحو الحركة الإيطالية الشرعية في طرابلس وبنغازي، وما زالت كذلك حتى الساعة الحادية عشرة (يعني حتى الساعة).

أقترحت على الحكومة الملكية (الطليانية) أن تتفاهم معها وأعلنت أنها ميالة أن تمنح أى امتياز اقتصادى يتفق مع المعاهدات النافذة ومع شرف تركيا الأعلى ومصالحها، ولكن الحكومة الملكية لا تشعر الآن بأنها في أحوال موافقة للدخول في المفاوضات بهذا الموضوع، المفاوضات التي برهن الاختيار الماضى على عدم نفعها وهي لا تشتمل على ضمان للمستقبل ولا تكون إلا سبباً للاحتكاك والنزاع.

ومن جهة أخرى فقد وردت الأخبار إلى الحكومة الملكية من قنصلها في طرابلس وبنغازي تفيد أن الحالة هناك خطيرة جداً بسبب التحريض العام ضد الرعايا الطليان، التحريض الذى زاده الضباط وسأمر موظفي الحكومة؛ فهذا التهييج خطر شديد ليس على الطليان فقط بل على سائر الأجانب على اختلاف جنسياتهم. ولما أصبحوا قلقين على حياتهم شرعوا يهجرون البلاد بلا إبطاء، ووصول النشالات العسكرية العثمانية إلى طرابلس زاد الحالة خطراً وجرماً مع أن الحكومة الملكية نهبت الحكومة العثمانية إلى نتائج السيئة من قبل. ولهذا تضطر الحكومة الملكية أن تتخذ الاحتياطات اللازمة دفعاً للخطر الناجم منه.

ولما وجدت الحكومة الإيطالية نفسها مضطرة إلى الحرص على شرفها ومصالحها قررت أن تحتل طرابلس وبنغازي احتلالاً عسكرياً. هذا هو الحل الوحيد الذى تعول عليه إيطاليا، والحكومة الملكية تنتظر أن الحكومة السلطانية تصدر أوامرها حتى لا تصادف إيطاليا في الاحتلال معارضة من رجال الحكومة العثمانية، وألا تجد صعوبة في إنفاذ ما تريد إنفاذه. وبعد ذلك تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة التي تلي ذلك الاحتلال.

وقد صدرت الأوامر للسفير الإيطالى في الاستانة أن يلتمس جواباً حازماً في هذه المسألة من الحكومة العثمانية في ٢٤ ساعة منذ تسليمه هذا البلاغ حتى إذا لم تجاب عليه كانت الحكومة الإيطالية مضطرة أن تنفذ المشروعات المدبرة لضمان الاحتلال. ونرجو أن يبلغ جواب الباب العالى المنتظر في ٢٤ ساعة لنا عن يد السفير

العثمانى في رومه .

الامضاء
سان جوليانو

جواب الباب العالى على إنذار إيطاليا : تعرف السفارة الملكية كل المعرفة الظروف التي لم تسمح لطرابلس وبنغازى بأن تتقدم التقدم الموموق . ودرس المسألة بنزوه عن الاعراض يكنى في الحقيقة لأن ثبت أن الحكومة الدستورية العثمانية لا يجوز اتهامها بحالة هي نتيجة الحكم الماضى . فاذا ظهر ذلك وعدنا إلى تاريخ حوادث السنين الثلاث التي مرت ، يعجز الباب العالى أن يجد ظرفاً واحداً مفرداً ظهر فيه بمظهر العدوان للشروعات الطليانية في طرابلس الغرب وبنغازى ، بل إنه يجد عكس ذلك أى إن إيطاليا كانت تساعد بما لها ونشاطها الصناعى على إنهاء ذلك الشرط من السلطنة اقتصادياً .

وتعتقد الحكومة السلطانية أنها أظهرت دائماً ميلاً حسناً إلى كل مقترحات كانت تقدم لها بهذا المعنى ، بل إنها درست وحلت ودياً كل طلب طلبته السفارة الملكية .

ولا حاجة بنا إلى أن نزيد أنها كانت بذلك تنقاد دائماً لارادتها في أن تحفظ صلات ا سداقة والثقة مع حكومة إيطاليا وفي أن تنميتها . وهذه الارادة الحسنة هي التي دفعتها مؤخراً إلى أن تقترح على السفارة الملكية اتفاقاً يكون أساسه الامتيازات الاقتصادية التي تفتح مجالاً واسعاً للنشاط الطلياني في تلك الاقاليم ، على شرط أن يكون حد تلك الامتيازات كرامة السلطنة ومراققتها والمعاهدات النافذة .

بهذا برهنت الحكومة العثمانية على ميولها السلبية دون أن يغيب عنها حفظ العهود التي تربطها بالدول الأخرى ، تلك العهود التي لا يمكن أن يسقط شرط منها بإرادة فريق من المتعاقدين .

أما ما يختص بالنظام والأمن في طرابلس وبنغازى فان الحكومة العثمانية القادرة جيداً على تقويم الحالة لا يمكنها إلا أن تؤكد كما فعلت سابقاً أنه لا يوجد أقل سبب داع للخوف على الطليان والأجانب النازلين هناك .

ففي تلك الاقاليم لا يوجد اضطراب ولا تهيج ، ومهمة الضباط وغيرهم من موظفي الحكومة ضبط الأمن وهم يقومون بمهمتهم خير قيام .

أما وصول النقالات العسكرية العثمانية إلى طرابلس ، المتمسكة به السفارة لأنها تتوقع منه نتائج خطيرة ، لجواب الباب العالى عليه أنه لم يرسل سوى نقالة واحدة سافرت قبل وصول مذكرة ٢٦ سبتمبر بيضعة أيام ، وزد على هذا أن تلك النقالة لا تحمل جنوداً فلا يمكن أن يكون لوصولها تأثير على افكار الأهالى غير تأثير الهدوء .

فاذا تبين ذلك لا يبقى إلا عدم وجود الضمانة التي تضمن للحكومة الطليانية توسع مصالحها الاقتصادية في طرابلس وبنغازى، فاذا كانت الحكومة الملكية لا تعتمد إلى جمل خطير كالاتحاد المسكرى فان الباب العالى عاقد النية على إزالة هذا الخلاف والحكومة السلطانية تطلب من الحكومة الملكية أن تبين لها نوع الضمانات المطلوبة، فهي توافق عليها إذا لم تمس الأملاك، وهي تتمهد بالألا تغير شيئاً من الحلة الحاضرة أثناء المفاوضات، من حيث الهيئه العسكرية في طرابلس وبنغازى، ولها الأمل أن الحكومة الملكية توافق الباب العالى على أماله الحسنة.

الاستانة في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١

استغاثة السلطان بملوك أوروبا: وقد استغاث السلطان بملوك أوروبا، فرد ملك الانجليز معرباً عن أسفه لعدم استطاعته التدخل، وأجاب أمبراطور ألمانيا بأنه أصدر تعليمات لسفيره ليتوسط في الأمر؛ ولكن انفراد ألمانيا جعل وساطتها غير مجدية.

موقف مصر منها. وقد كانت موقف مصر الرسمي من هذه الحرب هو موقف الحياد حسب إشارة إنجلترا، وقد أبدل بالمأمورين المصريين في الحدود الغربية انجليز. ومنع أهالي المغرب من الدخول للأراضي المصرية، وأعدت الزوارق التابعة لمصلحة خفر السواحل لمراقبة الحدود الغربية والشرقية حتى قطعت التجارة الطرابلسية المصرية وردت كل قافلة تجارية آتية من تلك البلاد.

أما موقف الشعب المصرى فكان موقف المعاضد لتركيا فشككت اللجان بكثير من أمحل البلاد لجمع التبرعات للدولة العلية. ففي ١٤ أكتوبر سنة ١٩١١ شكلت لجنة عليا برياسة الأمير عمر طوسن، وبلغت قائمة التبرعات الأولى ١٦٩٢ جنينها والثلثية ٣١٣٧ جنينها ثم توالى التبرعات من جميع النواحي حتى بلغت في أول يناير مبلغ ٨٥٤٦٨ جنينها، أخذت تزداد كل يوم.

وتألفت جمعية الهلال الأحمر برياسة الشيخ على يوسف وقررت تأليف عدة مستشفيات ميدان، وسافرت البعثة الأولى يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩١١، كما سافرت ثلاث بعثات يوم ١٤ ديسمبر، وتوالى البعثات الطبية.

وفي ١٨ يناير سنة ١٩١٢ أعدت سوق خيرية في حديقة الأزبكية لقبول تبرعات المتبرعين للهلال الأحمر تحت رعاية دولة الوالدة. وضربت عليها السراقات والزينات

البديعة وعرضت في السوق معروضات من بعض المحال التجارية وخصصت أرباحها للجمعية . وقد توالى التبرعات بالحلى والجواهر والأواني الفضية والذهبية من أميرات البيت الحنفى وحرمة الكبراء والعظماء وسواهن .

مظاهرات الأهالى : وقد كان الشعور لدى الأهالى بالغاً حد الانتباه لكل حركات الحرب وتفصيلاتها ، ووردت الأنباء مبدئياً بانتصار الأتراك . فقامت مظاهرة ابتهاج في الاسكندرية ، فمز ذلك على الجالية الايطالية فيها فاشتبكت مع المتظاهرين وأطلق بعضهم عيارات نارية أصابت المصريين وانتهى الحادث قبل استفحاله .

مجهودات عزيز المصرى بك والأستاذ عبد الرحمن عزام : وقد اشترك في هذه الحرب من المصريين عزيز المصرى بك ، وكان قائداً في بنغازى ؛ والأستاذ عبد الرحمن عزام ، وكانت لهما جهود كبيرة في تأليف الجيوش والجهاد .

كتشفت سياسته مع المصريين : في أوائل هذه الحرب ذهب وفد من كبار المسلمين إلى اللورد كتشنر وطلبوا منه إرسال بعض أورط من الجيش المصرى لمساعدة الأتراك ، فأجابهم قائلاً : هذه فكرة صائبة ولكن لما كان من الصعب أن نجد جنوداً آخرين ليحلوا محل الجنود المطلوب سفرهم ، فاقى ساضطر في هذه الحالة لأن أطلب من حكومتى أن ترسل لمصر جنوداً من الانجليز ، فانصرف الوفد دون إلحاح .

وفي ذات يوم ذهب أيضاً جماعة من الضباط المصريين وطلبوا منه السماح لهم بالتطوع في الجيش التركى ، فقال لهم : لا أرى مانعاً من إجابة هذا الطلب ، ولكننى أقول لكم مقدماً بأنكم إذا سافرتم فن الضرورى ملـ مرا كزكم في الجيش بصغار الضباط فعند عودتكم تجدون أنفسكم بطبيعة الحال في كشف الاستياداع ،

وجاء أيضاً وفد من مشايخ العربان واستأذنه في جمع المتطوعين لكى ينضموا إلى الجيش التركى ، فقال لهم إنه يهتّم على ما أظهوره من الشجاعة واليسالة بتقديم هذا الطلب ، ولكن من الحرام أن تفقد مصر رجالاً مثلهم ذوى شجاعة ويسالة فان حكومة مصر ستضطر عند عودتهم أن تطبق عليهم قانون القرعة العسكرية المعافين منه إلى الآن ، وبعد المشاورة انصرفوا من عنده ولم يرجعوا إليه مرة ثانية ، وبذلك تخلص اللورد من إجابة هذه الطلبات تخلصاً من مسئولية حياد مصر .

جيوش السنوسى : وفي ١٤ يناير جماعات الأبناء بأن السيد احمد الشريف السنوسى

وإخوته يؤلفون الجيوش إلى ميدان القتال تحت قيادتهم الشخصية ، وقد نشروا الدعوة لكافة مشايخ القبائل والزوايا والمجاهدين . وفي أول أبريل وصل السنوسى بجيوشه إلى جنجوب .

البرنسى فؤاد . راجت إشاعات عن البرنسى فؤاد باشا في المسألة الطرابلسية تلتخص في أن ملك إيطاليا وعده بامارة طرابلس بعد احتلالها ، وأنه بسبب هذا الوعد عمل على التقريب بين سمو الحديو وجمالة ملك إيطاليا ، فتمت زيارة الحديو لإيطاليا في العام الماضى يرافقه البرنسى ؛ وقد رددت هذه الإشاعات بعض الصحف الفرنسية والألمانية فأرسل البرنسى تكذيبات لها نشرت في ١٠ يناير سنة ١٩١٢ .

تذبذب الحديو . وقد سهل الحديو في أول الأمر إرسال الاعانات والبعثات ومنها ما كان يحمل مدافع مفككة وسلاحاً وذخيرة ومؤونة بعد أن أرسل رشدى باشا إلى كتنشر للتفاهم معه قبل منح التسهيلات اللازمة بدون مسئولية عليه أو على حكومته . ولما توالى انتصارات الإيطاليين في طرابلس في الأشهر الأخيرة من الحرب ، وتغير موقف الحديو ، عاد فطلب من كتنشر بواسطة حسين رشدى باشا وقف المساعدات ، فامتنع عن اتخاذ خطة صريحة بذلك بعد ما سمح بإرسالها أولاً ، وانتهى الأمر بأن يقال إن البعوث الأخيرة ضلت الطريق وقد منعت بعوث الهلال الأحمر العائدة من الدخول بالمرضى .

عبد الحميد بك شديد ومهمته (*) : وأرسل الحديو عبد الحميد بك شديد للسيد ادريس السنوسى ليغريه بالاتفاق مع إيطاليا حتماً للحرب على أن يسمى الحديو في الحصول له على امتياز من إيطاليا وتصديه رئيساً على السنوسيين بدلاً من عمه الشيخ احمد السنوسى الكبير؛ وفي نظير ذلك يتحصل سموه على وعد ببيع سكة حديد مريوط لآحد بنوك إيطاليا ثم يرضيه . ولكن المساعى التى كان عباس يبذل الجهد فيها للوصول إلى ذلك قد فشلت ، لأن كتنشر ضربها ضربة قاضية .

الحديو والحزب الوطنى . منذ عامين والجفاء يشتد بين الحديو والحزب الوطنى ، وقد ورد شيء من ذلك في مذكراتى في السنين الماضية .

وفي ١٩ يناير من هذا العام أقيمت حفلة لرعاية الأطفال بدار الأوبرا تحت

(*) وقد طلبت من عبد الحميد بك شديد بعض تفصيلات عن مهمته ولكنه اعتذر بمرضه .

رعاية سمو الخديو وحضرها مندوب من قبل سموه ، وقد حدث عند دخول المندوب وعزف الموسيقى بالنشيد الخديوى أن وقف جميع الحاضرين حسب المعتاد ما عدا محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى ، مما استرعى أنظار الحاضرين جميعاً .

ولما كانت هذه هى الحادثة الأولى من نوعها، فتناقلتها الألسن والصحف ، وكانت لها ضجة فى داخل السراى .

وقد خاطب حسين رشدى باشا فريد بك فى هذا الشأن فأجاب به أن ليس هناك قانون يحتم عليه الوقوف .

وكانت هذه الظاهرة بمثابة إعلان حرب عدائية على الخديو ، والخروج على الاحترام اللائق به .

الحض على كراهة الحكومة : وفى ٢٦ مارس اجتمعت الجمعية العمومية للحزب الوطنى فألقى محمد فريد بك خطبة نارية ، اعتبرتها النيابة حضاً على كراهة الحكومة ، فأخذت فى محاكمته .

وقد كان سعد زغلول باشا ناظراً للحقانية فلم يؤخذ رأيه فى هذه المحاكمة فاستقال من النظارة (كما سيحىء ذلك بالتفصيل) .

وفى يوم ٣٠ أبريل نظرت القضية أمام محكمة الجنايات متهماً فيها محمد فريد بك بالحض على كراهة الحكومة والدعوة للثورة ولم يكن حاضراً ، وعلى اسماعيل حافظ مدير العلم ، وعلى فهمى كامل الحارس القضائى لجريدة اللواء لنشر الخطبة فى جريدتهما . وقد مثل النيابة محمد زكى اليراشى افندى ، وترافع عن المتهم الثانى عبد العزيز فهمى بك وعن الثالث محمود ابو النصر بك . وحكمت المحكمة بالحبس سنة مع الشغل على فريد بك وبالحبس البسيط ثلاثة أشهر على كل من الثانى والثالث .

المؤامرة على الخديو وكنتشتر ومحمد سعيد : وفى أول أغسطس قبض البوليس على ثلاثة شبان وهم محمد عبد السلام وإمام واكد ومحمود طاهر العربى بتهمة المؤامرة على حياة الخديو وكنتشتر ومحمد سعيد ، وقد كان تدبير القبض عليهم من فليدس مأمور إدارة الضبط بالقاهرة .

ونظرت القضية فى ١١ أغسطس وحضر للدفاع عن المتهمين ابراهيم الهلباوى بك ومصطفى الشوربجى افندى وعبد الوهاب افندى البرعى .

وكانت الجلسة برئاسة علي ذى الفقار باشا وعضوية احمد موسى بك ومحمد توفيق رفعت بك .

وتولى الاتهام عبد الخالق ثروت باشا النائب العام ؛ وقد أنكر المتهمون التهمة الموجهة إليهم .

وفي ١٢ أغسطس أصدرت المحكمة حكمها بالسجن مع الأشغال الشاقة ١٥ سنة على إمام واكد ، وبالسجن مع الشغل ١٥ سنة كذلك على محمود طاهر العربي ومحمد عبد السلام .

اتهام فريد بك للفرنجي : في يوم ٢٠ أغسطس نشر محمد فريد بك في جريدة السيكل الفرنسية مقالا يتهم فيه الخديو بالعمل ضد عرش الخلافة ضد كيان الدولة بالاتفاق مع إنجلترا نظير اعترافه بالحماية سراً .

وأن الغرض من هذه المساعي ضم برقة وسوريا وبلاد العرب لمصر وتنصيب عباس خليفة عليها خاضعاً للإنجليز ، وأنه يستعين بملء الأزرع وبعض مشايخ الزوايا والتكايا ويرسلهم برسائل خاصة إلى اليمن والعسير ليثيروا روح العصيان .
ولكى يتسنى تثقيف رسل تتوفر فيهم الكفاءة لنشر هذه الدعوة ، كلف الشيخ محمد رشيد رضا بتأسيس مدرسة خاصة في القاهرة باسم مدرسة الدعوة والارشاد ، ولهذا المدرسة فرع في باريس باسم جمعية تنشيط العلوم العربية تحت رئاسة طالب ينفق عليه الخديو .

وقد ندب الشيخ رشيد رضا عقب تنظيم المدرسة من لندن رؤسائه (الخديو وأنصاره) للذهاب إلى الهند لحضور مؤتمر إسلامي في دكناو ، لينصح للسليين بالخضوع للإنجليز ويطرى الخديو وحكومته في مصر ، ويمنع الاكتتابات للعثمانيين في طرابلس ففشل في مهمته (*)

ثم إن مصلحة المخابرات التابعة لنظارة الحريسة المصرية تبث جواسيسها في سوريا لنشر هذه الفكرة وأكثر رسلها من السوريين .

(*) مع اتصالي الشديد بالسراى وما يدور فيها فائق لم أسمع عن هذه التدبيرات التي ذكرها محمد فريد بك خاصة بسى الخديو للخلافة تحت الحماية الإنجليزية أما فيما يخص بمدرسة الدعوة والارشاد فائق أعلم أنها أنفشت لغاية سامية حيدتها وساعدها وهي الدعوة الدينية الخالصة وقد تخرج فيها بعض نوابغ المسلمين ومنهم السيد محمد الحسينى مفتى القدس ورئيس المجلس الاسلامى الأعلى .

وقد أعقب فريد بك هذه المقالة بمقالين آخرين في ٥ و ١٠ سبتمبر فيما توكلد وتفصيل لما ورد بالمقالة الأولى ، وختما بقوله :

« وقد رغبت في نشر هذه البيانات لاماطة اللتام عن هذه الدسائس أمام العالم المتمدن ، ولأحذر الدول ذات الشأن من الأعمال التي يقوم بها عباس الثاني لإرضاء لطمع شخصي يحاول به أن يززع توازن العالم بوضع الخلافة في يد انجلترا ، فيجب على فرنسا هذه الدولة ذات المستعمرات الإسلامية الكثيرة أن تراقب الحالة عن كثب . »
وبعد ظهور هذه المقالات أخذ بعض أعضاء الحزب الوطني - بمساعى الخديوي وتأثيره - يطلون عزل محمد فريد بك من رياسة الحزب، وطلبوا انعقاد اللجنة الادارية للحزب لمحاكته ، فعارض في هذا على فهمى كامل بك .

وأخيراً عقدت اللجنة وقررت استنكار مقالات فريد بك ، ولكن لم ينشر هذا القرار في الصحف ؛ فاستقال بعض الأعضاء ومنهم على المنزلاوى بك ومحمود فهمى سكرتير الحزب .

وفي ٢٠ سبتمبر نشرت « الأهرام » بركة أرسلها فريد بك لعلى فهمى كامل بك وكيل الحزب باستنكاته لاضطراره للبقاء خارج القطر ، وطلب أن تعرض الاستقالة على الجمعية العمومية الحزب دون غيرها ؛ وذلك نظراً لما بلغه عن مساعى الخديوي مع أعضاء اللجنة الادارية .

محاكمة الشيخ جاويش : وفي يوم ٢٤ أغسطس ضبط بوليس جمرک الاسكندرية مع الشاب « احمد مختار » القادم من الاستانة حقية بها منشورات ثورية مطبوعة في مطبعة الهلال العثماني التي يصدرها الشيخ عبد العزيز جاويش ، تتضمن قدحا شديداً في الخديو ، ودعوة لتأسيس الجمعيات السرية للفتك والاعتقال .

وظهرت في الوقت نفسه منشورات ثورية في الاسكندرية ووطنا .

وتكررت المقالات المثيرة في اللواء والعلم فصدر أمران باغلاقهما : الأول يوم ٣١ أغسطس والثاني يوم ٧ نوفمبر ، بعد إنذارهما مرتين .

وقد قبض في الاستانة على الشيخ جاويش وأحضر للاسكندرية يوم ٨ منه فكتب فريد بك في جريدة السيكل ينتقد حكومة الاستانة لتسليمها رجلا متهماً بتهمة سياسية لخصومه ، مخالفة في ذلك جميع التقاليد الدولية .

وقد حوكم الشيخ جاويش وحفظت القضية بالنسبة له في ١٩ أكتوبر لعدم كفاية الأدلة .

استقالة سعد باشا : في أواخر يناير من هذا العام جرى حديث بين سعد باشا ناظر الحقانية ومندوب جريدة الأخبار نفي فيه الاشاعات التي تناقلتها الصحف عن قرب استقالته من الحقانية .

ولكن في أول أبريل ، بعد الشروع في محاكمة محمد بك فريد بتهمة تحريضه على كراهة الحكومة ، دون استشارة سعد باشا ، قدم استقالته للخديو مبنية على أنه لم يوفق رضا سموه في الظروف الحاضرة .

وقد قبلت الاستقالة ، وصدر الأمر لجسرين رشدي باشا بالقيام بعمله ، ثم عين نهائياً يوم ١٤ منه .

وفي ٦ أبريل نشر مقال بالأهرام بتوقيع « عارف » ، جاء فيه :

« إن سعد باشا من مدة قريبة كان يقول : «إني لم أفكر ولن أفكر في الاستقالة مادمت قائماً بواجباتي نحو أمتي وبلادى .»

ثم قال إن بعض الناس يقولون عن سعد باشا إنه متصلب خشن والقضاء في حاجة لتصلبه وخشوته . أما أنا فأقرر أنه إذا كان صلباً خشناً فهو كذلك مرين لين ، يميل عند الضرورة للخضوع والتسليم ، بدليل تصميحه على عدم الاستقالة ، ثم استقالته الآن .

ثم أخذ يتكلم عن سبب استقالته ، وبعد أن وجه عدة غمزات شديدة لسعد باشا في أخلاقه قال :

« إن بعض أخصائه ذكر أن سعادته روى في مقام من المقامات العالية عبارة تمس بأمانته وكرامة رجل من كبار موظفي الحكومة ، وكان يعتقد أنه إننا يخدم أمته وبلاده بما روى ، ولكنه يظهر أن الدهر لم يسعد سعد باشا في هذه الدفعة حيث جنى عليه اجتهاده ، وتبادر إلى الأذهان أن سعادته يريد بهذا العمل إيقاع النفرة بين مقامين من قادة الأمة ، ومن مصلحة البلاد تمكين عرا الوفاق وحسن التفاهم بينهما ، فترتبت على ذلك مطالبة سعد باشا بأثبات ما صدر عنه في هذا الشأن ، ولكنه عجز ؛ وسرطان ما تزعجت الثقة في مروياته من نفس السلطة الفعلية . أما السلطة الشرعية فيقال إنها

قد ازدادت اقتناعاً بأن ساعة استقالة سعد باشا إذا لم تكن قد حانت من زمن فاتها قد حانت .

ثم ذكر أن سعد باشا لم يرد الاستقالة وقتذاك ، وانتظر أن تأتي فرصة أخرى ليخرج بمناسبة شريفة .

وأنه ، وقد فقد السلطة الفعلية ، أراد التقرب للسلطة الشرعية ، ووسط بعض أصحاب العائلة الخديوية ، فلم تنتج الوساطة ، وأخيراً قدم استقالته .

وذكر أن مسعاده سلم صورة الاستقالة لمستشار الحاقانية لتسليمها لكتشنر مشفوعة بعبارة مفادها : « لقد ضحيموني لأرضاء الجناب الخديوى ، وأنت اللورد رد على ذلك شفويماً بأنه قد علم بقبول الاستقالة ، وأنه ينظر إلى هذا القبول بعين الارتياح ، وإنه إن كان قد ضحاه كما يقول فما عمل هذا إلا لإرضاء للصالح العام .

وبعد ذلك أخذ يشرح أسباب تولية سعد النظارة في عهد كرومر فذكر أن اللورد أراد بها تقوية مركزه بعد حادثة دنشواى ، لما كان مشهوراً عن معارضة سعد للحكومة والسياسة الانجليزية ، فكان تعيينه إرضاء للوطنيين ، وثناؤه على الانجليز وسيلة لتقوية مركز المعتمد في إنجلترا .

ثم دارت الأيام واتفقت السلطان فلم يبق ما يدعو لخدمات سعد باشا ، فهو قد دخل النظارة للشقاق والزراع وتركها للوفاق والسلام .

وقد أرسل سعد باشا من مسجد وصيف برقية للصحف نفي فيها ما جاء بمقال عارف ، وخصوصاً ما يتعلق بالاتجاه إلى أحد أصحاب العائلة الخديوية ، وبارسال الاستقالة إلى كتشنر .

وذكر أنه مستعد لاطهار الحقيقة في ذلك كله إذا كشف العارف عن اسمه ، وصرح بأنه مأذون في نشر ما رواه لأن بيان الحقيقة يستلزم إفشاء أسرار يقضى الواجب بكتمتها إلا إذا أذن أصحاب الشأن صراحة أو ضمناً بإفشافها .

وبعد ذلك أخذت الصحف تخوض حول هذا الموضوع وتتملاً كثيراً من أعمدها بالمناقشة والردود .

وفي ١١ أبريل نشرت « الأهرام » ، أن « عارف » ، فوض إليها نشر لسمه إذا طلبته إحدى المحاكم الأهلية أو المختلطة أو نيابة إحداهما ، وأنها أبلغت سعد باشا ذلك .

أُكبر أنجال السلطان رستاد في مصر لتحية ملك إنجلترا :

وصوله للاسكندرية : في الساعة الثانية بعد ظهر يوم ١٩ نوفمبر رؤيت الباخرة (عثمانية) التي تقل حضرة صاحب الدولة والنجاة أحمد ضياء الدين افندى ومن معه ، وما ظهرت في مياه النهر حتى خرجت زوارق كثيرة براكبها إلى البوغاز لاستقبال الزائر العظيم ، وفي الساعة الثالثة دخلت الباخرة الميناء ، وكانت الزوارق تحيطها عن بعد ، والمستقبلون يهتفون هتاف الترحيب والدعاء للسلطان ونجمه ، وفي الساعة الرابعة وصل الحديو على زورقه الخاص واعتلى الباخرة ، فاستقبله ضياء الدين افندى وقدم لسموه رجال حاشيته ، وشكره والأمة المصرية وحكومتها لهذه العواطف السكرية . وكان من المستقبلين أيضاً كامل باشا الصدر الأعظم الأسبق ، وبعدما هنأه الجناب العالي واستراح قليلا نزل هو واحمد ضياء الدين افندى وحاشيته ومعهما كامل باشا الصدر الأسبق في الزورق إلى سراى رأس التين ، مارين بين صفوف زوارق المستقبلين من جماهير الأهلين الذين والوا الهتاف حين مرور الزورق ، وعند وصوله إلى رصيف السراى استقبلهم النظار ورجال المعية السنية وفرقة من الجنود المصرية وأخرى انجليزية ، وصدحت الموسيقى الحديوية ، وأطلقت المدافع إجلالا وترحيباً ، وصعدوا جميعاً إلى السراى وتناولوا طعام العشاء ، وبعد ذلك استقل عباس مع ضيوفه القطار إلى سراى المنتزه لتمضية الليل .

سفر الحديو والوفد الشاهاني إلى بورسعيد : وفي صبيحه يوم ٢٠ منه تنزه أحمد ضياء الدين افندى برفقة الحديو وشاهد جميع محتويات هذه السراى وأعجب بها ، وبعد تناول طعام الغداء استقلا مع حاشيتهما القطار الخاص من المنتزه قاصدين بورسعيد ؛ وكانت المحطات على طول الخط مزينة بالأعلام ، والجموع محتشدة والهتاف متواصل ، حتى وصل القطار إلى بورسعيد في الساعة الرابعة مساء . وكان في استقبالها البرنس محمد علي باشا وجناب اللورد كينشنر والسير رجينلد ونجت سردار الجيش وحاكم السودان والسير جون مكسويل قائد الحامية الانجليزية ومحمد محمود سليمان بك محافظ القتال والحكمदार وكثيرون غيرهم من كبار الموظفين والوجوه والأعيان ، وكان في المحطة بلوكان أحدها بريطاني والآخر مصرى ، لحيا سموها ، وصدحت الموسيقى بالنشيد العثماني والمصرى . وأطلق ٢١ مدفعاً ؛ وقد صافح سمو الحديو

المستقبلين وقدم كثيرين منهم إلى نجل السلطان ثم نزل في رفاص بخارى إلى نخت المحروسة يصحبه الوفد الشاهاني ودولة البرنس محمد علي باشا ومحمد سعيد باشا رئيس النظار وحسين رشدى باشا ناظر الخارجية .

١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦



٥ ٢ ١ ٣ ٤

(١) ضياء الدين أفندى (٢) الخديوى (٣) محمد سعيد باشا رئيس النظار (٤) حسين رشدى باشا ناظر الخارجية (٥) جناني بك مدير تشريفات الباب العالي (٦) محمد صادق باشا ياور أول خديوى (٧) احمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية (٨) احمد بك ياور سلفاني (٩) عارف باشا بالدويان التركى (١٠) محمد عزت باشا رئيس ديوان تركى خديوى ومهندار ضياء الدين أفندى (١١) طاهر رمزى سرباور خديوى (١٢) رشيد بك وكيل القبول كندائية المصرية بالاسنانة (١٣) عوفى بك سكرتير الأمير (١٤) نائب بك أتواجى باشى السلطان .

وتناولوا طعام العشاء على المائدة الخديوية وقضى عباس وضيئه الكريم الليلة في المحروسة .

وصول ملك إنجلترا وملكتها إلى بور سعيد : في الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٠ منه لاحت مدينة ، في عرض البحر بين المدرعات التي تحضرها ، ولما وصلت الميناء تشرف اللورد كتشتر بمقابلة جلالتهما .

استقبالها : وفي صباح ٢١ منه أعلن تشريف جلالة الملك والملكة رسميا ؛ فأطلقت المدافع واصطف الجنود المصرية والانجليزية لأخذ السلام وعزفت الموسيقى .

وفي الساعة العاشرة والنصف نزل الخديو وضياء الدين أفندى وجناني أفندى مدير تشريفات الباب السالى والبرنس محمد علي باشا ومحمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا

وسعيد ذو الفقار باشا السرتشريفاتى ورمزى طاهر باشا السرباور ووطن باشا اليور الخديوى وجميعهم بالملابس العسكرية فى زورق بخارى وصعدوا إلى الباخرة « مدينة » لحيثهم موسيقاها بالسلام الخديوى أولاً ، وبالسلام السلطانى ثانياً ، وبعد التعارف أبلغ ضياء الدين افندى إلى جلالة الملك تحية جلالة والده السلطان ، ثم قدم له مكتوباً رقيقاً منه .

زيارة الملك للخديوى وللأمير ضياء الدين افندى : بعد أن تمت المقابلات بكبار الإنجليز وقناصل الدول برح جلالة الملك يحثه قاصداً المحروسة . فأدت البحارة السلام وصدحت الموسيقى بالنشيد الملكى . وكان فى استقباله الخديوى وضياء الدين افندى والبرنس محمد على باشا وكبار الحاشية ، فصافح الخديوى وضياء الدين افندى ، ثم جلسوا فى بهو الاستقبال وتبادلوا الحديث برهة من الزمن . وبعد ذلك عاد الملك بزورقه إلى يخته .

وفى ظهر هذا اليوم تناول طعام الغداء مع الملك والملكة الخديوى والأمير وجنائى بك والبرنس محمد على ورئيس النظار وناظر الخارجية وكبار الحاشية وكثيرون وونجمت ومكسويل وكذلك المستشاران للمالية والداخلية وقناصل الدول . وبعد تناول الطعام والقهوة دار الحديث بصفة ودية بين الملك والملكة وضيوفاهما ، وقد احتلى الملك مع كامل باشا ، ثم ودع جلالتهمما الجميع ، ورجع الخديوى وضياء الدين افندى ومن معهم إلى المحروسة .

عود الخديوى وضيوفاه إلى القاهرة : بعد تناول طعام العشاء يوم ٢١ منه بارح الجميع بورسعيد على القطار الخاص بصفة غير رسمية الساعة ١١ مساءً فوصلوا إلى سراى القبة فى صباح اليوم التالى ، وزيادة فى الحفاوة بضياء الدين افندى لم يشأ عباس أن يجعل إقامة دولته فى الأيام القصيرة التى يقضها بعيداً عنه ، فخصص له جناحاً فى سراى القبة مزيناً بالرياش الثمينة الفخمة يرافقه ثابت بك أنواجبى باشى السلطان . وقد اهتمت دولة الوالدة بتنظيم غرفة نومه وكانت ذلك بوجود محمد عزت باشا وزميله محسن بك فوزى . وقد علمت من الأخير أن الفراش كان فى غاية الأبهة وأن الغطاء كان مشغولاً بالقصب الحر على اللؤلؤ ، وقيل إن هذا الغطاء كان لسمو الوالدة فى عرسها .

سفر جلالة الملك : فى فجر الأربعاء ٢٢ منه تحرك اليخت الملكى ليحجاز القتال تتقدمه وتبعمه سفن الأسطول المسافرة فى حراسته وأطلقت المدافع عند حركة اليخت .

الانعام بنيشان على الأمير : وفي الساعة الخامسة مساءً منه توجه جناب اللورد كتنشر إلى سراى القبة وقلد دولة ضياء الدين افندى نيشان فكتوريا من الدرجة الأولى ، المهدي إليه من جلالة الملك .

زيارات للأمير : في ٢٣ منه توجه الأمير والحديو وحاشيتهما إلى الأهرام لمشاهدة الآثار وتناول طعام الغداء في الكشك الخصوصي ، وفي مساء هذا اليوم أقام له عباس مأدبة الوداع في سراى عابدين حضرها بعض أفراد العائلة الخديوية وكامل باشا والورد كتنشر والنظار ونائب القومسيير العثماني وكبار موظفي المعية وغيرهم .

وفي ٢٤ منه زار سموه برفقة المهنددار مساجد آل البيت الشهيرة وجامع محمد على والرافعي والسلطان حمن ودار الكتب ودار الآثار العربية ودار الآثار المصرية . وفي نفس هذا اليوم أقامت صاحبة الدولة والمعصمة والدة الخديو مأدبة في سرايها بقصر الدوبارة إكراماً لسمو الأمير ومن معه .

سفر الخديو والأمير للاسكندرية : وفي يوم ٢٥ منه بعد الظهر ركب سمو الأمير والحديو وحاشيتهما القطار الخصوصي إلى الاسكندرية فوصلها الساعة ٥ مساءً ثم نزل الجميع إلى تحت المحروسة .

سفر الوفد الشاهاني للاستانة : وفي فجر ٢٦ منه أبحرت المحروسة بالوفد العثماني بعد أن ودع عباس ضياء الدين افندى وحاشيته ، وسافر بجمية الأمير من قبل الجناب العالي حضرات محمد عزت باشا ومحمد بك صادق من رجال المعية ورشيد بك من موظفي الخاصة الخديوية وعارف بك وكيل الديوان التركي الخديوي .

إهداء السلطان صورته لعباس : كان لما لقيه صاحب الدولة ضياء الدين افندى من حفاوة الخديو واهتمامه بتوفير وسائل راحته وسروره أثر عظيم في نفس السلطان محمد الخامس ، لذلك أراد أن يعرب عما كان لصنيع ملك مصر مع أكبر أنجاله من حسن الوقع وجميل الأثر لدى جلالاته فتفضل باهداء صورته الفوتوغرافية لسموه ، وقد ازدادت هذه الصورة الكريمة باسم جلالاته مرقوماً بالألماس على الطراز الكوفي الجميل وهي موضوعة في إطار بديع الصنع ويعلوه التاج الشاهاني من الألماس والياقوت .

أثر الهدية في نفس عباس : قد قابل الخديو هذه العلامة الأبوية بما يليق بمقام

جلالة المتبوع من الاجلال والاحترام ورفع لسدته آيات الفكران على هذه العواطف الكبرى وتلك الرعاية العلية العظمى .

وأذكر أن ثابت بك أتواجبي باشي السلطان قام بمساع لزواج ضياء الدين افندى من إحدى كريمات الحديدو ولكنها لم تنجح لوجود ذرية من محظية له .

وأذكر أيضا أنى لما تشرفت بمقابلة السلطان رشاد عقب تأليف صدارة الغازى مختار باشا الائتلافية تبادلنا الحديث أولا عن عباس فأظهر محبته له وسأل عن صحته . ثم انتقلنا الى الكلام عن تأليف الصدارة الجديدة فسألنى السلطان عن رأى وما يقوله المصريون فيها ، فهنأته وقلت إننا نحن المصريين مسرورون من تشكيلها لأنها تضم اليها نتجة من الصدور الأقدمين ومن بينهم كامل باشا وإننا نسأل المولى التوفيق لهذه الصدارة فى خدمة البلاد ، قال جلالتيه : و أنا أعلم أن المصريين مخلصون لنا ، وبعدها نطق بالآية الآتية نطقاً تركياً : و إنما المؤمنون إخوة ، وأخيراً التفت إلى ثابت بك الذى كان واقفاً بجانبه وقال : و ما رأيك أنت يا ثابت بك ؟ فأكثر من المدح والثناء فى حكمة الخليفة فى هذا الاختيار .

فظهر لى أن السلطان رشاد يعتمد على آراء ثابت بك حتى فى المسائل السياسية ا

سنة ١٩١٢

الحرب الطرابلسية . موقف مصر منها . البرنس فؤاد . تهزل الخديو .
مخادثنى مع سفير إنجلترا بالأستانة . الخديو والحزب الوطنى المؤامرة على حياة
الخديو وكفتنر ومحمد سعيد . انهرام محمد فريد بك الخديو . محاكمة الشيخ جاوبس .
استقالة سعد باشا وقضية مع اسماعيل أبانك باشا . كفتنر فى مصر . تعليم
غزاه أسوانه . بنى وبين الشيخ على يوسف . أعمالى فى ديوانه الأوقاف .

الحرب الطرابلسية . منذ زمن كانت إيطاليا تفكر فى استثمار طرابلس عند
سوح الفرصة، فلما أرسلت الدولة العلية بعض الثقالات العسكرية إلى طرابلس أسرع
إيطاليا بإرسال إنذار نهائى بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ هذا نصه (*) :

ما انفكت الحكومة الإيطالية منذ سنين تذكر الباب العالى بضرورة وضع حد
لسوء النظام وإهمال الحكومة العثمانية فى طرابلس وبنغازى . وبوجوب تمتع هذه البلاد
بما تتمتع به سائر أقسام إفريقيا الشمالية وهذا التغيير (المشار إليه من حيث تأييد الأمن
وترقية البلاد) الذى يقتضيه القمدن يجعل المصالح الحيوية بحسب ما تستلزمه مصلحة
إيطاليا من أول درجة بالنظر لقصر المسافة الفاصلة بين تلك البلاد وشواطئ إيطاليا .

وبالرغم من حسن مسلك الحكومة الإيطالية التى كانت دائماً موالية وعاضدة
لتركيا فى كثير من المسائل السياسية فى العهد الأخير وبالرغم من اعتمادها وصبرها
حتى الآن، كانت الحكومة العثمانية تجهل رغباتها فى طرابلس، وليس ذلك فقط بل إن جميع
مشروعات الطليان فى تلك الأصقاع كانت تصادف دائماً مقاومة مطردة لا تحتتمل .

(٥) ولو أن الحرب الطرابلسية بدأت فى آخر سبتمبر من السنة الماضية إلا أننا فضلنا وضعها فى هذه
السنة حتى يسهل على القراء الاطاحة بباقي الحوادث التى حصلت فيها .

فالحكومة السلطانية التي كانت حتى الآن تبدي عداها دائماً نحو الحركة الايطالية الشرعية في طرابلس وبنغازى، وما زالت كذلك حتى الساعة الحادية عشرة (يعني حتى الساعة).

اقترحت على الحكومة الملكية (الطليانية) أن تفاهم معها وأعلنت أنها ميالة أن تمنح أى امتياز اقتصادى يتفق مع المساهدات النافذة ومع شرف تركيا الأعلى ومصالحها، ولكن الحكومة الملكية لا تشعر الآن بأنها فى أحوال موافقة للدخول فى المفاوضة بهذا الموضوع، المفاوضة التي برهن الاختبار الماضى على عدم نفعها وهي لا تشتمل على ضمان للمستقبل ولا تكون إلا سبباً للاحتكاك والنزاع.

ومن جهة أخرى فقد وردت الأخبار إلى الحكومة الملكية من قنصلها فى طرابلس وبنغازى تفيد أن الحالة هناك خطيرة جداً بسبب التحريض العام ضد الرعايا الطليان، التحريض الذى زاده الضباط وسائر موظفي الحكومة؛ فهذا التهييج خطر شديد ليس على الطليان فقط بل على سائر الأجانب على اختلاف جنسياتهم. ولما أصبحوا قلقين على حياتهم شرعوا يهجرن البلاد بلا إبطاء، ووصول النشالات العسكرية العثمانية إلى طرابلس زاد الحالة خطراً وخرجاً مع أن الحكومة الملكية نهبت الحكومة العثمانية إلى نتائج السيئة من قبل. ولهذا تضطر الحكومة الملكية أن تتخذ الاحتياطات اللازمة دافعاً للخطر الناجم منه.

ولما وجدت الحكومة الايطالية نفسها مضطرة إلى الحرص على شرفها ومصالحها قررت أن تحتل طرابلس وبنغازى احتلالاً عسكرياً. هذا هو الحل الوحيد الذى تعمل عليه إيطاليا، والحكومة الملكية تنتظر أن الحكومة السلطانية تصدر أوامرها حتى لا تصادف إيطاليا فى الاحتلال معارضة من رجال الحكومة العثمانية، والأجد صعوبة فى إنفاذ ما تريد إنفاذه. وبعد ذلك تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة التي تلى ذلك الاحتلال.

وقد صدرت الأوامر للسفير الايطالى فى الاستانة أن يلتمس جواباً حازماً فى هذه المسألة من الحكومة العثمانية فى ٢٤ ساعة منذ تسليمه هذا البلاغ حتى إذا لم تجاوب عليه كانت الحكومة الايطالية مضطرة أن تنفذ المشروعات المدبرة لضمان الاحتلال. وزوجو أن يبلغ جواب الباب العالى المنتظر فى ٢٤ ساعة لنا عن يد السفير

العثمانى فى رومه.

الامضاء
سان جوليانو

جواب الباسب العالي على إنذار إيطاليا : تعرف السفارة الملكية كل المعرفة الظروف التي لم تسمح لطرابلس وبنغازى بأن تتقدم التقدم الموقوق . ودرس المسألة بتزده عن الاغراض يكفى في الحقيقة لأن يثبت أن الحكومة الدستورية العثمانية لا يجوز اتهامها بحالة هي نتيجة الحكم الماسخى . فاذا ظهر ذلك وعدنا إلى تاريخ حوادث السنين الثلاث التي مرت ، يعجز الباسب العالي أن يجد ظرفاً واحداً مفرداً ظهر فيه بمظهر العدوان للشروعات الطليانية في طرابلس الغرب وبنغازى ، بل إنه يجد عكس ذلك أى إن إيطاليا كانت تساعد بما لها ونشاطها الصناعى على إنهاء ذلك الشطر من السلطنة اقتصادياً .

وتمتد الحكومة السلطانية أنها أظهرت دائماً ميلاً حسناً إلى كل مقترحات كانت تقدم لها بهذا المعنى ، بل إنها درست وحلت ودياً كل طلب طلبته السفارة الملكية .

ولا حاجة بنا إلى أن نزيد أنها كانت بذلك تنقاد دائماً لارادتها في أن تحفظ صلات ا سداقة والثقة مع حكومة إيطاليا وفي أن تنمها . وهذه الارادة الحسنة هي التي دفعها مؤخرًا إلى أن تقترح على السفارة الملكية اتفاقاً يكون أساسه الامتيازات الاقتصادية التي تفتح مجالاً واسعاً للنشاط الطلياني في تلك الأقاليم ، على شرط أن يكون حد تلك الامتيازات كرامة السلطنة ومراققتها والمعاهدات النافذة .

بهذا برهنت الحكومة العثمانية على ميولها السلبية دون أن يغيب عنها حفظ العهود التي تربطها بالدول الأخرى ، تلك العهود التي لا يمكن أن يسقط شرط منها بارادة فريق من المتعاقدين .

أما ما يختص بالنظام والأمن في طرابلس وبنغازى فان الحكومة العثمانية القادرة جيداً على تقريم الحالة لا يمكنها إلا أن تؤكد كما فعلت سابقاً أنه لا يوجد أقل سبب داع للخوف على الطليان والأجانب النازلين هناك .

ففي تلك الأقاليم لا يوجد اضطراب ولا تهيج ، ومهمة الضباط وغيرهم من موظفي الحكومة ضبط الأمن وهم يقومون بمهمتهم خير قيام .

أما وصول النقالات العسكرية العثمانية إلى طرابلس ، المتمسكة به السفارة لأنها تتوقع منه نتائج خطيرة ، لجواب الباسب العالي عليه أنه لم يرسل سوى نقالة واحدة سافرت قبل وصول مذكرة ٢٦ سبتمبر بيضعة أيام ، وزد على هذا أن تلك النقالة لا تحمل جنوداً فلا يمكن أن يكون لوصولها تأثير على افكار الأهالي غير تأثير الهدوء .

فاذا تبين ذلك لا يبقى إلا عدم وجود الضمانة التي تضمن للحكومة الطليانية توسع مصالحها الاقتصادية في طرابلس وبنغازي، فاذا كانت الحكومة الملكية لا تعدد إلى عمل خطير كالاحتلال العسكري فإن الباب العالي عاقد النية على إزالة هذا الخلاف والحكومة السلطانية تطلب من الحكومة الملكية أن تبين لها نوع الضمانات المطلوبة، فهي توافق عليها إذا لم تمس الأملاك، وهي تتعهد بالألا تغير شيئاً من الحلة الحاضرة أثناء المفاوضات، من حيث الهيئة العسكرية في طرابلس وبنغازي، ولها الأمل أن الحكومة الملكية توافق الباب العالي على أمياله الحسنة.

الاستانة في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١

استغاثة السلطان بملوك أوروبا : وقد استغاث السلطان بملوك أوروبا، فرد ملك الانجليز معرباً عن أسفه لعدم استطاعته التدخل، وأجاب امبراطور ألمانيا بأنه أصدر تعليمات لسفيره ليتوسط في الأمر؛ ولكن انفراد ألمانيا جعل وساطتها غير مجدية.

موقف مصر منها - وقد كان موقف مصر الرسمي من هذه الحرب هو موقف الحياد حسب إشارة انجلترا، وقد أبدل بالمأمورين المصريين في الحدود الغربية انجليز، ومنع أهالي المغرب من الدخول للأراضي المصرية، وأعدت الزوارق التابعة لمصلحة خفر السواحل لمراقبة الحدود الغربية والشرقية حتى قطعت التجارة الطرابلسية المصرية ورددت كل قافلة تجارية آتية من تلك البلاد.

أما موقف الشعب المصري فكان موقف المعاضد لتركيا فشككت اللجان بكثير من أنحاء البلاد لجمع التبرعات للدولة العلية، ففي ١٤ أكتوبر سنة ١٩١١ شككت لجنة عليا برياسة الأمير عمر طوسن، وبلغت قائمة التبرعات الأولى ١٦٩٢ جنيناً والثانية ٣١٣٧ جنيناً ثم توالت التبرعات من جميع النواحي حتى بلغت في أول يناير مبلغ ٨٥٤٦٨ جنيناً، أخذت تزداد كل يوم.

وتألفت جمعية الهلال الأحمر برياسة الشيخ علي يوسف وقررت تأليف عدة مستشفيات ميدان، وسافرت البعثة الأولى يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩١١، كما سافرت ثلاث بعثات يوم ١٤ ديسمبر، وتوالت البعثات الطبية.

وفي ١٨ يناير سنة ١٩١٢ أعدت سوق خيرية في حديقة الأزبكية لقبول تبرعات المتبرعين للهلال الأحمر تحت رعاية دولة الوالدة، وضربت عليها السراقات والزينات

البديعة وعرضت في السوق معروضات من بعض المحال التجارية وخصصت أرباحها للجمعية . وقد توالى التبرعات بالحلى والجواهر والأواني الفضية والذهبية من أميرات البيت الحديوي وحرم الكبراء والعظماء وسواهن .

مظاهرات الأهالى : وقد كان الشعور لدى الأهالى بالغاً حد الانتباه لكل حركات الحرب وتفصيلاتها ، ووردت الأنباء مبدئياً بانتصار الأتراك . فقامت مظاهرة ابتهاج في الاسكندرية ، فمز ذلك على الجالية الايطالية فيها فاشتبكت مع المتظاهرين وأطلق بعضهم عيارات نارية أصابت المصريين وانهى الحادث قبل استفحاله .

مجهودات عزيز المصرى بك والأستاذ عبد الرحمن عزام : وقد اشترك في هذه الحرب من المصريين عزيز المصرى بك ، وكان قائداً في بنغازى ؛ والأستاذ عبد الرحمن عزام ، وكانت لهما جهود كبيرة في تأليف الجيوش والجهاد .

كتشفت سياسته مع المصريين : في أوائل هذه الحرب ذهب وفد من كبار المسلمين إلى اللورد كاتشر وطلبوا منه إرسال بعض أوط من الجيش المصرى لمساعدة الأتراك ، فأجابهم قائلاً : هذه فكرة صائبة ولكن لما كان من الصعب أن نجد جنوداً آخرين ليحلوا محل الجنود المطلوب سفرهم ، فاني سأضطر في هذه الحالة لأن أطلب من حكومتى أن ترسل لمصر جنوداً من الانجليز ، فانصرف الوفد دون إلحاح .

وفي ذات يوم ذهب أيضاً جماعة من الضباط المصريين وطلبوا منه السماح لهم بالتطوع في الجيش التركى ، فقال لهم : لا أرى مانعاً من إجابة هذا الطلب ، ولكننى أقول لكم مقدماً بأنكم إذا سافرتهم فمن الضرورى ملء مرا كزكم في الجيش بصغار الضباط فعدتكم تعدون أنفسكم بطبيعة الحال في كشف الاستبداد ،

وجاء أيضاً وفد من مشايخ العربان واستأذنه في جمع المتطوعين لكي ينضموا إلى الجيش التركى ، فقال لهم إنه يهينهم على ما أظهره من الشجاعة والبسالة بتقديم هذا الطلب ، ولكن من الحرام أن تفقد مصر رجالاً مثلهم ذوى شجاعة وبسالة فان حكومة مصر ستضطر عند عودتهم أن تطبق عليهم قانون القرعة العسكرية المعافين منه إلى الآن ، وبعد المشاورة انصرفوا من عنده ولم يرجعوا إليه مرة ثانية ، وبذلك تحصل اللورد من إجابة هذه الطلبات تخلصاً من مسئولية حياد مصر .

جيوش السنوسى : وفي ١٤ يناير جاءت الأنباء بأن السيد احمد الشريف السنوسى

وإخوته يؤلفون الجيوش إلى ميدان القتال تحت قيادتهم الشخصية ، وقد نشروا الدعوة لكافة مشايخ القبائل والزوايا والمجاهدين . وفي أول أبريل وصل السنوسى بجيوشه إلى جغبوب .

الفرنسى فؤاد . راجت إشاعات عن البرنس فؤاد باشا فى المسألة الطرابلسية تلخص فى أن ملك إيطاليا وعده بامارة طرابلس بعد احتلالها ، وأنه بسبب هذا الوعد عمل على التقريب بين سمو الخديو وجمالة ملك إيطاليا ، فتمت زيارة الخديو لإيطاليا فى العام الماضى يرافقه البرنس ؛ وقد رددت هذه الإشاعات بعض الصحف الفرنسية والألمانية فأرسل البرنس تكذيبات لها نشرت فى ١٠ يناير سنة ١٩١٢ .

تذبذب الخديو . وقد سمى الخديو فى أول الأمر إرسال الاعانات والبعثات ومنها ما كان يحمل مدافع مفسكة وسلاحاً وذخيرة ومؤونة بعد أن أرسل رشدى باشا إلى كشنر للتفاهم معه قبل منح التسهيلات اللازمة بدون مسئولية عليه أو على حكومته . ولما توالى انتصارات الإيطاليين فى طرابلس فى الأشهر الأخيرة من الحرب ، وتغير موقف الخديو ، عاد فطلب من كشنر بواسطة حسين رشدى باشا وقف المساعدات ، فامتنع عن اتخاذ خطة صريحة بذلك بعدما سمح بإرسالها أولاً ، وانتهى الأمر بأن يقال إن البعوث الأخيرة ضلت الطريق وقد منعت بعوث الهلال الأحمر العائدة من الدخول بالمرضى .

عبد الحميد بك شديد ومهمته (*) : وأرسل الخديو عبد الحميد بك شديد للسيد ادريس السنوسى ليغريه بالاتفاق مع إيطاليا حملاً للحرب على أن يسمى الخديو فى الحصول له على امتياز من إيطاليا وتنصيبه رئيساً على السنوسيين بدلاً من عمه الشيخ أحمد السنوسى الكبير؛ وفى نظير ذلك يتحصل سموه على وعد بمبيع سكة حديد مريوط لآحد بنوك إيطاليا بشمن يرضيه . ولكن المساعى التى كان عباس يبذل الجهد فيها للوصول إلى ذلك قد فشلت ، لأن كشنر ضربها ضربة قاضية .

الخديو والحزب الوطنى . منذ عامين والجفاء يشتد بين الخديو والحزب الوطنى ، وقد ورد شىء من ذلك فى مذكراتى فى السنين الماضية .

وفى ١٩ يناير من هذا العام أقيمت حفلة لرعاية الأطفال بدار الأوبرا تحت

(٥) وقد طلبت من عبد الحميد بك شديد بعض تفصيلات عن مهمته ولكنه اعتذر بمرحمة .

رعاية سمو الخديوي وحضرها مندوب من قبل سموه ، وقد حدث عند دخول المندوب وعزف الموسيقى بالنشيد الخديوي أن وقف جميع الحاضرين حسب المعتاد ما عدا محمد فريد بك رئيس الحزب الوطني ، مما استرعى أنظار الحاضرين جميعاً .

ولما كانت هذه هي الحادثة الأولى من نوعها ، فتناقلتها الألسن والصحف ، وكانت لها ضجة في داخل السراي .

وقد خاطب حسين رشدي باشا فريد بك في هذا الشأن فأجاب به بأن ليس هناك قانون يحتم عليه الوقوف .

وكانت هذه الظاهرة بمثابة إعلان حرب عدائية على الخديوي ، والخروج على الاحترام اللائق به .

الحض على كراهة الحكومة : وفي ٢٦ مارس اجتمعت الجمعية العمومية للحزب الوطني فألقى محمد فريد بك خطبة نارية ، اعتبرتها النيابة حضاً على كراهة الحكومة ، فأخذت في محاكمته .

وقد كان سعد زغول باشا ناظراً للحقانية فلم يؤخذ رأيه في هذه المحاكمة فاستقال من النظارة (كما سيحيى ذلك بالتفصيل) .

وفي يوم ٣٠ أبريل نظرت القضية أمام محكمة الجنايات بثمناً فيها محمد فريد بك بالحض على كراهة الحكومة والدعوة للثورة ولم يكن حاضراً ، وعلى اسماعيل حافظ مدير العلم ، وعلى فهمي كامل الحارس القضائي لجريدة اللواء لنشر الخطبة في جريدتهما .

وقد مثل النيابة محمد زكي الابراشي افندي ، وترافع عن المتهم الثاني عبد العزيز فهمي بك وعن الثالث محمود ابو النصر بك . وحكمت المحكمة بالحبس ستة مع الشغل على فريد بك وبالحبس البسيط ثلاثة أشهر على كل من الثاني والثالث .

المؤامرة على التمرد وكنتشنر ومحمد سعيد : وفي أول أغسطس قبض البوليس على ثلاثة شبان وهم محمد عبد السلام وإمام واكد ومحمود طاهر العربي بتهمة المؤامرة على حياة الخديوي وكنتشنر ومحمد سعيد ، وقد كان تدبير القبض عليهم من فليبيدس مأمور إدارة الضبط بالقاهرة .

ونظرت القضية في ١١ أغسطس وحضر للدفاع عن المتهمين ابراهيم الهلباوي بك ومصطفى الشوربجي افندي وعبد الوهاب افندي البرعي .

وكانت الجلسة برئاسة على ذى الفقار باشا وعضوية احمد موسى بك ومحمد توفيق رفعت بك .

وتولى الاتهام عبد الخالق ثروت باشا النائب العام ؛ وقد أنكر المتهمون التهمة الموجهة لآلهم .

وفي ١٢ أغسطس أصدرت المحكمة حكمها بالسجن مع الأشغال الشاقة ١٥ سنة على إمام واكد ، وبالسجن مع الشغل ١٥ سنة كذلك على محمود طاهر العربي ومحمد عبد السلام .

اتهمهم فريد بك للتخريب : في يوم ٢٠ أغسطس نشر محمد فريد بك في جريدة السيكال الفرنسية مقالا يتهم فيه الخديو بالعمل ضد عرش الخلافة وضد كيان الدولة بالاتفاق مع إنجلترا نظير اعترافه بالحماية سراً .

وأن الغرض من هذه المساعي ضم برقة وسوريا وبلاد العرب لمصر وتنصيب عباس خليفة عليها خاضعاً للانجليز ، وأنه يستعين بعملاء الأزهر وبعض مشايخ الزوايا والتكايا ويرسلهم برسائل خاصة إلى اليمن والعسير ليثبوا روح العصيان .
ولكى يتسنى تثقيف رسل تتوفر فيهم الكفاءة لنشر هذه الدعوة ، كلف الشيخ محمد رشيد رضا بتأسيس مدرسة خاصة في القاهرة باسم مدرسة الدعوة والارشاد ، ولهذه المدرسة فرع في باريس باسم جمعية تنشيط العلوم العربية تحت رئاسة طالب ينفق عليه الخديو .

وقد نذب الشيخ رشيد رضا عقب تنظيم المدرسة من لدن رؤسائه (الخديو وأنصاره) للذهاب إلى الهند لحضور مؤتمر إسلامي في د لكانوا ، لينصح للمسلمين بالخضوع للانجليز ويطرى الخديو وحكومته في مصر ، ويمنع الاكثابات للعثمانيين في طرابلس ففشل في مهمته (*)

ثم إن مصلحة المخابرات التابعة لنظارة الحربية المصرية تبث جواسيسها في سوريا لنشر هذه الفكرة وأكثر رسلها من السوريين .

(٥) مع اتصال الشديد بالسراى وما يدور فيها فأتى لم أسمع عن هذه التديرات التي ذكرها محمد فريد بك خاصة بسى الخديو للخلافة تحت الحماية الانجليزية أما فيما يخص بمدرسة الدعوة والارشاد فأتى أعلم أنها أنشئت لغاية سامية جذتها وساعدتها وهى الدعوة الدينية الخالصة وقد تخرج فيها بعض نوابغ المسلمين ومنهم السيد محمد الحسينى مفتى القدس ورئيس المجلس الاسلامى الأعلى .

وقد أعقب فريد بك هذه المقالة بمقالين آخرين في ٥ و ١٠ سبتمبر فيما تؤكد وتفصيل لما ورد بالمقالة الأولى ، وختمها بقوله :

« وقد رغبت في نشر هذه البيانات لاماطة الشام عن هذه الدسائس أمام العالم المتمدنين ، ولأحذر الدول ذات الشأن من الأعمال التي يقوم بها عباس الثاني إرضاء لطمع شخصي يحاول به أن يززع توازن العالم بوضع الخلافة في يد إنجلترا ، فيجب على فرنسا هذه الدولة ذات المستعمرات الاسلامية الكثيرة أن تراقب الحالة عن كثب . »
وبعد ظهور هذه المقالات أخذ بعض أعضاء الحزب الوطني - بمساعي الخديو وتأثيره - يطلبون عزل محمد فريد بك من رئاسة الحزب ، وطلبوا انعقاد اللجنة الادارية للحزب لمحاكته ، فعارض في هذا على فهمي كامل بك .

وأخيراً عقدت اللجنة وقررت استنكار مقالات فريد بك ، ولكن لم ينشر هذا القرار في الصحف ؛ فاستقال بعض الأعضاء ومنهم على المنزلاوى بك ومحمود فهمي سكرتير الحزب .

وفي ٢٠ سبتمبر نشرت الأهرام ، برقية أرسلها فريد بك لعلي فهمي كامل بك وكيل الحزب باستقالته لاضطراره للبقاء خارج القطر ، وطلب أن تعرض الاستقالة على الجمعية العمومية للحزب دون غيرها ؛ وذلك نظراً لما بلغه عن مساعي الخديو مع أعضاء اللجنة الادارية .

محاكمة الشيخ جاويش . وفي يوم ٢٤ أغسطس ضبط بوليس جمرک الاسكندرية مع الشاب ، احمد مختار ، القادم من الاستانة حقيية بها منشورات ثورية مطبوعة في مطبعة الهلال العثماني التي يصدرها الشيخ عبد العزيز جاويش . تتضمن قدحا شديداً في الخديو ، ودعوة لتأسيس الجمعيات السرية للفتك والاعتقال .
وظهرت في الوقت نفسه منشورات ثورية في الاسكندرية ووطنها .

وتكررت المقالات المثيرة في اللواء والعلم فصدر أمران باغلاقهما : الاول يوم ٣١ أغسطس والثاني يوم ٧ نوفمبر ، بعد إندازهما مرتين .

وقد قبض في الاستانة على الشيخ جاويش وأحضر للاسكندرية يوم ٨ منه . فكتب فريد بك في جريدة السيكل يتنقد حكومة الاستانة لتسليمها رجلاً متمماً بتهمة سياسية لخصومه ، مخالفة في ذلك جميع التقاليد الدولية .

وقد حوكم الشيخ جاويش وحفظت القضية بالنسبة له في ١٩ أكتوبر لعدم كفاية الأدلة .

استقالة سعد باشا : في أواخر يناير من هذا العام جرى حديث بين سعد باشا ناظر الحسانية ومدوب جريدة الأخبار نفي فيه الاشاعات التي تناقلتها الصحف عن قرب استقالته من الحقانية .

ولكن في أول أبريل ، بعد الشروع في محاكمة محمد بك فريد بتهمة تحريضه على كراهة الحكومة، دون استشارة سعد باشا ، قدم استقالته للخديو منبئية على أنه لم يوفق لرضا سموره في الظروف الحاضرة .

وقد قبلت الاستقالة ، وصدر الأمر لحسين رشدى باشا بالقيام بعمله ، ثم عين نهائياً يوم ١٤ منه .

وفي ٦ أبريل نشر مقال بالأهرام بتوقيع « عارف » جاء فيه :

« إن سعد باشا من مدة قريبة كان يقول : « إننى لم أفكر ولن أفكر في الاستقالة مادمت قائماً بواجباتى نحو أمتى وبلادى . »

ثم قال إن بعض الناس يقولون عن سعد باشا إنه متصلب خشن والقضاء في حاجة لتصلبه وخشوته . أما أنا فأقرر أنه إذا كان صلباً خشناً فهو كذلك مرن لين ، يميل عند الضرورة للخضوع والتسليم ، بدليل تصميمه على عدم الاستقالة ، ثم استقالته الآن .

ثم أخذ يتكلم عن سبب استقالته ، وبعد أن وجه عدة غمزات شديدة لسعد باشا في أخلاقه قال :

« إن بعض أخصائه ذكر أن سعادته روى في مقام من المقامات العالية عبارة تمس بأمانته وكرامة رجل من كبار موظفي الحكومة ، وكان يعتقد أنه إنما يخدم أتمته وبلاده بما روى ، ولكنه يظهر أن الدهر لم يسعد سعد باشا في هذه الدفعة حيث جنى عليه اجتاده ، وتبادر إلى الأذهان أن سعادته يريد بهذا العمل إيقاع النفرة بين مقامين من قادة الأمة ، ومن مصلحة البلاد تمكين عرا الوفاق وحسن التفاهم بينهما ، فتربت على ذلك مطالبة سعد باشا بأثبات ما صدر عنه في هذا الشأن ، ولكنه عجز ؛ وسرعان ما تزعزعت الثقة في مروياته من نفس السلطة الهللية . أما السلطة الشرعية فيقال إنها

قد ازدادت اقتناعاً بأن ساعة استقالة سعاد باشا إذا لم تكن قد حانت من زمن فانها قد حانت ، ،

ثم ذكر أن سعاد باشا لم يرد الاستقالة وقتذاك ، وانتظر أن تأتي فرصة أخرى ليخرج بمناسبة شريفة .

وأنه ، وقد فقد السلطة الفعلية ، أراد التقرب للسلطة الشرعية ، ووسط بعض أصحاب العائلة الخديوية ، فلم تنتج الوساطة ، وأخيراً قدم استقالته .

وذكر أن سعادته سلم صورة الاستقالة لمستشار الحقانية لتسليمها لكنتشنر مشفوعة بعبارة مفادها : « لقد سحيموني لأرضاء الجناب الخديوي » وأن اللورد رد على ذلك شفوياً بأنه قد علم بقبول الاستقالة ، وأنه ينظر إلى هذا القبول بعين الارتياح ، وإنه إن كان قد سخاه كما يقول فما عمل هذا إلا إرضاء للصالح العام .

وبعد ذلك أخذ يشرح أسباب تولية سعاد النظارة في عهد كرومر فذكر أن اللورد أراد بها تقوية مركزه بعد حادثة دنشواي ، لما كان مشهوراً عن معارضة سعاد للحكومة . والسياسة الانجليزية ، فكان تعيينه إرضاء للوطنيين ، وثناؤه على الانجليز وسيلة لتقوية مركز المعتد في إنجلترا .

ثم دارت الأيام وانفقت السلطان فلم يبق ما يدعو لخدمات سعاد باشا ، فهو قد دخل النظارة للشقاق والزراع وتركها للوفاق والسلام .

وقد أرسل سعاد باشا من مسجد وصيف برقية للصحف نفي فيها ما جاء بمقال عارف ، وخصوصاً ما يتعلق بالالتجاء إلى أحد أصحاب العائلة الخديوية ، وبارسال الاستقالة إلى كنتشنر .

وذكر أنه مستعد لظهار الحقيقة في ذلك كله إذا كشف العارف عن اسمه ، وصرح بأنه مأذون في نشر ما رواه لأن بيان الحقيقة يستلزم إفشاء أسرار يقضى الواجب بكتمتها إلا إذا أذن أصحاب الشأن صراحة أو ضمناً بافئائها .

وبعد ذلك أخذت الصحف تخوض حول هذا الموضوع وتملاً كثيراً من أعمدتها بالمناقشة والردود .

وفي ١١ أبريل نشرت « الأهرام » ، أن « عارف » ، فوض إليها نشر لسمه إذا طلبه إحدى المحاكم الأهلية أو المختلطة أو نيابة إحداهما ، وأنها أبلغت سعاد باشا ذلك .

وفي ١٢ منه نشرت مقالة أخرى لعارف فيها غمز شديد لسعد باشا وتوكيد لما ورد في المقال الأول وتفصيل لحوادثه، وقال « إن البرقية التي نشرت باسم سعد اخترعتها صحيفة « الجريدة » ولكنها أخطأت وأسأت لسعد بها ولم تحسن الدفاع عنه . »
وفي ١٤ منه بدأ التحقيق في القضية وظهر اسم « العارف » وهو اسماعيل أباطة باشا وحضر عن المدعى المدنى (سعد باشا) ابراهيم بك الهلباوى ومحمد بك يوسف . وقد وجهت النيابة تهمة السب والقذف لأباطة باشا ، فطلب مهلة أسبوعين للاجابة ، لأن ما نسبته لسعد باشا خاص بعمله كوظف .

ثم طلب حضور سعد نفسه لأنه أعرف الناس بما يختص بشخصه وهناك أشياء قد يرى سعادته بعد المناقشة أن من المصلحة عدم الخوض فيها . وقد أجل التحقيق خمسة عشر يوماً .

وفي ٢٩ منه استؤنف التحقيق وصرح محاميا سعد للتهم بانبات كل ما يريد إثباته . وأن موكلهما لا يتمسك بالقانون ، الذى لا يبيع للطاعن فى أحد الأفراد كما هى صفة سعد الآن إثبات قذفه .

وكرر أباطة باشا طلب حضور سعد باشا فقرر محاميه أن سعادته لن يحضر ، ثم قدما توكلهما عنه فذكر أباطة باشا أنه قاصر ، ولم يجد مهمة الوكيلين ، وامتنع عن الاجابة حتى يحجر توكيل مفصل ويثبت رسمياً أنه من المدعى المدنى .
وقد اعتبر التحقيق منتهياً بهذا .

وفي ٣٠ مايو عرضت القضية فى جلسة سرية وقد دعيت للشهادة فقررت أن الخديو كان مستاء من سعد باشا منذ حادثه دقه المنضدة أمام سموه فى جلسة مجلس النظر عند نظر قانون مدرسة القضاء الشرعى ، وأن أباطة باشا كان مندفعاً فيما كتب بتأثير خصومته لسعد باشا واعتقاده أن ما كتبه قد يرتاح إليه الخديو .

كشفتصر فى مصر . فى يوم ٩ فبراير قرأت فى جريدة مورتنج بوست كلمة عن اللورد كنشتر فى مصر جاء فيها :

« إنه يختلف كل الاختلاف عن اللورد كرومر والسير الدون جورست ، ويزيد فى مزاياه عن سلفيه أنه فاتح الخرطوم ، وقاهر المهدي ، والسردار السابق ، والعارف لكل من خدم فى الجيش المصرى ، والمعروف عند أخط الطبقات المصرية .

د إنه يتكلم اللغة العربية كما يتكلمها ابن مصر، ويعرف كل مركز من مراكز الوجهين، ولم بكل مسألة تقع في البلاد، ويذهب إلى كل مكان .
وقالت عن علاقاته بالحديو: «إنها حسنة وصريحة وكل منهما يعرف حدود صاحبه ونفوذه وكلاهما راض بما عنده .»

تدخله في جميع الشئون: وهذا الذي ذكرته الصحيفة الانجليزية عن كتشنر صحيح في عمومها فانه منذ أن عين معتمداً في مصر لم يفتأ يهتم بأبسط المسائل ويזור البلاد ويتحدث مع أهلها ويسمع اقتراحاتهم، كما أنه الحاكم الشرعي في البلاد. وكانت استقبالاته من الحكام ومن ذوى الحاجات لا تدع مجالاً للشك في أنه قابض على كل السلطة في مصر؛ ومن أمثلة ذلك أن يطلب إليه أهالي أسنيوط في إحدى الزيارات لإنشاء مدرسة ثانوية، ويطلب أهالي فوة خطأً حديدياً بينها وبين دسوق . . . الخ .

كما أنه كان يبذل أشد الاهتمام لشئون الفلاحين فأنفذت بإشارته عدة مشروعات خاصة بهم كقانون خمسة الأفدنة، الذي حمى الفلاحين من أيدي المرابين الذين يعيشون في الأقاليم الفسادية؛ وبذلك القانون أنقذ هؤلاء الفلاحين الذين يكونون أربعة أخماس تعداد القطر المصري .

وكذلك أنشأ ميدان صلاح الدين الأيوبي بالقلعة ووسع ميدان باب الحديد وأنشأ كذلك صناديق للتوفير في القرى، وتكوين لجنة لبحث آفات القطن وانتقاء البذور، ومحاكم الأخطاط .

وقد ساعدت تحت ضغط اليقظة القومية على تقرير التدريس باللغة العربية في المدارس الثانوية من العام القادم .

وفي ١٨ مايو صدر تقريره الأول فابتدأه بالثناء على الحديو ونظاره للنجاح الذي حصلوا عليه في سبيل تحسين حالة الأهالي .

ثم ذكر أن الأمة المصرية أظهرت هدوءاً وإخلاصاً نحو الواجب والقانون والنظام في الحرب الطرابلسية الأخيرة، وذلك رغم إغراء صحف الحزب الوطني ورجاله الذين لا يحسبون حساباً للمواقب . وذكر أن مجلس الشورى قام بواجبه خير قيام وأنه يحسن توسيع سلطته واختصاصه .

وقال إن ارتقاء السواد الأعظم من القطر يتوقف على تحسين الزراعة وترقية

المعارف بينهم ، وأن مصلحة الزراعة تعمل جهودها في تعليم الأهالي وإرشادهم ؛ واقترح التعليم نصف اليومى في القرى . ثم عمد إلى تفصيلات جزئية كثيرة في كل نواحي الأعمال نتيجة لتداخله فيها جميعا .

ومن الصراحة أن نقول إن الخديو عندما رأى تغفل نفوذ كتشنر في البلاد ، وأنه لم يبق له أية سلطة ، اعتكف في سراى القبة وامتنع عن التدخل في أمور البلاد ولم ينزل إلى سراى عابدين إلا للضرورة القصوى ، ولم يرأس مجلس النظار إلا نادراً ، وترك العمل لكتشنر ومحمد سعيد ؛ وسرى كيف وثب من رقده لا سترداد نفوذه .

تعلية هُرمه أسوانه . تمت تعلية خزان أسوان وتقرر افتتاحها يوم ٢٢ ديسمبر وقد حضرها الخديو ورجال الحاشية ، وسبقه النظار لاستقباله . وفي الساعة الخامسة مساء وصلنا إلى الخزان فاستقبل سموه العظماء والكبراء والنظار واللورد كتشنر .

وألقى ناظر الأشغال اسماعيل سرى باشا خطبة عن سياسة الري والحاجة لتعلية الخزان وفوائدها والنقائص التي احتاجها وهي نحو خمسة ملايين جنيه . ثم ألقى الخديو كلمة عبر فيها عن سروره بهذا العمل وعنايته بسعادة مصر والعمل لمسا فيه خير الأجيال القادمة .

وقام اللورد كتشنر فأبلغ الخديو رسالة من ملك إنجلترا جاء فيها :
« أرغب إليكم في هذه الفرصة المباركة أن تعربوا للجناب العالى الخديوى عن تهنتى القلبية لسموه بمناسبة انتهاء الأثر الجليل الذى يتصل به اسم عمى الدوق أوف كونوت (*) »
« وإذا كنت أوصل بنظرى مع الاهتمام الشديد بنجاح القطر المصرى فاني أشاطر سموه الاغتياب باتمام ذلك الأثر الجليل . »

ثم تناول الخديو محرراً فنياً فحركه فانفتح الهاويس ومرت السفن بحية سموه .
بينى وبينى الشيخ على يوسف . قابلنى الشيخ على يوسف وأخبرنى أنه تحادث مع الخديو بشأن وقف عبد الرازق الوفاى بالاسكندرية الذى تحت نظر الأوقاف ، وأثبت لسموه أنه تابع لوقف أبى الأنوار السادات ، فأمر بأعداد الأمر الخديوى

بتحويل نظارة الوقف إليه وعرضه على سموه لتوقيعه عند المقابلة لصلاة الجمعة بالاسكندرية .

فأخذت في بحث المسألة ، وكلفت من يتحقق من الشواهد بمدافن السادات فثبت لي أن الاسم لمسميين ، وأن بين الواحد والآخر جيلا كاملا ، وليست هناك صلة بين وقف عبد الرازق الوفائي بالاسكندرية ، وعبد الرازق الوفائي التابع لأبي الأنوار .

وفي يوم خميس مر على الشيخ وسألني مستبظاً لإعداد الأمر الحديوى . فأخبرته بنتيجة الأبحاث التي قمت بها ولم يكن ينتظر — للصدقة التي يبني وبينه — أن أقف منه هذا الموقف ، ولذلك قام من عندى غضباً .

وفي يوم الجمعة ذهبت لسراى رأس التين فوجدت هناك سعد باشا وآخرين فسألني : « ماذا بينك وبين الشيخ على الرجل حجته واضحة ظاهرة ، فأخبرته بالأمر . فقصص على أن الشيخ عليا هنا وأنه قص القصة وهو متأثر وأغمى عليه . »

ثم دعيت لمقابلة الحديوى فلما دخلت وجدت محمد سعيد باشا واسماعيل أباطة باشا فسألني محمد سعيد باشا عن الموضوع وتحدث في صالح الشيخ على فأخبرته بالحقيقة ، وكان الحديوى وأباطة باشا يتغامزان ا

ولما طلب مني محمد سعيد باشا أن أتساهل قلت له : « إن المسألة مسألة شرعية . فلماذا يطلب الشيخ على من الحديوى أن يقضى فيها ، وهذا دخول من النافذة لا من الباب ، والأولى أن يعرض الأمر على المحكمة الشرعية للفصل فيه . »

فاعترض محمد سعيد باشا على ذلك محتجاً بأنه ليس من اللائق أن يخلع الحديوى عن نظارة وقف بطريق المحاكم .

فأجبت بآن هذه ليست أول مرة وليس فيها غضاضة ولا مساس بالجناب الحديوى ، لأن الأصل في نظارة الوقف أن تكون لمستحقه ، فإذا لم يوجد أحداً تحكّم المحكمة بانتظار الأوقاف عليه ، وفيما بعد إذا اتضح وجود أحد من الذرية عين ناظرأ .

فرد محمد سعيد باشا بآن في هذا التصرف ضجة على كل حال .

فقلت له : « إنه كان يشاع عن الجناب الحديوى أنه يطلق يده في خزانة الأوقاف فيخرج منها ما يشاء من النقود ليوزعها على أنصاره وأنا أخشى أن يقال الآن إنه حينما وجد حارساً للخزانة أخذ يوزع منها الهبات والمنح أملاكاً ونظارات . »

أما إذا حكمت المحكمة لصالح الشيخ على فان ذلك يثبت عدم تسامح سموه حتى مع أخصائه في مسائل الأوقاف .

وأخيراً اقترح محمد سعيد باشا ، بدلا من المحكمة الشرعية ، أن تشكل لجنة تنظر في طلبات الشيخ على واعتراضاتي عليها . فأجبت بأنه لا مانع عندي من قبول هذا الحل ، ولكن على شرط أن يكون الشيخ بمخاتي مفتى الديوان عضواً في هذه اللجنة .

وقد ألفت اللجنة وكان من بينها فضيلة شيخ الجامع الأزهر والمفتي ومفتي الديوان وقدم الديوان لها مستنداته وطلبت من الشيخ على تقديم تقريره ، ولكنه لم يقدم شيئاً .

وبعد ذلك أخذ الشيخ يثير حولي انتقادات في جريدة المحروسة وسواها ، ومن وقت لآخر كان الحديدي يوجه نظري لهذه الحملة ، فأجيبه بأني مطمئن لأنني واثق من أعمالى وعالم بحقيقة هذه الحملة وأسبابها .

وأخيراً رأى سموه أن يوجد حلاً لهذه الخصومة وأن أصطلح مع الشيخ على ، فاخبرته أنه لا شيء يمنعني من الصلح ، لأنني غير غاضب عليه .

وقد اقترح اسماعيل أباطة باشا أن يدعونا نحن الاثنين للغداء على مائدته ، وخوفاً من عدم ذهابي في الموعد قال إنه سيحضر ليأخذني ولكنه تأخر عن مواعده فذهبت منفرداً .

ولما رأني داخلاً تعجب مجيئي وحدي ووقف لمصالحتي وتقدم كذلك الشيخ على يوسف فصالحته وقلت له : « ساحك الله ، فأنا قد تحملت الانتقاد دون كلمة رد واحدة . . . » فما كان منه إلا أن قال : « هذا هو الذي قتلتني ! »

أعمالى في ديوانه الأوقاف . عندما تسلمت أعمال الأوقاف كان لزاماً على أن أستعين على مهام هذه المصلحة الواسعة بمعلومات واختبارات رجلين يشرفان على أقسام الديوان ، أحدهما محمد على دلاور بك مدير الإدارة والحسابات وغير ذلك والثاني محمد سليمان أباطة بك مدير الإيرادات والزراعة ؛ والحق أن كلا منهما كفى : فدلاور بك ذكى ومنظم ونشيط ومحمد سليمان أباطة بك من أحسن الفتيين في الزراعة .

وقد أوليتهما ثقى وأولياتى إخلاصهما ، فكنا نتشاور في المسائل كلا في اختصاصه فاستبشرت خيراً .



محمد علي دلاور بك



محمد سليمان أباطه بك

ولكن بالأسف لم البث أن علمت وجود خصام بينهما؛ وانقسم الموظفون حزبين، كل واحد يطعن في الآخر في الباربات والمقاهي على مسمع من الجمهور، فتمس بذلك سمعة الديوان فبادرت إلى تلافى ذلك لجمعتهما ونصحتهما باللين للكف عن هذا الخصام الذي يضر المصلحة العامة وأن تكون يدأ واحدة في خدمة هذه المصاحبة الخيرية؛ وانتهى الحال على قبول النصيحة ونبت الخصام؛ وأظهرت سرورى لها فانصرفا، غير أنه لم يمض على هذا الصلح إلا القليل حتى رجعا إلى ما كانا عليه من النفور، وقد فهمت أن السبب في ذلك عائد إلى أن كل واحد منهما يريد التغلب على الآخر بزيادة النفوذ في الديوان فقررت بأن العلاج الوحيد لذلك هو تغيير هذا النظام واستبداله بوكيل لتوحيد العمل في يده حتى لا تكون هناك منافسة.

وفي أواخر السنة الماضية عرضت فكرتي على الجناب الخديوي فلاحظ صعوبة في تنفيذها؛ لأن دلاور بك متم إلى حسين رشدي باشا والآخر معضد من عميد الأسرة الأباطية. اساعيل أباطه باشا. فقال لي سموه: وماذا تفعل يا شفيق حينئذ؟، فاجبته

بأنى أفعل ما فيه المصلحة العامة وأتحمل كل غضب منها. وأخيراً قبل الخديو الفكرة واستبدلت وظيفتى المديرين بوظيفة وكيل، ولارضأهما طلبت من المجلس الأعلى زيادة سنى خدمتهما فكانت هذه الوسيلة مرضية لهما.

وبما أضحكتنى أن أزهرى بك حضر عندى وقال لى: وما هذه السياسة باشا؟ لما توليت إدارة الأوقاف ورحبت بهما وأوليتهما ثقتك كنا نحن كبار الموظفين نقول ها هو أيضاً شقيق باشا لعبا به واستألاه ووضعهما على كفتيه وما شعرنا إلا أنك نفضتهما فوقنا.

ومن حظ الديوان وحظى أيضاً أن تعين عبد الرحمن رضا بك الرجل القانونى الزيه فى منصب الوكالة وساعدنى على أعمالى فى المدة الوجيزة التى أقامها فى الأوقاف قبل نقله إلى القضاء، وتعين بعده عبد الرحمن فهمى بك وهو خير خلف لخير سلف وله مواقف مشرفة كما سيأتى الكلام عنها.

جناح جديد: ضاق بناء ديوان الأوقاف بموظفيه وأعماله فأنشأت به قسماً جديداً تقرر افتتاحه فى يوم ٨ يناير وهو اليوم الموافق لعيد جلوس الخديو.

وقد دعوت للاحتفال بافتتاحه كثيرين فى مقدمتهم أعضاء مجلس الأوقاف الأعلى والعلماء وأعضاء مجلس شورى القوانين وبعض قناصل الدول ووكلاء النظارات ومدونى الصحف العربية والأجنبية.

وكان رؤساء الديوان يستقبلون المدعوين فى حجرة وضع فيها رسم تخطيطى للبناء الجديد من صنع محمود فهمى بك باشمهندس الديوان.

وفى الساعة العاشرة والنصف حضر سمو البرنس محمد على باشا نائباً عن الخديو. وافتتحت الحفلة بالقرآن الكريم ثم وقفت فألقيت كلمة جاء فيها:

« أفتتح هذا البناء الجديد باسم الله فى هذا اليوم المبارك يوم عيد الجلوس الخديوى تيمناً به . »

ثم ذكرت ملخصاً لتاريخ الديوان من يوم إنشائه صغيراً حيث كان إبراده نحو ألف جنيه، وتقله فى عدة أماكن تبعاً لاتساعه إلى أن استقر به المقام فى داره الحالية سنة ١٨٩٤، ثم إقامة هذا الجناح الجديد، للحاجة إلى توسعته شيئاً فشيئاً.

ثم شكرت صابر صبرى باشا باشمهندس الأوقاف السابق ومحمود فهمى بك

الباشمهندس الحالى ، وختمت كلمتى بالدعاء للجناب الخديوى وشكر الحاضرين .

ثم تفقد سمو البرنس البناء وأديرت الحلوى على الحاضرين .
وفى المساء أقيمت الزينات على بناء الديوان ابتهاجاً بعيد الجلوس وأقيمت حفلة ألقىت بها كلمة ، أشرت فيها إلى الابتهاج بالعيد الخديوى وشكرت بهذه المناسبة للذين عاونونى فى ديوان الأوقاف ، وأبدت أسقى على فراق من انتهت مدة عضويتهم بمجلس الأوقاف الأعلى ، ورحبت بالأعضاء الجدد .

رئيس قسم القضايا : ولقد كانت وظيفة رئيس قسم القضايا خالية ، فأذكر أن زارنى يوماً خالد القوال بك المحامى فى السنة الماضية وبادرنى بقوله إنه كان مع سمو الخديوى فى مدرسة هكسيوس بجنيف وإنه جاء بناء على أمر سموه ليتكلم معى فى معينه رئيساً لهذا القسم . فدهشت لهذه المفاجأة ولم ترتج نفسى لهذا الأسلوب الذى أراد به التأثير على باشارته إلى سمو الخديوى . ولما سألته عن مؤهلاته لم يقدم لى شيئاً يميزه عن سواء من المحامين . فصرفته على أن أفكر فى الأمر وقابلت سمو الخديوى وذكرت له ! حدث تفصيلاً وقلت إنه ، وهو لا يمتاز عن سواء ، لن يعينى تعيينه فى هذه الوظيفة الرئيسية الكبرى ، ولا سيما أنه يوجد بالقسم وكيل قضى زمناً طويلاً فى مباشرة أعماله واكتسب خبرة واسعة ولماً ما سبر القضايا هو خليل ابراهيم بك الذى لا يقل عن خالد القوال بك من حيث المؤهلات ويمتاز عليه بتلك الخبرة .

بعد ذلك زارنى خالد القوال بك مرة أخرى ومعه خطاب من رشدى باشا ناظر الحاقانية يؤيد فيه ترشيحه لتلك الوظيفة ويثنى على كفاءته ، فأذركت أن سمو الخديوى لا بد وأن يكون هو الذى أوحى لرشدى باشا بهذه التوصية . ولكننى لم أتحوّل عن رأيى . وقابلت سمو الخديوى ثانية وذكرت له أنى إن واقفت على تعيينه فيكون فى وظيفة نائب رئيس للقسم لارئيساً له . ففوض لى سموه التصرف فى الأمر ، وبالفعل عين خالد القوال بك بهذا المركز ولم يظهر كفاءته فى تنظيم القسم ولا ترفع مدة وجوده به فى قضية ما . ولما علم الخديوى بذلك أمرنى بالاستغناء عنه عند وضع الميزانية فى أوائل سنة ١٩١٣ باستبدال نائب برئيس .

وقد وردت إلى رسائل كثيرة بتوقيعات مجهولة ينتقد فيها كاتبوها توليته هذا المنصب ، ومن بينها كتاب بامضاء (مسلم غيور . على مصلحة المسلمين) جاء فيه :
« نشرت الصحف عقب عيد الجلوس الخديوى بأن سعادتك رقيمت حالة الأوقاف

العمومية مالياً وأدياً وقضيتهم على الأغراض التي كانت السبب في جعل المصلحة فوضى .
 « مع أننا نرى أن الوظائف العالية لا تعطى إلا لمن كان محكوماً عليه من
 الحكومة بالطرده أو التقي الإداري أو المتشردين الذين لا مأوى لهم غير البارات والحانات
 مع توابعهم الذين لا تخلو وظيفة إلا وسرعان ما يعينون فيها بلا مسوغ شرعي أو
 قانوني مثل « القوال » وأتباعه وأتباع تابعيه الذي يشغل أعظم وظيفة ما أنشئت إلا
 للمحافظة على حقوق المصلحة الخيرية . . . الخ ،
 وأخيراً استطعت إقناع الخديو بضرر وجوده فوافقني واستغنى عنه .

تنظيم قسم الهندسة : قد لاحظت في قسم الهندسة استقلالاً يفصله عن باقي الأقسام
 ويجعل إدارة الديوان على غير علم تام بسير الأعمال فيه . فسعيت في وضع النظام اللازم
 له وصدر الأمر الخديوي في ١٥ يناير بالموافقة على تشكيل لجنة من كبار أهل الفن
 لاتمام هذا الغرض تحت رئاسة صاحب السعادة اسماعيل سري باشا ناظر الأشغال
 العمومية فقامت اللجنة بالأمر أحسن قيام ووضعت اللائحة الداخلية لقسم الهندسة
 في مايو .

عيادة الجذام : ولما وجد بين المرضى الذين يخلفون إلى عيادات الأوقاف
 ومستشفياتها أشخاص مصابون بمرض الجذام رأى الديوان منذ سنتين عزلم عن
 غيرهم من المساكين بأمراض عادية اعتناء بشأنهم ورحمة بالذين يخالطونهم ، وخصهم
 بوقت آخر يعالجون فيه باحدى العيادات ، وتبرع الدكتور انجل بك من موظفي مصلحة
 الصحة العمومية ومن الاختصاصيين في هذا المرض بمعالجتهم مرة في كل أسبوع بشرط
 أن يصرف الديوان ما يتطلبه علاجهم من الأدوية . وما زال يتدرج عدد المرضى في
 الزيادة حتى دعت الحال إلى إفرادهم بمكان خاص والاعتناء بشأنهم اعتناء يناسب تلك
 الزيادة ، فرتب ما تقتضيه إدارة ذلك المكان وبدأ العمل فيه فعلا من أول هذه السنة
 وتعين طبيب مساعد للدكتور انجل بك مع الخدمة اللازمين لتيسير العناية بالمرضى
 وعيادتهم بأكثر مما كان جارياً طول مدة العلاج .

مستشفى الأمراض غير القابلة للشفاء : لما كان ما عمل بشأن مستشفى الجذام عملاً
 وقتياً لا يحقق كل ما نرجوه فقد اشتغل الديوان بدرس مشروع لإنشاء مستشفى كبير
 خاص بالأمراض غير القابلة للشفاء ، فذهبت إلى مستشار المالية وعرضت عليه الفكرة

فاستحسنها كثيراً وخصص لهذا المشروع قطعة من الأرض في جهة البساتين مسطحها ٦٨٩٩٩ متراً ، ولجأنا إلى المتوفر من خيرات وقف المرحومة ممتاز قادن افندي الشهيرة بأم حسين بك لأخذ ما يستلزمه تشييد هذا المعهد من المال وفقاً لما كانت ترمى إليه الوافقة من العطف على الفقراء والمساكين وتخفيف آلام المصابين من البائسين . وسيكون الشروع في بنائه سنة ١٩١٣ .

صندوق الاقتصاد والتعاون : ونظرت إلى حالة المستخدمين الخارجين عن هيئة العمال فأتممت لهم وضع لأئحة لانشاء صندوق الاقتصاد والتعاون ، ليوفروا فيه جزءاً من مرتبهم يضاف إليه من إعانة الديوان ما يسد حاجتهم عند ترك الخدمة ويساعد أسرهم في حالة الوفاة .

وفي أول يونيو عقد مجلس إدارة الصندوق في ديوان الأوقاف برياستى فألقيت خطبة جاء فيها :

« إننا نجتمع اليوم لتعاون بالرأى على القيام بالعمل الجليل الذى عهد به إلينا احتساباً بالبر بالضعفاء وبذل المعونة لأولى الناس بها وأشدهم احتياجاً إليها .»

وذكرت أن التفكير في هذا المشروع سببه أن هؤلاء المستخدمين لا يبق لهم ما ينفقون منه بعد مجرم عن العمل ، فالمشروع يهيء لهم وسائل الادخار وتشمير ما يجمع منهم ليكون لهم عدة بعد ذلك ، وذلك فضلاً على غرس عادة الاقتصاد فيهم .

ثم اخترت محمد وجيه افندى (١) سكرتيراً لمجلس الادارة واحمد افندى زكى رئيس قسم إدارة الخزانة أميناً لصندوقها . وانتخبت لجنة وقية للأعمال الادارية من عبد الرحمن فهى بك الوكيل (٢) و ابراهيم على بك (٣) مدير إدارة الحسابات واحمد الإزهرى بك (٤) والسيد محمود البيلالوى والسيد احمد محسن . .

تعديل لائحة الديوان : وكان مما يشغل فكرى دائماً لائحة الديوان العمومية الصادرة سنة ١٨٩٥ فقد مضى عليها زمن طويل اتسعت فيه دائرة العمل وهى على حالها حتى أصبحت غير ملائمة لما تقضى به حالة النمو والارتقاء . فسعت في سبيل تعديلها وصدر أمر الخديوى فى ١٦ مايو بتشكيل لجنة عالية لهذا الغرض تحت رئاسة صاحب السعادة حسين رشدى باشا ناظر الحفانية .

(١) . (٢) . (٣) . (٤) صورهم موجودة فى مجموعة الصور التى أهديت لى عند تركى ديوان الأوقاف

وسيرهاها القارىء فيها بعد

أما اللوائح الخاصة بكل قسم من أقسام العمل في الديوان فقد تم وضع بعضها مثل لأئحة المساجد ولأئحة الزراعات ولأئحة الجبابة . ولا يزال الديوان مشتغلا بوضع لوائح الأقسام الأخرى حتى يتكون من مجموع هذه اللوائح لأئحة الديوان الداخلية .

وقد وجدنا من باب المحافظة والضمان على النقود الموجودة في عهدة صرافى الفروع والمحصلين أن تتفق مع البنك الأهلى على أن يقبل ما يودعونه في خزانته من زيادة الإيرادات عن المصروفات في كل يوم أو في خزائن البنك الزراعى لحساب البنك الأهلى في الجهات التى ليس له بها فروع . وفتح لكل مأمورية اعتماد شهري لدى البنك تأخذ منه ما يلزمها للاتفاق فيما يزيد على الإيرادات .

تعليم بعض العلوم الأزهرية : لما كان قانون الأزهر الجديد قد اشترط لقبول المتسقين شروطا لا تتوفر في كل من يطلب العلم رأينا ألا يحرم من كان من هذا القبيل أن يأخذ نصيبه من العلم ، فخصنا لهم مساجد معينة يدرس لهم فيها بعض العلوم الأزهرية .

الشعبة الأزهرية لترقية الوعظ : وبالنسبة لما رأيناه من حاجة العامة في القطر كله إلى وجود وعاظ يقوّمون المعوج من الأخلاق ويرشدونهم إلى ما ينفعهم في المعاش والمعاد ، شرعنا في إنشاء هذه الشعبة الأزهرية لترقية الوعظ والخطابة ، حيث يبرن فيها الخطيب والواعظ على الطريقة المثلى في الوعظ وحسن التأثير .

فرش المساجد وإنارتها بالكهرباء للمرة لأولى : ونظرنا في أمر الأئامات ففرشت المساجد الكبيرة بالبسط الثمينة ونقل ما كان منها من البسط إلى المساجد الأخرى بعد إصلاحها .

ثم أدخلنا النور الكهربائى في المساجد الكبيرة المدن التى توجد فيها الكهرباء . ولا يزال الديوان يشتغل للوصول إلى أحسن طرق الانارة في المساجد الأخرى .

إلغاء إدارة المساجد بالمهدة : وكان من عادة الديوان أن يعطى المساجد بالمهدة ، بمعنى أنه كان يفوض لبعض الأشخاص مباشرة أمر المسجد من إقامة الشعائر ونحوها فظير مرتب جزئى لا يبلغ حد الكفاية ؛ فألغينا هذه الطريقة التى لا ينجح ما فيها من وجوه التقص والاهمال .

استبدال النقود بالخبز في المقارى . : ثم طرقنا باب إصلاح جديد في أمر كانت

الشكوى منه عامة وهو طريقة توزيع الخبز في المقارىء ؛ لأنه كان من المستحيل أن تصل الحقوق إلى أربابها سالمة من الغش وليس من المتيسر إقامة المراقبة الكافئة للتوزيع . فقررنا استبدال النقود بالخبز . فقامت في وجهنا من أجل ذلك مصاعب حمة كادت تقضى على المشروع خصوصاً من مفتى الديار ولكن لما وجدت هذه المعارضة طلبت عرضه على المستفيدين فمن قبل كان بها ومن لم يقبل يستمر على الطريقة القديمة . ولم يمض إلا قليل حتى اختار المستحقون الطريقة المقترحة فكان هذا أكبر مساعد لنا على تنفيذه .

قسم الصحة : أفاد إنشاء هذا القسم فائدة ظاهرة في نظام الأعمال الادارية بالمستشفيات والعيادات والتكيا والملاجيء التي يديرها ديوان الأوقاف . فاختيرت الأماكن اللائقة ووضعت النظم الكافئة لراحة المرضى وحسن العناية بالفقراء في التكيا . وأدخل على ملجأ الأطفال نظام صالح من ضمنه وجود التعليم الصناعي للذكور وللانات معاً فضلاً عن تعليم القراءة والكتابة والديانة وقواعد الحساب بما يفيد أولئك الأطفال في مستقبلهم .

تنظيم مخزن الأدوية : ووضع نظام جيد للمخزن العمومي يضمن ضبط الوارد والمنصرف من الأدوات والأدوية لجميع الأماكن الصحية مع عدم التبذير والاسراف .
تشديد مهدي طنطا ودمياط : وشيدت معهداً ضخماً لطلبة العلم بطنطا على النظام الحديث بعد أن كان التدريس لهم في المسجد الأحمدى ، وليس فيه متسع لذلك وإقامة الشعائر معاً ؛ وكذلك شيدت معهداً لطلبة العلم بدمياط وسيتم افتتاحه قريباً .

مصاريف المعاهد الدينية : ولا يزال الديوان مهتماً بتنفيذ الإصلاحات التي تضمنتها القوانين الحديثة للمعاهد الدينية الصادرة في ١٣ مايو سنة ١٩١١ وفي ٢٣ يوليو زاد بذلك المخصص لها في ميزانية الأوقاف إلى مبلغ ٦١٩٢٤ جنيهاً بعد أن كان ١٩٧٠٠ جنية في سنة ١٩٠٨ .

عدد المأموريات : ظهر لي من ممارسة العمل أن عدد مأموريات الفروع يزيد عن الحاجة خصوصاً في بعض الجهات التي تقاربت فيها مراكز هذه المأموريات تقارباً بيناً ، فألغيت أربع مأموريات حولت أعمالها على المأموريات المجاورة لها فأصبح

عددتها في الوجه البحرى خمساً بعد أن كانت ثمانياً ونقص عددها في الوجه القبلى من ست إلى خمس .

انتخاب العمال الأكفاء : ولاحظنا أن العمل الكتابى في الفروع فيه تأخير وإهمال مع كثرة شكوى المأموريات من حالة عمالها خصوصا كتابها الأول، فرفنا أسباب الشكاية بانتخاب الأكفاء من الكتبة ورؤسائهم لحسن سير الأعمال وسلكت سبيل الانجاز .

التفتيش الكتابى : وأوجدنا التفتيش الكتابى من أول السنة لضمان السير بها على الوجه المرضى .

مشروعات تحت النظر : وفي نهاية هذا العام تقررت إحالتى على المعاش (لأسباب سيرد تفصيلها في مذكرات العام الآتى) فقدمت تقريراً بما أدخلته في الديوان من الإصلاحات في السنوات الثلاث الماضية، وقد ورد ذكرها في سنواتها ثم أردفت ذلك بذكر مشروعات كانت لا تزال تحت النظر، وكنت معتزماً بإنفاذها في السنوات المقبلة وهى :

إيجاد الطريقة الموصلة للانتفاع بما يزيد من ريع الأوقاف الأصلية المرصدة على الخيرات عن حاجة وجوه الخير المقررة في الوقفيات؛ فان هذه الزيادة تجمع الآن في خزانة الديوان دون أن يكون له حرية التصرف في توجيهها إلى المنافع التى تعود على سائر القطر والفقراء، مثل إنشاء المستشفيات العمومية ومنع التسول في الطرق باقامة الملاجىء لايواء العجزة والمساكين بمن لا قدرة لهم على الكسب .

ومنها تقرير قاعدة تضمن تنفيذ الخيرات المقررة في الأوقاف التى في غير نظر الديوان؛ لأن الوقفيات تخول لنظاها حق الصرف بمعرفتهم مع أن كثيراً منهم يخالف شروط الواقفين ويضن على وجوه الخير ويتصرف بكيفية تعود بالنفع عليه وحده دون المستحقين من الفقراء والمساكين . فلو أن هذه المبالغ المخصصة في تلك الوقفيات للخيرات استعملت على حقيقة ما وضعت له لعادت على البلد وأهله بالخير الجزيل .

ومنها وضع نظام مفيد لإنشاء المساجد التى ينشئها الديوان والأهالى في أنحاء القطر من جهة العدد اللازم لكل ناحية من النواحي وانتخاب المحال اللاتقة بها بعد وضع رسومات لها حسب درجاتها من الأهمية . وأن يلاحظ في إنشائها ما يضمن

استمرار وجودها على الحالة المرضية مع البحث في أمر المساجد المتخربة الزائدة عن الحاجة .

ومنها تكوين هيئة مؤقتة تابعة لقسم الإيرادات يناط بها تحقيق الأحكام وتصفيتها بالاستبدال مع تسهيل الطريق لذلك بدلا من توزيع هذا العمل على فروع الديوان في الجهات كما هو واقع الآن .

ومنها وضع خطط ورسومات هندسية لجميع العقارات والأراضي التابعة للديوان . ومنها تجديد السجلات التي أصبحت بمرور الزمن الطويل عليها وكثرة أيدي الباحثين فيها تؤدي وظيفتها بكل صعوبة مع أنها من ذخائر الديوان الثمينة التي يرجع إليها عند الحاجة في كثير من الأحيان .

ومنها تنظيم الدفترخانة بطريقة تصبح معها قادرة على أداء ما يطلب منها بالسرعة المطلوبة وحفظ ما فيها من الأوراق والمستندات .

إلى غير ذلك من الأبحاث التي يتسع فيها مجال العمل بديوان الأوقاف لدوام ترقيته وحسن الانتفاع العام بوجوه خيراته .

و على العموم فاتفق أترك خدمة هذه المصلحة الخيرية وحالتها المالية في يسر ورواج وحالتها الادارية على نظام لم يبق فيه مجال للشقاق والنزاع . ،

ما قاله لي البرنس حسين كامل ورأى كنتشر عنى : بعد تقديم تقريرى عن هذه السنة للجناب الخديوى زرت البرنس حسين كامل وقدمت له نسخة أخرى من هذا التقرير فشكرلى ثم أثنى على مجهودى فى إصلاح الأوقاف وأضاف قائلا : « إنك يا شفيق باشا قدمت إلى اللورد كنتشر نسخة من هذا التقرير بالفرنسية وقد حدثته بمجهوداتك القيمة وبكفاءتك وأنت من المصلحين الذين يفيدون البلاد ويلتقون لوجودهم فى أعلى المناصب ، فرد على كنتشر بأنه يعلم ذلك ولكنك خديوى صميم ، فشكرت البرنس حسن ظنه بى وقلت : « إننى لا أرى فى وصف كنتشر لى عيباً . »



رؤف باشا

الذى عين قومسيراً بمصر بعد سفر الغازى مختار باشا لتشكيل الصدارة
الاتلافية .

سنة ١٩١٣

حرب البلقان . مساهرات مصر للدولة . خطة لاستقلال مصر . البرنس فواد وعرش ألبانيا . أفرام الخديو . صغف طيبة . اختياري للوقوف الخصوصية . مدير عموم الأوقاف بياع ويشترى برهم بمرونة . عباسي يصيب عصفورين بحمير . تحويل ديوانه الأوقاف الى نظارة . إنشاء الجمعية التشريعية . شتونه مختلفه مساعى الصلح بين الخديو ومحمد فريد بك .

حرب البلقان . فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٢ وردت إلينا الأخبار بمحصل اضطرابات فى البلقان فقد قامت بلغاريا والصرب والجبل الأسود تطلب الاستقلال الإدارى من تركيا وتعب الإدارة التركية . واليونان تطلب جزر الأرخيل ؛ وقد اشتدت هذه الاضطرابات . وحدثت مناوشات بين جيوش هذه الدول والحاميات التركية .

مساهرات مصر للدولة . وفى ٢٧ أكتوبر أعلنت تركيا الحرب عليها، وفى هذا اليوم نفسه تألفت لجنة برئاسة البرنس عمر طوسن ورعاية البرنس محمد على بلج التبرعات للدولة ، وقد افتتحها الرئيس بمخمسة آلاف جنيه ، ثم أخذت تطوف فى المديرىات وتعقد الاجتماعات ، فتنال عليها التبرعات الكبيرة .

وقد وعد سمو الخديو بأن تقطع الحكومة المصرية علاقتها بدول البلقان الأربع ، وتعلى قنصلها فى مصر جوازات السفر لمبارحتها .

وكان لهذا الوعد تلك التبرعات وقع طيب فى الاستانة فأرسل جلالة السلطان يوم ٩ نوفمبر شكراً لسموه ولأبنائه المصريين .

مؤتمر لندره : وفي أوائل ديسمبر عقد مؤتمر لندره للنظر في المسألة البلقانية ، وظل يوالى عقد جلساته حتى ٢٣ يناير ، وانتهى إلى قرارات قبلتها نظارة كامل باشا وأهمها التنازل عن أدرنة وعن جزر الأرخبيل .

إسقاط كامل باشا وتولية شوكت باشا : وعند ذلك ثارت ثائرة الاتحاديين ، وأسقطوا نظارة كامل باشا ، وتولى الصدارة محمود شوكت باشا وكان ناظرأ في صدارة طلعت بك .

وأعلنت النظارة الجديدة أنها ستدافع عن حقوق البلاد ، وطلبت إلى الشعب أن يعاونها باخلاص .

ألمانيا والاتحاديون : وقد علمنا أن ألمانيا تؤيد الاتحاديين ، وأنها منحت امتيازاً اقتصادياً في الأناضول مقابل مليون ونصف مليون جنيه .

عودة الحرب : وقد انتهت الهدنة على إثر وضع الصدارة الجديدة شروطاً تصون بها حقوق الدولة ، وقامت الحرب من جديد .

وصدرت الإرادة السلطانية بعقد قرض أهلي قدره خمسة ملايين ليرة تركية ، فأقبل الشعب التركي على المساهمة في هذا القرض .

مظاهرات النصر في الإسكندرية : وقد جاءت الأخبار في ١٤ فبراير بانتصار الجيوش التركية عند بدء القتال ، فقامت المظاهرات في الإسكندرية أبتهاجاً بهذا النصر ، وقبض على حامد المليجي أفندي ومحمد كاظم أفندي من شبان الحرب الوطني بتهمة التحريض على المظاهرات ، وحكم عليهما يوم ٢٠ منه بالفرامة .

هزيمة بعد انتصار وسقوط أدرنة : ولكن ما لبثت الأخبار أن جاءت بتقهقر الجيوش التركية وسقوط أدرنة ، بعد أن ظلت أربعة أشهر وهي محاصرة ، وكان قائد حاميتها البطل شكري باشا .

وقد كان لسقوطها رنة حزن وأسف في أنحاء العالم الإسلامي ، لأنها طريق للاستانة قتل الصدر شوكت باشا : وفي ١١ يونيو قتل محمود شوكت باشا الصدر الأعظم بيد أربعة من شبان كانوا يركبون سيارة .

سعيد حليم صدر أعظم : وعهد بالصدارة إلى سعيد حليم باشا . وقد شكلت محكمة عرفية لمحاسبة القاتلين ومن يتصلون بهم ، وعلبت (وكنت

بالاستانة للاصطياف مع أسرتي) أن طلعت بك حادث رئيس المحكمة في موضوع المحاكمة وذكر له أن الشعب ينتظر الحكم بالاعدام على كل من يثبت عليهم اتصالحهم بالمؤامرة ولو بلغ عددهم الخمسين ، فرد عليه بأن في هذا الكلام خطأ قانونياً وسياسياً ، فأصر على طلبه ، ولما لم يجد من رئيس المحكمة الموافقة اللازمة ، عرض عليه أن يتنصب بأجازة لمدة شهر ، وعين بدله رمزي بك أحد أركان الاتحاديين .

وقد حكم بالشنق على عشرين منهم الداماد شريف صهر السلطات والبرنس صباح الدين من أسرته .

وبعد الشنق أخذت الدوريات تطوف في المدينة وتقبض على كل من يتحدث عن فظاعة هذا الحكم .

خطوة مستقبل مصر . ظلت الانتصارات تتوالى للبلقانيين حتى أصبحوا على أبواب الاستانة ، وكان الخديو قد حضر إليها يوم ١٥ سبتمبر بعد زيارته لأوربا .

وفي يوم من الأيام كنت في بيك وحضر فريد باشا الصدر الأسبق للزيارة وكان سموه في الحرم ، جلست معه ودار الحديث بيننا عن حالة تركيا السيئة ، فقلت له : هل أنتي أخشى أن تكون هذه الهزائم مسهلة لتحقيق مشروع دول أوربا القديم في تقسيم تركيا ؟ وإذا كان الأمر كذلك لماذا يحصل لمصر وهي من أملاك الدولة ؟ فهلا يمكن التفكير في مستقبلها بأن تتفق مع إنجلترا للوصول إلى استقلالها ؟ .

فرد فريد باشا بأن سياسة الخديو مع إنجلترا لا تجعلها تأمن له أو تنق به فتساعد على ذلك .

ثم سألتني : فكيف تفاتحون الانجليز في هذا الموضوع ؟

فقلت : يوجد حل هو أنني قبل سفري من مصر علمت أن كنتشتر ينتظر عودة الخديو ليطالب من الحكومة التخلي عن قطعة أرض في أني قبر لإقامة تلغراف لاسلكي تابع لوزارة الحريه البريطانية ، فعنسد تقديم هذا الطلب ، يجتج الخديو بأن الفرمانات تقيده بدمم النزاع عن شهر من الأرض بغير موافقة الدولة ، وإذا كان الانجليز يمحون إفساح المجال لسموه في هذه الشؤون ، فعليهم أن يساعدوا مصر على الاستقلال .

وهنا حضر الخديو ، فسأل عن موضوع الحديث ، فأخبرته به .

وقد ظلت هذه الفكرة تدور برأسه حتى رجعنا لمصر في ٣ أكتوبر ، ومحمد

وصولنا أرسل محمد سعيد وحسين رشدي لمقابلته بالقبة ، وحضر الاجتماع اسماعيل أباطه وقص الخديو ما دار بيني وبين فريد باشا .

وبعد المداولة في الموضوع تقرر أن يتوجه حسين رشدي لكتشنر زيتفاهم معه ، وقد استمع كتشنر لحديثه ، ثم طلب منه مهلة للتفكير .

وقد أمرني الخديو بالاجتماع مرة أخرى مع رشدي باشا وأباطه باشا للتداول وتحديد المطالب ، فاجتهدنا إلى منتصف الليل ولكننا لم نقرر شيئاً لأننا أرجأنا البحث في ذلك حتى نعلم رأي كتشنر. وتبين إن كانت إنجلترا تساعد مصر على فصلها عن تركيا وعند ذلك نبحث في الذي نطلبه ؛ إما الاستقلال وعقد محالفة مع إنجلترا أو طريقة أخرى تبعاً لمآتيديه وزارة إنجلترا . ولما تقابل رشدي باشا مع كتشنر قال له : ولقد كنا أصدقاء للدولة ، فلا يصح أن نتكر لها في وقت محنتها ؛ وبذلك طوى المشروع .

عقد الصلح : وأخيراً عقد الصلح بين تركيا ودول البلقان ونالت إنجلترا في مقابل وساطتها ، امتيازات إدارية في العراق ، وتنازل الحكومة التركية عن حق مراقبتها على القروض المصرية .

البرنسي فؤاد وهرمسي ألبانيا . في أثناء الاضطرابات البلقانية ، تحدثت الصحف الأوربية عن سعي البرنسي فؤاد لتولي عرش ألبانيا ، وقد ورد في جريدة الطان الفرنسية نقلاً عن صحف رومه ، أن سموه ينوي دخول ألبانيا على رأس قوة من عشرين ألفاً من الألبانيين الثائرين على حكومتهم ليعلمن استقلالها ، ثم عقب على هذا الخبر بقوله : إن الدول معترفة باستقلال ألبانيا فعلاً ، ولكن البرنسي ينوي زيارة باريس كما زار رومه وفينا ، ويسعى لأن تحفظ لألبانيا حدودها الطبيعية .

وذكرت صحف النمسا أن حكومتها لم تقبل ترشيح البرنسي لعرش ألبانيا .

أفراح الخديو . في يوم ٢٧ مارس عقد في قصر القبة كتاب محمد جلال الدين باشا نجل فريد باشا الصدر الأسبق على البرنسي عطية الله خانم افندي كريمة الخديو ، وقد حضرت العقد مع النظار وفريد باشا ورشيد بك ناظر الداخلية التركية سابقاً وجمال الدين افندي شيخ الاسلام السابق بالاستانة وقاضي مصر (التركي) وشيخ الأزهر والمفتي وغيرهم .

وكان وكيل العروس عمها البرنسي محمد علي ، ووكيل الزوج شيخ الاسلام .

وحمل مقدم الصداق ثلاثة آلاف جنيه وموجله سبعة عشر ألف جنيه وكتب العقد قاضى مصر .

صفقة طيبة (أرض المطاوعة) . في يوم من أيام سنة ١٩١٢ جاءنى على جلال باشا (أحد المقربين للخديو) في ديوان الأوقاف وقال لى : « إن أفندينا أرسلنى إليك فى شأن شراء أرض للأوقاف عن طريق الاستبدال وهى صفقة طيبة ، فسألته عنها ، فقال : هى أطيان أخيك محمد توفيق بك وتادرس شنوده والباقى الحلبي وتبلغ مساحتها ٣٥٠٠ فدان تقريباً فى المطاوعة . »

وقد كنت خبيراً بهذه الأرض وفيها قصر عظيم أعده السير إرنست كاسل لاقامته مدة الشتاء ، وكنت طالماً بالثمن الذى اشتريته به ، فقلت له أن ليس لى ما يمنع من إتمام هذه الصفقة .

فسألنى : « تعرف للثمن ؟ » فقلت : « لنى اشتريتها لأخى بسعر ٦٥ جنبها للفدان للأرض الطيبة المالية ، وكنت أعلم أن أوطى جزء فيها على الساحل كان معروهاً بأردين جنبها فقط للفدان ، والملاك الآن فى عسر لتسديد أفساط البنك العقارى التى عليها ؛ لذلك فانها ستباع بالمراد فى المحكمة ، فالثمن لا بد أن يكون منخفضاً . »

فقال لى : « كلا إننا نريد ثمناً عالياً لهذه الأرض » فأجبت به بأن الذى أنوى اتباعه هو أن تؤلف لجنة وتفحص الأرض وتقدر لها الثمن المناسب .

ولما وجدنى غير مستعد للسير فى التيار الذى يريده ، قال لى : « إن لك فائدة فى هذه الصفقة » فابتسمت وقلت له : « دعنا من هذا الآن ، فناعلى كل حال لا أستطيع أن أنصرف تصرفاً غير قانونى ما دمت فى ديوان الأوقاف . »

وعندئذ سألتنى : « ماذا يبتصنع إذن ؟ » فقلت له : « اتركونى لا تصرف بما توحىه المصلحة . »

وفى مرة كنت مع الخديو ومحمد سعيد باشا ومحمد عزت باشا فى قطاره الخنصرى عابدين من تفتيش إنشاص إلى مصر بعد أن تفقدنا أعمال الإصلاحات فيه ، فقال لى محمد سعيد باشا : « لماذا لم تنه مسألة المطاوعة ؟ » فأجبت به بأن ضميرى لا يسمح لى وأنا فى الأوقاف أن أقوم بعمل يسى سمعة الخديو . ومن هنا عرف الأ فائدة مطلقاً من محاولاتهم معى .

وبعد أيام جاءني أحمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية وسألني عما عرمت عليه في هذه المسألة؛ فأجبتته بأنني أحب أن أنصرف تصرفاً لا انتقاد فيه، وخصوصاً أن الخديو قد تدخل في هذا الموضوع، فيجب ألا نعمل ما يسبب أي انتقاد، فقال لي: ولا تفكر في هذه الأشياء فإن الخديو ينوي أن يجعلك ناظراً في وقت قريب، فأجبتته بأنني على كل حال رجل الخديو سواء كنت ناظراً أو مديراً للأوقاف، ولا أقبل على نفسي أن أعمل عملاً يسبب انتقاداً على سموه.

ولما تبين للخديو أنني غير مستعد للتساهل في هذا الأمر، ترك المسألة مؤقتاً. ولم يقامحنى سموه ولا غيره في مسألة المطاعنة. ولما لم أنفذ أمره سمح لي بأجازة أقضياها مع عائلتي في الإستانة بمجرد أن التماسها من سموه.

وفي أثناء وجودي بها وصلتني عدة رسائل من عبد الرحمن فهمي بك ومن محمد وجيه افندي سكرتيري الخاص، بالحسابات التي بذلت لتمام الصفقة بواسطة الأول. وبعد رجوعي علمت منه أيضاً أن أحمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية قابله وقال له إن الخديو يريد أن تعمل المباحثات اللازمة عن ٣٠٠٠ فدان وكسور بجهة المطاعنة كي تشتريها الأوقاف العمومية. وبينما كان بمسجد أبي العباس المرسي لصلاة الجمعة مع الخديو، سأله سموه عما تم فيما أبلغه به أحمد صادق بك، فعرفه بأنه سيقدم تقريراً عما أجراه، وبالتحري علم له أن هذه الأقطان يمتلكها الآن شخصان، أحدهما محمد توفيق بك وله الثلثان وأندراوس بشاره ويملك الثلث الذي اشتراه في العام الماضي (سنة ١٩١١) من الباني الحلبي الكنتي المشتري الأصلي لهذا الثلث، وأن هذه الأقطان متأخر عليها قسطا سنتين للبنك العقاري الذي حل محل الدائرة السنوية البائعة الأصلية، وأن البنك المذكور شرع في نزع ملكية هذه الأقطان وتحددت جلسة للبيع.

وقد علم عبد الرحمن فهمي بك بأنه يراد مشتري هذه الأقطان للأوقاف العمومية بأكثر من ضعفي ثمنها ليستفيد المالكان بعض الشيء، والبعض الآخر لمن يلحون بأجراه هذا المشتري. فأسرع بمقابلة عباس في سراي رأس التين وعرض عليه عدم إمكان مشتري هذه الأقطان بطريق الممارسة لأنها معروضة للبيع بالمراد الجبري، وأن هذا مخالف للقانون المالي، فظهر له امتعاض الخديو من أقواله. وبجلسة أخرى مع سموه بوجود أحمد صادق بك قال: وتأكد يا أفندينا أنني أضحي كل شيء في سبيل مرضاتك ولسكتني في الوقت نفسه أضحي حياتي في عدم مساس المصلحة المرتبطة باسمك بسوء.

هذه الأليان كان يمتلك ثلثها شخص يدعى الباني الحلبي، باع نصيبه في العام الماضي إلى اندراوس بشاره بسم الفدان . ٤ جنينها مصريا وقيل ب ٥٥ جنينها مصريا، وهذا الرجل وزع نشرة على جميع القناصل والنظار والمستشارين والعلماء وعلى كل ذى حيية في البلد، قال فيها إن أموال المعجزة والمكسحين تبعثر ذات اليمين وذات اليسار، وأن الأوقاف تريد مشتري أليان لا يساوى الفدان منها أكثر من ٥٠ جنينها بخمسة وتسعين جنيناً، ويستنهض مرم القوم إلى ملافاة هذا العمل، فتلقاه هذا يافندينا نرى أن الحكمة تقضى بعدم التفكير في المشتري بالممارسة، وأن المشتري بالمزاد العلني لا جناح عليه ولا تثريب . .

عندئذ فكر الخديوي برهه وقال له : « أعد لخص المسألة ثانياً، وإن وجدت لها حلا فاشترها . » ثم سافر الخديوي في اليوم التالي إلى أوروبا ولكنه لم يقبل تنفيذ الأمر ووقف موقفاً مشرفاً .

اجتهباري لملأوقاف الخصوصية . وبعد رجوعي من الاجازة استدعاني عباس لسراي هابدين، وهناك وجدت محمد سعيد باشا، فقال سموه : « طلبتك مع سعيد باشا لتفكر في اختيار رجل غير احمد خيرى باشا يدير الأوقاف الخديوية لأنه ليس من المجددين الذين يدخلون الاصلاحات والنظم الجديدة . »

وفي مرة أخرى سألتني عما إذا كنت قد فكرت فيمن يصلح لهذه المهمة، فأجبتته بأنني أشرح على أبا الفشوح باشا لأنه رجل إداري وقانوني وجدي في عمله وتصرفاته . ثم سألت عن اختياره محمد سعيد باشا، فقال إنه لم يرشح أحداً لأنني ثم فكر قليلا وقال : « ولماذا نبحت ياشفيق بمبدأ عن رجل صالح للأوقاف الخصوصية وعندئذ من يصلح ؟ ، قلت : « ومن هو ؟ ، قال : « أنت . »

وسألتني عما أتناوله من ديوان الأوقاف فقلت : « ١٧٥٠٠ جنيناً . » قال : « وإذا أحلت على المعاش ؟ ، قلت : « ثمانمائة جنينه . » قال : « فإذا نلت هذين المبلغين تكون قد وصلت إلى مرتب ناظر، وبعد ذلك ننظر في ترقية أخرى ، »

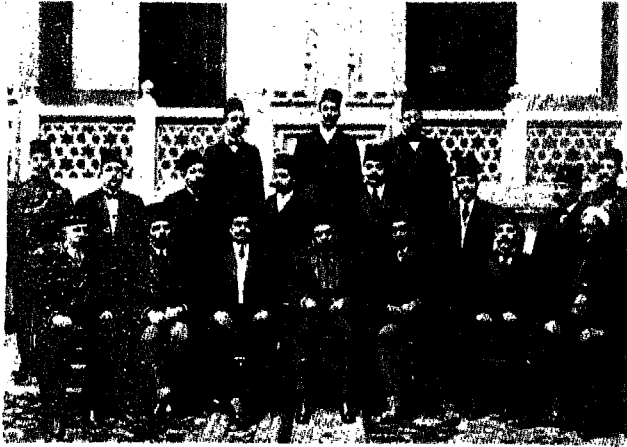
فقلت لسموه : « إن الناس كانوا يقولون عن ديوان الأوقاف إنه رجل مريض ويحتاج إلى علاج، وأنا قد أخذت في علاجه، ولا أستطيع أن أقول إنه أصبح سليماً معافى، فهو ما يزال في حاجة للعلاج، وأريد ألا أتركه حتى يتم شفاؤه . » فقال لي : « لقد عملت كثيراً، وأصلحت كل شيء فيه . »

فأجبت: ، إنني أحب أن أتم هذا العمل حتى يقال: هذا هو المصري الوحيد الذي ليس له جوكي ، انجليزى فيكون عملي نموذجاً للمصري المصلح ، وهذا يعود لسموك ولاختيارك وإرشادك .

ولكنني وجدت من الخديو إصراراً تاماً على فكرته ، ووجدت نفسى أمام ابن ولى نعمتى توفيق ، فقبلت مكرها ، ولكنني عرضت بقاى حتى يتم تنظيم الميزانية لعام ١٩١٣ فوافق سموه على ذلك .

وعند ترمي الديوان أهدى إلى رؤسائه إطاراً من البرونز الفخيم به صورتهم هذه وأنا فى وسطهم تذكراً للسنوات الثلاث التى قضيتها معهم مما دل على حبهم وإخلاصهم لى؛ وقد أدخلت على هذه الهدية التينة السرور العظيم خصوصاً وإلى لا أذكر أن أحداً من سلفائى قد نال ما نلته ، فشكرت لهم كل الشكر، وصالحتهم وودعتهم .

(٨) . (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤)



(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

(١) أحمد الأزهري بك (٢) ابراهيم بك على (٣) محمود باشا فهمى (٤) شفيق باشا
(٥) عبد الرحمن فهمى بك (٦) على لبيب بك (٧) هرتس باشا (٨) خالد بك الفوال
(٩) عبد الغنى بك شاكر (١٠) خليل بك ابراهيم (١١) محمد بك حنق (١٢) عثمان بك محرم
(١٣) جلال بك فهمى (١٤) أحمد بك السيد

هذه الصورة أخذت لى أواخر شهر ديسمبر عندما علم رؤسا الديوان بقرب استقالتى

وبما أذكره أتى قبل خروجي تركت مذكرة لخطي لفت فيها نظره إلى بعض المسائل الهامة قانونية كانت أو إدارية - وكانت تحت التنفيذ - ومن بين ما رفع دعوى ضد عبد الرحيم باشا الدمرداش ، بخصوص أرض بالقرب من حدائق القبة . وكنت قد سلمت أوراقها إلى ناظر الداخلية محمد سعيد باشا بناء على أمر الجناب الخديوي لفحصها ومعرفة إذا ما كان للديوان الحق في رفع هذه الدعوى (*)

كيف تسلمت إدارة الأوقاف الخديوية : شستان ما بين سروري وآمالى عندما أسندت إلى إدارة الأوقاف العمومية ، لأنني كنت أشعر بأن المولى سبحانه وتعالى سيساعدني على تحسين حالة هذه المصلحة الخيرية ، وبين اليوم الذي تسلمت فيه إدارة الأوقاف الخديوية الخصوصية ، فان قلبي كان حزيناً لأنه يشعر بأن تقلى إليها ما كان في الحق لغرض إصلاحها بل لمنفعة كان يظلمها الخديوي كما سيرى القارىء .

ولما جلست على مكنتي جاءني الوكيل احمد صادق بك وقدم إلى كبار الموظفين وسألت كل واحد عن اختصاصاته وأخذت مذكرة بذلك . ثم سألت عن الأعمال غير الادارية الموجودة بالديوان . فعلمت منه أن في الأوقاف الخديوية موارد للخيرات يأذن الخديوي شفها بصرفها للدير ويسلمها إما لسموه أو للوكيل أو للصراف لتوزيعها سرا لمن يستحقونها من البيوتات التي أخفى عليها الدهر أو لأعمال خيرية ، وقد سألته عما إذا كان المدير الذي يتسلم المبالغ التي يأمر بها الخديوي يأخذها وصولات سواء كان من سموه أو من الذي يأمر باستلامها ، فقال لا لأنه كان معتاداً في مدة سلفي احمد خيرى باشا الا تؤخذ إيصالات بهذه المبالغ ويكتفى بالوصل الذي يعطيه المدير للصراف . ولكن من باب الاحتياط صممت على انه إذا جاءني من يبلغني أمر الخديوي بصرف مبلغ ، قل أو كثر ، أن أراجع الخديوي وأعلمه بأن فلاناً بلغني أمركم بصرف (كذا) فلن أسلم هذا المبلغ ، فيقول فلان أو لى حتى أتأكد أنا من أوامره . هدا كل الاحتياط الذي أجرته .

صهر الأوقاف العمومية ببيع ويشترى برأهم معدودة . بعد حديثي مع الخديوي بخصوص تقلى للأوقاف الخديوية جاءني ، مذموزل لإمرى ، وكانت مرية لأحد أولادي قبل سفره لأوربا ، ثم توظقت بصفة معلة في منزل أحد أصحاب القانونيين

(*) وقد علمت فيما بعد من ابراهيم باشا نجيب الذى خلفني انه لما طلب رد هذه الأوراق اليه من محمد سيد باشا أخبره ، أنه كان سلمها الي وكيله لبحثها ، وأنها فقدت من مكنتي !

وكانت تتردد علينا من آن لآخر ، فسألني يوماً : ه هل ستترك الأوقاف العمومية ويحل محلك البك الذي أنا في خدمته ؟ ، فاستغربت لمعرفتها بأمر تم الاتفاق بيني وبين الخديو عليه فقط ، وسألتها عن مصدر هذا الخبر ، فقالت إنني سمعت في منزل مخدومي أنه باع قطعة أرض ، ودفع خمسة آلاف جنيه للوسيط من رجال المعية .

عباسي يعزب عصفورين بحجر . عندئذ ظهر لي أن محاولة إخراجه من الأوقاف العمومية لها وجهتان : فالأولى هي أخذ الخمسة الآلاف جنيه ؛ أما الثانية فهي تنفيذ صفقة المطاعنة ، وشراء الأطنان بمبلغ ٩٥ جنيهاً للفدان الواحد ، في مقابل سمسة قدرها ستون ألف جنيه ، تسلبها أحمد صادق بك من إدارة خزانة الأوقاف ، عدا ما استفاده البائعون .

تحويل الأوقاف إلى نظارة . قد علم ككتشنر بهذا السر (شراء الأوقاف أرض المطاعنة وأخذ الخديو مبلغ ستين ألف جنيه) وصمم على جعل ديوان الأوقاف نظارة . ولما كانت للمشكلة صبغة دينية ، فانه أراد أن يعرف رأى الاستانة .

كتشنر يستشير الصدر الأعظم وشيخ الاسلام : وكانت له علاقة مع عماد الدين بك وكيل دائرة الأمير حلیم باشا ، فطلب منه عند سفره إلى استانبول في فصل الصيف مقابلة شيخ الاسلام ، خيرى افندى ، والصدر الأعظم ، البرنس سعيد حلیم باشا ، ومفاتيحهما لأخذ رأيهما في تحويل الأوقاف المصرية إلى نظارة ، فسافر ؛ وذات يوم عقب اجتماع الوكلاء في سراى الصدر ، عرض عماد الدين عليهم الموضوع ، فأظهروا جميعاً موافقتهم ، وكان البادى طلعت باشا ناظر الداخلىسة ، وكان الصدر الأعظم وشيخ الاسلام صامتين . ولما سئل الصدر الأعظم عن رأيه . أجاب أن رأى لحضرة شيخ الاسلام ، فقال إنه لا يرى مانعاً لحسب . بل يرى المصلحة في هذا التحويل ، وقال الصدر الأعظم : ه ما دتم قد وافقتم جميعاً فأنا أوافق معكم .

ولما عاد عماد الدين في المنزلة ، أخبر ككتشنر بالنتيجة ، وكانت وزارة الخارجية الانجليزية تركت لككتشنر التصرف في هذا الأمر تحت مسؤوليته .

عندئذ أرسل حسين رشدى باشا للخديو ليفآته في الأمر ، فاعترض بأن المسألة شرعية ، وهو لا يستطيع أن يعمل فيها شيئاً . ولما سمع ككتشنر هذا الرد غضب وقال : ه إذا كان لا يريد الموافقة ، فأنا أسلم العرش لابن عمه ، (يعنى سعيد حلیم الصدر الأعظم ، وعداؤه للخديو معروف .)

ودارت المحادثات في الموضوع بضعة أيام ، بواسطة محمد سعيد باشا ، وحسين رشدي باشا . وانتهى الأمر بسؤال الخديو الصدارة بصفة رسمية ، فوافقت على المشروع ، وبذلك تمت المسألة كطلب كتشنر .

النظام الجديد للأوقاف : وقد اضطر الخديو للموافقة أخيراً ، واجتمع مجلس النظار في ٧ نوفمبر لوضع النظام الجديد لهذا التحويل ، وحضر الاجتماع لورد ادوارد سيسيل مستشار المالية ، والسير ملكولم مكلريس ، والمسيو روكاسيرا المستشار الخديوى في مجلس النظار .

وفي ٢١ نوفمبر صدر الأمر بالتحويل ، على أن يتألف مجلس أعلى لنظارة الأوقاف من ناظرها رئيساً ، ومن شيخ الجامع الأزهر والمفتي وثلاثة أعضاء آخرين .

وتكون ميزانية الأوقاف نافذة بمقتضى إرادة خديوية ، بناء على طلب ناظر الأوقاف ، وموافقة المجلس الأعلى ، وبعد أخذ رأى الجمعية التشريعية .

وعدلت النظارة ، فعين أحمد حشمت باشا ناظراً للأوقاف ، ومحمد شفيق باشا وكيلها ، واحمد حلمي باشا للبعارف ، وسعيد ذوالفقار باشا للدالية ، ومحمد محب باشا للزراعة التي أنشئت حديثاً ، والمستر هينز وكيلها للزراعة .

وعين الأعضاء الثلاثة في المجلس الأعلى ، وهم يحيى ابراهيم باشا ، وحسين واصف باشا المهندس ، واسماعيل حسنين باشا .

وقد تردد يحيى باشا في قبول منصبه هذا لأنه وهو رئيس محكمة الاستئناف سيكون عند انعقاد المجلس الأعلى تحت رياسة وكيل النظارة عند غياب الناظر ، وحل هذا الاشكال بالألا يحضر إلا الجلسات التي يرأسها الناظر .

الاتقاف من عبد الرحمن فهمي بك : سبق القول بأن عبد الرحمن فهمي بك

موقف في وجه الخديو في صفقة المطاعنة ، وقد حملها له الخديو ، وطلب منه مرات أن يستقيل من منصبه فأبى ، فانتهر الخديو فرصة تحويل الأوقاف إلى نظارة ، وأشار بإخراج عبد الرحمن فهمي بك منها على محمد سعيد باشا ، الذي اتفق مع عبد الرحمن فهمي بك على تعيينه مديراً للنظارة أو محافظاً للقنال . ولما سمع الخديو بذلك أظهر استياءه . لمحمد سعيد باشا ، فعمل عن تعيينه بعد إخراجهم من الأوقاف .

وهكذا كانت الصفقة التي أبيتها سبباً في هذا الانقلاب ، بعد أن انكشف مركز الخديو فيها ، وتمرض للأقاول .

انشاء الجمعية التشريعية . ورد في تقرير كتشنر الذى نشر في العام الماضى ما يشير الى العزم على توسيع اختصاص مجلس شورى القوانين ، وقد أخذ من هذا الوقت فى تنفيذ الخطة التى أشير إليها ، وإعداد قانون نظامى جديد بدل القانون القديم فى سنة ١٨٨٣ الذى أنشئ به بموجبه مجلس الشورى والجمعية العمومية .

وفى ١٥ يوليو سافر حسين رشدى باشا من مصر ومعه القانون الجديد لتوقيعه من الحديو (وكان فى باريس) .

صدر قانون الجمعية : وفى ٢١ منه صدر هذا القانون وهو يقضى بانشاء جمعية تشريعية تحمل محل مجلس الشورى والجمعية العمومية وتأليف مجلس فى كل مديرية .
ولاهمية هذا الموضوع أوردنا بعض ما جاء فيه .
والجمعية تؤلف من أعضاء قانونيين وأعضاء منتخبين وأعضاء معينين . ويكون النظار أعضاء قانونيين .

وحدد عدد المعينين بسبعة عشر عضواً : أحدهم رئيس والثانى وكيل ، والخمسة عشر يعينون على نحو يكفل النيابة عن الأقليات والمصالح التى لا تنال نصيباً من الانتخابات .
وأما المنتخبون فيوزعون حسب النظام الآتى :

للقاهرة أربعة وللإسكندرية ثلاثة وللغربية سبعة ولكل من المنوفية والدقهلية والبحيرة والشرقية وأسبوط خمسة وكل من المنيا وجرجا وقنا أربعة وكل من القليوبية والجيزة والفيوم ثلاثة ولبنى سويف اثنان ولكل من بورسعيد ودمياط والسويس وأسوان واحد .

والمعينون يوزعون هكذا: للأقباط أربعة وللعرب البدو ثلاثة ولكل من التجار والأطباء ورجال التربية العامة والدينية اثنان وللهندسين والمجالس البلدية عضو واحد وبأخذ المعينون والمنتخبون مكافأة قدرها خمسة وعشرون جنيهاً فى الشهر .
ومدة عضوية الأعضاء ست سنوات ويسقط منهم الثلث فى كل سنتين .

ولا يجوز عزل العضو إلا بأمر عال بناء على عرض مجلس النظار بعد قرار بأغلبية ثلاثة أرباع الجمعية .

ويجوز حل الجمعية فى أى وقت بأمر خديوى بناء على طلب مجلس النظار وتجوز لانتخابات الجديدة فى هذه الحالة فى ظرف ثلاثة أشهر .

اختصاصات الجمعية : أما اختصاصاتها فهي أنه لا يجوز إصدار أى قانون ما لم يتقدم أولاً للجمعية لأخذ رأيها . ويعتبر قانوناً كل تقنين يتعلق بأمر مصر الداخلية وله مساس بتنظيم سلطات الحكومة ، أو يقرر بطريقة عامة أمراً متعلقاً بحقوق سكانها المدنية والسياسية ، وكل أمر غال يشتمل على لائحة إدارة عمومية .

والجمعية حق تحضير مشروعات القوانين ، عدا ما يتعلق منها بالقوانين النظامية ، وللمجلس النظر أن يوافق على المشروعات التي تقرحها أو يرفضها ، وفي حالة الرفض يذكر الأسباب ؛ ولا يجوز للجمعية مناقشة هذه الأسباب .

وإذا لم تقتنع الجمعية بالأسباب التي أبداهها المجلس فإنها تتمتع هي والنظار في هيئة مؤتمر ؛ فإذا لم تقتنع بما يديه النظر فإنها تحمل .

ولا يجوز ربط أموال أو رسوم إلا بعد موافقة جمعية . وتستشار في كل سلفة عمومية ، وفي كل مشروع عام متعلق بمجملة مديريات وءاص بإنشاء أو إبطال ترعة أو مصرف أو خط من خطوط السكك الحديدية ، وفي فرز أطيان القطر لتقدير درجات أموالها .

وليس من اختصاصها النظر في مخصصات الحديدو ووبركو الاستانة والدين العثموى وكل الواجبات والالتزامات الناتجة من قانون التصفية أو الاتفاقات الدولية والمسائل المتعلقة بالدول الأجنبية وعلاقات مصر بهذه الدول والمسائل المتعلقة بتعيين أحد موظفي الحكومة أو أحد مأموريها أو ترقيته أو نقله أو عقوبته أو فصله ، وكل عمل آخر تجريه الحكومة بالنسبة لأحد موظفيها أو مأموريها .

وترسل ميزانية إيرادات ومصروفات الحكومة للجمعية قبل انتهاء السنة المالية بأربعين يوماً .

قانون الانتخاب : وقد صدر كذلك قانون الانتخاب وهو يعطى حق انتخاب مندوبى الدرجة الأولى لكل مصرى بلغ من العمر عشرين عاماً ، واشترط لانتخاب المندوب أن تكون سنه ثلاثين عاماً ، والمندوبون يختارون النائب .

كتاب أبيض لكثشر : وقد نشر قانون الجمعية وقانون الانتخاب في لندزه يوم ٣١ يوليو مع كتاب أبيض للورد كثشر يحوى إيضاحاً للأسباب التي بنى عليها هذان القانونان وما جاء فيه :

، إن الجمعية العمومية كانت اجتماعاتها قليلة ولم يكن لها عمل غير اعتماد القوانين الجديدة الخاصة بالأموال المقررة والمستخدمين والضرائب ، أما مجلس الشورى فإنه وإن كانت وظيفته استشارية محضة إلا أنه اشترك اشتراكاً فعلياً في تنقيح القوانين .
، ولذلك رؤى أنه من المناسب توسيع سلطة هذا المجلس وإضافة اختصاص الجمعية العمومية إلى اختصاصاته .

، ومع ذلك فقد أعطى للجمعية الجديدة شيء من حق الاقتراح وإبداء الرأي مع الوسائط التي بها تضطر الحكومة إلى إطالة النظر في درس القوانين التي لا تصادق عليها الجمعية بكل اعتناء وتدقيق . ،

وكتب ، التيمس ، تقول :

، أفند اللورد ككتشنر مشروعاً من شأنه توسيع حرية الأمة المصرية توسيعاً كبيراً . وهذه الإصلاحات التي كان اللورد واسطتها تستحق أكثر من الالتفات العادي لأنها رد واضح على الدعوى التي كررت مراراً ، وقيل فيها إن النفوذ الإنجليزي ضغط مطالب المصريين ضغطاً يفوق الحد ؛ فإن كثيراً من الحرية والنفوذ اللذين يتمتع بهما سكان مصر الآن هو نتيجة الاحتلال الإنجليزي رأساً وإن تكن الشبهة المصرية تجاهل التاريخ المأساوي عند اجتماعها في جنيف وغيرها ، لأن ذلك يصادف هوى في قوادها . ،
انتخاب المنسويين : وفي ٢٦ أكتوبر أجرى انتخاب المنسويين ، وحدد يوم ١٣ ديسمبر لانتخاب الأعضاء .

أول بيان انتخابي : وبعد ذلك أصدر سعد زغلول باشا أول بيان انتخابي في تاريخ النيابة المصرية وقد جاء فيه :

، إذا شاء أبناء وطني أن ينتخبوني نائباً عنهم فأنا أعدد لهم بأن أجد في خدمتهم بالبحث عن كل العلل والأسباب التي يشكون منها ، وجمع الشواهد وإعداد الأدلة والحجج التي أتوصل بها إلى إقناع زملائي في المجلس حتى يؤيدوني فيما أقترحه على الحكومة من التعديل لخير الأمة ، وإلى إقناع الحكومة بصحة اقتراحنا واستمالتها إلى قبوله والعمل به حياً لخير الأمة .

، إنى اخترت أحوال التدريس والمدارس زماناً طويلاً ، فإذا انتخبت في الجمعية التشريعية فاني أعاهد الأمة على إفراغ الجهد في توسيع نطاق التعليم حتى يتيسر لأبناء الفقراء أن يبنوا كائناً ما كان الأغنياء .

وأن لا أزال مقبلاً على رأيي في إعطاء الصحافة الحرية اللازمة لزيادة تبحرها ،
فإذا انتخبت فمأخوذ لإقناع الحكومة بوضع قانون تصان به حرية الصحافة ويصان
به النظام العام من ضرر شططها .

وإني أجعل حاجات معظم الأهالي نصب عيني وخصوصاً المزارعين ، فأسسى
في سبيل وسائط الزراعة والرى ومد السلك الحديدية والوراعية ، وأدرس مسألة
أسعار القطن درساً دقيقاً وأبذل جهدي في اتخاذ الوسائل التي تحمي مصالح الزراع . ،
المنشورات الانتخابية : وتوالت بعد ذلك المنشورات الانتخابية من محمد كمال
بك وحسين واصف باشا وإدريس راعب بك وأمين سامى باشا وغيرهم .

انتخاب النواب : وفي ١٣ ديسمبر أجريت الانتخابات للنواب ، وهذه بعض
أسماء البارزين من المنتخبين : سعد زغلول باشا في دائرتي بولاق والسيدة زينب وقد
اختار دائرة السيدة زينب وأعيد الانتخاب في بولاق ، وعبد الخالق مذكور باشا
عن الدرب الأحمر ، والسيد عبد الرحيم الدمرداش عن الجمالية ، ومحمد بكن باشا ومنصور
يوسف باشا في الاسكندرية ، وعبد السلام العلابي بك عن دمياط ، وعلى المنزلاوى
بك و ابراهيم سعيد باشا ومحمد البدر اوى باشا وفتح الله برذات بك في الغربية ،
ومحمد السيد باشا ابو على وعبد المجيد سلطان باشا وعبد العزيز فهمى بك ومحمد علوى
الجزار بك ومحمد ابو حسين باشا في المنوفية ، وعلى الشمسى افندى في الشرقية ،
وعبد اللطيف الصوفاني بك في البحيرة ، وحسين هلال بك وعبد اللطيف المسكباني
في الدقهلية ، وحمد الباسل بك في الفيوم ، والسعدى المصرى بك وعلى شعراوى باشا
وحسين الشريعى بك في المنيا ، ومحمد محفوظ باشا وعبد الرحمن محمود بك ومحمد قطب
قرشى بك في أسيوط ، ومحمد ابو ستيت بك ومحمد همام حمادى بك في جرجا .

النواب المعينون : ومن عين عن الأقباط قليني فهمى باشا ، ومرقص سميكه بك
وسينوت حنا .

رئيس الجمعية ووكيلها المعين : وقد اختير لرياسة الجمعية يوم ١٩ ديسمبر
أحمد مظلوم باشا ناظر الماكية سابقاً .

وعرض على عدلى يكن باشا أن يكون وكيلها المعين ، فاشترط القبول أن يكون
بمنزلة النظار في التشريفات والحفلات الرسمية ، وقبل شرطه فعين وكيله .

انعقاد الجمعية : وقد صدر الأمر الخديوي بدعوة الجمعية التشريعية للانعقاد يوم ٢٢ يناير سنة ١٩١٤ .

مساهمى الصلح بين الخديوي ومحمد فريد بك . حصلت مخاضرات مع توفيق زاهر بك ومحمد لبيب الشانوي ويوسف صديق باشا ومحمد علي دلاور بك بخصوص صلح الخديوي مع محمد فريد بك

وساطة مدام روشيون : في ١٠ أكتوبر تقابلت مع فريد بك وكانت موفدة من قبل الخديوي لاتمام الصلح ، فأخبرها بأنه يقبل الصلح إذا كان الكلام يكون بينه وبين عباس بلا وسيط ، ولكن لم يتم الصلح لأن عباس خشي جواسيس الانجليز في جنيف أن يطلعوا على اتصاله بفريد بك فرجع إلى مصر دون أن يتم الصلح .

شؤره مختلفه .

تقرير كتشنر : في ٢٤ مايو ظهر تقرير اللورد كتشنر فقال ما ملخصه إن الملاحظات السياسية التي أهداها في السنة الماضية قد أثمرت فنقص تحزب الأحزاب وتنازها وازدادت الثقة بالحكومة .

ثم قال : إن مصر بقيت على الحيساد في حروب البلقان أيضاً أسوة بالحرب الايطالية التركية؛ وإن كانوا أظهروا ميلهم للسليين فأنشأوا جمعية للهلال الأحمر وجمعوا التبرعات لها والدولة .

ثم ذكر استقالة سعد باشا من النظارة وأتى على ملخص لتدرجه في الأعمال الحكومية وقال إنه أدخل إصلاحات كثيرة على نظارتى المعارف والحقانية اللتين تولاهما . ثم تكلم عن المؤامرة والمنشورات الثورية ، وقال : إن المؤامرات لو تمت لأخرت مصر كثيراً؛ والمنشورات قال عنها إنها ضببط فنشل قصدها ، وأن القضية الخاصة بها أخذت شهرة لا تستحقها لأم الشيخ جاويش باشتراكه فيها ، وهذا الرجل من كبار المبيجين في الحرب الوطنى .

ثم تكلم عن الشؤون الخاصة بالزراعة وامتدح قانون خمسة الأقدنة وإنشاء محاكم الأخطاط وتعليق خزان أسوان ، ، ، الخ

وفي نهاية العام قدمت استقالتي بعد عمل الميزانية وتقديم التقرير السنوى على حسب ما يورد في مذكرات العام الماضى .

سنة ١٩١٤

الجمعية التشريعية . عبد الجاوس القديري . عادية الطيار فديري . الفرنسي
سقوط نظارة محمد سعيد . كفتنر بلها القديري . الاحتفال بوضع الحجر الأساسي
للجامعة . رحلة القديري في الوجد البحري وظهور نفوذه . تألم كفتنر لنجاح الرملة
تكريم واصف بطرس غالي . وداع المجمع العلمي لاسبرو . مبيع سكة حديد
سربوط . نهديرات كفتنر بمزل القديري . تفكير عباس في التنازل عن العرش .
حادثة الاعتداء على حياة القديري وشعور المصريين نحوها .

الجمعية التشريعية . تصريح لرئيسها . قال مظلوم باشا إن الجمعية التشريعية
سيكون لها من الشأن ما يعادل الضجة التي أقيمت في سبيلها ؛ لأن فيها عدداً من خيرة
الرجال العاملين ، وإنهم كلهم بما فيهم المعينون سيكونون معارضين للحكومة كما أنهم
سيكونون معها ، لأن النقد والمعارضة سيكونان على أصولها .

ثم قال : إن الأعضاء المعينين من قبل الحكومة لن يكونوا تحت أي تأثير ، ولن
تكون حريتهم تحت أي ضغط يميل بهم مع الحكومة ؛ لأن الغرض الأساسي من تعيينهم
هو تسكلة العدد وتمثيل الأقليات .

سعد باشا ووكالة الجمعية : وقد كانت الأنظار تتجه إلى سعد باشا ليكون في
وكالة الجمعية عن المنتخبين ؛ ولكن اختلفت الآراء ، فبعض الناس أرسل للصحف
يطلب منه ترشيح نفسه ، وبعضهم أرسل يشير بعدم ترشيحه ؛ لأن هذا المركب قد
يمنعه من العمل في حرية .

وفي ٦ منه نشر محمد بك أبو شادى نداء لأعضاء الجمعية ، يطلب منهم فيه أن يتنخبوا سعدا وكيلا للجمعية .

مآذب لأعضائها : وفي يوم ١٥ منه أدب سمو الخديو مآذبة لأعضاء الجمعية .
والنظار وكبار المعية بسراى عابدين

وفي يوم ١٩ منه أقام اللورد كنشتر مآذبة أخرى لرئيس الجمعية ، ووكيلها المعين وأعضائها ، وآخرين .

وكان يتقدم المدعويين صاحب الدولة البرنس حسين كامل ، والبرنس كمال الدين ، والنظار وكلاؤهم ، والمستشارون ، والمستر لانجلى مدير مصلحة الأملاك .

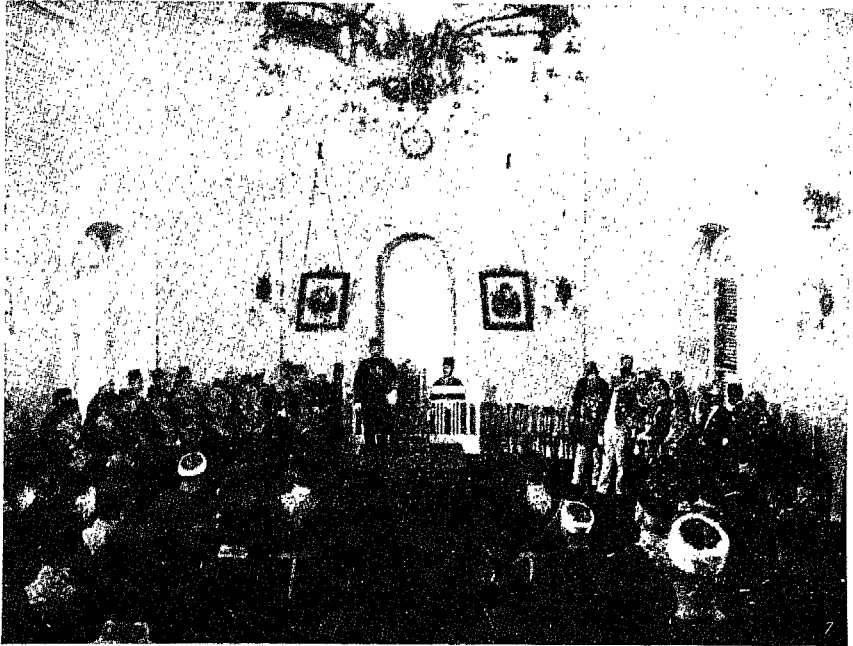
وفي يوم ٢١ منه أدب رئيس النظار مآذبة كذلك للأعضاء ، فى فندق سافواى ودعا إليها اللورد كنشتر ، ومستشارى النظارات وكلاهما .

افتتاح الجمعية : وفي يوم ٢٢ افتتح الخديو الجمعية التشريعية ، وقد أعد احتفال كبير بهذا الافتتاح .

وقد ركب الجناب الخديوى من قصر عابدين إلى الجمعية التشريعية حوالى الساعة العاشرة صباحا ، لابساً كسوته الرسمية ، ومستصحباً فى مركبته عن يساره عطفوفة رئيس نظاره محمد سعيد باشا ، وأمامهما صاحب السعادة عثمان مرتضى باشا رئيس الديوان الخديوى ، واللواء اسماعيل مختار باشا السرياور الخديوى ، ومن ورائه مركبتان تقل إحدهما صاحبى السعادة محمد عارف باشا السرتشريفانى ، ويوسف صديق باشا ناظر الدائرة الخاصة وتقل الأخرى احمد صادق بك والميرالاي ابراهيم أدهم بك ؛ وتقدم موكبه ثلثة كبيرة من خيالة البوليس ؛ فاجتاز الطريق المؤدية من القصر إلى الجمعية بين تحيات الجنود المصطفة فى جانبيها ، وبين تحيات الألوف من شعبه المجتمعين لمشاهدته فى تلك الطريق ، وفى المقاهى وشرفات المنازل المطلة عليها .

وعند بلوغه الجمعية استقبله فى مدخلها سعادة رئيسها ، ومعه حضرات النظار ووكيل الجمعية ، ومحافظ مصر ؛ وبعد أن استراح بضع دقائق فى القرفة المقابلة لقاء الجمعية دخل إلى القاعة فخف بكرسيه عن اليمين حضرات العلباء وفى مقدمتهم ساحة جمال الدين أفندى شيخ الاسلام الأسبق بالآستانة ، وفضيلة قاضى مصر ، وفضيلة شيخ الأزهر ، وغبطة الأنبا كيرلس بطريق الأقباط الأرثوذكس ، وبعض النظارة ، وعن اليسار

وكلاء الدول كلهم وفي مقدمتهم لورد كاتشر لابس حلة المشيرة ، وبقية النظار ومن ورأئهم جميعاً دولة البرنس ابراهيم حلیم وسعادة اسماعيل حتى بك متولى مهام القومسية العثمانية .



افتتاح الجمعية التشريعية

ويعد أن حلف حضرات رئيس الجمعية وأعضائها اليمين القانونية بين يديه
السكرتيرين ألقى سموه خطبة سنوية ومما جاء فيها :
أيها السادة

، إننى أنظر بعين الارتياح إلى اجتماع حضراتكم فى هذا المكان حيث أرى
الأعضاء الذين اختارتمهم حكومتى ، جنباً إلى جنب مع المندوبين الذين بعثت بهم أمتى
لتمثيلها فى هذه الجمعية التشريعية الجديدة ؛ فبشكل سرور أفتتح اليوم أعمال هذه الهيئة
الموقرة ؛ ولقد تحققت الآن رغباتى ومقاصدى التى أعربت عنها منذ عامين ، فيما يتعلق
بتحسين أحوال النظام النيابى العام وجعله أحسن مطابقة لمصلحة البلاد .

ه إن صدرى لينشرح عندما يدور بخاطرى أنكم ستقدرون هذه الخدمة بما تقتضيه مكانتها السامية؛ وأنكم ستضاضفرون على تحقيق ما تمنناه لنجاح النظام الجديد، فتهربوا على إخلاصكم فى القيام على خدمة المرافق الحقيقية، لهذا التقط بوجه العموم .
 ونحن على ثقة أن ما تظهرونه من الروية والفكر الثاقب فى أعمالكم؛ وما تبدلونه لحكومتنا من المعاونة الصادرة عن الفطنة والدرابة، متوخين فى ذلك سبيل الوفاق المبني على تنور الأفكار، واتتلاف القلوب - كل ذلك يكون كفيلا بما ستقدمونه من الخدم الحسنة الصادقة التى تنتظرها وتنتظرها البلاد منكم؛ كما أنه يكون أكبر ضمان لازدياد الثقة بمستقبل النظام النيابى، بما يعود على الأمة فى بلادنا بأ أكبر الخيرات وأوفر البركات .

ه والله يتولاكم أيها السادة بحسن رعايته ،

ثم عاد سموه إلى قصره بعد أن ودع بمثل ما قبل به من التجلة والاحترام .
اللائحة الداخلية : وقد ألفت لجنة لوضع اللائحة الداخلية للجمعية؛ وفى أثناء وضعها علمت اللجنة أن الحكومة وولاية الأمور يريدون أن ينعروا الجمعية من طلب الدستور (كما كان ذلك منتظرا) أو لإبداء رغبة فى طلبه أو رأى فى ذلك الطلب، ويريدون أن يكون فى اللائحة الداخلية ما يتحول لرئيس الجمعية الحق فى منع أى نائب من الكلام فى هذا الموضوع، فإذا لم يمتنع أحال البحث فى ذلك إلى جلسة سرية .
 وقد تناقش النواب فى ذلك كثيرا وأخيرا ارتضوا وضع مادة بذلك، فى مقابل نصح إعلان الحكومة، بأنها إذا حلت الجمعية لخلاف معسا على مشروع، وأصرت الجمعية الجديدة على المشروع ذاته، يعتبر رأى الجمعية الجديدة قطعياً .

عبد الجبوسى الحمريوى : فى يوم ٨ يناير احتفل بعيد الجلوس الخديوى، واستعرض البرنس محمد على باشا بالملابس الرسمية الحامية المصرية العسكرية فى عابدين والعباسية بميدان عابدين، نائبا عن سمو شقيقه لأن سموه لا يقابل المهنيين فى عيده مراعاة لحداده على المقفور لها البرنيس نازلى هاتم فاضل؛ وبحضور عطوفة سعيد باشا رئيس النظار، والنظار، والمستشارين، وكلاء النظار، وكبار الموظفين والأعيان .

حادثة الطيار فدرسين الفرنسى : حضر لمصر الطيار جول فدرين، فى مسابقة

مع منافس آخر فرنسى . وثالث انجليزى؛ وكان من حظ الأول ه فدرين ، أن وصل لمصر قبل الآخرين ، وطار بطيارته فى بعض الأماكن بمصر ، وفى يوم الاحتفال بعيد جلوس الخديو استعرض الجيش المصرى فى ميدان عابدين ؛ وخلق فدرين بطيارته فوق الميدان ، وألقى العلم المصرى فى مكان الاحتفال ، فسر الجميع من ذلك .

وفى يوم ٢٨ منه تشرف بمقابلة سمو الخديو دون تدخل المسيو دى فرانس المعتمد الفرنسى كما كانت تقضى بذلك الرسميات ؛ وفى ٢٩ منه تقابل هذا المعتمد مع عطوفة رئيس النظار سعادة محمد سعيد باشا وناظر الخارجية عدلى باشا محتجاً على ما وقع من مقابلة فدرين للخديو بدون وساطته ؛ فتشرف محمد سعيد باشا بمقابلة سموه وعرض عليه احتجاج المعتمد ؛ فأفهمه عباس أنه سبق أن تعرف بالطيار فدرين وخيلته فى باريس فوجد أن لاضرورة لوساطة المعتمد الفرنسى؛ ولكن هذا السبب لم يكن مقنعاً، فطلب المعتمد ترضية عن هذه الاهانة؛ وبعد المداولة مع رئيس النظار وكبار الحاشية الخديوية تقرر إيفاد السرتشريفاتى محمد عارف باشا إلى الوكالة الفرنسية للاعتذار للمعتمد عن المخالفة التى وقعت منه بدون قصد ؛ غير أنه لم يكتف بهذا الاعتذار وألح فى إبعاده عن وظيفته ؛ وأخيراً صدر أمر الخديو بنقله إلى رأسه الديوان التركى .

وفى ٣٠ يناير وزعت شركة هافاس نشرة نصها ، إن معتمد فرنسا قد خاطب عطوفة رئيس النظار ، وسعادة ناظر الخارجية المصرية ، بشأن الظروف التى تشرف فيها أحد الطيارين الفرنسيين المقيمين فى القاهرة ، بمقابلة سمو الخديو يوم الأربعاء ٢٨ يناير ، وفى أول فبراير نشرت جريدة الطان الفرنسية ما يأتى :

« إن معتمد الدولة الفرنسية طلب عزل هذا الموظف ثم اكتفى بزيارة منه ييدى له أسفه . وأن الحكومة المصرية فى مجرمها قد وجدت الحق فى جانب معتمد فرنسا . فقررت فى الحال نقل الموظف المشمول . »

ولما اطلع الجناب الخديوى على ما كتبه الطان غضب ، وتناقش مع رشدى باشا فيما يجب عمله إزاء ما كتبه هذه الجريدة ؛ وهو يعتبر مأساً بكرامة سموه . فتقرر نشر التكذيب الآتى بواسطة قلم المطبوعات فى الجرائد فى ٩ فبراير (بعد نص كلام الطان)

« هذه الرواية غير صحيحة إذ الحقيقة أن الجناب الخديوى العالى ، تعلقت إرادته السنية بنقل رئيس تشريفاته ، من وظيفته إلى وظيفة أخرى تعادها ، اجتناباً لكل إشكال مع الوكالة الفرنسية . »

وبذلك أسدل الستار على هذه الحادثة .

سقوط نظارة محمد سعيد . في ٥ فبراير تم بيع سكة حديد مريوط التي يملكها الخديو ، للحكومة المصرية بمبلغ ٣٩٠ ألف جنيه .

وكان الخديو يرى أن هذه الصفقة لم تأت بالرجح المنتظر ، لأن محمد سعيد باشا رئيس النظار لم يساعده فيها ، لحق عليه لذلك . ولم تكن هذه الحادثة وحدها هي السبب في استياء الخديو من رئيس النظار ، فانه كان يأخذ عليه أنه يسير تبعاً لكنتشنر ولا يحفل بأخذ آراء سموه ، لدرجة أنه كان لا يطلعه على كثير من مجريات الأمور ، اعتماداً على أن كنتشنر قد وافق عليها .

وقد انتهر الخديو فرصة مقابلته مع كنتشنر ، فأظهر استياءه من محمد سعيد لهذا السبب ، ولحج بأن مصطفى فهمي باشا لم يكن يتبع هذه الخطة ، وأنه يفضل من هذه الناحية ، لأنه يستطيع أن يعرف منه سير الحوادث ، ورغبات اللورد ، حتى يتفاهم عليها . وكان يرى في تلويحه باسم مصطفى فهمي لضمان رضا الانجليز ، فقيل اللورد كنتشنر .

وعند حديث اللورد مع مصطفى فهمي باشا في اختيار أعضاء النظارة ، طلب منه أن يأخذ أحمد حلمي باشا في نظارته نظراً لحالته المالية ؛ وكان قد وعده بذلك ، ولكن الرئيس لم يقبل ، وأراد أن يكون حراً في اختيار زملائه ؛ وكانت هذه مفاجأة اللورد لم يكن ينتظرها ، وانتهى الخلاف بتنحي مصطفى فهمي باشا .

كنتشنر يلجأ للخديو . عندئذ اضطر كنتشنر أن يلجأ للخديو لحل هذه الأزمة التي لم يكن يتوقعها ، بعدما أصبح الحاكم بأمره في البلاد ، وبعدما انزوى الخديو في قصره انزواء تاماً .

وقد رشع سموه حسين رشدي باشا ، وتم تشكيل النظارة في يوم ١٥ أبريل .

تمة في شئون الجامعة المصرية : سبق لنا أن تحدثنا عن إنشاء الجامعة ، من أول نشأتها ، إلى انتخاب حضرة صاحب الدولة البرنس احمد فؤاد رئيساً لها . والآن نأتي بملخص خطواتها ، إلى الاحتفال بوضع الحجر الأساس لها .

الاكتتابات للجامعة : تبرع مصطفى كامل الغمراوي بك بستة أفدنة وقفها على الجامعة ، وحسن زايد بك من سرة المنوفية بخمسين فداناً ؛ وبمناسبة هذه الوقفة أقام

حفلة تخمة في سرايه ببلدة سراوة في ١٥ أبريل سنة ١٩٠٨ ، تحت رياسة البرنس فؤاد باشا ، وبحضور أعضاء مجلس إدارة الجامعة ، وعدد عظيم من الأعيان . ووقف احمد الشريف بك من أثرياء الغرينة مائة فدان . وسمو البرنس يوسف كمال مائة وخمسة وعشرين فداناً بالقلوبية ، وثلاثمائة جنيه للمساعدة في نفقات إصلاح تلك الأطليان ، وذلك عام ١٩١١ .

وقد تبرعت البرنيس فاطمة هانم اسماعيل ، كريمة المغفور له اسماعيل باشا الخديو الأسبق ، بستة أفدنة بجوار سرايها بالدق لبناء دار الجامعة عليها ؛ ووقفت ستائة فدان من أجود أطيانها ، لصرف ريمها على الجامعة ، غير جوار قيمتها ثمانية عشر ألف جنيه .

هدايا مدرسية وقبول بعض صغار الطلبة مجاناً : سعى دولة رئيس الجامعة حتى أهدى الأمبراطور غليوم للجامعة كتباً تركية نادرة ، ومجموعة ثمينة من المؤلفات الألمانية أكثرها خاص بالشرق ، وكذلك أدوات علمية لقسم الطبيعيات .

وكذلك أهدى ملك إيطاليا للجامعة كتاباً نادراً ، ومجموعة مؤلفة من النود الإيطالية ؛ وأهدى رجال حكومته مجموعة من معادن إيطاليا .

وأهدى سلطان مراکش عدة مطبوعات ، طبعت بمطبعته الخاصة بفاس .

ثم سعى دولة الرئيس حتى قبلت فرنسا ثلاثة من صغار الطلبة المصريين في مدارسها بالمجان ، وخذت إيطاليا حذوها .

الوقوف بالوضع الحجر الأساسى للجامعة . أمرت دولة الاميرة الجليلة فاطمة هانم بأن تكون جميع نفقات الاحتفال بوضع الحجر الأساسى لدار الجامعة من مال دولتها الخاص ؛ وأن تكون لائقه بمقام الخديو الذى سبرأس هذه الحفلة ، فأقام المنوط بهم أمر الاحتفال سرادقاً فاخراً للخديو ، وأقاموا أمامه سرادقاً آخر يسع الألوف من المدعوين ، وفى الساعة الخامسة من يوم الاثنين ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ ، الموافق ٣٠ مارس سنة ١٩١٤ . أقبل الخديو بموكبه الحافل ؛ فاستقبله الأمراء والنظار وأعضاء مجلس إدارة الجامعة ، يتقدمهم أصحاب الدولة فريد باشا الصدر الأعظم الأسبق ، والبرنس ابراهيم حلى باشا ، والبرنس فؤاد باشا ، والبرنس محمد على حليم باشا ، وسماحة جمال الدين افندى شيخ الاسلام الأسبق ، وفضيلة قاضى مصر ، وشيخ الجامع الأزهر ، وحسين رشدى باشا رئيس مجلس إدارة الجامعة ، وأحمد شفيق باشا وكيلها ، فصدحت الموسيقى

العسكرية بالنشيد الخديوي؛ ثم دخل سموه إلى السرايق المعد له حيث تقدم أحمد زكي باشا سكرتير مجلس النظار، وتلا بين يديه محضراً بوضع الحجر الأساسى فى الزاوية الشرقية الشمالية من البناء، فوقع سموه هو وصاحبة الدولة فاطمة هانم اسماعيل على هذا المحضر؛ وكذلك أعضاء مجلس إدارة الجامعة؛ وألقى كلمة مناسبة للبقام؛ وبعد ثم تقدم حسين رشدى باشا رئيس مجلس إدارة الجامعة؛ وألقى كلمة مناسبة للبقام؛ وبعد ذلك سار الجناب العالى، يتبعه أعضاء مجلس الإدارة، وكبار المدعوين إلى حيث أعد حجر الزاوية، فقدم عبد الله وهى باشا المهندس إلى سموه بحجارة ومطرقة من الفضة، قبضتاها من الآبوس المنقوش؛ وقد كتب على كل منهما وعلى حجر الزاوية، والجامعة المصرية - الأميرة فاطمة ابنة اسماعيل سنة ١٣٣٢ هـ، وقارباً للبلاد (المونه) من الفضة كذلك، وصندوقاً يحتوى على النقود المصرية الذهبية والفضية، وعلى نسخة من هذا المحضر والصحف المصرية، فوضع هذا الصندوق فى حجر الزاوية، فتناول الجناب الخديوي الحجارة وأخذ بها قليلاً من الملائط، ووضعها على الحجر؛ ثم غطى هذا الحجر برخامة محكمة وطرقتها سموه بالمطرقة؛ ثم ناو لها لرشدى باشا فطرقتها بها أيضاً؛ وناو لها إلى، فطرقتها بها كذلك، وأنزل الحجر حينئذ إلى مكانه؛ ثم عاد الجناب العالى والمدعوون إلى السرايق؛ وبعد أن سمع قصيدة من المطرب زكى عكاشه أفندى من إنشاء أمير الشعراء أحمد شوقى بك، انصرف مودعاً بمثل ما قوبل به من التجلة والاكرام. وقد اتدبني مجلس إدارة الجامعة فى مجلس قسم الآداب، للنظر فيما يرفع شأن التعليم إلى المنزلة اللائقة به؛ وتقرر كذلك انتخاب الأستاذ اسماعيل بك رأفت عميداً له والأستاذ المستر برسى وايت نائباً للعميد، والأستاذ محمود فهمى أفندى سكرتيراً للمجلس؛ وحددت مواعيد الامتحانات عن سنة ١٩١٤ فى العلوم الآتية :

آداب اللغة الفرنسية - وآداب اللغة الانجليزية - وآداب اللغة العربية وتاريخها -
وتاريخ الأمم الاسلامية - وعلم تقويم البلدان ووصف الشعوب - وتاريخ الشرق القديم
امتحان العالمية : وحدد لامتحان العالمية يوم الاثنين ٤ مايو فتقدم فيه الشيخ
طه حسين الطالب المنتسب؛ وقد اختار مجلس القسم موضوعين لمناقشته فهما وهما :

١ - علم الجغرافيا عند العرب

٢ - المقارنة بين الروح الدينى للخوارج فى أشعارهم، وفى كتب المتكلمين

أما موضوع رسالة الدكتوراه التى قدمها فهى حياة أبى العلاء المعرى .

وتألفت لجنة الامتحان من الاساتذة الشيخ محمد الحضرى رئيساً ، والشيخ محمد المهدي ومحمود فهمي ائدى المدرسين بالجامعة ، وحضرتى اسماعيل رأفت بك ، والشيخ علام سلامة المتدين من نظارة المعارف العمومية .
وكان اجتماع هذه اللجنة علنياً بحضورى ؛ وبعد مناقشة الشيخ طه فى رسالته التى وضعها فى تاريخ أبى العلاء المعرى ، ثم فى الموضوعين اللذين اختارهما مناقشاً استمرت نحو ساعتين وربع ، اجتمعت لجنة الامتحان للداوله فيما يستحقه الطالب من الدرجات فقررت أنه يستحق :

ا - درجة جيد جداً فى الرسالة

ب - درجة فائق فى الجغرافية عند العرب

ج - درجة فائق فى موضوع الروح الدينية للخوارج

وقد تقرر إيفاده إلى فرنسا لتتيم دراسته العالية ؛ وقد صحبته من مصر إلى سراى رأس التير ؛ وقدمته بصفتى وكيلاً للجامعة إلى الخديو ، فشجعه وتمنى له النجاح فانصرف سروراً .

بعثات الجامعة : وبلغ المبعوثون من الجامعة حتى هذا التاريخ تسعة ، وقد كان إرسال البعثة الأولى فى سنة ١٩٠٨ ؛ وعددها أربعة طلاب لفرنسا ، وواحد لانجلترا .

رحلة الخديوى فى الوجه البحرى وظهور نفوذه . بعدما حدثت أزمة النظارة واتتهت بالحل الذى تقدم ذكره ، بواسطة الخديو ، أشرنا نحن رجال الحاشية على سموه أن يتنهز هذه الفرصة ويخرج من عزلته ، ويتصل بالشعب ، باعتباره الحاكم الشرعى فى البلاد .

واستقر رأى على أن يقوم برحلة فى الوجه البحرى ، واختار من رجال المعية عثمان مرتضى باشا رئيس الديوان الخديوى ، واللواء اسماعيل مختار باشا السرايوار الخديوى ، ومحمد فهمى بك التشرىفاتى الأول ، والميرالاي ابراهيم أدهم بك ، والشيخ محمد عثمان ، والدكتور عبد العزيز بك ، وتوفيق الحضرى بك ، والشيخ محمد البردينى ، لمرافقة سموه فى رحلته .

وكذلك تقرر أن النظار ورتيسهم يتناوبون مرافقته ، وقسمت الرحلة إلى مناطق يرافقه بعضهم فى كل مرحلة منها .

وفي الساعة التاسعة من يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل وصل الركاب الحديى إلى قلوب وكان في معيته رئيس المطار، ومحب باشا، وسرى باشا؛ وبعد أن استقبل استقبالاً عظيماً من عائلة الشواربى، وأعيان وعمد مركز قلوب، افتتح المدرسة الابتدائية؛ وبعد تفقدها ذهب للسراى الذى أعده لذلك حامد الشواربى بك وأخوته، وأعيان المركز؛ واستقبل فيه الأهالى، والعمد والأعيان، والموظفين؛ ثم زار المستشفى الأمريى؛ وغادر قلوب إلى القناطر الخيرية؛ وكان يشرف على النظام والأمن مدير القليوبية وحكمادها؛ وكانت الزينات تمتد على جانبي الطريق؛ وزار في القناطر منزل على عبد الله بك، وشقيقه محمود عزمى افندى، حيث تناول الحلوى؛ ثم قام من القناطر إلى البرادعة؛ وقد أقام أمين سامى باشا زينة بديعة من القناطر إلى سرايه الذى استراح فيه الحديوى؛ وقد تشرف بمقابلته هناك محمود سامى بك، والدكتور حافظ عفيفى بك، وعامة أهل البرادعة؛ ثم تفرج سموه على حديقة الباشا، وغرس فيها بيده شجرة كثرى، تذكراً لتثريفه؛ ثم وضع أساس مسجد بناه سامى باشا في عزبته.

ومن البرادعة تحرك الركاب إلى مديرية المنوفية، فيم نحو الباجور، وزار السراى العظيم الذى أقامه الوجيه ابراهيم أبو حسين بك؛ وكان يحيط بسموه الوزراء، ورجال المعية ومدير المنوفية؛ وبعد أن تناول سموه القهوة والمرطبات، سافر إلى شنوان؛ وكان سعادة محمود سوسه باشا، قد أقام سرادقاً فخماً، فسبح الأرجاء، متسع الجوانب، لاستقبال سموه فيه؛ وقد ضم هذا السراى عمد وأعيان مركز منوف، ورجال القضاء والادارة؛ وعند وصول سموه خرج الجمع المحتشد لاستقباله، فحياهم وأظهر سروره العظيم لحفاوتهم؛ وبعد أن تناول الحلوى والمرطبات برح مكان الاحتفال، قاصداً ميت خلف، فقبول بالحفاوة العظيمة؛ وتناول الغداء في تفتيش ميت خلف. وفي الساعة الثالثة تحرك الركاب إلى مدينة شبين الكوم؛ وعلى أثر وصوله إلى سراى المديرية، جرت المقابلات الحديوية، وبعدها عاد إلى تفتيش ميت خلف، ليتناول العشاء هناك، ويمضى سحابة الليل.

وفي ٢٩ منه تحرك ركابه إلى بابل وبمعيته محمد حلمى باشا، فظهرت الزينات التى أقامها الوجيه محمود الفنىمى بك، وبعد أن زاره سموه استأنف المركب سيره إلى تلا، في وسط الزينات التى أقامها احمد رسلان بك، فشرفها سموه، واستقبل الأعيان والأهالى في سراى عظيم، وشكرهم لشدة حفاوتهم به؛ ثم سار المركب في بندر تلا بين الجماهير والموسيقات، وزغاريد النساء، حتى وصل إلى سراى حسنين عبد الغفار

بك ، فدخلها الخديو ومعه النظار ورجال المعية ؛ ثم استقبل فيها آل عبد الغفار ، وأعرب لهم عن سروره بما شاهد من حسن احتفائهم به ومن هناك سار الموكب إلى كفر رييع بين الزينات الفخمة ، التي أقامها محمود أبو حسين باشا ؛ ولما وصل سموه ، نحرت الذبائح ، وكان عددها تسعا ، ووزعت على الفقراء ؛ ثم استقبل سموه أفراد العائلة ، وكبار الأعيان ؛ وبعد ذلك سار سموه بزورق في النيل . إلى سراي السيد شعر باشا بدراجيل ، ؛ فاستقبل هناك استقبالا رائعا ؛ ومن هناك عاد إلى كفر رييع ؛ ومنها إلى كفر العلوى ؛ فشونى لزيارة عائلة أبي جازية ؛ ومن شونى إلى قسطوخ ، لزيارة عائلة عيسوى بك زايد ؛ وبعد الاستقبال والترحيب ، سار إلى زاوية بهم ، فزار الوجيه شرف الدين غازى بك فى سرايه ؛ وسار ثانية بعد ذلك بموكبه الحافل إلى ميت خلف ؛ وبعد أن تناول طعام الغداء مع النظار ، سار بموكبه إلى قويسنا ؛ ولما شرفها سموه ، صدحت الموسيقى بالسلام الخديوى واستقبل سموه آل أبو زكرى ، وأحمد عمر بك ، وغيرهم من كبار العمدة والأعيان ؛ ثم سار إلى بحيرم فزار محمود حمدى بك ، واستقبل باقى أفراد عائلته ، وكثيرين من الأعيان ثم سار إلى مسطاي ، ونزل السراىق المعد لاستقباله هناك ؛ ومنها تحرك إلى كفر هلال وكان بانتظار سموه هناك فى السراىق الفخمة المعد لنزوله ؛ ابراهيم فتحى باشا مدير الغربية مع الأعيان والعمدة ، لحياهم سموه ، وسار قاصداً بلدة حنون ، حيث احتفل بمقدمه عائلة الخشن وزمزم ، وكثيرون من العمدة والأعيان ؛ ثم سار إلى زفتى ، فوصلها فى الساعة الرابعة بعد الظهر ؛ ومنها إلى مسجد وصيف حيث زار مصطفى فهمى باشا ، وعطف فى سيره على عزبة صدق باشا ناظر الزراعة ؛ وزار السيد على الرفاعى بك بزفتى ؛ وقصد بعد ذلك زيارة المعاهد العلمية بها ، والمستشفى التابع لمجلس المديرية ؛ ثم زار السباعى المصرى بك ؛ ثم انتقل سموه إلى ميت غمر ؛ ومنها إلى الذهبية الراسية فى فم الصافورية للبيت فيها . وفى صباح اليوم الثالث من رحلته ، قام من ميت غمر إلى بلدة كوم النور ، وبمعيته حضرات أصحاب السعادة اسماعيل سرى باشا ، وعدلى باشا ، وعثمان مرتضى باشا ومدير الدقهلية ، ومحمد فهمى التشرىفاتى الأول ؛ فزار عبد الله بك هلال ، واستقبلته عائلة هلال ، والدكتور عبد الله شقير أحسن استقبال ؛ ثم سار سموه لزيارة معاهد هذا البلد العلمية والصناعية والزراعية ونقابه ؛ وقدمت لسموه هناك هدية من المعرض الزراعى وهى حفظة مصنوعة من الصدف والسن ، داخلها قانون نقابة كوم النور .

وبعد ما سار إلى دندىط لزيارة محمد باشا نافع ، فاحتفل به الباشا وأعيان وعمدة

البلدة احتفالاً كبيراً ؛ وبعد أن تناول القهوة والمرطبات ، برحبا سموه إلى مهرجت الكبرى ، فاستقبله حضرة الوجه عبد الله بك شريف والأعيان ؛ ثم برحبا إلى الزقازيق بين هتاف الاخلاص وزغاريد النساء ؛ واستقبله سعادة مدير الشرقية عند بلدة النحاس أول حدود الشرقية هو وعمد وأعيان البلاد ؛ واستمر في ركابه حتى مدينة الزقازيق ، فكان في انتظاره جميع موظفي المديرية ، وأعيانها وعمدها ، وفي مقدمتهم مصطفى خليل باشا وجميع أفراد عائلة أباطه ، وغيرهم من كبار الأعيان ، وزار المستشفى الأميري ؛ ثم قصد ديوان المديرية حيث تناول الغداء ؛ ثم استقبل العلماء ، ورجال القضاء ، وأعضاء الجمعية التشريعية ، ومجلس المديرية ، والقناصل ، والموظفين ، فالأعيان والعمد ؛ ثم زار المعاهد العلمية وبعد ذلك تحرك الركاب العالى إلى ديرب نجم ، ومنها إلى السبلاوين ، فالمنصورة .

وبوصوله احتشدت جموع الأهالي الغفيرة ، والموظفون ، والأعيان ، والعمد لمقابلته ودوى الهتاف والتصفيق ، فسار الحديو بين الكتل البشرية ، لزيارة أعيان المدينة ومدارسها ؛ وفي الساعة الثامنة مساء توجه إلى سراى المديرية ، لجرت التشريفات هناك وانتهت في الساعة الحادية عشرة ، حيث ركب إلى الركائب الراسية أمام المنصورة للبيت فيها .

وفي صباح الجمعة أول مايو تحرك الركاب إلى المحلة الكبرى ، فاستقبلته الأهالي والموظفون والعمد والأعيان ؛ وبعد أن استراح قليلا ، استقبل أعيانها ، ثم سار إلى بناء المستشفى ، ووضع يده الحجر الأساسى ؛ ثم زار مستشفى الرمد والمعاهد العلمية بها ؛ ثم برحبا إلى مدينة طنطا ، فأطلقت المدافع إبداناً بوصوله ، فعلا الهتاف ، وارتفعت الزغاريد ، وكان استقباله فيها لانظيره ، فأظهر سروره من حسن الاستقبال ، وروعة النظام الذى رآه من موظفي المديرية ، وأعيانها وسكانها وقد تركت تلك الزيارة في نفس الحديو أثراً طيباً . وقد توجه سموه إلى المديرية وتناول الغداء هناك ؛ ثم جرت التشريفات ، وبعدها خرج ، وزار الأعيان ، ودور العلم ، والمستشفيات ، ومسجد حسين بك عظيفه ، فالمتحف ، وافتتح المعهد العلمى ، وأدى الصلاة في الجامع الأحمدى ؛ وبعد أن شكر الجميع تحرك الركاب إلى السلاهيبي ، ماراً ببلدة المربعين ، والكوم الطويل ، وزار فيها الوجه محمد سعيد بك ؛ ثم قصد السلاهيبي ، ونزل بالسراوق الفخيم المقام في بلدة أبو بدوى ، وبوصوله للسلاهيبي استقبلته الجموع الحاشدة وبعد أن شكرهم عاد إلى سراى الدومين للبيت فيها .

وفي صباح ٢ منه زار الخديو محل المشروعات الجديدة بالسلاهيبي؛ ومنها تحرك الركاب إلى إيشان، واستقبل هناك استقبالاً حسناً؛ ثم واصل سيره إلى بيته؛ ثم سار بموكبه العظيم إلى بندر كفر الشيخ؛ وقد تناول طعام الغداء في مصلحة الدومين في سخا؛ وفيها قدمت له امرأة فقيرة عريضة، تشكو فيها حالها، وأنها وضعت ثلاثة ذكور في بطن واحد ولا يزالون أحياء، فنفضها سموه بعشرة جنيهات.

وفي كفر الشيخ استقبل العمدة والأعيان، في سرادق عظيم أعد لذلك؛ ثم برح البندر إلى مركز دسوق، بين مظاهر الزينات، فوصل إلى كفر الشيخ حسن لزيارة محمد الوكيل باشا؛ وهناك استقبل عمدة وأعيان المركز، وبندر المحمودية، بالسرادق الفخم وبعد ذلك عرج على سراي آل الوكيل، واستقبل كبار أفراد عائلته؛ وبعد أن استراح قليلاً، شكر محمد الوكيل باشا على حفاوته؛ ثم برح كفر الشيخ حسن إلى الرحمانية، فزار عائلة المحامدة، وعلى بك خليفة؛ وفي منزل سعادة أحمد محمود باشا عميد عائلة المحامدة، أخذ المصور زولا صورة لسموه، والباشا عن يساره.

ومن الرحمانية تحرك الركاب إلى شبراخيت، ماراً بمحلة بشر، حيث نزل في عزبة فاضل، فلقى سموه استقبالاً فخماً من عثمان مرتضى باشا وعائلته، وإسماعيل عمر بك وإبراهيم فاضل بك، فقد أقاموا سرادقاً بديعاً مزيناً بالإعلام، مفروشاً بالسجاجيد الثمينة لاستقبال سموه، وخطب عثمان مرتضى باشا خطبة مرحباً به، ووزعت غلب الحلوى وكانت في غلاف بديع الصنع، وكل علبة منها ذات إطار من الحرير الملون. ثم استأنف السير إلى شنديد، حيث زار خليل دبوس بك؛ ثم واصل السير إلى إيتاي البارود؛ وكان في استقباله هناك جمهور عظيم من الأعيان، وعمدة البلاد، والموظفين وعساكر البوليس.

وفي صباح ٣ منه تحرك الركاب إلى التوفيقية، لزيارة علي مهنا باشا، وعند تشريفه بدمج الذبائح، ووزعت لحومها على الفقراء؛ ثم برحها سموه إلى بلدة برهم، وسط الهتاف وقد زارها مدرسة الجوريجي بك؛ ثم ركب السيارة إلى محطة كوم حمادة، حيث ركب القطار الأبيض، وتوجه إلى الطيرية، ومنها إلى أبي الخاوي، لزيارة عبد اللطيف الصوفاني بك؛ وبعد أن استقبل استقبالاً عظيماً من آل الصوفاني، ركب الزورق إلى محطة الطيرية، ومنها عاد بالقطار إلى كوم حمادة، فوصلها وزار السرادق الذي كان مقاماً أمام ديوان المركز، وصافح الحاضرين من العمدة والأعيان؛ وبعد

ذلك توجه سموه إلى إيتاي البارود، فتناول الغداء بالتفتيش؛ وبعد الظهر خرج للورود على أراضي التفتيش؛ ثم عاد إلى سرايه، وبات فيه.

وفي صباح ٤ منه تحرك الركاب من إيتاي البارود إلى الطود فالدينجات، فدمهور؛ وما أن وصل إليها حتى أطلقت المدافع إيذاناً بوصول ركبه؛ وبعد أن استقبلته جموع الأعيان والعمد وكبار الموظفين، توجه إلى سراى المديرية فاستراح به قليلاً؛ ثم أظهر رغبته في زيارة دور العلم؛ وفعلاً ركب سموه وزارها هي والمستشفيات وفي الظهر قصد المدرسة الصناعية وتناول طعام الغداء فيها. ومعه اسماعيل سرى باشا، ووجه باشا، وصديق باشا، ومحب باشا، وأنا، وعثمان مرتضى باشا، واللواء مختار باشا، واسماعيل أباطه باشا، ومحمد فهمى بك، وحافظ عوض بك، واحمد صادق بك. وفي نحو الساعة الثانية بعد الظهر وصل إلى نديبة، فذبحت الذبائح، ووزعت لحومها على الفقراء والمساكين وزار عائلة نوار؛ ثم سار ركابه إلى حوش عيسى؛ ومنه إلى أبو المطامير؛ ومن هناك زار سيدي غازي؛ ثم سار موكبه إلى كفر الدوار حوالي الساعة الرابعة والنصف؛ وبعد أن جلس مدة تقرب من نصف الساعة، صدرت إرادته السنية بالسفر إلى الاسكندرية فوصل الثغر في الساعة السادسة تماماً.

وفي يوم ١٧ مايو دعا سموه جمعاً كبيراً من أعيان مديريات القليوبية، والدقهلية والبحيرة، لتناول طعام الغداء على المائدة الخديوية.

وفي المساء دعا آل منشة، وبعض سرة الاسرائيلين في الاسكندرية، إلى حفلة شائقة.

وفي يوم ١٩ منه أقام سموه مأدبة لأعيان الشرقية، والغربية، والمنوفية بسراى رأس التين لتناول طعام الخديو.

نألم ككتشرف نبحاح الرهمل: ولقد كان نجاح هذه الرحلة مثاراً للألم اللورد كتشرف الذى كان قد قضى على كل نفوذ للخديو، فاذا بنفوذ يظهر لجأة بعد الأزيمة النظارية وبعد هذه الرحلة الناجحة.

(وسرى فيما بعد آثار ذلك الألم في الصراع بين الخديو وكتشرف)

سفر الخديو لأوربا: وفي يوم ٢٠ مايو استقل سمو الخديو أحد الزوارق الخديوية إلى يخت المحروسة، قاصداً الضولمان فأوربا. وكان في معيته حسن خالد بك

مدير القلم التركي ، وحسن حلمى بك التشرىفاتى ، والبكباشى ارفاى الياور ، والصاغ حسن حسنى شفيق الياور ، وغيرهم ؛ وقد وكل عطوفة حسين رشدى باشا ناظر النظار فى مدة غيابه وماك نص التوكيل .

صورة الأمر الكريم الصادر لعطوفة رشدى باشا بتولى شؤون القائمة

الخديوية أثناء غيبة سموه : ورئيس مجلس النظار عطوفتو حسين رشدى باشا : قد عزنا باشيئة الربانية على السفر خارج القطر ، ولتمام ثقتنا بكم ، وكال اعتمادنا عليكم ، قد جعلناكم نائبنا عنا ، وقائما مقامنا مدة غيابنا ، للنظر فى أشغال حكومتنا ، وإصدار ما يلزم من الأوامر عنها ، بما هو مهبود فيكم من الروية والدرابة . فاذا احتجتم للسفر خارج القطر يكون النظر فى أشغال حكومتنا مدة غيابكم بمعرفة حضرات الباقين من زملائكم مجتمعين بهيئة مجلس نظار ، كما هو المهبود لدينا فيهم من حسن الخبرة بالأعمال ، وما يقررونه تصدر به الأوامر ، تحت إمضاء أقدمهم .

وقد أصدرنا أمرنا هذا لعطوفتكم للعلم به والعمل بموجبه .

والله تعالى ولى التوفيق ،

تحريراً بالاسكندرية فى ٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٢ عباس حلمى

٢٠ مايو ١٩١٤

تكرم واصف بطرس عمالى . كانت لى مع المرحوم بطرس غالى باشا والد الأستاذ واصف غالى صلات ودية وثيقة ، وكانت الثقة بيننا متبادلة ، وزباراقى له متواليه ، وكانت تدور بيننا الأحاديث فى شتى الأمور السياسية والخصوصية ، كما كنا نجتمع بالخديو للتشاور فى المسائل الهامة والمواقف الحرجة . فيتوصل بطرس باشا بعقله الراجح لى حلول صائبة مرضية ؛ فكنت أسميه « حلال المشكلات » .

وقد بلغ من ثقته بى أن كان يفوض لى تدبير كثير من شئونه الاقتصادية ، ويطلق يدى فى شراء الصفقات التى أراها رابحة ؛ وكان يستفيد بالفعل منها ، حتى لقد أطلق على « نجله الأكبر نجيب غالى باشا لقب « مستشار والده المالى » ،

وفى ذات يوم زرت بطرس باشا فوجدته مشغول البال ، فسألته عما يشغل خاطره ، فعلمت أنه غير مستريح لحالة ابنه واصف ، لرغبته عن إدارة أملاكه الزراعية فى بيا ؛ وسألنى : هل من بعد أن صار رجلا ، يجوز ألا يقوم بعمل نافع لأسرته ؟

فاجبته بأنه معذور لعدم إلمامه بالزراعة ، ولأننى أرجو أن يكون قريباً ذلك اليوم الذى تستفيد البلاد من مواهبه الأخرى .

وفى اليوم التالى لهذه المحادثة ، تقابلت مع الخديو ، ونقلت له خواها ؛ وبعد المداولة . تقرر تعيينه فى وظيفة بقسم قضايا الخاصة الخديوية ؛ فأسرت بأبلاغ هذا الخبر لوالده .

لمحة عن الأستاذ واصف بطرس خالى : والأستاذ واصف أتم دراسته العالية فى باريس ؛ وتخرج فى كلية الحقوق ، ودرس الأدب الفرنسى ، ونبغ فيه كما نبغ فى الأدب العربى .

وقد اطلمت على مقال طريف له بالفرنسية ، نشره بتوقيع ميمون ، بتاريخ ٩ مارس سنة ١٩٠٨ فى جريدة جرنال دو كبير ، نعربه للقارىء ليرى مقدرة البيانىة ، وخياله الخصب :

الأزمة النظرية

تتناقل الاشاعات فى هذه الأيام ، وجود أزمة نظارية . وقد سبق أن راجت مثل هذه الاشاعة ، عندما غادر كرومر مصر ، غير أن الأزمة لم تقع ؛ فهل الاشاعة الراجحة الآن لها أساس من الصحة ؟ هذا هو الأمر الذى أجبنا إلى الاستفهام عنه من النظر أنفسهم .

والحق يقال إن مقابلتهم كانت فى غاية اللطف ، لدرجة أننا تساءلنا : هل يمكن أن يكون الناظر المصرى فى هذا اللطف ؟ إلا حينما يستقيل ١١ ،

ولذلك المحادثات التى دارت فى المقابلات السبع ، نقلها بغاية الدقة :

قال الرئيس ومصطفى فهمى باشا : « أنا لا أحب الصحفيين ، وخصوصاً المعارضين منهم ، ولكن بما أن سؤالكم بهم البلاد ، فأنا أجيبك باختصار : « طبيبى أوصانى بمعيشة منظمة ، بعيدة عن الانفعالات النفسانية ؛ وكل من كان فى سنى ، يكون قد تعود بعمادات خاصة ، يصعب عليه تركها ؛ فلماذا تريد أن أخطار بصحتى ، عندما أترك النظرارة ؟ إذن فأتى سأستمر فيها ، لأسباب صحيحة ا ،

وأجاب عبانى باشا ، مقطعباً حاجبيه ، ومبرماً شاريه : « هل يجوز لك أن تلقى هذا السؤال على ناظر الحربية والبحرية ؟ ألا تعلم أتى جنسدى ، ولا يسمح للجندى

أن يترك مركزه ، إلا بأمر عالٍ ، وإذن فإنا لا أترشح عن مكاني ، وهذا بئس الأوامر العسكرية !

وقال لي د سعد باشا ، مؤكداً بهدوء : « إن هذا السؤال ، فيما يخصني ، لا محل له ؛ فكيف تريد أن أترك منصبى هذا ، وأنا لم أتسله إلا منذ قليل ؟ ألا يكون هذا منافياً للدب ، ومغابراً للباقة والتقاليد ؟ ثم إننى هنا للفن ، أعنى فن الخطابة ؛ وبلاغتي تتقدم في اليوم الذى أكون فيه ناظراً ؛ فأنا أستقبل ، إذا أسندت إلى رئاسة مجلس النظراء ، وأما مغربى باشا ، ناظر الأشغال ، فقال : « إن أماننا مشروعات كثيرة ، فيجب علينا تلبية خزان أسوان ، وتقوية كوبرى الروضة ، واقتراح كوبرى بولاق الجديد ، فشاغلي لا تترك لي وقتاً للتفكير في الاستقالة . »

وانفعل د مظلوم باشا ، قائلاً : « تكفيننا أزمة واحدة (أى الأزمة المالية) فلا تبشوا عما يزيد الحالة سوءاً أيها الصحفيون ! ونحن لا نخطر على بالنا مطلقاً تقديم حسابنا ؛ بل بالعكس سنحافظ على مراكزنا ؛ وبالجملة فأنا لا أرى سبباً يدعو لاستقالتي ، وأجاب د ابراهيم فؤاد باشا ، (ناظر الحقانية) بهدوء : « أنا أستقبل إذا كان ذلك مقدراً على- ، فإن ما تقرر في المسائل الخطيرة أو الصغيرة ، إنما هو بمشيئة الله ؛ فهو وحده الذى يعلم لماذا أصبحت ناظراً ، وهو وحده يعلم متى أترك النظارة ! »

وسألني د بطرس غالى باشا ، عما إذا كنت صحفياً ، ثم قال : « لما أقيمت على- سؤالك ظننت أنك شاعر ! أنا أحب الشعراء كثيراً ، فهم من أطرف المجانين ، ولهم خيالات عجيبة . فما الذى تريد معرفته ؟ أستقبل أم لا أستقبل ؟ ألا يلوح لك أن هذا يشبه المناجاة المشهورة في رواية د هملت ، ١٩ أظن أنك من منشئي الروايات ! » وهنا انقطع الحديث لزيارة فنصل جنرال إحدى الدول العظمى ؛ وعلى ذلك لم أتمكن من الحصول على الجواب القاطع لسؤالي .

وكان من حظي عند خروجي من غرفة الناظر ، أن تقابلت مع مدير أقلام الخارجية نجيب غالى بك ، الخفيف الروح ؛ فأخبرته بمهمتي . فقال لي : « والذى لا يستقبل ؛ وقد استقال مراراً بدون نتيجة . ثم إنى أسألك : ومنذا يخلصه يا ترى ؟ ... أنا ؟ قد يكون ذلك ، ولكنهم يجدوننى صغير السن اصغيراً جداً ؛ فعليك يا صحفى أن تكرر على مسامعهم ذكرى قواد الثورة الفرنسية ، صغيرى السن ؛ فتقدم لي خدمة جليلة ! »

تكريم الأستاذ واصف غالى : وقد فكر جماعة من كبار الأدباء المصريين



واصف بطرس غالى بك

هذه المذكرات ، وبعض وكلاء النظارات ، والنظار السابقين ، والنائب العام ، ومحافظ القاهرة ، وبعض مستشارى الاستئناف ، ورجال القضاء والأدب والصحافة ؛ وبلغ عدد المحفلين مائة وسبعة

وقد أقيمت فى الحفلة قصائد من الرئيس ، واحمد شوقى بك ، وحافظ ابراهيم بك واحمد افندى نسيم ، ثم ألقى بعد ذلك عدة خطب كلها ثناء على المحتفل به ، واعتراف بنبوغه ؛ وأخيراً قام الأستاذ واصف ، وبيضا واصف ، فألقى كلمة جاء فيها :

« قرأت ما كتبه حضرة واصف بك ، وما فاه به فى محاضراته التى ألقاها فى باريس ، فأعجبت كل الإعجاب بما كتبه ، ونطق به . كتب ما كتبه كشاعر ليجب من يقرأ كتابه فى الشعر العربى ، فاستعمل لغة الشعراء ، حتى لقد يخيل إلى القارىء أنه يقرأ شعراً لا نثراً . وفى الحقيقة أن واصف بك ولد شاعراً ؛ فغرامه بالشعر العربى (سيد الشعر) — كما يقول — هو غرام فطرى ، عبر عنه بلغة هى لغة الآلهة ، كما يقول القدماء .

ثم وصف بيانه لمحاسن الشعر العربى ، وأحكامه الصائبة فيه ، إلى أن قال :

« أيها الصديق : ظهرت فى عالم الأدب فكنتبت وخطبت ، فأصبحت بعد قرأة

مذكراتى فى نصف قرن ج ٢

ما كتبه تنظر إلى الشعر العربي نظر المجنون إلى ليلي؛ ولكننا ننتظر منك أكثر من ذلك؛ فإنا أصبحنا في القرن العشرين، ميالين للبحث والتنقيب، والانتقاد والتحليل، حتى في الآداب.

قلت: إن العرب لم يضعوا شيئاً في أشعارهم من الروايات القصصية والتمثيلية، على أنني لما كنت معك في فرساي، تكلمنا في أن هذين النوعين من الشعر موجودان في جميع الآداب، التي يتخذها الأفرنج أساساً لتربية أولادهم، فليقتنواهم — كما لقتنونا — أشعار، هوميروس، وأناشيد رولان، وروايات وشكسبير، فقرأت كتاباتك. أوجدت عندي بعض الأسف؛ لأنني بما أشرته من الميل لمعرفة علل الحوادث، تمنيت لو أنك جدت علينا بفضل ما أوتيته من وافر الفصاحة، ببيان سبب خلط آداب اللغة العربية من هذين النوعين، رغمًا عما باعته من رفيع المنزلة بين بلاغات الأمم.

فاذا فعلت ذلك، تكون قد أفدت العلم فائدة عظيمة؛ وأنت أجدر من يعني بهذا البحث، بما تؤهلك له تربيتك، ومعارفك...

وداع المجمع العلمي لماسبرو. خدم العالم الجليل مسبرو الآثار المصرية والتاريخ المصري القديم أجل خدمة ببحوثه القيمة، وكان مديراً للآثار المصرية. وبمناسبة تركه الخدمة في إدارة دار الآثار المصرية، وعزمه على العودة لفرنسا، أقام له المجمع العلمي المصري الذي كان رئيساً شرفياً له، مساء يوم ١١ يونيو، حفلة وداع؛ وقد رأس هذه الحفلة سرى باشا ناظر الأشغال، نائباً عن القائمقام الخديوي رشدي باشا؛ وكان في مقدمة الحاضرين أحمد زكي باشا، وعلوي باشا، وهرس باشا، ويوبك، وعلى كمال بك، وعلى بهجت بك، والدكتور باي، وغيرهم من الفضلاء والآداب والعلماء.

الجامعة المصرية تكرم ماسبرو: وفي ٢ يوليو، أقامت الجامعة المصرية مأدبة لتكريمه بفندق الكونتنتال في منتصف الساعة التاسعة مساءً، وكان عضواً عاملاً بمجلس إدارة الجامعة.

وقد حضر الحفلة دولة البرنس أحمد فؤاد باشا، رئيس شرف الجامعة، ومن مجلس الإدارة: أنا كوكيل للجامعة ونائباً عن رشدي باشا رئيسها، والدكتور محمد علوي باشا المراقب العام، وإسماعيل حسانين باشا، ومرقص حنا بك، وعلى بهجت بك؛

ومن الأساتذة : اسماعيل رأفت بك عميد قسم الآداب . والشيخ محمد الحضري ، والشيخ محمد المهدي . ومحمود فهمي افندي ، ومحمد صادق افندي .

وبعد تناول الحلوى ألقى البرنس فؤاد خطاباً رقيقاً . هذا نصه :

« سيدى العزيز ماسيرو »

« ما علمت مصر بنياً رحيلكم عنها . حتى لبست لذلك البأ ثياب الأسف . مظهره للعالم بأسره مقدار حبها لكم ، واحترامها لشخصكم . وإعجابها بحميل صنعكم ؛ فلئن كنت في هذه العجالة لا أستطيع أن أعرب لكم باسم الجامعة المصرية عما نحن مدينون لكم به من الفضل الذى لا ينكر ؛ فلا يسعنى إلا أن أرجو أن تسمحوا لى أن أقول لكم كلمة باسمى ، وبالنيابة عنها ؛ وهى أننا جميعاً نشكركم ، ونكرر الشكر لكم . »

وبعد ذلك وقفت .

فسلوت الرسائل البرقية

والاعتذارات الواردة من

خسين رشدى باشا القائمقام

الخدوي ورئيس الجامعة .

وعبد الخالق ثروت باشا

ناظر الحفانية ، واسماعيل

صدق باشا ناظر الزراعة ؛

والرسائل البريدية الواردة

من عبد الله وهى باشا .

وحسين رمزى افندى .

وغيرهما من الأعضاء

والأساتذة ؛ ثم ألقيت

الكلمة الآتية :



احمد شفيق باشا (رسمى)

« سيدى وزميلي العزيز »

« لى مكلف من قبل »

مجلس إدارة الجامعة وأساتذتها من جهة ؛ وملزم بواجبى الشخصى من جهة أخرى ، باهدائكم أجل شكرنا ، وعظيم احترامنا ، ومزيد أسفنا لفراقكم .

« لقد كان في اشتراككم معنا بعواطفكم الكريمة ، ونظركم الثاقب ، أجل نفع
لجامعتنا ؛ إذ كنتم خير نبراس نهتدى به إذا أشكل الأمر ، والتبست علينا السبيل ؛
فكان لنا منكم عضد قوى ، نستعين به على نجاح عملنا . وخير مساعد لرفع شأن مشروعتنا
والم تكفكم ألقاب الشرف الخالدة التي نلتموها بكنوزكم التي لا تقدر بشئ ،
والتي دتم بها العلوم والآداب ، حتى وكلت إليكم مشاعركم واجب القيام بأمر آخر هو
عنوان الفخر والجلال ؟

« أيها المنفذ لوصاة الفراعنة : ألم يكفك أن تنقل إلى وراثهم من بعدهم متاع
آبائهم وأجدادهم ، حتى أردت أن يكونوا على علم بقيمة هذه الوصاة . فدأبت على تعليمهم
حتى عرفت ناشئتنا ورجال المستقبل بيننا ، أن العلم والعمل هما اللذان يجملانهم خليقين
بفخر أجدادهم ؟

« إن الشواهد الكثيرة تنطق بأن حيكم لمصر كان عظيما ، وسيظل كذلك
في المستقبل ، بعد أن اتخذتموها لكم وطناً ثانياً ؛ فتقروا بشدة أسف إخوانكم في مصر ،
لرحيلكم عنها . وما كان يدور بخلدنا أن يفجأنا الزمان بذلك اليوم الذي ترحلون فيه
عنا ؛ وتتركون أثدتنا بعدكم تهفو في إثركم لوعة وشجنا .

« هل يعلم الراحل ما يجول بخاطرى الآن ؟ إني أتصور (بخيالى) أنكم لستم
بذلك الفتى الشاب الذى نراه بأعيننا ، بعد أن تعودنا أن نرجع باسمه إلى هاتيك القرون
الخالية ، فتمتزوج ذكراه بهذه الآثار المدهشة ، والعاديات العنيقة ، التي اندمج اسمكم
بها ، حتى كان جزءا منها ، والتي خصتها (الآلهة) بشباب لا يذوى ولا يذبل ؛ فيا لأسف
العلاء من (علمهم) ، هؤلاء الذين لا يملكون حق التصرف في أنفسهم ؛ وبالتنا نستطيع
أن نخلصكم من قبضة النبوغ التي استسلمتم في العلم إليها ، حتى يبقى لدينا ذلك الرجل
الوديع الذى عرفناه في شخصكم ؛ والذى ملك القلوب بفصاحة لسانه ، وبلغ كلامه ،
ورقيق حديثه ، وسمو أخلاقه .

« ونحن لا نظن أن رحيلكم عن مصر يوهن صلاتك بها ، أو يقلل من ذكراك
على ألسنتها ؛ إذ استقرت أصول غرسك وجذوره ، حتى لا خوف على ذكراك بيننا
من أثر فراقك ؛ فلا عجب إذا أسسنا آمالنا على ما لدينا من الحقائق ، فنرى المصريين
يؤمنونك في فرنسا للاستفادة من علمك ، والاهتداء بنور بحثك ، والتمتع في جوارك
بالتأهيل والترحيب ، اللذين كنتم تقابلوننا بهما في مصر — فالجامعة المصرية التي تزدهى

وتفخر بك كلما ذكر اسمك، ترجو أن يكون حظها في بعدك كما كان حظها في قربك، من العناية بأمرها، وتشجيعها في طريقها، وعدم حرمانها نصائحك الثمينة، وإرشادك الذي لا غنى لها عنه؛ والجامعة التي تعترف لك بجليل فضلك، تعاهد الله على تسييحها بجميل صنمك، وترجوك الآن أن تقبلوا منها لقب «عضو شرف ومستشار لها»؛ هذا ما قرره مجلس إدارتها باجماع الأصوات؛ وإنا لندجو لكم من الله فوق ذلك أن يتمتعكم بالصحة والعافية، ويسبل عليكم ثياب السعادة والسودد.

ثم قام بعد ذلك علوى باشا وأهدى لباسه مجموعة صور للأعضاء في مجلد ثمين، كتبت عليه هذه العبارة باللغة العربية والهبروغليزية والفرنسية: «شكر الجامعة المصرية للسير جاستون ماسبرو».

ثم قام على أثرهم السير جاستون فشكر للتحفيلين به جميل عواطفهم.

بيع سكة هيريد مريوط. أنشأ الحديد سكة حديد مريوط لاصلاح أراضيها الزراعية بغرب الاسكندرية، وقدمت له مصلحة السكة الحديد بعض ما عندها من الأدوات المستعملة اللازمة لهذه السكة بثمن قليل، وكذلك أرسلت له نظارة الداخلية جماعة من المحكوم عليهم بالسجن ليساعده في مدها. وقد روى لي بروسر بك أن الانجليز تركوا للحديد هذه السكة كالعبوة ليلهبها عن مناوأتهم؛ وفضلان ذلك كان الحديد يشغل رجال الحرس فيها.

وفي أوائل سنة ١٩١٣، أى بعد عقد الصلح بين الأتراك والبلغاريين بثلاثة شهور، وفي أثناء استمرار القتال في طرابلس والبلقان، أشيع أن الحديد باع سكة حديد مريوط إلى بنك درسدن الألماني؛ فاهتم الانجليز لهذا الخبر ولكن ظهر فيما بعد أن هذا غير صحيح. والحقيقة كما علمت من صديقي منصور شكور باشا أن الحديد كلفه بالبحث عن شركة انجليزية لمشتري هذه السكة الحديدية، وأنه وجد فعلاً بعض المالين لمشتراها. غير أنه وجد منافساً كثيراً، وهو بنك إيطاليا؛ وبعد تردد أمضى الحديد عقد البيع مع البنك المذكور، ورخص له بأن يمد هذا الخط لغاية حدود طرابلس في السوم. فذهب اللورد كتشتر في الحال إلى سراي، وأبلغ الحديد بأن سموه قد وضع نفسه في مركز حرج؛ إذ أنه باع أرضاً ليست ملكاً له، وأنه لذلك يكون مسئولاً شخصياً أمام الحكومة المصرية صاحبة هذه الأرض؛ تخاف الحديد من العاقبة، ووعدهم بالغاء عقد البيع، وطلب مبيع هذه السكة للحكومة؛ فرفض اللورد

أولاً؛ ولكن سموه وسط محمد سعيد باشا لاقناع اللورد باجابه طلب سموه، واعدأ بتحسين سيره في المستقبل. فوافق اللورد على المشتري، وتمت الصفقة في ٥ مارس سنة ١٩١٣ بتسليم الحكومة السكة، وقبضت الخاصة الخديوية ثمنها من الحكومة، وقدره ٣٩٠ ألف جنيه. بحساب الكيلو متر ثمانمائة جنيه.

ولما علم كنتشر بأن الوسيط في هذه الصفقة كان هو يوسف صديق باشا رئيس الديوان الخديوي، عزم على نفيه من مصر. فلما بلغ الباشا ذلك الحكم القاسي، وكان يعلم أن احمد جودت بك صديق لكنتشر، رجاء أن يتوسط في هذه المسألة لدى اللورد لكي يحصل على وعد بعدم تنفيذ هذا الحكم. فقبل البك وزار اللورد وتكلم معه في هذا الموضوع، فألقى اللورد نظرة استغراب على وجهه وقال: «كيف تطلب مني ذلك وأنت تعلم باجودت بك أنه رجل بطل، - مع علمه بأنه في مركز رسمي عال. ولا يجوز له أن يتدخل في مسألة يعلم جيداً أنها ضارة لبلده؟ فأجابه جودت بك: «هل هو فقط الرجل البطل، في مصر؟ فان كان الغرض تنظيفها من الأشخاص البطالين، فهم كثيرون، فاعمل، عندها تبسم اللورد ووعدته خيراً.

وكان قد بلغ الخديو من دومرتينو باشا عزم كنتشر، فأسرع في فصله من رئاسة الديوان الخديوي، وعينه ناظراً لخاصته. وأعطاه أجازة يقضيها في أوروبا، ثم يقابله في باريس.

تهدد برات كنتشر بعزل الخديو. كل مصري يذكر ولا ينسى أن الخصام بين اللورد كنتشر والخديو لم يكن ابن يومه؛ بل كان قديماً، بدأ في سنة ١٨٩٤ عندما استعرض عباس جيشه ولاحظ على بعضه ملاحظات قبلها اللورد بشيء من الامتناع ومنعاً للطوارئ الفجائية، طلب كنتشر من الحكومة تخصيص مبلغ كبير لبناء الشكاك والحصون في الثغور المصرية، فعارض الخديو في ذلك بحجة أن الفرمانات العثمانية لا تبيح لها ذلك بدون الرجوع إلى الباب العالي، فأضمر اللورد للخديو العدا.

ولما سمع بأن الخديو باع سكة حديد مربوطه هده وأخرج مركزه واضطره أن يعدل عن بيعها لايطاليا، ثم باعها للحكومة المصرية، كما مر ذكره.

كنتشر يعرض عرش مصر على سعيد حليم: ثانياً لما أراد اللورد جعل ديوان الأوقاف العمومية نظارة، عارض الخديو في ذلك أيضاً، ففضب اللورد عليه وأرسل

عماد الدين وهى بك وكيل دائرة سمو الأمير سعيد حليم باشا للإستانة ، ليتفاهم مع الأمير على خلع عباس وتوليته خديوية مصر . ولكن سمو الأمير امتنع ورفض ؛ لأن مركزه فى الدولة مركز هام ، وأنه يمكنه أن يخدم مصر وهو صدر أعظم أكثر مما لو كان خديوياً لها .

ومن هذا اليوم أيقن الخديو بنوايا ككتشنر نحوه ، وأخذ حذره منه ، وأصبح يفكر فى التنازل عن العرش .

تفكير عباس فى التنازل عن العرش . كنت أعلم أنه لما اشتد الخلاف بين رجال الحكومة الإنجليزية بمصر وبين الخديو ، لم يستطع صبراً على ذلك ، وأراد أن يتخلص من عداوتهم وجفائهم له ، وخصوصاً بعد تهديدات ككتشنر المتوالية ؛ ففكر أن يتخلص من هذه المصاعب .

وعند وجودى مرة مع فى عربة السبب الخصوصية ، التى كان يقودها بنفسه للفسحة فى ضواحي القبة ، بعد انقطاع حديث عادى بيننا ، وصمت من سموه ، وسؤال عما يحول بخاطره ، قال :

« كنت أشعر فى أوائل توليتى الحكم وما لاقيته من الصعاب فى سياستى التى كانت ترمى إلى إنقاذ بلادى من نير الغاصب ، أن مدى حكى قد لا يزيد عن حكم جدى اسماعيل ؛ غير أن حكى لا يزال إلى هذا اليوم ، وزادت متاعبى . وإنى أفكر فى كيف أتخلص منها . »

فلا عجب إذن أنه كان يفكر فى اعتزال الحكم بالتنازل عن عرشه لولى عهده بطريقة لا تضر بكرامته ؛ لذلك أرسل فاستدعى الدكتور فارس نمر صاحب المقطم ، وتكلم معه على الطريقة التى يجب عملها ، تفادياً من المصادمة والمناوأة بينه وبين المعتدين البريطانيين بمصر ؛ بعد أن لحقه كثير من الاهانات .

ولما كان يعتقد الخديو من محبة الانجليز لفارس نمر ، فقد أراد أن ينتدبه للقيام لدى رجال الانجليز بالسعى لمساعدته فى التنازل عن العرش لولى عهده ، وتوليته إمارة سوريا . ولاهمية هذا الموضوع أثبتنا ما جاء فى المقطم مانحاً فى سنة ١٩٢٧ :

« لما مثل الدكتور فارس نمر بين يدى الخديو وكاشفه برغبته ؛ وكلفه بأن يقوم بدور الوسيط فى تلك المهمة ، اعتذراً أولاً ؛ ولكن سموه لم يقبل عذراً من أعذاره ، بل

كان يدهمها بتأكيد اقتناعه بكفاءة الدكتور واقتداره . ولما رأى الدكتور أن سموه سد عليه أبواب الاعتذار ، وينتظر مساعدته ، قال له بالصراحة : « ما الفائدة من تكلمنا مع ولاة الأمور بلندره ، وسموكم أدرى منا أن الحكومة البريطانية تعتمد كل الاعتماد على وكيلها هنا : قبرى بعينه ، وتسمع بأذنيه ، ولا تجرم في أمر إلا بعد ما تطلعه عليه ، وتأخذ رأيه فيه ؟ فما دتم سموكم مصرين على رأيكم ، فالواجب قبل كل شيء مفاوضة اللورد كتنشر في ذلك ؛ وإلا فن المحال أن نتجح فيه ، وخصوصاً ما دام المعتد هو اللورد كتنشر معبود أمته . » فرفع سموه يديه وقال البرق والرعد ! البرق والرعد ! صدقتم فليس لقوله مرد ، ثم كلفه أن يقابل اللورد كتنشر ، ويعرض المسألة عليه ، ويسمع رأيه فيها

فتوجه الدكتور فارس نمر إلى الوكالة البريطانية ، وطلب من جناب سكرتيره حيثند السر رجيند ستورس أن يسأله تعيين ميعاد لمقابلته ؛ وفي الميعاد المعين قابله وقال له :

« قد جدنا لنكم بغامتكم عن الجناب الخديوي ، بعد ما شاع وذاع عن اشتداد الجفاء بينه وبينكم ، فقال اللورد : « وما هو الكلام الذي عندهم ؟ ، فرد الدكتور قائلاً : « إن البلاد عموماً ، ورجال الحكومة خصوصاً ، يشكون شكوى دائمة من هذا الخلاف الذي طال فيه الجذب والدفع بين الخديوي الحالى ومعتدى الدولة البريطانية الثلاثة : اللورد كرومر وسير الدين غورست وبغامتكم ، من حين حادثة الحدود إلى هذا اليوم . والظاهر أن سمو الخديوي مل الصبر على هذه الحال ، ورأى أن لا راحة له ولا لشعبه باستمرارها ، فصمم على التنازل عن العرش ، وخصوصاً بعد الذى حدث أخيراً ، وبعد الكلام المر الذى سمعه بسبب سكة حديد مريوط . » ثم قص عليه أيضاً ما سمعه من سموه ، وكل الكلام الذى جرى له معه ، فهز اللورد رأسه كمن لا يزال يرتاب في إمكان ذلك ، فقال له الدكتور : « ولماذا تبق في ريب ما دام الوصول إلى الحقيقة سهلاً ؟ فالأمر لا يحتاج إلى أكثر من مقابلتكم لسموه ، وسؤاله عن كل ما تقلناه إليكم ، واحكموا بعد ذلك بنفسكم لنفسكم . » فقال اللورد : « نعم ولكنى أنا لا أفضل ذلك ولا أريد أن تكون لي علاقة بهذه المسألة . »

وفي غد ذلك اليوم تشرف الدكتور فارس نمر بمقابلة الخديوي في سراى القبة ، وأخبره بما سمعه من اللورد كتنشر ، فقال إن تحال المسألة إلى لندرة ، وطلب منه السفر إلى إنجلترا .

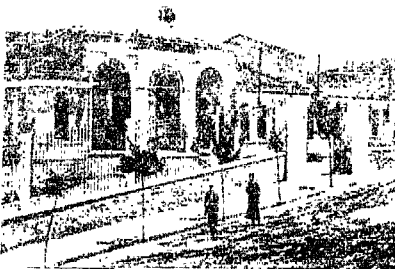
وفي منتصف شهر يوليو وصل الدكتور إلى لندرة ، وقابل أحد معارفه المتصل بالمستر سلبى سكرتير وزير خارجية إنجلترا ، وطلب منه شرح الحالة السيئة القائمة بين عباس والمحتلين ، وأنه يريد مقابلة ناظر الخارجية لايجاد حل لهذه الحالة . ولما علم المستر سلبى بفكرة عباس في التخلي عن عرش مصر ، قال : « لو أن الخديو تنازل لولى عهده من تلقاء نفسه ، فيقينه هو أن إنجلترا لا تتأخر عن فعل المستطاع للحصول على ذلك . » وقد تواعد الوسيط والمستر سلبى على أن يتقابلا مرة أخرى .

ولما التقى جناب المستر سلبى بالوسيط في اليوم التالي ، أفهمه أن مسألة الخديو التي تكلمنا عنها بالأمس وقعت موقع الاهتمام عند ولاة الأمور ، وأنهم يحبون أن يعلموا من الدكتور كل ما يعلمه عن هذه المسألة ، وطلب منه أن يكتب مذكرة مفصلة بها لكي ينظروا فيها ، ويروا إن كان الحل الذي يقترحه يمكن التنفيذ . على ذلك أسرع الدكتور فارس نمر بكتابة المذكرة ، وشرح فيها ما سمعه من الجناب العالي ، وأنه إذا كانت وزارة الخارجية البريطانية تريد أن تتحقق ذلك ، ففي الامكان أن تسمعه من فم الخديو نفسه .

وقد أوفد الخديو أيضاً يوسف صديق باشا إلى لندرة لعمل المساعي لمقابلة عباس للملك ، فلم يفلح . وفي هذا الوقت أعلنت الحرب الكبرى ، وبذلك انقطع الأمل في مقابلة اللورد جراى وتسوية المسألة .

حادثة الاعتداء على هبابة الخديو وشهور المهربين نحوها . في يوم ١٦ يوليو وردت البرقيات من الاستانة باعتداء أحد المصريين المقيمين بها باطلاق الرصاص على الجناب الخديوي ، عند خروجه من زيارة الصدر في الباب العالي . فكان لهذا النبأ المزعج

أثر أليم ، وتلقته الأمة المصرية بقلب خائف مروع وغضب شديد . فان وقعته كان عظيماً : فقد بلغ عدد التلغرافات التي وردت على عطوفة رئيس النظار من جميع أنحاء القطر ، معربة عن أسف الأمة . واستنكارها لتلك الجريمة وإظهار عراطف



الباب العالي

ولأنها وإخلاصها للمليكة خمسة آلاف تفراف .
وقد أقيمت في جميع مساجد وكنائس القطر الصلوات لله والدعوات بأن يمنّ
بالشفاء العاجل على سموه .

وقد سافر وفد من الجمعية التشريعية للاستانة ، كما سافر أيضاً كثير من أعيان
مصر وعلماؤها وكبار موظفيها العرض ولائهم على الخديو ، والاعراب عن مسرتهم بنجاته .
شعور الأجانب بمصر : ولم يكذب ينشر خبر وقوع الاعتداء على سمو الخديو
حتى توافد إلى سراى الحكومة في بولسكى معتمدو الدول وقناصلها الجزالية ، فزاروا
سعادة عدلى يكن باشا ، مظهرين الأسف لوقوع الحادث ، ومنتنين لسموه الشفاء .

شعور المصريين الموجودين بأوروبا : لما نقلت التفرافات خبر الاعتداء في جميع
أنحاء الدول ، وشاع ذكر هذه الحادثة الشنيعة ، ظهرت علامات الحزن على كل المصريين
في أوروبا ، وعلى كل من له علاقة بمصر ، ولا سيما المصريين الذين كانوا بسويسرة
(جنيف) وكانوا يتشوقون لمعرفة تفصيل الحادثة ونتيجتها .

وقد علمنا فيما بعد من رسالة بامضاء محمد أمين بهجت بجنيف ، أن المصريين
بها عندما وردت التفرافات العمومية بالاعتداء على حياة الخديو ، ظهرت علامات
الأسف الشديد عليهم ، وعمهم الحزن ، وأبدوا السخط على كل من له علاقة أو يد في
هذه المؤامرة الدنيئة ؟ وكان من بينهم محمود بسيونى بك المحامى ، وعبد الرحمن
عزت القاضى بك ، وعزيز جريس بك ، وسعادة عمر سلطان باشا ، وسعادة مصطفى
ماهر باشا ؛ وكان أغلبهم هجروا الجلوس بالقهاوى والمتزهات التى يعشاهها فريد بك
ومنصور رفعت فراراً منها ، وخصوصاً من الأخير ، لنشره نشرات ذميمة بها طعن
شديد على الخديو .

وأخيراً قر الأرى على إرسال البرقية الآتية بمضاهة من محمد فريد بك للخديو :
« نظهر أسفنا لما حصل لسموكم من المؤامرة التى كانت مدبرة ضدكم ، وتمنى لكم
طول العمر . »

الحرب العظمى

* المخاضات الرسمية بين الحديو بالاستانة وقائمقامه بمصر

* الانجليز يمنعون عباس من العودة لمصر . * ماذا فعلت الحكومة لدرء الطوارئ . مطالب الانجليز من مصر بعد اعلانهم الحرب . * اتداني بمائة خظيرة لدى عباس . * تبشير عباس للمصريين بسفائه . * وفاة مصطفى فرعى باشا . * الحاج الانجليز بترك عباس للاستانة والاقامة في ايطاليا . قطع علاقاته بالانجليز . * تابع المخاضات الرسمية والحوادث . * منع الحج ومنع التضييق والاكتتاب للصليب الاحمر هجراً . زيارة عباس لشكر الخليفة والعائلة السلطانية والسفراء . عباس والصدر والحزب الوطنى . الاتفاق التاملى بين ألمانيا وتركيا وعباس . الحملة التركية على مصر . مشور الحديو لرعاياه مصريين وسودانيين . تحدير مزمنة الحملة . عود الى الحملة . طلب الاتحاديين اعانات مالية من عباس . تركية تعلن الحرب على روسيا وانجلترا وفرنسا . البعثات الحديوية للحماى بالحملة التركية . شعور الحديو فى ظروف مختلفة . قلوب ايطاليا من الحملة التركية والتامينات واشتراد القلوب لاعمله الجهاد . كيف تخابر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين فى مالطة . عرش

(٥) لم يرض على حادث الاحتداد على الحديو اكثر من اسبوعين حتى أعلنت الحرب العظمى ، وقد دارت بين سموه وقائمقامه مخاضات رسمية بالبرق والمراسلات فى موضوعات ميزانها بنجوم ، أضفت إليها ما علته من مدارلات الحديو مع رجال الحكومة التركية وسواهم . وسيرى القارى ذلك فيما بعد .

مصريين عباسي وهز الدين وسعيد عليهم . مهتمى السياسية فى إيطاليا ومحاداتان
هامزة ومقابلتى مع الملك وما دار بيننا من الحديث ومحاداتان . أمرى مع
المصريين وغيرهم . المساعى لخروج الخديو من الاوتانة واقامته فى فينا .
مديت عباسى بفينا مع ميريبارسى عن مادة الاعتداء . رأى عباسى فى
هل مسألة السودان . كيف استقبل عباسى خبر عزله وتولية السلطان حسين .
قوى عباسى بعد الانقلاب فى مصر . الخفاوة بالخديو فى فينا . كلمة فتامية .
شونه مختلفة .

الانجليز بمنعونه عباسى من العودة لبلده . ه أرسل عثمان مرتضى باشا
برقية فى ٣ أغسطس لرشدى يقول فيها : إن الخديو سيرجع قريباً إلى مصر على
المحروسة ؛ وبما أن الحالة الحاضرة مضطربة ، فالمرجو إخبار إيطاليا واليونان بواسطة
معتديهما فى مصر ، لسكى تؤخذ الاحتياطات اللازمة عند مرورها بالجزر
ه فرد رشدى فى ٧ منه بأنه مهتم باتخاذ أحسن الوسائل لرجوع أفندينا ؛ وعلى
كل حال فالرجوع بالمحروسة فيه خطر الآن ؛ اللهم إلا إذا عملت ترتيبات خصوصية .
وأعرفكم بخطر تعدى المدرعات الألمانية عليها ؛ ولذا يجب إخطار الحكومة الانجليزية
بالمحافظة عليها فى الرجوع .

ه فأرسل مرتضى برقية سرية فى ٩ منه ، وفيها : قررنا السفر بالمحروسة يوم
الأربعاء مع الباخرة عثمانية ، للسرور من الدردنيل معاً ، ثم نذهب إلى الضلخان ؛ أما
باقى خطتنا فسيعرفكم عنها شفويماً محمد فهمى بك الذى سيسافر على العثمانية قاصداً مصر .
ه فرد رشدى فى ١٠ منه يقول : وصلتنى برقيتكم السرية ، فهل لى أن أعلن
حكومات اليونان وإيطاليا وانجلترا ؟

وفى يوم ١٩ وردت لنا منه رسالة بتاريخ ١٢ منه ، يقول فيها : إن السردار
والمستشار الماللى حضرا مصر ، وقال لى شيتهم نائب كتشنر بالنص ؛ عملت الآن أن
الخديو فى طريقه إلى مصر . وبناء على تليغات شفوية للمستشار الماللى ، فان حكومتى

تعلم الحديو بعدم الرجوع لمصر في هذا الوقت ، وإن رجوعه الآن يكون ضد رغبة حكومتى . ولهذا أطلب منكم أن تجربوا سموه بذلك بريقة لاسلكية . وإن إحدى مدرعاتنا توصلها إلى المحروسة . فأجبت أنه لا ينتظر مبارحته الاستانة ، ولهذا فانتى أرسل له بلاغكم إلى الاستانة : أما أننى أبرق له بواسطة مدرعاتكم — إذا فرض وكان قد ترك الاستانة — فهذا أمر لا يمكننى عمله .

• وأبرق في ١٤ منه بقول : حيث إن انجلترا أعلنت الحرب على النمسا والمجر ، وبما أننا أعلنت الحرب عليهما بناء على طلب لندرة ، فنقدنا عليهما نفس الإجراءات التى التى وضعناها على ألمانيا .

ونظراً لاحتمال دخول تركيا فى الحرب بجانب ألمانيا . فسيكون موقفنا وموقف أفندينا صعباً . فمن الضروري اليوم وجود أفندينا فى مصر ، فهل يمكن لسموه وهو فى الاستانة أخذ التدابير لرجوعه ؟ وهلا يمكنه على كل حال أن يملتنا بريقة عن رأيه لأننا فى غاية الحيرة ، والقلق مستول على المصريين ؟

أبرق عباس فى ٢٠ منه يقول : علمنا بالمذكرة الشفوية التى أبلغها لكم المعتمد الانجليزى ، وأرجو الرد عليها بالآتى :

• الحديو بأسف غاية الأسف ؛ لأنه فى الظروف الحالية التى تستدعى ضرورة وجوده فى مصر من كل وجه ، والفائدة التى تعود عليها ، فإن بريطانيا العظمى تأمركم بتبلى رغبته بعدم رجوعه لها . اشرحوا لنا نظريتك ونظرية زملائكم ، وكذلك موقف كبار موظفى الانجليز ، والرأى العام المصرى .

• لجاء الرد فى ٢٣ منه بأن رشدى أبلغ البرقية السالفة الذكر إلى الوكالة الانجليزية ، وأوضح بالتفصيل ضرورة وجود أفندينا حالا ، حتى إنه سلم مذكرة لسهولة توصيلها إلى لندرة ، وأنه فى انتظار نتيجة هذا المسعى ، وأنه طلب من المعتمد والمستشارين فى المالية وفى الداخلية تعريفه بصراحة - ولو بصفة شخصية - عن سبب تأجيل رجوع أفندينا ، وإلى أى وقت سيكون هذا التأجيل .

• وأرسل رشدى بريقة فى ١٤ ، ووصلت فى ١٨ ، قال فيها : إن القلق مستول على المصريين ، فإذا كانت صحة سموكم تسمح ، فالضرورة تقضى برجوعكم حالا .

• ومن ضمن بريقة أخرى فى ١٧ منه أنه قال لمعتمد انجلترا : إن النظار يتوقمون

احتمال دخول تركيا في الحرب بجانب ألمانيا ، ويتساءلون عن النتيجة بالنسبة لمصر ، ويقولون بضرورة رجوع الحديو لأخذ رأيه فيما إذا كان هذا الاحتمال يقع ، لهذا فان القائمقامية بعثت ببرقية لسموه بالرجوع حالاً . واليوم رجعت للوكالة لتفهم المعتمد بأن صالح بريطانيا يقضى بوجود أفندينا في مصر عاجلاً ، وسأرسل ببرقية قريباً أو برسول لسموه .

• وقد أرسل رشدي بأن الرد على أسئلته التي قدمها في مذكرة للوكالة الانجليزية كان كما يأتي :

عن السؤال الأول ، لم يحصل على جواب قطعي ، إنما فهم من كلامهم أنهم يخشون نفوذ سموه و دسائس بعض حاشيته ؛ ولحوا عن موقف سموه في مسألة العقبة (طابة)

أما عن المسألة الثانية ، فأكدوا لرشدي أن هذا التأجيل مؤقت لمدة أسبوع أو أقل ، لحين وصول الجنود الهندية لمصر . وأما عن شعور الموظفين الانجليز ، فهو عدم الاعتقاد على سموه في أعمالهم . أما موقفهم بخصوص القيام بواجبهم ، فانه لم يتغير . أما الجمهور ، فانه يجهل الأسباب ويحسن ألا يعرفها . ثم قال رشدي إن أحمد شفيق في الطريق ، ليعرض على أفندينا الحالة في مصر تفصيلاً من ابتداء الحرب .

• وفي ٢٥ منه قال القائمقام إنه تقابل مع محمد فهمي بك ، وعلم منه أنه قيل للتخديو إن الأحكام العرفية أعلنت ، وأنه حكم بالاعدام على بعض الأشخاص ؛ فكذب رشدي كل ذلك ، وقال إن الهدوء التام لا يزال سائداً هنا .

وفي اليوم نفسه ، زار الصدر سمو الحديو لتهنئته بالعيد ؛ وفي أثناء الحديث تكلم عن منع الانجليز لسموه من الرجوع لمصر ، فقال سعيد حليم :

• حيث إن أفندينا كلني رسمياً في مسألة منعه من العودة إلى مصر . فاني سأطلب من سفير إنجلترا إيضاحات عن سبب هذا المنع . ، فشكره سموه .

• وفي ٣٠ منه أبرق عباس لرشدي بأن السفارة الانجليزية أخبرتته بأن الوقت مناسب لرجوعنا إلى مصر ؛ ولكن نظراً لسكوتكم وحرماننا من كل المعلومات اللازمة للاجابة ، لم تتمكن من أخذ قرار في ذلك ،

ثم إن المستشار سأل سموه عما ينوي عمله ، فأجابته أنه كان ينوي السفر إلى النمسا ولكن ظهر أن طريق رومانيا معطل ؛ ثم فكر في أن يأخذ إحدى البواخر الايطالية

فيذهب إلى أملاكه بالضلعان، ولكن الصدر الأعظم طلب منه أن يبقى في الاستانة بضمة أيام، فتأخر للآن .

وطلب سموه إرسال معلومات بالتفصيل، وروى له ما عليه من وصول الجنود الهندية إلى مصر .

• وفي اليوم نفسه (٣٠ أغسطس) جاءت برقية من رشدى يقول فيها إنه توجه إلى الوكالة البريطانية للاستفهام عن نتيجة مساعيه . فردت بعدم وصول شيء لها ، ولكنها تمتد بوجود مخابرات ودية بين سموه والسفارة الانجليزية بالاستانة . وأخبر أيضاً بأن العساكر الهندية لم تصل بعد ، وطلب من الوكالة بمجرد حضورها أن يرجع أفندينا حالا، وإذا عارضوا يقدم استقالته ، ورشدى يستحسن إرسال مرتضى باشا إلى كنتشنر شخصياً ليحجز رجوعكم . وقال إن البرنس عزيز حسن كلم المعتد البريطاني في أن يستمر في منع أفندينا عن رجوعه ، ليكون بعيداً عن مجرى الحوادث ؛ والمستشار المالى قال لرشدى إن سموه على وشك السفر إلى إيطاليا ، ومن رأى القائم مقام، إن كان عدم رجوع أفندينا يطول ، فسفره إلى إيطاليا أرجح من إقامته في تركيا .

• ورداً على برقية عباس أرسل رشدى يقول في ٣١ منه : إنه بعد تبليغ سفارة إنجلترا بعدم المانع من رجوع أفندينا ، لا شيء يبرر أقل تردد في ذلك ؛ فان صالح البلد وصالح سموه الحقيقي ، يستلزمان رجوعه حالا . الحالة لم تتغير هنا ما عدا الصعوبات الاقتصادية التي في كل البلاد . الأهالى والجرائد في هدوء . موقف الاحتلال ليس فيه ما يدعو إلى الملاحظة . الكل ينتظر رجوع سموه بفروغ صبر، لأنه لا يوجد أحد يفهم أن غياب أفندينا يستمر بعد رفع المعارضة . فبناء على ذلك ، زملائى وأنا نرى أننا ملزمون بالألحاح لرجوعه حالا . ومن المهم لمواجهة الحوادث التي يمكن وقوعها أن النظارة تكون على اتصال مباشر مع سموه . والجنود الهندية لم ترد للآن .

قبل أن أرسل هذه البرقية توجهت إلى الوكالة الانجليزية ، وهى : لا تعلم شيئاً عن بلاغ السفارة الانجليزية بالاستانة لسموه . اطلبوا إرسال البلاغ المذكور إلى الوكالة بواسطة السفارة أو الحكومة الانجليزية ؛ وهذا الاحتياط ضرورى، وإلا فاق مصمم على برقيتى السالفة .

أشار محب باشا على الخديو بزيارة السفير الانجلىزى اليوم كما زار السفراء الآخرين، وكتب يحظر السفارة بذلك ، فرد الترجمان بأن السفير متغيب . ثم قال :

أما بخصوص سفر الخديو من الاستانة ، فربما لم أكن أوضحت تماماً يوم الاحد عما كنت أريد أن أقوله . والمعهوم أن الاصوب أن يبقى بعيداً عن مصر مدة أخرى ، وأن سياحته إلى إيطاليا أو في جنيف في الوقت الذي يجب فيه ترك الاستانة تكون في محلها .
 * وقد أبقى الخديو لرشدى باشا برد الترجمان ، ثم قال له :

«وعليه نرى أن نتركوا لنا وقتاً للتروى ، لأخذ قرار وخطة للسير عليها؛ وسنفيدكم عنها . ومن جهنكم وافونا برأيكم ومشروعاتكم ومساعيكم التي تزيدنا معرفة عما يجب علينا اتخاذه ؛ ونظن أيضاً أن لكم خطة مقررّة حيث تلحون في رجوعنا ، خطة يجب أن نفهمها بالتفصيل ؛ ونود أيضاً أن نعرف كيف يكون وجودنا عند حضورنا لمصر بعد تصريح إنجلترا به لنا ، وكيف تكون حالتنا حينئذ تدخل تركيا الحرب بجانب ألمانيا .

وفي ٣١ منه ، ذهب أفندينا لشكر السلطان رشاد على سؤاله عن صحته ، وجاء فيها قاله جلالاته لسموه . « يمكن لسموكم الرجوع إلى مصر ، حيث لا مانع الآن من طرف الإنجليز ، ؛ ولا بد أن الصدر الأعظم كان قد أبلغ جلالاته بمساعيه في هذا الخصوص .

* ومن ضمن برقية وردت في ٢ سبتمبر ، يقول القائم مقام إن محب باشا أبلغه الرسالة ويرى على كل حال أن وجود أفندينا لا يكون في أمن بحيثيف ، ويقول أيضاً إن الوكالة البريطانية أبلغته بأن الحكومة الإنجليزية لم تغير نظريتها بخصوص تأجيل رجوع الخديو ، فهل بلاخ سفير إنجلترا لسموه حصل مباشرة ؟

* وفي اليوم نفسه أبقى عباس للقائم مقام يقول : « بعد مساعي الصدر الأعظم لدى سفير إنجلترا بخصوص رجوعنا لمصر ، حضر مستشار هذه السفارة وترك لنا الخيار في الرجوع مباشرة لمصر أو بعد سياحة في أوروبا ؛ إنما فضل تركنا الاستانة حتى يتجنب الحوادث التي يمكن ؛ بل المحتمل ، وقوعها في تركيا .

وفي ٣ منه زار سفير إنجلترا سموه وقال له : إن عدم رجوع سموه لمصر ، هو لفائدته ؛ لأنه يكون في مركز صعب لو حصلت حرب بين تركيا وإنجلترا . ثم قرأ برقية وردت له من حكومته ، تطلب منه أن ينصح لسموه بترك الاستانة إلى إيطاليا . فأجاب به بأنه كان ينوي السفر ، ولكن الصدر طلب منه البقاء حتى يتخبر مع السفارة الإنجليزية في أمر رجوعه إلى مصر ؛ لأن الأهل يسألون لماذا لم يرجع إلى بلده في هذا الوقت الحرج .

* وفي ٦ منه جاءت برقية من رشدى يقول فيها لمحب باشا : ها أنا ذا أرسل لكم

هذه البرقية لكى أعرب لكم فيها عن وجهة نظرى بصراحة وحرية. وأترك لكم أن تعرضوا على سموه ما يكتنه صدرى بالطريقة اللائقة .

في الحالة الحاضرة علينا أن نأخذ بأحدى خطتين: الأولى أن ندع المقادير تسير في طريقها، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً. وهذه الخطة سهلة؛ ولكن هل هي موافقة للواجب الذى يقضى علينا عمله؟ والثانية، هى أن نراعى مصالح مصر؛ ولأجل ذلك يجب علينا لحصها جيداً، بأن نتأمل في كل الاحتمالات التى يمكن وقوعها، وعلينا أن نوجه دقة سفينتنا على حسب مقتضيات الأحوال، مهما كان الخطر الذى يصيبها. والخطة الثانية تستلزم وجود أفدينا في مصر؛ لأن هذه الأمور لا يمكن البت فيها عن بعد، ولا بالمراسلات؛ وخصوصاً أنه في فترة المخبرات يمكن أن تتغير أسس التقارير؛ لهذا كنت أسعى للآن عند الوكالة البريطانية للحصول على رجوع أفدينا .

وقد سبق أن ألححت على سموه بالرجوع حالاً عند ماوردت لى بريقته برفع المعارضة من رجوعه. وبما أن انجلترا مستمرة على المعارضة، وحتى إذا فرض رفضها، يظهر لى أن الجناب العالى لا يرغب في الحضور لمصر حالاً، فنتقدم لم يبق أمامى إلا الأخذ الآن بالخطة الأولى. وللى أن تصدر لى أوامر جديدة، فاقى أترك كل مسعى لحضور أفدينا. لكن يلزمنى أن أعلمكم أنه إذا رفعت المعارضة ولم يحضر سموه، فإن ذلك يسهل للانجليز استعباده بالكلية، ويستغلون هذه الفرصة ليعرفوا المصريين أن خديويهم لا يتم بمستقبل بلادهم، وفي هذه الحالة أستقبل. أما إذا دخلت تركيا الحرب بجانب ألمانيا في غياب سموه، فنجد أنفسنا هنا حيارى بدون قيادة؛ إذ ذلك إما أن تضم انجلترا مصر إليها، أو تنفق معها على إعطائها الاستقلال الداخلى، حتى تجذب إليها الأهالى. في الحالة الأولى، أعتبر مهمتى قد انتهت، وأدخل في عداد الأفراد .

أما في الحالة الثانية فلى ما أفعله؛ فالمرجو أن تعرفونى بنظيرتكم ولو شفويًا .

وفي ١٧ سبتمبر أرسل محب لرشدى برقية، جاء فيها: فهمى نقل لى معلوماً تم فكوتوا مطمئنين. أنا هنا للسهر على أن كل شى يسير على ما يرام. الخديوي ممنون جداً من الأعمال في مصر. وأنا لم أرغب أن أراسلكم كثيراً حتى لا أشتت أفكاركم، وإذا صدرت أوامر فاقى أبلغها لكم بالضبط .

كنت على وشك السفر لى لندرة، ثم تأجل، وسأل على سموه بالسفر حتى يوافق على اقتراحى لاكون قريباً من محل العمل لاحتمال ما قد يقع، فهل أتم على هذا الرأى؟

كنت أردت أن أوضح لكم وجهة نظر أفندينا ولكنه في آخر لحظة كلف أبناؤه باشا بهذه المأمورية . لئنى لست موافقاً عليهما تماماً ، غير أنني أرجو أن يبلغكم رأيي بالضبط ؛ أما القرار الأخير فهو انتظار مجرى الحوادث هنا ، مع استمرار الصلات الودية مع الأتراك ، الذين لا شك في استعدادهم للدخول في الحرب .
لجاء الرد في اليوم نفسه ، وفيه يقول رشدى : وصلتني برقيتكم ، وأنا لا أزال على رأيكم من سفركم إلى لندرة لبذل المساعى لرجوع أفندينا .

هـ في ٢٧ منه جاءت برقية من رشدى لمحـب ، يقول فيها : إن أبناؤه ومرضى أبلغانى وجهة نظر أفندينا ، ولئنى ضد ذلك بالكلية ؛ لأنها مبنية على خطأ عظيم في التقدير . فإذا كانت إنجلترا تطلب من سموه الخروج من الاستانة والذهاب إلى سويسرا أو إيطاليا ، فأرجوكم الإلحاح عليه بقبوله ، والأصوب السفر إلى إيطاليا . وعليه أن يتفق مع الانجيز بخصوص إقامته فيها ، ولا يلزم أن يعقد سموه أنهم يريدون إبعاده عن مصر بالكلية ؛ لأن القصد هو إبعاده عنها مؤقتاً . ولئنى متأكد بأنه إذا أعطى برهاناً واضحاً على حسن نيته نحو الانجيز ، بأن يضحى بدون تردد بحاشيته التى توارثهم ، فيمكن في الحال أن أحصل على رفع المنع . فهل لى أن أتدخل في هذه المسألة ؟

* ماذا فعلت الحكومة لردوا بطوارىء . فى ٤ أغسطس أرسل القائم مقام لمرضى يقول : لمنع القحط اتخذنا الاحتياطات الآتية :
أولاً - منعنا تصدير المواد الغذائية .
ثانياً - جعلنا صرف البنكنوت الأهلى لإرامياً ؛ ومع ذلك فإن البنك الشرقى الألمانى أقفل أبوابه .

ثالثاً - أذنا البنك الأهلى فى إصدار أوراق مالية بمبلغ مليون جنيه ، على أن تكون نصف القيمة الضامنة من الفضة بدلا من الذهب .

رابعاً - سمحنا للبنك زيادة فى الاحتياطات ، بإصدار مليون آخر بضمانة سندات مالية من الدرجة الأولى ؛ ونصف القيمة والثمن حدد بمعرفة الطرفين

وفى هـ منه أ برق يقول : هـ نظراً لاضطراب الحالة المالية قررنا الموراتوريوم للندد ، وأعلنا ثلاثة أيام عطلة للبنوك والمحال التجارية ؛ وبنكودى روما أو صد أبوابه ، وكان قد طلب سلفة من البنك الأهلى على أن يقدم له ضمانه من بنكو ديطاليا ، ولكن هذا رفض فى آخر لحظة

١٩١٤

وفي ٩ منه بناء على الدكرتو الصادر في ٧ منه منمت الحكومة كل التصديرات ،
والقمح المعتاد إرساله إلى الحجاز

وفي ١٣ سبتمبر أبرق القائمقام بأنه تقرر استمرار الموراتوريوم إلى أول
أكتوبر، ولكن بشروط أخرى نص عليها القرار

وصدر دكرتو في ٢٥ منه لتحديد أثمان المواد الغذائية ، وتألقت لجنة لفحص
ما يلزم منها للبلاد، وطريقة توزيعها؛ وجرى البحث أيضاً لاتخاذ الوسائل المالية للمساعدة
على تصريف حاصلات القطن ، وتشكلت لجنة كبيرة لذلك

من برفية في ٢٥ سبتمبر قال رشدي : إن اللجنة التي أرسلت إلى إنجلترا أبرقت
بامكان توزيع أربعة ملايين قطن من قطن المحصول الآتي . فأصبح على الحكومة
واجبان : الأول ، أن المرض لا يتعدى الطلب ، بحيث أن البنوك وتجارة الصادرات
تتمكن من إيجاد المبالغ اللازمة لتداول النقود . والواجب الثاني ، أن تصدر الحكومة
أمرها بتخفيض مليون فدان من زراعة القطن ، حتى يمكن المحافظة على الثمن من جهة ؛
ومن جهة أخرى يمكن إيجاد الكمية الكافية من الغلال لحاجة البلاد ، وتصدير الزيادة
إن وجدت .

ومن برفية في ٢٦ منه طلب عباس تعريفه بالاحتياجات الهامة التي اتخذت
في المسائل الاقتصادية .

فرد عليه رشدي بأن الحالة لم تتغير ، ما عدا الصعوبات الاقتصادية ، فانها كما
هي في كل البلاد .

* مطالت ارنجليز من مصر بعد اعطائهم الحرب : أرسل رشدي باشا
للخديو برفية في ٥ أغسطس بأن إنجلترا أعلنت الحرب على ألمانيا ؛ وأن لندرة طلبت
أن يعلن مجلس النظار بعض الاجراءات لصيانة مصالحها في مصر؛ وقد تداول مجلس
النظار في هذه الطلبات وملخصها هو :

أولاً — أن قوة الاحتلال تقوم بكل الاجراءات التي تستدعيها الحرب في بلادنا .

ثانياً — منع كل مساعدة لألمانيا ، والتوصية بكل المساعدات لإنجلترا .

ثالثاً — منع تصدير الأسلحة والذخائر والاوزامات الحربية والآلات ، ودواب

الركوب ، والقمح ، والمواد الغذائية

وهم يطلبون قراراً عاجلاً في ذلك وقد قال رشدي: «إنا إذا لم نتعد هذه الاجراءات، يخشى من أن تقوم السلطة الإنجليزية بتنفيذها. وفي كلتا الحالتين ستكون عرضة لاعتداء الألمانين وحلفائهم؛ فالخطر محقق بنا. ومن جهة أخرى فإنه لصيانة مصالحنا السياسية إزاء إنجلترا، يستصوب أن نعمل باذتنا بدلاً من استعمال سلطتهم.

وفي ٧ منه أرسل رشدي يقول إنه بعد انتظار ٢٤ ساعة اضطررنا إلى إصدار قرار نظراً للالاح الشديد بتنفيذ المطلوب حالاً، وبعد كل التروى وجدنا أن نقرر ما طلب منا، فإذا انتصرت إنجلترا فالمتنظر أنها تعدل في النظام السياسي؛ وأما شكله وشروطه، فيكون بنسبة الخطة التي نسير عليها معهم. أما إذا رفضنا المطالب المذكورة فإن الإنجليز يعدلون هذا النظام، لكي يضمنوا استعمال حقوقهم الشرعية التي تفوقها لهم قوانين الحرب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تكون على حذر منا. وبتنفيذنا الاجراءات المطلوبة نعتقد أننا قد تبصرنا في العواقب، للحفاظ على كيان نظامنا السياسي الحالي.

وفي ٧ أغسطس أصدرنا ذكرتيو جاء في مقدمته: «بما أنه قضى لسوء الحظ بإعلان الحرب بين جلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والمحمقات البريطانية فيما وراء البحار وأمبراطور الهند، وبين امبراطور ألمانيا.

ونظراً لأن وجود جيش الاحتلال في القطر المصري يجعل هذا القطر عرضة لهجوم أعداء الجلالة البريطانية.

وبما أنه من الضروري، نظراً لهذه الحالة الفعلية، التمكن من اتخاذ جميع الوسائل اللازمة لدفع خطر مثل هذا الهجوم عن القطر المصري.

وبما أنه قد أشير على الحكومة المصرية، تحقيقاً لهذا الغرض، أن تتخذ الاجراءات الآتية: . . .

وفي ٩ أغسطس أرسل عباس لرشدي برقية قال فيها: إن الصدر عرفنا بأن مصر أعلنت الحرب على ألمانيا. أرسلوا حالاً بالبرق تفصيلات عن هذه المسألة، والأسباب التي استوجبت هذا الاعلان، حتى يمكن إخبار الباب العالي بذلك.

مصر تقطع علاقتها مع ألمانيا والنمسا: في ١٠ منه أرسلت المعية برقية تقول فيها: «إن قنصل جنرال ألمانيا يرفض ترك مصر اعتماداً على أنها على الحياد، وليست في

حالة حزب، والتظار عقدوا جلسات عدة بخصوص العلاقات الرسمية بيننا وبين ألمانيا، والنظر في حالة المراكب التساوية الراسية في الموانئ المصرية، بعد إعلان الحكومة بانها في حالة حرب بيننا .

إخراج معتمدى ألمانيا والنمسا من مصر : وفي ٢ سبتمبر أبرق رشدى بأن قومندان قوة الاحتلال أرسل بلاغاً بواسطة أحد ضباطه، إلى قنصلى جنرال ألمانيا والنمسا بوجود ترك القطر المصرى . وهذا بقرار صادر منه بدون إحاطتنا، وقطع أعلننا به . ومثل النمسا حضر عندنا وسألنا عما إذا كان هذا الأمر حصل بموافقة الحكومة المصرية . فأجبناه بأن البلاغ صدر وأرسل بقرار من السلطة العسكرية الانجليزية ؛ وليس بقرار سياسى من الحكومة المصرية . فأرسل الرد في ٣ منه بموافقة سموه على ذلك .

وفي ٦ منه حضر سفير النمسا بالاستانة، وقابل الخديو، واحتج لديه كما احتج لدى الصدر على طرد معتمدى النمسا من مصر، وقال : « إنه معتمدى لدى أفندينا، وليس معتمداً لدى الاحتلال الذى ليس له حق فيما فعله »

اترابى مجموعة خطيرة لرى عباسى . في ١٢ أغسطس قابلت حسين باشا رشدى تلبية لطلبه، وقلت له إننى فى خدمته، حيث إن مجلس النظار عاد من الاسكندرية إلى القاهرة، الخديوى فى الحالة الحاضرة وصعوبتها، وخرج مركزه، وتعدنا المخابرة مع أفندينا؛ وقال لى إنه أرسل إلى سموه يقول إنه لم يصل إليه رد برقيتين بعث بهما إليه، وأنه يوجد عنده كلام لا يمكن أن يرسله بالبرق خوفاً من المراقبة فى مصر وفى الاستانة . فقلت له إنى رهين إشارته فيما إذا أراد أن يكلفنى السفر، فقال : « ولا بأس » فطلبت منه أن يحضرنى جميع الأوراق التى يطلب عرضها، فقال . « وهو كذلك ؛ إنى سأعطيك هذه الأوراق، فإذا خضت ضابطها فألق بها فى البحر . »

وفي ١٤ منه قابلته، فقال لى إنه يرى ضرورة سفرى إلى الاستانة، وأمرنى بالاستعداد وفي ١٥ منه جاءتى برقية من عثمان مرتضى باشا بجبولى، يطلب حضورى للاستانة ومعى ثلاثة آلاف جنيه ذهباً . منها ألفان من الخاصة، والألف من الأوقاف الخصوصية . وفي ١٨ منه اختليت مع حسين رشدى باشا ليلاً من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الواحدة ونصف بعد منتصف الليل، فأخبرنى :

أولاً — بأنه حقيقة كان عازماً على الاستقالة عندما طلب منه الانجيز لإقرار وجود مصر في حالة حرب مع ألمانيا ، بدلا من الحياد ؛ ولكنه رأى أنه ربما لا تحلله نظارة أخرى ، فيتولى الانجيز أمور البلد فيوقعونها في مشاكل

ثانياً — أنه أعطى مذكرة شفوية لوكيل كتشنر سير ملن شتهام ، بأنه إذا دخلت تركيا في الحرب مع ألمانيا ، فإن مصر تعلن استقلالها عن تركيا تحت شروط

(أ) ان إنجلترا تحمل محل الدائنين الأجانب في صندوق الدين .
 (ب) ألا تسن قوانين بخصوص الأجانب إلا بعد مصادقة إنجلترا
 (ج) أن عساكر هذه الدولة تحمي قنال السويس .

ثالثاً — أن الانجيز غير مرتاحين لرجوع أفندينا الآن إلى مصر ؛ لانهم يخشون أن يعرقل هو وحاشيته أعمالهم ، وهم الآن مطمئنون وسائرون بالاتحاد مع النظارة .

رابعاً — أنهم كانوا رشدي باشا أن يرسل لسموه برقية لاسلكية بأن يرجع للإستانة ؛ فلما منهم أن الحديو غادرها على يمت المحروسة ، عائداً إلى مصر ، إلى أن تأتي الجنود الهندية ؛ فأبى بتاتا ، قائلاً إنه يفضل الاستقالة على ذلك ؛ لانه يعتبر هذا العمل بمثابة خلع أفندينا ، فضلاً عن أنه لم يقسم برقية بمبارحته الإستانة ، كما هي العادة . واستفهم منهم عما إذا كان ذلك بناء على أوامر صريحة من دولة إنجلترا ، فقال شتهام إن اللورد سسل المستشار المال ، سبق أن فهم من كتشنر أنه يريد ذلك ، فأجابته أن هذا لا يكفي ، لأنها نقطة صعبة جداً يلزم أن تتأكدوا منها ، وأفهمه أن ذلك ليس من صالح الانجيز ؛ بل الأصوب أن يكون الحديو بمصر حتى يمكنهم أن يستعملوا نفوذهم ؛ وإلا فاذا أعلنت تركيا الحرب فانها تستعمل هذا النفوذ ضد الانجيز في مصر

وقال لي رشدي باشا إنه يحسن بأفندينا ترك يوسف صديق ، واحمد شوقي ، وحامد العلابي ، حتى يرضى الانجيز ، ولا يقولوا إن الحاشية تدس الدسائس ؛ وهم وإن لم يعينوا أشخاصاً ، إلا أن المفهوم أنهم يعنون هؤلاء الثلاثة .

سألته : ، وإذا سافر أفندينا وقصد مصر ، هل يظن أن الانجيز يمنعونه في الطريق؟
 قال : ، لا أقدر أن أجاب على ذلك ، ولكن لو حصل ، فانتى أستقيل . ،

فسألته عما يريد الانجيز ، هل إعلان الحماية على مصر أو ضمها . فقال : ، هذه نقطة غير واضحة . ، سألته : ، هل ينون خلع أفندينا؟ ، قال إنه سأل الانجيز عن ذلك ،

فقالوا ، لا . . وأكد عطوفته على شتهام بأن يرسل لانجلترا فكرة الفوائد التي يجنيها الانجليز من وجود أفندينا ، فقبل .

وفي ١٩ منه سافرت من مصر قاصداً الاسكندرية ، فانتظرت في محطتها محمد يكن باشا ، وحسن خالد بك نجمل الشيخ أبي الهدى الصيادى ، فركبت منها إلى مأمورية الأوقاف الخديوية ، وتسلمت من مندوب الخاصة الثلاثة الآلاف جنيه انجلىزى ، ثم توجهنا إلى وابور سالونيك الرومى .

وقد كلفنى قبل قيامى محمد يكن باشا أن أعرض إلحاحه على الخديو بالعودة إلى مصر ، كما أن دولة البرنس محمد على باشا كلفنى بإبلاغه أنه يلح هو أيضاً فى ذلك ، أو على الأقل يلح فى عودة الوالدة والأميرات .

وفى ٢٠ منه وصلت إلى ميناء بيريه باليونان .

وفى ٢٢ منه ركبت باخرة إيطالية ، نظراً لعدم استمرار الباخرة سالونيك إلى الاستانة ؛ وكانت تلك الباخرة مكتظة بكثير من السياح الروس والرومان ، حتى اضطر كثير منا أن ينام فى طرقات الباخرة .

وفى ٢٣ منه وصلنا أمام مدخل الدردنيل الساعة السادسة صباحاً ، وانتظرنا للظهر حتى حضر الرفاص المخصص لسحب البواخر التجارية ، خوفاً عليها من الألغام التى كان الأتراك وضعوها فى هذا المضيق . وقد لاحظت أنه منذ خروجنا من الاسكندرية حتى الآن ، لم تقابل وابوراً حريباً فرنسياً أو انجلىزياً ؛ ودخلنا بحر مرمره فى الساعة الثالثة بعد الظهر .

وفى ٢٤ منه وصلنا فى الساعة السادسة صباحاً أمام رصيف غلطة ، وانتظرنا حضور أحد من سراى جبوقلى ، وأرسلت برقية إليها أخبر فيها بحضورى ، وابتظارى الرفاص ؛ ولاحظت ركبته وسار فى إلى قصر جبوقلى . وبمجرد وصولى اجتمعت بأفندينا فى حضرة الباشوات: محب ويوسف صديق واسماعيل أباطه وعثمان مرتضى ، فسألونى عن حالة مصر وعمما إذا كان صحيحاً ما سمعوه من حصول ثورة فى القاهرة وفى الاسكندرية ، وشتق سبعة أشخاص ، وغلو أسعار الحاجيات لدرجة عظيمة ، وعمما إذا كان أعلن الحكم العرفى .

وعلمت منهم أن هذه الأخبار أشيعت فى الاستانة ، واضطربت أفكار المصريين لاجلها كباراً وصغاراً ؛ فطأنتهم بعدم وجود شىء من ذلك ، وأن البلد فى أمان ؛ وإنما

الأسعار ارتفعت أولاً ارتفاعاً فاحشاً؛ ثم لما منعت الحكومة تصدير شيء للخارج، أخذت في الهبوط؛ ويمكن أن تكون الزيادة الآن عشرة في المائة.

ثم بلغت أفندينا الرسالة التي كلفني بها رشدي باشا، فعرفته بمسألة ممانعة الانجليز في عودته إلى مصر؛ وشرحت لسموه أن شتاهم قال للبasha نقلاً عن اللورد سسل مستشار المالية الذي حضر مع ونجت باشا حاكم السودان لمصر قبل قيام منها يوم واحد بأن اللورد كتته ن قال ما يقهم منه أن الأصوب عدم رجوع أفندينا لبلده الآن. ولما استفهم رشدي باشا منه عن السبب، أجبب بأنهم يخشونه وحاشيته، ويخافون أن يعرفوا إجراءات الانجليز في مصر في هذا الوقت، ويدسوا الدسائس بين المصريين للقيام ضد الانجليز، الذين لم تكن قوتهم كافية في ذلك الوقت. فتخابر رشدي مراراً معهم، وطلب إرسال برقية لانجلترا بأن هذا المنع في غير صالحهم، لأنهم يستفيون كثيراً من وجوده؛ حتى ولو فرض أنه حصل منه شيء، لسهل عليهم منعه؛ وأخيراً أجبب بأنه عند وصول العساكر الهندية لمصر يمكنه العودة.

وفي ٢٥ منه سألت أفندينا عن مسألة إعلان مصر الحرب على ألمانيا والنسا، فأجبت به بأن مقدمة الدكرتو الصادر في هذا الشأن تدل على أن مصر صارت كأنها انجليزية، إذ قيل فيه: «نظراً لإعلان ملك الانجليز الحرب على ألمانيا؛ ولما كان واجب الحكومة الانجليزية، أن تتخذ كل الوسائل لصيانة ممتلكاتها مستعزاتهما من الخطر؛ وبما أن الانجليز يحتلون مصر، وواجبهم يقضي بالمحافظة عليها من كل خطر، فقد أشير على الحكومة المصرية باتخاذ الاجراءات الآتية.

ثم ذكر الدكرتو المواد المتضمنة الاحتياطات التي تتخذها كل دولة محاربة ضد عدوتها. فاستغرب الحاضرون ما قلته لأنه غير ما ورد برقياً من رشدي باشا، فقال أفندينا: «ربما أن شفيق قرأه فقط في الجرائد، فقلت. «نعم، وكأنه يقول إنه قاتني أن أقهم الحقيقة من رشدي باشا. ثم استعلم سموه مني عن سبب صدور هذا الدكرتو بعد أن أعلنت مصر حيادها، فقلت: «إن القائم بأعمال وكالة ألمانيا توجه على ما بلغني إلى رشدي باشا وسأله: «كيف يتفق إعلان مصر الحياد ووجود الاحتلال الانجليزي فيها، مع العلم بأن انجلترا محاربة لألمانيا الآن؟»، وأنه على ذلك حصلت محادثات مع انجلترا، وطلب رجال الاحتلال استصدار هذا الدكرتو.

أردت ألا أذكر أمام الحاضرين أن رشدي باشا يرى خطراً كبيراً على مصر فيما

إذا دخلت تركيا هذه الحرب ضد إنجلترا، وأنه تكلم مع شيتام في ذلك، وأنه في حالة دخولها يتعين تمديد مركز مصر من جديد، وإعلان استقلالها عن تركيا. وعلت من رشدي باشا أنه أعطى شتاهم مذكرة فيها أساس شروط إعلان استقلال مصر وهي:

أولاً — أن تحتل إنجلترا بمساكرها قناة السويس للمحافظة عليها.

ثانياً — تضمن إنجلترا لباقي الدول ديونها في مصر، فيكون لها مندوب بدلا من مندوب الدول لدى صندوق الدين.

ثالثاً — ألا تضع مصر قانوناً على الأجانب إلا بعد تصديقها عليه.

وقد تحاشيت التكلم في هذه النقطة أمام محب باشا؛ لأنه كان وقتئذ متوددا للحكومة العثمانية، وكان واسطة السعي للتوفيق بين أفتدينا وبين الصدر، وقد توترت بينهما العلاقات إثر حادثة الاعتداء على سموه؛ غير أن الحديو دفعني إلى الكلام فأفهمته المسألة مضطراً، فسألني عن صورة المذكرة التي قدمها رشدي باشا إلى شيتاهم، وأظهر أنه كان يجب على أن أحمل تقريراً وافياً بكل ذلك، فقلت إنني طلبت كل هذا من رشدي باشا، وقد وعدني؛ ولكنه لم يعطني شيئاً كتابياً. فأمر سموه محب باشا أن يحرر له جواباً يفرضه. ثم سألت أفتدينا عما كان يرغب في أن أحضره معي من المعلومات، فقال:

أولاً — نتيجة التحريات التي حصلت في مصر بالنسبة لحادثة الاعتداء.

ثانياً — تفصيلات سبب استصدار الذكرتين للقاضي بأن تكون مصر محاربة لألمانيا والنمسا.

ثالثاً — ما يقوله باقي قناصل الدول الجزائرية بالنسبة للحرب وحالة مصر.

رابعاً — المذكرة التي أعطاها رشدي لشيتاهم بالنسبة لاستقلال مصر.

فقلت لسموه: إنني يامولاي قبت بالواجب على "ولم أقصر فيه؛ لآتني قلت لرشدي إنني تحت أمره في هذا الوقت الصعب؛ وإنني مستعد للحضور عنده في أي وقت يريدك فسكرني ولكن لم يطلبي؛ وفهمت أنه كثير التحفظ، ثم إنني طلبت منه أن آخذ معي تقريراً مسهباً عن كل المسائل وصور البرقيات الشفوية التي أرسلها ولكنه لم يعطني شيئاً؛ واكتفى بالمعلومات التي شافهني بها ليلة السفر، فرد أفتدينا: "إنني لا أقول إنك قصرت في واجباتك".

عباس يروى لى حادثة الاعتداء : فى ٢٥ اغسطس اخذت مع عباس ، و رغبت أن أسمع منه شخصياً وقائع الحادثة المذكورة ، فقال : « أنت تعلم باشفيق مقدار الصداقة التى بينى وبين منير باشا سفير الدولة العلية بباريس ، فلما دعوته لخصية بعض أشهر الشتاء فى مصر ، طلبت منك عمل الترتيبات اللازمة لهذه الضيافة ، فأعددت له ذهبية ، ورتبت له كل ما يلزمه من أكل وشراب وعربة لفسحته ، فعاد لوظيفته شاكراً ممنوناً من حسن الضيافة .

« فلما سافرت فى هذه السنة إلى باريس ، وعلم بعزمى على قضاء شهر رمضان فى الاستانة نصح لى ، وأسر لى بطريقة خصوصية بحنة بما كان يتوقعه من الاعتداء على ، وألح بالأأسافر للاستانة ؛ ولكنى لم أعبأ بنصيحته واستبعدت وجود المؤامرة لاغتيال حياتى وسافرت إلى الاستانة غير هياب ولا مكترث . وعقب وصولى إليها توجهت إلى السراى السلطانية حسب العادة وتشرفت بمقابلة السلطان ، فرحب بى ، وأظهر لى عطفه الأبوى .

« وفى ٢٦ منه ركبت عربة سلطانية لزيارة الصدر الأعظم فى الباب العالى ، وبرفقى المهندار الشاهانى ، وخلف العربة ياوران ، وبعض الجاوشية ، كما هى العادة . وكان جلال الدين باشا القبو كتحدا يتبعنا فى عربة أخرى ، وأمام الباب العالى مقر الحكومة التى كان يرأسها الأمير سعيد حلیم كصدر أعظم ، اعتدى على شاب مصرى ، كان مروباً فى حانوت بابه مقفل ، فأطلق على الرصاص من مسدسه . هنا استوقفت عباس ، وسألته عما جال فى فكره بمجرد حصول الحادثة فأجابنى : « تمكنت بصعوبة من إخراج مفكرتى وكتبت : « أنهم سعيد حلیم ؛ لأننى كنت أشعر من زمن بعيد بعدائه لى ، وبالتضاف بعض المصريين حوله ينفذون إرادته . »

« ومن الغريب أنه عند إطلاق الرصاص على ، وقف الحوذى بدلا من الاسراع فى سيره وانكأ المهندار للوراء فى العربة ليفسح المكان لتمكين المعتدى من فريسته ، الأمر الذى أثار كثيراً من الشبهات . »

ثم سألت سموه : هل تظن يا أفندينا أن البرنس حلیم كان يقصد من وراء هذه الحادثة أن يخلف سموكم فى مصر ؛ مع أنه رفض قبول العرش عندما دعاه ككتشنر لذلك ؟ ، فأجاب : « نعم . »

عند ذلك حضر أحد الأوغوات ، وقال : « إن دولة الوالدة تريد زيارة أفندينا ، نخرجت . »

وما يجدر بالذكر أن الحديو كان في ذلك الوقت يقيم في أحد الباليين في جبوقلي ،
بدلاً من الكشك الذي في أعلى الجبل؛ لسهولة معالجته، وكانت تقيم معه خليله ولوزانج
عند انفراده، أما البالي الآخر فكان معية للحاشية .

ولما تقابلت مع الحديو أمس ، عقب وصولي إلى جبوقلي ، وجدت ذراعه المصاب
مرفوعاً وملفوفاً بقميص ، ولسانه يتلعثم ، فأخذ يحادثني عن الاصابات ، وكلامه بطيء
ونفسه ذورائحة ؛ فسألت الدكتور كوتسكي بك طبيبه الخاص عن الاصابات ، فقال :
« عند خروج سمو الحديو من الباب العالي ، أطلق عليه ثمانى رصاصات : منها ما أصاب
خده ، حتى أسقط بعض أضراره وأسنانه وجرح لسانه ؛ ومنها ما أصاب ذراعه . ،
وفي ١٥ سبتمبر أملاني أفندينا خطاباً لرشدي باشا سلبه إلى الصباحي افندي .
وسافر اليوم على باخرة « الحاج داود » ، وما جاء فيه :

« إنه وإن كنا أرسلنا لكم تلغرافاً بأن صحة الجناب العالي ساعدته لعمل زيارات ،
وأن الجروح التآمت ، والحكماء أعطوا للذرة الأخيرة قرارهم بأن صحته رجعت إلى ما كان
عليه ؛ إلا أننا نحيط عطوفتكم علماً بأن الذراع المصاب لم يأخذ حركته الأصلية لآن ؛
مع العلم بأن التحسن مستمر ، والمرجو أنه عن قريب يتم شفاؤه . أما الفم فإنه مع سقوط
أربع أسنان ، يوجد أيضاً سن خامس انفصلت عنها أخواتها ، بحيث لا يمكن استعمالها .
وإن الفك السفلي لم يأخذ موضعه تماماً بحيث إن الأسنان العليا لا تطبق على التي تحتها
كما كانت ؛ ونحن في انتظار أخذ رأى طبيب الأسنان . وإن محل جرح اللسان يفتح وقت
تناول الطعام ، ثم يرجع إلى ما كان عليه ، وهذا يسبب عدم فوات وقت كاف على الشامة .

عثمان مرتضى باشا يحدثنى بما دار في التحقيق : أردت أن أستقي بعض معلومات
عن التحقيق من عثمان مرتضى باشا رئيس الديوان الحديوي ، وهو من كبار القانونيين ،
فقال لي : « بعد حصول الحادثة استدعاني الحديو لآكون في خدمته باستانبول ، ولأقوم
بالتحقيق ، لكى نصل إلى العوامل الخفية التي دفعت المجرم إلى ارتكاب جريمته ، فتمت
باستجراح الأخبار ، وتبين الوقائع من مصادر عدة ؛ وعلى الأخص من كانوا مع سموه
حين الاعتداء عليه ؛ ومن اطلعني على محاضر وأوراق الاعتداء تبين بوضوح :

أولاً — أن الشاب المجرم كان يتمرن على ضرب الرصاص منذ ثلاث سنوات .
وقد وجدت في غرفته صورة لإنسان بارتفاعه الطبيعي ، كان يقذفها بالرصاص من غدارته
مصبوباً إلى القلب ، حتى لا تخيب ضرباته عند الاعتداء .



صورة بالأشعة «راديو جرافير» أُخذت في شهر ديسمبر بفيينا ، تبين الإصابات بذراع الخديو وقه

ثانياً — أن ذلك المجرم كان يتمهده ويعاونه طبيب مصري مستخدم في قلم الأمانة العمومية ، بنظارة الداخلية ؛ وهو الدكتور احمد فؤاد . وكان له اتصال مباشر وثيق مع طلعت بك والصدر الأعظم .

ثالثاً — كررتي ما سمعته من عباس ، عما حدث من — المهتمدار الذي أثار كثيراً من الشبهات .

رابعاً — وجود كثير رجال البوليس السرى وراء القاتل ، وإقدامه على قتله على الفور؛ مع أنه كان في قدرته القرض عليه استجلاء للحقيقة ، ولمعرفة العوامل الخفية التي استخدمت هذا المجرم في الاقدام على جرمه الفظيح . وكان هذا سبباً أيضاً يجعل الناس حيارى من إدراك الغرض من وجود رئيس البوليس السرى وراء المعتدى ، ومن تسرعه في قتله عقب ارتكاب الجريمة ، رغم أنه لم يبد منه أقل اهتمام بالقبض عليه عند أول طلقة أطلقها ، بل تركه حتى أطلق جميع رصاص مسدسه .

وعلى ذلك كله أرسلت موظفاً مصرياً (كان قد حضر لمعاوتي في التحرى) إلى نظارة الحفانية ، ليستوضح كل هذه النقط ، وليستوفى التحقيق الذى وقف جامداً — وعلى الأخص مع الدكتور فؤاد للأسباب الخطيرة المذكورة — فتبطلت النظارة في إجابة الطلب ، فألححت من طريق آخر على نظارة الداخلية ، فحصل من الثانية ما حصل من الأولى ، وأكتفت الحكومة العثمانية بما عمل في الرسيمات من المحاضر الأولية في ضبط الواقعة ، وأسدل الستار نهائياً على هذا الاعتداء .

ولما وجد الحديو والحاشية أن الحكومة العثمانية لم تهتم بإجراء التحقيق الدقيق في الحادثة ، وخصوصاً الأمانة العمومية بنظارة الداخلية ، وعلى رأسها الدكتور المذكور من دعاة الصدر ، والذي لم يساعد مرتضى باشا وبدر الدين بك عند حضورها ، بل إنه عمل على معاكستهما ، فلم يبين ما وراء هذه الحادثة ؛ لذلك شعر الحديو والحاشية بالخطر من وجودهم في الاستانة ، وتقرر اتسداب البكباشى شفيق ، والبكباشى البشرى لا بلاغ الحديو هذا القرار الخطير .

* تبشير عباس للمصريين بمقتله . أرسل صديق في ١٣ سبتمبر للقاتل مقام برقية قال فيها : إن محبة الجناب العالى تحسنت في العشرة الأيام الأخيرة ، وقام يفيض الودارات ويسرفى جداً أن أبلغ عطفكم بأن الأطباء الذين عالجه ، عادوه لآخر مرة اليوم وقد موأ تقريراً نهائياً عن محبة سموه ، ورد فيه أن الجناب العالى شفى تماماً من جرحه

بدون أن تترك أثراً ، وأنه أصبح متمتعاً بكامل الصحة . وقد بادرت بأخبار عطفونكم بهذا النبأ السار الذى يهكم معرفته ، لتشروه للأمة المصرية .

* وفاة مصطفى فرعى باشا . فى برقية بتاريخ ١٣ سبتمبر أخبر القائمقام بأن مصطفى فهمى باشا فى حالة النزاع ، فأرسل الخديو يبدى أسفه لذلك ، ويطلب منه عنوان زغول باشا ؛ فرد القائمقام فى ١٤ منه بأن الفقيد وأصحابه رجعوا لمصر فى ٩ سبتمبر . وفى ١٥ سبتمبر وردت برقية من المعية السنية بأن جنازة مصطفى فهمى باشا شيعت بالاكرام اللائق به .

وفى ١٥ منه أرسل الخديو برقية لمحمود صدقى باشا ، يقول فيها : « علمت الآن الخبر المؤلم بوفاة رئيس نظارى السابق مصطفى فهمى باشا ، فقدموا عزائى بلميع أسرته ، وبأنى أشاركها فى مصابها الأليم ، وأقدر هذا الرجل حق التقدير لتودده وإخلاصه لعائلى . »

وفى ١٦ منه رد محمود صدقى باشا برقية ، جاء فيها : « إن عطف سموكم العظيم ترك أحسن الأثر لدى أسرة الفقيد فى هذا الظرف العسير ، وقد كلفتنى بأن أكون رسولها فى تقديم شكرها للاعتاب الخديوية . »

تعزية عباس لسعد والرد : وفى ١٥ منه أرسل عباس إلى سعد زغول باشا وكيل الجمعية التشريعية برقية يقول فيها : « تأثرت لوفاة رئيس نظارى السابق مصطفى فهمى باشا ، وأرى لزاماً على مناسمة هذا الحادث المفجع أن أعرب لكم عن عطفي الصميم ، وأتمنى لكم الصبر للاستمرار فى خدمة ملككم وبلادكم مدة طويلة . »

لجاء الرد فى ١٧ منه وفيه يقول سعد : « أرجو عرض إخلاصى وولائى لاعتاب أفندينا ، وشكرى الجزيل لعطفه العظيم الذى تنازل بتوجيهه إلى مناسبة وفاة خادمه الأمين صهرى ، وهذا الاكرام العالى سيكون دائماً أحسن مخفف لمصابى ، وأقوى مشجع لخدمة الغاية السامية للمليكنة المفخم . »

• من ضمن برقية وردت فى ٢٥ منه ، قال رشدى إنه فى زيارته للوكالة الانجليزية قال له شيتيم : « إن برقية أفندينا لسعد بمناسبة وفاة مصطفى فهمى كان لها وقع سيء ؛ لأنها لا تعتبر تشجيعاً للمعارضة لحسب ، بل تسبها . »

* الحاح الانجليز بترك عباسي لمؤسثانة واروقامة في ايطاليا . سبق ان نوهنا عن زيارة سفير انجلترا لافندينا في ٣ سبتمبر ، ولحاحه على سموه بترك الاستانة والسفر الى ايطاليا ، ولم يرق في نظر أفندينا إلحاح السفير الانجليزى في أن يسافر إلى إيطاليا ؛ ولا سيما أنه من المحتمل أن يكون تدبير هذا الشأن بين انجلترا وإيطاليا ، أو على الأقل أن يفاجأ في أثناء سفره بمركب حرية تقوده إلى مالطه مثلا . ويمكن أن نقول إن التهديد بدأ من هذا التاريخ .

وفي ١٤ سبتمبر زار محب باشا سفير انجلترا ، وسمع منه كلاماً جافاً بسبب امتناع الخديوي عن تركه الاستانة ، والسفر إلى إيطاليا .

وفي ١٥ منه أرسل سفير انجلترا خطاباً لمحمد عزت باشا ، يدعو لزيارته ، فسأله عما ينويه الخديوي بالنسبة لسفره لأوروبا ، فقال عزت باشا : « إن سفره غير مناسب في الأحوال الحاضرة ؛ لأن المصريين ، وحتى الأجانب ، ينتقدونه فيقولون عنه إنه يتزه في حين أن مصر في خطر ؛ وكان الأصوب أن يوجد هو أيضاً فيها . ولا أفهم حكمة منعه مع أن هذا المنع في غير صالح الحكم . فقال السفير : « إنه ورد لسموه عشرة آلاف جنيه من مصر ليصرفها في زهرة البحر الأبيض والذهاب إلى أوروبا . »

فأجاب : « إن شفيق باشا أحضر ثلاثة آلاف جنيه لسموه ، وأنه إذا كان قد فكر في أن يتوجه إلى أوروبا وقتاً من الأوقات ، فانه كان ينوى أن يرافق نجليه إلى سويسرا للدراسة ؛ ولكن الخديوي يفضل الإقامة هنا محل السيادة بما أنكم منعموه عن دخول مصر . فتأوه السفير وقال : « كيف نعمل وعندنا عسكري « ككتشنر ، يقودنا ؟ ، وقد اعترف السفير للباشا بأن هذا العمل ليس في صالح الانجليز ؛ ثم طلب منه بصفته صاحب ككتشنر أن يمحرم له خطاباً خصوصياً يعرفه فيه بفسكره . فرد عليه عزت باشا : « كيف أن ككتشنر الذي لم يسمع كلامك وأنت سفير ، يصغى لما أحرره له وأنا فرد بسيط ؟ ، وفي ٢٢ منه بلغني أن سفير إيطاليا تقابل مع الخديوي ، وقال له : « إن طلب انجلترا ذهابكم بحراً إلى إيطاليا معناه : تفضل يا خديوي إلى مالطه . »

وفي ٢٦ منه حضر الترجمان الأول للسفارة الانجليزية لغرضين : الأول أخذ ميعاد لزيارة السفير لافندينا ؛ والثاني لابلإغة طلب حكومته بأن يترك سموه الاستانة ليقم في إيطاليا .

فرفض سموه الكلام معه في النقطة الثانية .

فلما تقابل مع سموه أخبره بأن وجوده في الإستانة مشجع للأتراك على تجهيز مائة ألف عسكري لإخراج الإنجليز من مصر . لهذا فاز السفير بطلب ابتعاده عنها ؛ لأن وجوده بها مصر بهم ، فأجابه سموه قائلاً : « أنا أعرف منك بأفكار الإنجليز في لندرة نحوي ، مما علته في هذا الصيف ، فلا تحاول شيئاً في هذا الأمر . ومع هذا فذلك نقطة لا تدخل لك فيها ، فسأشرحها للسفير . أما ما تدعونه من أن وجودي هنا أنفع الأتراك بارسال حملة على مصر ، فانت في غالب المدة التي أقمتها في الإستانة كنت مريضاً ولم أخرج للزيارة إلا قليلاً ، ولم أتقابل مع الصدر إلا نادراً ، وليس لي اختلاط مع رجال الحكومة العثمانية . فلو صح ما تقولونه أكون أكثر مهارة من بسارك ، ويحق لي أن أفتخر بهذا العمل . » ثم قال لنا أفندينا إن الترجمان كان قد بدأ كلامه « من العالي ، رغبة في التأثير عليّ ؛ ولكن لما رأى مني العزيمة والشدة في المناقشة ، خفض صوته .

ثم قال الترجمان إن دورية خيالة عددها ٢٠ نفرأ من العرب وصلت إلى رضع ، فحينها النقطة المصرية التي على الحدود ، وبعد أن مكثت الدورية يومين في الأراضي المصرية رجعت ؛ وكان من الممكن أن تكون هذه الحادثة سبباً لقطع العلاقات بين إنجلترا وتركيا إلا أننا اقتصرنا على إرسال مذكرة للصدر في يوم ٢٣ سبتمبر للفت نظره إلى هذه الحادثة . وقال أفندينا : « انتهى أستغرب ، لأن الصدر الأعظم وإسماعيل حتى بك القوميسير العثماني بمصر الذي كانت عندنا أمس لم يخبرني بشيء من ذلك ، فهل نية الأتراك غير سليمة معنا ؟ »

فأمر أفندينا عارف باشا بالتوجه إلى انور باشا وتفهميه المسألة ، واستحضار إسماعيل حتى للتكلم معه في هذه النقطة ؛ لنعلم هل الدولة لاتريد بقاى هنا كطلب السفير . وقد حضر إسماعيل حتى والبرنس إبراهيم حلى ، وكلف أفندينا الأول بالذهاب لطلعت بك ، والثاني للصدر .

نصيحة الأتراك له بالرفض : فكان جواب الصدر أن السفير لم يعلق أهمية كبيرة على مسألة الدورية ، وأن أفندينا ليس له أن ينزعج مما يقوله السفير ؛ وما عليه إلا أن يجيبه بأنه يفضل البقاء في الإستانة على التوجه لأوروبا

وكان جواب طلعت بك في يوم ٢٧ منه : أن لا أهمية مطلقاً للمذكرة التي أخبر

الترجمان بها أفندينا ، والألا يسمع سموه ما سيقوله السفير من حيث السفر ، ولا يعطى له أهمية ، ويجاوبه بأنه قرر الإقامة في الاستانة .

أما أنور باشا فقال أمس لعارف باشا : « إننى سأعمل ما يلزم مع الحكومة العثمانية لأجل منع السفير من إقلاق راحة الخديو بهذه الصفة ، لأنه ليس له حق في منع سموه من الإقامة في الاستانة ؛ ومع هذا فإن الكثيرات ولم يبق إلا القليل . »

* قطع عمره ببارو مجليز . في ٢٨ سبتمبر جاء السفير السير لويس مالك في الساعة الحادية عشرة . وكرر ما قاله الترجمان ، ثم قال أن حكومته استشعرت بمغزى بعض التلغرافات التي ظاهرها بسيط ، وباطنها ذو معنى سياسي ؛ من ذلك التلغراف الذي أرسل في العيد الصغير من الجناب العالي إلى حسين رشدى باشا ، وفيه يشير سموه إلى أنه كان يود أن يكون بين المصريين في هذا العيد ؛ وأضاف إليه ملاحظة على إرسال برقية لسعد باشا عند وفاة صهره ، يفهم منها أن الخديو يثق بسعد باشا أكثر من رجال حكومته ، وكذلك أبدى ملاحظة على برقية محب باشا للقائم مقام ببشره بشغاف عباس ، وبتبليغ ذلك للمصريين ؛ وقال إن هذه المسائل أولت بطريقة تشوش الأفكار . فأجابه أفندينا بأن لعلى بأن سعد باشا محب لرشدى باشا ، وساعده في الجمعية التشريعية ، وهو من الرجال الأكفأ ، أرسلت له كلمتي تشجيعاً على مساعدة رشدى باشا ؛ وسبب إرسال تلغراف محب باشا ، أنه أشيع أتى في حالة صحبة خطيرة حتى صرت معتوهاً ، فأردت تكذيب هذه الاشاعات ؛ أما بالنسبة لرشدى باشا ، فانتى أحبه ، وأنتى به ، وهو من عائلة أصلها من قوله كأصلى ، ولا أرغب مطلقاً في أن أجرحه في شىء ما .

وتكلم السفير معه أيضاً في عدم مناسبة وجوده بالاستانة ، بسبب ما يقال عنه من أنه يحض الأتراك على دخول الحرب ضد الانجليز ، وأن الأولى أن يسافر إلى إحدى مدن إيطاليا على يمت المحروسة ، والحكومة المصرية تكنترى له قسراً لطيفاً لمدة بضعة أسابيع . فقاطعه الخديو ، وقال : « بضعة أشهر . » ثم أضاف السفير : « وإن لأفندينا منافع مادية ومعنوية في مصر ، فلا ينبغي له إهائها ، فأجابه سموه بما أعجاب به ترجمان السفارة ، وأضاف : « صحيح أن لى مصالح في مصر ولكن لم يمتن بها الانجليز ؛ لأننى لما اشتريت من الحكومة سكة حديد حلوان دفعت لها أربعة آلاف جنيه عن كل كيلو متر ، مع أنها لم تدفع لى إلا ثمانمائة جنيه للكيلو متر في سكة حديد مربوط . » فقال السفير : « إن هذا الثمن جيد ، فأجابه سموه متهاكياً : « أنا متشكر . » ثم قال :

أما منفعتي المعنوية فهي في عدم ذهابي لإيطاليا ؛ لأنه لا يمكنني أن أخرج في الطريق بل أكون محبوساً في القصر ، لأن كل من يراني يقول : هذا ملك غريب ترك بلاده في ساعة الخطر ليظهر بعيداً عنها .

ثم إن أفندينا جس نبض السفير فيما يختص بالاقامة في سويسرا ، فأجابه بأن الحال فيها غير مطمئنة ، و ينتظر حصول قحط ، فاستنبط سموه من ذلك أنه لا بد من وجود اتفاق بين إيطاليا و إنجلترا على إقامته في إحدى المدن الإيطالية ، حتى يكون محاطاً بالجواسيس ، ولا يمكنه أن يتمتع بحريته ؛ كما أن الإصرار على السفر فوق المحروسة ، أوجد الشك عند سموه في نية الإنجليز ، وأنه ربما كان الغرض القبض عليها في البحر ، وإرسالها إلى مالطة مثلاً ؛ حتى إن السفير لم يستحسن أن يسافر سموه إلى الضلبان . وقال : « أنا في المرة الأولى رأيت جنابكم ميالين للسفر ، ولكني الآن أرى تغيراً ، وأجدكم غير مترددين في البقاء ؛ فربما أنكم مستندون إلى الأتراك . فأجابه سموه : « حقاً فكرت في السفر ، ولم أكن قد ملكت صحتي ، وفضلته لتغيير الهواء ؛ ولكني الآن في صحة تامة ، لا محتاج إلى السفر ؛ خصوصاً وأنى بين أهلى وعشيرتى ورجال معيتى . » فقال السفير : « الأحسن أن تتروى في طلبى ، ثم تعطيني الاجابة القطعية . » قال : « فليكن . »

ولكن السفير ظن أنه في تردد ، وأنه ربما يمكنه أن يؤثر على سموه ويأخذ جواباً مرضياً . فقال : « إنى أرى أن صاحب أفندينا يقضى باجابة طلب حكومتى ، فأعطني رأياً صريحاً قطعياً الآن . » فأجابه : « إن تربيتى تمنعنى من أن أخفى رأيى ؛ ولذا فاني أرفض إجابة الطلب . »

وفي أثناء المحادثة قال السفير : « إن وجود سموكم في إيطاليا أقرب لمصر من الاستانة . » تليحاً لما ينتظر من رجوعه لبلاده ؛ فأجابه إنى متعود على السفر ، ولى قدرة على أن أطوف حول أفريقيا حتى أصل إليها .

قال السفير : « فلي حينئذ أن أخبر حكومتى برفضكم ؟ » قال : « نعم . »

ثم سلم جنابه عليه ، فقال له سموه : « أنا أشكر لكم عنايتكم الشخصية بي ، وإننى متأكد من أنكم في تقاريركم التي ترسلونها لحكومتكم بخصوص حركاتي وسكناتي تراعون الحقيقة . » ولم يظهر على وجه عباس وهو يروى لنا مناقشته مع سفير إنجلترا شيء .

من التأثير لقطع علاقته مع الانجليز؛ ولكنني شعرت بأنه يفكر في عراقب هذا الحادث لامن الوجهة السياسية، بل من الوجهة المادية؛ وقد أخبر والدته بنتيجة زيارة السفير، بعد مقابلة السفير الانجليزى فى ٢٨ سبتمبر، ففكر الحديو فى مقابلة سفير إيطاليا، ليستعلم منه عن وجود مخاضرات بين حكومته وحكومة انجلترا فيما يختص بسفر سموه إلى إيطاليا، فأرسل له محب باشا يرجوه فى المقابلة، فحضر اليوم، وعلم منه الحديو عدم وجود محادثات من هذا القبيل، ثم أكد لسموه أنه إذا أقام فى إيطاليا فإنه يكون حراً فى أعماله وحركاته وسكناته كما لو كان هنا؛ وغرض عليه مخاطبة حكومته فى هذا الشأن ليتأكد من ذلك، فأجابته بالألا ضرورة لهذه المخاطبة الآن، وطلب منه أن يبقى فى نفسه ما عليه حتى الوقت المناسب. وقد استغرب السفير الايطالى منع الانجليز له من رجوعه لمصر، وقال إنها غلطة كبيرة؛ وكان الأحسن لهم أن يكون بمصر تحت نفوذهم.

* تابع المخاطرات الرسمية والمخوارت.

فى ٢٥ منه أبقى رشدى لمحج يقول: «إن الوكالة البريطانية طلبت مراراً وقف الجمعية التشريعية إلى أن تنتهى الحرب، بحجة إمكان تداخلها فى المسائل السياسية، وضرورة اتخاذ وسائل قانونية عاجلة تمتنعها الظروف. فرددت بأن هذه الاجراءات ربما لا ترضى الرأى العام، وتعتبر تقهقراً فى وجهة النظام الدستورى؛ وإن الحل الوحيد هو تأجيل الجمعية التشريعية إلى تاريخ انعقادها المقبل. وكل قانون يصدر فى هذه الفترة يمرض بعد ذلك على الجمعية، فينظر فيه كالمعتاد، فقبلت الوكالة هذا الاقتراح، ومن جهة أخرى نرى أنه موافق نظراً للحالة الراهنة، وإن الرأى العام يقبله بدون اعتراض وفى ٢٦ منه أجاب محب بأن الحديو لا يوافق على تأجيل موعد افتتاح الجمعية التشريعية، لفائدة البلاد فى الظروف الحاضرة، لأنها لا تشتغل إلا فى المسائل الداخلية وأن القوانين التى تصدر بين دورق الانعقاد، تعتبر مؤقتة، ولا يعمل بها فيما بعد، وتنادياً من المعارضة فى القوانين الهامة، التى كان يجب أن تعرض على الجمعية لابتداء رأبها فيها؛ فذللك رأى سموه أن يتجنب بقدر الامكان إصدار قوانين من هذا القبيل.

فكل هذه المسائل لها أهمية عظيمة. وسموه يريد ألا تتخذ قرارات من هذا القبيل إلا بعد استشارته.

الرتب والنياشين: وفى ٢٥ منه أبقى رشدى لمحج يقول: «إن السردار استعلم

عما إذا كانت الرتب والنياشين التي تمنح عادة بمناسبة عيد الأضحى للعسكريين والمليكيين في الجيش يلزم عرضها على سموه ، أو يكتفى بطلب منه .

فرد عباس في ٢٧ منه : د بناء على الحالة ، أجلوا طلبات الانعام على العسكريين والمليكيين برتب ونياشين ، والسبب هو منع استمالة الضباط المصريين للانجليز .

وفي ٢٩ منه أرسل عباس برقية للقائم مقام جاء فيها : ذ برقيتك المهمة لم تقمعي . سفير إنجلترا حضر أمس ليلفتي رغبة حكومته الأكيدة بسفري إلى إيطاليا ، فرفضت . وبعد كل ما حصل لي ، فأنا أتساءل : كيف يمكنني أن أقبل حتى رجوعي إلى مصر ؟ والتفصيلات (١) بالبوستة .

كنت أحب أن أراك هنا لو أمكنك عمل اللازم .

وفي ٤ أكتوبر قال الخديو لمحب باشا : إذا لم تحضر برقية بعد يومين أو ثلاثة بسمر رشدي باشا للاستانة كطلبتنا ، فتذهب أنت وتقنعه بذلك ، ثم ترجع . وسأله عما إذا كان يمكنه الرجوع ، فقال : إنني أفعل كل شيء حتى أرجع ، ثم إن سموه أظهر تألمه أيضاً من عثمان مرتضى باشا ؛ لأنه لم يوافق بأخباره .

وفي ٧ منه أبرق عدلي لصديق بأن الخطابات الواردة منه لم تغير من رأيه ، وأنه يشارك القائم مقام في كل نظرياته حتى الآن .

في ٨ منه توجهت إلى جبوقلي ؛ فعلمت أن عدلي باشا ناظر الخارجية أرسل برقية مفتوحة ليوسف صديق باشا ، يقول فيها إنه أحد خطاباته ولكنه يخالفه في رأيه ، وأنه مقتنع بما أرسله رشدي باشا في كل المخابرات حتى الآن ؛ فكان رشدي وعدلي ، وطبعاً باقي إخوانهما من النظائر — أي الحكومة — في جانب ؛ والخديو في الجانب الآخر .

وقد تألم الخديو من هوى هذه البرقية ، وكان ألمه أشد لأنها جاءت مفتوحة (بدون شفرة) ؛ وقد علل سموه ذلك بأنه إما أن يكون الانجليز أمسكوا خطابات يوسف صديق ، وطلبوا من عدلي أن يبدي رأيه لهم ، فقال إنه على غير رأى يوسف صديق ، وحينذاك أملا عليه البرقية ؛ وإما أنه أرسلها من تلقاء نفسه ، دون ضغط عليه ، فيكون عمله إرضاء للانجليز — وما كان يعهد فيه أن يعمل هذا العمل .

وقرر سموه أن يسافر لمحج باشا لاقناع رشدي باشا وعدلي باشا بوجهة نظره .

(١) التفصيلات النوه عنها موجودة تحت عنوان « قطع الملاقى بين عباس والانجليز »

في ١٢ منه سافر محب إلى مصر بعد أن تناقش مع الخديو في موضوع مهمته ، وصى إقناع رشدي باشا بالسير على الخططة التي اختطها سموه لنفسه ، أى الاتفاق مع الأتراك ضد الانجليز ، الذين لم يرضوا برجوعه إلى بلده ، ولا بمعارضه عليهم رشدي باشا من استقلال مصر ، مع إلحاحهم في خروج سموه من الاستانة والتوجه لإيطاليا ؛ وأن يقنع رشدي باشا بأن يتخذ خطة حازمة أمام المحتلين ، بدلا من قبول كل ما يطلبونه منه ، لأنهم يجبرون على موالاته المصريين الآن .

وفي ١٩ منه جاءت برقية من محب ، بجمل موضوعة لا يعرفها إلا يوسف صديق يقول فيها : « إن الانجليز منعوا رشدي باشا من إرسال بركات ، (شفرة طبعا) .

وفي ٢٠ منه سافر إلى مصر أحمد صادق بك وكيل الأوقاف الخديوية ، بعد أن أنقضى ليلتين فقط في الاستانة ، مزوداً بتعليمات من أفندينا لرشدي باشا ، منها إرسال عدلى باشا ناظر الخارجية للاستانة للتفاهم مع أفندينا .

في ٢٠ أكتوبر حضر سفير هولاندة ، وزار عباس ؛ وكان قبلا قنصلا جنراليا لهذه الدولة في مصر ، وله صلوات ودية قديمة مع سموه وعائلته . ودار الحديث بينهما في منع الانجليز لأفندينا من الرجوع إلى مصر مع أنه كان يود ذلك ، فقال السفير إن سفره على يمت المحروسة كان خطراً عليه ؛ لأن الدوارع الانجليزية كانت تقوده إلى ماطلة .

كنت عرضت أول أمس على أفندينا أنه لا يحسن استمرار المؤيد المنسوب لأفندينا على اتخاذ خطة مخالفة لخطتنا ، لأن الأهالي يكونون متحيرين في تصديق أى جانب ؛ فنعماً لسوء التفاهم ، يجب أن يعدل المؤيد خطته ، ولنا نطلب حافظ عوض بك للاستانة . وبناء على الأمر أرسلنا برقية لعثمان مرتضى باشا بذلك ؛ لجاء الرد أمس بأن حافظ بك يفضل عدم السفر لأسباب متعددة ، فساءنا هذا الرد . وبما أننا كنا أفهمنا أحد صادق بك أسباب طلب حافظ عوض ، فقد قررنا الانتظار لمعرفة ما سيكون عند وصول المندوب لمصر .

وفي ٢٢ أكتوبر أرسل القائمقام برقية ، وصلت في ٢٧ منه للباور النوبتجي ، ذكر فيها أن محب باشا وصل ؛ وليس لى إلا الرجوع إلى بركات السالفة ، وقد أوضحت فيها كل الوسائل المهمة التي اتخذتها . ولم أنفذ شيئاً مهماً إلا بعد إخطار سموه ؛ ومع ذلك فإنه لم يصلني منه أى اعتراض على أعمالى .

وأما تأجيل اجتماع الجمعية التشريعية شهرين ، فكان قبل حضور محب باشا ، ولم أتسلم البرقية التي قال محب بأن سموه أرسلها إلى بهذا الخصوص .
وفي ٢٥ منه حضر من مصر عبد الله أفندي سليم البشرى ومحمود خيرى أفندي ، من المعية السنية ، وأخبرنا بما يأتي :

أولاً — رشدى باشا لا يثق بيهود الأتراك ووعودهم .
ثانياً — أنه مخلص لأفندينا ، ومستعد للاستقالة ، إذا رغب سموه ؛ وأن سبب عدم إجابته عن طلب بيان القوة العسكرية المحتلة ، والتي حضرت ، وتوزيعها هو أنه لو سأل الانجليز عن هذا البيان ، لشكروا في سؤاله ، وأولوه بأنه تجسس ؛ فضلاً عن أنهم لا يصدقونه .

ثالثاً — قال إنه أرسل برقية عقب رجوع محب باشا
رابعاً — محب باشا لم يتمكن من إقناع رشدى باشا وعدلى باشا .
خامساً — عدلى باشا أرسل برقيته المفتوحة من تلقاء نفسه .
سادساً — بعض النظار قالوا عن أفندينا : دخليه هو هناك ونحن هنا نشغل ، أى أنهم مستغنون عنه .

سابعاً — الأهالي متدمرون من تسيطر الانجليز عليهم ، ولاخذ كل شىء بما فى ذلك الأساور والحلى الذهبية ؛ ومتضررون من أن المستشار المالى قرر أن يكون قنطار القطن بستة ريالات ، بعد أن كان يباع فى السنة الماضية بمشرين ؛ وأن كل من يأخذ مبلغاً من البنك الأهلى فى نظير تسليم قطنه ، يشترط عليه قبول الثمن الذى يبيع به البنك هذا القطن مهما كان منخفضاً .

ثامناً — الأهالي خائفون لأن الانجليز يهدونهم إذا قاموا ضدّهم ، ومن جهة أخرى فانهم خائفون أيضاً من تدمير الأهالى ؛ والجواسيس منتشرون فى كل البلاد ، حتى على بواخر الشركة الحديدية ، لمراقبة الزاهبين والعائدين ؛ والتفتيش عليهم فى الجمرک ، حتى على السيدات صعب جداً .

* رسالة انتقاد من عباس على رشدى يعقبها ثقة وتناء .

علم الحديدى بأن رشدى باشا قد انفعّل من برقية سموه إلى سعد باشا ؛ وظن أن نتيجة ذلك تعيين سعد محله عند رجوع سمو الحديدى إلى مصر ؛ فأراد الجناب العالى

أن يحو أثر هذه البرقية بإبداء ثقتي في قائمقامه ؛ فأرسل الخطاب الآتي بالفرنسية بتاريخ ٢٩ أكتوبر :

عزيزي القائمقام : لاحظت أن بعض قراراتكم اتخذت بحجة أنكم لم تصلكم منا أوامر بخصوصها ، فكان الواجب عليكم من باب الحيلة أن تتأكدوا من وصول برقياتكم لنا ، وكان عليكم إرسال صورة برقياتكم بالبريد أو برسول خاص .



حسين رشدي باشا

ولو أنكم استعملتم هذه الطريقة لما حصل سوء تفاهم ، مع أنه لم يصلنا منكم شيء من ٢٧ أغسطس إلى ٢٢ أكتوبر ، ففي هذه الظروف الصعبة ، كان من الواجب ، بالنسبة للمسائل المهمة ، ألا تتخذوا أي قرار قبل أن أعطيكم موافقتي عليه . فثلاً بخصوص تأجيل الجمعية التشريعية ، علينا أن ردنا لكم بالبرق لم يصلكم ، فكان عليكم أن تطلبوا منا الرد بتحريراً . وكذلك بما أن الحالة الحاضرة لا تستدعي الاحسان برتب ونياشين ، فقد علينا من

برقية وردت لنا من السودان أنكم صرحتم ببعضها ، مع أننا في ردنا لكم بخصوص ذلك ، أمرناكم بعدم منحها . فاحتياطاً لهذه الأحوال نلح عليكم أن تعلقونا بكل قرار مهم لاخذ رأينا ، خصوصاً في المسائل الخطيرة التي سنواجهها . وقد سبق أن أعربنا لكم عن رضائنا بوجودكم على رأس حكومتنا ، وإننا ننتهز هذه الفرصة لتكرار هذا الرضاء والتتويه بثقتنا التامة بكم ، وإخلاصكم الوطيد لنا ولوطنكم . وإنا لا نملك في صداقتكم وفطنتكم ، فعليكم أن تعملوا بشجاعة وثبات وصبر متواصل لصالح بلادنا العزيزة . واعتقدوا يا عزيزي القائمقام ، بأحسن عواطفنا ☺

• وفي هذه اللحظة وصلتنا برقيتكم بخصوص مقالة طين بتاريخ ٢٤ أكتوبر . ونحن لا نجد فيها ما يستحق الاهتمام ، فالجرائد في مصر أو في استنبول تنشر أخباراً كثيرة ليست صحيحة ، ولا تستوجب أن تعطوها هذا الاهتمام ، وعلى كل حال فإنا نستغرب كيف اطلعت على هذه الجريدة ، لأنها لا يمكن أن تصلكم في تاريخ برقيتكم .

* منع الحج ومنع التضحية واوكتابات للصليب الاحمر مبرأ . في ٢٩ اكتوبر ارسل رشدى لياور النوبتجى برقية قال فيها : « جريدة طين (التركية) نشرت حوادث يلزمى تصحيحها لانها تمسنى شخصياً ، فادعاؤها منع الحج في هذه السنة ومخالفة فتوى المفتى ، وإقتال أبواب الأزهر ، كل ذلك اقراء محض . فالحقيقة هي أن المالك التي كانت تمون مصر بالدقيق ، منمت تصديره بسبب الحرب . ومن جهة أخرى فاننا قررنا إنقاص زراعة القطن لزيادة زراعة القمح في سنة ١٩١٥ لتكوين البلاد وللتقاوى اللازمة لزراعتها ؛ ولأجل ذلك فان الحكومة منعت تصدير الكمية التي كانت ترسلها من القمح إلى الحجاز ، مما يؤدي إلى تعدى العربان على الحجاج . وفضلا عن ذلك عدم وجود وابورات صحية كافية لنقل الحجاج . وأخيراً فان الحكومة المصرية نظراً للحالة الحاضرة ترى نفسها غير قادرة على تنظيم خدمة كرتينات لائقة ، بحيث تقوم بمنع خطر الأمراض الوبائية عن البلاد ، الأمر الذى يستلزم وجود الحجاج تحت مراقبة طويلة ، بدلا من إخراجهم بمجرد إتمام الاجراءات الصحية . وعليه فالحكومة عرضت كل هذه الملاحظات على المفتى ، الذى أصدر فتوى بأنه في هذه الحالة ينصح بعدم الحج في هذه السنة . والحكومة أعلنت هذه الفتوى على البلهور ، وتركت له الحرية في اتباع النصيحة ، وطلبت فقط من المسافر ترك مبلغ كاف للانفاق عليه لرجوعه عند الحاجة كما حصل في سنة ١٩١١ ؛ ومع ذلك فان الكسوة الشريفة أرسلت مع منحصات مكة ، وكل ما أجرته الحكومة في هذه المسألة لم يثر استياء الجمهور ، والبلاد استمرت وستستمر هادئة .

وكذلك ما قيل من أن الحكومة منعت التضحية . كذب . وإنما بالنسبة لأن البلاد معرضة لتخط المواشى ، ونظراً للحالة الحاضرة ؛ فان الحكومة طلبت من كبار العلماء تحت رياسة المفتى إبداء النصيحة للجمهور بانقاص الضحايا إلى أقصى ما يمكن ، وقد صدرت الفتوى بالموافقة . وعليه ، فان الحكومة اكتفت بنشر الفتوى دون أى تعليق عليها ، ولم تتخذ لإجراءات أخرى .

ومن الاقراء أخيراً ما قيل من فتح اكتابات عامة للصليب الاحمر الانجليزى جبراً . والحقيقة أن بعض الاكتابات القليلة التي حصلت كانت تقريباً كلها من أفراد ، حتى أنه أشير بالنهى عن ذلك . ،

زيارة عباسي لشكر الخليفة والعائلة السلطانية والسفراء . في ٣١ أغسطس زار أفندينا الصدر الأعظم في « بنى كوى » ، وهي أول زيارة عملها بعد الحادثة . وقد شكره على مساعيه الخاصة برجوعه لمصر ، وكانت الزيارة ودية للغاية .

ثم قابل السلطان في قصر يلدز ، وكان بعينيه الباشوات محب ومرضى وأباهه وصاحب المذكرات ، ويوسف صديق ، وغيرهم من الحاشية ، وكان ذلك في الكشك المسى « جادر » ، الذى بناه السلطان عبد المجيد في نقطة جميلة لها منظر على البسفور كأنه بحيرة أمام الناظر ، وله منظر آخر على بحيرة صناعية في الجنية ؛ وقد نزل السلطان من يلدز إلى هذا الكشك ليسهل على أفندينا مقابله . وكان الترتيب أن سموه يحضر بالرافص إلى سراي « جرافان » ، ومنها بالسيارة إلى الكشك المذكور ، مختزفاً الشارع من محل خصوصى . وقد استقبله على السلم الباشما بنجى ورئيس التشريفات ورئيس الأطباء وغيرهم ، فدخل أفندينا عند السلطان ؛ أما نحن فمكثنا مع حاشية جلالة مدة ٥٤ دقيقة ، بعدها حضر رئيس التشريفات ودعانا إلى مقابلة جلالة ؛ فخرجنا في الهو الذى كان بين غرفة السلطان وغرفتنا ، فوجدنا أفندينا واقفاً ، ثم حضر السلطان ، فأدبنا التحية بأخذ السلام . وقد منا سموه إلى جلالة .

ثم زار في أول سبتمبر أيضاً سفير النمسا ، وقد رحب بسموه كثيراً ، وأظهر له منونسة عظيمة لرؤيته في صحبة تامة ، خصوصاً وأن الصلات الحية بين الاثنين كانت كبيرة وقديمة .

ومن هناك ذهب لسفارة أمريكا ، فلم يجد السفير ومنها زار سفير ألمانيا ؛ وسمع منه أن الألمانيين مصممون على سحق وتخريب الدولة البريطانية ، وعندهم مدافع برية ترمى إلى بعد ٣٣ كيلومتراً لاستعمالها بوضعها في كاليه عند أخذها ، لمنع وصول المراكب التجارية من إنجلترا ، لما هو معروف من أن المسافة بين كاليه وبين الشواطئ الإنجليزية أقل من ذلك أو تقرب منه ، وكذلك عندهم الطائرات المساة « زبلن » ، فيكون لها شأن في محاربة الإنجليز ؛ وزار سفير إيطاليا ؛ ثم سفير روسيا ، ولم يجدهم فترك له بطاقته .

أما سفير إنجلترا فكان أفندينا قد آخر زيارته للغد ، فألح محب باشا في أن يزوره اليوم ، وأرسل الباشا جواباً للترجمان بذلك . ولكن هذا رداً باعتذار السفير لعدم وجوده .

وزار أيضاً اليوم بعد الظهر سفير فرنسا ، فأبلغه أن الإنجليز والفرنسيين لا يشكرون في اقتحام الدردنيل لمناعته ، بوضع الألمان مدافع كبيرة في الحصون ، وللغام

البحر، مما يصعب معه على الأسطول أن يخترق الدردنيل . ثم حضر حسن بك رئيس تشريفات ولي عهد السلطنة، للسؤال عن صحة أفندينا من قبل سموه الملوكي، ففكره أفندينا وأمر بكتابة رسالة لطفة لولي العهد ووقفا، وانتدب محب باشا وعارف باشا لحملها وتقديمها، ثم زيارة وجد الدين أفندي وغيره من العائلة السلطانية، شكرهم لهم من قبل أفندينا على سؤالهم عنه مدة مرضه، والإعتذار لهم عن عدم إمكانه زيارتهم شخصياً .

وفي يوم ٤ منه حضر سفير روسيا لرد الزيارة لسموه، وقال له : إن الاحسن وجوده بالاستانة، لينصح المتوسمين من الأتراك بعدم خوض غمار الحرب الحالية كما تريد ألمانيا، وهو يقبح عمل إنجلترا من حيث طلب خروجه من الاستانة، وقال السفير إن هذه الحرب تطول ستة أو سبعة أشهر .

وفي ٩ سبتمبر جاء سفير النمسا وقابل الخديو، ففهم من حديثه أن حالة الجيش النمساوي، سيئة وأنه ينتظر بفروغ صبر انتهاء القتال مع الفرنسيين، حتى تتمكن ألمانيا من إرسال نجدة عسكرية لمساعدة النمسا .

عباسي والصبر والحزب الوطني . في ٣ سبتمبر وردت للخديو رسالة من محمد فريد رئيس الحزب الوطني يهنئه فيها بإسلامته من التعدي وبجلول العيد، ويظهر امتنانه من عطف سموه على رجال الحزب مثل الصوفاني وغيره، وقال ما معناه : « إنه يلزمنا انتهاز الفرصة الثمينة الحاضرة للعمل معاً . »

وفي اليوم نفسه كنت تحدثت مع اسماعيل أباطه ويوسف صديق وعثمان مرتضى في تنظيم برنامج للسير بمقتضاه، ثم عرضه على أفندينا؛ ولكن علمت من الأول أنه لا يبيت في شيء إلا بعد حضور محمد فهمي بك التشريفاتي من مصر، وإطلاعنا على الأوراق التي يحملها من قبل رشدي باشا. وقال أباطه باشا : « إن أفندينا يفكر في الذهاب والمكث في الضليان، لأنه إذا ذهب إلى إيطاليا يدعى الحزب الوطني أنه يسعى ضد صالح مصر . »

وفي ٧ منه ركبت مع أفندينا واسماعيل أباطه وذهبتا إلى بيك في الصباح، وبعد وصولنا إليها حضر يوسف صديق، والدكتور سيد كامل، وكانا منتدبين لمرافقة محمد فريد بك، لأنه وصل من سويسرا للاستانة أمس الأول، فأخبر يوسف صديق أنه لما تقابل مع فريد صباح اليوم في الفندق، رأى منه ميلاً للتفاهم مع الخديو، واعترف بأنه لا يمكن للحزب، ولا للأتراك عمل شيء بدون مساعدته .

ولما قابل فريد بك أفندينا أخذ ينفي عن نفسه تهمة التعدي ، ثم قال إنه يعتذر عما حصل منه من الخطأ ، لأنه كان مقتنعاً بأن أفعاله كانت في صالح الوطن ؛ فظأنه أفندينا ، وعرفه بأنه لم يحظر بياله أنه تدخل في حادثة التعدي عليه ، وقبل اعتذاره بكل صفاء ، في هذا الوقت الذي يلزم فيه جمع شمل المصريين .

ثم أمره أن يتوجه لطلعت بك وأنور باشا لمعرفة ما ينوي الأتراك عمله في مصر وتبليغه لنا . وبعدها بقليل حضر الشيخ البوريني يرافقه الشيخ عبد العزيز جاويش الذي نفي عن نفسه تبعة الحادثة . وتبرأ منها ؛ فقال له أفندينا : « أنا لا أخليك من المسؤولية ، لأنه كان يجب عليك أن تنصح هؤلاء المتوسمين من الشبان أن يتبينوا الأمور ويعقلوها ؛ فان مصر لا تنتفع من ضررى . وعلى كل حال فان الوقت يقضى علينا أن نكون الآن كتلة واحدة ، للعمل لما فيه صالح مصر والمسلمين ، وأن نفكر في العمل الذي تنويه الدولة في مصر . »

فقال الشيخ جاويش : « أنا أعرف أنك يا أفندينا تحادثت مع أنور باشا ، وأعرف أنه متحقق من شيء ، وهوان الدولة لا يمكن أن تعتمد في عملها على شخص خلاف أفندينا ، وأنه أخبر الاتحاديين بذلك . » ثم خرج الشيخ جاويش مسروراً بما سمعه .

وفي ٩ منه حضر محمد فريد بك إلى البالي (قصر بيك) ومعه اسماعيل لبيب بك من أركان الحزب الوطني ، الذي حضر من مصر وأفضى لسموه بحالة البلاد وأعمال الانجليز . وفي هذا اليوم قابل سموه على الشمسى بك عضو الجمعية التشريعية ، وتداولوا جميعاً فيما يجب عمله .

وفي ١٢ منه حضر محمد فريد بك واسماعيل لبيب بك ، وقابلا أفندينا ، وأعلياه بحدِيثهما مع أنور وطلعت .

وفي ١٥ اكتوبر تقابل سموه مع محمد فريد بك واسماعيل لبيب بك في قصر بيك بعد الظهر ، وكلفهما بكتابة أسماء الفدائيين الذين يعول عليهم من أعضاء الحزب الوطني ؛ وذكر أن الواجب التفكير في طريقة تحريض الطلبة المصريين على القيام بواجب نحو الوطن .

وفي ٧ اكتوبر قابل الجناب العالي في بيك فريد بك واسماعيل لبيب ، وتحادثوا في الشئون المصرية .

وفي ١٢ منه جاء محمد فريد بك واسماعيل لبيب ، لجمعى الخنديو بهما بحضور

يوسف صديق والسيد كامل، وتباحثنا في الحالة، فقرر تحضير منشور من سموه يوضح فيه الغرض من إخراج الانجليز، والمحافظة على الأرواح، من مصريين وأجانب، والعفو عن المحكوم عليهم سياسياً، والوعد باعطاء الدستور التام.

وفي ١٤ منه حضر لجبوقلى محمد فهمى رئيس جمعية أبى الهول فى جنيف مع على الشمسى بك وكييل هذه الجمعية والعضو فى الجمعية التشريعية، ومعه أحد أصحابه مسيو فلاك مكاتب فرانكفورت روتج، وقابلوا الخديو.

وفى ١٧ منه قابل سموه بعد الظهر فى بيك محمد فريد بك، واسماعيل لبيب ثم صاحب جريدة الألمانية كانت تطبع فى مصر (يجبتن ناخرختن) وعطلت عقب إعلان الحرب من إنجلترا على ألمانيا، ثم محمد فهمى بك وعلى الشمسى بك، وأخيراً حضر أنور باشا ومكث مع سموه ساعة كاملة.

وفى ١٨ منه حضر محمد فريد بك واسماعيل لبيب بك لجبوقلى بعد الظهر، وقابلهما سموه مع وجودى أنا ويوسف صديق باشا؛ ومن المحادثة علمنا أن البرنس ابراهيم حلى أخبر أفندينا بأن الصدر كلبه عن فريد، وانتقده على وضع شارة مكتوب عليها مصر

للمصريين؛ وأنه سأله عن

البرنامج الذى ينوى السير عليه.

فأجاب به بأن لا برنامج عنده،

وعلى هذا حكم الصدر على الحزب

الوطنى بأنه دجال؛ فقال فريد:

« نعم لأننى توجهت لمنزل الصدر

وقابلته، ولم أورد أن أعليه بشىء

لأننى لا أتق به، وإنه أرسل

مع محمد راسم بك يقول: إن

الصدر مستعد لمقابلته ليلا

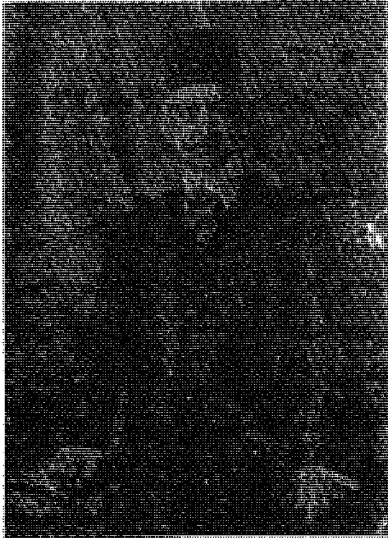
بمنزله، ولكنه لم يتوجه إليه.

فقال الخديو:

« إن الصدر لما رأى

التفاقم حولى، استشاط غضباً؛

سميد حلم باشا « الصدر الأعظم »



لأنه يرمي إلى غرض آخر ، يشتغل في تنفيذه مع الشيخ عبد العزيز جاويز والدكتور احمد فؤاد وحلى المسلمى افندى و محمد عماد الدين ، فقال فريد : « بلغنا أن في عزيمتهم تشكيل حزب وطنى آخر . »

فقال الخديو : « إن غرض الصدر هو أن يكون خديوياً على مصر . » فقال فريد واسماعيل لبيب : « هذا مستحيل ، وإن المصريين لا يرضون بأحد غير أفندينا ، فأجاب سموه مقسماً ثلاثاً : « إننى لا أطمع إلا في خلاص مصر من الاحتلال ؛ ثم إن أرادت الامة غيرى ، فانى أسله الأريكة . فكرر الحاضرون قولهم بأنهم لا يرضون عنه بديلاً ؛ فقال سموه : « والذى يؤسفنى هو أن الصدر ملتف بمصريين منشقين يعلنون عداهم لنا ، مع أنه لا يليق بصدر هو رئيس حكومة ، أنا موجود في ضيافتها ، وهو من أسرتى ، أن يفتح بابه لمثل هؤلاء الناس . »

وفي ١٩ أكتوبر حضر إلى بيك الشيخ عبد العزيز جاويز وقابل الخديو ، ملتسماً منه أن يأمر محمد فريد بك بأشراكه معه في البرنامج الذى ينفذه ، مع أنه كان يبتعد عنا .

ولما خرج الشيخ جلس معى ومع الشيخ البورينى ، وأخذ الشيخ جاويز يذكر معلومات عن الحركة القاسمة في فارس والأفغان وفي عدن وفي الهند ضد الانجليز ؛ ولما جاء ذكر مصر ، والأمل في تحريرها ، ونشر التعليم في جميع جهات القطر ، قال الشيخ البورينى : « وعندها عين الشيخ جاويز للاشراف على نشر التعليم . »

وفي ٢٠ أكتوبر حضر محمد بك فهمى ، وعلى بك الشمسى في بيك ، وقابلا أفندينا وأخبراه بما دار من الكلام بينهما وبين سفير ألمانيا صباح اليوم .

وفي ٢٣ منه دعا سموه لتناول الغداء في الكشك الكبير محمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويز ، واسماعيل لبيب ، والأستاذ محمد فهمى ، وعلى الشمسى بك ، ثم جلال الدين باشا صهر سموه ، ويوسف صديق باشا وعارف باشا ، والدكتور السيد كامل افندى ، والشيخ البورينى ، و ابراهيم ادهم بك الباور ، وصاحب المذكرات ؛ وهى أول دعوة أقامها بعد شفائه ، وحضرها بنفسه ، وأكل فيها لحماً ؛ وكان الحديث في أثناء الطعام ودياً ، والشيخ جاويز مسروراً ؛ وبعد شرب القهوة جلسنا مدة ساعة ، ثم انصرفوا ما عدا فريد بك واسماعيل بك .

وفي ١٣ نوفمبر سمعت من تصريحات الخديو ، أن حلى المسلمى افندى الموظف

بالخارجية العثمانية، والذي ينتمى للصدر يجمع في غرفته الشيخ جاويش، والدكتور احمد فؤاد وفؤاد سليم بك لتأليف حزب، يسمى حزب مصر العثمانية، يرمي إلى جعل القطر المصري في صف الولايات؛ ولاحظ سموه أن فريد بك غير قوى ولا نشيط؛ وكان من الواجب أن يجمع هؤلاء تحت جناحه، فهو غير قادر على مقاومتهم وهم خصوم، ويجب على فريد بك أن يكون يقظاً لهذه التدابير التي يحكمها الصدر.

وفي ١٤ منه قابلت، والسيد كامل أفندي، واسماعيل لييب بك، الجناب العالي، فأخبرنا أن البرنس ابراهيم حلى باشا وسيف الله يسرى باشا حضرا عند سموه، وهما مكلفان من الصدر أن يبلغاه: —

أولاً — أن الصدر بلغه خبر بأن أفندينا عين فريد بك رئيساً للجلس النيابي .
ثانياً — أن فريد قال إنه يجب خروج العساكر التركية من مصر بعد دخولها فيها بأربع وعشرين ساعة .

ثالثاً — ينتقد على فريد بك ادعاه بأن مصر للبصريين .

رابعاً — إذا كان الأمر كذلك فلا لزوم لتوجه أفندينا مع الحملة .

فقال سموه: ولو كان فريد بك يستهوى لسان الأمر من زمن بعيد، ثم شرح كيف أن فريد بك قد انضم إلى سموه بعد أن أرسل إليه خطاباً قال فيه: إنه قد آن الأوان للاتحاد والوئام، واتهاز هذه الفرصة لخلاص مصر .

وقال فريد بك: ولقد قابلني سيف الله يسرى باشا فعلا في طوقانليان وأخبرني بما قاله الصدر عني، فأظهرت عدم اكتراثي بهذا الكلام، فرد عليه الباشا قائلاً: يجب ألا تستخف بما أقوله لك، وإلا اضطر الصدر إلى اتخاذ إجراءات، فقلت: وإذا أراد الصدر أن أذهب إليه وأنفاهم معه فانتى مستعد لذلك .

ولما سمع الحديوي ذلك قال: إنه أتوى زيارته لأبلغه جوابي عن هذا الكلام .
وفي ١٤ نوفمبر قال لنا سمو الحديوي: ولقد طلبت من البرنس ابراهيم حلى أن يحمل إلى الصدر ردى على جميع النقط التي أبلغني إياها، وقلت له إنه لا حق له في انتقاد حاشيتي لقبولها: إن مصر للبصريين؛ لأن هذا مطابق للقرمانات التي تحول لمصر استقلالها الداخلي وما قلنا يوماً بالانفصال عن تركيا فيما لها من السيادة الخارجية، والمصريون متعلقون بتركيها شديد التعلق، بدليل التبرعات الكثيرة التي جمعت في زمن الحرب

الطرابلسية، والحرب البلقانية. وأما ما أشيع عن فريد بك من قوله بعدم وجود الجيش التركي بمصر بعد دخوله فيها أكثر من أربع وعشرين ساعة. فهذا غير صحيح؛ لأن هذا الجيش لا بد أن ينتظر نتيجة انعقاد مؤتمر الصلح الذي تعرض عليه المسألة المصرية؛ وذكر سموه أن البرنس أبراهيم قال له: إن الصدر يتقصد على كسوة سموه العسكرية، فأجاب بأنها ليست كسوة إنجليزية، بل عملت بواسطة الأمريكيين الذين كانوا قد حضروا إلى مصر بصفة أركان حرب في مدة جده. وليس في وجود كسوة عسكرية مخالفة لما هو في الجيش العثماني ما يستوجب النقد؛ لأن لباس الجيش البافاري مخالف للباس الجيش الروسي. فإذا كان رجال الدولة يريدون أن تكون مصر بالنسبة لتركيا مثل بافاريا لبروسيا. فلا محذور حينئذ من أن تكون للجيش المصري كسوة مخصوصة. وذكر سموه أن البرنس أبراهيم قال له: إن الصدر يهدد فريد بك بنفيه إلى سينوب، فقال سموه: إلا هذه المسألة فليس للصدر سلطة عليه. وإذا كان هذا الأمر جائزاً في تركيا فإنه لا يجوز في مصر.

وكان الصدر قد قال أيضاً إنه نبه على طلعت بك بالأيقابل فريد بك، وكذلك على أنور باشا؛ فقال سموه: إن الصدر يتكلم ضدنا من بعيد، فیرسل إلينا كلاماً بواسطة البرنس أبراهيم، وأنا لا أستطيع السكوت على ذلك، فسأذهب إليه وأعرفه بأني سأزور أنور باشا وطلعت بك وسفير ألمانيا، وأبلغهم هذا الكلام. ثم كلف سموه فريد بك زيارة أنور باشا والسفير، ومخاطبتهما في هذا الموضوع، وليعمل ترتيباً بأن يطلب طلعت بك مقابلة فريد بك، ويكون هذا بمثابة ترضية عن قول الصدر بأنه منع طلعت بك من مقابلة فريد.

وفي ١٥ منه تقابل فريد بك مع طلعت بك، ولما أخبره بما قاله الصدر في حقه، أجاب بأن أقوال الصدر لا قيمة لها، والدليل على ذلك أنه تقابل معه. ثم أضاف: لا تعرفوا هذه الأقوال التفاتاً، ولكن من جهة أخرى يلزم أن تصح للمصريين بأن يكفوا أقوالهم عن الكلام غير المناسب، فبعضهم يقول برجوع الخديو لمصر، وآخر يقول بعكس ذلك؛ وتغالوا فقالوا بتعيين كل من يكون في ولاية عهد السلطنة خديوياً على مصر، حتى يكون سلطاناً فينتقل إلى الإستانة، وولي عهده يذهب إلى مصر؛ وهكذا من الأقوال الدالة على العياوة. فالأحسن أن تتفقوا وتتحدوا، فأجابه فريد بك: وإن المصريين جميعاً لا يريدون خديوياً غير عباس حلي باشا، ولما سمع الخديو هذه الرواية، قال: هذه تدبيرة من عماد الدين وكيل الصدر، والشيخ جاويش، والدكتور أحمد فؤاد

وحلى المسلمى افندى ؛ والغرض من ذلك إيجاد التشويش في الأذهان ، والترويض لأن تكون مصر ولاية عثمانية ، واتفق في الحال على أن ينشر فريد بك في الجرائد خبر مقابله لطلعت ، بك فيكذب بهذا ادعاء الصدر

وفي هذا اليوم حضر اثنان من المصريين ، وهما (م . افندى وى . بك) ؛ فأخبرها سمو الخديو بمسألة الصدر ، وقال : « إني لم أتعاهد مع فريد بك ولا تكلمنا في تعيينه في أية وظيفة ، وأن مصر لا يمكن أن تكون إلا للمصريين ، فإذا مت بعيداً عن مصر ، فأرسلوا جثتي لتدفن فيها . فلا معنى لانتقاد الصدر على فريد بك ، لأن هذا يقول إن مصر لأهلها ؛ نعم إنها ولاية ممتازة تابعة للسلطان وللدولة ؛ وقد قلت لعمى ابراهيم إني أعترف بخلافة السلطان وأعترف بسيادة الدولة على مصر والعملة باسم السلطان ؛ وفي الجواز المصرى أن حامله من التبعية العثمانية . »

وفي ٢٢ منه ذكر فريد بك أنه لما كان على محطة حيدر باشا لتوديع جمال باشا وكان واقفاً مع الشيخ جاويش ، مر عليهما جاويد بك ، فخيا فريد بك أحسن تحية ، ولم يقرىء الشيخ جاويش السلام ؛ فإذا قورنت هذه الحادثة بما سمع مراراً من طعن الشيخ جاويش في جاويد بك ، سواء أيام كان ناظراً للمالية أو بعد استقالته ، استنتج من ذلك أن العداء مستحکم بينهما ؛ ولما كان من المعروف أيضاً في الاستانة أن خيرى افندى شيخ الاسلام في الدولة هو الذى أخرج الشيخ جاويش من موضوع الجامعة الاسلامية في المدينة وأبعده عنها ، وأنه ترتب على ذلك وجود عداوة بين الشيخ وخيرى افندى شيخ الاسلام ؛ فحينئذ يكون من المحقق وجود عدوين من كبار رجال الدولة للشيخ جاويش : أولهما خيرى افندى وثانها جاويد بك .

وفي ٧ ديسمبر ارسل سمو الخديو عارف باشا إلى الصدر ليلغنه أن سموه سيحضر لزيارته غداً الساعة العاشرة صباحاً في دى بنى كوى ، فأجابه الصدر بأنه وإن كان مريضاً اليوم ، حتى إنه لم ينزل لمقابلة السفراء في الباب العالى ، فإنه سيستعد لاستقبال سمو الخديو في المعاد .

وفي اليوم نفسه ذهب الجناب العالى إلى ميركون وأخذ البرنس ابراهيم حلبى باشا معه ، وتوجهها لزيارة الصدر .

وبعد هذه الزيارة توجه سموه فقابل سفير ألمانيا . وربما كان قد أطلعه على مدار من الحديث بين سموه والصدر ، وما دار كذلك بينه وبين طلعت بك وخليل بك .

أمس . ولما عاد من زيارة سفير ألمانيا تناول الغداء في بيك ؛ وكان معه غير الحاشية كل من البرنس ابراهيم حلى ، ومحمد عزت باشا .

وفي بداية تناول الطعام حضر الشيخ عبد العزيز جاويش ، فزول الدكتور السيد كامل بأمر الخديو لدعوته ، فتناول الطعام مع سموه والحاضرين .

وفي ١٠ ديسمبر قابل على جلال باشا سمو الخديو بعد الظهر ، ودار بينهما حديث عده الخديو جرأة وقحة ؛ إذ قال لسموه (معبأ طبعاً عن أفكار الصدر) بأن سفره إلى الخارج خطر جداً .

فسأل سموه : ، ومن أى وجه ؟ ، فقال جلال باشا ؛ إذ تكثر التقولات عن سموه . فقال سموه ، إنه يسمع كثيراً منها وهو فى الآستانة ، قال الباشا . ولكنها تتضاعف وتكثر عند سفره ، فقال له : ، لهذا أسافر حتى لا أسمع شيئاً من هذا ، فقال الباشا بوقاحة إن سموه يعتمد على الأقاويل التى تحكى فى طوقاتيان .

فرد سموه : ، إن تلك الأقاويل التى تحكى فى طوقاتيان تنقل إلى بنى كوى ، ثم أذن له سموه بالانصراف ، فاستأذنه جلال باشا بالانتظار فى الطابق الأسفل ، فأذن له . مع أن الواجب كان الخروج فى الحال من السراى .

وفي هذا اليوم ذكر يوسف صديق باشا أن سمو الخديو مهم بمسألة انتداب البرنس ابراهيم حلى باشا ، ليسير مع الحملة التركية ، حتى إذا وصلت إلى مصر ، كان دولته قائمقام خديو . وقد قبلت ألمانيا هذه الفكرة ، أما الصدر الأعظم فقال إنه لا يستطيع البت فى هذه النقطة إلا بعد محادثة أنور باشا . أما طلعت بك فقال إنه سيستشير الصدر .

ارتقاء الثمغزى بين ألمانيا وتركيا وعباسى . فى ٨ سبتمبر زار أنور باشا أفندينا فى بيك ، ومكث عنده نحو ٥٤ دقيقة ؛ وعلنا منه أنه قال بأن تركيا لا يمكنها أن تدخل الحرب إلا بعد شهر ؛ وأن ألمانيا لا تنتهى من حربها مع فرنسا قبل عشرين يوماً ؛ وأن رومانيا مترددة فى دخولها الحرب مع تركيا وبلغاريا ضد روسيا .

وفي ١٠ سبتمبر سمعت من الخديو أن ألمانيا أرسلت للدولة ثلاثة ملايين جنيه وألغى بندقية ، و٥٤ بطارية مدافع وذخائر ، و٦٠٠ المئاة يمدقون الرمي والمدفعية ؛ ووعدت الدولة أنها إذا دخلت فى الحرب فانها تعطىها جزءاً من الغرامة الجزية التى تأخذها من فرنسا ، تساعدنا على دفع ديونها .

مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ .

وفي ١٢ سبتمبر سمع الخديو بأن نجل امبراطور ألمانيا المسمى يواكيم أصيب في ميدان فردون بقطعة من قذيفة الشرنبل، وجرحته، فأرسل برقية لوالده يهنئه فيها بنجاة نجله، ويسأل له الشفاء. فأجابته غليوم برقيةً بعبارة لطيفة، وكلف سفيره بالاستانة بتبليغها. وقد حضر السفير في هذا اليوم نفسه بصفة رسمية، وقابل أفندينا، وسلبه نسخة من البرقية بعد أن قرأها عليه بالألمانية؛ وقد لاحظ سموه أن السفير لما قرأ الجملة الأخيرة «سعادة مصر» نظر إليه كأنه يقول: افهم معنى هاتين الكلمتين جيداً.

أما البرقية فهي: «لئن أشكر لسموكم أحسن الشكر على برقيتكم التي أرسلتموها بمناسبة جرح ابني يواكيم؛ وأطمئنتكم بأنه في القريب العاجل يشفي من جراحه؛ ويعود لساحة الفخر. وإني أتهز هذه الفرصة لتبليغ سموكم إحساساتي لشخصكم، وتمنيتاتي لسعادة مصر.»

فقال الخديو: هذه البرقية ذات معنى، لأنني في برقيتي لم أتكلم عن ألمانيا ولا عن الحرب، فكأن امبراطور لا يقتصر في الرد على الشيء الشخصي، وقال «سعادة مصر» كأنه يقول: «لئن لا أنسى مصر.»

من خطاب سله عباس للصبحى في ١٥ سبتمبر لرشدى باشا جاء فيه: أصدرت الحكومة العثمانية قراراً بالغاء الامتيازات الأجنبية، وأبلغته للدول؛ وقد حصلت مظاهرات فرح من الأمة ثلاثة أيام. ومجلس الوكلاء سيقرر في جلسته المقبلة تبليغ الالغاء لمصر لتنفيذه، فعندها يلزم على قائمقام الخديو أن يتروى جيداً، ويظهر الشجاعة والشهامة، ولا يقرر شيئاً إلا بعد عرضه على أفندينا، وأن يلقى المسئولية على سموه.

في ٢٥ سبتمبر جاءت برقية في المساء من رشدى، بأن العساكر الهندية وصلت، وعملت الاجراءات اللازمة كالتبخير وغيره لمنع الكوليرا، فيما إذا كانوا أحلواها من بلادهم. وفي ٢١ منه أرسل أفندينا عارف باشا لأنور باشا ناظر الحرية، يعلمه بورود برقية حسين رشدى، بوصول عساكر هندية إلى مصر.

وتقابل أفندينا مع أنور باشا في سفارة ألمانيا، وتكلم معه؛ وأظهر له كل الاستعداد لمساعدة الدولة؛ وقد روى لى ذلك يوسف صديق باشا.

وفي ٢٨ منه أرسل الخديو برقية ردأ على ما جاء من رشدى باشا بخصوص حضور عساكر هندية بمصر، فقال إنه لم يعرف مقدارها، ولا أنواعها، ولا المحلات التي جنسكرت فيها، ولا التأخير الذى حصل للاهالى من حضورها؛ وطلب تعريفه عن ذلك.

وفي ٣٠ منه حضر أحد رجال الحرس الخديوي من مصر، ومعه أشياء لسموه وخطابات؛ وأخبرنا أن الهنود، وعددهم عشرة آلاف، وزعوا بين رمل الاسكندرية ومصر الجديدة، وبليس؛ وأن نصف فرقة الإنجليزية في السويس، وأخرى في الاسماعيلية وثالثة في بور سعيد؛ وأن عدد العساكر الإنجليزية في القاهرة ألفان؛ وسافر الباقي وعدده أربعة آلاف إلى مرسيليا؛ أما القوة الهندية فبعد أن استراحت سافرت هي أيضاً إلى مرسيليا، وحلت قوة أخرى محلها، تقدر بثمانية آلاف وزعوا كالأخرين. وبين الرجال من هو مسلم ومن هو وثني، ومن هو حليق ومن هو بلحية.

ومعهم ثلاث بطاريات (ميدان) وفرقة مكسيم، وأن العساكر الهندية تمر بشوارع مصر لارهاب أهلها، ويقول الراوي إنهم ضعفاء، حتى أنت بعضهم وقع من تعب المرور في المدينة.

وذكر أن كثيراً من السكان عرفوا أن سبب بقاء سموه خارج القطر هو منع الإنجليز له من الرجوع لبلاده، وأنهم خائفون عليه.

في ٢ نوفمبر عرض الدكتور سيد كامل فكرة مؤداها أن سفر أحد المصريين إلى مصر مقيد في الوقت الحاضر: أولاً ليدل الناس المخلصين هناك إلى الانضمام إلى تركيا وحليفاتها، بحيث تكون الحركة في مصر موافقة لحركتنا في الاستانة؛ وثانياً ليقابل أعضاء الجمعية التشريعية الذين يعرفهم، ويقنع العدد الممكن منهم بصواب خطة الخديو.

وفي ١٢ منه تكلم سمو الخديو عن مقصدار نفوذ سفير ألمانيا فقال: «إنتي إذا حادثته في شيء مما همنا، قال: بأنه عمتن لما وصل إليه من الاتفاق مع الأتراك، وليس في استطاعته التدخل في التفاصيل، ثم أضاف سموه: إننا في بداية الأمر أظهرنا لسفير ألمانيا ما تقدر على عمله وما لا تقدر، ليعلم كل ما يمكننا عمله، ولو كانت لدينا قوة ذاتية يعتمد عليها، لرأينا سفير ألمانيا هو الذي يسعى إلى مقابلتنا.

وفي ١٥ منه أمر أفندينا الزائر من المصريين م. افندي وى. بك بالتوجه إلى سفير ألمانيا مع فريد بك، وتفهمه أنهم متفقون مع سموه في كل شيء، وأنهم يظهرون استيائهم من كلام الصدر.

وذكر (م. افندي) أنه اتفق منذ أسبوع مع السفير على أن يتوجه إلى جنيف، ويكتب في جرائدها لمصلحة التجريدة المصرية، ويفهم العالم أن الأتراك هم الذين قوروا ذلك، وليس لألمانيا دخل، يعني أنهم غير مسوقين، أما (ى. بك) فقد تقرر أن

يرجع إلى مصر لافهام الناس - وخصوصاً أعضاء الجمعية التشريعية - بكل ما هو حاصل هنا من الاتفاقات بين ألمانيا ورجال الدولة بالنسبة للتجريدة ، وأن القادة طرد الانجليز لا احتلال البلاد ، وبأخذ معه صورة من منشور الحديوي وصورة من إعلان السلطان للجهاد (وسنشر صور هذه المنشورات فيما بعد)

اما مهمة (د . افندي) بسويسرا فهي ان يقيم في جنيف ، ويتقابل مع موسيو زجرار الألماني ، الذي كان واسطة في إرساله إلى الاستانة ، ويتفق معه على خدمة المسألة المصرية ، ثم ليعلمنا الأخبار غير السارة عن انهزام الجيوش الألمانية والنمساوية ، أو طلب مفارقات الصلح مما لا تديمه جرائد الاستانة ، وليكلم قنصل إيطاليا ويعطيه التأكيدات اللازمة بعدم التخوف من حركة المصريين وتركيا في مصر ، ويفيدنا عما يصل إلى سويسرا من أخبار مصر ، أي أن مهمة (د . افندي) هي أن يقفنا على ما لا يمكن أن نقف عليه في الاستانة ، وقد وضعنا لكل هذه الحالات اصطلاحات .

وقد أوصى أفندينا (م . افندي) بأن يكون كل ما يكتبه لمصلحة مصر قبل كل شيء ، وأخذ معه صورة فرنسية من المنشور الحديوي ، بحيث لا ينشرها إلا عندما تصل إليه بريقة من عندنا ؛ كما نهبنا على اسماعيل لبيب بك بذلك ، وقد أخذ معه ألفاً وخمسةائة نسخة من المنشور باللغة العربية .

وفي ١٩ منه لم يستطع (ى . بك وم . افندي) السفر إلى أوروبا ، وذلك لتأخرها عن اليقظة مبكرين ، وقد حضر بعد ظهر اليوم ثانيهما إلى سراي بيك ، وعرض على الحديوي أنه كتب حديثاً باللغة الفرنسية عن أحوال مصر ، وكان قد خصصه لمسيو شويدلر الألماني ، باعتباره محرراً في (عتمانيتشلون) ، وباعتباره وكيلاً لشركة وولف التلغرافية الألمانية ؛ ولكنه فكر في إيصاله أيضاً إلى الشركة العثمانية التلغرافية ، فصرح وكيل هذه الشركة - وهو عثمانى - بأن في هذا الحديث نقطة خطيرة ، وهي النص على ضرورة المحافظة على فرمان تولية الحديوي الحالي ؛ وفضل أن يرجع إلى الصدر الأعظم ، وطلعت بك في قبول نشر أو رفض هذا الحديث بواسطة الشركة العثمانية . وقد أظهر أفندينا عدم الاهتمام بهذا التردد من جانب وكيل الشركة العثمانية .

في ١٧ نوفمبر حضر إلى سراي جبوقلي (م . افندي وي . بك) وقد أمر سمو الحديوي أن تولف جلسة منهما ومنى والدكتور سيد كامل لعمل شفرة يأخذ منها (د . افندي) نسخة لاستعمالها في مهمته بسويسرا ، وتبقى أخرى عندنا . وقد وضعنا فعلا هذا القاموس

وفي ٢١ منه قال سموه : ه لقد أعطيت كلمتي في نفس سفارة ألمانيا أن أسير بالصرحة مع العثمانيين .

ولأيضاح هذا أذكر أن سموه اجتمع في يوم من الأيام العشرة الأخيرة من شهر سبتمبر الماضي في السفارة مع أنور باشا ، فتعاهدوا جميعاً على أن يسيرا بالاتفاق والصرحة ، إذ كان السفير قد عرض لإرسال تجريدة عثمانية على نفقة الحكومة الألمانية إلى مصر . وقد قبل أنور باشا هذا العرض .

وحدث في جلسة أخرى بين سمو الخديو ، وأنور باشا في سراى بيك . أن كشف سموه عن تحرشات الصدر ، وسعيه للإساءة إلى سموه ، فد أنور باشا يده لجنابه العالى معاهداً له على أن يكون في خدمته في كل شيء ، وأنه وإن لم يكن ناظراً للدخيلة أو الخارجية ، فإن كل شيء يحتاج إليه سموه يكفي أن يخبر به أنور باشا وهو يقضيه له .

وفي ظهر ٢٥ منه حضر مسيو باول ، وهو الذى جاء بالأمس من برلين ، وقد كان ترجماناً أول بالسفارة الألمانية مع البارون مارشال سفير ألمانيا في عهد السلطان عبد الحميد ، وقد تعين بعد تفصلاً لدولته في بيروت ، ثم تعين مديراً للبنك العقارى بمصر . وكان سموه يثق به تمام الثقة ، ويذكر أنه جاء إلى مصر ، فخدم مصالح البنك الذى هو مديره أكثر مما خدم مصالح سموه ؛ أما سبب حضوره إلى الاستانة فهو أن سموه أمر يوسف صديق باشا بتكليف البنك الشرقى الألمانى باستدعاء المسيو باول هذا من ألمانيا ، فأرسل البنك المذكور تلغرافاً يخبره فيه بأن الجناب العالى يطلب حضوره إلى الاستانة ؛ ولكن هذا التلغراف لم يصل ، وقد ظن سموه من عدم وصول هذا التلغراف إليه ، أن الحكومة التركية أرادت أن تمنع وصول المسيو باول ؛ إن لم تكن قد أرادت أن تقطع علاقات سموه مع الخارج . أما حضور المسيو باول إلى الاستانة فكان مجرد المصادفة ؛ ذلك لأن الحكومة عينته في هذه الأيام تفصلاً لدولته في دمشق . ولم يعرف ماجرى من الحديث بين الخديو وبين مسيو باول في هذه الزيارة ؛ ولكن سموه ذكر في أثناء تناول الغداء ، أنه وجد مسيو باول لا يعرف شيئاً مما حدث له ، وأن سموه لم يرد أن يعلمه بشيء منه .

وفي أول ديسمبر قابل مسيو شويدلر مدير شركة وولف الألمانية بالأستانة الخديو ؛ وبما علمناه منه أنه كتب بالأمس قطعة في جريدة الأوسماينشر ، الألمانية عن زيارة سموه لسفير ألمانيا ، فرفضت المراقبة العثمانية على المطبوعات والجرائد نشر

هذه العبارة من الكتابة ، وهي عبارة « حقوق مصر » ، وأن الأتراك لا يحبون أن يقرأ الشعب العثماني اسم الخديو ؛ وما رواه أيضاً أنه كتب بايعاز من سفير ألمانيا مقالة عن مهمة المارشال فون در جولتز ، وهذا المارشال تعين ليكون ياوراً للشخص السلطان ، وزكى باشا الذى كان قومنداناً للحملة الواحفة على مصر تعين ليكون ياوراً للجلالة أمبراطور ألمانيا ، وهذا التعيين حسب التقاليد القديمة بين دولتين متحالفتين ، فأثرت مراقبة المطبوعات العثمانية حذفها برمتها أيضاً .

وأبدى مسيو شويدلر تخوفه من سياسة الأتراك بالنسبة لمصر ، فقال ، (وهو رأيه الشخصى بالطبع ؛ وربما كان أيضاً الرأى الذى يقال فى سفارة ألمانيا) : إن الأتراك متى دخلوا مصر ، فأول ما يعملون هو طرد الانجليز من وظائفهم ، وإحلال رجال الاتحاد والترقى من الأتراك فى هذه الوظائف ، وأن هذه الحالة ستكون سيئة لأنه يفضل أن يتعامل مع موظفين انجليز من أن يتعامل مع موظفين أتراك ؛ لأن الأولين وإن كانوا غلاظاً فى المعاملة إلا أنهم شرفاء ، أما الأتراك فتغلب عليهم الرشوة ، ثم قال : إن مركز الخديو بعد دخول الأتراك مصر لا يكون أحسن مما كان قبلاً ، بل إنهم قد لا يرغبون فى الخديو ؛ وقد لبث المسيو شويدلر مع الخديو نحو نصف ساعة .

وفى ٣ منه سمعت من صديق باشا أن سمو الخديو افكر فكرة هامة جداً ، ترضى الألمان وترضى الأتراك وترضينا ، وقال : « عسى أن يحضر اليوم طلعت بك والمسألة تنتهى فى عشر دقائق » .

وفى ٦ منه حضر يوسف باشا وأبلغ سموه أنه علم من جاويد بك أن طلعت بك وخليل بك سينوران سموه « فى بحر هذا الأسبوع » ، وعند ذكر العبارة الاخيرة ضحك سموه ضحكة السخرية ؛ لعدم تحديد يوم . واستمر يوسف باشا فى روايته عن جاويد بك ، فقال : إن البك المذكور قال له بأن الغلطات الماضية لن تعود ، وأن الحالة تغيرت لأن سفير ألمانيا يتكلم الآن فى هذا الموضوع باسم حكومته .

وقد ذهب يوسف باشا لمقابلة عماد الدين بك فى منزله ، فأظهر له البك أنه من المصلحة والأرفق ألا يكون هناك حجاب بين الصدر وبين الخديو ؛ وأنه يحسن أن يتقابلا ويتاورا ليزول كل سوء تفاهم .

وفى ٧ منه جاء طلعت بك ناظر الداخلية ، و خليل بك رئيس مجلس المبعوثان

وتشرافاً بمقابلة الجناب الخديوي ، ولبثت الزيارة من الساعة الثالثة إلى الساعة الرابعة بعد الظهر .

وظهر فيما بعد أن موضوع المحادثة كان خاصاً بكدر سمو الخديوي، فأكدنا لسموه أن إحساسهما نحوه لا يتغير ، وطلبنا منه أن يزور الصدر .

وفي ٩ منه ذكر الدكتور سيد كامل لشويدلر أن طلعت بك ، وخليل بك زارا سمو الخديوي ، فأظهر سروراً عظيماً وقال : إن مسيو باول الذي زار الخديوي يتكلم مع سفير ألمانيا بشدة عظيمة ، ولصلحة الخديوي ؛ وأنا أرى أن زيارة طلعت بك ، وخليل بك هي نتيجة محادثة وسمى مسيو باول لدى السفير .

الحملة التركية على مصر . في ١٨ سبتمبر اجتمعنا مع سمو الخديوي ، فقال : إن الأتراك يعملون أعمالاً هامة اليوم لتجهيز الحملة على مصر ، ويمدرون الخطط الحجازي إلى حدود مصر ، ونحن إذا لم نقم بأى عمل ، فعند الحسب يقولون إنهم هم الذين قاموا وحدهم ، وطردهوا الإنجليز ، فنخسر كثيراً من امتيازاتنا . فيجب عمل برنامج للسير على وجهه ؛ وإنتى آسف لخروج أركان الحزب الوطني من مصر ، وحضورهم إلى هنا ؛ مع أن العمل هناك ؛ ثم يحسن بنا أن نستدعى أحد أقطاب حزب الأمة للاتحاد مع رجال الحزب الوطني لعمل هذا البرنامج . ، فوافقنا جميعاً على ذلك ، فأقترح يوسف صديق باشا استدعاء سعد زغلول باشا ؛ ويكون حضوره بحجة الشكر لجناب الخديوي على تعزيتة ؛ ثم يحصل اجتماع تحت رئاسة أفندينا لرسم الخطة اللازم اتباعها ، وتناقشنا في الموانع التي تعوق حضور سعد باشا ، ومنها قرب موعد افتتاح الجمعية التشريعية ، ومنها أن الإنجليز ربما يمنعونه من الرجوع لمصر بعد حضوره .

وحصل الكلام أيضاً في عبد الحميد سعيد ، نجل إبراهيم سعيد باشا؛ لأن له نفوذاً بين الشبان المتميزين للحزب الوطني ، وأن محمد فريد بك نفسه يحسب له حساباً ، وقد حضر من مصر مع آخرين من الحزب ، خوفاً من اضطهاد الإنجليز لهم .

وفي ٢٠ منه رأى محب باشا علامات التفكير الشديد على الخديوي ؛ فسأله عن السبب ؛ فقال : أفكر في حالتنا الحاضرة ؛ أرى أن الأتراك مجدودون في التحضيرات ، فإن أنور باشا قال لي إنه سيطلب مد خط السكة الحديد الحجازية لغاية حدود مصر ؛ ولكن بلغنى أن مجلس الوكلاء رفض ذلك لعدم وجود نقود ، فإن الموجود منها يحتاج له الحال في أمور أخرى أهم من ذلك .

وفي ٢١ منه بناء على أمر الخديو توجه عارف باشا لأنور باشا، فلم منه أن كل شيء سائر على ما يرام. وأن هيئة من ضباط أركان حرب تحت رئاسة أحد ضباط ألمانيا الأكفأ ستُرسل إلى الشام، لعمل المباحث والترتيبات للحملة على مصر؛ وأن جميع الاتحاديين مع الجناب العالي قلباً وقالبا.

وفي ٢٤ منه قابل الخديو الشيخ عبد الحميد الزهراوى رئيس المؤتمر العربى فى باريس سابقاً، وهو من أعضاء مجلس الأعيان بالآستانة، وأصله سورى، فسأله سموه عن سفر شكيب أرسلان بك، وعبد الرحمن يوسف باشا، فأجاب بأنهما سافرا برأ ولم يعلم السبب؛ وإنما قال إنهما غير مندوبين من طرف الحكومة، وأن الأول لا يمكنه تحريك العربان، اللهم إلا إذا كان إرساله لتهدئة خواطر الجبلين؛ أما الثانى فلا علاقة له بقبائل البدو؛ وأما من جهة ما سمعه أفندينا بأن هؤلاء العربان تعهدوا باحضار عشرين ألف رجل، فقد قال الزهراوى — هذا يمكن بسهولة؛ وإن الدولة لا يمكنها أن تقوم بأعمد، حرية جديدة إلا إذا اشترك هؤلاء العربان مع جيشها.

وفي ٢٥ سبتمبر بلغنى أن سفير إنجلترا لما تكلم مع الصدر الأعظم واعترض على تجاوز فرسان العرب حدود مصر، وتمضية يومين، ورجوعهم ثانياً، أجابه الصدر: أى حدود تتكلمون عنها؟ أنا أعرف أن لا حدود بيننا وبين مصر.

وفي ٥ أكتوبر حضر محمد عزت باشا زوج فائقة هانم؛ وأخبر الخديو أنه قابل سفير ألمانيا، وعلم منه أن الدولة تتباطأ فى الزحف بجيشها على مصر، فوجد سموه فى هذا الخبر مخالفة لما يقوله الاتحاديون، من عزمهم على إخراج الإنجليز من مصر.

وذكر أن السفير متذمر من عدم تسيير حملة عسكرية عثمانية بسرعة على مصر ويقول إن الوقت حان لسفراها، وقد عرف سموه أن الحكومة الألمانية تود الأسراع فى هذه الحملة، ليخفف ضغط الجيش المحارب أمامها فى فرنسا.

وفي ١٢ أكتوبر حضر طلعت بك وزير الداخلية التركية فى بيك، وزار الخديو فسأله عن الوقت الذى ستتحرك فيه الحملة على مصر، فأجاب: بعد ثلاثة أسابيع. فقال سموه: إذا كانت الدولة لا تتوى السير الآن، فأنا أتوجه للضلمان. فقال طلعت: لا مانع، وعند تحرك الحملة نطلب سموك للحضور.

وفي ١٧ أكتوبر حضر البرنس ابراهيم باشا حلى، وأخبر الخديو أنه تغدى

أمس عند الصبر، وحرك فيه دم أجداده، فقال له : إنك يا برنس هنا على رأس الحكومة الثمانية التي فقد فيها رأس جدنا ، زها هم أولاء الانجليز يحتلون القلعة التي فيها قبره ، وما أمكنك أن تعمل فيها شيئاً .

فهاج هذا الكلام إحساسه وقال له : أما قولة فاتنا في غمارة مع البلغار على أن نستردها منهم مقابل جهة أخرى نأخذها من الأروام . وأما الانجليز فاتنا سنعمل لا محالة على إخراجهم ، ولكن لم يحن الوقت لذلك . وعلم منه أنه إذا زحف الأتراك على مصر فانهم يحتلوننا ، ولا يخرجون منها كأنها ستخلص من احتلال بريطاني ، لتقع في احتلال تركي ؛ وهذا ما لا ترضاه الأمة المصرية .

وفي ٢٣ منه بعد انصراف المدعويين من المأدبة التي أقامها عباس لرجال الحرب الوطني ، عقد سموه جلسة من فريد بك واماغيل لبيب ويوسف صديق و ابراهيم آدم الياور وصاحب هذه المذكرات ، فقال محمد فريد : إن سفير ألمانيا قال له إن الجيش التركي مجهز تجهيزاً حسناً من ملابس وغيرها ؛ ولكن ينقصه التعليم العسكري اللازم ، ولذلك لا يرى في الامكان عمل شيء قبل ثلاثة أسابيع ، حتى تتمرن العساكر ، وحتى يمكن القيام بعمل نافع .

وقد ظهر هذا النقص للبرالاي كريس الألماني ، رئيس أركان حرب الحملة . ومعه ستة جنباط ألمان آخرون .

تقرر سفر الشيخ محمد عثمان إلى خان يوسف ، وهي قرية في الأراضي الثمانية قريبة جداً من العريش .

ذهب عارف باشا على رفاصه مكوك الثالث ، الذي أهناه أفندينا إلى حرم أنور باشا لتسليمه ، وقد تقابل مع ناظر الحرية ، فسمعه يقول : إن الدولة تسعى لعمل اتحاد دولي إسلامي ، فهي تعمل على تحرير العجم والأفغان من الروس والانجليز ، وتحرير مصر من الانجليز ، وإيجاد رابطة أخوية إسلامية بين الدولة وهذه الممالك ، ويكون الخديو ملكاً على مصر حراً في الإدارة .

قال أنور والذين يتساءلون : لماذا لا يتحرك الأتراك لتحرير مصر في الحال ، نجيبهم أن مصر بلد متمدن وراق عامر بالبيوت الشاحعة ؛ فريد نحن الأتراك ألا نتعمل في أمر تحريرها بالتخريب ، وأنت نصل إلى ذلك بكل تأن حتى تتمكن من إرجاعها لخديويها كما كانت عند ما تركها بدون خسارة .

سأل سفير ألمانيا فريد بك عن فهمي بك بعد أن أثنى عليه ، فأجابني : بأننا كلنا متفقون مع أفندينا ، فقال السفير : أنا مسرور لاتحادكم جميعاً . وأكد أن ألمانيا تريد تحرير مصر ، ولا تريد أن تكون ولاية عثمانية .

وفي ٢٧ منه اجتمعت مع فريد بك بعد ظهر اليوم في منزله ، وكان معنا اسماعيل لبيب بك ، والشيخ جاويش ، والدكتور سيد كامل ، فتحدثنا في الحالة الحاضرة ، وخصوصاً في ضرورة تقام الدولة العلية وألمانيا مع إيطاليا ، وفي ضرورة إصدار إرادة شاهانية للمصريين ، تمنح فيها أنها لا تنوي احتلال مصر ، بل لإرجاع السلطة الخديوية كما كانت قبل الاحتلال الإنجليزي ، وقال الشيخ : إن غاية الأتراك إيجاد اتحاد دولي إسلامي .

وفي ٢٨ منه لم يجد أفندينا الصدر في منزله ، وزار سفير ألمانيا ، وسرّ عندما علم منه أن حكومته قبلت ما اقترحه أفندينا ، من أن تنصل ألمانيا العام في مصر الذي طرده الإنجليز ، يكون في معية سموه عند دخول الحملة في مصر ، لأن الخديوي كان يخشى على نفسه لو احتل الأتراك مصر .

وكذلك حضر اليوم سفير ألمانيا لزيارة أفندينا في بيك ، وأعلمه أن حكومته توافق على أن يمثلها في مصر يكون في معية سموه ، إذا لم تمنح الدولة العلية في ذلك . وبالاختصار فإن سموه كان منشراحاً جداً .

وقابل أيضاً في بيك فريد بك واسماعيل بك ، والأستاذ محمد فهمي ، وعلى الشمسي بك بوجودي ، وعرفهم بحوادث مصر ، وبما قاله أنور باشا لسموه ، بأن الذخيرة المخصصة بالماهونات (لقذف القنابل) اللازمة لعبور الأتراك من القناة لم تصل إلى المعسكر ، لأنها في الطريق عند جبل طوروس ، وأن المنظور أن تبتدى الحركة بعد أسبوعين أو ثلاثة .

وذكر في هذه الجلسة ما يشاع من أن الإنجليز سيختارون الأمير حسين كامل خديوياً على مصر ، عند زحف الأتراك عليها .

مفتشور الخديوي لرهاياه مصريين وسودانيين . في ٣١ أكتوبر اجتمعنا عند فريد بك بحضور الشيخ جاويش ، واسماعيل لبيب بك ، والدكتور سيد كامل ، وتكلمنا في المسائل الحاضرة ، ومنها الدعاية اللازم تنظيمها ، وخصوصاً وضع المنشور الخديوي للمصريين ؛ فوعد الشيخ جاويش باعداد مشروع ، وكلفنا الدكتور سيد كامل بوضع مشروع من قلبه .

وفي أول نوفمبر أرسل الشيخ جاويش صورة مشروع المنشور الخديوي، فاجتمع فريد بك، واسماعيل بك، ويوسف صديق باشا، وأنا، ونقمنا صورة أخرى كان الدكتور سيد كامل أعدّها؛ وهي مرتبة، مكتوبة بطريقة سياسية.

وفي ٣ نوفمبر أقر أفندينا مشروع الدكتور سيد كامل، وأمر بترجمته إلى التركية وإلى الفرنسية.

وفي ٥ نوفمبر قابل فريد بك أنور باشا، فعلم منه أنه موافق على ما جاء في منشور الخديو، وسأل فريد بك عما إذا كان يخشى أن يطلع زملاؤه عليه، فقال فريد بك إن اطلاعه هو كاف.

وفي ٧ نوفمبر اجتمعنا عند فريد بك، وكان معنا اسماعيل لبيب والدكتور سيد كامل، وتكلمنا في المنشور الخديوي. فكان من رأيي واسماعيل لبيب أن نتظر ورود الأخبار الصحيحة من مصر عن تعيين البرنس حسين كامل، حتى ندرج ذلك في المنشور، وافقنا على أن نتكلم مع أفندينا في هذه النقطة.

وقلت ولا يمكننا أن نطبع منشور أفندينا وننشره، فقال فريد: وأنا أرى من الضروري العمل في نشره وتوزيعه، فقال سموه: وكيف يكون ذلك وفيه إشارة بأنني سأسير مع الحملة، مع أنني لا أعرف عنها شيئاً من ذلك لأن؟، وأخيراً اتفق على أن ينشر بلاغ يعلن فيه مسألة وجود أفندينا بالاستانة، ومنع الانجليز له من الرجوع لمصر، ومخاطبة السفير له، ورد سموه؛ إنما توجّل كتابة ذلك حتى يقابل الخديو أنور باشا، ويسأله أسئلة حاسمة.

وفي ٩ نوفمبر قابل فريد بك الخديو، وعرض عليه فكرتين؛ أولاهما طبع المنشور الخديوي حالاً، وهو المنشور الذي تقرر إرساله باسم الخديو إلى مصر، وإلقاؤه بواسطة الطيارات، وغيرها

والثانية عمل حديث صحفي يتناسب مع الظروف الحاضرة، فقبل سموه. ولما كنا أحضرنا ما كينة رونيو، لطبع المنشور ابتداءً الدكتور سيد كامل في تجربتها، وعرض المسودة على الخديو

وفي ١١ نوفمبر كتب الدكتور سيد كامل أول نسخة من المنشور الخديوي، ولما أمته قدمه للخديو بوجودي، فرفقه بالقلم الزجاج ثم قال صاحكاً: ألا تخشى يا سيد،

وأنت الذى كتبت المنشور بخطك، أن يقتلوك رميةً بالرصاص ؟، فأجاب بالدعاء لسموه وللأمة المصرية بتحقيق الأمانى . ولما نزلت والدكتور سيد كامل لطبعه، قلت : « إن أفندينا يفكر فيك وأنت كاتب المنشور .



الدكتور سيد كامل

وقد استحييت أن أقول لسموه : « وأنت يامولاي الذى وقعتة؟، إشارة إلى أن سموه بتوقيعه فى هذا اليوم، أمضى مستنداً من الخطورة بمكان عظيم . أما القلم فأخذه اسماعيل لبيب تذكراً لهذا الحادث العظيم . وكان الخديو قد تردد فى التوقيع الذى وضعه الدكتور سيد كامل فى آخر المنشور، وهو خديو مصر والسودان وتساءل: أهذا اللقب صحيح، أم أنه حاكم السودان العام، كما جاء فى فرمانات .

فقال الدكتور سيد: « نضع هذا اللقب مؤقتاً، إلى أن يتحول قريباً إلى « ملك مصر والسودان، وهالك صورة المنشور :

إلى أبنائى الأعرام من المصريين والسودانيين :

لا يخفى عليكم أن دولة أجنبية تحتل بلادى العزيزة منذ اثنتين وثلاثين سنة . وقد دنا الآن يوم الخلاص الذى طالما نشدتموه . . إن العهود الرسمية العلنية التى قطعناها انجلت وأجعلت للاحتلال صفة وقية، تزول بزوال الحججة التى توصلت بها إليه، وهى توطيد عرش الخديو . ولكن هذه الحكومة لم تقتصر على تناسى وعودها المكررة بالجلالة عن البلاد، بل تدخلت فى الشؤون الادارية والسياسية، فبددت أموال مصر، وأنكرت حقوقنا الشرعية على السودان، وأحلت فى وظائف الحكومة الانجليز محل أبناء البلاد، وعثت باستقلال القضاء، وسنت قوانين قيدت بها الحرية الشخصية، وحرية الأفكار والانفلام، وعقلت الألسن، ومنعت الاجتماعات، وحالت دون رغائبنا، وتمنيات شعبنا ودون نشر التعليم والتربية . ولم تقف عند هذا الحد، بل أبت علينا التمتع بنظام دستورى يتفق مع مقتضيات النهضة العصرية .

ولما نشبت نار الحرب بين الدول الكبرى، رأت الحكومة الانجليزية أن تمنعنا

من العودة إلى مصر التي هي قاعدة إمارتنا، مقترحة علينا أن نغادر الاستانة إلى إيطاليا، فرفضنا اقتراحها هذا؛ لأنه في اعتبارنا ماس بمقوقر عرشنا، علاوة على أن تركيا صاحبة السيادة العليا على مصر، عدته عملاً مخالفاً للقرمانات الشاهانية. ولما كان جلالة الخليفة وحكومته راغبين في جعل هذه القرمانات الشاهانية محترمة مصونة، لخير أبناء مصر والسودان، رأى أمير المؤمنين أن يرسل إلى مصر جيشاً عثمانياً قوياً لاعادة الحالة فيها إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢.

أما نحن فقد وطننا النفس على الاشتراك في هذه الحملة التي هي الآن في الطريق، بحيث نظل ملازمين لها إلى أن يعقد الظفر بألويتها. في استطاعتكم إذن أن تمهدوا السبيل إلى هذا الظفر باتحادكم ومساعدتكم. وينبغي لكم أن تهونوا الأمر على هذه الحملة، وتزودوها بكل وسيلة مستطاعة، وتقدموا لاستقبالها بالترحاب والحماية الوطنية المأثورة عنكم، مستمدين الوحي من روح التضحية الراسخة في نفوسكم، وتعلقكم الصادق الشديد بجلالة الخليفة، وصدق ولائكم لنا، وحبكم للوطن العزيز.

ولما كنا واثقين بالنجاح بفضل العنبة الالهية، فنحن خدو مصر والسودان نعلن منذ الآن نظام الحكم الدستوري المؤيد لحقوق الشعب السياسية، وإلغاء القوانين المقيدة للحرية، وإعادة الضمانات اللازمة لاستقلال القضاء، وألغو العام الشامل عن الجنائيات والجرائم السياسية. ونجاهر أيضاً بزمنا على نشر التعليم بين طبقات الشعب، والسير بالبلاد في طريق النجاح الأدبي والمادى، وبالإجمال اتخاذ جميع الوسائل المؤدية إلى توفير أسباب الأمن والسعادة لجميع سكان مصر والسودان.

أبنائى الأعراف من مصريين وسودانيين: لقد سنحت الفرصة، فاغتموها؛ وليكن شعاركم خلاص مصر وصون أرواح الأجانِب وممتلكاتهم. فخصمنا الوحيد هو جيش الاحتلال وأعوانه. وليكن الله الكلئ القادرة عوناً لنا على تحقيق أمانيتنا القائمة على الحق والعدل والحرية.

وفى ١١ نوفمبر جاء مسيو فايس الألماني، وقابل الخديو؛ وكان سموه قد كلننى ويوسف صديق باشا أن نضع صورة محادثة ننشرها في الجرائد الألمانية تلعرفاً، وقد كان، وتسلم الكتابة. وكذلك أخذ ترجمة المنشور الخديوى.

وفى ١٣ منه قال أُندينا لما كلننى فريد بك في موضوع المنشور: منذ أسبوع كنت ميالا للسرعة في كتابته حتى لعلم رأى الأتراك في النقط المذكورة فيه، لآتى كنت

أشك في نياتهم وقتئذ ؛ ولكن الآن فهمت أنهم يريدون أن أرجع إلى مصر بشرط ألا يكون في رجوعي مشاركة لهم في الفخر الذي يريدونه لأنفسهم دون سواهم ، بتجريد الحملة العثمانية ، فالآن إذا لم تنجح ، وإذا لم تفز ألمانيا في الحرب ، تكون النتيجة محاكنتنا على هذا المنشور ، ثم ضحك سموه ، وظهر أنه لا يعتقد كثيراً في صحة الأنباء التي سمعها اليوم .

وكذلك صرح بضرورة سحب أربع نسخ كان قد أخذها فريد بك وإخوانه ، وقال إنه لا يشك في طهارة ذمتهم ، ولكن الاحتراس واجب ، وشدد على الدكتور سيد كامل في المراقبة على ما طبع من نسخ المنشور .

وفي اليوم نفسه قال سموه : إن الأتراك غير راضين عن منح الأمة المصرية الدستور الذي منحناه لها في المنشور الخديوي ، لأنهم يرون الدستور أكبر معارض لهم . والواقع أن حرية الأمة هي أكبر معارض لاحتلال العثمانيين ؛ غير أن الأتراك إذا كانوا يعارضون في حريتنا ، فنحن نكره ذلك منهم ؛ لآنا لا نحب أن يحل احتلال محل احتلال . ثم قال : إذا لم تنجح الحملة ، فليس من المستبعد أن نستطيع الحصول على استقلالنا الداخلي وحريتنا من جانب الحكومة الإنجليزية .

وفي ١٤ منه قال الخديوي إن هناك فكرة ترمي إلى إرسال عدد كبير من المنشور الخديوي للأمة المصرية والسودانية ، لتسليمها إلى اسماعيل لبيب بك ، حتى يذيعها على الحدود المصرية . ولكن سموه قال إن النيات هناك بالنسبة لنا غير ظاهرة تمام الظهور ، فيحسن أن ننظر مدة من الزمن فلا تمجمل بتوزيع هذا المنشور ، لأنه من المحتمل أن تتم المفاوضات الجارية الآن بالصلح بين الدول المتحاربة ؛ وأصدر التعليقات إلى اسماعيل لبيب بك بأن يتأهب للسفر غداً .

وفي مساء تناول اسماعيل لبيب بك ، وفريد بك العشاء على المسائدة الخديوية ، وبعد المناقشة في الموضوع سلم سموه أولها ألفاً وخمسمائة نسخة من المنشور .

وفي ٢١ منه لم يلبث الخديوي أن غير فكره ، فصدر الأمر برسالة برقية إلى القائم مقام توفيق فهمي بك الياور الخديوي ، بأن يتسلم الحقيقية التي بها نسخ المنشور الخديوي من اسماعيل لبيب بك ، وصدور إلى هذا الأخير أمر بتسليمها ، وبانتظار جمال باشا في دمشق الشام ، والسير فعه ، وتعريفه أن فريد بك سيلحق به قريباً .

وفي ٣٠ منه صدر الأمر تلغرافياً لتوفيق بك باحضار الحقيية التي فيها المنشور الخديوى، وأمر الدكتور سيد كامل بأن يحرق ما فيها بمجرد وصولها، وأن يحرق بقية نسخ المنشور؛ لأن ما جاء فيه بالنسبة للسلطان حسين غير محقق، ولأن الأتراك ملاحظات على بعض نقطه .

وفي ١٢ ديسمبر أحرق الدكتور سيد كامل النسخ الباقية بطرفه .

وفي ١٣ منه عاد في المساء أحد ضباط المحروسة ، وكان في بعثة توفيق فهمى بك، ومعه الحقيية التي بها الدعوة والتي كانت أعطيت لاسماعيل ليبب بك ، فأحرق الدكتور سيد كامل أوراق المنشور التي كانت بها .

تابع الحملة التركية على مصر : في أول نوفمبر زار أفندينا أنور باشا، وعلم منه أنه حضرت برقية من الحدود المصرية بأن الانجليز أدخلوا العريش تماماً ، وأن قائد الجيوش العثمانية يطلب التعليقات لاحتلال هذه المدينة ؛ إنما قال أنور باشا : إننا لأن غير مستعدين للرحف ، ويلزمنا أسبوعان أو ثلاثة .

وسمعت الخديوى يقول إن الانجليز يستعملون كل الوسائط لكي يترك جانب الدولة ، فأرسلوا ووماً يدعى أنه نمساوى الأصل ، وأنه متوطن منذ ثلاثين سنة في الاستانة ، ليقول لسموه إن الأتراك يريدون به الشر عندما يترك الاستانة ، قاصداً الالتحاق بالجيوش (يعنى أنهم عازمون على قتله) ؛ وأرسل الانجليز أيضاً فضيلة جميل منلا لاستماتة نحموم ، ولكن أفندينا لم يصغ لهذه الأقوال ، وصمم على الخطة التي رسمها ، وهى الاتفاق مع رجال الدولة .

وفي ٢ نوفمبر، في أثناء وجودى ووجود الدكتور سيد كامل والشيخ البورينى لدى الخديوى ، أبدى الدكتور سيد كامل أمنية ، هى أن يرى سموه فوق رأس الجيش بصفته قائداً عاماً له . فقال سموه : إن الفكرة خطرنا أكثر من نفعها ، لأنه إذا حصل فضل ، — لا قدر الله لها — فينسب ذلك إلى .

وفي ٣ منه أخبرنا فريد بك ، نقلاً عن أنور باشا ، أن القوات التركية احتلت العريش ؛ لكن سمعنا من جهة أخرى أن الانجليز احتلوا العقبة ، بأن أرسلوا إليها مركباً حربيّاً أنزل مائتى عسكري ، وهذا الخبر كدر أفندينا ؛ لأن العقبة نقطة هامة ، وسبق أن لفت نظر أنور إليها ؛ لأنها تهدد الحملة التركية التي ستسير من جهة

العريش . وقد قطع التلغراف البرى والبحرى من العريش قبل انسحاب القوى المهتدة منها ، وهمد الانجليز بالديناميت البئر الكبيرة هناك .

وقابل عارف باشا فى هذا اليوم أنور باشا لمعرفة المأمورين الذين سينقلون عفتنا ورجالنا الآمين من الضلمان إلى محطة آيدىن ، والذين سيسافرون من الاستانة إلى الحدود المصرية ، وقد عزم أفندينا على أن يرسل الشيخ عثمان ورسى أفندى للحدود هذين اليومين ؛ ليستطلعا الأخبار المصرية ، ويخبرانا حتى تزحف العساكر التركية .

وفى ٥ نوفمبر التمس البرنس ابراهيم حلى باشا من الجناب العالى أن يأخذه فى معيته عند السفر إلى مصر مع الحملة التركية ، وقبل التماسه ، وقد أوصى على بدلة عسكرية ؛ كما قبل التماس على جلال باشا وسيف الله يسرى باشا لمرافقة سموه .

فى أثناء الانتقال فى الرفاص بين جبوقلى وبيك عرض الدكتور سيد كامل فكرة ، مؤداها أن سفر أحد المصريين لمصر مفيد فى الوقت الحاضر : أولاً ، ليدل الناس المخلصين هناك على حالتنا هنا ، ويبين لهم الطريق المستقيم ، أى الانضمام والاتحاد مع تركيا وحليفاتها ، بحيث تكون الحركة فى مصر موافقة كل الموافقة للحركة التى أقناها فى الاستانة ؛ ومن جهة أخرى ليقابل أعضاء الجمعية التشريعية الذين يعرفهم ، ويقنع العدد الممكن إقناعه منهم ليحضروا إلى الاستانة ، ويصاحبونا فى الحملة السائرة على مصر ، فأظهر سموه عدم ثقته بحضور جماعة من هذه الجمعية ، لا للشك فى إخلاصهم ، ولكن لضيق الوقت . وحيثئذ بين الدكتور سيد كامل ، كيف أننا نكسب كثيراً فى حركتنا لو كان معنا على شعراوى باشا ، وعبد العزيز فهمى بك ، وعلوى الجزائر بك .

فقال سموه : هذا صحيح ، ولكن أظن أن الثانى مريض لا يمكنه الحضور ، وشعراوى باشا ربما استصغر أن يحضر مع علوى الجزائر بك ، مع أن علوى بك رجل عامل ومخلص .

فقال الدكتور سيد كامل : وعلى كل حال نحن فى حاجة أن يكون معنا جماعة آخرون من غير الحزب الوطنى ، لآتى أخشى متاعبنا فى مصر ، وأن يقول فريد بك فى كل وقت : أنا الذى خلصت البلاد من الاحتلال . وفوق هذا فانه وأعوانه شديرو التبعث ، لا يرون الأمور إلا من وجهة واحدة ، ويتعصبون لها .

فقال سموه : صحيح أن فريد بك متعصب ، وأنا أصدق أنه سيكون رئيساً

للحزب الوطني مدة عشرة أعوام، ولكن ماذا تكون قوته عندما تكون هناك أحزاب في مجلس النواب المصري الجديد؟

وفي ٧ نوفمبر اجتمعنا أنا وفريد وليب والبوريني عند أفندينا، فقال لنا سموه إنه غير مطمئن على التجربة، لأنه لا يعرف عنها شيئاً أكيداً حتى الآن، ولا يعلم إن كانت المسامر التركية حقيقة احتلت العريش، ويخشى أن الحسين ألف هندي، الذين وردت برفقة باستعدادهم في بمباي للسفر إلى مرسيليا، يقصدون ينبع وجده، فيسيرون ويحتلون، عمان، في سكة حديد المدينة. وأنا حتى الآن لم أعلم هل سأرافق الحملة؟ وبأية صفة أرافقها؟ هل مثل (شراة الخرج) أو بصفتي عاملاً؟ وقد سمعت من الصدر أنني سأرافق الحملة، وقلت لطلعت بك: إذا كان الوقت لم يحن فأسافر للضمان، قال: عند الزوم نرسل لك للحضور. وأنور باشا يقول إن كل شيء سائر سيراً طيباً؛ ولكن كل هذا الكلام لا يعتمد عليه؛ لأنه غير رسمي، فلا وجود لارادة سنية، وليس هناك قرار من مجلس الوكلاء، ولا من جمعية الاتحاد والترقي؛ وسفير ألمانيا لا يتدخل في المسائل العسكرية.

وفي ٨ نوفمبر نشرت الجرائد التركية بلاغاً رسمياً قالت فيه: إن الجنود العثمانية اجتازت أمس الحدود المصرية في جهة العريش، وأن خمس مرابك حربية انجليزية حضرت للعقبه بقصد إززال عساكر، فصدتها الجندرمة التركية ورجال العشائر، بعد أن قتل منهم ضابط ونفر، وبعدها انسحبت.

ولما كان المنتظر زيارة الخديو لأنور باشا بمنزله اليوم، أمر سموه يوسف صديق باشا بوضع الأسئلة الآتية:

(١) الاستعلام عن إشاعة تعيين البرنس حسين كامل حاكماً عاماً لمصر.

(٢) ما هي التدابير التي اتخذتها الحكومة في ذلك؟

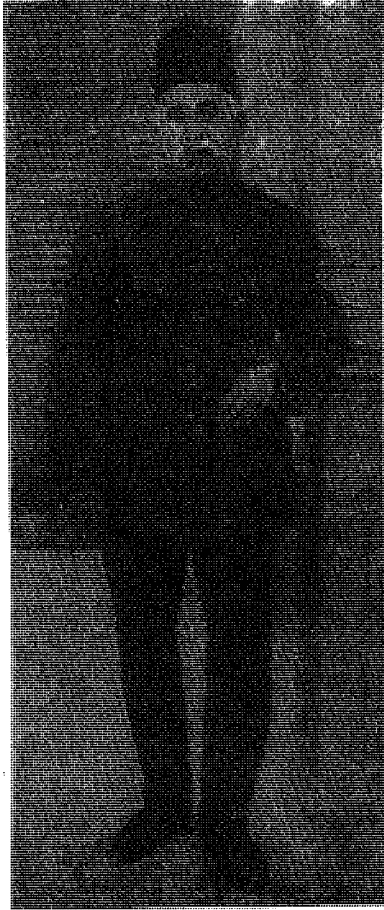
(٣) ما هو مركز سموه إزاء الحملة العثمانية وموعد قيامها للحدود؟

وقد اجتمعت بسموه بعد ذلك مع فريد بك واسماعيل لبيب بك، فأخبرنا بأن طلائع الجيش اجتازت الحدود المصرية من ثلاث نقط، وهي العريش والعقبه ونقطة أخرى بينهما، وأن الطريق الوسطى ظهر أنها صالحة لسير السيارات. ولما سأله سموه عن وقت القيام مع حاشيته للحدود قال إن الوقت لم يحن؛ لأن الجيش لا يبلغ

الحدود إلا في ٢٠ أو ٢٥ نوفمبر . وأنه يريد أن يتأخر أفندينا عن السفر الآن حتى يجتاز الجيش قناة السويس ؛ وذلك من باب الاحتياط لداته الكريمة . فقال سموه : إن الأوفق أن يكون دخوله مع الجيش . وإعلانه للدستور والحرية للأمة المصرية . ولما علمنا احتمال سفر الجناب

الخدوي على رأس الحملة العثمانية التي ستزحف على مصر لخراج الانجليز منها . تحادثنا مع سموه في الأشخاص الذين سيرافقونه . فتقرر أن يكون من بين حاشيته دولة البرانس ابراهيم حلمي . والدكتور سيد كامل وأنا . واتفقنا على تفصيل بذلات عسكرية . وبالفعل تسلمت اليوم من محل اشتين ، بدلة عسكرية من قماش لونه رمادي كاكى سميك . انقاء للبرد .

وفي مساء اليوم أبدى سموه رأيه في إشاعة تعيينه قائداً . بأنه يجب ألا تكون له القيادة لخطورتها . ولأن هذه الحملة مكونة من عناصر غير متجانسة : ففيها مندوب من جمعية الاتحاد . وهو اسماعيل حقي بك . وضباط مولون لهذه الجمعية . وآخرون معارضون لها . وضباط ألمان . فاذا أضيف إلى ما تقدم أن مدافع الأسطول الانجليزي ، على ما يظهر أقوى من مدافع الحملة .



شفيق باشا بذلك العسكرية

أتضح أن قيادة الحملة أشد ما تكون خطراً . ثم قال : يلزم أن نكون إزاء هذه الحملة بحيث لا تكون لنا قيادة العزبة ، ولا نكون محملة خامسة . ولكن نكون بين بين .

وفي ٩ نوفمبر توجه سمو الخديو إلى الصدر الأعظم بهتبه بتعيين شقيقه الأمير عباس حليم ناظراً للأشغال . فلما بدأ الصدر الكلام ، سأل أفندينا عن الوقت الذي سيسافر فيه للاتحاق بالحملة ، فأجاب بما قال أنور باشا ، فقال الصدر : إن تأجيل السفر حتى يعبر الجيش القناة ، إنما هو من باب الاحتياط ؛ ولما فاتحه الخديو في إشاعة تعيين الأمير حسين كامل على مصر ، قال : إن الاستعلام من السفارات أمر لا يفيد . ثم قال : وانتظر يا جناب الخديو ما يحصل من حسين باشا ، وانتقد الصدر الأمير حسين انتقاداً مرأ . وقد قال لنا الخديو : إن الصدر — بهذه المناسبة — لن أجدادنا ، قائلاً : وإن هذا الفرع بطال ، (يعني فرع اسماعيل) .

تقابل يوسف صديق باشا مع شوكت باشا ، وتكلم معه في صدد تكوين هيئة من كبار الاتحاديين لتعضيد الخديو ، فوعد بالتفكير في ذلك وقال : إن في إمكانه الحصول من السلطان على أمر تعيين الخديو قائداً للحملة العثمانية .

وفي يوم ١٠ نوفمبر ، قال يوسف صديق باشا : إن عارف باشا توجه يوم الثلاثاء لمقابلة مدحت شكري بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي ، وتكلم معه في شأن إهمال التكلم مع الخديو في مسألة الحملة على مصر ، والاتفاق معه على نتائج هذه الحملة ، فرد البك قائلاً : صحيح صحيح ، إن هذا إهمال ، وسأجمع الجمعية لهذا الغرض

وفي ١١ نوفمبر اجتمع الخديو بفريد بك وليب بك وبى ، وأظهر استيائه من رجال الدولة ، وتركهم إياه والتجريدة سائرة بدون علمه ؛ وتساءل عما إذا كان ما يشاع عن العمل لتعيين الصدر خديوياً بدله صحيحاً .

وفي ١٢ منه قابل يوسف صديق باشا شوكت باشا ، فقال له : ما على الخديو إلا أن يحدد اليوم الذي يرغب فيه السفر إلى الحدود ، وهو يحصل لسموه على الأمر الشاهاني ، بتوليته قيادة الحملة . ولكن الخديو غير ميال بتحديد اليوم ، ويقول : إن الأمر بين يدي الحكومة العثمانية ، فإن أرادت فعلت ؛ أما السلطان فليس بيده شيء .

وقد حضر في الساعة الخامسة مدحت شكري بك سكرتير جمعية الاتحاد ، ومعه الدكتور ناظم ، إلى قصر بيك . بناء على الكلام الذي حصل بين الأول وعارف باشا ويوسف صديق ، وتقابلا مع أفندينا ، وأعطياه أخبار الحرب في قفقاسيا ، وبما أن سموه قد سمع انتقاداً على سكوت المصريين ، وعدم قيامهم ضد الإنجليز ، ولما يعلمه من أن الأتراك أرسلوا كثيراً مما يسمونه عصابات وأسلحة وذخائر ، سألها : ولماذا لم يحصل

ثورة من الجراكسة؟ فأجاب مدحت بك، بأن الأمال والعصابات في سكون حتى يدخل الجيش التركي في بلادهم، لئلا يصيبهم ضرر .
قال أفندينا: كما يفعل المصريون ؟

فقال مدحت بك: نعم !

ولما حدثهما سموه عن مسألة مصر، قالاً إنها تكلمت مع طلعت بك، فقال لها إنه لا ينسى أن يتكلم مع أفندينا عندما يأتي الوقت، ويقرب سفر سموه للعودة إلى بلاده. وفي ١٣ نوفمبر، نشرت جرائد الآستانة حديثاً لسمو الخديو مع الميسو فايس، ولكن لاحظنا أن المجلة المختصة بمرافقة سموه للحملة، قد حذفت بأمر الحكومة العثمانية، كما أنها حذفت في تلغراف فايس الذي أرسله إلى جريدته .

أما ما يتعلق بسير سموه مع التجريدة، فأفندينا يقول: الظاهر يدل على أن الحكومة العثمانية لا تريد أن يكون دخول سموه مع الجيش العثماني . ومن حديث سموه مع السيد أفندي، يعلم أنه يعتقد بأن قيامه من الآستانة لا يكون إلا عقب اجتياز قناة السويس .

وفي ١٥ منه تقرر، بناء على إلحاحي، أن يسافر يوسف صديق للاتحاق بالأمير محمد علي باشا في أوروبا، والمرور على روما وبرلين؛ لاستطلاع آراء الدول الثلاث بالنسبة للتجريدة . والوثوق التام بأنها لا تمس الفرمانات الشاهانية .

قابل الصدر دولة والدة الخديو، وقد جاء ضمن حديثه معها ما يأتي :

إنه بعد إعلان الجهاد، لا يصح أن الأمير محمد علي يبق في البلاد الأجنبية، وإلا فإننا نصادر أملاكه في مصر . وهذه جراءة متناهية، وخصوصاً لسيدة يجب احترامها .

ولما سمع أفندينا ذلك قال: وبأى حق يمكن الصدر أن ينفذ ما يقول ؟

وبما قاله الصدر كذلك للبرنس ابراهيم: إن الجيش الزاحف على مصر جيش عربي؛ فإذا كان المفهوم عند الخديو وعند فريد بك أن مصر للعرب، فإني أخشى حينئذ من اتفاق يحصل بين العساكر الشامية والخديو والمصريين؛ ولهذا لا يصح أن يكون الخديو مصاحباً للجيش العثماني، وإني أبذل جهدي الآن في المدافعة عن الخديو . ولكن إذا كانت أفكاره هي هذه، فلا يمكن الاستمرار على هذه المدافعة — وقال الصدر للبرنس ابراهيم: من هم المصريون؟ إنهم في نظري دمبر باش، (أي حيوانات جفلك) وقد نسى أنه مصري .

وفي زيارة (ى . بك وم . افندى) لسفير ألمانيا بتاريخ ١٦ نوفمبر قال السفير إن الخديو يطلب أن يكون هو القائد العام ، وهذا يجرح إحساسات الأتراك ، وأن سموه يتقدم الجيش العثماني . فسأل ى بك ، السفير عما إذا كان يلزم إخبار سمو الخديو بذلك ، فقال : هي مسألة دقيقة ، ثم قال إنه في أول فرصة سيظمن سموه على هذه المسائل ، وودعهما السفير قائلاً : مع السلامة ، أعلننا أهل بلدكم قرب وصولنا . ولما سمع أفندينا هذا الكلام قال له :

« إنني ما تشبثت مطلقاً بقيادة القوة العثمانية الزاحفة على مصر ؛ لأنني لم أتعلم التعليم الحربي الألماني ، ولا التعليم الحربي العثماني ؛ والكلام الذي سمعناه كان من جانب الأتراك أنفسهم ، فقلت : أضيف إلى ذلك أن أفندينا لا يريد أن يتحمل تبعه هزيمة هذه التجربة ، فقال سموه : « هذا الكلام يقوله بعضنا لبعض ؛ لأننا توهم احتمال هزيمتهم في مصر ، ثم استمر سموه قائلاً : صحيح . إن يوسف باشا صديق قد أخطأ في اختياره الكلام في هذا الموضوع مع شخص غير ثقة (يقصد سموه شوكت باشا) ، ولكني على أي حال ما تشبكت ، وما أعرت إسناد قيادة التجربة العثمانية إلى أية أهمية ، ثم إنني لم أتقدم على الجيش ولا غيره شيئاً ، وإنني أحضر من جبوتي إلى بيك ، وأقوم من بيك إلى جبوتي ، وفي كل أسبوع أو عشرة أيام أركب سيارة مغلقة لزيارة سفير من السفراء ، فمن أين رأيت الجيش التركي حتى أسمح لنفسى أن أتقدمه ؟ »

وفي ١٧ منه قال أفندينا : إنه سمع من الألماني صاحب جريدة (إيجبتن ناخرختن) أن الجيش العثماني غير مستعد للزحف الآن ؛ لأن السكة الديكوفيل اللازمة لمُدافع الهاون الضخمة لم تتم .

وفي ١٨ منه كان سمو الخديو قد كلف البرنس ابراهيم حلي ، بأن يبلغ الصدر أجوبة سموه على تلميحاته ، فتوجه أمس هو وعزت باشا إلى الصدر ، وقال الصدر له : يلزم تحديد برنامج قبل سفر الخديو عما يجب عمله عند دخول الجيش العثماني في مصر ، فقال : يجب ألا يسافر الخديو ليلاً ، كأنه هربان ؛ بل يتوجه نهاراً عند السلطان ، ثم يسير إلى المحطة بالعز والاكرام .

سافر اليوم من الآستانة إلى الحدود المصرية عبد الحميد سعيد بك ، واسماعيل كامل أفندي ، ومحمد عوض البجراوى أفندي ، ومحمد على أفندي ، وهم من رجال الحزب الوطني ؛ وبق منهم عبد الملك أفندي حمزة المحامى والدكتور احمد طاهر أفندي ، لا يتظار القيام

مع شقيق الأول من أوروبا . وقد جاء اليوم ستة من الطلبة المصريين في جامعة لندرة ، وتقدموا إلى نظارة الحربية ، طالبين منها التطوع في القسم الطبي العثماني ، فقبلت النظارة طلبهم ؛ وفي أثناء مرورهم في هولانده كتبوا احتجاجاً على الحكومة الانكليزية في مصر بالنسبة لخطتها ، قالوا فيه : إن مصر تعيش حرة أو تموت . وهذا بعد ذكر قيام الجيش العثماني لتخليص مصر من الاحتلال الانجليزي

وفي ١٩ منه أوفد يوسف صديق باشا إلى سفير ألمانيا ، فعرفه . أن سموه لم يطلب مطلقاً لنفسه رياسة الحملة التركية ، ولم ير الجيش في حالة عمل ولا في الثكنات حتى ينتقده بشئ ، فقال السفير : إن الاتراك لا يتحملون جرح إحساساتهم ؛ لأنهم يظنون في أنفسهم القدرة التامة ، مع أنه يوافق كل الموافقة على ما قاله يوسف باشا من أن القيادة إذا كانت في يد الخديو ، فهمة الحملة تكون سهلة ؛ لأن المصريين ينضمون إلى الجيش العثماني بسهولة

وفي ٢١ نوفمبر وصلت ورقة من وصفي افندي ، أحد مستخدمي السراي ، فخاها أنه تقابل مع فريد بك الذي أخبره بأن جمال باشا ناظر البحرية قد عين قائداً عاماً للحملة ؛ وأنه سيسافر بعد ظهر اليوم من محطة حيدر باشا ، ومعه الشيخ جاويش وفؤاد سليم بك ، والدكتور احمد فؤاد ، وآخرون من يريدون السفر معه .

ولما اطلع سمو الخديو على هذه الورقة غضب لسفر أولئك مع جمال باشا ، وقال : إنهم متى دخلوا مصر سمعوا في جعلها عثمانية ، بحيث يصبح المصريون عبيداً كما كانوا في عهد الاحتلال الانكليزي ، ثم قال : إن هذه الحركة مقصودة ، وإنما من تدابير الحكومة العثمانية .

وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً حضر محمد فريد بك ، وتشرف بمقابلة الجناب العالي ، وروى أنه سعى لمقابلة جمال باشا أمس ، فسأل عنه في منزله مراراً بالتليفون حتى علم بوجوده بعد تناول العشاء ، فذهب إليه تحتاً وابل من المطر ، وقابله في منزله ، فقال له جمال باشا إن تعيينه جاء بغتة وأنه بأسف ، لأنه لا يستطيع مقابلة الجناب العالي ، وكلفه أن يبلغ سموه أسفه على ذلك . ثم سأله فريد بك عما إذا كان صحيحاً أن بعض المصريين سيسافرون معه ، وخص بالذكر الشيخ جاويش والدكتور فؤاد ، فقال جمال باشا : نعم . وزاد على ذلك قوله : . ويمكن لمن يشاء من المصريين أن يسافروا معي ؛ وقد أظهر أنه لا يهتم بالملكين السائرين معه ؛ وإنما يوجه اهتمامه إلى الجيش

وحده ؟ وطلب من فريد بك أن يسأل الخديوي عما إذا كانت لديه معلومات وخرائط ، وقال فريد بك إنه علم من المصادر العثمانية أن سبب تعيين جمال باشا قائداً للحملة ، بدلا من زكي باشا العربي ، أن هذا الأخير مكلف أن يؤدي مهمة لدى إمبراطور ألمانيا ، نظراً إلى معرفته للغة الألمانية ، وإنه لما كان جمال باشا هو قائد أوردي الشام ، كلف القيادة بدلا من زكي باشا

وفي اليوم نفسه أمر سموه أن يقول فريد بك لجمال باشا عند توديعه إنه سيلحق به قريباً ، كما أمر عارف باشا أن يذهب مندوباً من سموه ، ليلبغ جمال باشا تحيته وأسفه لعدم وجود خرائط . وقد ركب كلاهما يئخ المحروسة إلى محطة حيدر باشا ؛ وفي الساعة الثالثة بعد الظهر جاء سراى جوقلى يوسف صديق باشا ؛ وقد روى أنه كان ليلة أمس مع جماعة من كبار رجال الدولة ، يتكلمون فيما بينهم على مائدة واحدة ؛ وأن جمال باشا حضر إلى الكلوب ، واحتل في غرفة من غرفه برفعت باشا ، سفير الدولة في باريس ؛ وأن يوسف صديق باشا قابل جمال باشا عند خروجه من الغرفة ، وبادله وهو واقف جملاً قليلة في موضوع تهنته بتعيينه قائداً عاماً للتجريدة ؛ وقابل صديق باشا في الكلوب نفسه سفير ألمانيا قائلاً له : هل يصح ألا يأتي جمال باشا وقد عين قائداً للتجريدة لزيارة الجناب الخديوي ؟ فقال السفير : إن هؤلاء الناس لا يعرفون الواجبات ، حتى لقد شكوا إلى معتمد حكومة الصرب أنه أرسل تهنته بالعيد إلى جميع النظار ، فلم يرد عليه أحد منهم .

وفي الساعة الخامسة رجع عارف باشا إلى جوقلى ، وأخبر أنه ودع جمال باشا باسم الجناب الخديوي ، وأن المسافرين معه من المصريين هم : فؤاد سليم بك والدكتور احمد فؤاد ؛ وأن الشيخ جاويش لم يكن من المسافرين ؛ وأنه قد ودعه جميع النظار ما عدا أنور باشا المريض . وكان مع جمال باشا كثير من الضباط الألمان ، فأظهر سموه استيائه لسفر بعض المصريين ، وخصوصاً الدكتور احمد فؤاد وقال عنه : إنه متهم في قضية التمدي على ، وأن الحكومة وجدت في مصر أوراقاً تثبت اشتراكه في هذه الجناية ، حتى أنها طلبت القبض عليه .

وقال سموه : إن جمال باشا قد اعتذر عن عدم زيارته لي ، وقبلت اعتذاره . وقد رأى سموه بادىء ذي بدء أن يذهب صديق باشا وعارف باشا إلى مدح شكركم بك ، والدكتور ناظم بك ، في مركز الاتحاد والترقي ليقولوا له : أصبح أن يسافر الدكتور

احمد فؤاد وهو متهم بوجود علاقة له بمحادث الاعتداء؛ فاقترح يوسف صديق باشا أن يذهب مباشرة، ويتفاهم هو وطلعت بك، فقال سمو الحديوي: ولكن لا أحب أن تذهبوا إليه، لأنه يوقفكم كثيراً قبل أن يقابلكم؛ ولا أحب أن يعاملكم هذه المعاملة. وأخيراً انتهى رأى سموه بأن يذهب في اليوم التالي لمقابلة جاويد بك، وأخذ رأيه في هذا الموضوع.

وفي ٢٢ نوفمبر قابل يوسف صديق باشا، ومحمد عارف باشا، وجاويد بك المستقيل، فأعرب له الأول عن ثقة سمو الحديوي به، ثم قال له إن القاعدة التي حصل الاتفاق عليها هي قاعدة الصراحة التامة بين سموه ورجال الدولة، وأن جنابه قد سار عليها من بداية الأمر؛ ولكن يظهر من بعض حوادث أخيرة ما لا ينطبق عليها.

ومن هذه الحوادث أن نسب إلى الجناب الحديوي رغبته أن يكون قائداً للتجريدة العثمانية؛ مع أن سموه ما رغب في هذا قط؛ وإنما هذه فكرة قال بها بعض المصادر العثمانية. ولو ض أن الحديوي رغب فيها، لكان نجاح التجريدة أعظم بوجوده على رأسها، بعد أن منتهه إنجلترا من الرجوع إلى بلاده؛ وذلك لما يترتب على وجوده من قيام المصريين بمساعدتها.



جمال باشا

ومن هذه الحوادث أن سمو الحديوي لم يكلمه أحد قط في موضوع تعيينه قائداً للتجريدة، وقد عين جمال باشا في هذا المنصب دون أخذ رأى سموه فيه؛ وبعد تعيينه، وقبل سفره إلى مصر، لم يكلف نفسه زيارة سمو الحديوي للوداع قبل السفر. كان جنابه بعيد عن هذه المسألة غاية البعد.

ومن هذه الحوادث أيضاً أن القائد العام جمال باشا قد استصحب معه عنصر من المصريين غير مرغوب فيه، ومنه الدكتور أحمد فؤاد؛ وعندئذ قطع جاويد بك الحديث قائلاً: «صحيح أنا الآن أفهم معنى إرسال هذا الشخص مع جمال باشا، ثم استمر يوسف صديق باشا في الحديث قائلاً: إن الدكتور فؤاد هذا متهم بوجود علاقة

له بمجادثة الاعتداء على شخص الجناب العالى ، فارساله جارح وغير موافق للمصلحة .
ولا اعتقاد الخديو في معارفكم وفي ذكائكم ، رأى أن يأخذ رأيكم فيما تقدم ؛ ولو لم
تكونوا في الحكومة الآن .

فقال جاويد بك : صحيح أتى لست في الحكومة ، ولكنى أشغل مع أعضائها كما
كنت أشغل في النظارة ، وأتت مشبرك مع أفندينا في أنه ما كان يحسن بالقائد أن يسافر
قبل أن يقابل سموه ، كما أنه لم يكن يحسن به أن يأخذ معه شخصاً بتلك الصفة (مشيراً
إلى الدكتور فؤاد) . ثم قال إنه سيقابل طلعت بك ، ويكلمه في موضوع الدكتور
ويخبر سمو الخديو بالجواب .

ثم إن يوسف باشا قال لجاويد بك : إننا واثقون أن المسألة المصرية مسألة دولية
وليس للدولة العلية وحدها حق الاستئثار بها ، فقاطعه جاويد بك قائلاً له : وأنا أعرف
أكثر من ذلك ، وهو أن الدول لا تتأثر بكلام الدولة — ولو كانت منتصرة — في
هذا الموضوع .

قال يوسف باشا : ولا تنس أن سفيرانجلترا لما عرض على أفندينا ذهابه إلى
إيطاليا ، قائلاً إنها أقرب إلى مصر من الآستانة — وفي ذلك معنى كبير — أجاهه
الخديو بأنه لذلك يفضل البقاء في دار الخلافة ؛ وقطع علاقاته به ، لأنه تعهد وإياكم على
أن يكون مع الدولة وألمانيا .

فقال جاويد بك : ونحن نشكر الجناب العالى على هذه الاحساسات .
وقال يوسف باشا : فإذا استمرت هذه المعاملة الماسية للخواطر من قبل رجال
الدولة ، فإن أفندينا يترك الآستانة ويتوجه إلى سويسرا ، حتى تنتهى الحرب ، ويعقد
الصلح ، ويبت في مسألة مصر .

فقال جاويد بك : هذا أمر فات أو انه (يريد السفر) .
فرد عليه يوسف باشا بأن الوقت لا يزال منفسحاً .
فقال جاويد بك : لا لا يا يوسف باشا ، لا تقل ذلك .
وأخيراً قال جاويد بك : إنه من الصعب حقيقة أن يسافر جمال باشا من غير أن
يقابل الجناب العالى ، ولم يكن يليق إرسال الدكتور احمد فؤاد ؛ أما بالنسبة للاتفاق على ما
سيعمل في مصر عند دخول الجيش العثماني عاصمة البلاد ، فانه كان يظن أن طلعت بك
وأنور باشا قاما بهذا الواجب ؛ وعلى كل حال فانه وعد بالتكلم في هذه المسألة .

وفي ٢٣ نوفمبر كنا جميعاً في سرور؛ لأن البرقيات الرسمية أنبأتنا أن مقدمة الحملة العثمانية قد وصلت إلى الغنزة، بعد أن حصلت واقعة بالقرب من القنطرة، في جهة القطا، أي على بعد ثلاثين كيلومتراً من شرق القنطرة، وأن الهجامة المصريين انضموا إلى العثمانيين، وأنه قتل قائد فئة من قواد الإنجليز، وملازم، وكثير من الأنصار، وأسر جملة منهم.

وفي هذا اليوم أرسل أفندينا يوسف باشا، إلى البرنس عباس حليم ناظر النافعة للتكلم معه في إرجاع الدكتور فؤاد إلى الاستانة، ومنعه من مصاحبة القائد العام وقد كنت أبحث مع فريد بك في نقط ضرورية وهي:

(١) مسألة الوفد الذي يجب أن يتوب عن الجناب الخديوي، ويرافق التجريدة العثمانية إلى مصر بهذه الصفة.

(٢) إذا كانت الوزارة موجودة عند وصول الجيش العثماني إلى مصر، فهل تحترم؟ وهل للقاء بمقام الخديوي أن يبدل من أعضائها؟ وإذا طلبت الحكومة العثمانية شيئاً من هذا، فكيف يكون الحل؟

(٣) عند إعلان الأحكام العرفية، كيف يكون تشكيل المحاكم؟ وباسم من تنفذ الأحكام

(٤) ماهي القشلاقات التي تخصص للجيش العثماني، والتي تخصص للجيش المصري؟

(٥) من أين ينفق على تموين الجيش العثماني مدة وجوده في مصر؟

(٦) ماذا يكون الحال إذا أراد الاتراك تغيير المديرين، أو إلغاء البوليس، أو

الجيش المصري؟

وبينا كنت أتكلم مع فريد بك في هذه النقط في ردهة الدور الأرضي من سراي بيك، نزل سمو الخديوي من الدور الأول، وسألنا فيما نتكلم، فأخبرته بالموضوع بصفة عامة. فقال: إن شاء الله نعقد في الغد جلسة هنا لل مناقشة في ذلك.

ثم ذكر سموه أنه لا يحسن الدخول مع رجال الحكومة العثمانية في مناقشة النقط والتفاصيل؛ لأنهم ليسوا رجال قواعد. ونحن إذا فتحنا باب هذه المسائل، دخلوا فيها متعمقين؛ وتكون النتيجة أنهم يظنوننا خضوماً لهم؛ فيكفي الآن أن نسعى في مسألة إرجاع الدكتور فؤاد إلى الاستانة. فقال الدكتور سيد كامل: إنه يحسن الاتفاق من

الآن مع العثمانيين ، على مبدأ أساسى ، وهو أن يبقى الجيش العثماني بعيداً عن التدخل فى شئوننا الادارية الداخلية ؛ ومتى تم الاتفاق على هذا المبدأ ، ترتب عليه المسائل الفرعية الأخرى ، التى لا يصح الكلام فيها الآن .

وفى ٢٤ منه حضر يوسف باشا . وقال إنه قابل أمس البرنس عباس حلم (وزير الأشغال) فى صدد الدكتور فؤاد ، فأظهر البرنس أنه لاقية لهذا الشخص ، وأنه يحسن بالخدو الأيهم بالجزئيات ، ولكنه مع هذا وعد بأن يتكلم مع طلعت بك فى موضوعه . وفى هذا اليوم نفسه ، نشرت جريدة « طنين » نبذة ترجمتها جريدة « لا توركى » إلى الفرنسية ، ومؤداها . لإرسال موظفين أتراك من موظفى الجرك إلى مصر ، لاعتبارها من بعض الوجوه مشابهة لولايات الدولة .

وفى ٢٥ منه كان أفندينا كلف يوسف صديق باشا أن يذهب إلى سفير ألمانيا ويعلمه بمسألة الدكتور احمد فؤاد ، وما نشر فى الجرائد من أن جمال باشا أخذ معه ١١٨ شخصاً لاستخدامهم فى جمارك البلاد التى يحتلها الأتراك فى مصر ، وأن هذا القائد قد سافر دون أن يقابل أفندينا ؛ فاعترف له السفير بأن كل هذا لا يليق ومخالف للاتفاق ، وأنه سيتكلم مع أنور باشا فى الأمر ، واعترف له أيضاً بأن الأتراك يدسون للخدو فيما يتعلق بمركزه

وفى ٣٠ منه تقابل صديق باشا وعارف باشا مع جاويد بك . ولم تدم هذه الزيارة أكثر من خمس دقائق ، لأنه أخبرهما بمقابلته طلعت بك ، وعرف منه أن لاشئ . عندهم مطلقاً ، وأنه إذا كان طلعت بك لا يزور سموه ، فلأن عنده مشاغل كثيرة ، وكذلك بقية رجال الدولة

وقد اعتبر يوسف صديق باشا هذا القول مهماً ، وغير دال على حسن النية ، ولكن لم يصح بذلك لجاويد بك ؛ وعلى العكس من ذلك عارف باشا ، فقد اعتبر هذا الجواب مهماً ، وقام فقبل جاويد بك

تحرير مهمة الحملة . وفى ١٥ اكتوبر حضر أنور باشا وتقابل مع عباس ، ومكث معه مدة طويلة ؛ وبعد خروجه علينا أن سموه . تكلم معه بخصوص دسائس الصدر ضده ؛ وبما جاء فى الحديث أيضاً ، أن أفندينا سأل أنور باشا عما إذا كان يليق بالصدر أن يرسل قرار الحكومة العثمانية للحكومة المصرية ، بخصوص طرد متولى

أعمال ألمانيا والنمسا؛ ولا يرسل لسموه صورة القرار، كأن ذلك لا يهمه، وكأنه ليس موجوداً في الآستانة؛ فتعجب أنور لذلك، وانتقد فعل الصدر. ثم قال سموه ما يفهم منه أنه مد يده لأنور، وتعاهد معه على ألا يخفي أحدهما عن الآخر شيئاً، وأن يسيرا في خطة واحدة؛ فأكد له أنور باشا أنه يأمل أن يرى سموه حراً في بلده، مستقلاً في إدارتها، كما كانت الحالة قبل الاحتلال الإنجليزي؛ ووعد بزيارته فيها؛ فشكره سموه، وأوصله عند نزوله إلى باب حديقة «يالى بيك».

وفي ١٩ منه تقابلت مع محمد عزت باشا، فأخبرني أن سفير ألمانيا تغدى عنده أخيراً؛ ومن كلامه أن رغبة الأمبراطور التي أبلغها للدولة العلية، هي أن طرد الإنجليز من مصر لا يترتب عليه جعلها إيالة عثمانية، بل تكون مستقلة في أعمالها الداخلية؛ وإنما في بعض المسائل الخارجية، يجب على مصر أن تستأذن الباب العالى، وأن تحفظ امتيازات الحديدية المصرية كما هي الآن؛ وهذا مطابق لما قاله أنور باشا لأفندينا

وفي ٣١ منه أكد طلعت بك لفريد بك، أن الحملة التي تسير إلى مصر ليس من شأنها أن تمس شيئاً مما في داخلية مصر، فانه يعلم أن إدارتها منظمة، وكل شيء مرتب؛ ثم أضاف «حتى أننا نرى أن نرسل لكم بعض المأمورين الأتراك، لأخذ ما يهيننا في تحسين إدارتنا في الآستانة».

وكتب سمعت من مدة أن أفندينا اجتمع بأنور باشا عند زيارة سموه لسفير ألمانيا في المساء، وتعاهد الثلاثة على أن يتحدوا على طرد الإنجليز من مصر، وأن تبقى مصر للمصريين مع حفظ امتيازاتها. وأن تكون مصر بالنسبة للدولة كباقاريا لألمانيا.

وفي ١٠ نوفمبر لاحظ إبراهيم حلى باشا أن الجيوش العثمانية اجتازت الحدود المصرية؛ مع أن الحكومة العثمانية لغاية الآن لم تخاطب الحديدو رسمياً فيما يلزم اتباعه. فأجابه الصدر الأعظم بأنه مستعد للتكلم مع سموه قبل سفره في أحوال مصر، ثم قال إن الجيش سائر إلى مصر، ومهمته طرد الإنجليز، وإرجاع الحديدو إلى أريكته.

وفي ١٣ نوفمبر تقابل الحديدو مع فريد بك ولييب بك، وقال لنا إن رجال الدولة عديمو الإدارة، فلا ينظرون إلى الأمام؛ ونحن لا يمكننا أن نغير ما تعودوا عليه. فقال فريد بك ولييب بك إنهما قابلا أنور باشا أمس، وسألاه عما يراه في مسألة مصر وأفندينا والحزب الوطنى فقال: نحن تعاهدنا مع الحديدو، وكررنا له القول بأننا لا نريد مطلقاً التدخل في داخلية حكومته؛ ولا نرغب إلا في أن نراها

حرة وقوية؛ وأتانا تويد سموه في مركزه، ونسير بالاتفاق معه، ومع الحزب الوطني .
قال أنور : نحن نساعد حكومة إيران وأهاليها كما نساعد مصر والمصريين . فهل
معنى ذلك أننا سنأخذ العجم ؟ هذا لا يكون .

وحصلت اليوم مظاهرة من الإيرانيين في الآستانة ؛ وقرروا طلب دخول إيران
في الحرب ضد روسيا ؛ وهذه المظاهرة حصلت بإيعاز من أنور باشا .

وفي ١٦ منه حضر إلى جبوقلي في هذا الصباح (ى . بك) أحد المصريين الذين
كلفهما الخديو بمقابلة سفير ألمانيا ، وأخبر أفندينا أنه هو وزميله (م . أفندي) تقابلا
أمس مع السفير ، وأخبراه بمحدث البرنس ابراهيم حلمي مع الصدر ، وحديث سيف الله
باشا لغريد بك ، فرفع يده مستهزئاً وقال : لا تعبأوا بهذه الأقاويل ، فانها لا قيمة لها
من الوجهة السياسية ، وخصوصاً أنني سبق أن أخبرت الصدر بأن ألمانيا ستساعد الدولة
في حملتها على مصر ، بشرط ألا تمس فرماتاتها ، ولا المعاهدات الدولية ؛ وأنت تبقى
مصر للمصريين (وكرر هذه العبارة مرتين) ؛ فأجابه الصدر بأنه باعتباره مصرياً
يحافظ على الفرمانات ، وعلى حقوق الخديوية ، وامتيازات مصر .

الصباحي يحمل الأوامر للقائم مقام بخصوص الحملة : وفي ٢٤ منه أمرني الخديو
أنا ويوسف باشا أن نحرر مذكرة إلى حسين رشدي ، تحتوى على ملخص الحالة السياسية
بيننا وبين الأتراك ، وما يجب عمله عند دخول الجيش التركي إلى مصر ، ومعاملة القائد
ونحو ذلك . وكانت الفكرة أن تكتب المذكرة على حرير بالشفرة المعروفة لرشدي
باشا ، أو بالكتابة المكشوفة ، ويخطاط هذا الحرير بين البطانة والقياش . وأعرب
سمو الخديو عن رأيه في أن ينتخب رشدي رجلاً مصرياً لنظارة الحرية ، وتكون
مهمته تسهيل العلاقات بين الحكومة المصرية والجيش العثماني المحتل ؛ ورأى سموه
تعيين السرياور خديوي اسماعيل مختار باشا في هذه الوظيفة ، لأنه يحمل أكبر رتبة
عسكرية في مصر ، ولأنه مخلص لسموه . وقد عرض على سموه اسم حسني باشا ، فقال :
لا ، لا ، دعنا من هذا الرجل ، فانه تنحى عن السير معنا في حركتنا .

وقد كتبت المذكرة التي طلبها أفندينا ، وعرضها عليه يوسف صديق باشا ،
فأدخل بعض زيادات عليها ؛ وأمر بنسخها وتسليمها إلى محمد عبد الرحمن الصباحي
أفندي ، على أن يسافر اليوم لتسليمها لحسين رشدي باشا ، وها هي ذى صورتها .

« حصل الاتفاق شفوياً بين الجناب العالى ، وأنور باشا ، وسفير ألمانيا في سفارتها ، على إرسال تجريدة عثمانية لمصر ؛ على شرط أن تبقى الإدارة الداخلية مستقلة كتنطوق الفرمانات . وقد علمنا أن امبراطور ألمانيا أرسل تلغرافياً إلى السفير بأن مساعدته للحملة هي بهذا الشرط ، وألا يقبل مطلقاً أن تكون مصر ولاية عثمانية ، كباقي الولايات .

« تحسنت العلاقات بيننا وبين رجال الدولة ، وخصوصاً أنور باشا . إنما ظهر لنا أن للصدر أغراضاً وآمالاً ، وقد التف حوله جماعة تنادى بأن مصر للدولة ، وليست للمصريين . ولما لم تتجح هذه الفئة في مسعاها ، قالت بتعيين ولى عهد السلطنة العثمانية للخديوية المصرية ، وعلم الجناب العالى من السلطان بأن يوسف عز الدين افندى طلب من جلالة ذلك . ولكن هذا الطلب لم ينظر إليه بعين الأهمية ، وأن رجال الدولة لا يرغبون في تغيير شيء في الخديوية المصرية . وبعد أن كانت رئاسة الجيش الزاحف على مصر للجنرال زكى باشا ، العربى الجنس ، صدرت الارادة بتعيين جمال باشا ناظر البحرية ، بدلا عنه ؛ وإرسال زكى باشا لمهمة أخرى .

عود الى الحملة . « سافر قائد الحملة يوم ٢١ نوفمبر بدون مقابلة الجناب العالى ، وأرسل يعتذر بواسطة فريد بك بصديق الوقت ؛ ويلاحظ أنه استصحب معه فؤاد سليم بك ، والدكتور احمد فؤاد ، وحلى المسلى ، وبعد قليل يلحق بهم عبد العزيز جوايش ، فتم بذلك الجماعة المنتمية للصدر ، والتي تقول بأن مصر للدولة ؛ فضلا عن أن أحدهم ، وهو الدكتور احمد فؤاد الموظف بالبوليس السرى في نظارة الداخلية ، هو المشتبه في اشتراكه مع مظهر المعتدى على جناب الخديو . ولهذا طلبنا من طلعت بك ناظر الداخلية إرجاعه .

« وعلى كل حال فاننا لعدم ثقتنا تمام الثقة بعهود رجال الدولة ، الذين ربما كانت لهم أغراض خفية ، لا نظهر إلا بعد احتلالهم البلاد ، فان أفندينا عزم على إرسال من يعتمد عليه ، للسفر إلى ألمانيا والنمسا وإيطاليا ، للتحقق من تنفيذ وعود سفير ألمانيا لسموه ، وبأن تبقى مصر مستقلة في إدارتها بدون تدخل الدولة كما كانت .

« والدائر على الألسنة أنه بمجرد دخول الجيش العثمانى ، تعلن الأحكام العرفية ؛ ونظر لأن المشهور عن القائد أنه قوى الشكيمة ؛ فانه يحسن أن تستعدوا لذلك وتفكروا من الآن في الخطة الواجب اتباعها معه .

« ومن رأى الجناب العالى :

أولاً - أن تقيموا في سراى عابدين عند دخول الجيش العثماني ، باعتباركم قائمقام الخديو ، وتقابلوا قائده على الدوام هناك .

ثانياً - أن تخصص للقيادة العامة المقر الذي فيه إدارة جيش الاحتلال .
ثالثاً - أن تقيم المساكن التركية في القشلاقات التي كانت مخصصة لجيش الاحتلال الانجليزي ، ولا يخصص لهم في أخذ أي قشلاق من قشلاقات الجنود المصرية .

(والعبارة الأخيرة أضافها الخديو بخطه)

رابعاً - أن يرحب بالجيش بدون مبالغة ، وتحفظ الحكومة كرامتها إزاهه .
خامساً - يستمر القضاء المصري طبعاً كما كان ؛ ولو أعلنت الأحكام العرفية .
سادساً - تنتدب الحكومة مندوب إيطاليا في صندوق الدين مستشاراً مؤقتاً للبالية ، على ألا يعتدى على الأنظمة الجارية في المالية المصرية .

سابعاً - أن تتفق الحكومة وبعض المتحمدين ، على توريد حاجات الجيش العثماني من المأكولات ، وتصرف قيمة ذلك بما كان مخصصاً لجيش الاحتلال الانجليزي .

ثامناً - بمجرد انسحاب الموظفين الانجليز ، يعين في الحال من يتخلفهم من المصريين ، وخصوصاً في رئاسة البوليس المصري .

تاسعاً - لا يعمل أي احتفال رسمي حتى يشرف الجناب العالي ، وإذا اضطررتم لتقديم بعض كبار المأمورين المصريين ، فيكون ذلك على الانفراد ، وبواسطكم ثم أضاف أفندينا بخطه ما يأتي : يراعى عدم تدخل القائد العثماني في أمور الإدارة ، وخصوصاً في مصلحة التفريقات ، وبمجرد خروج الانجليز من مصر ، تجمع المساكن المصرية . إن أمكن في القاهرة . وإن أمكن أيضاً يجمع الجيش العثماني فيها ، بدلا من توزيعه في المديریات .

طلب الاتحاديين إعانات مالية من عباسي . في ٢٥ أكتوبر رأيت سمو الخديو في حالة عصبية ؛ وعلمت أنه أوفد ماهر أفندي المحامي ، وعارف باشا طلعت بك ، ليرجوا أن يتخذ الاجراءات للعفو عن سجين من ضمن خدم سموه و سلاحشور ، وهو متهم بالقتل ، فطلب طلعت بك إعانة مالية من سموه لمشتري ملابس تركية للجندمة التركية ، فغضب لهذا الطلب ، وقال إني ما حصلت على عرشي برشوة ، حتى أستقيه برشوة .

وفي ٩ نوفمبر عقد سموه جلسة ، قال فيها بضرورة تكوين جماعة من حزب الاتحاد والترقي ، يعملون في مصلحة مصر ؛ وأن تستخدم كل الوسائل لتكوين هذه الهيئة من سبعة وعشرين عضواً ، لتعمل لنا في هذا الطريق ، بحيث لا نعطي نقوداً الآن ، بل نعد باعطائها بعد دخولنا مصر ؛ ويكون مثلنا في هذا مثل الشخص الذي يقول للسمسار : إذا اشتريت العقار الفلاني بواسطة ، أعطيك كذا كذا ؛ وقال إنه لا يضر خزانة مصر ، دفع مائة ألف جنيه لتحقيق أغراضنا .

وذكر في هذه الجلسة بعض أسماء رجال الدولة ؛ وأمن يوسف صديق باشا على كلام سموه ، قائلاً إن الدكتور ناظم أحد كبار الحوَّاب ، وطلعت بك زهبان ، وأن الأول يعيش بعشرة جنيهات في الشهر ، ولا يمكن أن يشتري ؛ وذكر أنه تقابل مع شوكت باشا ، ووعده بالكلام معه غداً لتمهيد الطريق .

وفي ٢١ نوفمبر روى سموه ، أنه لا ينسى يوم حضوره إلى الآستانة في أول سنة للدستور ، وحضوره جلسة من جلسات مجلس المبعوثين :

قال سموه : وقد حضر لدى فيء اللوج ، الذي كنت فيه طلعت بك ، وثلاثة آخرون معه ، فبعد أن حيوني ، وشكروني على حضوري جلسة من جلسات المبعوثين ، طلبوا مني أن أساعدهم مساعدة مالية . وقد كنت أفهم هذه المساعدة وهم خارج بلادهم ؛ ولكن الذي لا أفهمه . هو مساعدتهم مساعدة مالية وهم داخل بلادهم . فلما قلت : إن شاء الله ننظر في الموضوع ، انصرفوا بشكل مدهش ، كأنهم لم يجيئوني إلا لطلب المساعدة المالية ، ولكنهم بعد انصرفهم جاءني جاويد ، واعتذر إلى عما وقع من زملائه .

وفي ٢٤ منه قال يوسف باشا ، إنه قابل نجر الدين بك سفير الدولة في بطرسبرج ، وفهم منه أنه يلزمنا نحن المصريين ، أن نتأكد من الاتفاق مع ألمانيا بخصوص نتائج الحملة المصرية ؛ ولا نتمتع إلا على وعددها ، وأنه مستعد لأن يسافر ، ويتخذ ما يجب في هذا الصدد ، مقابل مكافأة مالية طلبها .

وقال يوسف باشا إن عارف باشا قابل اسماعيل حقي بك ، القوميسير العثماني في مصر ، وروى عنه أنه من اللازم أن يكون عند سمو الخديو الآن مائة ألف جنيه ، لصرفها على من يساعدنا للوصول إلى غايتنا . فقال سموه : لا بأس بإيجاد الأشخاص الذين يساعدوننا ؛ ووعدهم بالمكافأة عندما نبلغ غايتنا .

تركبة نهاره في البحر في اليومين، وأطلقها يومها في ٣٠ أكتوبر، وتوجهت
 مع أفندينا لتشريفات السيد في سراي، وأوله بنده، ورافقنا أينما يوسف صديرو باشا،
 وعارف باشا، وأبراهيم أدهم بك، وأثنان من الضباط. فيوسف وعارف مرا أمام
 السلطان، مثل باقي المأمورين العثمانيين؛ وأما أنا، فلا تفرقت من ردت ونجوت بدلا من
 الاسلامبولية، تفرجت مع الضباط من فوق صالة العرش. وكان الخديو واقفاً مع
 الأمراء العثمانيين، ومنهم ولي العهد عن يمين السلطان؛ والوكلاء - ما عدا الصدر الذي
 قيل عنه إنه مريض (والحقيقة أنه كان غائبا لما سمعنا من تعدى الوابورات الحرية
 العثمانية على الموانئ الروسية دون علمه) - وقفوا عن يسار الخليفة. وقبل انتهاء
 التشرifsات بقليل، جاء يوسف وعارف لنا، وأخبرنا بأن دارعتين من الأسطول العثماني
 تلاقيا مع مركبتين من طوريدو، ومدفيعتين من الأسطول الروسي، كانت تحفرن وأبورات
 وضع الألغام، على بعد خمسين ميلا من بوغاز البحر الأسود، فالدارعتان العثمانيتان
 أطلقتا النيران على هذه المركبتين، فأغرقتاهما، وأسرنا سبعين نفرا، وخمسة ضباط، أحدهم
 ريان وأحضرهم إلى الأستانة؛ ثم توجه الأسطول العثماني إلى الموانئ الروسية،
 ومنها سواستبول وأودسا، وأحرق ما بها من مخازن البترول، والمخازن العسكرية،
 وأغرق ما في الموانئ من الوابورات الروسية النقالة، وعددها واحد وعشرون.

ولما خرجنا مع أفندينا، أخبرنا بأن السلطان أعلمه بذلك، وكان الخبر منتشر في
 يوغلي أمس بعد الساعة الخامسة مساء، من برقية وردت من قنصلية إنجلترا في أودسا
 إلى السفارة في الأستانة؛ وسأل السفير الصدر في المساء عن هذا الخبر، فقال إنه
 لا يعرف شيئا؛ ولما سأل الصدر أنور باشا، قال الأخير: نعم إنني سمعت بهذه الاشاعة.
 فكانت الألمانين هم الذين دبروا هذا الأمر بدون أوامر.

وفي ٣١ منه حضر أنور باشا، وأخبر الخديو بما حصل من تخريب الأسطول
 التركي للموانئ الروسية، فأخبره سموه بأنه لما زار الأمير سعيد باشا الصدر، علم منه
 ما يفيد أن الحرب لا تكون بين الدولة وروسيا. ولهذا فإنه استرجع الأسطول العثماني،
 وأشار من النافذة إلى جون، الألمانية، وقال لها هو ذا الأسطول. وإن الصدر يلقى
 تبعة ما جرى في البحر الأسود على الألمان، فقال أنور باشا إنه أعد جوائز السفراء
 الثلاثة (سفراء روسيا وإنجلترا وفرنسا)، وأكد لأفندينا أنهم سيسافرون.

وبالفعل أنى لما كنت عند فريد بك — ومسكنه أمام السفارة الروسية — وجدت
جموعاً كثيرة أمام السفارة تنتظر خروج السفير

ولما كان أنور باشا وأفندينا يتحادثان، حضر جمال باشا ناظر البحرية؛ ولهذا لم
يتمكننا من الاستمرار في الكلام. وقد خطر ببال أنور باشا أن الخديو ربما يظن أنه
متفق مع زميله على أن يحضر عقب زيارته، حتى لا يدع وقتاً للكلمة؛ فأقسم أنور باشا
بأن زيارة جمال باشا الآن هي من المصادقة، وأنه لا مانع من قبوله بوجود أنور باشا؛
لأنهما على وفاق تام — وقد كان ذلك.

وفي ٢ نوفمبر حضر الصدر، وزار أفندينا في بيك، وعلم سموه أن الروس تجاوزوا
الحدود العثمانية فأصدين أرضروم، فسأله أفندينا عما إذا كانت الدولة في حالة حرب
مع روسيا وانكلترا وفرنسا. فقال: لا. وقد حضر البرنس ابراهيم حليبي، فقال إنه
سمع الصدر يقول: مادمت في الصدارة، فلا أعلن حرباً. وقال عن الألمانين الذين
أحدثوا واقعة البحر الأسود: سأؤدبهم (يعني يهددهم). ولكن سموه قال بأن هذا
يخالف قبوله نقود ألمانيا، ووجود سبعة آلاف ألماني في الجيش العثماني: البري
والبحري، وأربعائه مدفع؛ وهذه المساعدات كلها لدخول تركيا في الحرب.

وقد زار الخديو سفير ألمانيا، ومن المحادثة ظهر له أن الصدر لا يرغب في دخول
الدولة في الحرب، وإلا فسيستقبل؛ وهذا يطابق ما قاله سفير النمسا. وأضاف سفير
ألمانيا أن ممتد أمريكا طلب من أنور باشا وطلعت بك وجمال باشا أن يجتهدوا في
منع الاستقالة. ولهذا اجتمع مجلس الاتحاد والترقي، وقرر باتخاذ الآراء تأييد ما فعلته
الحكومة بدخول الحرب، وعدم قبول استقالة الصدر، مع تغيير بعض الوزراء غير
الموافقين على الحرب، وهم جاويد بك وزير المالية، ومحمود باشا وزير النافعة، والبستاني
بك وزير الزراعة والبريد. ثم أتى السفير الألماني على طلعت بك، وقال إنه أتى وتعاهد
معه على السير مع ألمانيا، قائلاً: إن كسبت كسبنا، وإن خسرت خسرتنا، وقال إنه
يوجد وعد واتفاق بين انكلترا والصدر — على ما هو ظاهر من الأحوال — على ألا
تحصل حرب؛ ومع هذا حصلت واقعة البحر الأسود. فأكد الصدر للسفير المذكور
أنه إذا دخلت الدولة في الحرب، فانه لا بد أن يستقبل؛ فلما طلب السفير جواز السفر
لقطع العلائق، طلب أيضاً من الصدر الاستقالة قبل خروجه، ولكن الصدر أرغم على
البقاء من جمعية الاتحاد، كما تقدم

وفي ٣ نوفمبر بلغنا أن الأسطول الإنجليزي أطلق النار مدة عشر دقائق على استحكامات الدردنين، التي ردت عليه؛ ويقال إنها أصابت المراكب الإنجليزية الكبيرة بعطب، فشبت النار فيها.

وبلغنا أن الجيوش التركية اجتازت حدود روسيا، وتوغلت فيها مقدار عشرين كيلو متراً، وأن عدد الأتراك ثلاثون ألفاً، وأن الروس مائة وخمسون ألفاً.

وفي ١٣ منه كان سمو الخديو قلق البال، لأنه سمع من السفراء خبر اندحار الألمان في روسيا، وأن ألمانيا عرضت الصلح على الدول المتحاربة، فقبلته روسيا وفرنسا، ولكن إنجلترا رفضته. وقد قال سموه إننا حتى الآن لم نأت بعمل يعتبر عادياً نحو إنجلترا التي طلبت ألا نرجع إلى مصر. فقبلت طلبها؛ وموقفنا على العموم موقف شهامة.

وفي ٢٥ نوفمبر زار الجناب العالي سفير الولايات المتحدة، فعلم منه أن لأمريكا مراكب حربيين: أحدهما يمر بشواطئ سوريا، والآخر في جزر الأرخييل؛ وأن رفاصاً أمريكياً كان يريد دخول أزمير، وعليه قائد المركب الحربي، فأطلقت عليه الحصون العثمانية طلقتين بدون رصاص، ثم طلقاً ثالثاً محشواً بالرصاص، فرجع القائد، وأرسل برقية إلى سفيره في الأستانة، طالباً منه الإذن في ضرب حصون أزمير، فنهى السفير، فأغتاظ القائد وشكاه إلى حكومته، فاضطر السفير أن يطلب من أنور باشا تقريراً يبرر به أوامر المنع، فتم له ما أراد.

وقال السفير إن الضباط البحريين بين الأمريكيين جميعاً، حتى الذين يقيمون منهم في أمريكا، هم في جانب إنجلترا، وأن رأيه أن الحرب العامة لا تستمر أكثر من ثلاثة أشهر، ومن المحتمل عقد الصلح بين ألمانيا وفرنسا. ولكن ليس مع إنجلترا إلا إذا كانت ألمانيا تحاصر ولو جزءاً من سواحل إنجلترا، لقطع المواصلات عنها؛ وعند ذلك تضطر أن تطلب منازلة ألمانيا بحرياً. فإذا أمكنها أن تمحو الأسطول الألماني، ولو أفقدها ذلك ثلث مراكبها الحربية، فعندئذ تقبل الدخول في الصلح.

البعثات الخديوية للمحاو بالمحفة التركية. في ٥ نوفمبر أبدى الخديو كدره من عارف باشا؛ لأنه كلفه بمهمة، هي الحصول على بعض استعلامات، فلم يقم بها؛ وقد أملى سموه الأسئلة التالية ليحضر أجوبتها عارف باشا، وهي: —

١) المدة التي يقطعها القطار المنصوص من الاستانة إلى بوزات ، وهل يسير ليلاً ونهاراً ، أو نهاراً فقط ؟ وأين يكون المبيت ؟

٢) المسافة بين بوزاتى وقولاق بوغاز ، وبأية صفة تقطع ؟ وهل توجد سيارات أو عربات ؟

٣) ماهى المسافة بين قولاق بوغاز واسكندرونة بالسكة الحديد ؟ وهل تقطع نهاراً وليلاً ، أو نهاراً فقط ؟ وأين يكون المبيت ؟ وما هو الأفضل : طريق اسكندرونة - حلب ، أو طريق معمورة - حلب ؟

٤) المسافة بين اسكندرونة لحلب . ٢٤٠ كيلو متراً على ما يقال ؟ فهل المسير على عربة أو سيارة ؟ وكى يستغرق قطعها ؟ وأين يكون المبيت ؟

٥) من حلب لنابلس ، من أى طريق يكون المسير ؟ وهل توجد عربات للتغير ؟ وماهى المسافات والساعات اللازمة لقطع كل مسافة ؟

٦) من بعد نابلس إلى الحدود المصرية ، هل يوجد طريق للعربات والسيارات ؟ ومعرفة المسافات والساعات ؟

٧) ما كيفية نقل العفش ؟ هل يكون على عربات ، أو على دواب ؟ وقد تقرر أن تكون التجريدة إلى الحدود من قبل الحديو مؤلفة من الشيخ محمد عثمان ، واليوزباشى محمد افندى زكى ، والملازم الثانى أحمد سلام افندى ، من ضباط المحروسة ؟ وعسكريين سودانيين ، وسائس ؟ ومعهم من الركائب أربعة خيول

وهذه هى الأوامر التى صدرت مساء اليوم :

١) تجهز ثلاثة خيول للركوب ، ورباعها الحصان الأبيض ، وعليها أربعة سروج ، منها اثنان خصوصيان ، واثنان عاديان ؛ وأدوات نظافة وعليق وتبن لمدة ثلاثة أيام . تصحن الساعة الخامسة من صباح يوم الجمعة ٦ نوفمبر ، ومع الشكل سائس واحد وعسكريان سودانيان

٢) عند الوصول لنابلس تترك الخيول وأدواتها والسائس وعسكري سودانى والملازم سلام ، ويترك مع الأخير خمسون جنياً عثمانياً ، ومثلها انجليزياً ، ويخصص من كل من المبلغين خمسة جنهيات للصرف على الملازم والسائس والعسكرى ، لحين وصول عبد الله افندى البشرى ؛ وحينئذ يسلم المبلغ الباقي ، ثم يقوم الشيخ عثمان ، ورسمى

أفندى ، وعسكري سودانى للعريش ، ويتخذونها من كزرا

(٣) بواسطة الشيخ القالوجى والشيخ صكرى من أهالى العريش ، يبحث عن الأشخاص الذين كانوا مستخدمين فى الحكومة المصرية ، وفصلوا منها . وبعد ذلك يؤخذ من كل فرد منهم على حدة ما عنده من المعلومات ، وذلك فى محل أمين محكم ؛ ثم يعمل عنها ملخص فى رسالة ترسل مع مخصوص الحكومة العثمانية هناك ، ويكتب عليه ه مهم ، ليسرع فى إرساله لجبوقلى بالبريد السريع ؛ أما الأخبار المهمة التى يلزم إرسالها بالبرق ، فترسل بالشفرة .

(٤) إذا رفض مأمور التلغراف تسليم البرقية . يخبر قومندان عموم الجيش فى الشام بذلك ؛ وإذا لم يرد منه ترخيص ، فيرسل لنا برقية مفتوحة بذلك .

(٥) عند قيام أى بوسته من طرفهم . يرسلون برقية مضمونها : ه اليوم بوسته مهمة ، مثلا .

(٦) عند الوصول إلى العريش . يلزم جمع من كانوا فى خدمة الحكومة وفصلوا ، من عساكر ، وسعاة ، وعمال تلغراف ، ومخبرين ويسلمون لرسى أفندى ، لترتيبهم حسبما كانوا قبل فصلهم ؛ إلا الذين يكونون فى خدمة الجيش العثمانى .

(٧) يقيم الشيخ عثمان فى العريش . ويكون رسى أفندى مع الدوريات التركية ، بعد الاتفاق مع ضباط الجيش ، بحيث لا يكونون مشمزين من ذلك .

(٨) يكون البوليس فى العريش مع رسى أفندى فى الدوريات .

(٩) تتحقق من الأشخاص الذين يتجسسون لحساب الإنجليز ، ويخبر عنهم .

(١٠) عند الوصول إلى طوروس ، يستفهم بطريقة غير محسوسة عما عمل من الاستعداد لترحيل حملة الخديو .

(١١) ترسل برقية من آخر نقطة يصلون إليها ، إن كان بالعريش تلغراف .

(١٢) يرسل من كل محطة كارت بوستال ، كتقرير مختصر عن كل ما يرى .

(١٣) أخذ عليقة ثلاثة أيام من أطلنه ، وخمسة أيام من نابلس ، بمرقة سلام أفندى

(١٤) مقابلة قومندان الجيش بالشام . والتكلم معه فى شأن إرسال التلغرافات الشفرة وغيرها مجاناً عند النقطة المركزية للحملة ، ويؤخذ منه جواب المركز بذلك ، ويستعمل منه عن آخر نقطة فيها تلغراف .

١٥) يرسل تلغراف من أطنه لعبد السلام الحسيني بالقدس، للحضور لنا باس ؟
ويستفهم منه عما إذا كانت توجد هناك خيام جاهزة ، وما نوع قماشها ، وما حجمها ؟
ويكتب بذلك مذكرة .

١٦) يبحث عن الخيام بالبشام ، ويعلم حجمها ، وعدد غاناتها ، وثمنها ، وجنس
قماشها ؟ ويرسل بها مذكرة .

١٧) يبحث في العريش عن محل للمعسكر الخديوي ، وهل جرى في القلعة شيء ؟

١٨) إذا كانت الحكومة لم تحتل العريش للآن ، فيكون مركز الحملة خان يوسف
بالليل ، ونهاراً بالعريش ؛ مع الحذر .

١٩) عند وصول الحملة إلى النقطة النهائية ، يرسل تقرير لعبد الله أفندي البشري
صورة منه لسلام أفندي ؛ وصفاً للرحلة .

٢٠) الإقامة بالعريش تكون بمنزل كريم أو القالوجي أو بالقلعة ، إن
كانت سليمة .

٢١) عند الوصول إلى غزة يستعلم عن كيفية ورود المخبرات التي كانت جارية
بين قنصل انكلترا بها ومحافظ بور سعيد ، ومن هم الذين كانوا رسلهما .

٢٢) يجمع العرابان والمشايخ ، ويخطب فيهم بالواقع ، لتفهيمهم سوء معاملة
الانجليز للخديو ، واستعداد سموه للدخول لمصر عن طريق البر . . . الخ .

وقد سمع عارف باشا من نظارة الحربية (ولعله من سليمان نعيان باشا الحكيم)
أن سمو الخديو سيكون قومنداناً عاماً للحملة التركية .

وفي ٦ نوفمبر جاء طاهر رمزي باشا رئيس الباوران الخديوي سابقاً ، وطلب من
أفندينا أن يكون في خدمته عند الزحف على مصر ، كما أن الدكتور رؤوف باشا التركي
الذي توطن في مصر ، وحضر للاستانة ، طلب ذلك .

وفي ١٥ منه سافرت البعثة الثانية إلى الحدود ، وكانت مؤلفة من القائمقام توفيق
فهي بك ياور الجناب الخديوي ، ومسعود أفندي عمر الملازم ، والصول موسى محمد ،
وهما من السودانيين ، وسبعة خفراء من الأتراك (قوروجية) ، وأربعة من العساكر
المصريين ، وتركيبين من سائقى السيارات ، وثلاثة خيمية ، وأربعة سياس من المصريين ؟



توفيق فهمي بك

ومصريين ومعهم تعيينات ومهمات وخلافه . وكان يرافقهم اسماعيل لبيب بك ، حاملاً نسخ المنشور الحديوي (١) ، ومعه ٥ من الشبان المصريين الذين كانوا يدرسون الطب في لوندنره .

وفي غروب يوم ١٦ منه ، وردت برقية بالشفرة من الشيخ محمد عثمان بدمشق الشام ، يقول فيها إنه تقابل بكريس بك رئيس أركان الحرب الألماني مع قائد القوة هناك ، بأن كريس بك أجابه إلى كل طلباته ، وبالطبع منها إرسال تليفراف بالشفرة ؛ وقد علم الشيخ أن التجريدة العثمانية لا ينتظر سيرها على مصر قبل سبعة أسابيع ، وذلك لإتمام المعدات اللازمة لهذه الحملة ؛ وأن ألني عري ، بقيادة ممتاز بك (صديق أنور باشا ، وكان معه في طرابلس ، ومدنوبه على الحدود المصرية) قد تحركوا على سكة العريش ؛ وأن ألني عري آخرين تحركوا بقيادة ضابط آخر من جهة طريق العقبة . والمهم في هذه البرقية هو أن الجناب العالي يستطيع الآن أن ينتظر مدة في الاستانة إلى أن يقرب تحرك الجيش الحقيقي بعد سبعة أسابيع ؛ وهذا ما يفسر أن أنور باشا كان على الدوام يدعو أفندينا إلى الانتظار .

(١) لم يكن المنشور قد أعدم حتى هذا التاريخ ، كما سبق في المذكرات

وفي ١٧ منه وصلت برقية ثانية بالضرورة من النسخ عثمان ، هذا نصها :

« كريس بك غير موافق على إرسال بعثة عبد الله فوراً إلى العريش ، ويستحسن بقاؤها في دمشق أو بيت المقدس ، حتى يصل ترتيب ؛ لأنه يحتمل أن إرسال بعثة الجناب العالي من ينبع إلى العريش ، ومعها باشجاويش وثمانية أنصار ، يلتفت إليها . أما نحن فلا مانع من وجودنا بالعريش ؛ وهو يلح في رجا . المحافظة على كتابان سر سركاتهم ، وينصح ألا يقوم الجناب العالي من سبيل في . إلا بسد أن يتحرك هو بذلك . لأنه أعلم من غيره .

وفي ١٨ منه رأى الخديوي عمل يومية عن تنقلات البعثة من أقران وسومات . وأمر بمجمع الأوراق المتعلقة بذلك ، كما أمر رمزي طاهر باشا بمراجعتها .

وفي ١٩ منه سافر من الاستانة إلى أزمهر . ومنها إلى الضلمان ، سواق السيارة الفرنسي مسيو ليفاسور . ليكون هناك في الضلمان ، ويرحل سيارتين إلى الاسكندرونة ، فينتظر بها الأوامر ليقوم إلى جهة تعين له فيما بعد ، انتظاراً لمرور الجناب العالي بها . وفي ٢٣ منه وصل القائم مقام توفيق بك فحسب قائم البعثة الثانية إلى الاسكندرونة ؛ وكان المقرر أن تبقى بها بقية البعثة حتى يصل إليها الجناب الخديوي .

وفي ١٠ ديسمبر اتقدسموه على محمود افندي رسمي الضابط الذي أرسله إلى غزه . لأنه أطاع جمال باشا ؛ وذهب إلى دمشق بدون إذن سموه .

في ١١ منه ، في أثناء انتقال سموه من جبوقلي إلى بيك ، أخرج من جيبه ثلاث برقيات من القائم مقام توفيق فحسب بك ، قومندان البعثة الخديوية ، يقول فيها : إنه صدر أمر من جمال باشا بواسطة قومندان الجهة ، أن يقوم في الحال من بيلان ، وهي الجهة التي هو بها ، ويرجع إلى الاستانة ؛ وأن أحد الضباط المصريين الذين هم تحت أمره في قولاق بوغاز ، صدر له أمر بهذا المعنى . فأجابه توفيق بك على ذلك بأنه لا يستطيع أن يتحرك إلا بأمر من الجناب الخديوي . وأنه كتب إلى مرعوسيه بهذا المعنى . وبعد هذا طلبت السلطة المحلية أن تنقل الأشياء والحيوانات من بيلان إلى الاسكندرونة ، وأن يبقى هو في بيلان إلى أن يصدر أمر الجناب الخديوي بالقيام . فرفض توفيق بك أن يصعد بهذه الإشارة بالمثل . وأبى أن يتحرك إلا إذا صدر له أمر أفندينا .

وفي ١٢ منه توجه سموه إلى بيك ، وقابل البرنس ابراهيم حلى باشا ، وسيف الله يسرى باشا . ومحمد عزت باشا . ثم محمد فريد بك ؛ وقد أطلعه سموه على

الدرقيات الواردة من توفيق فهو بك ، فكانت وقعها شيئاً جيداً على فريد بك .

شهور الخديوي في ظروف مختلفة . تحت هذا العنوان سيجا . حالات الخديوي النفسية ، وشهوره في بعض الغزوات التي كانت تحيط به في الأستانة ، والقضية المصرية :

في ٤ نوفمبر كان سموه ينكر كثيراً في المصريين بعد إعلان الحرب ، ويتساءل عن حالهم مع الانجليز . ويقول إن الموجودين الآن خارج القطر من السعداء ، فالحمد لله على وجودنا في الأستانة . وقال أيضاً : وأظن حالة رشدي باتنا على الخصوص صعبة سرينده ، وأظهر التأسف والحنان على رجاله ، وعلى المصريين عموماً .

وفي ٥ نوفمبر قال الخديوي : إنني أشعر أن عليّ واجباً مسؤولاً دائماً متى رجعنا إن شاء الله لمصر ، وهو أن أمتنع تدخل الحزب الوطني أو أي حزب آخر في أمور الجيش . بل أجهله بعيداً عن السياسة ؛ وأجعله في الوقت نفسه مطبوعاً لي .

وقال سموه : إن ملك أسبانيا موجود في وسط أحزاب ثورية ، وديمقراطية ، وجمهورية ؛ ولكن القوة التي يعتمد عليها في بقاء ملكه هي قوة الجيش ؛ فانه في قبضة يده .

وفي ١١ نوفمبر كنت بحضرة الخديوي مع فريد بك وليبي بك ، فتأثرت بما فاه لنا به سموه . خصوصاً قوله : « إنني أهتم بالمسألة المصرية ؛ لأنني أعرف أن دم الأهل نشيط ؛ ويجب أن يعمل ، ويتقدم ، وياخذ بالعلوم العصرية ، ويسير في طريق النجاح . وحرماً أن تترك أمة لها هذه الصفات التي لولاها لما كنت أهم بها ، وأشتغل لمساعدتها ، ولا اكتفيت بالثلاث والعشرين سنة في الحكم ، وقعدت في بيتي . فاهتمامي بالحملة واجب عليّ . كما يجب منع كل شقاق يحصل بين الأهالي . نعم إنه توجد أحزاب ، ولكنها ترمي إلى غاية واحدة ، وهي خلاص البلاد من أي احتلال أجنبي . فأنا أساعد الجميع ؛ لأن غايتهم غايتي . »

وفي ٢١ نوفمبر بعد أن تناول سموه الغداء ، أعرب عن أسفه ، لأن الأمة المصرية ليست بقادرة على إثبات حقوقها ، وحفظ كرامتها بقوتها الذاتية ؛ وروى أنه لما كان ولياً للمهد ، كان يقرأ بعض أشياء ووقائع في الصحف . فلا تعجبه بعض التصرفات التي يقرأ عنها . ويفضي باحساسه هذا إلى المرحوم والده ، فكان يصني لما يقول ؛ إلا في مرة من المرات ، دعاه فيها أن يسكت قائلاً له : إن من يقول بقولك يجب أن يعتمد على قوة من الأمة ، والأمة — مع الأسف — ليست بذات روح . وما قاله سموه في هذه

الجلسة في سياق الكلام عن حياته السياسية : إنني لما توليت الحكم كنت صغير السن ، وأقت ثلاثاً وعشرين سنة أنتقل فيها من شدة إلى أخرى : فقابلني في أول أمرى مسألة إسقاط نظارة مصبطنى فهمى باشا ، وبعدها حادثة رياض باشا في اليوم ، وطلب حتى التوقيع على بلاغ رسمى باستحسانى لما شاهدته من نظام الجيش ، فسألته الانتظار حتى نبلغ القاهرة ، وربما تكلمت مع قنصل إنجلترا الجوزال في ذلك . وطلبت منه أن يعدل عن خطته ، فصور لى أنه لا بد من التوقيع قبل دخول القاهرة وإلا حدث ما لا تحمد عقباه . فوقت . وما قصد الانجليز بذلك إلا أن يمسا نفوذى ، وينقصوا من سلطى . وقد بقيت بعد هذا الحادث في حياة كلها صراع ، ودخلت البلد ولم يكن فيه غير مستشار الداخلية ، ومستشار الحقانية من الموظفين الانجليز ؛ ثم ما لبثوا أن ملثوا المصالح المصرية بهم . والمصلحة الوحيدة التى بقيت بأيدىنا ، وهى مصلحة الأوقاف ؛ وكنا نظن أنها تبقى دون أن يمسا الاحتلال ؛ لأن لها علاقة بالدين ، ولكنهم في السنة الماضية أخذوها منا . وقد بلغ من تأثرى المترتب على هذا الصراع الدائم أنى اعتقدت أن شتاء السنة الماضية هو آخر شتاء لى في مصر ، وأن الانجليز سيمنعوننى في صورة من الصور من العودة إلى بلادى . هذا فضلا عن التهديدات التى كانت موجهة إلى شخصى . ثم انتقل سموه إلى فكرة أخرى ، قائلاً : لقد عشنا طول مدة الاحتلال الانجليزى ونحن نقول : يجب ألا نعمل هذا حتى لا يفضب الانجليز . وإنى لأخشى أن تقول من جديد متى دخل الجيش العثمانى مصر ، يجب ألا نعمل هذا حتى لا يفضب العثمانيون ، فنتب على الدوام عبيداً لغيرنا . إنى لست رجل مصلحة ، وإنما أنا أبحث عن مصلحة مصر ، قبل كل شىء .

فاذا كان دخولنا مصر لا يحقق مصلحتها ، فإذا يفيد دخولنا إياها؟ وماذا نجدى عليها عودتنا إليها ، إذا كنا نجد فيها جماعة قد حولوا المصريين من كونهم عبيداً للانجليز إلى كونهم عبيداً للعثمانيين؟ وكيف يضمن أى مناسلاته ، إذا دخل مصر في هذه الظروف؟

ثم وجه الكلام إلى فريد بك قائلاً : لا يبعد أن هؤلاء الناس يأخذونك أنت وغيرك للاعدام أو للسجن ، فهذه حالة سيئة .

وسكت سموه ثم قال : إننى رجل إذا قلت كلمة شرف ، تمسكت بها ، وإنى أحمده الله على هذا الخلق . وقد أعطيت السفارة الألمانية كاتبى : أن أكون صريحاً مع العثمانيين ،

وصافيت رجال الحكومة العثمانية ؛ ولكن هؤلاء الرجال لم يظهروا لنا صفاء يقايل صفاءنا .

وقد اقترحت في نفس هذه الجلسة ثلاث اقتراحات :

(١) أن يسافر فريد بك مع الحملة العثمانية

(٢) أن يرسل معها قوميسيرا يمثل السلطة الخديوية ، وذلك لأنه عند دخول الجيش يجب أن يعلم الناس أن هذه السلطة لازالت قائمة ، ولأنه من الواجب اشتراك هذه السلطة مع الجيش العثماني في القيام بالأعمال التمهيدية اللازمة لحين رجوع الجناب العالي إلى مقر ملكه .

قلت إن هذه الخطة كان قد اتبها المرحوم توفيق باشا في الحوادث العراقية ، إذ أوفد سلطان باشا وبعض ضباط المعية مع الجيش المحتل (وهنا قال فريد بك : وكان مع سلطان باشا والدى أيضاً)

وفوق هذا فان على الحملة مندوباً يمثل جمعية الاتحاد والترقي ، وهو اسماعيل حقي بك ، ومندوباً آخر يمثل ناظر الحرية أنور باشا ، وهو يمتاز بك . فن الواجب أن يسير معها مندوب يمثل السلطة الخديوية

أما الخديو فلم يبد رأياً في هذا الموضوع .

(٣) أن يسافر أحد رجال الجناب العالي كيوسف صديق باشا مثلاً إلى أوروبا ، لتعرف الحالة هناك بالانضمام إلى الأمير محمد علي ، وتكوين هيئة منها للحصول على التأكيدات من بعض الملوك بعدم مس امتياز مصر .

وفي هذا اليوم قال سموه : إن بدرى بك ، الذى تولى التحقيق من قبل الدولة في حادثة الاعتداء ، كان يعارض في القبض على الدكتور فؤاد ، ويقول : إنى أقبض على كل من يطلبون القبض عليه إلا الدكتور ، فلماذا ذلك ؟ وهل بعد كل هذا يسمعون له بدخول مصر ؟ وقال سموه : ولا شك أن دخوله علامة على نيات لانعرفها ، فهم سيولونه إدارة الضبط ، وعند ذلك تصبح البلد سيئة الحال . ثم سكت سموه قليلاً ، وقال : ماذا تكون الحال إذا أمرنا ناظر الحفانية في مصر بالقبض على الدكتور فؤاد ومحاكته ؟ وحينذاك يكون أول إشكال بيننا وبين العثمانيين .

ثم قال سموه على أثر إشارة أباها جلال الدين باشا : إنى رجل عشت مرفوع

الرأس ، وأفضل أن أعيش فرداً فقيراً على أن أكون خديوياً في ظروف لا أستطيع فيها أن أخدم بلادي .

وبالجملة فقد كان الخديو في غاية التأثر اليوم من هذه الحوادث ، وكان كلما أبدى أحد رجال الخاشية أن هذه تدابير الشيخ جاويش أو الصدر الأعظم ، يقول : لا ، هذا عمل رجال الاتحاد والترقي .

وفي ٢٢ منه قال الخديو عن خطة الانحياز إزاء سموه : إنهم ينتظرون قيامي من الاستانة إلى مصر بطريق البر ، ليعتبروا هذه الحركة عصياناً لحكومتهم ، فيشرعوا بعد ذلك في تعيين البرنس حسين كامل ، وفي وضع أيديهم على أملاك الخاشية .

وفي ٢٤ منه ذكر سموه أن الأتراك يفسكرون في الطرق والوسائل الواجب اتباعها لمنع المظاهرات لسموه في أثناء مرور ركابه العالي في البلاد السورية . وما فكروا فيه أن يجعلوا جلالة السلطان محمد الخيامس يصاحب سموه بطول الطريق ، حتى إذا حدثت مظاهرات تكون ممتدة كأنها موجهة لجلالته لا لسموه .

وفي ٢٥ منه ظهرت وطنية سموه بأجلى مظاهرها في أثناء تناول الغداء ، وكان الكلام دائراً على الوطنية ، فقال : كيف لا تكون لي وطنية مصرية ؟ إنني لو رفضت عائلي هذه الوطنية لتبرأت منها . وكان هذا بمناسبة قول الدكتور سيد كامل ، بأنه عمل بدلة نفر عسكرية ، ووضع له أزراراً مصرية . فقال أفندينا : نعم ، وفاه بالعبارة المتقدمة .

في أول ديسمبر بعد مقابلة عباس تشفير ألمانيا ، وكلام سموه له بشدة عن معاملة الأتراك السيئة له ، روى لنا ما جرى بينهما وهو متألم أشد الألم ، حتى أنه قال :

إنني لم أخطئ مرة في عمري مثل هذا الخطأ ، ولم أفزع على بوزي (وجهي) مثلاً وقت في هذه المرة . وأنا لا أدري بأي وجه أقابل الناس بعد وقوعي في هذا الفخ (أي بعد الثقة في رجال الدولة العثمانية ، وعدم مقابلتهم المثل بالمثل) . بأي وجه أقابل حسين رشدي باشا ، وقد أرسل يقول لي أن سياستي عظيمة الخطأ ؟ وعدلي يكن باشا وهو الذي كتب تلغرافاً مفتوحاً بأنه لا يوافق على هذه السياسة ؟ والمسكين محب باشا الذي بقينا نقتعه بصواب سياستنا حتى قال : ها إنني معكم ، وأباهه باشا الذي كنا نقول دائماً إنه لا يلبث على مبدأ ؟ وعثمان مرآضي ؟ هؤلاء الناس محقون ونحن المخطئون !

وذكر الدكتور سيد كامل لسموه أنه من الضروري ترك الأستانة في أقرب وقت ، والإقامة في الخارج إلى أن تنتهى الحرب ، وأن ما يجب أن يبنوا به في الوقت الحاضر هو الخروج من أرض الدولة .

فقال الخديو : المسألة أن نخرج سالمين . ثم قال : لستم أنتم الذين أصابكم الرصاص الذى أصابنى .

وذكر الدكتور سيد كامل أنه يجب بعد الخروج من حدود الدولة ، أن تصيح سياستنا قوية ، بحيث لا الانجليز ولا الأتراك يستطيعون أن يعيبوا علينا خطتنا ، لأننا مخلصون لمبادئنا في خدمة مصر ، من أول الأمر إلى النهاية .

فقال الخديو : إن الأتراك أظهروا اشمئزازهم لفكرة مصاحبة سموه للجيش العثماني إلى مصر ، حتى أن ولي العهد عر الدين أفندي طلب أن يرافق هو هذا الجيش بدلا من الخديو الذى هو أجنبي ، على قول ولي العهد . والخلاصة أن سموه كان يتألم لأنه وثق بالأتراك ، وتعاهد معهم ، نفاونا عهده؛ حتى أنه قال :

« إننى لا أكاد أصدق أن هؤلاء الأتراك وهم مسلمون مثلى يمدعوتنى هذه الخديعة »

في ٧ ديسمبر توجه الجناب الخديوى إلى بيك ، حيث زاره فيها الدكتور خيرى باشا الطبيب الخاص لجلالة السلطان ومعه ثابت بك ، ودار الحديث بينهما وبين سموه في مسألة زواج الأمير عبد المنعم من إحدى كريمةات السلطان ، فأظهر سموه نفوره وعدم ارتياحه لمحدثته في مثل هذه الظروف الحاضرة . ثم قال بالفرنسية : كنت أرى أن أصفح ، ولا أكلم في مسألة زواج . هل هذا الوقت وقت زواج ؟ وفى أثناء تناول الطعام اليوم ، صرح الجناب العالى بشدة ميله إلى فرنسا ، وأسفه على المصائب العظيمة التي تحيق بها في الوقت الحاضر .

وفى ١٠ منه حادث سموه حاشيته كالمعتاد ، فظهر أن ينظر إلى مستقبل القطر عند دخول الأتراك نظرة سوداء ، فقد طعن في إدارة الأتراك ، وتكلم عن عدم كفاءتهم للحكم ، وذكر خطبة لسعد باشا زغلول عن حكم المصريين لأنفسهم وقال ، إننى أحمد الله لأنه لا طريقة للواصله بينى وبين سعد باشا . وسيعلم الأتراك من كلام سعد باشا أن هذا هو إحساس المصريين بدون تأثر منى . أما الفريق الدينى المتطرف من الحزب الوطنى وعامة الشعب فسيمجد الأتراك ، ويظهر نزورا لتوليم الحكم في القطر . ،

ثم أبدى سموه تخوفه الشديد من أعمال الأتراك في مصر، وأنه يتوقع منهم التخريب؛ ولكن الذي يخافه أكثر هو ليس التخريب المادي، بل لإفساد الأفكار وتسميمها، حتى أن سموه يتوقع أنهم متى دخلوا القطر، هيأوا ثورة في البلاد سيئة العاقبة. وكان دائماً يقول: إن الأتراك بمجرد دخولهم ينشئون في طول القطر وعرضه جمعيات للاتحاد والترقي، فيقسمون الشعب أحزاباً غير مفيدة للبلاد؛ وكذلك يستعمل القائد جمال باشا سلطته، ويمتص دم المصريين؛ ويجلس أحد المصريين المعادين لنا على بابه ككشريفاتي، ليدخل العمدة والأعيان، فيأتونه بالمال والعتار. ثم قال سموه: ومن يدرينا إذا كانوا يستعملون ضدنا السلاح من جديد (مشيراً بذلك إلى حادثة الاعتداء) واستشهد سموه على ما تقدم بأن الأتراك أدخلوا إلى مصر كمية عظيمة من الديناميت؛ ثم عاد فأبدى خوفه الشديد من أن ينقاد المصريون إلى الأتراك انقياداً أعمى، وقال: إن الأتراك ينوون إبقاء جيش منهم في القطر (وهذا ما سمعته أنا أيضاً عندما كنت في روما من السفير العثماني) يقدر بثمانية آلاف عسكري، لتعليم الجيش المصري. ثم عاد سموه فأظهر أن الحزب الداخل إلى مصر مؤلف من فؤاد سليم بك، والدكتور أحمد فؤاد، وحلي المسلي افندي، وأمثالهم، سيشتغلون باعداد حركة ثورية في مصر.

وقد حاول جميع الحاضرين تخفيف هذه الصورة السوداء التي رسمها سموه. ولكنه لم يقتنع، وقال: سأذكركم بكلامي هذا فيما بعد، فلا تنسوه.

وفصل سموه سياسة الأتراك نحوه في هذه الأيام الأخيرة، قائلاً: إن رجال الحكومة هنا كانوا يريدون أن يدخلوا مصر، ثم يضطروا مجلس النظار إلى قبول شروط يضعونها له، ثم يعودوا فيقولوا لي ها قد قبل مجلس النظار شروطاً كيت وكيت، فاقبلها أنت بالمثل، ويجعلوا دخولاً إلى مصر معلقاً على قبول هذه الشروط. ولما علت أن هذه العووبتهم، عمدت إلى طريقة لا قبل لهم بها، فلم يستطيعوا مجاوبتي. وسنساغر من هنا حيث نجبت سياستهم القاضية بالزامنا قبول شروط يتوقف عليها دخولنا مصر.

وقال جنابه العالي بخصوص ما نقله محمد راسم بك عن قول محمد سعيد باشا: أنا أرفض رئاسة مجلس النظار؛ لأن خديو مصر ليس هو الذي يعينني، بل يقول: لأن الخلافة في حرب مع إنجلترا وهذا كلام كاذب يقصد به التلحق بأدى ذي بدء إلى رجال الحكومة العثمانية.

وفي ١٤ منه قال سموه إننى قد انتهيت من دورى فى الحديوية المصرية ؛ لأن
الانجليز إذا انتصروا فلا أستطيع أن اشتغل معهم .

قولى إيطاليا من الحملة التركية والتأمينات واشتراؤ القلوب وبعدهم الهجراد .

فى ٦ نوفمبر بناء على تمهيد يوسف صديق باشا لدى سفير إيطاليا ، وبناء على أمر الحديو ،
زار اليوم فريد بك السفير المذكور ، وأكده له بصفته رئيساً للحزب الوطنى ، أن
الاهالى لا ييفضون إيطاليا ؛ وأنه فى حالة دخول الحملة إلى مصر ، لا تقوم الاهالى بأى
عمل عدائى ضدها ، وأنه يرجو أن تتحسن طرق المواصلات بمرأ بين طرابلس ومصر ،
ويتسع نطاق التجارة ؛ فأظهر السفير ارتياحه لقول فريد بك .

وقد قال الحديو إن بعضاً من رجال الحزب الوطنى جرى مع الطليان على خطة
تجعلهم لا يحسنون الظن بهم ، لأنهم طلبوا مبلغ مليون فرنك عن كل أسير من الطليان
عند السنوسى ، وكانوا أربعين ألفاً ، ونزلت المساومة إلى ألف فرنك عن كل واحد ،
وقال عبد الله طلعت بك لسموه بأنهم طلبوا مبلغاً كبيراً فى البداية ، حتى يصلوا إلى المبلغ
الصغير فى النهاية

وفى ٧ منه اجتمعنا عند فريد بك ، وكان معنا اسماعيل لبيب والدكتور سيد كامل .

واقترحت الجلسة بالحديث عما نشرته الجرائد التركية والالمانية فى سياسة الدولة
مع إيطاليا ، وأن الأتراك لا يضمرون لها سوءاً من تجر يدتهم على مصر . فقلت إنهم
عملوا ما يجب عليهم ، كما أن فريد بك روى الحديث الذى حصل بينه وبين سفير إيطاليا

وفى ٢٥ نوفمبر زار سمو الحديو سفير إيطاليا ، فقال له السفير إن سفيرى ألمانيا
والنمسا حضرا ، وأكدها لى أن التجريدة التركية لا تغير شيئاً فى حالة مصر السياسية ، ولا
فى الحديوية . ولكنى أسمع الآن أقوالاً كثيرة ، منها أن الأتراك ينوون ردم القناة ،
فأين تذهب مصالح إيطاليا فى هذه القناة ؟ ثم أسمع أنهم يريدون جعل مصر ولاية
عثمانية ، وهذا يخالف ماسمته أولاً ؛ وأنه يوجد خلاف بينكم وبينهم . فقاطعه سمو
الحديو قائلاً : لا . ليس بيننا خلاف .

فأجاب السفير : إننى سمعت أنهم أرسلوا الدكتور احمد قواد إلى مصر ، فاستغربت
هذا الخبر . قال أفندينا : كل هذا إن شاء الله يزول ، وأؤمل أن الايطاليين يكون لهم حظ
وافر ، ومناصب بمصر أرقى مما هم فيها . فسر السفير من هذا الكلام ، وقال : إننى لا أعلم

كيف تتمكنون من نزع السلاح من أعوان السنة سير إذا انضموا والمصر، وآسأهوا .
وأخذوا ما يلزمهم من الذخيرة (وهي فكرة سياسية تقدم لها إيطاليا وتقدم وتلجس
عدم مكث الأتراك في مصر حتى لا يشتد ساعد السنوسيين) .

وفي ٢٧ منه وردت إشارة تليفونية على سراى بيك من يوسف صديق باشا ،
يقول فيها بأن السفارة الإيطالية أرسلت بركة بالأمس تبلغ كلماتها ألفي كلمة ، وشملت
المسائل التي تمناها وتمهنا ، وذكر أن سفير ألمانيا تكلم مع طلعت ، وأنور باشا ، و خليل بك
رئيس مجلس المبعوثان ، لاعطاء التأمينات لسفير إيطاليا بخصوص الحملة التركية على مصر
اشتداد القلق لاعلان الجهاد : وقد أعلنت الدولة الجهاد الديني ، فكان ذلك سبباً

في اشتداد قلق الإيطاليين(*) :

فتوى إعلان الجهاد :

إذا هوجم الاسلام من قبل أعدائه هجوماً ما ، يهدد كيانه ، ويجعل البلاد الاسلامية
عرضة لفضهم وغارتهم ، حتى خيف على النفوس الآمنة بها أن تقع في ذل الأسر
والاستعداد ، ودعا الخليفة إزاء هذه الحالة جميع المسلمين في مختلف الأنظار للذود عن
حوزة الاسلام ، والدفاع عن عربنه . فهل يفرض عليهم أجمعين ، شباناً كانوا أو شبوخا ،
مشاة أو فرسانا ، المبادرة إلى إجابته بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ؟ عملاً بقوله تعالى
« انفروا خفافاً وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » . الجواب : الله أعلم ، يفرض
عليهم ذلك فرض عين

كتبه الفقير اليه تعالى

خيرى بن هونى الأركوبى

عنى عنهما

هل يفرض والحالة هذه على المسلمين القاطنين في البلاد التابعة للدولة الانجليزية
والفرنسية والروسية وغيرها من الحكومات التي قد أظهرت الآن عداها الكامن نحو
الخلافة الاسلامية ، وأرادت أن تطفىء نور الاسلام - لا قدر الله - بأن هاجمت مقر
الخلافة ، وسأثر بلادها بجيولها ورجلها وأساطيلها ، أن يشقوا عصا طاعتها ويبدروا إلى
قتالها ؟ الجواب الله أعلم ، يكون ذلك فرضاً عليهم . كتب الفقير إليه تعالى

خيرى بن هونى الأركوبى

عنى عنهما

وإذا تخلف، والحالة هذه، بعض المسلمين عن أداء واجبه؛ في حين أن الغرض لا يتم إلا بتنبية الكل لنداء: «انفروا جميعاً». هل يقترف بتخلفه هذا إثماً عظيماً، يجلب غضب الله عليه، ويستحق العقاب؟ الجواب: الله أعلم، يستحق ذلك.

كتبه الفقير إليه تعالى
خيري بن عون الأركوبي
عق عنهما

وإن قاتل، والحالة هذه، المسلمون القاطنون في البلاد التابعة للحكومات المحاربة جيوش الدولة الإسلامية، ولو كان ذلك باكرام من الحكومة المذكورة، بأن تقتلهم أنفسهم أو أقاربهم؟ هل يحرم ذلك عليهم قطعاً، ويعتبرون قتلة يستحقون نار الجحيم؟ الجواب: الله أعلم، يكونون مستحقين له. كتبه الفقير إليه تعالى

خيري بن عون الأركوبي
عق عنهما

ولو حارب، والحالة هذه، المسلمون الذين تحت إدارة الحكومات المعادية للدولة الإسلامية وحليفاتها ألمانيا والنمسا؛ وهي إنجلترا وفرنسا وروسيا والهراب (يوغسلافيا الآن) وقره طاغ الموالية لها؛ هل يأثمون بذلك وينالون ألم العذاب؟ الجواب: الله أعلم. يأثمون لأن الدولة تتضرر من عملهم هذا. كتبه الفقير إليه تعالى

خيري بن عون الأركوبي
عق عنهما

وفي ٢ ديسمبر بينما كنت في القطار في ميلانو قاصداً روما وجدت طليانياً يظهر عليه أنه من السياسيين، إذ تبين لي في محادثة دارت بيننا، تخوف إيطاليا من إعلان تركيا الحرب الدينية، فقلت له إن الدولة لا تعنى البلاد الإسلامية الواقعة تحت حماية إيطاليا، وأنها أعطت التأكيدات القوية بذلك، فقال: ولكن كيف يمكن منع التعصب الديني، وقد قام العرب الآن بمحاربة الإيطاليين؟ والخلاصة أني فهمت منه أنهم لا ينظرون إلى حرب الدولة في مصر بعين الارتياح.

وفي أثناء وجودي أيضاً في روما، ظهر لي أن القلق سائد فيها من جراء الحملة التركية على مصر، ومن إعلان الجهاد، سواء كان ذلك في دوائر الحكومة، أو بين الأفراد، فليراجع القارئ ذلك في محله.

كيف تخبر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين

في حاله . لما دخلت تركية الحرب انقطعت المراسلات بين عباس والقائمقام ، وأعد الانجليز للوقوف عنده ، وتيقظوا لخطورة الساعة ، ونشروا عيونهم في أرجاء البلاد ، تراقب وتتجسس وتعمل ؛ وكان الذين يفتدون من الخارج ، وعلى الأخص من بلاد الأعداء ؛ أو من البلاد التي تماثلها - موضع تفتيش دقيق ، ومراقبة صارمة ؛ فكيف استطاع سمو الخديو أن يدخل إلى مصر - وهو على هذه الحال - رسائله ؟ هالك الجواب :

في ١٩ نوفمبر سافر الباشجاويش على إلى الضلجان . وكان الغرض أن يندس بين المهال السنوسيين الذين فيها ، ويرحل معهم إلى مصر ، باعتباره بحاراً ممن كانوا يشتغلون بجهة رودس ، وأوقف عمله ، فيرجع إلى مصر ؛ ومتى وصل إلى الاسكندرية يقابل بعض المصريين ، ويعلم منهم أخبار مصر ، ويكتبها في ورقة ، ويضعها بين شق لوح خشب ، من صندوق يحمل فيه ملابسه ، ويهربها ، ويحضر بها إلى الأستانة .

وفي هذا اليوم تشرف (ف . افندي) بمقابلة الخديو في جبوقلي ، وأمر أن تكون عودته إلى مصر ، ونفقاته في الطريق ، على الجيب الخاص .

وقد كلف (ف . افندي) بأن يقابل عند وصوله إليها أحمد صادق بك ، ويعرفه . بأن الأخبار مقطوعة عنا ، وألا يترك بوسته تسافر إلا يرسل شخصاً معها إلى جبوقلي . يودعه أخبار مصر ، وأن يرسل أحمد قبودان ، وأبرهيم قبودان في بردين متواليين . ويستمر على إرسال الرسل ؛ وأن تكتب الأخبار - بالخبز أو الرصاص - على حرير أبيض يخاط داخل بطانة معطف أو جاكته أو سروال ، وألا يكون الرسول من المعروفين بعلاقتهم مع السراي ، ولا تؤخذ له تذكرة إلى الأستانة مباشرة ؛ وإنما إلى رودس أو إلى حيفا ، بجهة الذهاب إلى المدينة المنورة .

وكان في الأستانة محمد افندي أبو نافع ، أحد المنتهين إلى الخديو ، وهو معروف بالجرأة والقدام ، فكلفه الخديو بادخال رسائله إلى مصر ، ودفعها إليه ، وقال له : هذا وقتك يا أبا نافع ؛ فأجابته باستعباده لتنفيذ أوامره ، ثم قال : هذه هي الرسائل وادفنها بيدك لأصحابها ، وكتب هذه الرسائل في جبوقلي بحب باشا ، وصاحب هذه المذكرات ، ويوسف صديق باشا ، وعبد الله البشري بك ، والدكتور سيد كامل - باملاء سموه . وقد وقع على بعضها ، ووقعتنا نحن على الآخر .

وكان الدردنيل مقلداً في ذلك الوقت ، والآتراك يعملون على ملئه بالأسفام ، وتحصينه ، فأخذ أبو نافع ، القطار إلى دده أجاج ، ومنها استقل الباخرة الأمريكية التابعة لشركة الحاج داود إلى مصر. فلما وصل إلى يبريه ، أرسل عيون الإنكليز برقية مستعجلة إلى السلطات الانجليزية بمصر ، يلتمتون نظرها إلى مصرى قائم مع هذا الوابور.

وقد علمنا فيما بعد أن الباخرة وصلت في المساء ، وفي صباح اليوم التالي ، صعد على ظهرها بعض الضباط الانجليز ، وحصلت مشادة كبيرة بينهم وبين القومندان ، فكانوا يصرخون فيه بالانجليزية التي لا يعرفها ، وهو يصرخ فيهم باليونانية التي يجهلونها . وجاء المسيرى بك إلى المركب في الساعة العاشرة ، واجتمع بأبي نافع ، ونصح إليه أن يعدم الرسائل التي يحملها ، وأفهمه بأن موظفي السراى أوصدوا أبوابهم حين علوا بقدومه ، خيفة أن يمر برسائله عليهم ، وسافروا إلى مصر. ولكن الموقف كان يتطلب رجلاً كأبي نافع حقاً . . . فانه أعطى كلمته لمولاه بأنه يوصل الرسائل لأربابها ، وكان عليه أن يعمل الممكن وغير الممكن لتحقيق الارادة السنية . وكيف كان يستطيع إعدام الرسائل والجند تحيط بالمركب من أسفل ، والضباط يملأونها من أعلى ؟ وهو إذا حاول حتى إحراقها ، أوقع نفسه في شبهة جسيمة ! فلما انتصفت الساعة الحادية عشرة كانت المشادة بين ربان المركب والضباط الانجليز قد بلغت أشدها . فاتهره أبو نافع ، الفرصة ، ونقل حقيقته إلى الغرفة التي تجاور غرفته ؛ وكانت لقصص الروسيا في بيروت ، ومعه أسرته ؛ ثم أسرع فتدخل في المناقشة بين القومندان والضباط الانجليز ، وترجم بينهما من الانجليزية وإليها باليونانية ، ففرح الطرفان بوساطته ، وزال سوء التفاهم من بينهما . ثم داهما للبدء بتفتيش غرفته ، ولما فرغوا منها وجاوزوها لغيرها ، أعاد حقيقته إليها . وبهذه الحيلة نجح في اجتياز العقبة الأولى من مخاطرته .

وكان أبو نافع (حماة اسبانيولى) ، والخبر الذى وصل السلطات كان عن مصرى يحمل الرسائل ؟ فلما دفع إلى الضباط بجواره أدخلوا سبيله ، على أن يقصد إلى الجرك ليفتش مرة أخرى . وفي ذلك الوقت وصل منيب أفندى من موظفي السراى الخديوية ، ومعه فلوك من فلانك المحروسة ، يسيرها ستة من البحارة المصريين الأشداء ، فنزل معهم ، واستقلها إلى ناحية الجرك . فلما غاب عن المركب ، ودنا من الجرك ، أمر البحارة فاتجهوا بسرعة وبخفة لناحية الحوض الذى ترسو المحروسة فيه ، ثم خرج من رصيفها إلى السراى ؛ ولما لم يجد أحداً بها توجه إلى المحطة رأساً . وهناك وجد كبار

الموظفين ، وكان أباطه باشا معهم ، يقصدون الرحيل بقطار الساعة السادسة مساءً إلى القاهرة ، فركب معهم ، وكان الذهر من وجوده بينهم يقرأ على جباههم ، وسلمهم الرسائل التي تخصهم . ثم استقل هو قطار الركاب إلى القاهرة ، وسلم الرسائل إلى أصحابها . ذلك تفصيل وصول رسائل سمو الخديوي إلى أصحابها ؛ أما مضمون هذه الرسائل فكانت توصية من سموه لكبار ملكته بأن يقفوا في صف بلادهم ، وألا يأمنوا خصومها ، وبأنه اعترزم على أن يعمل على تحرير بلادهم ؛ وطلب إليهم أن يكونوا عند حسن ظنه بهم .

قبض الإنجليز على بعض المصريين المواليين للخديوي ونفيهم إلى الخارج : لما سافر عبد الله البشري أفندي بالأمر إلى دده أجاج ، اتصل بجارة الباهرة سعيدية . وقد علم من التحريات التي أجراها :

أولاً — أن الحالة في مصر على ما هي عليه ، وأن مصلحة الخاصة الخديوية والمعية السنية تفتعلان كالمعاد .

ثانياً — أنه قبض على بعض المصريين ، وأودعوا سجن القلعة أو طرده ، ومن بينهم محمد إبراهيم أفندي رئيس القسم التلغرافي في المعية السنية ، وحسن حلى بك ، وحامد الملايلى بك من رجال التشريفات ، وياور آخر ، والمظنون أنه حسن حلى شفيق أفندي — وقد أرسلوا إلى مالطة .

ثالثاً — أن البرنسات : محمد على ، وعزيز حسن ، وكال الدين ؛ ومحب باشا ، قد أخرجهم الإنجليز من مصر ، على أن يقيموا في إيطاليا .

فقال سموه عندما علم بهذه الأخبار ما يأتي :

« إن حامد الملايلى بك كثير الكلام . فهو ينتقل من فندق إلى آخر ويتكلم ؛ ولكن الذي لا أفهم له معنى هو القبض على حسن حلى بك الغلبان . ثم قال سموه إنه من الغريب لما كان في الاستانة ، كان يقول إن المصريين يقاومون عن آخرهم هجوم الأتراك على بلادهم . ولما دخل عند الإنجليز فبضوا عليه .

وقد قبض الإنجليز على أبي نافع لتسليمه الرسائل لأصحابها . وقد كتب سمو الخديوي كتاباً للمتقلبين المصريين . هذا نصه :

« عزيزي حسن :

« عليك بخبر اعتصالك . وأمين حلى . وأبي نافع . والمصاحي . والملايلى ،

وعبد الرحيم صبحي . وإرسالكم إلى مالطة ؟ فيقدر ما ساء في الحجر على حريبتكم ، قد سرفي إخلاصكم وحميتكم . إنني أعطف من قلبى عليكم ، وأقدر تضحيتكم . ولا شك أنكم تحتفلون الأسر بالشجاعة الممهودة فيكم . إن الله أعظم من أن ينسى لبلادنا مظالم خصوصتنا . وإذا كان من المي أن أعرف بما أصابكم في سبيل البلاد ، وفي سبيلى ، فاني مبتهج في الواقع لمضى الانجليز في التشكيل بالبلاد ، وبأهلها ؛ ليعلم من يحسن الظن بهم أن هذه فصالحهم . ولما تصح البلاد لهم فما يفعلون غداً إذا تحقق لا قدر الله حكمهم بضمها للأملك الانجليزية ؟ أقبلكم فرداً فرداً ، وأرسل إليكم نجيحة مبروجة بشوق وعطف وسلام ؟

عباس حليم

وفي ٢٣ نوفمبر حصلت مباحثة أمام أفندينا ، كان موضوعها كيفية إرسال تعليمات إلى رشدى باشا عند دخول الجيش التركى إلى العاصمة ، خوفاً من أن جمال باشا يستأثر بأعمال مصر الداخلية ، وربما ارتقى الأهالى على أقدامه ، وتملقه رجال الحكومة أكثر من اللازم . فأجاب أحدنا بأن (ى . بك) ينوى دخول مصر ، فيمكن أن ترسل إليه أوامر أفندينا ، وهو يبلغنا إلى رشدى باشا ؛ فقال سموه إنه لا يمكننا الاعتماد على البك المذكور ، لأنه ربما منعه الانجليز من دخول مصر ؛ واقترح إرسال المسيو سمناتى المهندس المعمارى ، وابنه الموجود في إيطاليا . وفكر ابراهيم أدهم بك في تكليف الشيخ حازم الموجود بالمدينة المنورة بهذه المهمة . وطلبنا حضوره إلى حيفا ، وهو مقدم الحمل المصرى ، ومعروف عند الحكومة ، وذكى ، وله معاملة مع المالية المصرية . فلاحظ أفندينا أنه ربما منع من دخول مصر ، ولم يتقرر شيء .

وفي ١٤ ديسمبر بينما كان عباس في الرفاص ، قاصداً المحطة للسفر منها إلى فينا ، وجه كلامه إلى الشيخ البورينى إمام سموه ، فقال إنه مكلف بمأمرين اثنين ليقتضيهما بمجرد وصوله إلى مصر :

الأولى : عليه أن يسمي ، ولو بالواسطة ، لتعريف احمد صادق بك بتوصيل نقود سموه ، ذهباً كانت أم ورقاً مصرياً ، إلى إيطاليا ، باسم احمد شفيق باشا ؛ ويكون التوصيل إما بواسطة رسول لا يعرف أنه من السراى ، سواء كان وطنياً أو أجنبياً ، أو بواسطة بنكردى روما .

الثانية : هي أن يأخذ معه أوراق التوكيل الرسمية ، ويضعها تحت بطائه الحقيقية .

وبمجرد وصوله، يتفق مع عثمان مرتضى باشا، واحمد صادق بك في عمل الوقية اللازمة بحضور مأذون العقود في المحكمة الشرعية .

وكان سموه اشتغل منذ عشرة أيام في إعداد توكيل شرعى للشيخ البوريني، يخول له حق رقب جميع أملاك الجناح العالى في مصر . وقد وضع في التوكيل جميع شروط هذا الوقف بالتفصيل .

عشرى مصر بين عباسى وهز الدين وسعيد مهلم . في يوم ٢٠ نوفمبر توجه سمو الخديو ، ومعه يوسف صديق باشا ، وعارف باشا ، وتوجهت معهم لتهنئة جلالة السلطان بالسنة الهجرية الجديدة . فعلم سموه من جلالته ، أن جمال باشا عين قائداً عاماً للحملة المصرية ، ثم قال جلالته : « إنه يوجد مناظر لسوك ، وهو الأمير يوسف عز الدين افندى ولى عهد السلطنة ؟ وقد توجه إلى الصدر وقال له : بما أنه غير معترف بولاية عهده ، فهو يطلب تعيينه خديوياً على مصر . » ثم إن جلالته قال لسموه إن الأحسن الانتظار فى الاستانة ، وعدم الاستعجال فى الالتحاق بالحملة . وقد كان الخديو يعتقد فى تعيين جمال باشا ، أن الحكومة العثمانية تريد بذلك أن يكون بمصر رجل قادر على العمل عند دخول الجيش العثمانى ؛ ويظهر سموه تخوفه ، وخصوصاً أنه كان يحسن أن يتقابل القائد مع سموه قبل سفره للتفاهم معه . ولكن جمال باشا مسافر غداً ، ويقول لسموه إن هذا القرار لا بد أنه صدر اليوم ، وهكذا فإن قرارات الحكومة تستصدر فى آخر لحظة .

أما عن طلب ولى العهد أن يكون خديوياً ، فإن سموه أجاب السلطان بأنه إذا صدرت إرادته بهذا التعيين ، فإن سموه يرافقه إلى مصر ، ويجلسه على الأريكة ؛ كما علينا أن يوسف عز الدين طلب أن يرافق الحملة الراحفة على مصر . أما قول جلالة السلطان بعدم الاستعجال للالتحاق بالحملة ، فظن سموه أن رجال الحكومة العثمانية طلبوا من السلطان أن يفهمه ذلك .

وقد جاء البرنس ابراهيم حلى ، وقال إنه سمع من الصدر بأن جمال باشا تعيين قائداً للحملة بدلاً من زكى باشا ؛ لأن الأخير عين مندوباً عثمانياً لدى إمبراطور ألمانيا . ويقال إن فون ادغرايز باشا سيعين مندوباً ألمانياً لدى جلالة السلطان . وسأل الصدر الأعظم البرنس ابراهيم عما إذا كان مستعداً للسفر . فقال : نعم ؛ ولكن فى أى وقت تسافر ؟ فقال الصدر : إننا لا نريد أن يتوجه الجناح الخديوى قبل عبور الجيش العثمانى

قناة السويس؛ لأنه لو انتصر الانجليز على العثمانيين هناك، مع وجود الخديو، فالتاثير يكون سيئاً. وقال البرنس ابراهيم للخديو، إنه يرى أن معنى ذلك هو أن الأتراك يريدون أن يظهرُوا أنهم هم الذين فتحوا مصر وحدهم؛ وبعد دخولهم عاصمة البلاد يقولون لسموه: «اتفضل ادخل».

أما بالنسبة لمطامع الصدر سعيد حليم باشا فإن كل من يقرأ هذه المذكرات يجد فيها شعور الخديو بأن الصدر راغب كل الرغبة في عرش مصر، وهذه الرغبة كان يحسبها أيضاً سفير ألمانيا ورجال الاتحاديين. ومن ذلك أنه في يوم ١٤ نوفمبر سمع فريد بك أنور باشا، في حديث دار بينهما بخصوص معاكسة الصدر للخديو ورجال الحزب الوطني يقول: «إن الصدر يحمل بالخديوية المصرية حتى صار مشهوراً بهذا الحلم، سمعتني السياسية في إيطاليا ومحادثات هامة ومقابلي مع الملك وصاروا بيننا من الحرب ومحادثات أخرى مع المصريين وغيرهم». في ٢٥ نوفمبر تقرر سفرى إلى إيطاليا المهمة السياسية لدى ملكها؛ ومن الأوامر التي تلقيتها:—

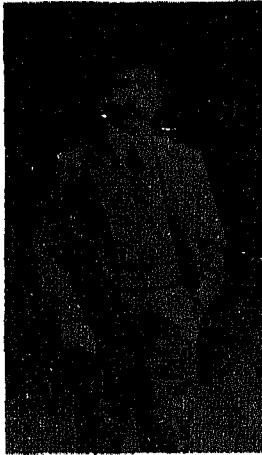
- ١ — إبلاغ الملك تحيات عباس واحتراماته له؛ وأنه لا ينسى الصداقة الموجودة بينه وبين العائلة الخديوية من قديم.
- ٢ — التماس نقله من الضلنات إلى إيطاليا على مركب حربي، إذا أضرمت الأتراك سوءاً.
- ٣ — مساعدة جلالته لو انتصرت انجلترا لتسوية حالته المادية.
- ٤ — أخذ رأيه في إمكان نجاح الحملة التركية من عدمه؛ والسعى في أن تطلب إيطاليا الأتمس الفرمانات الخديوية.
- ٥ — التأكيدات له بأن مصر تحافظ على صلاتها الودية مع إيطاليا إذا نجحت الحملة.

ومن الأوامر أيضاً، استطلاع الحالة فيها وفي سويرة. وقد أمر باستخراج الجواز، ووضعت شفرة مع سموه يحمل متنوعة متفق على معانيها؛ وودعته كما كنت ودعت أسرتي مساء؛ ثم نزلت إلى بيك لهذه النسيان؛ وأخذت من الوالدة خطابات للأزميرين محمد علي، وكال الدين؛ وخطاباً لابنتها الأميرة نعمت هانم، وآخر لمحج باشا من حرمة؛ ونزلت، وقضيت الليلة في فندق شاهين باشا، بالقرب من محطة شركة حى

وأخيراً أمرني الخديو بمعرفة أسباب خروج الأمراء ، ومحج باشا ؛ وعلى أى شرط تم ذلك ، ومعرفة أخبار مصر الحقيقية ، وأفكار رجال الحكومة المصريين والمحتلين والأخبار العسكرية والجيش المصرى وأفكار ضباطه — يعنى الحالة العسكرية والإدارية والسياسية .

وفي أول ديسمبر ، وصلت إلى لوزان ، وقابلت هكسيوس ، وعلبت منه أن سويسرة ملائى بالجواسيس لحساب ألمانيا ، وانجلترا وفرنسا ؛ وقد أفصحت له عما أعلمه عن حالة أفندينا مع الأتراك والألمان . ثم حضر فهمى أفندى قبل منتصف الليل ، فآخبرته كذلك بما أعلمه وقص على ما يعلمه ؛ ومن ذلك أنه باق على قرارنا الذى قررناه فى الاستانة بخصوص إرسال مندوب سرى لمصر . ثم سلبته صورة من الأوامر المطلوب توصيلها إلى حسين رشدى باشا ، بالاحتياطات اللازم اتخاذها عند دخول الجيش العثمانى مصر .

وفي ٢ ديسمبر سافرت من لوزان فى الساعة السابعة ، ووصلت إلى ميلانو فى الساعة الرابعة .



محج باشا

محادتى مع محج باشا : وفى ٣ منه وصلت فى الساعة التاسعة والنصف إلى روما ونزلت فى فندق السكنتنتسال أمام المحطة ؛ وكان فى انتظارى هناك محج باشا ، فتحدثت معه إلى الظهر وأبلغته تحيات الخديو وأن ثقته به كما كانت ، وأنه آسف لخروجه من مصر وحضوره إلى إيطاليا ؛ فقال إنه كان متخوفاً من الوشايات به عند أفندينا ، حتى أنه كان ينتظر أن يستدعى إلى الاستانة ؛ فلما لم يأت خبر بذلك توهم أن سموه غير راض عنه ، وخصوصاً أن

ذلك قد انتشر فى مصر عقب البرقية التى أرسلت إلى القانمقام الخديوى ، بالألا يحضر إلى الاستانة حتى يصل أحمد صادق بك . فأفهمته أن السبب هو أنه كان قد تقرر استدعاء عدلى باشا لإقناعه بأن يقنع رشدى باشا بتفصيل الخطة التى رسمها أفندينا ، ولم

يرافق عليها رشدى باشا، وبناء على ذلك كان من المستحيل استدعاؤه مع عدلى باشا وقال لى محب باشا : إن رجال الحرب الوطنى كانوا قد ظنوا أننى غير مخلص، وإنى انجليزى ؛ ولكن لما عملوا بمعاملة الانجليز السيئة لى، جاءنى ليلا بمحمود فهمى حسين بك، وقال لى إن الحرب الوطنى كان يظن بك السوء ؛ ولكنه تحقق الآن من وطنيتك . ثم قال إنه يعمل بوجود ذكريتو على يساض بتعيين الأمير عزيز حسن رئيساً لمجلس النظار ، بدلا من رشدى باشا ، لاصداره وقت اللزوم ؛ وبوجود منشور من أفندينا للامة المصرية لتحريضها على الثورة ؛ وآخر من قائد التجريدة العثمانية . وأنه يوجد كشف بأسماء مائة وخمسين شخصاً - منهم محمد سعيد باشا - منوى إعدامهم . قال محب باشا وإن بدر الدين بك أخبره بأن المقابلات بين أفندينا وفريد بك والشيخ عبد العزيز جاريش كانت سرية ، ثم حدثنى عن خروجه من مصر ، قائلا إنه تكلم مع الانجليز بأنفه ، وأهمهم بأنهم أخطأوا بمنع أفندينا من الرجوع إلى مصر ، لأنهم أجبروه بذلك ، على أن ينحاز إلى الأتراك ؛ فاشماز الانجليز من هذه الجهة ، وقالوا لرشدى باشا بأننى أنفوه بأشياء لا يصح النفوه بها . ومن جهة أخرى فان القائمقام الخديوى قد فرمنى لمناقشاتى له فى بعض المسائل الاقتصادية ، فتبور على ، وألجأنى إلى الخروج من مصر . قال محب باشا : ثم قابلنى رشدى باشا فى اليوم الثانى على انفراد ، وسألته عن سبب هذه المعاملة ، فاتهمنى بأنى أسعى لاحتلال مركزه، إذ كنت أتحالفه فى كل مسألة ، اتباعاً لأوامر أفندينا . فأقمته بعدم صحة ذلك ، نظفت سورة غضبه .

ثم قال : وكان الانجليز يرضون أن يأخذوا منى معلومات عن حركات أفندينا وسكنتاته وأفكاره ، فبخلت بها . فلماذا ، وللسبيين المذكورين . قرروا عدم وجودى فى مصر وقال أحدهم أن أنصد المطة .

ولما قابلنى شيتهم قال لى إنه يرى منى أجهزة أنضها فى الخارج ؛ وطلب منى تعيين البلد . فقلت أذهب إلى لندن ، فرفض . فسألته أن يختار لى بلداً آخر ، فقرر سفرى إلى إيطاليا ، ثم طلبت مساعدة مالية فأعطونى ثلاثمائة جنيهه قرصاً وضمنوا لى رابى (والذى أهله من آخرين أنه أخذ ثلاثمائة جنيهه ثم احتسبوا له ثلاثة جنيهات عن كل يوم قضاء فى الاستانة ؛ مع أنه كان فى أجازة ، وضمنوا له راتبه فى مدة الحرب .)

وأبلغنى محب باشا ، أن النظرار جميعاً عند الأتراك ، ما عدا حلى باشا ناظر المسارف ؛ ثم قال : والانجليز يقولون إنه ليس فى إمكان عباس حلى باشا أن يرى

جو مصر مطلقاً ، لأنهم يعتقدون أن له يدأ قوية في تجريدة مصر ، وأنه خانهم ، وأنه سائر مع الحملة .

وقد دعاني البرنس عزيز حسن للمشاء عنده ، وكان معنا ناي بك سفير تركيا ، ومحب باشا ، ومحمد يكن باشا ، واثان آخران ، أحدهما يسمى فنسى من السفارة التركية وكان في مصر ويعرف العربية والألمانية .

عادتي الأولى مع البرنس محمد على باشا : وفي ٤ منه ، قابلت البرنس محمد على باشا وسلبته خطاب والدته ، وطأنته على صحتها ، وأخبرته بالحوادث التي دارت بين شقيقه الانجليز والأتراك ، وطلبت منه أن يرافقني إلى سراي جلالة ملك إيطاليا لتبليغ جلالاته سلام أفندينا واحتراماته ، فرفض قائلاً : إنني عزمت على ألا أتدخل في شيء ما . لأنه لم يرسل لي بطاقته رداً لزيارتي للسراي ؛ ولو أن رئيس الوزراء أرسل لي بطاقته رداً على بطاقتي لفعلت ، ومن ذلك استدلت على أن رجال الحكومة لا يريدون خرق الحياد حتى في هذه الأمور ؛ وإلا لكان الملك استدعاني لزيارته . ثم طلبت من البرنس أن يرافقني إلى برلين لمقابلة الأمبراطور أو من يتدبه جلالاته لتقديم احترام أفندينا وشكره له على عنايته بتجريدة مصر ، فأجابني البرنس بالرفض أيضا .

عادتي الأولى مع مسيو بتشيليل : وفي ٥ منه قابلت مسيو بتشيليل رئيس مجلس إدارة بنك دى روما ؛ وكان معي محمد يكن باشا وعبد الحميد شديد بك ؛ فبلغته سلام أفندينا ، وتوصية سموه لي أن يكون كل أمر أريد عمله بعلمه ونصيحته ؛ وأخبرته أن المطلوب استحضر نقود من مصر إلى هنا لتوصيلها إلى أفندينا في الاستانة ، فقال : إن ذلك صعب ، وإننا ننظر في تقديم نقود لأفندينا من هنا ، وفهمت أنه لا يدرى شيئاً كثيراً من معاملات البنك . وعلى كل حال فقد وعد بالنظر في المسألة مع عبد الحميد شديد بك ؛ ثم كتبت في الحالة السياسية بين إيطاليا والدولة بالنسبة للتجريدة العثمانية على مصر ، وبأن الأتراك وأفندينا وسفيري النمسا وألمانيا أعطوا التأكيدات لسفير إيطاليا بأن غرض الحملة هو لإخراج الانجليز فقط ، وإرجاع حالة مصر إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ ؛ أعني أن تستمر مصر حافظة لامتيازاتها ، وبعد الصلح تخرج المسكر التركية منها . قلت : إنه ربما كان هذا التصريح الشفهي غير كاف ؛ فيمكن إيطاليا أن تطلب استصدار إرادة سلطانية بهذا المعنى ؛ فتكون حجة قوية على الأتراك .

فقال المسيو بتشيلي : لست سياسياً ، ولا يمكن أن أبدى أية نصيحة في هذا الموضوع . ولما علم منى أننى أعرف مسيو دومرتينو ، الذى كان قنصلاً عاماً في مصر ، ويشغل الآن وظيفة في وزارة الخارجية ؛ طلب أن أتكلم معه في هذه المسألة أو مع رئيس مرافقى الملك ؛ وفهمت من مسيو بتشيلي أن لهذا الرئيس كلمة مسموعة عند جلالته . وقد أرسلت خطاباً إلى كبير أمناء الملك ، طلبت فيه مقابلته لتبليغ رسالة الجناب الخديوى لجلالة الملك ، فأجاب بأنه يقابلنى غداً صباحاً :

محادثة مع كبير الأمناء : وفي ٦ منه توجهت صباحاً إلى سراى الملك وقابلت كبير الأمناء وأبلغته سلام الخديوى وأهمته أننى حضرت للاستعلام عن حالة البرنس محمد على ، وباقى البرنسات والبرنسيات ؛ وأن دولة الوالدة هى التى طلبت من سمو الخديوى ذلك ، فأرسلنى لهذا الغرض ، وأمرنى أن أحضر إلى السراى لتقديم واجبات الاحترام من لدن سموه لجلالة الملك ؛ لأنه لا ينسى مطلقاً الوفاة المحسنة التى لقيها في السنة الماضية ؛ وأن سموه يبذل كل جهده في تأييد هذه الرابطة الودية ؛ وذكرت أن علاقات سموه بسفير إيطاليا في الاستانة متينة جداً . فقال : نعم لى أعلم ذلك . ثم قلت : لى تحت أوامر جلالة الملك في كل ما يريده من الاستعلامات عن الحالة السياسية في الاستانة ومصر . فأخذ الجنرال مذكرة بذلك ، وسألنى عن مدة مقامى في روما ، فعرفته بأنى عازم على التوجه إلى نابولى ، لمقابلة الأمير كمال الدين (*) على أن أرجع في المساء ، وأنى ربما أقت بروما أيضاً يومين أو ثلاثة . ثم شكرته على حسن استقباله .

محادثة مع نابى بك : وزرت نابى بك سفير الدولة ، فأبلغته تحية أئدينا فشكر . ثم تكلمت معه في الأحوال الحاضرة ، فعرفنى أن الايطاليين متخوفون من التجربة على مصر ، فطأئهم كثيراً . وأنه لما جاء (ع . بك) أخيراً طلب من البرنس محمد على أن يصرح للاطليان من قبل الخديوى بذلك ، فرفض ، فقلت له : لى مستعد لاجراء اللازم فأرشدنى إلى دومرتينو ، وقال : لى علاقاته به طيبة جداً . وفهمت من كلام السفير أنه بعد إخراج الانجليز من مصر ستبقى فيها حامية تركية ، وهى التى ستحافظ على قناة السويس ، وأن امتيازات مصر لا تمس . وبعد دخول الجيش العثمانى مصر يسافر

(٥) وقد سافرت في اليوم نفسه إلى نابولى ، وتقبلت مع البرنس والبرنيس ، وعلبت منها أن سبب خروجهما من مصر هو عدم اتفاقه مع والده في المسائل السياسية ، ففعل البرنس الإبتعاد عن مصر ، وقد سلبت لها خطابات الوالدة .

الخدوي إليها ، كأنه احتلال عملي بدل الاحتلال الإنجليزي ؛ قال : وليطمئن
الطليان على طرابلس الغرب ، اتفقنا على أن نائب السلطان فيها يصدر منشوراً يقول
فيه : إن إيطاليا حليفة لحلفائنا ، وإنه على المسلمين أن يعتبروها حجة للخليفة ، حتى
يهدأ العرب ويخمدوا إلى السكون ؛ لأن إعلان الجهاد حرك فيهم التعصب الديني كما
يدعي الطليان .

وقال السفير : إنني على العموم مجتهد في إزالة سوء التفاهم بيننا ، حتى نصل إلى
غايتنا من التجربة .

أما السنوسي ، فإن الأخبار الواردة من مصر تقول بأن المفاوضات جارية بينه
وبين الإنجليز .

وفي هذا اليوم أرسلت إلى أفندينا برقية رمزية أيل فيها : يقيم محب باشا في
نابولي حراً بعد أن أعطى عهداً ؛ ويقال إنه جاء بمهمة من قبل الإنجليز ، ويعتقد أن
الحالة في مصر سيئة بالنسبة للإنجليز ، وأن الرأي العام في جانب حملة تركيا ، وأن
رشدى وبقية النظار ضد ذلك ، وأن الأحكام العرفية أعلنت في مصر ، وأن الجنود
المصريين لا يحاربون ، لأن عدد الجنود الإنجليز يبلغ سبعين ألفاً .

وفي ٦ ديسمبر أرسلت برقية إلى محمد فهمي أفندي بجنيف أستعلم منه عن الخطاب
الذي كنت سلمته إليه ، ليحمله أحد المسافرين المصريين إلى مصر ، لتوصيله إلى
صاحب العطوفة حسين رشدى باشا ؛ فوردت لي يوم ٧ منه برقية يقول فيها :

و أعيد إليك الخطاب داخل مظروف موسى عليه ، نظراً لسفر الشخص الذي
كان سيحمله إلى مصر . وفي اليوم نفسه تسلمت المظروف المتوه عنه .

وفي ٧ منه وصلى كتاب من الجنرال تيموني رئيس مرافق جلالة ملك إيطاليا ،
ينبئني فيه بأن جلالاته سيقابلني مقابلة خصوصية في الساعة الثانية والثلاث بعد ظهر يوم
١٠ ديسمبر .

وفي اليوم المذكور ذهبت إلى قصر جلالة الملك في الميعاد المحدد للمقابلة ، وكنت
أرتدى الريدنجوت كنعس الدعوة ، وفي أثناء انتظارى حضر نافي بك سفير الدولة من
لندن جلالاته ، وأفهمني أن جلالاته سأل عني ، فأخبره بما يعلسه عن وظيفتي وعلاقتي
بالجناب الخديوي .

محادثة مع الملك . وقد تشرفت المشول بين يدي جلالة الملك ، ولم يكن في المقابلة شيء من أبهة الملك ، وقد دعاني إلى الجلوس بجانب جلالتيه . وبعد أن أبلغته



نكتور عمانويل

تحيات وتعظيمات الجناب الخديوي ، شكر أولاً ؛ ثم سألتني عن حادثة الاعتداء ، وعن المعتدى ، وعن التحقيق ، وعن صحته ؛ فأفهمته بكل معلوماتي ؛ فلم يبد أية ملاحظة . وامتد الحديث إلى علاقات الخديوي بالأتراك ، وإلى التجريدة التركية التي سيرت إلى مصر ؛ فأعربت لجلالته عن تأكيدات الجناب الخديوي لجلالته بأن لا خوف على علاقات الجوار الحية بين مصر وطرابلس ؛ وبعد ذلك أبلغته أوامر الخديوي ، فأجابني بأنه لا ينسأه ، وأنه مستعد لطلباته ، وقال : إن الحملة التركية إن كانت منظمة ، يمكنها اختراق سيناء وعبور القناة .

وقد كان شعوري بعد هذه المقابلة الملكية ، أنني ألفت لجلالته على جانب عظيم من الدعم والالطف ، وأنه يذكر مصر والأسرة المحمدية العلوية خير ذكرى .

محادثة الثانية مع ناي بك : وفي ١١ منه زرت ناي بك وأعلتته بنتيجة مقابلي لجلالة الملك ، وكذلك ما قلته بالنسبة للصلوات الحية التي بين مصر وإيطاليا . حيث أكدت لجلالته ألا محل لما يبدو من التخوف على طرابلس من هذه التجريدة .

وفي هذا اليوم كنت أرسلت برقيات إلى يوسف صديق باشا بكل ما أقوم به من الأعمال التي كلفت القيام بها ، فوردت لي اليوم برقية من بك في الاستانة يقول فيها :
البرقيات الثلاث المرسله منكم وصلت ، وهذه البرقية هي أولى برقياتنا . انتظروا في روما حتى تصلكم تعليمات جديدة . ،

محادثة الثانية مع بشبلى : في ١٢ منه كنت تكلمت مع عبد الحميد شديد بخصوص

عمل ترتيب لاستيراد نقود من الخاصة الخديوية بمصر للجناب الخديوى ، ولاستيراد نقود لى خاصة ، فانهتت معه على ما يأتى :

أولاً — حسابى الخصوصى : يكتب جواب منى (وقد حصل) لبنيكو دى روما فى مصر ، أن يحول مبلغ ألفى جنيهه ، ثم ألفين آخرين على روما ، وأنه من أول يناير الآتى يحول كل أسبوع ٢٥٠ جنهما ، حتى ينتهى الحساب .

ثانياً — بأن يعرف عثمان مرتضى باشا، بأن يدفع كل ما أمكنه من النقود الموجودة فى الخاصة ، لتوصيلها لأفندينا ، بواسطة بنكو دى روما ؛ على أن يكون هذا باسم عثمان باشا إلى أحد تجار الاستانة ، وربما يكون نافع زاده .

محادثة الثانية مع البرنس محمد على : وفى ١٣ منه تحدثت مع البرنس محمد على ؛ وكان من رأيه أن تأخر الأتراك عن التقدم لمصر ، سبب ضرراً كبيراً ؛ لأن المصريين كانوا فى غاية الحماسة لما علوا بالتجريدة على مصر ، وكانوا يظنون أن الأتراك سيدخلون البلاد بعد بضعة أيام (خمسة عشر أو عشرين يوماً) حتى أن بعض المشيعين له فى المحطة قالوا : إنه لا يصل إلى إيطاليا حتى يقفل راجعاً ، عندما يسمع بدخول الأتراك مصر .

محادثة الثالثة مع مسيو بتشيلى : وفى ١٤ منه قابلت مسيو بتشيلى مع شديد بك فى الموعد المحدد ، فكانت مقابلة ودية ، تحت سوء الظن به الذى حصل عندما قابلته أول مرة ؛ لأننى كنت وجدته متحفظاً جداً . أما فى مقابلتنا اليوم فانه كان صريحاً ، فهو أولاً : أبدى إحساساً شريفاً نحو الخديوى ، وقال إنه محب له ويمنى له كل خير ، ويود أن يراه على تخت الخديوية قريباً فيتوجه للتهنئة . ثانياً : قال بأنه يعتبرنى بالنسبة له صاحباً ، ولا دخل للباشوية ولا للرياسة فى البنك ؛ وما تكلم فيه يكون لغرض الوصول إلى ما يرغبه الجناب العالى . ثالثاً : قال : لا أخفى عليك أن الحالة السياسية هنا مضطربة جداً ، وأن الأفكار مبالغة للحرب أكثر من السلم ، ولكنى أنا شخصياً بصفتى فرداً من أفراد المحافظين ، لا أود الحرب ؛ إلا أن الأفكار متجهة ضد الدولة ، وهى لم تحسن صنعاً فى دخول هذه الحرب ؛ لأنه يرى أن النمسا ستقع على رأسها خسائر الحرب ، وانجلترا تمنى أن نسير وراء نصائحها ؛ فانها تمنينا بالجزر ، وبجزء من آسيا ؛ وفرنسا تعدنا بتريستا وترتيقو ؛ ومن جهة أخرى فان ألمانيا والنمسا تعدانا بالساقواى وجهات أخرى ؛ وكل قشة تطلب دخولنا فى الحرب معها ، حتى أن انجلترا تطلب أن ترسل جيشاً إلى مصر ؛ ولكن هل من صالحنا أن نعمل بنصيحة أحد الطرفين ؟

للتقبل وحده الحكم في هذا ؛ لأننا نفضل ما تجبرنا الحوادث على عمله ، فكل حادث اعتدائي من الدولة العثمانية يهيجنا . فمن ذلك مسألة إعلان الحرب الديني (الجهاد) والتجريدة على مصر ، وخوفنا من أن الأتراك يفيزون على الحدود الطرابلسية ، وحادثة الحديدية — كل هذه الحوادث لها أثر سيء .

فأجبت به بأن سوء التفاهم بالنسبة لإعلان الجهاد الحربي من قيام طرابلس ، وبالنسبة للتجريدة على مصر ، أمره واضح ؛ والدولة العلية وحلفاؤها أعطت التأكيدات بأن ذلك لا يمس طرابلس الغرب ؛ أما مسألة الحديدية ، فلم يكن لها من الأهمية مثل المسألتين الأوليين .

فقال : من يضمن لنا أن الدولة تفسد وعودها ، وهي مشهور عنها أنها لا تفي بوعودها ؟ أما بالنسبة للجناب الخديوي ، فإني — بكل أسف — أعلم بأن في حاشيته من الرجال من يتكلمون ضده ، وهم أقرب الناس إليه ؛ فليحذر هؤلاء الناس .

فسألته عن الطرق الموصلة لتهدئة الخواطر في إيطاليا ، حتى تتجنب الحرب معها ، فنصحتني بأن أتقابل مع مسيو دومرتينو ، وأحادثه في الموضوع أولاً ، ثم أرجع إليه ، ونظر فيما يقوله ، وفيما يلزم لإجراؤه .

محادثتي مع محمد يكن : واجتمعت بمحمد يكن بك وأخبرته بمحدثي مع بتشيلي ، فقال لي إنه سمع أن دومرتينو قال لشخص بمناسبة الحالة الحاضرة وتجريدة مصر ، وعلاقة الخديوي مع إيطاليا : إن الإنسان لا يمكنه الاعتماد على ما يظهر سموه من المودة والإخلاص لإيطاليا ، والشاهد على ذلك هو أنه أبعد عنه رجالا إيطاليايين كانوا يقومون بخدمات جليلة له . فأجابه محدثه : إن سموه معذور في إبعادهم ؛ لأنهم كانوا خائنين ، وليس ذلك دليلا على عدم إخلاصه لإيطاليا ؛ فإنا نعرف مقدار الخدمات الجليلة التي بذلها لنا في طرابلس . لهذه الأسباب ، قررنا أن نستشير مسيو بتشيلي فيما إذا كان يحسن أن نتكلم مع دومرتينو صراحة بعد أن يعلم ما قاله بالنسبة للجناب العالي ، ولو أن بتشيلي لما سأله عما إذا كان دومرتينو يحفظ السر فيما أقوله ، ولا يعلم به أحدا من السفراء ، قال لي : اطلب منه كلمة شرف ، واحك له كل ما بدا لك . ولو أن كلام بتشيلي شخصي ؛ إلا أنني فضلت أن احتاط لذلك ، وأسأله مرة ثانية ، لجاءني الرد بواسطة شديد بك أن دومرتينو رجل عاقل ، ولا يضيع مصالح أمة لأجل شخص واحد ، مثل فرديناند دومرتينو^(٥) .

(٥) فرديناند دومرتينو هو ابن جاك دومرتينو باشا ، الذي كان رئيس الديوان الخديوي الإفريقي . ومن أسرة دومرتينو الذي كان بوزارة الخارجية . وقد فصله الخديوي لمنازعات مالية مع الخاتمة

عهادتي الثالثة مع نابي بك : وفي ١٥ منه توجهت مع محمد يكن باشا لزيارة سفير الدولة العثمانية ، وقلت له : إن الإيطاليين متدمرون من الدولة العثمانية ، وأفكارهم متبهجة ؛ ويقولون : إذا دخلت إيطاليا الحرب ، فيكون ذلك ضد الدولة ، وفي إمكانها أن تسوق مليوناً ونصف مليون من عساكرها . فقال السفير : أعرف أن الأفكار متبهجة ، ولكن أعرف أيضاً أن الذين يريدون الحرب هم رئيس أركان حرب إيطاليا ، ومسيو مارتيني ناظر المستعمرات .

فقال محمد يكن باشا : وأن الأخير مدين ، ويريد أن يصطاد في الماء العكر ، حتى يتمكن من تسديد ديونه ، من أموال فرنسا وانجلترا ؛ إنما علم الباشا من يوثق بكلامه أن الملك طلب بياناً بالمرجود في مخازن الجيش ، ليعلم إن كان ينقصه شيء ؛ لأنه قال : إنني مشغول عن نتيجة الحرب ، فلا أوافق على الدخول فيها إلا إذا تحققنا من أنه لا ينقصنا شيء ؛ ولما اطلع على البيان وجد كثيراً من النقص .

ثم قال الباشا : يقولون إن استعداد إيطاليا ينتهي في أبريل القادم ، ولكن الرجل الذي أخبرني بعدم استعداد إيطاليا ، يؤكد أن الاستعداد لا ينتهي قريباً ، بل يكون في سنة ١٩١٦ .

قال السفير : أوئل أن تصلني برقية من البهدارة ، ترضى الإيطاليين في مسألة الحديدية ، فينتهي الأمر بسلام .

عهادتي مع البرنس عزيز حسن : وفي ١٥ منه قابلت البرنس عزيز حسن ، وعلمت منه أنه ترد رسائل على البرنس جميل من شقيقته حرم نظامه الصدر ، وفيها أخبار مبهجة عن مصر وأفندينا ، وتذاع هنا بين المصريين وغيرهم . وقد قال البرنس عزيز باشا إنه لما كانت هذه الأخبار ضارة ، ولا سيما إذا وصلت إلى مصر . فقد خاطبت سفير الدولة العثمانية في هذا الشأن ، فوافق على رأيي ، ووعد بأن يكتب للصدر لمنع إرسال مثل هذه الخطابات المشوشة . وكذلك ذكر البرنس عزيز أنه تكلم مع الملحق العسكري في سفارة ألمانيا ، وطلب منه أن يرسل الخبر للسفارة الألمانية بالاستئذنة لمنع هذه الخطابات .

وبهذه المناسبة قال الملحق : إن ألمانيا لم تساعد الدولة العثمانية في التجريدة على مصر ، إلا بشرط أن يخرج منها بعد انتهاء مأموريتها ، وألا تمس الامتيازات ، وأن يرجع الجناب الخديوي لعرشه ؛ وكذلك علم البرنس من السفير العثماني أن مجلس الوكلاء قرر هذا الأمر ، وأبلغ القرار المذكور إلى إيطاليا ، وهذا يؤيد ما قاله نابي بك من قبل ،

فاذا صح ذلك كان خطوة إلى الأمام . أما مقابلات السفير المتعددة للملك ، وتردده على وزارة الخارجية ، فيرجع إلى ما حصل في تفصيلة إيطاليا بالحديدة (*) .

وفي هذا اليوم تلقيت برقية من يوسف صديق باشا يقول فيها : عرجوا على فندق الأميربال بفينسا مع (ي . بك) إذا كان ذلك لا يزال ممكناً ؛ وإلا فأخطروه تلغرافياً ، وقبل أن يجتاز حدود رومانيا .

وفي ١٦ منه حادثت البرنسين محمد على ، وعزيز حسن ؛ ومن رأيهما أن يكتب أفندينا خطاباً للبرنس حسين كامل ، يقول فيه إنه يعتمد عليه في المحافظة على العرش الخديوي ، كما أنه هو (أفندينا) حينما يرجع لمصر لا ينسى خدماته .

البرنس جميل : وقد حضر البرنس جميل عند البرنس عزيز ، وقال له : إن إنجلترا قررت إعطاء مصر استقلالها التام ، وستكون سلطنة ، والبرنس حسين يكون سلطاناً ؛ وتعطي مصر دستوراً ؛ فيكون فيها مجلس أعيان ، ومجلس نواب ، وحرية تامة ؛ وتشمل السلطنة السودان والشام وجزيرة العرب .

مقابلي مع دومرتينو : وقد توجهت في الساعة الحادية عشرة لوزارة الخارجية ، فلم أجد دومرتينو ، لأنه كان توجه إلى مجلس النظار . وبعد انتظاره ساعة رجعت ؛ فقابلني مقابلة حسنة ، وأبلغته تحية الجناب العالي له ، وأنه يذكره دائماً بالخير ، حتى أن سموه عازم على إسناد وظيفة المستشار المالي لجنابه ، إذا تيسر خروج الانجليز من مصر ؛ فشكر سموه على إحساساته نحو شخصه ، ولكنه امتنع عن الكلام ممي في المسائل السياسية ؛ فأدركت من هذا أن إيطاليا تميل إلى دخول الحرب في جانب فرنسا وانجلترا .

محادثتي الرابعة مع نابي بك : سبق أن قال لي نابي بك : إن محمد يكن باشا توجه لوزارة الخارجية ، وأعلن بالنيابة عن أفندينا أن لا خوف على الطليان من التجربة العثمانية ؛ ولكن إذا سمحت الفرصة فاني أؤكد ذلك للحكومة الطليانية ، فوعده بذلك . وبالفعل لما قابلت الملك أكدت له ذلك ، ولما قابلت دومرتينو فعلت ذلك أيضاً ، وإنما اعتقادي أن الخوف سائد بين الطليانيين الرسميين وغير الرسميين .

وفي ١٧ ديسمبر تلقيت تلغرافاً من محب باشا في نابولي يقول فيه : « ما رلت مريضاً ولا أستطيع الحضور . أرسلت مخصوماً بقطار الساعة السادسة لتسليمك النقود والخطابات لحرى بالفندق . أشكركم . »

(٥) وكان قد وقع خلاف بين السلطة التركية ورجال تفصيلة إيطاليا بالمدينة .

وتلقت تلغرافاً من الأستاذ فهمي من لوزان يقول فيه : « أرسلت تلغرافياً إلى (ى . بك) بانتظار صديق باشا بفينا ، وقد علمت بصفة سرية بأنه سيكون مصحوباً (والظاهر أنه أراد أن يقول بأن سيكون مع سمو الخديوي) . سأبلغكم الرد . »

سافرت في منتصف الليل من روما إلى فينا ، وكنت مدعواً للغداء عند نابي بك السفير ؛ وكان البرنس عزيز باشا مدعواً هو ويكن باشا وحرمه . ولما علم بعزمي على السفر ، رجاني أن أعرب للصدر عن حقيقة الأخبار في إيطاليا ، والأفكار السائدة فيها ، وتخوف الحكومة من الحملة ورجاها ؛ حتى أن المسيو دومرتينو لما وردت برقية الصدر بخصوص الحديدية ، وقدم السفير للذكور صورة بالتركي ، سأله دومرتينو : كيف يعنى الصدر على البرقيات ؟ كأنه في شك من البرقية الواردة بشأن مسألة الحديدية . وكلفني أن أقدم احتراماتي للجناب الخديوي .

وقد رافقتي للمحطة البرنس عزيز حسن ويكن باشا .

المساعي لخروج الخديوي من اوستانة واقامته في فينا . في أول ديسمبر ، روى يوسف صديق باشا ، أن سفر سمو الخديوي الذي تجرى عنه المخبرات الآن ليس إلى سويسرا ، وإنما إلى فينا ؛ وأن سموه حادث سفير ألمانيا في موضوع سفره إليها ، وأن السفير وافق على ذلك ، وأنه على أثر مقابلة سموه ، تقابل السفير مع طلعت بك ناظر الداخلية ، الذي أبدى أنه غير معارض في سفر الخديوي إلى فينا ؛ وذكر يوسف باشا أن السفير ذاهب اليوم لمقابلة أنور باشا ، ومحادثته في هذا الخصوص .

وفي هذا اليوم نفسه شرف سمو الخديوي بك ؛ وقد ذكر أنه لما قابل أمس سفير ألمانيا ، لم يلبث في جلسته طويلاً ؛ لأنه كان في جلسة مع سفير النمسا ، فاضطر سموه أن ينتظر بضع دقائق ، إلى أن انتهت جلستهما ؛ ولم تطل الجلسة بعد ذلك بينه وبين السفير أكثر من عشر دقائق ؛ ولكن سموه في هذه الدقائق القليلة تكلم بشدة مع السفير ، حتى أنه لم يجد جواباً غير الموافقة على جميع ما قاله سموه ؛ وقد كانت شدة كلام سموه بالغة الحد ، مما جعل السفير يقوم من فوق كرسيه ، ويبالغ في التلطف معه .

وقد أبان له سموه تصرفات رجال الحكومة العثمانية ، حتى جعله يقر بأنها تصرفات غير حميدة في حق الجناب العالي ؛ ثم ذكر السفير بالكلمة التي قالها لسموه في أول زيارة قابله فيها ، بأن باب السفارة الألمانية مفتوح في كل وقت لسموه ، عند حصول أى شيء من الأتراك ؛ فلم ينكر السفير قوله ، بل قال : نعم إنني قلت هذا حقيقة . وعندئذ قال

له سموه ؛ « واذن هذا هو الوقت ، وقد جئت إليك ، فلم يستطع أن يجاربه بشيء . عبر المصادقة على أقواله . ثم قال : إن التجريدة العثمانية القائمة إلى مصر ، إنما هي قائمة بنفقات ألمانية . فقال له سموه : إننى لا أطلب منكم أن تعدلوا عن التجريدة العثمانية ، لأنى أعلم أن مصلحتكم فى ذلك ، وأنكم لا تعدلون عنها لأجل خاطر واحد اسمه عاس حلى

وعلى أثر ذلك أبان السفير أنه لم يكن مقصراً بالنسبة للخديو قائلاً :

إن الأتراك أصبحوا يشمئزون منى ، لأنهم يظنوننى متغالياً فى الكلام معهم عن سموكم ، وقد قال لى خليل بك رئيس المبعوثان إنى لست وصياً عليهم ، وأنه يرانى أزعجهم كثيراً بشأن سموكم .

وقد فهم سمو الخديو صراحة من السفير أن خليل بك هذا صرح له فعلاً بأن الأتراك لا يرغبون فى الخديو .

وفى ١١ منه زار طبيب الخديو الدكتور كاوتسكى سفير النمسا ، وحادثه فى ضرورة سفر الجناب العالى من الاستانة . وعلت أن الخديو كان يكره أن يجعل من أسباب خروجه محنته وحاجته إلى الراحة .

وفى اليوم نفسه حضر مسيو بادل إلى سراى بيك ، وحمل إلى الجناب العالى خبراً مؤداه أن حكومة ألمانيا وافقت على سفر سموه ، على شرط أن يكون ذلك إلى فينا أو برلين فقط ؛ وأنها عينت المسيو بادل لمرافقته ، ووافقت على تعيين البرنس ابراهيم حلى باشا ليكون نائباً عن سموه مع التجريدة العثمانية ، وقائمقامه عند دخولها مصر ؛ وبناء على أمر سموه حررت الارادة السنية ، ووقع عليها الجناب العالى ، ثم أبقاها عنده لوقت اللزوم . وقد فرح الجميع لهذه الأخبار ، وظهر على وجه الخديو الارتياح ؛ وأمر الدكتور كاوتسكى أن يكتب رسالة شكر لسفير ألمانيا . ثم عين يوم الاثنين القادم لسفره إلى فينا . فوافق الدكتور كاوتسكى على ذلك . وفى هذا اليوم أرسلت أوامر باحضار توفيق فهمى بك إلى الاستانة ، وإرسال ابراهيم آدم بك إلى الضلطان .

وفى ١٣ منه صدر الأمر باعداد الجوازات لمن سيسافرون مع الجناب العالى ؛ وفى أثناء اشتغال سموه بهذا قال أمام السيد خيرى افندى الضابط إنه أعد العوبة للصدر يتجاوز بها عن الشرط القاضى بوجود سموه فى النمسا أو ألمانيا فقط .

وكان سموه يريد أن يسافر من محطة كوجك جكه ، بدلا من أن يأخذ القطار

من الاستانة . ولهذا أمر الدكتور سيد كامل وعبدالله البشرى افندى باكثر من سيارة واختيار الطريق .

وفي هذا اليوم تقابل سموه مع الصدر بعد الظهر ؛ وقال لنا بعد ذلك إنه نصح فيما يطلبه ، فقد بادر الصدر بقوله : إننى لكى أثبت للحكومة العثمانية أنى فى سفرى من هنا لا أزال غير راض عن تصرفات الحكومة الانجليزية ، فانى لا أنوى السفر إلى إيطاليا حسب رغبتها .

وقال سموه : إننى سأبلغ ذلك للسلطان ، ثم لسفير ألمانيا ؛ وبعدها أكون حراً فى الذهاب إلى أية جهة أرغب فيها . فقال الدكتور سيد كامل : ما عدا إيطاليا ، فسكنت سموه .

وفي ١٤ منه توجه الخديو إلى بيك بقصد المبيت فيها ، والسفر منها غداً صباحاً إلى المحطة ؛ وبمجرد تحرك الرفاض من جبوقلى ، قال سموه : بسم الله الرحمن الرحيم ، توكلت على الله ، وشفع هذه العبارة بما يأتى : هذه هى بداية السفر .

وبعد ظهر اليوم ذهب بملابسه السوداء الرسمية (الرديجوت) لزيارة جلالة السلطان فى سراى ضوله بأعجبه مودعاً ، وقال جلالتة لسموه : إن شاء الله تعود إليها قريباً . ثم زار سموه سفير ألمانيا فى الساعة الخامسة بعد الظهر .

وفي المساء حضر من جبوقلى البرنسان عبد المنعم وعبد القادر ، لقضاء الليلة فى بيك مع سموه ، استعداداً للسفر .

وذهب الجناب العالى مساء إلى جبوقلى ؛ وراقب إحضار الحقائب ، وما يتبعها ، وإنزالها فى بيك ؛ وبات فيها هذه الليلة رمزى طاهر باشا ، ويوسف صديق باشا ، والدكتور كاوتسكى ، والدكتور سيد كامل ، والدكتور مورو ، وعبدالله البشرى افندى ، وابراهيم آدم بك ، ومحمود خيرى افندى ؛ والجميع يرجون أن يخرج سموه من الاستانة بخير . وقد اتخذ جنابه العالى الاحتياطات اللازمة ؛ ومنها إعطاء المسافرين معه مسدسات يحملونها فى أثناء سير سموه إلى المحطة .

وفي ١٥ منه استيقظ الجميع فى الساعة الرابعة صباحاً ؛ وتناولوا طعام الفطور ثم انضم إليهم جلال الدين باشا (القبوكتخدا) . وقبل الساعة الخامسة نزل سموه من الحریم ؛ وكانت قد استحضرت عربتان من عربات الأجرة لركوب سموه سراً ؛

ولكنه أمر بأعداد عربية الوالدة ؛ بالرغم من معارضة يوسف صديق باشا الذى قال إنه يجب أن تتبع عربية الخديو عربية أخرى . فقال سموه : لا لزوم لذلك ؛ ويكفى أن يركب بحوارى رمزي طاهر باشا ، وأمامى نجر الدين أغا (وهو حارس سموه الشخصى) والباقون ذهبوا بجرأ إلى شرك جى .

وفى ١٩ منه رجعت من مهمتى فى إيطاليا إلى فينا ، فوجدت مع الخديو البرنسين عبد المنعم ، وعبد القادر ، ومسيو بادل الألمانى ، ويوسف صديق باشا ، و (ي . بك) وخيرى أفندى الضابط .

وفى المساء سافر البرنسان مع خيرى أفندى ، للاتساب فى مدرسة « لانسى » بضواحي « جنيف » ، وتديرها « مدام برونل » ، كريمة « هكسيوس » ، مؤسس المدرسة ، وأخت « شارل هكسيوس » ، صديقى .

وفى ١٩ منه زار الخديو الكونت برشتولد ، وزير خارجية النمسا ، وسفير ألمانيا ، رداً لزيارتهما له .

ولما اختليت بالخديو ، قال لى إنه كان واثقاً من أن فى وجوده بالاستانة خطراً على حياته ، وذكر أنه لا يرجع إليها مطلقاً ؛ ولهذا اتفق الرأى على أن ينوب عنه البرنس ابراهيم سبلى باشا لمرافقة الجيش التركى ؛ وليكون قائمقام خديو مدة غياب سموه عن مصر ؛ وعلمت أن الأتراك كانوا لا يرغبون فى ترك سموه الاستانة . ولكن المسيو بادل من جهة ، وسفير ألمانيا من جهة أخرى ، سهلا له السفر ؛ وقد وعد أفندينا الأول بأن يكون مستشاراً مالياً عند رجوعنا لمصر ، وقد عين الآن قنصلاً عاماً لألمانيا فى دمشق .

تهديد سفير ألمانيا للاتحاديين : وقد علمنا فيما بعد أن الجدل اشتد بين سفير ألمانيا و خليل بك عندما لمح له بأن الأتراك ليسوا تحت الوصاية ، وذلك عند الكلام على مسألة خروج الخديو ؛ فأجابه السفير قائلاً : « حيثنذا أنا أمر بسحب جنودى وضباطى فى البحر والبر ، وأطلب أن تدفعوا لى السبعة الملايين من الجنهيات التى أقرضتها ألمانيا للدولة ، فأجاب خليل بك وهو مرتبك : « أنا لا أقول بأننا لا نسمع نفيحة ألمانيا ، فرجنا منه السفير ألا يرجوه فى معاملاتهم لدرجة تضطره لإجبارهم على عمل الواجب .

حديث عباسي: بينما مع جريبارس عن مائدة الراهب . وفي ٢٠ ديسمبر
زار سمو الخديو مسيو جريبارس وزير اليونان المفوض لدى حكومة النمسا، وكان قنصلا
جنرالاً لدولته في مصر مدة طويلة، وبينه وبين الخديو صداقة قديمة، فأظهر سموه له
كدره من معاملة الأتراك له؛ واقتناعه بأن الاعتداء الذي وقع له كان مديراً؛ لأن
المهندار الذي كان على يسار العربية زج بنفسه داخلها، بحيث عرض الخديو لرصاص
الجانى، ولأن سائق العربية أوقفها عند أول طلقة، مما سهل له الأمر في إطلاق الرصاص
قال الخديو: وهذا ليس بعيداً على الأتراك؛ لأنهم سعوا أيضاً في اغتيال حياة ملك اليونان
بوساطة يوناني استأجروه، وتوصلوا لغايتهم؛ كما أنه اتضح أن الطلياني الذي أراد
قتل ملك إيطاليا في سويسرا، كان للترك أصبح في إقدامه على هذا الفعل. قال: وملك
إيطاليا أخبرني بأنه لم يسعنا إلا أن نعلن أن الجاني مجنون؛ وأن شفيق لما تقابل معه
سأله الملك عن القاتل وجنسيته. وقيام رجال الجندرمة بتله في الحال؛ ولعل هذا
معنى لم يفهمه شفيق؛ ولكني أنا فهمته فكأنه يقول: كما حصل لي حصل للخديو؛
ثم أضاف: وهذه أبرار أعطانها الملك.

ثم إن أفتدينا أفهم جريبارس بأنه ليس في نيته مقابلة امبراطور ألمانيا؛ وأنه
حضر لاستشارة بعض الأطباء في أمر الاصابات التي أصيب بها.

رأى عباسي في هل صنأة السودان . في ٦ ديسمبر كان بعض الحاشية
في حضرة الجناب الخديوى، ودار الحديث في مسألة الري في مصر والسودان،
فقال سموه:

د إن الذي يريد أن يحكم مصر، ويوفر لها أسباب السعادة والهناء، يجب أن
يكون قابضاً على السودان،

ومع هذا فإن سموه لم يكن يتخوف من إنشاء الحزانات التي تمكن إقامتها
في السودان؛ لأن النيل الأبيض كاف لرى الجزيرة؛ وإنما كان يخشى أن تنمو زراعة
القطن في السودان، فتتحول السوق إلى هذه الجهات؛ وينخفض سعره في مصر.

د ولاحظ سموه أن المصريين نسوا شرطاً من شروط الاتفاقية بين مصر
وإنجلترا بخصوص السودان. وهذا الشرط يقضى ألا يزرع فيه القطن. وعليه كان
يرى سموه أن الواجب الاهتمام بالمحافظة على هذا الشرط.

ثم انتقل إلى مصر فقال إنه يرى أن تقام قطرة تشبه الخزان في مديرية جرجا ، فتضمن للوجه القبلى ريه الصيغى . وأشار أيضاً إلى إيجاد قطرة أخرى في شمالى زفتى . يوفر بها الرى للجهات النائية ؛ وثالثة على الفرع الغربى ؛ بحيث لا تكون المناوبات صعبة بالدرجة التى هى عليها الآن ؛ وبحيث تتوافر المياه اللازمة لرى جميع أراضى القطر بالراحة ؛ وكان يتكلم فى كل ذلك كخبير عارف بمجارات القطر .

ثم رجع إلى مسألة السودان ومستقبله ، وقال :

و يجب أن تتفق مصر مع إنجلترا على أن تبقى المنطقة الشمالية فى السودان ، والنى بها المسلمون للمصريين ؛ أما المنطقة الجنوبية منه ، والنى لم يدخلها الاسلام فتبقى للإنجليز ؛ وبذلك تحل مسألة السودان . .

ثم قال :

و صحيح أن فى هذا الاتفاق غرامة على مصر ؛ ولكن هذا هو كل ما يمكننا عمله لذريتنا . وعلينا أن نربها على أن تكون فى المستقبل قادرة على استرداد الجزء الجنوبى من السودان ؛ لأن النيل كله يجب أن يكون فى قبضة مصر . .

كيف استقبل عباس فهد عزله وتولية السلطان حسين . فى ١٠ ديسمبر ذكر يوسف صديق باشا لسمو الخديو ، أن محمد راسم بك ، حضر من إيطاليا ؛ وروى أن الإنجليز عرضوا مراراً على رشدى باشا أن يستقيل ، وهو بما ظلمهم ورفض الاستقالة . وروى أيضاً أنهم عرضوا على محمد سعيد باشا أن يكون رئيساً لمجلس النظار ، فقال إنه لا يستطيع تولى هذا المنصب ، والخلافة فى حرب مع الدولة الإنجليزية ؛ وأظهر سموه ارتياحه فى الخبر الأخير ؛ ثم روى راسم بك أن سعد باشا ألقى فى مصر خطبة أو كتب مقالة ، أو عمل حديثاً حقيقياً ؛ فقال : إنه كان يظن على الدوام فى السياسة الإنجليزية فى مصر ؛ ولا يزال يرى أن أعمال الإنجليز غير مرضية ؛ ولكنه مع هذا لا يجب مطلقاً أن يرى مصر تحت حكم الأتراك .

وقد ذكر صديق علاوة على ذلك أن الإنجليز أذاعوا فى فرنسا وفى الخارج حديثاً لسعد زغلول باشا ؛ وأن جريدة الطان نشرته . وقال أيضاً : إن الإنجليز أعلنوا عزل الخديو . وأن جريدة الطان كتبت مقالا افتتاحياً فى هذا الموضوع ، قالت فيه : « إن إنجلترا قد أحسنت فى عزل الخديو ؛ لأنه لم يكن صديقاً لإنجلترا أو لفرنسا . . وفى يومى ٢٠ و ٢١ ديسمبر جاءت أخبار برقية ، تنهى بأن الحماية الإنجليزية

أعلنت على مصر؛ وأنها صارت سلطنة؛ وأن البرنس حسين كامل عين سلطاناً عليها بلقب صاحب السمو؛ وأنه احتفل به أمس بموكب خرج من سراى نعمت الله هانم افندى زوجة نجله كمال الدين باشا؛ وأن الأهالي تلقوا هذا الانقلاب بدون اهتمام؛ وأن جلالة ملك إنجلترا أنعم على البرنس بنيشان الحمام، وعلى حسين رشدى باشا بوشاح ميشيل وسان جورج؛ وأن الوزارة الجديدة شكلت كما كانت قبلاً، ما عدا محب باشا فقد حل محله في الأوقاف عدلى باشا، الذى كان في الخارجية، وهذه النظارة ألغيت.

وأنه بالنظر لكون الخديو انضم إلى أعداء الملك، فقد حرم من الرجوع لمصر؛ ولكن حفظت له أملاكه الخصوصية.

هذا هو ملخص أخبار مصر.

قرأت حاشية الخديو هذه البرقيات؛ وترددت في إبلاغها لسموه؛ ولكنى مثلت. بين يديه وعرفته بالانقلاب، بطريقة مناسبة؛ فكانت إحساسات سموه بالنسبة للانقلاب ما يأتى:

أولاً — أنه لم يظهر كدوره لقبول البرنس حسين كامل باشا منصب السلطنة. وقال: « في محله وأنا أميل لهذا الحل ».

ثانياً — أنه يأسف لكون مصر صارت تحت حماية أجنبية؛ وكان يود أن تكون حرة.

ثالثاً — أنه تكدر جداً من قبول النظار — وخصوصاً قائمقامه حسين رشدى باشا — بعد أن حلفوا بين الطاعة له أن يتركوه. ويشغلوا مع خلفه؛ وذكر أن هذا يدل على أنه لا يوجد مصرى واحد، يفضل الاستقالة، ويرفض النيشان الانجليزى؛ ليحفظ كرامته (مثيراً بذلك إلى رشدى باشا). ثم قال: « الحمد لله إننى لم أخطئ. في رفض وجودى بإيطاليا؛ فلو أتى ذهبت لرغب الانجليز الآن في عودتى إلى مصر، وإرغامى على قبول الانقلاب، أو معاملتى معاملة لا أرضاها

قلوب عباس بعد الانقلاب في مصر. لم يمض إلا القليل بعد أن علم عباس بخلعه وتولية عمه السلطان حسين كامل حتى ظهر على وجهه القاق والتفكير. فأردت الترويح عنه بأن عرضت على سموه الخروج في رياضة: إراحة لأعضائه، فوافق

ولما كنت أعلم عن الخديو أنه يعتقد بالتفاوض والتشاور من بعض الأقدام والأشخاص، وكانت هناك سيدة التحقت به أخيراً ولم أكن مستريحاً لانحائها به - اتهمت هذه الفرصة وعرضت بشؤم هذه السيدة على سموه، لأنها لم تكذب تتحق به حتى أعلن عزله ولكن هذا التعريض لم يفلح، لأن سموه رد على قائلاً: «ولكنها ساعدتني مادياً في هذه الظروف الحرجة، ناسياً أن هذه المساعدة إنما هي من أموره في الحقيقة».

وبعد ذلك سألته عن أسباب قلقه، فقمت أنه لم يكن لضياح عرشه؛ فانه كان يتوقع هذا الحادث الخطير قبل إعلان الحرب العظمى بسبب العدواة التي كانت بينه وبين اللورد كيتشر. إنما كان قلقه لسببين آخرين:

الأول - تخوفه من مصادرة الانجليز لأملاكه؛ بسبب انضمامه لأعدائهم، والعمل على إرسال حملة تركية لمصر.

والثاني - عدم صدور إرادة شاهانية بتحديد مهمة هذه الحملة، والتصريح فيها برجوع سموه إلى عرشه، وحفظ امتيازات مصر كما كانت قبل الاحتلال الانجليزي.

أما السبب الأول فقد سمعته يقول عنه: «هأنذا قد تركت الاستانة وصرت بعيداً عن الأتراك والحملة، ولم ألتحق بها؛ فليس هناك ما يحمل الانجليز على مصادرة أملاكى، فرد عليه الدكتور سيد كامل قائلاً: «وهل هم لم يكونوا يعرفون حتى قبل قطع علاقات سموكم بهم أنكم تشجعون على إرسال الحملة وترفضون السفر لاطاليا؟»

فقال: «على كل حال أنا لا أتوقع السير مع الحملة كما يظهر لى».

وقد فكر سموه في القيام بمساع أخرى لحفظ أملاكه بواسطة البير ملك بلجيكا

ثم لما اتدبني عباس للذهاب إلى الاستانة عند تولية طلعت باشا الصدارة، قمت بمساع لضمان تمريض الخديو عن أملاكه إذا صودرت.

وسيرى القارىء في الجزء الثالث تفصيلات عن هاتين المخبرتين.

أما السبب الثاني فقد علم القارىء بالاتفاق الذي تم بين عباس وأنور باشة وسفير ألمانيا بأن يعملوا معاً مسترشدين بآراء سموه في الحملة العثمانية الراحفة على مصر وإتماماً للفائدة أثبت ما رواه لى يوسف صديق باشا عما حصل ليلة هذا الاتفاق.

قال . قلت لأفندينا إنه يجب قبل الكلام في هذا الاتفاق أن تعترف بما فعلته مع السنوسيين والايطالين ضد الأتراك ، وأن تشرح الأسباب التي دعنتك إلى ذلك ، وتذكر أنور باشا بكل ما فعله الأتراك ضدك ؛ وبعدها تتصالحون وتتعاهدون على السير معاً فوافق الخديو على ذلك ، وتم في هذه الجلسة الاعتراف من الطرفين بكل ما حدث في الماضي ، والاتفاق على نسيانه ، والعمل بالاتحاد . وتقرر كذلك أن يدبر الخديو في مصر حركة ثورية ؛ حتى إذا ما دخل الجيش العثماني ، قام الأهالي بالثورة ضد الانجليز ، غير أن هذا الاتفاق لم يطمئن عباس ، فانه كان يرى أن سير الحملة بطيء جداً ، وأنه لا يوجد قرار رسمي يعتمد عليه في نتيجة الحملة ؛ ولهذا فكر في عمل المساعي لمقابلة الامبراطور شخصياً أو باتداني لهذه المهمة .

وقد علم القارى فيما سبق ، أنني عندما كنت في روما تحدثت مع البرنس محمد على في أن أرافقه في هذه المهمة ، وأنه تمنى لالتزامه خطة الحياد . عندئذ تخالفت مع الأستاذ فهمى في جنيف ، ليتصل بسفير ألمانيا في برن ، ويعمل ما يلزم في برلين ، لتحديد موعد مقابلتي مع الامبراطور ؛ وأن يكون الأستاذ برفقتي . وقد قام بهذه المساعي ؛ وجاء الرد بأن الامبراطور ترك برلين إلى ساحة القتال ، وأنه كلف ناظر الخارجية بأن يقابلني بالنيابة عن جلالته وبصحبي الأستاذ فهمى . وقد طلبت من السفارة أن أخبرها بيوم قيامي إلى برلين ، وبالطريق الذي أتخذه للوصول إليها . وفهمت أن الحكومة الألمانية تعلق أهمية على هذه الزيارة . وكانت مهمتي لدى الامبراطور هي أن أقدم لجلالته تحيات الخديو واحتراماته ، وأن أشكره على عنيته ورعايته للحملة التركية على مصر ، وأن المصريين لا ينسون هذه المساعدة ، ثم أننا أكد من جلالته أن الحملة لا تمس الامتيازات التي نالها مصر من تركيا ، وأن تعود الحالة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال مع عودة سموه إلى عرشه .

هذا ولما كنت إذ ذاك على وشك السفر من روما ، لم أرسل الرد للسفارة ريثما أعرض المسألة على الخديو الذي علمت بحضوره إلى فينا . وعند وصولي إليها ومخادتي معه اتفقنا على أن يقوم محمد بك فريد بالسفر إلى ألمانيا مع الأستاذ محمد فهمى ؛ وقد تقابل مع سفير ألمانيا في فينا وأعلمه باعتذارى عن السفر ، وانتدابه هو وزميله للذهاب إلى برلين ، فسلمه خطاباً لوزير الخارجية الألمانية بخصوص هذه المقابلة .

وقد تأكدنا أن الحكومة الألمانية تعلق أهمية كبرى على المحادثة مع الوطنيين

خشية أن يعتبر سفر الخديو من الأستانة اختلافاً بين سموه وبين العثانيين ؛ ولهذا أرسلت سفارة ألمانيا في الأستانة إلى القنصل في جنيف بأن سفر سموه كان لأشغال خصوصية ، وأنه على وفاق تام مع الاتحاديين .

وقد عمل فريد بك حديثاً مع مكاتب جرنال ، النيو فرای بريسيه ، في فينا عن مطالبنا التي نرجو تحقيقها في الارادة

أما الخديو فانه لم يكتف بمقابلة فريد وفهمي لوزير الخارجية ، بل كان يرغب كل الرغبة في مقابلة الامبراطور ليحادثه ؛ لا في مسألة مصر فقط ، بل في القيام بمساع لتقريب فرنسا من ألمانيا . وسيرى القارى . تفصيلات هذه المساعي في الجزء الثالث

الخفاوة بالخديو في فينا . بعد خروج الخديو من الأستانة والسفر لفينا اهتمت الدوائر الحكومية باستقباله والخفاوة به ، وكذلك سفير ألمانيا وتركيا

وقد أرسل برشتولد وزير خارجية النمسا إلى سموه في ٢٤ ديسمبر يهنئه بعيد الميلاد ، ويقدم له لوجين في الأوبرا وفي تياترو البرج ، وقال في خطابه : « أرجو أن نجيشنا السنة الجديدة بسلام مشرف وطيد الدائم ، وأن يتاح لسموكم العودة إلى بلادكم الجميلة ، وقد رد عليه الخديو شاكرآ ثم قال : « إنني من جيتي أدعو الله دعا. حارآ أن تكون سنة ١٩١٥ سنة سعيدة لنا جميعاً ، وأن يتوج النجاح جيوش صاحب الجلالة الامبراطور وحلفائه . وإنني أمام علائهم العطف التي لم ينقطع جلاله الامبراطور عن إبدائها نحوى ، أجد من واجبي أن أبتهل إلى الله القدير أن يحفظ حياته الثمينة زمناً طويلاً ، وأن يبب شعبه المجد والرخاء ، وختم الخديو الخطاب بتهنئة وزير الخارجية بعيد الميلاد والعام الجديد

وقد دعا سفير الدولة سموه وحاشيته للعداء يوم ٢٩ الجاري ؛ وكنت أنا ويوسف صديق باشا بين المدعورين

وفي يوم ٢٩ منه ذهبنا تلبية للدعوة ؛ وكان من بين المدعورين وزير خارجية النمسا وزوجته ، وسفير ألمانيا وزوجته ، والسكونت تولجاش من رجال وزارة الخارجية والسكونتس زوجته ، والسكونت ما كيو سفير النمسا في روما

وبعد انصراف المدعورين اختلى السفير ووزير الخارجية بالجانب الخديوى مدة نصف ساعة ، دار الحديث خلالها عن الانقلاب الذي حصل في مصر ، ثم قال وزير

الخارجية: «وعلى ذلك لا بد أن المخصصات انقطعت، فرد سموه بالإنجاب، فقال السفير: وماذا ستفعلون؟ نعم المعروف أنكم من الأغنياء، ولكنكم الآن في خارج مصر، فرد سموه قائلاً: الحمد لله فانتى غنى وعلى رغم أنتى في خارج بلادى، فانتى قد لا أحتاج لشيء، وقد لاحظنا نحن على الخديو اعترافه بأنه غنى ا فقال: أنا أعرف بأفكار هؤلاء الناس، والقاعدة عندهم أن الغنى هو الذى يعنى به، أما الفقير فلا يؤبه له. وهذا مثلاً ناظر الخارجية، فهو رجل عادى من حيث كفاءته، ولكن ثراؤه واتبائه لولى العهد هو الذى أوصله لهذا المركز.»

شؤره مختلفه. فى ٤ أغسطس جاءت الأوامر من لندرة بوضع المراقبة على البرقيات من مصر وإليها.

وفى ٥ منه رجع رجال الوكالة الانجليزية إلى مصر؛ وتصل جنرال إنجلترا فى الاسكندرية عرف رشدى باشا باعلان إنجلترا الحرب ضد ألمانيا رسمياً. فأخذت النظارة تبحث فى ضرورة إعلان نوع من الأحكام العرفية، خوفاً من وقوع اعتداء من الخارج، وأخذت الجنود الانجليزية فى إقامة استحكامات أمام الواجهات الخارجية لسراى رأس التين. وكذلك أمام الشكنات الحكومية، وثكناتهم؛ وأحضروا المواد من طرفهم.

وفى ١٤ منه أبرق مرتضى رشدى بأن المصريين بأوروبا خابرونا بالصعوبات التى يلاقونها من البنوك لأخذ نقودهم؛ والمرجو إخبارنا برقياً عن الاجراءات التى سيتخذها.

وفى ٢٥ منه اجتمع الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر، والشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ ابو الفضل الجيزاوى، عند رشدى باشا. ودار الحديث فيما إذا كان من المناسب تأخير افتتاح الدراسة فى الأزهر، وفى المعاهد الدينية الآن، خوفاً من حصول هياج بين الطلبة؛ خصوصاً إذا أعلنت تركيا الحرب على إنجلترا. وبعد المداولة، تقرر افتتاح الدراسة، على أنه إذا حصلت أية مشاغبة تأمر الحكومة بتأجيل الدراسة فى كل المعاهد. وجرى البحث فى شأن سفر الحجاج فى هذه السنة؛ ويرجو رشدى أن يكون الخديو فى مصر حين الفصل فيها.

وفى ٣١ أغسطس أبرق يوسف صديق باشا للقائم مقام يرجوه تبليغ الخاصة الخديوية تسليم كل المبالغ الذهبية، والباقي من المخصصات؛ بعد تنزيل ما يلزم منها

١٩١٤

لادارة الخاصة إلى محمد فهمى بك ، ليحضرها معه عند سفره إلى الاسكندرية ؛ وكذلك يسلم له مراسلاته ومراسلات السراى .

وفى ١ سبتمبر أبرق إليه يرجوه أيضاً تسليم محمد فهمى بك الوقائع الرسمية التى نشرت الديكريـات الخاصة بقرارات الحكومة المصرية عن حالة الحرب ؛ وكذلك مجموعة الوقائع من أول أغسطس .

وفى ١٥ منه أرسلت برقية إلى القائمقام ، بأن قومندان المحرسة أخير يحصل ضجة من رجاله بسبب عدم دفع رواتبهم ؛ وطلب سموه سرعة إرسالها ؛ كما طلب أيضاً استعلامات عن حالة المصريين فى أوربا .

فرد على سموه فى ١٤ منه بأن المصريين رجعوا لمصر فى ٩ سبتمبر ، ما عدا البرنس عمر طوسون .

وفى ١٦ سبتمبر جاء الدكتور خيرى باشا حكيم السلطان ؛ وثابت بك أوجهى باشى لدعوة أفندينا من طرف السلطان ، لحضور حفلة توزيع الجوائز على متخرجى مدرسة البحرية ؛ ومشاهدة امتحان المراكب الحربية ، ومن ضمنها المدرعة جوين ، و برسلار ، الألمانية ؛ فأرسل أفندينا تـلفـرافاً لجلالته صباح ١٧ منه بالاعتذار لتوعدك مزاجه (والحقيقة لعدم استحسانه وجوده فى جم غفيرة فى الحجة التى سيكون فيها المدعون) . ولكن التلغراف لم يصل قبل قيام جلالته ، مع أنه أرسل قبله بثلاث ساعات ، لاهمال حصل من الجندى (مرسلتنا) الذى أوصل البرقية لمكتب التلغراف أو من مأمور التلغراف ؛ فأرسل جلالته يستعلم عن سبب التأخير ضابطاً من الجندرمة برفاص ؛ وقال إن جلالته انتظر ربع ساعة على يـحـت إرطفرول (وكان عليه السلطان ، وولى العهد وحيد الدين أفندى ، ومجيد أفندى ؛ وهم الذين يأتون بعد ولى العهد) . فأهنته أن سموه أرسل تـلفـرافياً اعتذاره للسلطان ؛ وأعطيت له صورة منه .

وفى ١٧ منه أرسل رشدى يقول إن وطنى باشا يلمس من أفندينا أن يصرح له بأجازة للحاق بالايه فى فرنسا ؛ وأن الحكومة المصرية أجازت مثل ذلك لغيره ؛ وبما أنت وطنى باشا من الموظفين فى خدمة سموه ، رأيت من الواجب على أن أعرض طلبه ؛ وأنا متأكد أن سموه لا يرفض هذا الطلب ، فإذا حصل ؟

وفى ١٩ سبتمبر علمنا أنه حصل شقاق بين الوزراء العثمانيين ؛ فالبعض يطلب الدخول فى الحرب ، والبعض الآخر لا يقول بها ؛ فالذين لا يطلبون هم جاويد بك ؛

وطلعت بك ، وجمال باشا . أما الصدر فيصوره أفندينا أنه في الظاهر مع الألمانين ؛
وأما في الباطن فهو مع الانجليز .

في برقية من صديق في ٢٨ سبتمبر ، رجا فيها القاتمقام باعطاء التعليقات لاحمد
صادق بك ، لسحب أسهم البنك العقارى المحفوظة فيه باسم الدائرة الخاصة ، وإرسالها
إلينا ، بعد وضعها في غلاف ، وختمه بالشمع الأحمر .

وفي هذا التلغراف تعليقات عن كيفية إرسالها ؛ وأن كشف النمر يحفظ بطرف
أحمد صادق بك ، وسيُرسل له خطاب منا بصحة هذه البرقية ، لتقديمه للبنك إذا
وجدت صعوبات .

في ٤ اكتوبر دعى سفير أمريكا وزوجته لتناول الشاي في كشك صاحب متلا
وحضر يوسف صديق باشا ومحب باشا .

في ٥ اكتوبر اشتغل الخديو باعطاء التعليقات اللازمة لمحمد فهمي بك التشرىفات
قبل سفره لمصر .

وأهم هذه التعليقات نقل الأشياء الثمينة التى بالقصور إلى تفتيش أدفينا ؛ مع وضع
نظام لحراستها ؛ وإرسال الأشياء الثمينة الأثرية منها من سيوف الأسرة الخديوية
وخلافها للاستاتة .

وفي ٧ اكتوبر نزلت لشراء خزانة كبيرة ليضع فيها الخديو الأوراق الثمينة
كالعقود والأسهم وغيرها . وقد أمر سموه باستحضار كل ذلك من مصر ليكون
في مأمن .

وفي ٣٠ منه هرع إلى سراى بيك كثير من الزائرين لتهنئة أفندينا بالعيد ، وكلهم
تقريباً من المصريين ؛ وفيهم فريد بك ، والشيخ جاويش ، وباقي أركان الحزب الوطنى ،
ويوسف ضيا باشا رئيس الياوران سابقاً ، وكان قد قطع العلائق مع السراى من وقت
انفصاله منها ؛ وكان الجناح العالى مسروراً .

وفي ٥ نوفمبر كان الخديو أوفد يوسف صديق باشا إلى سفارة إيطاليا ؛ ليستعلم
عما إذا كان شقيقه البرنس محمد على موجوداً بمصر ؛ وهل عين البرنس حسين حاكماً
عليها ؛ وهل ضمت لانيجلترا ؟

والسفارة الإيطالية وردت لها معلومات من حكومتها ، تقول إن الانجليز عينوا
البرنس حسين كامل مستشاراً لهم ، وأن التعيين المذكور أثر تأثيراً سيئاً فى المصريين .

ثم ورد خبر آخر بواسطة هذه السفارة ينفي بأن البرنس محمد علي والبرنس عزيز حسن يستعدان لترك مصر .

في ١٢ نوفمبر كانت خزانة الساحلخانة بمجوقلي في عسر مالي ؛ وقد حضر لي من مصر مبلغ من النقود الذهبية ، فسلمت منه خمسمائة جنيهة انجليزية للخزانة سلفة أستردھا من الخاصة بمصر وقت رجوعي إليها .

في ١٩ منه كان جمال باشا ناظر الحربية قد استأذن من الجناب العالي أن يفضل ويأذن باستخدام المحروسة مع الأسطول العثماني لسرعتها ، لمعاونة المدرعات . فأجاب سموه بالقبول ؛ كما كان قد أذن باستعمال التلغراف اللاسلكي . فأرسلت البحرية بعض المهندسين للكشف على المحروسة ؛ ولكن لما وجدوها غير صالحة للاستعمال كدرعة ، أرسلت الحكومة جواباً بالشكر وبعدم لزومها ؛ والجواب مؤرخ بتاريخ اليوم .

سافر اليوم إلى دده أجاج عبد الله البشري افندي ليقابل هناك بعض المستخدمين في الباخرة سعيدية الآتية من الاسكندرية ؛ ويعلم منهم بعض أخبار مصر ؛ أو يصاحب بعض ركابها ، ويعلم منهم شيئاً عن الحوادث المصرية .

وفي هذا اليوم سافر من الاستانة اثنان من مهندسي المحروسة الوطنيين ، قاصدين دده أجاج ومنها إلى الاسكندرية . ولكن الواور المخصوص تأخر سفره إلى المساء ، فاضطرا إلى الانتظار إلى غد أو بعد غد وكذلك تأخر سفر (الدكتور ر . افندي) عن مياعده اليوم .

في ٢٢ منه تشرف بمقابلة الجناب العالي في سراي بيك ، محمد فريد بك ؛ وقدم لسموه أبا سعيد الهندى صاحب جريدة « جهاد إسلام » التي تصدر في الاستانة باللغات الثلاث : العربية والتركية والأوردية ؛ وقدم لسموه أربعة من الطلبة المصريين الذين جاءوا من لندرة أخيراً .

في أول ديسمبر جاء في سراي بيك قبل الظهر ياور من نظارة الحربية ، اسمه غالى عاطف ، ومعه جواب بامضاء أنور باشا ، يطلب فيه من سمو الخديو تسليم آلة التلغراف اللاسلكى التي في الباخرة المحروسة ، فأبلغه سموه بأنه سيصدر الأوامر اللازمة في هذا الموضوع .

وبعد الظهر أمر سموه عارف باشا بالذهاب إلى نظارة الحربية ، لابلأغ أنور باشا

بموافقة سموه على نقل هذه الآلة من الباخرة المحروسة ، ووضعها تحت تصرف الجيش وإدارته .

وفي هذا اليوم أيضاً أمر سمو الخديو بتحضير بيان بأسماء جميع الموجودين في سراى جبوقلى ، لترحيل من يلزم ترحيله منهم إلى مصر بالباخرة سعيدية ، من بواخر الشركة الخديوية ، التي أرسلت اليوم أنها ستقوم .

في ٨ ديسمبر ذكر سموه أن الحكومة العثمانية عثرت على أوراق في نادى العرب بالاستانة تدل على أن جماعة منهم يحرضون العرب من أهل سوريا ، على ألا يسيروا في هذه الحرب التي يرونها مشئومة . قال هذا سموه ، والظاهر أنه كان يرمى إلى إشعار السيد عبد الحميد الزهراوى بأن يترك الاستانة مؤقتاً ويهرب منها ، ولكن سموه خشى أن يبلغه ذلك مباشرة ، ثم يسأل عن أوعز له بالهرب ، فيقولون : سمو الخديو .

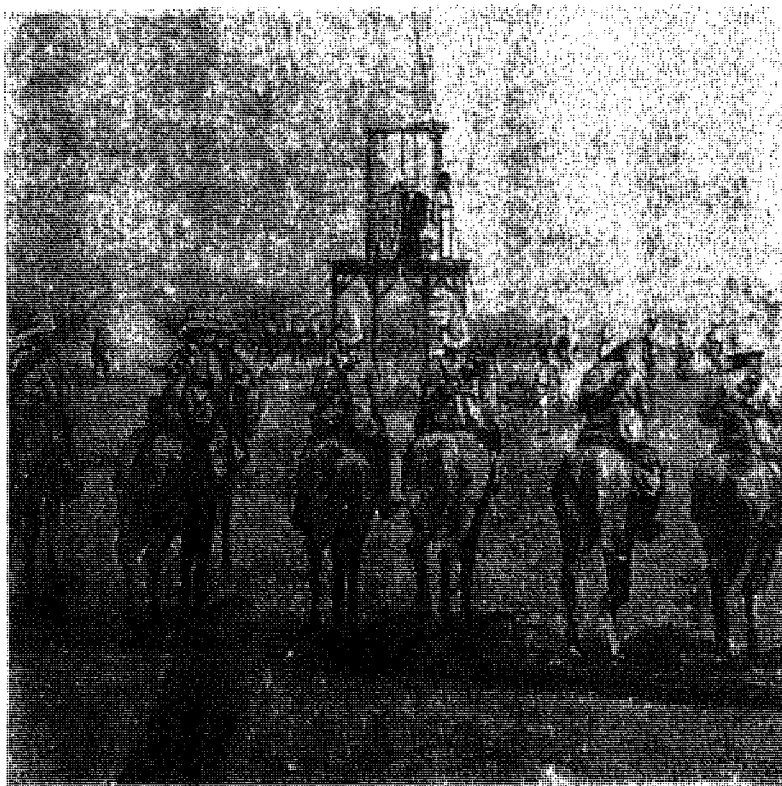
في ١٤ منه عند ظهر اليوم خرج سموه لابساً ملابسه الرسمية العسكرية ؛ وكذلك رمزى طاهر باشا ، والميرالاي ابراهيم أدم بك ، والصاغ محمد خيرى افندى ؛ ثم يوسف صديق باشا ، وعارف باشا . وقصد سموه سراى مجلس المبعوثان لحضور حفلة الافتتاح ؛ ثم عاد سموه وحاشيته لتناول طعام الغداء .

كلمة شكر

لا يفوتنى أن أتقدم بالشكر إلى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون على ملاحظاته القيمة وعلى تفضله ببعض الصور النادرة ، وكذلك إلى حضرة الدكتور حسين بك هيكل الكاتب القدير على مقدمته النفيسة التي صدرت بها القسم السابق ، وإلى الدكتور محمد عبد الله عنان على تنسيقه المذكرات ، كما أشكر الصحافة العربية والأجنبية وبعض الكتاب البارزين على تفريلهم الجليل لها

كلمة ختامية

لم يبق من مذكراتى سوى الجزء الأخير ، وبما سيحويه : الجمعيات العربية الجهنمية لاثارة الفتن والقتال بمصر ضد الانجليز ، بولو باشا والعمل لصلح فرنسا وحدها مع ألمانيا ، المخابرات بين عباس وانجلترا بوساطة ملك البلجيك ، رجوع عباس إلى الاستانة بعد اتفاق مع الاتحاديين وأنا أرجو أنه يوفقى لاخراج هذا الجزء الأخير ، وكشف هذه الخبايا للحقيقة والتاريخ ، والله ولى التوفيق



إنفاذ عقوبة الاعدام في المحكوم عليهم في حادثة دنشواي

مذكراتي في نصف قرن ج ٢

تصويب الأخطاء التي وقعت في هذا الجزء

الخطأ	الاصواب	١٩	٢٠	الخطأ	الاصواب	١٩	٢٠
شكا	شكا	٢٤	٩	شكا	شكا	٢٤	٩
اصطبل	اصطبل	١٥	١٨	اصطبل	اصطبل	١٥	١٨
أمانها	أمانها	٣٤	١٩	أمانها	أمانها	٣٤	١٩
كانت العلاقات	كانت العلاقات	١	٢١	كانت العلاقات	كانت العلاقات	١	٢١
احد شوق افندى	احد شوق بك	١٩	٦٤	احد شوق افندى	احد شوق بك	١٩	٦٤
عنهما	عنهما	١١	٧٩	عنهما	عنهما	١١	٧٩
جبهة	جبهة	١٣	٨٣	جبهة	جبهة	١٣	٨٣
لمصر	لمصر	١٨	٨٣	لمصر	لمصر	١٨	٨٣
هو	هو	١١	٨٣	هو	هو	١١	٨٣
للدافعة من شناعة	للتنديد بشناعة	٢٤	١٠٦	للدافعة من شناعة	للتنديد بشناعة	٢٤	١٠٦
أخرى	أخبرني	٤	١٥٩	أخرى	أخبرني	٤	١٥٩
محمد القاطن جمال الدين	محمد جمال الدين افندى	١	١٦٩	محمد جمال الدين افندى	محمد جمال الدين افندى	١	١٦٩
افندى	قاطن مصر	١٧	٣٢٥	افندى	قاطن مصر	١٧	٣٢٥
وأديت	وأدت	٩	١٨١	وأديت	وأدت	٩	١٨١
ووصل	وصل	١	١٩١	ووصل	وصل	١	١٩١
يفرقد	يفرد	١١	١٩٥	يفرقد	يفرد	١١	١٩٥
فيه	فيها	١	١٩٨	فيه	فيها	١	١٩٨
بجمدة	الجمدة	٢	٢٠٥	بجمدة	الجمدة	٢	٢٠٥
التواصي	التوصيات	٤	٢٢٦	التواصي	التوصيات	٤	٢٢٦
تتسى	يتسى	٥	٢٢٨	تتسى	يتسى	٥	٢٢٨
تخرجه	تخرجه	١٧	٢٢٩	تخرجه	تخرجه	١٧	٢٢٩
تنشأ	تنشئ	١٤	٢٤٣	تنشأ	تنشئ	١٤	٢٤٣
تنفذ تانداً	تنفذ تانباراً	١٢	٢٤٥	تنفذ تانداً	تنفذ تانباراً	١٢	٢٤٥
المناسبة	المناسبة	٦	٢٤٧	المناسبة	المناسبة	٦	٢٤٧
رتبم	وقسم	١٢	٢٥٣	رتبم	وقسم	١٢	٢٥٣
بما	بما	٢٥	٢٦٠	بما	بما	٢٥	٢٦٠
أراد	أراد	١٤	٢٦١	أراد	أراد	١٤	٢٦١
السكرية	السكرية	٢٣	٢٦٦	السكرية	السكرية	٢٣	٢٦٦
الأخيرة	الأخيرة	١٢	٢٦٧	الأخيرة	الأخيرة	١٢	٢٦٧
أحد	أحداً	٢١	٢٧٦	أحد	أحداً	٢١	٢٧٦
أخذ بوزع من حال الأوراق الميات	أخذ بوزع منها الميات	٢٦	٢٦٧	أخذ بوزع من حال الأوراق الميات	أخذ بوزع منها الميات	٢٦	٢٦٧
يا باشا	يا باشا	٤	٢٧٩	يا باشا	يا باشا	٤	٢٧٩
تصيته	معيته	١٠	٢٨٠	تصيته	معيته	١٠	٢٨٠
بالمدين	لمدين	١٩	٢٨٣	بالمدين	لمدين	١٩	٢٨٣
بمجرد التماسها	بمجرد أن التماسها	٩	٢٩٣	بمجرد التماسها	بمجرد أن التماسها	٩	٢٩٣
الانتخابات	لا انتخابات	٢٦	٢٩٩	الانتخابات	لا انتخابات	٢٦	٢٩٩
أخذ حلى باشا	محمد حلى باشا	٢٤	٣١٣	أخذ حلى باشا	محمد حلى باشا	٢٤	٣١٣
الطبايين	الطبايين	١٧	٣٢٥	الطبايين	الطبايين	١٧	٣٢٥
ين	ين	٢	٣٣٠	ين	ين	٢	٣٣٠
التي وضعناها	التي وضعناها	٧	٣٣٣	التي وضعناها	التي وضعناها	٧	٣٣٣
عامة	عامة	١٥	٣٤٧	عامة	عامة	١٥	٣٤٧
المتعين	المتعين	٢٣	٣٧٥	المتعين	المتعين	٢٣	٣٧٥
نوقد	نوقد	٣	٣٨٥	نوقد	نوقد	٣	٣٨٥
التركية	التركية	٥	٣٨٥	التركية	التركية	٥	٣٨٥
المبعوثان	المبعوثين	١٢	٤٠٠	المبعوثان	المبعوثين	١٢	٤٠٠
المبعوثان	المبعوثين	١٤	٤٠٠	المبعوثان	المبعوثين	١٤	٤٠٠
برزاتى	برزاز	١٤	٤٠٤	برزاتى	برزاز	١٤	٤٠٤
اللازمين	للازمين	١٣	٤٠٧	اللازمين	للازمين	١٣	٤٠٧
ثلاثة	ثلاث	٣	٤١١	ثلاثة	ثلاث	٣	٤١١
لها	له	١٦	٤١٢	لها	له	١٦	٤١٢
عزى	عزى	١٧	٤١٧	عزى	عزى	١٧	٤١٧
والطف	ف والطف	١٨	٤٢٩	والطف	ف والطف	١٨	٤٢٩

صدر فى هذه السلسلة

- ١- مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.
- ٢- على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.
- ٣- ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.
- ٤- التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.
- ٥- غارات أوروبا على الشواطئ المصرية فى العصور الوسطى،
علية عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧.
- ٦- هؤلاء الرجال من مصر ج ١،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧.
- ٧- صلاح الدين الأيوبي،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.
- ٨- رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية،
د . على بركات، ١٩٨٧.
- ٩- صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.

- ١٠- توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
محمود فوزى، ١٩٨٧.
- ١١- مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.
- ١٢- هدى شعراوى وعصر التنوير،
د. نبيل راغب، ١٩٨٨.
- ١٣- أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د. عبدالعظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.
- ١٤- مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة
الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.
- ١٥- المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د. على حسنى الخريوطى، ١٩٨٨.
- ١٦- فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة
عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.
- ١٧- القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د. محمد نور فرحات، ١٩٨٨.
- ١٨- الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د. على السيد محمود، ١٩٨٨.
- ١٩- مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د. أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

- ٢٠ - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى ،
د . محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨ .
- ٢١ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ ١ ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨ .
- ٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨
- ٢٣ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ ٢ ، إمام التصوف فى
مصر : الشعرانى ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨ .
- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩ .
- ٢٥ - المجتمع الإسلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين ،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩ .
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد إسماعيل على ، ١٩٨٩ .
- ٢٧ - فتح العرب لمصر جـ ١ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ، ١٩٨٩ .
- ٢٨ - فتح العرب لمصر جـ ٢ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ، ١٩٨٩ .
- ٢٩ - مصر فى عهد الإخشيديين ،
د . سيدة إسماعيل كاشف ، ١٩٨٩ .

- ٣٠- الموظفون في مصر في عهد محمد علي،
د . حلمى أحمد شلبي، ١٩٨٠ .
- ٣١- خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٩ .
- ٣٢- هؤلاء الرجال من مصر ج- ٢،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩ .
- ٣٣- مصر وقضايا الجنوب الافريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة
ورؤية مستقبلية،
د . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩ .
- ٣٤- تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة
حتى عام ١٩١٢،
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠ .
- ٣٥- أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠ .
- ٣٦- المجتمع الإسلامى والغرب ج- ٢،
تأليف : هاملتون بووين، ترجمة : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠ .
- ٣٧- الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية فى
ربع قرن،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠ .
- ٣٨- فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .
- ٣٩- قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧)،
د . جميل عبيد، ١٩٩٠ .

- ٤٠- الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د . عبدالمنعم الدسوقى الجميى، ١٩٩٠ .
- ٤١- محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١ .
- ٤٢- تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غريال، ط ٢، ١٩٩٠ .
- ٤٣- رحلة فى عقول مصرية،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠ .
- ٤٤- الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩١ .
- ٤٥- الحروب الصليبية ج ١ ،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشى، ١٩٩١ .
- ٤٦- تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧) ،
ترجمة: د . عبدالرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩١ .
- ٤٧- تاريخ القضاء المصرى الحديث،
د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .
- ٤٨- الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،
د . زبيدة عطا، ١٩٩١ .
- ٤٩- العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨-١٩٧٩) ،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
- ٥٠- الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦-١٩٥٤) ،
د . سهير أسكندر، ١٩٩٣ .

- ٥١- تاريخ المدارس في مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، في
إبريل ١٩٩١)،
أعدھا للنشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٢- مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر،
د. إلهام محمد على ذهني، ١٩٩٢.
- ٥٣- أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د. محمد كمال الدين عز الدين علي، ١٩٩٢.
- ٥٤- الأقباط في مصر في العصر العثماني،
د. محمد عفيفي، ١٩٩٢.
- ٥٥- الحروب الصليبية ج٢،
تأليف: وليم الصوري ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ١٩٩٢.
- ٥٦- المجتمع الريفي في عصر محمد علي: دراسة عن إقليم المنوفية،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٢.
- ٥٧- مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢.
- ٥٨- أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة،
د. إبراهيم عبدالله المسلمي، ١٩٩٣.
- ٥٩- الرأسمالية الصناعية في مصر، من التمهيد إلى التأميم
(١٩٥٧-١٩٦٦)،
د. عبد السلام عبدالعظيم عامر، ١٩٩٣.
- ٦٠- المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكي، ١٩٩٣.

- ٦١- تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .
- ٦٢- هؤلاء الرجال من مصر ج٣،
لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .
- ٦٣- موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح
عاشور، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
- ٦٤- مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .
- ٦٥- مواقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧-١٩١٧)،
د . سهام نصار، ١٩٩٣ .
- ٦٦- المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،
د . نزيهان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .
- ٦٧- مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة،
بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل
١٩٩٣)، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
- ٦٨- الحروب الصليبية ج٣،
تأليف : وليم الصورى
ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .
- ٦٩- نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦-١٩٥١)،
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

- ٧٠- أهل الذمة فى الإسلام ،
تأليف : أ. س. تروتون
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤ .
- ٧١- مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦) ،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤ .
- ٧٢- رؤية الرحالة المسلمين لأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى
(٣٥٨، ٥٦٧هـ) ،
د. أمينة أحمد إمام ، ١٩٩٤ .
- ٧٣- تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤ .
- ٧٤- تاريخ الطب والصيدلة المصرية، ج١ ، فى العصر الفرعونى ،
د . سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤ .
- ٧٥- أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول ،
د . سلام شافعى محمود، ١٩٩٥ .
- ٧٦- دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال
البريطانى) ،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥ .
- ٧٧- الحروب الصليبية ج٤ ،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د . حسن حبشى، ١٩٩٤ .
- ٧٨- تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥ .
- ٧٩- تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،
تأليف : فريد دى يونج، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥ .

- ٨٠ - قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوربي (١٨٨٢-١٩٠٤) ،
د . السيد حسين جلال، ١٩٩٥ .
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر
أكتوبر،
د . رمزي ميخائيل، ١٩٩٥ .
- ٨٢ - مصر في فجر الإسلام، من الفتح العربي إلى قيام الدولة
الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ط٢، ١٩٩٤ .
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ج١،
أحمد شفيق باشا، ط٢، ١٩٩٤ .
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ج٢ - القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط٢، ١٩٩٥ .
- ٨٥ - تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٥ .
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ -
١٩١٤) ،
د. أحمد الشرييني، ١٩٩٥ .
- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن، ج٢، (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
إعداد : تريפור إيفانز، ترجمة وتحقيق: د. عبدالرؤف أحمد عمرو ١٩٩٥ .
- ٨٨ - اللذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحמיד توفيق زكي، ١٩٩٥ .
- ٨٩ - تاريخ الموائم المصرية في العصر العثماني،
د. عبدالحמיד حامد سليمان، ١٩٩٥ .

- ٩٠ - معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،
د. نزيان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦.
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦.
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)،
ج ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.
- ٩٣ - قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ - ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.
- ٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة
بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة
القاهرة)،
إعداد: د. عبد العظيم رمضان
- ٩٦ - عبدالناصر والحزب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤف أحمد عمرو.
- ٩٧ - العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من
القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.

- ٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى -
الرومانى) ج ٢ ،
د. سمير يحيى الجمال
- ١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،
أ.د. عبدالعزیز صالح، أ.د. جمال مختار،
أ.د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحي،
أ.د. فاروق القاضى، أعدما للنشر: أ.د. عبدالعظيم رمضان
- ١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،
اللواء/ مصطفى عبدالعزیز نصير، اللواء/ عبدالعزیز كفاوى،
اللواء/ سعد عبدالعزیز، السفير/ جمال منصور
- ١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة
- ١٠٣ - رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره
د. على بركات
- ١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد
- ١٠٥ - السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية ١٨٠٥ -
١٩٨٧ .
د. أحمد فارس عبدالمنعم
- ١٠٦ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى
ربع قرن .
د. سليمان صالح

- ١٠٧ - الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبد الحميد فهمى الجمال.
١٠٨ - مصر للمصريين ج ٤ .
سليم النقاش
١٠٩ - مصر للمصريين ج ٥ .
سليم النقاش
١١٠ - مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ج ١ .
د. البيومى اسماعيل الشربيني.
١١١ - مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ج ١ . ٢ .
د. البيومى اسماعيل الشربيني.
١١٢ - اسماعيل باشا صدقى
د. محمد محمد الجوادى.
١١٣ - الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)
د. عز الدين اسماعيل.
١١٤ - دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى
تأليف أحمد رشدى صالح
١١٥ - مذكراتى فى نصف قرن ج ٣ .
أحمد شفيق باشا.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الأيداع بدار الكتب ٥٦٣٦ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5203- X

هذا الكتاب الذى بين يدي القارئ من
مذكرات أحمد شفيق باشا، يتناول الفترة
الزمنية من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤، وهى
فترة حافلة بالأحداث التى عايشها أحمد شفيق
باشا عن قرب باعتباره أحد صناعها، ورؤيته
لها - بالتالى - ذات أهمية كبرى للمثقف
ولباحث التاريخ.

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير

محمود الجزار

مذکراتی فی نصف قرن

أحمد شفیق باشا

تقديم

هذا هو القسم الثاني من الجزء الثاني من مذكرات أحمد شفيق باشا الذى صدر بعنوان: «مذكراتى فى نصف قرن»، وقد أعطينا له اسم الجزء الثالث، تيسيراً على القراء، وهو ما كان أجدر بأن يفعله أحمد شفيق باشا لو تنبه له بدلاً من تقسيم الجزء الثانى إلى قسمين وهو ما أوجد ريكمة لدى الباحثين.

وقد سبق لنا أن نشرنا الجزء الأول فى العدد ٨٣ من هذه السلسلة، وأتبعناه بالقسم الأول من الجزء الثانى فى العدد التالى (٨٤). ولم يتيسر بعد العثور على الجزء الثالث عن عباس والحرب العظمى من سنة ١٩١٥ إلى ١٩٢٣، وسنعيد طبعه فور العثور عليه.

وهذا العدد يصدر فى إطار السياسة التى اتبعتها فى هذه السلسلة، وهى عدم الاكتفاء بطبع الأعمال العلمية الجديدة للباحثين، وفتح مجال لشباب الباحثين والمؤرخين لطبع أعمالهم وإنقاذهم من قبضة سماسرة الناشئين المستغلين - وإنما إعادة طبع الأعمال العلمية التاريخية المهمة التى نفذت مطبعاتها من السوق، وأصبح العثور عليها يتطلب جهداً فائقاً، كما يتطلب اقتناء أعدادها مبالغ ضخمة - ومن يتتبع من السادة القراء قائمة ما صدر من هذه

السلسلة فى آخر هذا الكتاب، سوف يتبين ما قدمته السلسلة من خدمات فى هذا السبيل.

والجزء الذى بين يدي القارئ، وهو الذى يصدر تحت اسم الجزء الثالث، (القسم الثانى من الجزء الثانى فى الأصل)، يتناول الفترة الزمنية من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤، وهى فترة حافلة بالأحداث التى عايشها أحمد شفيق باشا عن قرب باعتباره أحد صناعها - ورويته لها - بالتالى - ذات أهمية كبرى للمثقف ولباحث التاريخ، ويكفى إلقاء نظرة على الفهرس لإدراك هذه الحقيقة.

وأملئ أن يلقى هذا الجزء ما لقيه الجزءان الأولان من ترحيب القراء والله الموفق.

رئيس التحرير

د. عبدالعظيم رمضان

مؤلفات صاحب هذه المذكرات

الرق في الاسلام : باللغة الفرنسية وترجمته باللغتين العربية والتركية
قناة السويس : باللغة العربية وبه خريطة وصور وثمنه ٥ قروش
مصر الحديثة ونفوذ الأجنبي فيها : باللغة الفرنسية وبه كثير من الصور والخرائط
وثمنه ٢٥ قرشاً

حوليات مصر السياسية في عشرة أجزاء

منها الثلاثة الأولى تمهيد والسبعة حوليات

التمهيد الأول : فذلك من محمد على إلى نشوب الحرب . الحماية وتولية السلطان حسين . تأليف الوفد ونبي سعد وصحبه إلى مالطة . ثورة ١٩١٩ . إطلاق سراح سعد وصحبه وسفرهم لباريس . لجنة ملز ومقاطعتها . مفاوضات سعد وملز . الاعتداءات . (٨٧٢ ص و ٤١ صورة وأربع خرائط وثمنه ٥٠ قرشاً)

التمهيد الثاني : الاتحاد المقدس . انقسام الوفد . سعد وعدلى يختلفان . المظاهرات وقمعها بالقوة . الوفد الرسمي بلندرة وإخفاقه . سعد وصحبه في سيشل . اعتقال أعضاء اللجنة المركزية للوفد . ثروت وألبي . (٩٢٧ ص و ٣٢ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

التمهيد الثالث : تصريح ٢٨ فبراير ورجوع المنفيين . لجنة تحضير الدستور . تمويض الموظفين الأجانب . تأليف حزب الأحرار الدستوريين . (٧٣٤ ص و ١٧ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

الحولية الأولى : الانتخابات . وزارة سعد . الخلافة . البرلمان . السودان . الاعتداء على سعد . مفاوضات سعد مع مكديو نالد . مقتل السردار . الإنذار البريطاني . حل البرلمان . (٦١١ ص و ١١٩ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

الحولية الثانية : الوفد والعرض . تأليف حزب الاتحاد . إخلاء السودان . الانتخابات الثانية . افتتاح البرلمان وحله . استقالة ألبي النضال بين الأحزاب . الحكم في قضية مقتل السردار . محاكمة الشيخ علي

عبد الرزاق . الدعوة إلى عقد مؤتمر وطني عام . تسلم جفنيوب
لايطاليا . (١١٠٤ ص و ٧٤ صورة وثمته ٤٠ قرشاً)

الحولية الثالثة : الأحزاب المتولفة . الانتخابات الثالثة . عدلي يخلف زيور .
عيد الجهاد الوطني . (٧٠٦ ص و ١٩ صورة وثمته ٣٠ قرشاً)

الحولية الرابعة : القضية المصرية والأحزاب . ثروت يخلف عدلي . زيارة جلالة
الملك رسمياً لايطاليا وفرنسا وإنجلترا وبلجيكا . مفاوضة ثروت
ونشمبرن . وفاة سعد . افتتاح البرلمان . الامتيازات الأجنبية .
(٧٨٢ ص و ٦ صور وثمته ٣٠ قرشاً)

الحولية الخامسة : ملك الأفغان في مصر . أعمال البرلمان . ولي عهد إيطاليا في مصر .
النحاس يخلف ثروت . حالة الائتلاف بين الأحزاب . مشروع
اتفاق ثروت مع إنجلترا . وفاة حسين رشدي . النزاع الحزبي .
محمد محمود يخلف النحاس . تعطيل البرلمان . النحاس في الأقاليم .
مشروعات الري الكبرى في مصر والسودان . وفاة ثروت . التصال
بين الوفد والوزارة . محاكمة النحاس . (١٥٢٦ ص و ٢٤ صورة
و ثمته ٥٠ قرشاً)

الحولية السادسة : الاتفاق على مياه النيل . زيارة جلالة الملك لألمانيا وفرنسا وسويسرا
وإنجلترا . مفاوضات محمد محمود وهندرسون . تفتيش بيت الأمة .
عدلي يخلف محمد محمود . عودة الحياة النيابية . الانتخابات الرابعة .
(١٦٠٠ ص و ٢١ صورة وثمته ٥٠ قرشاً)

الحولية السابعة : النحاس يخلف عدلي . افتتاح البرلمان وأعماله . مفاوضات النحاس
وهندرسون . اسما عييل صدق يخلف النحاس . تأجيل البرلمان
موقف الانجليز . تغير الدستور وقانون الانتخابات . تأليف
حزب الشعب . (١٦٠٠ ص و ١٣ صورة وثمته ٥٠ قرشاً)

وتتضمن هذه المجموعة الخطب والمحادثات السياسية وتعليقات الصحف على
اختلاف نزعاتها ؛ فهي دائرة معارف سياسية جامعة

الجزء الأول من مذكراتي في نصف قرن من سنة ١٨٧٣ إلى وفاة توفيق
في يناير سنة ١٨٩٢ (٥٢٧ صفحة و ٣٥٥ صورة وثمته ٣٠ قرشاً)

القسم الأول من الجزء الثاني من سنة ١٨٩٤ إلى سنة ١٩٠٣
(٤٥٦ صفحة و ١٧٦ صورة وثمته ٢٥ قرشاً ومن أول يناير سنة ١٩٣٧ ثمته ٣٠ قرشاً)

فهرس القسم الثاني من الجزء الثاني

عهد عباس حلى الثاني

سنة ١٩٠٣

- بينى وبين حسن حاصم باشا ص ٤ الخلاف بيننا
رسائل رشيد بك عن سياسة المايين ص ٤ حضوره لمصر ورجوعه للاستانة . يالى جوبول .
زيارة البرنس حسين كامل للاستانة . مسألة القيوكتخدا والمؤلف . ماجم طاشوز
تذمر الغازى مختار باشا من الحديدو ص ٦ شكوى نجمه للباين من عباس . تقيص امتيازات
الغازى . رأى بطرس باشا
فوضى الرتب ص ٧ الوسطار وتنافسهم . أسعار الرتب . رأى بطرس باشا . جواب سموه لى
إخفاق مؤامرة فى مصر لخلع عبد الحميد ص ٨ يدبرها رجب باشا مشير فيلق طرابلس الغرب
وأصاره . مطالبهم المالية من عباس . الرض
رحلة الحديدو إلى الاستانة وأوربا ص ١٠ السفر . الحاشية . فى الطريق . إعطاء الحديدو أمرار
عائلة السلطان . الوصول للاستانة . الاستقبال الحسن فيها . الحاشية بين يدى السلطان .
يالى جوبول . مادة الوداع الرسمية . السفر لى فينا ومنها لى باريس
زيارته غير الرسمية للندرة والتفاهم مع الانجليز ص ١٤ الاستقبال فى لندرة . ضيافة السير
ارنست كاسل لنا . استقبال عاتلى فى بكنجهام . اختيار السفر . الحديدو كامير مستقل .
عباس يشهد زواج جورست . هديه التينة . الاستعراض فى عيد جلوس الملك . الغدار
فى قصر بكنجهام . القهرة التركية . مادة بلفور الرسمية . نوز بمبلغ ١٥٠٠ جنيه
فى المعرض الزراعى . دعسوة الأمرار للندردو فى ونديسور . مادة رسمية فى قصر
بكنجهام . دعوة الملك لتكرار زيارة عباس . كيف كان الرد . الملك يطلب من
عبد العزيز عزت باشا تذكير الحديدو بالدعوة . الحديدو عضو شرف فى ناد للسباق .
عباس وملك انجلترا فى ضيافة السير ارنست كاسل . لى الملتقى . زيارة صاحب كتاب
دوخ الاسلام لعباس . وفد جمعية مسلمى لندرة . كلام سموه . وافئاق التى يلقاها الهنود
فى الحج . غضب السلطان . ارنست كاسل والسرف فى ربح الأوراق المالية . الحديدو ومستر
بلنت . نتائج زيارة لندرة . الرجوع لى باريس . تبادل الزيارة بين عباس ووليس الجمهورية
فى حمامات ديفون ص ٢١ لطيفة السمك الطازجة
مهتمى فى طاشوز ص ٢٢ مكسيوس وممصرة الزيت . الفراقيل . مقابلى لمكسيوس ؛ العبارة الخيرية
بقوله . جزيرة ليس فيها أثنى حتى السجاجة . السفر لى دده أغايش ؛ حادث مرعب .

الوصول إلى فينا وتقريرى عن طاشوز
العودة إلى الاستانة ص ٢٦ الاستقبال فيها . تناول النداء في يلدز . مجاعة السلطان عن نوابا ثوار
بلغاريا الفظيمة . خطأ ينيل رتبة
العودة إلى مصر ص ٢٧ وصولنا للاسكندرية
الشيخ على يوسف في لندرة وباريس ص ٢٧ . ما عله في لندرة . أخباره عن سياسة الفرنسيين
نحو مصر

هدية الخديو للملجأ اللقطاء بمصر ص ٢٨ زيارة سموه
الزبرجد في البحر الأحمر ص ٢٨ سرته . انتداب محمد سعيد للتحقيق
شقيقة ملك الانجليز في مصر وكبار الزوار الأجانب ص ٢٨ الحفاوة بها . الهدوق
أرف كنوت وزيارته لخزان أسوان . الحفاوة بولي عهد ألمانيا وشقيقه . مأدبة للهدوق
دوساكس . ولي عهد النمسا وحفاوة صديقه عباس
افتتاح دار الآثار العربية ص ٣٠ خطبة مدير الأوقاف
مسألة صندوق التوفير ص ٣٠ الخلاف بين عباس وكروس . أخذ رأى العلماء . المشروع . تقديمه
لكروس . قبوله

سنة ١٩٠٤

دسائس البكرى في الأزهر ضد المفتى ص ٣٤ كسوة تشريف منحة تثير غضب الخديوي من رد
جاف للفتى . البكرى يشعل النار . مساعده . تفسير أعضاء مجلس إدارة الأزهر
نصيحة للفتى . زياته لباس وتقديم استقالته . الخديو يرفض . خضوع الشيخ .
خطاب من البكرى . محور الدسائس . فشله . الفتوى الترنسفالية . قيام العلماء ضد
المفتى . التشهير بالشيخ في جريدة حارة منقح وغيرها . كروس لا يصدق
محاولة أخرى للسيد البكرى ص ٤٠ استقالة السكرتير الشرق لكروس وكذلك أصحاب المقلم
مدمام جوليت آدام والانجليز ص ٤١ مأدب وزه وحفاوة من الخديو والمصريين . مقالة في مجلته
ضد الانجليز . اعتراض كروس . لا ينسى عباس مركز إنجلترا في إنجلترا وهو سيكون
عما قريب أقوى مما هو الآن
الاتفاق الودى بين فرنسا وإنجلترا ص ٤٢ أم ما يخص مصر . ليس لمصر أن تضمد إلا على نفسها
فضائح فوضى الرتب ص ٤٣ رتب لموظفين مدلولين . إنساؤها . تهديد الانجليز بحسب امتياز
إعطاء الرتب

في العائلة الخديوية ص ٤٤ بين البرنيس نممة الله خانم أفتدى والبرنس جيل طوسون
سخط الخديو على حسن عاصم باشا ص ٤٥ الأسباب
يوسف طلعت باشا ووالده ص ٤٦ خلاف بين الابن والوالد . ذواله

سفر الخديو إلى أوروبا ثم الاستانة وسفرى مع الحرم ص ٤٨ تردد الخديو في زيارة الاستانة ثم عدوله . تملّيات الخديو لي . هدية الخديو للسلطان . سفر الخديو لأوروبا . وصولنا الاستانة . الأستقبال . الوالدة والحرم في التياترو المخصوصى . مقابلتى لتحسين بك . سفرى لفينا . مقابلتى للخديو . رجوعى للاسكندرية . مهمتى في سكة حديد مريوط . العودة إلى فينا . زيارة الخديو للقازى مختار باشا المريض . سفر الخديو للاستانة . انتقاده . رسالة ودية من ملك الانجليز للخديو . الخديو والمعية في حضرة السلطان . امتنان جلالتة من وجود بطرس باشا . حديث السلطان والخديو . الانعام على كريمى الخديو . مأدبة عشاء رسمية . ملاحظاتى على أدوات المائدة . بين بطرس باشا وناظر خارجية الدولة . مأدبة اخرى ومشاهدة التثيل . إنعامات كثيرة . المجيدى المرصع لمصطفى نهمى باشا وبترس غالى باشا . وشاية عن عدم مقابلة الباشكاتب لى . شهادتى الخطبة للسلطان . شكر تحسين بك . استغراب عباس وبترس . مأدبة الوداع وهدية السلطان للخديو ولبتروس . دير الأقباط بالقندس . العودة إلى مصر علاقات الخديو مع الانجليز ص ٥٥ مقابلة مصطفى نهمى للخديو . امتنانه من إنعام السلطان ومن غضب عباس على مصطفى كامل كرور على مائدة الخديو في المنتزه . استعراض الخديو للبيش الانجليزى في ساحة عابدين . وقوفى تحت العلم أخف من رفسه على عابدين . تدخل الانجليز في مسألة أمير الحج

تركيا والحدود الغربية ص ٥٨ تعدى الأتراك على ميناء السلم . الخديو يعلم كرور بهذا التعدى . احتجاج الحكومة . رجوع السلم لها

قطع العلاقات بين مصطفى كامل وعباس ص ٥٩ صورة خطاب الخديو قضية زواج صاحب المؤيد ص ٦٠ الخيلولة . الحكم بفسخ العقد . تجديد العقد بواسطة الشيخ راضى قاضى مصر التركى وديوان الأوقاف ص ٦٢ طلبه الاشراف على محاسبة النظارة . سحب طلبه بتدخل الحكومة والانجليز

تعيينى رئيساً للديوانين العربى والأفريقي ص ٦٣ : غضب عباس على حسن عاصم باشا . إقالته

سنة ١٩٠٥

الخديو وأصحاب المقطم ص ٦٤ استانة الخديو لفارس نمر . مسألة الانعام عليه بربته

السير ارنست كاسل في مصر ص ٦٥ هديتى لسقيته وشكرهما لى

الدمائس في الأهر أيضا ص ٦٥ الشيخ سليم البشرى والشيخ المنصورى روح الشغب فيه .

استقالة علي البيلاوى . تعيين الشيخ . خطبة عباس في حفلة تعيينه . استقالة المتى

والشيخ عبد الكرم سلمان . فشل الخطوة الأولى في إصلاح الأزهر

شركة للزبرجد والنحاس ص ٦٦ بين مكسيوس وعبد الرحمن كاشى بك وحنا عنصره . الاتفاق

لجنة الاحفالات الخديوية ص ٦٧ شكر عباس

غادة تعمل على استمالة عباس ص ٦٧ تقديم رواية و اميليا ، التي تمثل حالتها . ففعلها
رحلة الخديوي إلى الأستانة وأوروباً ص ٧٠ وصوله إلى الأستانة وسروره من الاستقبال . بقاى
في مصر بإشراكه النظار . سفره إلى فينا . ومنها إلى لندن . الحفاوة . شكوى البرنيس
زيدة ملك الانجليز . تكدر سموه . أوامره لي . رجوعه للاسكندرية . كروس
وانتقاده على مسألة البرنيس . استيلاء عباس . الترضية

وفاة الشيخ محمد عبده ص ٧١ تفتيش جنازته . عتب عباس على
الخديوي وحسن عاصم باشا ص ٧٣ أوامر بانتقاد بعض كبار الموظفين . عريضتهم بالاخلاص للخديوي
بعد العودة من أوروبا ص ٧٤ زوايا الخديوي لي عن تألم السلطان من الأرمن وما سيعمله معهم . إفساد
الخديوي هذا السر للانجليز

قاضى مصر وطلبه السفر للأستانة ص ٧٤ إذعانه لطلب أجازة . تعيين قاضى مكة بدلاً عنه
منصب القبول كخديوا ص ٧٥

تعيين مفت . جديد ص ٧٥ انتخاب الشيخ بكري محمد عاشور الصديقي . تدمير مصطفي قهبي من
تدخل بطرس .

سنة ١٩٠٦

مسألة طبايا ص ٧٧ احتلال مصر لها . معارضة الأتراك . بركة الصدر للخديوي . رد الحكومة المصرية .
الفترة تنسب إلى جزيرة فرعون . طلبها تعيين مندوبين لتعيين الحدود . عدم الموافقة .
إرسال المدربة ديانا . محاولة الصداقة عدم فصل الحدود . طلب سحب المدربة

تقرير هام من مختار باشا للحكومة المصرية ص ٧٩ رد الحكومة بالرفض . رسالة عباس السرية
للمدارة بطريقة الحل لصالح الدولة . الرد السرى . رد الصدارة الرسمى

سفرى للأستانة لانتهاء المسألة ص ٨٥ التعليلات . في المابين . زياراتي للصدر . نصيحة لبياس .
حديث مع سفير انجلترا . ملاحظته على الصحف المصرية . تعدد الباب العالي أولاً

احتجاج الحكومتين المصرية والانجليزية الرسمية ص ٨٧ . الأتراك يقتلون أعمدة الحدود
ويتبنون أعمدة التلغراف . الدارعة مرقا . الاحتجاج . طلب تعيين لجنة لفصل الحدود

بلاغ انجلترا التهاى ص ٨٨ المطالب . قبولها . السلطان والصدر وناظر الحرية ناقرون على التلاوى .
رضا الراى العام عن سياسة الخديوي

تعيين أعضاء اللجنة وتحديد الترخوم ص ٩٠

ملك الانجليز حانق على عباس ص ٩١ معلومات البرنس حسين . توسط كاسل لاصلاح ذات
البين . كاد عباس أن يدفنى للحرب مع تركيا

ولى عهد انجلترا بمصر وخطاب البكرى له ص ٩٢ استقباله بالمحطة . مأجبة عشاء . في طابدين .
استقباله أعضاء مجلس الشورى . خطاب مفتوح له من البكرى يطلب الدستور .
سفره إلى انجلترا

الحديوي في الأستانة ص ٩٥ حفارة السلطان به . سفره للعثمانات . رجوعي لمصر
عود إلى دنائس الأزهر ص ٥٩ المقى وسألة إبتحان طالب . تعين له لطفه في شيخ الجامع .
إقالة ابنه من وظيفته في الأوقاف الحديوية

وفاة البرنسل محمد إبراهيم وحيد الدين ص ٩٧
وشاية يعقنها إنقاص مرتبى ص ٩٧

حادثة دنشواى ص ٩٩ مشاجرة بين سكانها وبعض الانجليز . نتيجتها . تأليف المحكمة المخصوصة .
الحكم النطع . رجوع الرفاق بين عباس ومصطفى كامل . السير بجراى ينسب الحوادث
للتعصب . حملات مصطفى كامل في الصحف . استبدال القلق بالتعصب بعد الحملات
الحديوية والنظار والانجليز ص ١٠٢ . ترشيح كرومر لسد زغلول في نظارة المعارف . رأى بطرس
في بعض المسائل

تأسيس شركة ليتاندارد والايستاندارد ص ١٠٣ . المعاولات المالية . انتقاد كرومر الشديد .
تأثر عباس

مسألة الرتب أيضاً ص ١٠٤ . كلام كرومر بخصوصها بشدة . انفصال بيوه منه

سنة ١٩٠٧

الانجليز وعيد الجلوس الحديوي ص ١٠٥ . الحرف قائم والاحتكاك بين الحديوي وكرومر معطرم
الأسباب . ترضية كرومر لعاس في عيد جلوسه . عيد الجلوس في الأزهر . ابتدائي
لخصوره وكلمتي فيه

كيف أنشئت الجامعة (الأهلية) وانتخب رئيسها ص ١٠٦ . الجامعة أم الكتاب ؟ حافظ
عوض . مصطفى كامل الفعراوى ينادى للجامعة . تبرعه لها . عباس يشجع المشروع .
أول اجتماع عند سعد زغلول بك . المجتمعون . الاكتتاب . الانتخابات . رأى كرومر
فيها . مأمورين مع اسماعيل الباطن باشا عند سعد . الاجابة غير مرضية . البحث عن
برنس لرأسة الجامعة . تخارفى مع البرنس احمد نواد باشا . انتخابه رئيسا وانتخابى وكيل
التراسم على مشيخة الأزهر ص ١١١ . مجد شاكر أو حبرونة التواوى ؟ انتخاب التانى .

مدرسة القضاء الشرعى ص ١٦١ . عدم رضا عباس عن المشروع . النظار يؤيدون سعداً ما عدا
غفرى باشا . عباس يقبل مكراها . حدة سعد . غضب عثمان الشديدي . ثناء كرومر على سعد

تقرير كرومر عن الحركة الوطنية ص ١١٢ . رأيه في الحزب الوطنى

إصدار جريدتى ليتاندار والايستاندارد ص ١١٣ . حلة مصطفى كامل على رجال الاحتلال
أحداث سياسية للحديوي ص ١١٣ . مقاله لمكاتب الطائفة . التذيد الأوردى . إنكار التعصب . التفتيح .

كرمه للإستعداد . لزوم اتحاد الأمة . التيسر تقول إن عباس من حزب مصطفى كامل
تهدى لخاله : حديث آخر تتبع المستزدين الانجليزى . الاحتلال أسرى طبيعى . الشريون

مبايرون السلطة المطلقة . طلبه من الانجليز ترك السلطة له . مستجيب تنازله عن أى امتياز الاعتراف بالجميل لللك إدوارد . عباس يشكر مقاله ديس ما عدا تفضيل الانجليز على غيرهم . صحيح الحديث عن المؤيد

استقالة اللورد كرومر وتعيين السيد اللدون جورست مكانه ص ١١٧ خطته . سياسة جديدة . اجتذاب الخديو واستقالة الأحزاب . الاستحسان والرجاء . زيارة كرومر لباس اللوداع . قوله بأن علاقته الشخصية كانت حسنة ، أما السياسة فسيئة . طلب المجلس التياق هو اللب بالنار . إطلاق وصاحبة تكون القاضية على مصر رخدوبها . انتقاده على خديت سموه من العائن . جواب عباس على أقواله . رده الزيارة في الوكالة . مقابلة جورست لعباس . ارتياح الخديو لتعيينه . لتسكن وجهتنا واحدة وعملنا لمصر كرومر يحدث بطرس عن زيارته لعباس وعده بتبرئته من الحروب الوطنية . معنى الانجليز لحضور كيان المصريين حفلة وداع كرومر . رفض التكتيبيين طعن كرومر في الحفلة . رد الشيخ على يوسف المتين على أقوال كرومر

جورست وسياسة الوفاق الجديدة ص ١٢١ خطبته في استقباله الرسمي . اعترافه بسيادة البرلة . الحكم للخديو . رد عباس . مساعدته وإخلائه له . البرنس حنين وانتقاده على التصنيق على المديرين . جورست يعد توسيع اختصاصاتهم . حديث بين عباس وجورست . لأول مرة يعرض معتد انجليزى ترشيح مستشار . موافقة عباس . عهد جديد . وصايا جورست للوظفين الانجليز . ارتياح عباس . إطلاق يده في منح الرتب والنياشين

أرمنى يهدد الخديو ص ١٢٣ تفتت أفكاره . الأسباب . خطابات تمس الخديو في بدوولى وشربكة اسطفان بك الأرمنى . الترضية . أحمد شوق واستقالته . بطرس وعنايه على لثمها

الأزمة المالية ص ١٢٥ فدان يشتري بمائة جنيه ويبيع بألف وثلاثة . انتعاج المصارف عن التسليف تأثير تقارير كرومر وخطة الحزب الوطنى . إفلاس كثير من المحلات التجارية

قيام الأحزاب المصرية ص ١٢٦ الحزب الوطنى . تأليفه . برنامج . شروط قبول الأعضاء فيه . حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية . تأييد الخديو له . ملخص مبادئه . حزب الأمة . تأليفه . الجزيرة لسان حاله . مبادئه . كرومر يعضده

من استبداد عباس ص ١٣١ تفنيل موظف في مجال نظم

شؤون مختلفة ص ١٣٢ رحلة عباس لسوسة . مشتراى وديبلين في المعية أراضى فيها . ردما لأصحابها بأمر عباس . مشقرا لها باسم ولى العهد . معنى الخديو لاجتذاب الأهل . تعليم ولى العهد وشقيقه

سببته ١٩٠٨

الخطوة الثانية للإصلاح الأزهر ص ١٣٦ طلب الشيخ الشريفي زيادة ميزانية الأزهر . عاداتي معه « إذا أعطينا أخذنا » . وفاته . مقابلة خلفه . الشيخ حسونه وتكرار الطلب . مناقضت بعه واستأنته لوضع نظام جديد للأزهر . رأى الشيخ محمد حسنين العدوى

في الإصلاح . اشترك الشيخ محمد شاكر معي في عمل مشروع الإصلاح . تفكيك لجنة لمراجعتي . تقرر بها . طلبي من اللجنة الاعتراف ، بأنه ليس فيه ما يتناقض وأصول الدين الاسلامي . قيام الشيخ محمد راضي على رأس بعض المشايخ ضد القانون . غضب الخديو على الشيخ حسونة وذواله بمسعى . طرد الشيخ محمد راضي من التشريفات . انقضاء المجلس الأعلى للازهر والمعاهد الدينية لأول مرة . لماذا لم ينجح الشيخ محمد عبده في معالجته إصلاح الأزهر ؟

مسائل الرتب ص ١٤١ كيفية منحها للتجار والأعيان والعمد . ما يقوله حسين زكي بك عن التجارة فيها وتوزيع الأرباح . التنافس بين حسين زكي بك وأحمد شوقي بك . غضب الأول وتهديده بكشف الستار عن الأسرار . استرضائه

سياسة الوفاق بين جورست والخديو - الدلائل - ص ١٤٢ الخديو ونهجي زغلول . الشيخ محمد عبده وأخصاره يطلبون سحب السلطة من عباس . الخديو والنظار وفاة مصطفى كامل باشا وانتخاب محمد فريد رئيساً للحزب الوطني ص ١٤٤ يوم تنصيب جنازته كان يوماً لم يسبق له نظير . تهنئة الخديو لمحمد فريد

لائحة المعاشات الجديدة ص ١٤٥ الفرق بينها وبين لائحة توليق

سفر الخديو للاستانة وأوروباً ص ١٤٦ بقائي في مصر مع النظار

قاضى قضاة السودان ص ١٤٦ استسلام الخديو عن السواقي في التعيين . تعيين الشيخ مصطفي المراغي إعلان الدستور في تركيا ص ١٤٦ المطالبون به . دخول جيش سالونيك للاستانة . إعدام عبد الحميد . وصف الانقلاب

خوارط تحسين باشا عن علاقة عبد الحميد بعباس ص ١٤٩ ما قاله عن سموه وعنى . برج قصر جبولل والمزامم منه

عودة الخديو إلى مصر ص ١٥١ مارواه عن الاحتفال العظيم به في قوله

الحركة الوطنية وطلب الدستور في مصر ص ١٥٣ الأسباب . المطالبة في مجلس شورى القوانين الوفد الأباطي في لندرة لتعويض الخديو . رأى الخديو في طلب الدستور . خلاف بين علي شمراري باشا واسماعيل أباطه باشا . الانجليز وملاحظتهم على تأخير أعمال مجلس الشورى . المستشار المال وقوله كيف يمكن طلب البرلمان مع وجود الاحتلال

علاقة مصر بتركيا وانجلترا ص ١٥٦

من استبداد عباس أيضاً ص ١٥٨ طرد موظفين في سن الشيخوخة . تعذيب وإعدام تركي . خصم مرتبات وإندارات لأقل هفوة .

بطرس يخلف مصطفى فهمي ص ١٥٨ ترشيحه في نظارة المعارف . سمد كلامه قاس مثل المعصر ولكن جورست يطلب إبقائه في النظارة . بطرس مسئول أمام الخديو وكل ناظر أمام الرئيس . ترشيحي ثانياً للمالية . عدم استئذان عباس عن

مدير الأوقاف العمومية الجديد ص ١٦٣ تعيين خليل حمادة باشا . تقديم له رؤساء الأوقاف

النظار الجدد والأزهر ص ١٦٤ مناقشة هنيئة بين سعد ورشدي حول الأزهر . خلاف بين سعد
والبشار المال . حكم بطرس باشا على سعد
العتاف للدستور ص ١٦٤ الاستعراض في عيد ميلاد ملك الانجليز . عباس والنظار في شرفة سراي
عابدين . طلبة مدرسة الحقوق تهتف باسمه ولديه بتور .
رساله تهديد للحدود ص ١٦٥ جمعية الانتقام المصري
الانجليز يعبثون بالاحتياطي ص ١٦٥ مشقوى الفصليد الانجليزى وأسهم الترنسفال بمليون
وثلاثمائة ألف جنيه

الانجليز والوظائف ص ١٦٦ جورست يخفض عدد المعلمين الانجليز من ستة وأربعين الى أربعة
الحدود والأعمال الهامة ص ١٦٦ مناقشة سنوه مع النظار في الأعمال . اشتغال سموه بالمسائل الشرعية
مجلس شورى القوانين والدستور ص ١٦٧ لاجلس نياي بل طلب اشتراك الأمة مع الحكومة
اضطراب الأمن ص ١٦٨ انتشار أشرار في داخلية البلاد
قاضى مصر والولاية الشرعية ص ١٦٨ عباس خديو سياسى والقاضى خديو شرعى . انتداب
عمود شكرى باشا للعبارة مع الباب العالي
المشادة بين الحدود والحزب الوطنى ص ١٦٩ ادناؤه على الحدود بأنه عانى
تدخل الحدود في الانتخابات ص ١٧٠ نقله . نصف مليون بالعمامة بحصر عنهم ألف وخمسمائة

سنة ١٩٠٩

ترشيحى لإمانة جمرك الاسكندرية ص ١٧١ عدول سموه
الحزب الوطنى والموظفون ص ١٧٢
المستشار المنالى والنظار ص ١٧٢ الخلاف بينهم في المجلس . مسألة سكة حديد الواحات . لائحة
المعاملات الجديدة . عباس تر عهد مناقشات بهذه الهدى
يعين البرنس حسين كامل باشا رئيساً لمجلس شورى القوانين ص ١٧٣ طلب توسيع
أخصاص المجلس
بعث قانون المطبوعات واضطهاد الصحافة ص ١٧٣ قانون سنة ١٧٨١ . بتدبير عباس في
الراى . فكر الشيخ على يوسف . الخلاف بين النظار ورئيسهم . استياء بطرس باشا .
تهديد سعد وسعيد ورشدي بالاستقالة . الحل وانفراج الأزمة . مكافآت بزادة مرتبى
أنا لا أتمنى سواك . انتقاد حمزه على رجوع النظار في أوالم . سرود بطرس
لو كانت قبلت ترشيحاته . ومنهم المؤلف . لما حصل هذا الاختلاف
صدى القانون ص ١٧٨ حملات الصف ضد فرار الحكومة . عدم احتفال الطلبة بعباس . اجتماع
الحزب الوطنى . تهديد النظار بالقتل . مظاهرة الطلبة . القانون في مجلس شورى

بقوله بعد الانقسام ، إنداد اللواء والحكم على الشيخ جابر بن ، البرلمان الإنجليزي
يوصى بعدم التضييق على حرية الصحف ، اللواء ومدحها قاتل اللورد كرزون في الهند ،
العدن في أعضاء محكمة دانفواى من المصريين ، مظاهرة سياسية ، الخديو يحمل ضد
محمد فريد بك

افتتاح بور سودان ص ١٨٥ الاستقبال والحفاوة ، الخديو يضع آخر حجر ، مأدبة ، دعوة
المراد ، حفلة الوداع وشكر عباس

شئون الأزهر ص ١٨٢ تفكيك لجنة البحث في مطالب الطلبة والمعلماء ، استقالة الفيخ حنون
وتعيين الشيخ سليم البشرى للمرة الثانية
تولية السلطان محمد رشاد وسفر الخديو للاستانة وأوروبا ص ١٨٢ تهنئة عباس السلطان
الحفاوة بسموه ، رجوع الخديو لمصر

اتحادى لإدارة الاوقاف الخديوية ص ١٨٣ حفلة امتحان مدرسة خليل أغا ، خطبى ، إن
الحسنات بذهبن السيئات

حضور عزت العابد باشا إلى مصر ص ١٨٤ مقابلته للخديو

مرض السيد البكرى ص ١٨٤ تخيله اضطرار الخديو وكل العالم له ، تعليم له

مهمة سياسية لمحمود شكرى باشا في الاستانة ص ١٨٥ موافقة الخديو للقاضى الجديد الذى
يرشحه الباب العالي ، التصريح لمصر بالاقتراض

مسألة امتياز قناة السويس ص ٨٦١ رأى العام ضد ، نصيحة عباس بطرس ، موافقة عباس
على عرض المشروع على الجمعية العمومية ، تدخل الباب العالي ، سعد يتأفح من
المشروع ، رفضه

سنة ١٩١٠

عباس يؤدى فريضة الحج ص ١٨٩ صدور الأمر إلى التمايق بطرس باشا ، التنازل على الحكومة
العثمانية ، التنويه بذكر الخلافة الاسلامية للسلطان ، شعور الخديو نحو الأمة المصرية
الوصول إلى مكة ، [بلخي الشريف حسين السلام الخديوى ، إعداد المجال اللازمة ،
استقبال الخديو في جدة وبحرة ومكة ، مروره بين الأعلام والمصاييح ، صلته صلاة
الصبح في الحرم ، الطواف والسعي ، نزوله في دار الامارة ، أنت تقيم في ملكك
إطلاق المدافع ضد الشروق ، تشرىفات وزيارات ، تفقد التكية المصرية استيثار
الأهالى بزول الأمطار ، ولجة الخديو لكبار القوم ، وكيل الولاية ، ترحيبه بقدوم الخديو
الخروج إلى عرفة ، التلبية المؤثرة ، الوقوف على جبل الرحمة ، التلبية ، المنظر الرائع
النزول إلى منى ، استعراض حرس المحمل ، الضحايا ، قراءة القرمان ، المحمل الشاهى
ومحمل بن دينار ، روى الجرات ، توزيع الصدقات في مكة ، تشيد الحاج المدينين ،
اغفر اغفر إن لم تغفر من يفر ، أسواق مبيع الجوازى ، أستاذ يابانق سلم ، عباس
وبعض الحاشية على المنبر من مكة إلى بحرة ، كبر الركائب ووقوفنا ، حفلة الوداع

في جدة . سبأ إلى الوجه بحرأتم إلى البدائع . طريق وهم . الجنود الثمانية ترافق الخديو . من البدائع إلى المدينة بالقطار . الاستقبال بها . زياوات في الحرم ومقبرة المدينة ومسجد قبا . صلاة الجمعة بالحرم . خطبة السيد محمد البيلوي . معاملة عباس بعض رجال المية بالشم والبن . شكر المودعين والقيام إلى تبوك . الوصول إلى حيفا . الاستقبال الرسمي . ترحيل فقراء الحاج على حساب الخاصة . الوصول إلى القاهرة . مسألة امتياز قناة السويس في الجمعية العمومية ص ٢٠٤ خطبة عباس . الخفاف في الشوارع ضد المشروع والخديو والنظار . تقريران من صابر باشا صبري وطلعت بك حرب ضد المشروع . رفض المشروع بالإجماع . حديث للخديو

مقتل بطرس باشا ص ٢٠٨ اعداد الورداني عليه . في مستشفى الدكتور ملتون . تقبيل عباس له تأثر بطرس بشكره . وفاته . تشييع جنازته رسمياً . النظارة الجديدة . محمد سعيد باشا يخلف بطرس . التحقيق والجاني . جمية سرية . الحكم بالاعدام

روزفلت رئيس جمهورية أمريكا بمصر ص ٢١٢ مآذبة في عابدين وأخرى عند البرنس احمد فؤاد باشا . خطبة روزفلت بالجامعة بدعوة رئيسها . الوطنيون وروزفلت . ما كتبه الشيخ على يوسف ضد روزفلت في الجملات الأمريكية كطلبا . سفر روزفلت إلى لندرة . خطابه الشديد عن المصريين في جدهول . موافقة السير ادوارد جبرائيل على تصريحات روزفلت بخصوص مصر . خطبة فريد بك في لندرة ضد روزفلت وجبرائيل

تعيني مديراً لديوان الأوقاف العمومية وبعض أعمال في ص ٢١٥ زيارتي للنظار ككتبي لرؤساء الأوقاف بالآوقاف . فوضى الديوان وإنشاء فلم استعلامات نظافة الساحد تعين مفتش للمعهد من غير العلماء وعضهم توسيع اختصاص الموظفين . طلب الصحف واتباع هذه الخطة في دوائر الحكومة . تعديل المجلس الأعلى للأوقاف . رحلة لزيارة مأموريات الأوقاف . افتتاح مسجد مرسي مطروح . الاحتفال بذكرى محمد على الكبير حالة التكايا والمساجد السيئة . ضرر المقاصي بحوار المساجد . التوظيف والترقي في الديوان . انتقاد الموظفين . القاعدة . حالة بعض الموظفين . تعيين تلامذة . الظهورات

وفاة ملك الانجليز ص ٢٢٦ البرنس محمد على يشيع الجنازة . الاحتفال بالجنازة في نكتة قصر النيل سقرى للاسكندرية لقضاء فصل الصيف . اختياري لرياسة لجنة امتحان مدرسة المعلمين الناصرية ص ٢٢٧ ملاحظاتي . شكر ناظر المعارف قضية ديوان وطنيتي ص ٢٣١ الحكم على الشيخ الغاياتي والشيخ جاويش وآخرين الخطوة الثالثة لاصلاح الأزهر ص ٢٣٢

سنة ١٩١١

اشتداد روح المعارضة . سجن محمد فريد بك ص ٢٣٥ المعارضة في مجلس شورى القوانين حول الرتب والنياشين لأعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية ص ٢٣٦ تكريم المعارضين : تكريم الاغلبية

رحلتى للصعيد والسودان ص ٢٣٧
الخطوة الثالثة في إصلاح الأزهر ص ٢٤١ تنفيذ قانون الأزهر الجديد
رأى الخديو وغورست في المعارضة في مجلس شورى القوانين ص ٢٤٢ رأى الخديو في
المعارضة . رأى غورست فيها
المؤتمر القبلى ص ٢٤٤ معارضة بطرس باشا لها . كلمة الأستاذ واصف بطرس فالى عن المنصرين .
العقاد المؤتمر ومطالبه
المؤتمر المصرى ومباحثه ص ٢٤٥
حديث غورست والخديو عن المؤتمرين ص ٢٤٧ حديث الخديو عن المسألة القبطية
سفر الخديو للاستانة ص ٢٤٧ حديث عباس مع مكاتب جريدة الفيجارو بباريس . زيارته لاطاليا
رحلته ملكها به
وفاة رياض باشا رئيس المؤتمر المصرى ص ٢٤٩ - وفاة غورست وتعيين كتشنر
ص ٢٥١ - اتجاه السياسة الجديدة ص ٢٥١ . الانعام على بنيشان إيطالى ص ٢٥٢
أعمالى فى ديوان الأوقاف ص ٢٥٢ الأرتاق الأهلية . قسم القنصايا . قلم التحصيلات . الاحتياطى
للماشات . الاشهار فى المزد العلى . تعديل مواعيد الأقساط . تحديد مساحة الصنى .
تطهير المساق والمصارف . المستوصف العباسى . مسجد مصر الجديدة . أول تقرير عن
أعمال الديوان
أكبر أنجال السلطان رشاد فى مصر لتحية ملك إنجلترا ص ٢٥٧ وصوله للاسكندرية . سفر
الخديو والوفد الساماني إلى بورسميد . وصول ملك إنجلترا وملككتها إلى بورسميد .
استقبالها . زيارة الملك للخديو وللأمير ضياء الدين أندى . عود الخديو وضيوفه إلى
القاهرة . سفر جلالة الملك . الانعام بنيشان على الأمير . زيارات للأمير . سفر
الخديو والأمير للاسكندرية . سفر الوفد الساماني للاستانة . إهداء السلطان صورته
لعباس . أثر الهدية فى نفس عباس

سنة ١٩١٢

الحرب الطرابلسية ص ٢٦٢ جواب الباب العالي على إنذار إيطاليا . استفادة السلطان بملك أوروبا
موقف مصر منها ص ٢٦٥ مظاهرات الأماال . جهودات عزيز المصرى بك والأستاذ عبد الرحمن
عوام . كتشنر وسياسته مع المصريين . جيوش السنوسى
البرنس فؤاد ص ٢٦٧ تذبذب الخديو ، عبد الحميد بك شديد ومهمته
الخديو والحزب الوطنى ص ٢٦٧ الخفض على كرامة الحكومة
المؤامرة على الخديو وكتشنر ومحمد سعيد ص ٢٦٨ . اتهام فريد بك للخديو ص ٢٦٩
مذكراتى فى نصف قرن ج ٢

محاكمة الشيخ جاويش ص ٢٧٠ استقالة شد باشا

كتشنر في مصر ص ٢٧٣ تدخله لى جميع الفنون

تعلية خزان أسوان ص ٢٧٥ . بينى وبين الشيخ على يوسف ص ٢٧٥

أعمالى فى ديوان الأوقاف ص ٢٧٧ جناح جديد . رئيس قسم القضايا . تنظيم قسم الهندسة

عبادة الجذام . مسئول الأمراض غير القابلة للشفاء . صندوق الاقتصاد والتعاون .

تدليل لائحة الديوان . تعليم بعض العلوم الأخرية . العمية الأخرية لترقية الوعظ .

فروش المساجد وإدارتها بالكهرباء للمرة الأولى . إلغاء إدارة المساجد بالمهدة . استبدال

التقود بالمهيز فى المقاصد . قسم الصحة . تنظيم عيون الأدوية . تشييد معهدى طنطا

ودمياط . مصاريف المعاهد الدينيه . عدد الأموريات . انتخاب الممال الأكفلا

مشروعات تحت النظر . ما قاله لى البرلس حسين كامل ورأى كتشنر عنى

سنة ١٩١٣

حرب البلقان ص ٢٨٨

مساعدات مصر للدولة ص ٢٨٨ مؤتمر لولدرة . إسقاط كامل باشا وتولية شوكت باشا . ألمانيا

والانحداريون . عودة الحرب . مظاهرات النصر فى الإسكندرية . هزيمة بعد انتصار

وسقوط أدرنه . قتل الصدر باشا . سيد حليم صدر أعظم

خطة لاستقلال مصر ص ٢٩٠ عقد الصلح

البرنس فؤاد وعرش ألبانيا ص ٢٩١ . أفرح الحديو ص ٢٩١ — صفقة طيبة

(أرض المطاعنة) ص ٢٩٢

اختيارى للأوقاف الخصوصية الحديوية ص ٢٩٤ عباس يطلق البحث عن يصلح للأوقاف

الحديوية . ترشيش لعللى بك أبى الفوح . كيف تسلمت إدارة الأوقاف الحديوية

بالملاح عباس

مدير الأوقاف العمومية يباع ويشترى بدرام معدودة ص ٢٩٦

عباس يصيب عصفورين بحجر ص ٢٩٧

تحويل الأوقاف إلى نظارة ص ٢٩٧ كتشنر يشترى الصدر الأعظم وشيخ الاسلام . النظام الجديد

للأوقاف . الانتقام من عبد الرحمن فهمى بك

إنشاء الجمعية التشريعية ص ٢٩٩ قانونها اختصاصاتها . قانون الانتخاب . كتاب أبيض لكتشنر عنها

انتخاب المندوبين . أول بيان انتخابى . المنفورات الانتخابية . انتخاب النواب

المدنيين . رئيس الجمعية ووكيلها المين . انعقاد الجمعية

مساعى الصلح بين الحديو ومحمد فريد بك ص ٣٠٣ وساطة مدام روشيون

شئون مختلفة ص ٣٠٣ تقرير كتشنر

سنة ١٩١٤

- تصريح لرئيس الجمعية التشريعية ص ٣٠٤ سعد باشا ووكالتها . مآذب لأعضائها . افتتاح الجمعية
لائحتها الداخلية
- عيد الجلوس للخديوى. ص ٣٠٧ — حادثة الطيار فدرين الفرنسى ص ٣٠٧ — سقوط
نظارة محمد سعيد ص ٣٠٩
- كتشنر يلجأ للخديوى ص ٣٠٩ تنمة فى شئون الجامعة المصرية . الاكتتابات للجامعة . هدايا مدرسية
أجنبية وقبول بعض صفار الطلبة مجاناً
- الاحتفال بوضع الحجر الأساسى للجامعة ص ٣١٠ امتحان العالمية . بنات الجامعة
رحلة الخديوى فى الوجه البحرى وظهور نفوذه ص ٣١٢
- تألم كتشنر لنجاح الرحلة ص ٣١٧ صورة الأمر الكريم الصادر لمطوفة رشدى باشا بتولى شئون
التعميمية الخديوية أثناء غيبة سموه
- تكريم واصف بطرس غالى ص ٣١٨ لحة عنه . تكريمه
وداع المجمع العلمى للماسيرو الجامعة المصرية تكرم ماسيرو
- مبيع سكة حديد مريوط — تهديدات كتشنر للخديوى — تفكير عباس فى التنازل عن
العرش — حادثة الاعتداء على حياة الخديوى وشعور المصريين نحوها

الحرب العظمى

- المخبرات بين الخديوى بالاستانة وقائمقامه بمصر ص ٣٣١
- الانجليز يمنعون عباس من العودة لبلاده ص ٣٣٢ نصيحة الأتراك له بالرفض
ماذا فعلت الحكومة لدرء الطوارئ ص ٣٣٨
- مطالب الانجليز من مصر بصد إعلانهم الحرب ص ٣٣٩ مصر تقطع علاقاتها مع ألمانيا
والنمسا . إخراج مقضى ألمانيا والنمسا من مصر
- انتدأ فى مهمة سياسية خطيرة لدى عباس ص ٣٤١ عباس يروى له حادثة الاعتداء . عثمان
سرتضى باشا يحدثنى بما دار فى التحقيق
- تبشير عباس للمصريين بشرفاته ص ٣٤٩
- وفاة مصطفى فهمى باشا ص ٣٥٠ تعزية عباس لسجد واد
- إلحاح الانجليز بترك عباس للاستانة والاقامة فى إيطاليا ص ٣٥١ نصيحة الأتراك له بالرفض .
فقطع علاقته بالانجليز ص ٣٥٣

تابع المحادثات الرسمية والحوادث ص ٣٥٥ الربيع والربيعين
رسالة انتقاد من عباس إلى رشدي يعقبها ثقة وثناء ص ٣٥٨ — منع الحج ومنع
التضحية والاكتتاب للصليب الأحمر جبراً ص ٣٦٠ — زيارة عباس لشكر الخليفة
والعائلة السلطانية والسفراء ص ٣٦١ — عباس والصدر والحزب الوطني ص ٣٦٢
الاتفاق الثلاثي بين ألمانيا وتركيا وعباس ص ٣٦٩ — الحملة التركية على مصر ص ٣٧٥
منشور من الخديو إلى رهاياه مصريين وسودانيين ص ٣٧٨ تابع الحملة التركية على مصر
تحديد مهمة الحملة ص ٣٩٥ الصباح يحمل الأوامر
عود إلى الحملة ص ٣٩٨ — طلب الاتحاديين إمانات مالية من عباس ص ٣٩٩ — تركية
تلعن الحرب على روسيا وانجلترا وفرنسا ص ٤٠١ — البعثات الخديوية للحاق بالحملة
التركية ص ٤٠٣ — قلق إيطاليا من الحملة التركية والتأمينات واشتداد القلق لاعلان
الجهاد ص ٤١٥ — كيف تخاطر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين
ص ٤١٨ بعض الانجليز على بعض المصريين الموالين للخديو وتغيبهم إلى الخارج
عرش مصر بين عباس وعز الدين وسعيد حلیم ص ٤٢٢ — مهمتي السياسية في إيطاليا
ومحادثات هامة ومقابلي مع الملك وما دار بيننا من الحديث ومحادثات أخرى مع
المصريين وغيرهم ص ٤٢٣ محادثي مع محب باشا . محادثي الأول مع البرنس محمد علي باشا . محادثي
الأول مع مسيو بفسيل . محادثي مع كبير الأبناء . محادثي مع ناي بك
محادثي مع الملك ص ٤٢٩ محادثي الثانية مع ناي بك . محادثي الثالثة مع بفسيل . محادثي الثانية
مع البرنس محمد علي . محادثي الثالثة مع مسيو بفسيل . محادثي مع محمد يكن . محادثي
الثالثة مع ناي بك . محادثي مع البرنس عزيز حسن . البرنس جيسل . مقابلي مع
دومرتينو . محادثي الرابعة مع ناي بك
المساعي لخروج الخديو من الاستانة وإقامته في فينا ص ٤٣٤ تهديد سفير ألمانيا للاتحاديين
حديث عباس بفيينا مع جريارس عن حادثة الاعتداء ص ٤٣٨ — رأى عباس في حل
مسألة السودان ص ٤٣٨ — كيف استقبل عباس خبر عزله وتولية السلطان حسين
ص ٤٣٩ — قلق عباس بعد الانقلاب في مصر ص ٤٤٠ — الحفاوة بالخديو في فينا
ص ٤٤٣ — شئون مختلفة ص ٤٤٤ — كلمة ختامية ص ٤٤٨

فهرس الأعلام

الواردة في القسم الثاني من الجزء الثاني من « مذكراتي في نصف قرن »

	(١)
٣٢٦ احمد جودت	ابراهيم آدم بك ٣٦٥٣١٢٣٠٥
٣٥٧٣١٧١٠٦ احمد حافظ عوض بك	٤٠١٣٧٧٧
٢٢٧٢٠٩١٦٢ احمد حشمت باشا	ابراهيم التشريفاتي بك (باشا) ١٥١١
٢٩٨٢٥٤٢٥١٢ احمد حلى باشا	٥٤
٣١٣٣٠٩٢٩٨ احمد خيري باشا	ابراهيم الملباوي بك ٢١١١٧٠١٠٠
١٨٣٧٣٣٥١٢٥ احمد خيرى باشا	٢٦٨٢٤٦٢٣٧٧
٢٩٤٢٠٩١٩٤١٩١٠ احمد زكى باشا	٩٧ ابراهيم حلى باشا، البرنس
٢٩٦	٣٦٧٣٦٦٦٣٦٤٢٣٥٢٣١٠
٥٤٥٣٣٥٢١١٠ احمد زكى باشا	٣٨٦٣٨٤٢٣٧٦٩٣٦٨
١٤٠١٣٢١٢٠٧٣٣٦٣٣٥٦	٤٠٢٣٩٧٣٩٦٢٨٩٣٨٨
٣٢٢٣١١٢٥١٢١٦١٦٣	٤٠٨
١٧٧١٠٩ احمد زكى بك	ابراهيم سعيد باشا ٣٠٢١٥٥
٤٠٤ احمد سلام افندى الملازم ثاني	ابراهيم فتحى باشا، اللواء ٣١٤١٤٣٩٠
١١٤٢٦٤٢٧ احمد شوقى بك الشاعر	ابراهيم فواد باشا ١٣٩١٣٨٧٦
١٤٢١٢٥١٢٤١٢٠١١٥	٣٢٠٢٥٤٢
٣٤٢٣٢١٣١١ احمد صادق بك	ابراهيم ناصف الوردانى ٢١١٢٠٨
٢٩٧٢٩٦٢٩٣١٩٠ احمد ضياء الدين نجم السلطان	٦١٢٦٠ احمد أبو خطوة، الشيخ
٣٥٧٣١٧٣٠٥ احمد ضياء الدين نجم السلطان	٢٨٢٢٧٩ احمد الأزهرى بك
٢٥٧ احمد عبد اللطيف المسكباني المحامى	٧ احمد العريس بك
٢٦٠٢٥٩٢٥٨ احمد عبد اللطيف المسكباني المحامى	١٨٢١٣٥١٣١ احمد الزناتي، الشيخ
٣٠٢٢٤٦٢٣٣٧ احمد عزت العابد باشا	٢٦٦ احمد الشريف السنوسى، السيد
١٨٤١٤٩٨٦ احمد عزت العابد باشا	٣٤٦١٥١٤ احمد جلال الدين باشا
١٢٨١٢٧١٠٠ احمد فتحى زغول	٣٦٥

٢٤٣ ٢٣٨ ٣١٧ ٢٧٨ ٢٧٦	٢٠٩ ٢٠٨ ١٧٩ ١٤٣ ١٤٢
٤١٢ ٣٦٢ ٣٦١	٢٤٢ ٢٤١ ٢٣٤ ٢٣٣
٢٩٨ ١١١ اسماعيل حسانين باشا	١١٠ ٣٠ احمد فواد، البرنس (الملك)
٣٢٢	٢٩١ ٢٦٧ ٢٤٩ ٢١٢ ١١١
٣٨٦ ٣٥٢ ٣٠٦ اسماعيل حقي بك	٣٢٢ ٣١٠ ٣٠٩
٤٠٠	٣٦٦ ٣٦٥ ٣٤٩ احمد فواد، الدكتور
٣٢٣ ٣١٢ ٣١١ اسماعيل رافت بك	٣٩٥ ٣٩٢ ٣٩١ ٣٩٠ ٣٦٧
٢٠٩ ١٦٦ ١٦١ اسماعيل سرى باشا	٤١٥ ٤١٤ ٤١١ ٣٩٨
٣١٤ ٣١٣ ٢٨١ ٢٧٥ ٢٥٤	٥١٣ ٠ ٢٢ احمد مختار باشا، الغازى
٣٢٢ ٣١٧	٩٠ ٨٩ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٣ ٧٩
٣٨٩ اسماعيل كامل افندى	١٦٨ ١٢٢ ٣٢ احمد مظلوم باشا
٢٣٣ ١١١ اسماعيل صدق باشا	٣٢٠ ٣٠٤ ٣٠٢
٣٢١ ٣١٧ ٢٣٤	١٢٦ احمد لطفى السيد بك (باشا)
١٤١ ١٠٩ ٩٨ اسماعيل كمال بك	٢٤٦ ٢٣٧ ١٧٠
٣٦٤ ٣٦٣ اسماعيل لييب بك	٣٨٩ احمد طاهر افندى
٣٧٩ ٣٧٨ ٣٧٧ ٣٧٢ ٣٦٥	١٥٥ ١٥٤ ١٥٢ احمد يحيى باشا
٣٨٧ ٣٨٥ ٣٨٣ ٣٨٢ ٣٨٠	١٨٧ ١٨٦
٤١٥ ٤٠٩ ٤٠٧ ٣٩٦	٢٤٥ ١٠٩ ٩٤١ اخنوخ فانوس
٣١٢ ٣٠٥ اسماعيل مختار باشا، اللواء	٢٢٦ ١١٦ ادوارد السابع
٣٩٧	٢١٣ ١٠١ ٨٩ ادوارد جراى، السير
٢٩٤ ٢٩٢ الباقى الحلبي	١٩١ ١٨٦ ١٠٠ ارنست كاسل، السير
٤٣١ ١٥١٤ الدون جورست، السير	١٦٥ ٩١ ٦٥ ٢١ ٢٠
١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٧	١٢٥ اسطفان بك الارمنى
١٤٣ ١٤٢ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣	١٢٨ ١٢٢ ١١٦ اسماعيل اباظه باشا
١٦٠ ١٥٩ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٣	١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٤٥ ١٣٤
١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٣ ١٦١	١٦٧ ١٥٩ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥
١٧٦ ١٧٣ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩	١٨٠ ١٧٩ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٣
١٨٦ ١٨٥ ١٨٢ ١٧٨ ١٧٧	٢٧٣ ٢٤٤ ٢٤١ ١٨٩ ١٨٧

٢٣٥ ر ٢٤٤ ر ٣١٨ ر ٣٢٠ ر	١٨٧ ر ١٨٨ ر ٢٢٦ ر ٢٢٧ ر ٢٤٣ ر
بكرى محمد عاشور الصديق، الشيخ ٧٦	٢٤٧ ر ٢٧٣ ر ٣٢٨ ر
١٩١ ر ٢٤١ ر	امين سامى باشا ٣١٣
١٥ ر ١٦ ر ١٧ ر ٢٠ ر	اندر اوس بشاره باشا ٢٩٤
١٩ ر ٢٠ ر ٢١ ر ١٤٣ ر	انور باشا ١٤٦ ر ٣٥٣ ر ٣٦٣ ر ٣٦٤ ر
بيلت، المستر	٣٦٧ ر ٣٦٩ ر ٣٧٠ ر ٣٧٣ ر ٣٧٥ ر
بويل، المستر (السكرتير الشرقى لكرومر)	٣٧٦ ر ٣٧٧ ر ٣٧٩ ر ٣٨٣ ر ٣٨٤ ر
٤٠	٣٨٥ ر ٣٨٧ ر ٣٩٥ ر ٣٩٦ ر ٣٩٧ ر
(ت)	٣٩٨ ر ٤٠١ ر ٤٠٢ ر ٤٠٧ ر ٤١٦ ر
تحمين بك (الباشكاتب) ٥٤ ر ٥٠ ر ٤٩ ر	اوف كنوت، الدوق ١٧٨ ر ١٧٧ ر ٢٩ ر
١٤٩ ر ٨٥ ر	٣٧٥ ر
٣١٢ توفيق الحضرى بك	(ب)
٨٩ توفيق باشا الصدر	باول، المستر ٣٧٥ ر ٣٧٣ ر
٣٨٣ ر ٣٨٢ ر	بروستر بك ٢ ر ١٠ ر ١٤ ر ٢٠ ر ٩٢ ر
٤٠٦ ر ٤٠٨ ر ٤٠٩ ر	١٢٥ ر ١٣٢ ر
(ث)	بطرس خالى باشا ٧٦ ر ٧٧ ر ٨٠ ر ٨١ ر ٨٢ ر ٨٣ ر ٨٤ ر ٨٥ ر ٨٦ ر ٨٧ ر ٨٨ ر ٨٩ ر ٩٠ ر
ثابت بك (انواجى باشى السلطان) ٢٥٩	٩٠ ر ٩١ ر ٩٢ ر ٩٣ ر ٩٤ ر ٩٥ ر ٩٦ ر ٩٧ ر ٩٨ ر ٩٩ ر ١٠٠ ر
٢٦٠ ر ١٣ ر	١٢٢ ر ١٢٣ ر ١٢٤ ر ١٢٥ ر ١٢٦ ر ١٢٧ ر ١٢٨ ر ١٢٩ ر ١٣٠ ر ١٣١ ر ١٣٢ ر ١٣٣ ر ١٣٤ ر ١٣٥ ر ١٣٦ ر ١٣٧ ر ١٣٨ ر ١٣٩ ر ١٤٠ ر ١٤١ ر ١٤٢ ر ١٤٣ ر ١٤٤ ر
(ج)	١٥٦ ر ١٥٧ ر ١٥٨ ر ١٥٩ ر ١٦٠ ر ١٦١ ر
١١١ ر ٣٢٢ ر	١٦٢ ر ١٦٣ ر ١٦٤ ر ١٦٥ ر ١٦٦ ر ١٦٧ ر ١٦٨ ر ١٦٩ ر ١٧٠ ر ١٧١ ر ١٧٢ ر ١٧٣ ر ١٧٤ ر ١٧٥ ر ١٧٦ ر ١٧٧ ر ١٧٨ ر ١٧٩ ر
٣٦٨ ر ٣٧٢ ر ٣٧٣ ر ٣٩٣ ر	١٨٠ ر ١٨٣ ر ١٨٥ ر ١٨٦ ر ١٨٧ ر
٣٩٥ ر ٤٠٠ ر	١٨٨ ر ١٨٩ ر ٢٠٨ ر ٢٠٩ ر ٢١٣ ر
١٥٣ ر ١٥٤ ر ١٥٥ ر ١٥٦ ر ١٧٣ ر	
٣٦٨ ر ٣٨٢ ر ٣٩٠ ر ٣٩١ ر	
٣٩٢ ر ٣٩٥ ر ٤٠٢ ر ٤٠٨ ر ٤١٤ ر	
٤٤ ر ١٠٣ ر	
٣٠٧ جول فدرين	
٤٢١ ر ٤٣ ر	

١٤٢١٤١٧	حسين زكى بك	٢٥٩٠٢٥٧	جون مكسويل
٣٢٠	حسين نظرى باشا	(ح)	
١٢٠٠١١٠٠٩١٠٤	حسين كامل، البرنس	٣٢١٠٢٥١٠٢١٢	حافظ ابراهيم
١٧٣٠١٦١٠١٣٤٠١٢٢٠١٢١٠		٣١٣	حافظ عفيف بك (باشا)
٢٥٥٠٢٥٤٠٢٥٠٠٢٤٩٠٢٢٧٠		٣١٣	حامد الشواربى بك (باشا)
٣٨٥٠٢٨٣٠٢٧٩٠٣٧٨٠٢٨٦٠		٣٤٢	حامد العلابلى
٤١٢٣٨٧٠		٣٠٩٠٢٣٧	حسن زايد باشا
١٣٤٠١٣٣٠١٢٥٠٧٣	حسين مخزم باشا	٥٠٠٤٦٠٤٥٠٣٥٤	حسن عاصم باشا
٢٠٥٠٢٠٢١٩٠٠		١٢٤٠٩٩٠٧٣٠٦٣٠٥١	
٢٩٨٠٢٢٠٠٤٢	حسين واصف باشا	١٥٢٠١٢٦	حسن عبد الرازق باشا
٣٠٢٠		٢٣٧	حسن عبد الرازق بك (الابن)
(خ)		٧٢٠٣٢٠٣٠	حسونه النووى، الشيخ
٢٨٠	خالد القوال بك	١٤٠٠١٣٩٠١٣٨٠	١٣٧٠٧٦٠٧٥٠
١٧١٠١٦٤٠١٦٣٠٢٨	خليل حمادة بك	١٨٢٠	
٣٧٤٠٣٦٨٠٣١٦	خليل دبوس بك	٩٥٠٨٥٠٥٤٠٢٦٠١٠	حسنى باشا الياور
٤١٦٠٣٧٥٠		١٩١٠١٩٠	حسين، الامير الشريف
٣٦٨٠٢٩٧٠	خيرى افندى (شيخ الاسلام)	١٤٧	حسين حلى باشا
٤١٣٠	خيرى باشا (الطيب الخاص للسلطان)	١٦٤٠١٦١٠١٣٨	حسين رشدى باشا
(د)		٢٠٨٠١٧٥٠١٧٤٠١٧٢٠١٦٩٠	
٣٧٢	د. افندى	٢٦٧٠٢٥٨٠٢٥٢٠٢٣٣٠٢٠٩٠	
١٢٠	دوفيل بوا (قنصل عام هولانده)	٢٨٢٠٢٨٠٠٢٧٨٠٢٧١٠٢٦٨٠	
١٥٠١٤٠١٠٠٤٠٢	دومر تينو باشا	٣٠٨٠٢٩٩٠٢٩٨٠٢٩٧٠٢٩١٠	
٥٦٠٤٦٠٤٤٠٣٢٠١٨٠١٧٠١٦٠		٣٣٣٠٢٣٢٠٢١١٠٢١٠٠٢٠٩٠	
٣٢٦٠١٣٢٠١٢٤٠١١٧٠٩٢٠٩١٠		٣٣٨٠٢٣٧٠٢٣٦٠٢٣٥٠٢٣٤٠	
٣٠٨	دى فرانس، المسير	٣٤٤٠٢٤٢٠٢٤١٠٢٤٠٠٢٣٩٠	
١١٧٠١١٦٠١١٥٠	ديسى (المكاتب)	٣٥٥٠٢٥٣٠٢٥٠٠٢٤٧٠٢٤٥٠	
(ر)		٣٦٢٠٢٦٠٠٢٥٨٠٢٥٧٠٢٥٦٠	
رشدى باشا (الواء التركى قومندان العقبة)		٤٦٢٠٤٠٩٠٢٩٧٠٢٧٠٠	

٢٤١١٨٢٢٦٦	سليم البشرى، الشيخ	٧٨٢٧٧	
٤٠٦	سليان نهان باشا الحكيم	٢٩١٢٤	رشيد بك
٣٦٥٣٦٤٣٦٢	سيد كامل، الدكتور	٩	رشيد بك (بالسفارة العثمانية بلندره)
٣٧٥٣٧٢٣٧١	٣٦٦٩٣٦٦٩	٧٥٣	
٣٨٣٣٨٢٣٨٠	٣٧٩٣٧٨٣	١٤	رفرسو، المرکيز دى
٤١٢٣٩٤٣٨٨	٣٨٦٣٨٤٣	٤٠٦٢٥٩٢٤٩	رمزى طاهر باشا
	٤١٥٤١٣٣	٤٠٨٣	
٣٤٤٣٤٢٣١٢٣	سيسيل، اللورد	٢١٣١١٢	روزفلت رئيس أمريكا
٣٨٤٣٦٦	سيف الله يسرى باشا	٢١٤٣	
	٤٠٨٣٩٧٣	٤٠٦	رؤوف باشا التركى
	(ش)		(ز)
٢٦١٤١٢١١	شاكر باشا، المشير	٧٠	زبيدة، البرنيسى
٣٧٦	شكيب أرسلان	٤٦٣٤٥	زر فودا كى
٣٤٣٣٤٢٣٣٢	شيتام، السير ملن		(س)
	٣٥٠٣٤٥٣٤٤٣	١٠٥١٠٢	سعد زغلول بك (باشا)
١٧٧١٧٦١٧١	شيتى بك	١٢٧١١٩١١٠	١٠٩١٠٨
	(ص)	١٦١١٦٠	١٤٣١٤٢
٢٧٩٢٠٧	صابر صبرى باشا	١٨٦١٧٧	١٧٦١٧٥
١٠٣١٠٢	صادق رمضان، الدكتور	٢٠٥١٨٨	١٨٧١٨٦
١٠٩	صباح الدين بك (ابن الداماد)	٢٧٢٢٧١	٢٦٨٢٠٩
٦٢٣٦١٦٠	صفية السادات	٣٢٠٣٠٤	٣٠١٢٧٦
	(ط)	٤١٣٣٧٥	٣٥٨٣٥٣
١٤٦	طلعت بك التلغرافى التركى	٢٩٧٢٨٩	١٢١
٣٧٦٣٧٥	٣٦٨٣٦٧	٤٠١٣٤٦	٣٣٤٣٢٧
٤٠٠٣٩٩٣٩٦	٣٩٢٣٨٨	٢٢٦٢١٦	٢١٢
	٤١٦٣	٢٩٨٢٥٩	٢٤٩٣
٢٠٧	طلعت حرب بك (باشا)		سلبلى، المستر (سكرتير وزير خارجية
٣١٢٣١١	طه حسين		بريطانيا) ٣٢٩

٣٨٤ ر ٣٠٢	١٠٦ ر ١٠٥ ر ٥١	طور نيزون باشا
٧٥٦١	١٤١ ر ١٣٢ ر ١٢٦	
١٤٣٦٦ ر ٦٥	(ع)	
٣٠٢ ر ١٥٣	٣٩٥ ر ٣٨٧	عباس حلیم، الأمير
٣١٦	٧٣ ر ٣٠	عبد الحلیم عاصم باشا
٣٤٩	٣٧٦	عبد الحمید الزهراوى، الشيخ
٤٠٦ ر ٣٥٨		عبد الحمید سعيد (نجل ابراهيم سعيد باشا)
٣٦١	٣٨٩ ر ٣٧٥	
٣١٢ ر ٣٠٥ ر ١٠٠	٢٦٧	عبد الحمید شديد
٣٣٥ ر ٣٣٢ ر ٣١٧ ر ٣١٦ ر ٣١٤	٦٥ ر ٦١ ر ٦٠	عبد الخالق السادات، السيد
٣٤٩ ر ٣٤٧ ر ٣٤٣ ر ٣٤١ ر ٢٣٨	٢٠٨ ر ١١١	عبد الخالق ثروت باشا
٤١٢ ر ٣٦٢ ر ٣٦١ ر ٣٥٧ ر ٣٥٦	٣٢١ ر ٢٦٩ ر ٢٣٣ ر ٢١١ ر ٢١٠	
٣١٤ ر ٣٠٨ ر ٣٠٢	٣٠٢ ر ٢٤٦	عبد الخالق مذکور باشا
٣٥٨ ر ٣٥٧ ر ٣٥٦ ر ٣٣٠ ر ٣٢١	١٠٦ ر ٦٦	عبد الرحمن الشربيني، الشيخ
٤١٢	١١١ ر ١٣٦ ر ١٣٧	
٣٣٥	٣٣٠	عبد الرحمن عزت بك القاضى
٣٣٠	٢٨٢ ر ٢٧٩	عبد الرحمن فهمى بك
٢٣٨ ر ١٧٢	٢٩٨ ر ٢٩٣	
١٤٣ ر ٦٦ ر ٦٥	٣٧٦	عبد الرحمن يوسف باشا
٢١١ ر ٢١٠	١٤٣	عبد الرحيم الدمرداش، الشيخ
٣٧٨ ر ٣٦٥ ر ٣٦٣ ر ٣٠٢ ر ٢٤٦	٣٠٢ ر ٢٩٦ ر ١٧٠	
٢٣٢ ر ٢٣١	١٧٣ ر ١٠٩	عبد العزيز جاويش، الشيخ
٣٢٢ ر ١١١	٢٤٦ ر ٢٣٢ ر ٢١٢ ر ١٨٠ ر ١٧٩	
٣٨٤ ر ٣٦٩ ر ٢٩٢	٣٦٨ ر ٣٦٦ ر ٣٦٥ ر ٣٦٣ ر ٢٧٠	
٣٢٢	٣٦٩ ر ٣٦٨ ر ٣٧٨ ر ٣٩٠ ر ٣٩١	
١٥٥ ر ١٥٤ ر ١٥٢	١١١ ر ١٠٩ ر ٨	عبد العزيز عزت باشا
٢٣٦ ر ١٨٦ ر ١٧٩ ر ١٦٧ ر ١٥٧	١٦٣ ر ١٤١ ر ١٨ ر ١٦ ر ١٥	
٣٨٤ ر ٢٤١	٢٦٨	عبد العزيز فهمى بك (باشا)

كاوتسكى، الدكتور، ١٠٢٥ و ١٢٤٧	على يوسف، الشيخ ٧ و ١٥ و ٢٦ و ٣٥
كتشنر، اللورد ٢٥١ و ٢٥٧ و ٢٦٠ و ٢٦٦	١٠٤ و ١٠٧ و ١١٦ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٤
٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٥	١٠٨ و ١١٦ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٤
٢٨٦ و ٢٩٠ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٣٠١	١٢٥ و ١٢٨ و ١٦٢ و ١٦٨ و ١٦٩
٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٩ و ٣١٧ و ٣٢٦	١٧٤ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٩ و ٢١٣
٣٢٨ و ٣٣٥ و ٣٤٢ و ٣٤٤ و ٣٤٦	٢٣٧ و ٢٤٦ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧
٣٥١	عماد الدين وهي بك ٢٩٧ و ٣٢٧ و ٣٦٧
كرومر، اللورد ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣	٣٧٤ و
٣٥ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢	عمر سلطان باشا ١٠٣ و ٣٣٠
٤٨ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٨ و ٦٢ و ٦٣ و ٧٥	عمر طوسون البرنس ١١٠ و ١٢١ و ٢٤٩
٧٦ و ٨٢ و ٨٣ و ٩١ و ٩٢ و ١٠١	٢٥١ و ٢٦٥ و ٢٨٨
١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٩	(ف)
١١٠ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠	فارس نمر، الدكتور ٦٤ و ٣٢٧ و ٣٢٨
١٢١ و ١٢٤ و ١٢٨ و ١٤٤ و ١٥٢	٣٢٩ و
١٦٣ و ١٧٣ و ٢١٢ و ٢٣٢ و ٢٧٣	فاطمة هاتم اسماعيل، البرنيسية ٣١٠
٣٢٨	٣١١ و
كجال الدين حسين، البرنس ١٩١ و ١٩٣	فتح الله بركات باشا، محمد ١٠٥ و ١٥٥
١٩٤ و	٣٣٦ و ٢٤١ و ٣٠٢
كوندى استيفن، السير ١٤ و ١٥	فرنسوا فرديناند، الأرشيدوق ٢٩
(ل)	فريد باشا (الصدر) ١٢ و ٤٩ و ٥٣ و ٨٦
لطيف سليم باشا ١٠٣ و ١٠٤	١٤٧ و ٢٩٠ و ٣١٠
لويس مالت، السير ٣٥٣	فنتسان كوربت، المستر ١١٧ و ١٦٥
(م)	فؤاد سليم بك ٣٦٦ و ٣٩٨ و ٤١٤
م. أفندى ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٨٩ و ٣٩٧	(ق)
ماتشل لانيس ١٥ و ٧٤ و ١٢٢	قطه باشا ١٧٧ و ١٩٠
محمد أبو الفضل الجيزاوى، الشيخ ٣٥	قلىق فهمى باشا ٣٠٢
٣٧ و ١٠٦ و ١٣٩ و ٢٣٣	(ك)
	كامل باشا (الصدر) ٢٥٧ و ٢٥٩ و ٢٨٩

٢٦٨ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٩١	محمد البيلالوى ، السيد ٢٠٠ و ١٩٠
٢٩٢ و ٢٩٤ و ٢٩٦ و ٢٩٨ و ٣٠٥	محمد البوريني ، الشيخ ٣١٢
٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣٣٦ و ٤١٤	محمد الصباسى ٢١٠ و ٣٤٧ و ٣٩٧
محمد سليمان أباطه بك ٢٢٠ و ٢٧٧ و ٢٧٨	محمد القاضى جمال الدين أفندى ٧٥
محمد شاكرك ، الشيخ ١٠٢ و ١٠٦ و ١١١	٢٩١ و ٣١٠
١٣٩ و ١٤٦ و ١٨٠ و ١٩٠	محمد أمين بهجت بك ٣٣٠
محمد شكرى باشا ١٠٠ و ١٧٠	محمد نجيت ، الشيخ ٣١ و ٣٣ و ٣٥ و ٦١
محمد عارف باشا ٣٠٥ و ٣٠٨ و ٣٥٢	٦٢ و ٩٦ و ٢٢١ و ٣٥١
٣٥٣ و ٣٦٢ و ٣٧٠ و ٣٧٦ و ٣٧٧	محمد بدر الدين بك ٤١١ و ٣٤٩
٣٨٤ و ٣٨٧ و ٢٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٥	محمد بكرى عاشور الصدى ، الشيخ ٩٥
٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٤ و ٤٠٦	١١١
محمد عبد المنعم ، الأمير ٤١٣	محمد توفيق البكرى ، السيد ١٥ و ٣١
محمد عبده ، الشيخ ٢٠ و ٣٠ و ٣١ و ٣٤	٣٢ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٤٠ و ٦٠
٣٦٣ و ٣٧٠ و ٤٦ و ٦٦ و ٦٧ و ٧١	١٤١ و ١٨٤ و ١٨٥
١٠٢ و ١٤٣ و ١٤٣ و ٢٣٢	محمد توفيق بك (شقيق صاحب المذكرات)
محمد عثمان ، الشيخ ٧٠ و ٧٣ و ١٢ و ٣٧٧	٢٩٢
٣٨٤ و ٤٠٤ و ٤٠٧ و ٤٠٨	محمد جلال الدين باشا ٢٩١
محمد عزت بك (باشا) ٤ و ٦ و ٨ و ١٠	محمد حافظ رمضان ٢٤٦ و ٢٥١
٢١ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٨ و ٤٩ و ٥١	محمد حسانين مخلوف العدوى ، الشيخ
٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٦٢ و ٦٣ و ٧٠	١٢٧ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٨٢ و ٢٣٣
٧٥ و ٨٧ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٧ و ٩٨	محمد راشد ، الشيخ ٣٤ و ٤٠ و ٢٢٢
٩٩ و ١٢٠ و ١٤٧ و ١٩٠ و ١٩٤	محمد رشاد السلطان ١٨٢ و ٢٦١ و ٣٣٦
٢٥٩ و ٢٦٠ و ٣٦٩ و ٣٧٦	٤١٢ و
٣٨٩ و ٣٩٦ و ٤٠٨	محمد رشيد رضا ، الشيخ ٢٣٧ و ٢٦٩
محمد علوى باشا ، الدكتور ١٥٥ و ٣٢٢	محمد سعيد باشا ٢٨ و ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٥
محمد على ، البرنس ٢٩ و ٣٠ و ١٠٢ و ١١٠	١٧١ و ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٧
١٧٨ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨	١٨٦ و ١٨٧ و ٢٠٧ و ٢٠٩ و ٢٢٥
٢٥٩ و ٢٧٩ و ٢٨٨ و ٣٩١ و ٣٠٧	٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٥٨

٣١٣	محمود سامى بك	٣٤٣	
٢٣٦ و ١٨٦	محمود سليمان باشا	٣١٠	محمد على حليم باشا، البرنس
١٤٦ و ١٣٥ و ٦	محمود شكرى باشا	٢٧٨ و ٢٧٧ و ٢٢١	محمد على دلاور بك
٢٨٩ و ٢٠٥ و ١٨٥ و ١٨٣ و ١٦٩		٣٦٥ و ٢٩٧	محمد خاد الدين بك
٣٨٧ و ٢٨٩ و ١٤٧	محمود شوكت باشا	١٤٤ و ١٠٩ و ١٠٦ و ١٠٣	محمد فريد بك
٤٠٠		٢١٣ و ٢١٠ و ١٨٠ و ١٦٥ و ١٤٥	
٣٥٠	محمود صدق باشا	٢٦٩ و ٢٦٨ و ٢٣٦ و ٢٣٥ و ٢١٤	
١٦٢ و ١٦١ و ١٥٩	محمود نظرى باشا	٣٦٤ و ٣٦٣ و ٣٦٢ و ٣٣٠ و ٢٧٠	
٣٢٠ و ١٧٦		٣٧١ و ٣٦٨ و ٣٦٧ و ٣٦٦ و ٣٦٥	
محمود فهمى بك (باشا) (باشمهندس		٣٨٢ و ٣٨١ و ٣٧٨ و ٣٧٧ و ٣٧٥	
الأوقاف) ٢٣٧ و ٢٧٩		٣٨٨ و ٣٨٧ و ٣٨٥ و ٣٨٤ و ٣٨٣	
محمود محمد افندى (بك) ٩٦ و ٩٧ و ٩٨		٤٠٨ و ٤٠٢ و ٣٩٧ و ٣٩١ و ٣٩٠	
١٩٠		٤١١	
مدحت شكرى بك ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٩١		محمد فهمى بك (التشريفاتى) ٣١٢	
مرقص سميكه بك ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٠٢		٣٦٢ و ٣٣٤ و ٣٣٢ و ٣١٧ و ٣١٤	
مشافه باشا ١٦٥ و ١٦٦		٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٧٨	
مصطفى رياض باشا ٣٠ و ٢٤٥ و ٢٤٩		محمد نبيب البتانونى بك ٢٠٤ و ١٩٩	
مصطفى فهمى باشا ١٦ و ٤٨ و ٥٤ و ٥٥		محمد محب باشا ٣١٧ و ٣١٣ و ٢٩٨	
٥٧ و ٦٤ و ٧٤ و ٧٦ و ٨٢ و ١٠٢		٣٤٣ و ٣٣٨ و ٣٣٧ و ٣٣٦ و ٣٣٥	
١٢٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤		٣٥٦ و ٣٥٥ و ٣٥٣ و ٣٥١ و ٣٤٥	
١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ٣٠٩ و ٣١٤		٣٧٥ و ٢٦٢ و ٣٦١ و ٣٥٨ و ٣٥٧	
٣١٩ و ٣٥٠ و ٤١٠		٤١٢	
مصطفى كامل بك ٦ و ٧ و ٤١ و ٤٢ و ٥٥		محمد مصطفى المراغى، الشيخ ١٤٦ و ٢٣٢	
٥٧ و ٥٩ و ٦٠ و ٨٦ و ١٠١ و ١٠٢		محمد نافع باشا ٣١٤	
١٠٣ و ١٠٦ و ١١٤ و ١١٥ و ١٢٠		محمد وجيه افندى ٢٢٠ و ٢٣٧ و ٢٩٣	
١٢٨ و ١٤١ و ١٤٤ و ١٤٥		محمد ياور بك ١٠ و ١٤ و ١٥	
مصطفى كامل الغمراوى بك ١٠٦ و ١٠٩		محمد يوسف بك ١٠٠ و ١٠٩ و ١٧٩	
٣٠٩		محمود ابو النصر بك ٢١١ و ٢٤٦ و ٢٦٨	

يوسف صديق باشا ١٦١ و ٣٠٥ و ٣٢٦	مصطفى ماهر باشا ١٦٠ و ١٧١ و ٢١٥
٣٢٩ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٩ و ٣٥٦	٣٣٠
٣٦٢ و ٣٦٤ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧٣	منصور رفعت ٣٣٠
٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٧ و ٣٧٩ و ٣٨١	منصور شكور باشا ٣٢٥
٣٨٥ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠	منير باشا (السفير العثماني بباريس)
٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥	٤٣٦ و ١٤
٣٩٧ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤١٥ و ٤١٦	موزلي، المستر ٢٧ و ١١٤ و ١١٥ و ١٢٥
يوسف ضيا باشا ٧٣ و ١٢٠ و ١٣٣	موسى غالب باشا ١٤٥ و ٢٢٠ و ٢٣٧
يوسف طلعت باشا و والده أحمد طلعت	(ن)
باشا ٤٧ و ٤٨	نجيب غالي بك (باشا) ٢١١ و ٣١٨
يوسف عن الدين افندي ٣٩٨	٣٢٠ و
يوسف كمال، البرنس ٣١٠	نعوم شقير بك ٨٧ و ٨٨ و ٩٠
يوسف وهبه باشا ٣١٧ و ٣٢١	نيقولا س أوكونور ٨٩
واطسون باشا ١٠٥ و ١٢٠ و ١٢١	(ه)
ونجت، السير رجينلد (السردار)	هكسيوس السويسرى ٢٢ و ٢٣ و ٢٥
١٨١ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٥٧ و ٢٥٩	٢٨ و ٢٩
٣٤٤ و	هينز المستر ٢٩٨
(ي)	(و)
ى . بك ٣٧١ و ٣٧٩ و ٣٨٩ و ٣٩٧	واصف غالى بك ١٤٣ و ٢٤٤ و ٣١٨
يعقوب أرتين باشا ١١١ و ٢٥٤	٣٢٠ و ٣٢١

فهرست الصور

الواردة في القسم الثاني من الجزء الثاني من « مذكراتي في نصف قرن »

صفحة	بيان الصور	صفحة	بيان الصور
٥	رشيد بك	١٠٧	مصطفى كامل الغمراوي
٦	محمود مختار باشا	١٢٦	حسن عبد الرازق باشا
٧	أحمد شوقي بك	١٢٧	أحمد لطفى السيد
٩	صباح الدين بك	١٢٧	مصطفى كامل باشا
١٢	فريد باشا	١٢٧	الشيخ على يوسف
١٤	اللورد بلفور، آرثر	١٣٥	ولى المهدي وشقيقه مع أساتذتهما
٢٤	دير إيفيرون بجبل أتوس	١٣٧	الشيخ سليمان العبد
٣٣	محمود الداماد باشا	١٤٤	جائزة المرحوم مصطفى كامل باشا
٣٣	قصر بكنجهام	١٤٥	محمد فريد بك
٤١	مدام جوليت آدم	١٤٦	الشيخ محمد مصطفى المراغي
٤٧	يوسف طلعت باشا	١٤٨	أنور بك - نيسازى بك -
٤٧	أحمد طلعت باشا		طلعت بك - محمود شوكت باشا
٦٠	السيد عبد الخالق السادات	١٥٣	إسماعيل أباطه باشا
٧٠	البرنيسيس زيدة هانم	١٥٣	أحمد يحيى باشا
٧٨	الأمير الالى براملى بك	١٥٥	على شجراوى باشا
٧٨	الأمير الالى سعد رفعت بك	١٥٦	فتح الله بركات بك
٨٧	القومندان ويموث	١٦٠	سعد زغول باشا
٨٨	محمود الحدود برفح	١٦١	محمد سعيد باشا
٩٠	اليوزباشى اسماعيل الملقى افندى	١٦١	اسماعيل سرى باشا
٩١	السير أرنست كاسل	١٦٢	حسين رشدى باشا
٩٧	البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين	١٦٢	أحمد حشمت باشا
١٠٠	أحمد فتحى زغول باشا	١٦٣	خليل حماده باشا
١٠٠	ابراهيم الهلباوى بك	١٨٣	السلطان محمد رشاد

صفحة	بيان الصور	صفحة	بيان الصور
١٩٦	الكعبة - جدة	٢٥٠	البرنس عمر طوسون باشا
١٩٧	المحمل الشريف - بحرة - منى	٢٥٨	صورة الأمير ضياء الدين افندى ولى
١٩٨	منظر صوملى والحجاج عيرون فيه		عهد السلطنة ومعه الخديو والحاشية
	الحجاج على جبل الرحمة بعرفات	٢٧٨	محمد على دلاور
٢٠٢	استقبال الخديو بمحطة المدينة المنورة	٢٧٨	محمد سليمان أباطه بك
٢٠٢	المدينة المنورة	٢٨٧	رؤوف باشا القومسيير
٢٠٣	الركب المذنب وهو داخل المدينة	٢٩٥	المؤلف وكبار موظفى الأوقاف
	فى عودته من الحج	٣٠٦	افتتاح الجمعية التشريعية
٢٠٣	تبوك بمحطة معان	٣٢١	واصف بطرس غالى بك
٢٠٤	التكية المصرية بالمدينة المنورة	٣٢٣	المؤلف
٢٠٧	طلعت حرب بك	٣٢٩	الباب العالى
٢٠٧	أحمد محمد خشبه	٣٤٨	صورة بالأشعة تبين الاصابات
٢١٤	السير إدوارد جراى		بذراع الخديو وفه
٢٢٠	جسين واصف بك المهندس	٣٥٩	حسين رشدى باشا
٢٢١	افتتاح مسجد مرسى مطروح	٣٦٤	سميد حلیم باشا
٢٢٦	البرنس محمد على	٣٨٠	الدكتور سيد كامل
٢٣١	الشيخ على الغاياتى	٣٨٦	المؤلف بالبدلة العسكرية
٢٣٣	عبد الخالق ثروت باشا	٣٩٢	جمال باشا
٢٥٠	البرنس حسين كامل باشا	٤٠٧	توفيق فهيمى بك

